



اهداءات ٢٠٠٢

أد/ محمد طه الحاجري



مطبوعات دار المأثورون

الذين من ذهاب

الذين من ذهاب

مكتبة العترة والثقافة

مكتبة العترة والثقافة

المصنعة

الأدبية

سلسلة المصادر العربية

فتح الطيب

تأليف العلامة أحمد المقرئ المغربي المالكي الأشعري

في عشرين جزءاً

مضبوطة ومشروحة ومعلقة عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

الجزء الثالث

حقوق الطبع محفوظة

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

مقدمة

هذه السلسلة من المصاحف العربية مكتبة القراءة والثقافة
الأدبية ، مدينته المحفزة الأستاذة لمجلى صاحب المحلى على زكى
العلامة باشا وزير المعارف ، وكبير الأستاذة أحمد بن محمد الشاذلي
بمك ، وحفزة معاد نحيبنا الأعجاب بتقرير مبداء مراجعته الوزارة
لأصولها النهائية خديعة للثقافة واللغة والأدب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ أَمَّا بَعْدُ
فَقَدْ قَالَ الْعَمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُوبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ
فِي عَدِهِ : لَوْ غَيْرَ هَذَا الْكَانَ أَحْسَنَ ، وَلَوْ زَيْدٌ كَذَا الْكَانَ مُتَحَسِّنٌ ،
وَلَوْ قَدْ هَذَا الْكَانَ أَفْضَلَ ، وَلَوْ تَرَكَ هَذَا الْكَانَ أَجْمَلَ ، وَهَذَا
مِنْ أَعْظَمِ الْعَبِيرِ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِثْلَا النَّقْصِ عَلَى جَمَلِيَّةِ
الْبَشَرِ .

الْعَمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ



﴿ كِتَابُ أَبِي الْمُطَرِّفِ إِلَى سُلْطَانِ إفْرِيقِيَّةَ ﴾

كتب أبي
الطرف إلى
سلطان إفريقية

« وَكَتَبَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِلَى سُلْطَانِ إفْرِيقِيَّةَ ^(١) الْوَارِثِ
مُلْكِ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بَنِيكَ النَّوَاحِي ، الْمُسْتَوْلِي عَلَى
الْبُلْدَانِ وَالضَّوَاحِي ، وَقَدْ كَانَ لِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ أَمَلٌ فِي
أَخْذِهِ بِثَارِهِمْ ، وَصَمَّ أَنْتَارِهِمْ ، مَا صُورَتْهُ :

شَاقَهُ غِبٌّ ^(٢) الْخِلَالِ الْوَارِدِ

بَارِقٌ هَاجَ غَرَامُ الْهَاجِدِ ^(٣)

(١) يريد به الأمير أبا زكريا يحيى بن الأمير الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن
الشيخ أبي حفص عمر صاحب إفريقية ، وكان الأمير عبد الواحد متزوجاً
أخت الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي صاحب بلاد المغرب
للتوفيق سنة ٥٩٥ هـ (٢) الغيب : عاقبة الشيء - (٣) الهاجد : النائم والسالك

صِدْقٌ وَعْدٌ لِلتَّلَاقِ ثُمَّ مَا
 طَرَقَا إِلَّا بِخُلْفِ الْوَعْدِ
 وَكِلَا الزَّوْجَيْنِ^(١) مِنْ طَيْفٍ وَمِنْ
 وَافِدٍ تَحْتَ الْأَيْجِي وَارِدٍ
 لَمْ يَكُنْ بَعْدَ الشَّرَى^(٢) مُسْتَمْتَعٍ
 فِيهِ لِلرَّائِي وَلَا لِلرَّائِدِ^(٣)
 وَشَدِيدٌ بَثُّ قَلْبِ هَامٍ
 يَشْتَكِيهِ عِنْدَ رَنْعِ هَامِدٍ^(٤)
 بِالْأَمِيرِ الْمُرْتَضَى عَزَّ الْهَدَى وَتَنَّى عِطْفَ الْعَلِيِّ^(٥) الْوَاجِدِ

(١) منى الزور : الزائر وهو فى الأصل مصدر وضع موضع الاسم كصوم ونوم
 بمعنى صائم ونائم (٢) السرى : سير الليل (٣) الرائد : الطالب والرسول
 الذى يرسله القوم لالتماس النجاة وطلب الكلاء ومساقط القيث لينظر
 المكان الذى ينزلون فيه . والرود أيضا الذهاب والمجيء ، يقال :
 راد برود رودانا اذا جاء وذهب ولم يطمئن ، والرائد الذى لا منزل له ،
 وراد البار برودها : سألها (٤) الهامد : الساكن والبالى للتنبيه (٥) الى
 (عطف على) هو الذى التقادر ذو الثروة الواسعة والثقة . وعطفا كل شئ :
 جانباه ، ويقال هو ينظر فى عطفيه ، أى معجب بنفسه ، وجاء تانى
 عطفه ، أى رعى البال مزهوا . وقد يقال للتكبر المعجب والمعرض ،
 ويقال هز عطفيه : أى فرح وسر

وَبِهِ أَصْحَبٌ^(١) مَا كَانَ يُرَى
 حَامِلًا أَنْفَ الْآبِي الشَّارِدِ
 • إِنَّمَا الْفَخْرُ لِيَوْلَانَا أَبِي •
 زَكْرِيَّا بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ
 مَلِكُ لَوْلَا حِلَاةُ^(٢) الْفَرْ لَمْ
 يَخْرُ بِالْحَمْدِ لِسَانُ الْعَامِدِ
 وَلَوْ أَنَّ الْعَذْبَ أَبْدَى رَغْبَةً
 عَنْهُ لَمْ يَشْفِ غَلِيلَ الْوَارِدِ^(٣)
 فَضْلُهُ مِثْلُ سُنَى الشَّمْسِ وَهَلْ
 لِسِنَا الشَّمْسِ يُرَى مِنْ جَاهِدِ؟

- (١) للصحب الذى خضع وذل وانقاد بعد صعوبة ، أصبحت الهابة :
 انقادت واسترسلت وتبع صاحبها بعد جموح وثبات (٢) الحلية: الصفة
 والصورة ، والحلية ما يزين به من اللادن النفيسة أو الأحجار الكريمة
 وجمعها (حلى) (٣) مثله لابن سناء الملك :
 وأظنم إن أبدى لى الماء منة ولو كان لى نهر الحيرة موردا
 يصفه بالآباء والافقة والتشم وعزة النفس

قَهَرَ الْبَنَى بِحِدِّ صَادِعٍ
 مَا تَعْدَاهُ وَجَدَ صَاعِدٌ^(١)
 إِنَّمَا آلُ أَبِي حَفْصٍ مُدَى
 لِلْوَرَى مِنْ قَائِبٍ أَوْ شَاهِدٍ
 قَعَدُوا فَوْقَ النُّجُومِ الزُّهْرَ عَنْ
 هِمٍّ نَبَّهَنَ عَزَمَ الْقَاعِدِ
 وَعَنِ الْإِسْلَامِ ذَادُوا^(٢) عِنْدَمَا
 فَلَّ طَوْلُ الْعَهْدِ غَرْبَ النَّائِدِ
 أَيْ فَخِرَ عُمَرَى الْمُتَمَتَّى
 وَرَثُوهُ مَاجِدًا عَنْ مَاجِدٍ؟
 مَا أَقْسَحُ الْقُرَى إِلَّا لَهُمْ
 يَنْ مَاضٍ بَادِيٍّ أَوْ عَائِدِ

(١) الجِد (بالكسر) الاجتهاد في الأمر ، وتقويض المنزل ، والتحقيق ،
 والجِد (بالفتح) الحظ والبخت والحظوة ، والرزق والعظمة ، وقد يكون
 الأول في البيت محرفاً عن الجِد (بالحاء المهملة) وهو البأس والإنفاذ في
 النجدة ، والحدة ، والضب وحده السيف (٢) ذادوا : دافعوا

فِي مُحَيَّا لَاحِقٍ مِنْ سَابِقٍ
 وَعَلَى الْمَوْلُودِ سَيْمَى الْوَالِدِ^(١)
 . وَلِيَحْيَى رَاجِحُ الْحِلْمِ الَّذِي .
 . تَرَكَ الطُّودَ بِعَطْفٍ مَائِدِ^(٢)
 عَقْدُ أَحْسَابِهِمْ تَمَّ بِهِ
 مِثْلَ مَا تَمَّ حِسَابُ الْعَاقِدِ^(٣)
 أَيُّهَا الْجَامِعُ مَا قَدْ أَخْرَزُوا
 جَمَعَ مَنْ هُمُّهُ فِي الزَّائِدِ
 هَذِهِ الْأُمَّةُ قَدْ أَوْسَعَتْهَا
 نَظْرًا يَكَلَّا^(٤) لَيْلَ الرَّاقِدِ

(١) السيمى والسياء : العلامة يعرف بها الخير والشر ، يريد أنهم ورثوا
 أسلافهم في ما ترمم فسيأهم في وجوههم (٢) الطود : الجبل ، والمطف :
 الجانب ، مائد : مائل مضطرب ، يريد أنه أرجح حلما من الجبال وأقر وأثبت
 وأهدأ وأرزن ، وأن الجبال تخف اذا قيست الى حلمه ، وأنها
 تخشاه وتفرزع منه (٣) عقد الحاسب : حسب وعد (٤) كلاًه :
 حرسه وحفظه ، وكلاً النجم متى يطلع اذا رءاه ، ورجل كلوه العين أى
 ساهرها لأن الساهر يوصف برقة النجوم ، واكتلات عيني : سهرت ،
 وأكلتها أسهرها ، ينى أنه قبيلها وسهر لحايتها وقديت ليها نائما

لَمْ تَرَكَ مِنْكَ بِخَيْرٍ طَارِفٍ
 رِيشُهُ نَالَ قُدَامَى ^(١) تَالِدٍ
 وَلَهُمْ مِنْكَ لَيَوْمٍ حَاضِرٍ
 وَعَدِ رَأَى الْبَصِيرِ التَّاقِدِ
 أَرْشَدَ اللَّهُ لِأَوَّلَى نَظَرٍ
 بِالْوَرَى رَأَى الْإِمَامِ الرَّاشِدِ
 وَتَوَلَّاهُ بِشَوْفِقِ الْأَلَى
 سَعِدُوا مِنْ طَائِدٍ أَوْ عَاهِدِ ^(٢)

(١) الطارف والطريف: الحديث، وهو خلاف التاليد والتلبد، ومن معاني
 الريش الحسب والخير والزينة وحسن الحال، وراش فلانا: أعانه وقواه،
 وارتاش فلان حسنت حاله. وقال جرير:

سأشكران رددت على ريشي وأثبت القوادم في جناحي
 وقدامى جمع قديم، والقدامى أيضا قوادم الطير وهي ريشات في مقدم
 الجناح، واحدم قادمة، واللواتى بدهن إلى أسفل الجناح تسمى الناكب،
 والحوافى ما بعد الناكب، والاباهر من بعد الحوافى - يريد أن خيره
 لا ينهم ولا ينقطع عنهم بل هو متوال مستمر ومتواتر متتابع فحديثه
 متصل بقديمه، ولاحقه يقوى سابقه. اهـ «أحمد نجاشي»

(٢) عقد البيع والحبل والمهد: شده ووثقه، وأصل العقد تقيض الحل ثم

وَلَهُ فِي اللَّهِ أَوْفَىٰ كَافِلٍ

بِاللَّهِ يَتَّقِي وَأَكْفَىٰ عَاصِدٍ ^(١)

نَصَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ مَوْلَانَا وَأَيَّدَهُ ، وَشَدَّ مُلْكَهُ وَشَدَّدَهُ ،
وَأَبْقَىٰ لِلْفَضْلِ أَيَّامَهُ ، وَلِلْفَضْلِ أَحْكَامَهُ ، وَأُظْفِرَ بِأَغْنَاكَ
الْأَشْقِيَاءَ حُسَامَهُ ، وَوَقَّرَ مِنْ أُنْسَاقٍ ^(٢) أَلْتَمَّ وَالْأَلَا لِحُطُوطِهِ
وَأَقْسَامَهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ أَنْ جَلَّ بِهِ حَرَمَ
الْأُمَّةِ آمِنًا ، وَوَهَجَ ^(٣) الْفِتْنَةِ سَاكِنًا ، وَأَبْوَابَ الصَّلَاةِ
وَالْمَعْرُوفِ لَا تَعْرِفُ إِلَّا وَاصِلًا أَوْ آذِنًا ، وَتَلَافَىٰ فَلَّ
الْإِسْلَامِ مِنْهُ بِفَيْئَاتِهِ ^(٤) الَّتِي مِنْهَا يَنْتَظِرُونَ الْكَرَّ ^(٥) ،
وَبِهَا يُوعَدُونَ الْفَتْحَ ^(٦) الْأَعَزَّ ^(٧) وَالنَّصَرَ الْأَغَرَ ، فَهُمْ بَيْنَ

استعمل في أنواع العقود من البيوعات والمهود واللواتيق ونحوها ، ثم
استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم ، وعقد العهد واليمين : أ كده : ١٥ ، والمقد
الضمان والعهد ، والعقدة الولاية على البلد والبيعة المقودة لولايتهم . والعهد :
الوفاق واليمين وما يكتب للولاية (من عهد إليه إذا أوصاه) والعهد الحفاظ
ورعاية القيمة والحرمة (١) عضده (كنصره) وعاضده : أعانه ونصره ،
وقواه وساعده (٢) انسق الشيء : انتظم وتتابع واجتمع وانضم بضمه إلى
بعض ، وانساق القمر : امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة البدر (٣) الوهج :
الانفاد والاشتغال ، ووهج الطيب : انتشاره وأرجه (٤) الفئ : والفئحة العود
والرجوح (٥) الحملة على العدو (٦) من قوله تعالى : « وينصر الله نصر أعززا »

جِدَّةٌ ^(١) قَبِضُوهَا ، وَعِدَّةٌ رَضُوهَا . وَأَرْقَابٍ لِّلْفَتْحِ أَكْبَرُ
 هَمِيمٍ مِنْهُ دَرَكُ النَّارِ ، وَاتِّصَافُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ
 النَّارِ . فَأَلَمَّا الْأَوْطَانُ قَدَّ اسْلَمْتُمْ ^(٢) عَنْهَا جَهْدُ تَنْبِتِ
 الْعِزِّ فِيمَا تَنْبِتُهُ ، وَتَنْبِي مِنَ الضَّمِّ ^(٣) مَا نِلْتَ تَنْبِتُهُ ،
 وَمَا ذِكْرُ السَّخِطِ ، عَلَى الْمَحَلِّ السَّاقِطِ ، مَنَازِلِ عَادَتِ
 عَلَى مَبَانِيهَا أَطْلَالًا ، وَمَمَانِيهَا ^(٤) إِمْعَالًا . وَلِلْعَبْدِ حَالٌ
 يَسْتَقْبِلُ بِهَا مِنَ النَّظَرِ الْكَرِيمِ - أَدَامَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مَا عَيْنُ
 الْأَمَالِ إِلَيْهِ صُورٌ ^(٥) ، وَرَجَاءُ الْجَمِيعِ عَلَيْهِ مَقْصُورٌ . أَتَمَّ .

(١) الجدة: الغنى والثروة (وجد الشيء جدة فهو جديد) يريد أن المسلمين من
 الأمير بين خير عاجل واصل إليهم قد تالوه وقبضوه ، وبر آجل قد وعدوا به
 وعدا حقا قد وثقوا به ورضوه . «أحمد بن حنبل» (٢) سلاه وسلا عنه سلوا
 وسلوانا: إذا نسيه وذهل عن ذكره ، وأسلاه عنه فغلى - والعبرة
 مأخوذة من قول أبي الطيب * وكل مكان ينبت المز طيب * (٣) الضيم: الظلم
 والجور . وضامه حقه: نقصه إياه (٤) للغي: التزل الذي غنى به أهله ثم
 ظفروا عنه ، وقد يطلق على كل منزل . وغنى بالمكان أقام به . ويظهر
 أن (على) في (عادت مبانيها الخ) زائدة (٥) صور، جمع أصور ،
 وصوراء ، من صور (كفرح) : مال واشتاق ، قال الشاعر :

الله يعلم أنا في تلفتنا يوم الفراق إلى أحببنا صور

وهو أصور إلى كذا إذا مال عنقه ووجهه إليه ، قال :

فقلت لها غضى فاني إلى التي تريد أن أحببها غير أصور



وَالْأَيَّامُ فِي هَذَا الْبَابِ ، مَا كَتَبَ بِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -
 مِنْ مُجْمَلَةِ كِتَابٍ لِبَعْضِ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، وَنَصُّ مَجْلِ الْحَاجَةِ
 مِنْهُ : نَحْضُ الْمَهْمَةِ الْيَمِينَةِ الصَّيِّتِ وَالْإِسْمِ ، الشَّهِيرَةِ
 الْعَمَلِ وَالْعِلْمِ ، دُرَّةَ تَاجِنَا ، وَضَوْءَ سِرَاجِنَا ، وَنُكْتَةً ^(١)
 أَحْتِجَاجِنَا - أَبْقَاهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي أَعْيُنِنَا مَنَازِرًا ، وَلَئِنْ دُلُّسِنَا
 فَخَارًا - عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ بَقِيَتِ الْمَفَاحِرُ ، فَقَدْ أَوْدَى
 الْمَفَاحِرُ ، وَإِنْ أَضَاءَ الطَّالِعُ ، فَقَدْ دَرَجَتِ ^(٢) الْمَطَالِغُ ،
 وَغَلَبَ عَلَيْهَا عُدَاةُ زَوَوَا عَنْهَا وَجُوهَتَا ، وَأَرَوَا فِيهَا

(١) النكتة هي الطيفه للوثرة في القلب ، وتطلق على المسائل الحاصلة
 بالنقل للوثرة في النفس ، وأصله من نكت الأرض بصاء أو أصبعه حتى
 أثر فيها ، فصل للفكر للموم . ونكت فلان ينكت إذا فكر وحدث نفسه مهتما ،
 فسميت بذلك لما يقارنهما من نكت الأرض غالباً للتفكير والاهتمام . وقد تكون
 من نكت العظم إذا أخرج غصه . ونكت كنانته : ثراها وأخرج ما فيها
 (٢) درج القوم إذا انقضوا ، من درجت الثوب إذا طويته . وقد تكون
 (درجت) هنا محرفة عن (دجت) أي أظلمت بقرينة مقابلته بقوله
 في القرينة قبلها : وإن أضاء الطالع ، يريد أن للمدوح للفتخر به والمستضاء
 بنوره وإن بقي سلباً منير الطالع قد باد من يفتخر به وأظلم السكان
 المحتاج الى استمداد نوره ، يعني أنه ينسى الأندلس وينسبوه خط أهلها

مَكْرُوهَنَا، حَتَّى إِنِّي أَتَيْتُ بِشِعْرِ فِيهِ اسْتِسْقَاءٌ لِلدَّيَّارِ، عَلَى
عَادَةِ الْأَشْعَارِ، فَقُلْتُ:

زِدْنَا عَلَى الثَّانِيْنَ ^(١) عَنْ أَوْطَانِهِمْ
وَأِنْ اشْتَرَكْنَا فِي الصَّبَابَةِ وَالْجَوَى
إِنَّا وَجَدْنَاكُمْ قَدْ اسْتَسْقَوْا لَهَا
مِنْ بَعْدِ أَنْ شَطَّتْ بِهِمْ عَنْهَا النَّوَى
وَبَصْدُنَا عَنْ ذَلِكَ فِي أَوْطَانِنَا
مَعَ جُحْبَا الشَّرْكِ الَّذِي فِيهَا ثَوَى ^(٢)
حَسَنَاءُ طَاعَهَا اسْتَقَامَتْ بَعْدَنَا

لِعُدُونَا أَفِيَسْتَقِيمُ لَهَا الْهَوَى ؟
« قُلْتُ » وَمَا رَأَيْتُ وَمَا صَمِعْتُ مِثْلَ هَذِهِ
الْأَيَّاتِ ^(٣) فِي مَعْنَاهَا ، الْعَالِيَةِ فِي مَبْنَاهَا ، فَإِنَّ فِيهَا
الْإِشَارَةَ إِلَى اسْتِبْلَاءِ النَّصَارَى - دَمَرَهُمْ اللَّهُ - عَلَى تِلْكَ الدَّيَّارِ ،

(١) الثَّانِيْنَ : النَّاظِرِينَ الْبَعِيدِينَ (٢) أَقْلَمُ طَوِيلًا ، وَفِي الشَّرْكِ تَوْرِيَةً يَدُلُّ
عَلَيْهَا الْبَيْتُ بِدَمِهِ (٣) قَدْ يَكُونُ هُنَا كَلِمَةٌ سَاقِطَةٌ نَحْوُ . . . الْآيَاتِ الشَّرِيفَةِ
أَوِ الْعَالِيَةِ وَالْآيَاتِ (مِنْ الْأَنْبَاءِ) فِي مَعْنَاهَا مُوَازَنَةُ الْفَاعِلَيْنِ فِي السَّجْعِ بَلْ
تَرْصِيعُهُمَا كَلَامُهُ

وَبُوتِ قَدَمُهُمْ فِيهَا عَلَى طَبَقٍ ^(١) مَا حَصَلَ لَهُمْ فِيهِ اخْتِيَارٌ ،
مَعَ إِدْمَاجِ حُبِّهَا لَهَا الَّذِي لَا يُشْكُ فِيهِ وَلَا يُرْتَابُ ،
وَأَشْتِمَالِهَا عَلَى الْمَحَاسِنِ الَّتِي هِيَ بُعِيَّةُ الرَّأْيِ وَنُجْمَةٌ ^(٢)
الْمُتَّابُ . وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، وَإِذَا قَدْ سَهَمَ الْمَقْدُورُ
فَلَا عِتَابَ .



وَمَا يَسْتَوِي عَلَى الْخَوَاطِرِ ، وَيُزَوِّي رِيَاضَ الْأَفْكَارِ
بِسُحْبِ بَلَغَةِ الْمَوَاطِرِ ، قَوْلُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -
يُخَاطَبُ أَبُو الْحَسَنِ ^(٣) الرَّعَيْنِيَّ ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّينَ :
يَا صَاحِبِي وَالذَّهْرُ لَوْ لَا كَرَّةٌ ^(٤)

مِنْهُ عَلَى حِفْظِ النَّمَامِ ذَمِيمٌ
أُمْتَازِعِي أَنْتَ الْحَدِيثَ فَإِنَّهُ
مَا فِيهِ لَا لَوْ ^(٥) وَلَا تَأْنِيمٌ

(١) هذا الشيء طَبَقُهُ (يسكون الباء وفتحها) وطباقه أى على وفقه ،
وطباق الثبتان : تساوي أو اتفقا (٢) النجمة : طلب الكلالة في موضعه (٣) قوله
«أبو الحسن» : في نسخة أبي الحزم (٤) الكرة : العطف والسودة ، والذمام :
العهد والحزمة وما يطم من يفرط فيه (٥) اللغو : الكلام السقط الذي
لا يستند به ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع . ونازعه الحديث : جاذبه إليه

وَمَرُوضٌ مَرَعَى مُنَايَ فَنَبَتُهُ
 مِنْ طُولِ إِخْلَافِ الْقِيُومِ هَشِيمٌ^(١)
 طَالَ اغْتِيَابِي بِالزَّمَانِ وَإِنَّمَا
 دَاءُ الزَّمَانِ كَمَا عَلِمْتَ . قَدِيمٌ
 مَجْمُوعٌ حَظٌّ لَا يُنَادَى ثُمَّ لَا
 يَنْفَكُ عَنْهُ الْخُذْفُ وَالْتَرَحِيمُ
 وَأَرَى إِمَانَتَهُ تَدُومُ وَقَصْرُهُ
 قَعْلَامٌ يُلْغَى الْمَدُّ وَالْتَفْخِيمُ ؟
 وَعَعْلَامٌ أَذْعُو وَالْجَوَابُ كَأَنَّمَا
 فِيهِ بِنَصٍّ قَدْ أَتَى التَّخْرِيمُ ؟
 لَمْ أَلَقْ إِلَّا مُقْعِدًا غَيْرَ الْأَسَى
 فَلَدَى مِنْهُ مُقْعِدٌ وَمُقِيمٌ^(٢)

(١) هشيم : يابس متكسر ، وروض السيل القراح جله روضة ، وكذلك
 أراضه (٢) أقصده عن الأمر : عوفه وثبطه وحجسه ، وقصد للأمر : أهتم به .
 ويقال : هم مقسمقيم أي مقلق يضطرب معه الفكر ويحار العقل . ويقال
 أخذه للقيم للقمع . كان الخليفة الواثق قد أمر ألا يرى أحسن الناس وزيره
 محمد بن عبد الملك الزيت الأقام له اجلالا ، فكان القاضي أحمد بن
 أبي دواد إذا رأى الوزير قد اقام واستقبل القبة يمشي ، فقال ابن الزيت

وَشَرَانِ اَلْهَمُّ اَلْمُتَّقُ^(١) خَالِصًا

فَتَنَى يُسَاعِدُنِي عَلَيْهِ نَدِيمٌ ؟

• غَارَاتُ أَيَّامٍ عَلَى جَوَارِحُ •

قَعَدِيهَا فِي طَبْعِهِ اَلتَّحْكِيمُ^(٢)

صلى الضحى لا استفاد عداوى وأراه ينك بعدها ويصوم
لاتد من عداوة مسمومة تركتك تقعد نارة وتقوم
(١) الحجر للعتقة القديمة التي قد عتقت زمانا قال الاعشى :

وسبيشة مما تفتق بابل كسم الذبيح سلبها جريالها
وعتقت الحجر : قلمت وحسنت : شبه همه الذى يخاديه ويرأوه ومنه
صبوحة وغبوقه بخمر معتقة صرفة بكرع منها ما يفيض عنه فتحنى
أن يساعده عليه شريك معين أو صديق مؤاس . « أحمد بن جاتى »

(٢) القعد والقعدة قوم من الخوارج قعدوا عن نصرته على كرم الله وجهه
وعن مقاتله ، وهم يرون التحكيم حقا غير أنهم قعدوا عن الخروج
على الناس فلا يعضون الى القتال وقعدوا عن النزوء ، ومن يرى رأى هؤلاء
الخوارج الحارورية قعدى - وقال أبو نواس وقد نهى عن شرب الخمر
ونفسه معلقة بها فهو لا يشربها كرها ويستحسن شربها لغيره مشربا
نفسه بالذى يرى التحكيم وقد قعد عنه :

كبر حظى منها اذا هي دارت أن أراها وأن أشم النسيب
فكأنى وما أحسن منها قعدى يزين التحليبا
لم يطلق حمله السلاح الى الحرب فأوصى للطبق ألا يقبها
(٢ - نفع الطيب - ثالث)

وَلَوَاعِجٌ^(١) يَمْتَنِجُ صَالِي حَرِّهَا أَمْرًا بِهِ قَدْ خُصَّ إِبْرَاهِيمُ
وَلَقَدْ أَقُولُ لِصَاحِبِ هُوَ بِالَّذِي
أَذْرَكَتُ مِنْ عِلْمِ الزَّمَانِ عَلِيمُ
لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ^(٢) الْإِلَهِ وَإِنْ قَسَتْ
يَوْمًا قُلُوبُ الْخَلْقِ فَهُوَ رَحِيمُ



وَيَهْزُنِي^(٣) وَتَسْتَفْزِنِي مَا كَتَبَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ رِسَالَةٍ :
كَتَبَتْهُ إِلَى سَيِّدِي وَهُوَ السَّيِّدُ حَقِيقَةً ، وَأَخْبَى
وَقَدْ كَتَبَ النَّهْرُ بِذَلِكَ وَثِيقَةً ، أَبْقَى اللَّهُ تَعَالَى جَلَالَهُ
مَحْرُوسًا ، وَرَبَعَ وَقَائِهِ لَا يَضْحَى دُرُوسًا^(٤) ، مِنْ رِبَاطِ

رسالة أخرى
لأبي الطرف

(١) لواعج ، جمع لاعج وهو الهوى المحرق والجوى للؤلؤ ، صالى حرها :
للقاسى شدتها والمترق بنارها - وهو يشير في البيت الى قصة الخليل
إبراهيم عليه السلام الذى جعل الله النار بردا وسلاما عليه .
(٢) الروح هنا الرحمة ، وأصله الراحة والسرور والفرح ، وسميت الرحمة
روحا لأن الروح والراحة بها (٣) هزه : حركة ، وهز الحادى الأبل اذا
نشطها بمعداته فتحركت في سيرها وخفت - وكل من خف لاثمر وارتاح
له فقد اهتز له ، والهزة : الأريحية . يقال أخذته تلك الأمر هزة أى أريحية
وحركة طرب وسرور ، وتقول هو بهتز للعزوف ، وهز عطفه لكذا
وهز متكبيه اذا طرب بهوسا . واستفزه : استخفه وحركة (٤) دروسا :
محوا وزوالا

الفتح^(١) وَأَنَا بِحَقِّهِ عَلِيمٌ ، وَعَلَى عَهْدِهِ مُقِيمٌ ، وَشَأْنِي تَوْفِيرٌ
لَهُ وَتَعْظِيمٌ ، وَحُبٌّ فِيهِ خَالِصٌ كَرِيمٌ . وَوَصَلَنِي خِطَابُهُ
الْخَطِيرُ الْخَبِيرُ فَكُنْتُ بِهِ كَالصَّامِ رَأَى الْهِلَالَ ،
وَالْهَامَّ^(٢) عَيْنَ مَاءِ الزُّلَالِ . عَلِقُ^(٣) لَيْسَ يُوَازِيهِ عَلِقُ ،
وَسِخْرُ لَكِنَّهُ حَلَالٌ طَلِقُ^(٤) ، وَنَظْمٌ لِدِكْرِ الطَّائِي^(٥)
طَاوٍ ، وَصَنَعَةٌ لَمْ يَرَهَا وَلَمْ يَرَوْهَا رَأَى وَلَا رَأَوِ ، رَمَتْ
ابْنُ الرُّومِيِّ بِالْحُمُولِ ، وَبَشَّرَتْ^(٦) أَسْمُ بَشَارٍ مِنَ الْفُحُولِ ،
وَحَكَمْتُ بِأَنَّ النَّمْرِيَّ فِي نَمْرَةٍ^(٧) الْهُوَ أَنْ مُدْرَجٌ ، وَالسَّرِيَّ^(٨)

(١) رباط الفتح: مدينة قرب سلا على نهر بالقرب من البحر المحيط بناها
الأمير للنصور يعقوب بن تاشفين على هيئة الاسكندرية (٢) الهام: الطشان
كالهجان . والميام أشد العطش (٣) الملق: الشئ النفيس يتعاق القلب به
ويتنافس فيه ، والطلق (بفتحين) المحبة اللازمة للقلب والهوى الدائم
(٤) الطلق الحلال للطلق الذي لاحظر عليه ، وأعطيته من طلق مالى أى
من صفوه وطيبه (٥) أى أبى تمام (٦) بشرت: عمت ، وأصله من بشر الجلد:
قشر بشرته التى بقيت عليها الشعر ، أو أن يأخذ باطنه ويزيله بشفرة
(٧) النمرة: شدة فيها خطوط بيض وسود ، وبردة مخططة من صوف
تلبسها الاعراب كأنها أخذت من لون النمر لا فيها من البياض والسواد .
ومنصور النمرى الشاعر العباسى المشهور . وأدرجه : لفه وطواه وأدخله
(٨) السرى الرقاء الوصل (تقدمت ترجمته) : والسرارة . السرور والشرف

عَنْ مَرَاوَةِ الْإِحْسَانِ مُخْرَجٌ . فَأَمَّا النَّثْرُ فَصَهِيلٌ ^(١) لَا يُجَاوِبُهُ
الرَّغَاءُ ، وَطِرَازٌ لَا يُحْسِنُهُ الْبَلَاءُ ، وَتَقْدُّ زَرْفُ مَمَّةِ النَّقُودِ ،
وَمَدَى تَنْقَطِعُ هُونُهُ الضَّمَرُ ^(٢) النَّقُودُ ^(٣) ، غَادَرُ الصَّابِي وَصَبَاهُ ^(٤)
غَيْرُ ذَاتِ هُبُوبٍ ، وَالصَّابِي وَهُوَ مِنَ الْعَجْرِ مَعَ شَرٍّ
مَصْحُوبٍ ، وَالْمِيكَالِيُّ ^(٥) وَمِيكَالُهُ مَرْفُوضٌ ، وَالْحَرِيرِيُّ

(١) الصهيل صوت الفرس والجراد ، والرغاء : صوت البعير
والضبع والنعام وذوات الخف ، ورغا البعير اذا ضج ، ورغا الصبي
رغاء : بكى أشد البكاء . وأرغاه : قهره وأذله وذلك لأن البعير لا يرغو الا
عن ذل واستكانة (٢) جمع ضامر من الضمر وهو الهزال ولحاق البطن
وضمر الحبل وأضرها : أعلفها حتى تسمن ثم ردها الى القوت بعد السمن
فاضطمرت وذلك في أربعين يوما وهذه المدة تسمى للضمار ، أو ضميرها
أن نشد عليها سر وجها وتجلل بالأجلة حتى تعرق تحتها فيذهب رهلها
ويشدد لحمها وتحمل عليها غلمان خفاف يجرونها ولا ينفقون بها فاذا
فعل ذلك أمن عليها البهر الشديد عند حضرها ولم يقطعها الشد . والضمر
الذي يضر خيله لنز أو سباق (٣) النقود: جمع أقود وهو الطويل العنق
والظهر من الابل والذواب والشديد الصلب (٤) الصبا : ريح مهبها جهة
الشرق (٥) يريد أبا الفضل للميكالي وهو الأمير عبيد الله بن أحمد واسطة عقد
آل ميكال من كبار الأدياء وفحول البلغاء الذين جمعوا بين جودة النظم والنثر .
وآل ميكال من بيت قديم عريق في الفضل ، وقد مدح أبو بكر بن دريد
بمقصورته المشهورة الشاه ابن ميكال وولديه عبد الله بن محمد بن ميكال وولده

وَحَرِيرُهُ فِي سَوْقِ الْكَسَادِ^(١) مَعْرُوضٌ، فَأَمَّا بَحْرُ رَئِيسِ
أَرْجَانِ^(٢)، فَقَدْ اسْتَخْرَجَ مِنْهُ اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ، وَأَبْقَاهُ فِي
صَحْفِصَاحِ^(٣)، بَلْ تَرَكَهُ يَمْنَى بِإِذْرَحِ^(٤) صَاحِ، فَمَنْ ذَا

اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال بن عبد الواحد بن جبريل بن القاسم
ابن بكر (الأديب شيخ خراسان، ووجهها توفي سنة ٣٦٢) وأبو محمد
عبد الله بن اسمعيل الليكالي كان أوجه الوجوه بخراسان وأدبهم وأكفأ
الرؤساء وأفضلهم، وابنه أبو جعفر محمد بن عبد الله كان متقدما في الأدب
متبحرا في اللغة. وعبد الرحمن بن أحمد بن علي بن اسماعيل بن عبد الله
ابن محمد بن ميكال كان أوجد خراسان في عصره أدبا وفضلا وخلقاً ونسباً
توفي سنة ٤٣٦ (ارجع الى تيممة الدهر للثعالبي) - وربما كانت كلمة
(ميكاله) محرفة عن (مكياله) (١) كسبت السوق: وقفت حركتها
وبارت تجارتها (٢) لعل يريد أبا الفضل ابن العميد الكاتب المعروف،
وقد ورد عليه أبو الطيب اللثبي وهو بأرجان ومدحه بقصائد، أحداها
التي أولها:

باد هواك صبرت أم لم نصبرا وبكالكان لم يبحر دمعك أوجرى
ومنها عند مخلصها

أرجان أينها الجياد فانه عزمي التي يثر الوشيج مكسرا
(٣) الضحضاح: لواء السير يكون في التدبير وغيره لا غرق فيه ولا له غمر.
وماء ضحضاح قريب القصر، وقليل رقيق جار على وجه الأرض
(٤) لعل (بأذرح) محرفة عن (بأجرد) فان الكاتب لما جعل بحر
رئيس أرجان ضحضاحا بعد أن استخرج بمبوحه منه اللؤلؤ والمرجان
أراد أن يترقى في اللبالة وتجريد هذا الرئيس من بلاغته اذا قرن الى

يَجَارِي فَارِسَ الصَّفِّينِ ، وَإِمَامَ الصَّفِّينِ ، أَبْلَغَ مَنْ خَطَّ بِقَلَمٍ ،
وَأَشْهَرَ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمٍ ^(١) ، وَمَاذَا يُقَالُ فِي أَتَمِلُ تُطَرِّزُ بِهَا

للمدح فبدأ أن ينقل البحر الى ضحاح ثم الى أجرد ضاح .
والأجرد: المكان الذي لا نبات فيه . وأرض جرداء كذلك مستجردة عن
النبات . والضحى البارز للشمس لا تكاد تقيب عنه . وضحا الرجل ضحوا
برز للشمس (ويمشي بأجرد ضاح) مأخوذ من بيت من قطعة الليل
بنت يزيد بن الصق ترني ابنها قيس بن زياد بن أبي سفيان بن عوف
ابن كعب . ونسبها أبو علي الثعالبي لفاطمة بنت الأحجم بن دندنة الخزاعية
ترني زوجها الجراح (وكان أبوها الأحجم بن دندنة أحد سادات العرب
كان قد تزوج خالدة بنت هاشم بن عبد مناف وهي أم فاطمة هذه)
وأول الأبيات :

يا عين جودي عند كل صباح جودي بأربعة على الجراح
ومنها :

قد كنت لي جبلا ألود بظله فتركتني أضحي بأجرد ضاحي
وهي أحد عشر بيتا ، وتمثلت بها السيدة عائشة ، أو السيدة فاطمة
رضي الله عنهما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد كنت أظن أن التحريف عن (بأذرح ضياح) يقال لبن ذراح
ومنرح ضياح أي منق قد مزج باللحاء كثيرا حتى غلب عليه اللحاء ،
والضياح كذلك ، كأنه يريد أن يترك رئيس أرجان وبضاعته مزجاة
وبلاغته كاسدة . ولكن أرى التقرير الأول أنسب للمعنى وأبلغ في
الوصول الى المراد ، اه « أحمد نجاتي » (١) العلم : الجبل

الصُّحُفُ، وَخَمَائِلُ^(١)، تَقَحَّرُ بِهَا الرُّؤْيَةُ الْأَثْفُ^(٢)، وَاسْمُ
فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا ظَاهِرٌ، وَاسْمُ بِالْكِتَابَةِ وَالنَّجَابَةِ
لَمْ يَكُنْ لِبْنِي وَهْبٍ^(٣) وَآلِ طَاهِرٍ، فَالْوَمَانُ يَأْتُرُ^(٤)
مَا يَثْنُرُ، وَتُعْظَمُ، مَا يَنْظُمُ، وَلَوْ أَنَّ الْأَزْمِنَةَ قَبْلَهُ قَمَرَتْ
الْمَحَاضِرَ بِكُلِّ نَاجِمٍ^(٥)، وَنُشِرَتْ الْمَقَابِرُ عَنِ الصَّنَوْبَرِيِّ^(٦)
وَكَشَاجِمٍ^(٧)، وَجَاءَتْ بِالْكِتَابِ مِنْ كُلِّ جِيلٍ، وَالشُّعْرَاءُ

- (١) خمائيل جمع خميلة : وهي الشجرة ذات الأغصان الكثيرة للثفة
(٢) الأثف من الرياض : مالم يرعه أحد (٣) من الأسر الرقيقة في
النباهة والأدب في العصر العباسي ، وفي بني وهب يقول ابن الرومي :
كل شعب كنتم به آل وهب فهو شعبي وشعب كل أديب
(٤) أثر الحديث (كضرب ونصر) نقله ورواه وحدث به عن قاتليه
وأخبر به ، ومنه حديث مأثور أى يخبر الناس به بعضهم بعضا وينقله
خلف عن سلف (٥) ناجر : ناشئ ونابت . ونجم نجوما : ظهر وطلع .
ونجمت ناجمة بموضع كذا أى نبت (٦) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن
النسبي الحلبي شاعر محسن أجلى في وصف الرياض والبساتين وللتزهات ،
وكان يسمى حبيبا الأصغر لجودة شعره توفي سنة ٣٣٤ (٧) هو الشاعر
الأديب محمود بن الحسين من شعراء سيف الدولة بن حمدان توفي سنة ٣٥٠
وكان قد أقام بمصر مدة ثم فارقها ثم عاد إليها فقال :
قد كان شوقى الى مصر يؤرقنى فالآن علت وعادت مصر لى دارا
(وكشاجم) قيل هو لفظ منحوت مركب من أوائل كلمات يتصف بها

رَعِيلًا^(١) بَعْدَ رَعِيلٍ ، لَطَالُ^(٢) هَذَا الْمَضَرُّ وَاحِدِهِ آلَاهَا
وَأَنْتَى بِخَلْفِهِ أَسْلَافَهَا . أَتَمَّتْ

وَكَتَبَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى صَاحِبَيْنِ لَهُ فِي مَعْنَى
كتاب أبي الطرف
إلى صاحبه
مَا أَلَمَعْنَا بِهِ آفَاقًا مَا صُورَتْهُ :

نَحِيَّةٌ مِنْكُمْ أَتَنَنِي طَابَتْ كَمَا طَابَ مُرْسِلَاهَا
وَيَالَهَا أَذْكَرَتْ عُودًا قَلْبِي وَأَلْفُ مَا سَلَاهَا
حَلَقْتُمَا فِي الْبِلَادِ أَرْضًا رِيحَ صَبَاها عَنِّي سَلَاهَا
لَمْ يَنْصَبْ قَلْبِي^(٣) إِلَى سِوَاهَا يَوْمًا وَلَمْ يَسْلُ عَنْ سَلَاهَا^(٤)
كِتَابِي أَيُّهَا الْأَخَوَانِ الَّذِينَ بُوْدُهُمَا أَقُولُ ، وَعَنْ
عَهْدِهِمَا لِأَحُولُ . أَتَرَكُكُمْ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرَ مَنْزِلٍ ، وَجَعَلَ كَمَا

وهي كونه كاتبًا شاعرا أدبيا جميلا مقنيا . ومن شعره :

والهَرَّ حَرْبَ الْحَيِّ وَسَلَّمْ ذِي الْوَجْهِ الْوَقَّاحِ

وَعَلَى أَنْ أَسْعَى وَلِيْ مِنْ عَلَى أَدْرَاكِ النَّجَاحِ

(١) الرعيل : الجماعة للتقدمة والقطعة من الحبل أو الرجال وغيرها

(٢) أى فاق وعلا (٣) لم يصب : لم يشفق ، وصبا إليه : حن ومال (٤) سلا

في البيت الثاني من السلو ، وفي الثالث أمر للاتنين بالسؤال ، وفي الأخير

اسم لمدينة (سلا) . « أحمد نجاني »

مِنَ التَّوَائِبِ وَالشَّوَائِبِ ^(١) بِمَزَلٍ ، - مِنْ رِبَاطِ الْفَتْحِ -
وَلُجِّي قَدِيمًا مَلَكَتُمَا رِقَهُ ، وَقَلْبِي تَعْلَمًا وَتَعْلِيمًا عَرَفْتُمَا
صِدْقَهُ ، كَيْفَ حَالُكُمَا مِنْ سَفَرٍ طَوَيْتُمَا خَبْرَهُ ، حِينَ
تَجَشَّسْتُمَا ^(٢) هَرَرَهُ ؟ وَكَيْفَ سَمَحَتْ قُوَّسُكُمَا بِأَمِّ الْخُصُونِ
وَذَاتِ الظُّلَالِ وَالْعُمُيُونِ ، ثُرِيَّةِ الْآبَاءِ ، وَمَنْزِلَةِ الْجَمْحِيِّينَ
التَّجْبِيَاءِ ، حَتَّى صَرَمْتُمَا ^(٣) حَبْلَهُمَا ، وَهَجَرْتُمَا حَزَنَهُمَا ^(٤) وَسَهْلَهُمَا ،
وَحُضْضًا غُبَرَ الْفَجَاجِ ^(٥) ، وَخُضْرَ الْأَمْوَاجِ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا
لِتَغْلِبَ الْحَادِثُ النُّكْرَ ^(٦) ، وَتَأْلُبَ الْمَعْشَرُ الْقُدْرَ ، وَمِنْ
أَجْلِ الدَّاهِيَةِ النَّكَادِ ^(٧) وَالْحَادِثَةِ الشَّنِيعَةِ عَلَى الْبِلَادِ ،

(١) التَّوَائِبِ : السيوب والأذناس وما يكدر الصفو (٢) تجشم
الأمر : نكفه على مشقة (٣) صرمتا : قطعنا (٤) حزنها : الحزن ماغلظ
من الأرض في ارتفاع ضد السهل (٥) الفججاج جمع فجج وهو : الطريق
الواسع الواضح بين جبلين . وغبر : جمع أغبر (٦) أمر نكر
(بضم الكاف وسكونها) : شديد منكر ، وغدر جمع غدور من الغدر
(ضد الوفاء) وهو نقض العهد وتضييعه (٧) النكاد : العسيرة الشديدة
ويظهر أنها محرفة عن النّاد ، الداهية العظيمة ، قال الكميت :
فأياكم وداهية نادّا أظلتكم بمارضها المحيل
(نسبت به الداهية ، وقد يكون بدلا) وقال آخر :
أتأني أن داهية نادّا أتاك بها على سخط ميون
ونأت الداهية فلانا : دعت وفدسته وبلغت منه

أَزَعَجْتُمْ حِينَ أَزَعَجْتَنَا ، وَأَخْرَجْتُمْ كَمَا أَخْرَجْتَنَا ،
 وَطَوَّحْتَ بِنَا طَوَائِحُهَا ، وَاجْتَاَحْتَ ^(١) ثَمَرَنَا وَشَجَرَنَا
 جَوَائِحُهَا ^(٢) ، فَشُكِّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَضَائِهِ ، وَتَضَرَّعَا فِيمَا
 رَفَعَهُ مِنْ دُعَائِهِ ، وَهَنَيْتَا لَنَا وَلَكُمْ مَعَشَرَ الشُّرَدَاءِ ،
 الْمُنْطَوِينَ مِنَ الشَّجَنِ ^(٣) عَلَى شَرِّدَاءِ ، ذَلِكَ الطَّوْدُ الَّذِي
 إِلَيْهِ أَوْتِئْتَا ، وَفِي ظِلِّهِ تَوَيْتُمَا ، وَعَنْ رَأْيِهِ تَرَيَانِ ، وَبِسَعْيِهِ
 تَسْعَيَانِ ، فَوَجَّهَهُ الْمُبَارَكُ لَا يَعْدَمُ رَأْيُهُ ^(٤) مُجْحًا ، وَلَا يَمْدُو
 لِيُصْبِحَهُ إِذَا دَجَّ لَيْلُ أَلْهَمٍ صُبْحًا . اِنْتَهَى .

(١) اجتاحت : استأملت وأهلكت (٢) جوائح : جمع جائحة وهي
 الباهية والبلية . وطوحت به الطوائج : ذهبت به كل منهب ، وقذفته
 في كل مهلكة (٣) الشجن : الهم والحزن (٤) يظهر أنها محرفة عن
 رائيه



وَكَانَ أَبُو الْمُطَرِّفِ بْنُ عُمَيْرَةَ * الْمَذْكُورُ - كَمَا قَالَ تَرْجَمَةُ أَبِي الْمُطَرِّفِ
فِيهِ بِمَقْصُودِ عُلَمَاءِ الْمَغْرِبِ - قُدْوَةَ الْبُلَغَاءِ، وَعُمْدَةَ الْعُلَمَاءِ،
وَصَدْرَ الْجِلَّةِ الْفَضْلَاءِ، وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ^(١) بْنِ عُمَيْرَةَ
الْمَخْرُومِيَّ، وَنُكْتَةُ الْبَلَاغَةِ الَّتِي قَدْ أَخْرَزَهَا وَأَوْدَعَهَا،
وَتَشْمِسُهَا الَّتِي أَخْفَتْ ثَوَاقِبَ ^(٢) كَوَاكِبِهَا حِينَ أَبْدَعَهَا

(١) ابن محمد بن الحسن بن عميرة (٢) ثواقب كواكبها : نجومها اللضيئة
التي تنقب الظلام وتخترقه وتنفذ فيه . وفي ضمير كواكبها استخدام
* ترجم له في كتاب المغرب في حلى المغرب ص ٧٧ ج ثالث
بما يأتي : « الكاتب أبو المطرف أحمد بن عميرة » هو الآن عظيم
الأندلس في الكتابة ، وفي فنون من العلوم ، وقد كتب عن زيان بن
مردنيش ملك بلنسية ، وأخبرني أبو عبد الله بن الأبار بالبنسي ان زيان بن
مردنيش أحضر يوما حجلا ، ثم أخرج له جائزة ، ودفع اليه أبو المطرف
شعرا فلم يحجزه فكذب اليه :

أرى من جاء بالموسى موسى وراحة من أراح للبح صفرا
فأنجح سعى ذا اذ قص شعرا وأخفق سعى ذا إذ قص شعرا
فأمر له بإحسان .

وقد ترجم له أيضا لسان الدين بن الخطيب في كتاب الاحلطة « ج ١
ص ٦٠ »

مُبْدِعُ الْبِدَائِعِ الَّتِي لَمْ يَحْطَ بِهَا قَبْلَهُ إِنْسَانٌ، وَلَا يَنْطِقُ^(١) عَنْ تَلَاوتِهَا لِسَانٌ، إِذْ كَانَ يَنْطِقُ عَنْ قَرِيحَةٍ صَحِيحَةٍ، وَرَوِيَّةٍ بِدُرٍ^(٢) الْعِلْمِ فَصِيحَةٍ، ذَلَّلَتْ لَهُ صَعَبَ الْكَلَامِ، وَصَدَّقَتْ رُؤْيَاهُ حِينَ وَضَعَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ الَّذِي أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ - فِي يَدَيْهِ الْأَقْلَامَ : وَأَصْلُ سَلَفِهِ مِنْ جَزِيرَةِ شَقَرٍ، وَوَلَدَ بِمَدِينَةِ بَلَنْسِيَّةَ، وَرَوَى عَنْ أَبِي الْأَخْطَابِ بْنِ وَاجِبٍ وَأَبِي الرَّيِّعِ بْنِ سَالِمٍ وَأَبْنِ نُوحٍ وَالشَّالَوِيِّينَ النَّحْوِيِّ وَأَبْنِ عَاتٍ وَأَبْنِ حَوْطٍ اللَّهِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْخُفَاطِ . وَأَجَازُهُ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ جَمَاعَةٌ، وَكَانَ شَدِيدَ الْعِنَايَةِ بِشَأْنِ الرُّوَايَةِ فَأَكْثَرَ مِنْ سَمَاعِ الْأَحَادِيثِ وَأَخَذَهُ عَنْ مَشَايِخِ أَهْلِهِ، ثُمَّ تَقَنَّ فِي الْعُلُومِ، وَنَظَرَ فِي الْمَقْذُولَاتِ

(١) فَنَكُونُ (يَنْطَلِقُ) (٢) يَجُورُ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ (يَدُرُّ) بِكسر الهمزة جمع دُرَّة وهي كَثْرَةُ اللَّبَنِ وَسِيلَانُهُ، وَدُرُّ ابْنِ يَدُرٍّ : كَثْرٌ وَأَقْبَلُ مِنْهُ عَلَى الْحَالِ شَيْءٌ غَزِيرٌ : وَمِنْ الْحَاجِزِ : أَدْرَأَهُ لَكَ أَخْلَافَ الرِّزْقِ ، وَاسْتَمَرَ نِعْمَةً اللَّهُ بِالشَّكْرِ - وَفِي حَدِيثِ سَأْتُورَ : اسْتَمَرُوا الْمَهْدَايَا بِرَدِّ الظُّرُوفِ . وَدَرَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَهْلِهَا إِذَا كَثَرَ خَيْرُهَا وَعَمَّ نَصِيبُهَا .

وَأُصُولُ الْفِقْهِ ، وَمَالَ إِلَى الْأَدَبِ فَبَرَعَ بَرَاةً عَدُّ فِيهَا
مِنْ مُجِيدِي النَّظْمِ . فَأَمَّا الْكِتَابَةُ فَهُوَ فَارِسُهَا الَّذِي
لَا يُجَارَى ، وَصَاحِبُ^(١) عَيْنِهَا الَّذِي لَا يُبَارَى ، وَلَهُ وَعَظٌ
عَلَى طَرِيقَةِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ^(٢) ، وَرَسَائِلُ خَاطِبِهَا أَلْمُلُوكَ
وغيرهم مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ وَالْخَفِصِيِّينَ . وَلَهُ تَأْلِيفٌ فِي
كَاتِبَةِ مَيُورَقَةِ وَتَغْلِبِ الرُّومِ عَلَيْهَا نَحْوُ فِي الْخَبَرِ عَنْهَا
مَنْحَى الْإِمَامِ الْأَصْبَهَانِيِّ فِي الْفَتْحِ الْقُدْسِيِّ ، وَلَهُ كِتَابُ
تَعْقَبَ فِيهِ عَلَى الْفَضْلِ الرَّازِيِّ فِي كِتَابِ الْعَالَمِ ، وَلَهُ
كِتَابُ رَدِّ بِهِ عَلَى كَمَالِ الدِّينِ الْأَنْصَارِيِّ^(٣) فِي كِتَابِهِ

(١) لعليشير الى الخليل بن أحمد مؤلف العين في اللغة (ينسب أن المترجم
مبتكر في الكتابة ناصة ، هو فيها بمنزلة الخليل في اللغة أول من ضبطها
وحصر كلماتها وألف فيها معجما غريب الترتيب دقيق النظام (٢) هو
أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي يتهى نسبه الى
القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه . كان علامة عصره
وامام وقته في الحديث وصناعة الوعظ ، وصنف في فنون جمّة تأليف عممة
وكانت له في مجالس الوعظ أجوبة نادرة لطيفة تدل على قوة ذهن وحدة
ذكاء وتوفى ببغداد سنة ٥٩٧ وتوفى والده سنة ٥١٤ (٣) هو أبو محمد
عبد الكريم السامكي . «أحمدنجاني»

الْمُسَمَّى بِالْبَيَّانِ فِي عِلْمِ الْبَيَّانِ الْمُطْلِعِ عَلَى إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ،
وَسَمَّاهُ بِالتَّنْبِيْهَاتِ عَلَى مَا فِي الْبَيَّانِ مِنَ التَّنْوِيْهَاتِ ، وَلَهُ
أَخْصَارٌ نَبِيلٌ مِنْ تَارِيخِ ابْنِ صَاحِبِ الصَّلَاةِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ .



وَرَدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - حَضْرَةَ الْإِمَامَةِ مَرَّ كَشْ صُحْبَةِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ حِينَ قَوْلِهِ مِنْ مَدِينَةِ سَلَا ، وَأَسْتَكْتَبَهُ مُدَّةَ
بَسِيرَةٍ ، ثُمَّ صَرَفَهُ عَنِ الْكِتَابَةِ وَقَلَدَهُ قَضَاءَ هَيْلَانَةٍ ، ثُمَّ نَقَلَهُ
إِلَى قَضَاءِ سَلَا ، ثُمَّ نَقَلَهُ السَّعِيدُ إِلَى قَضَاءِ مَكْنَسَةِ الزَّيْتُونِ ، ثُمَّ
قَصَدَ سَبْتَهُ ، وَأَخَذَ مَالَهُ فِي قَاطِلَةِ بَنِي مَرِينٍ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى بِلَادِ
إِفْرِيقِيَّةَ ، وَوَصَفَ حَالَهُ فِي رِسَالَةٍ خَاطَبَ بِهَا ابْنَ السُّلْطَانِ
أَبَا زَكَرِيَّا الْخَفْصِيَّ ، وَهُوَ أَبُو زَكَرِيَّا ابْنُ السُّلْطَانِ
أَبِي زَكَرِيَّا ، وَكَانَ صَاحِبَ بِيحَايَةٍ ^(١) لِأَيِّهِ . وَلَمْ يَزَلْ
- رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مُذْ فَارَقَ الْأَنْدَلُسَ مُتَطَلِّعًا لِسُكْنَى إِفْرِيقِيَّةَ

تعلباً بالمطرب
في المناسب

(١) مدينة على ساحل البحر بين افريقية والغرب ، وأول من اختطها
الناصر بن علنس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلسكين الصنهاجي في حدود
سنة ٤٥٧ هـ ، وكانت قاعدة ملك بني حماد ، وتسمى الناصرية أيضا باسم
بانها

مَمْتُورَ الْقَلْبِ بِسُكْنَاهَا ، وَلَمَّا قَدِمَ تُوُسَ مَالَ إِلَى
 صُحْبَةِ الصَّالِحِينَ وَالزُّهَادِ وَأَهْلِ الْخَيْرِ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ ،
 ثُمَّ اسْتَقْفَى بِالْأَرِسِ ^(١) مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ ، ثُمَّ بَقَّاسَ مَدَّةً
 طَوِيلَةً ، ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ
 الْخَفِصِيُّ وَأَخْضَرَهُ بِمَجَالِسِ أَنْسِيهِ ، وَدَاخَلَهُ مُدَاخَلَةً شَدِيدَةً
 حَتَّى تَقَلَّبَ عَلَى أَكْثَرِ أَمْرِهِ . وَمَوْلَاهُ يَجْزَأُ شَقَرًا فِي شَهْرِ
 رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ ، سَنَةَ ثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ
 الْمُؤَفِّفَةِ عَشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ .
 - الْحَقُّهُ اللَّهُ رِضْوَانُهُ ، وَجَدَّدَ عَلَيْهِ غُفْرَانَهُ .

قَالَ ابْنُ الْأَثَّارِ فِي تَحْقِيقِ الْقَادِمِ ، فِي حَقِّ أَبِي الْمُطَرِّفِ <sup>وصف ابن الأثير
لأبي المطرف</sup>
 الْمَذْكُورِ : قَائِدُهُ هَذِهِ الْمِائَةُ ، وَالْوَاحِدُ يَفِي بِالْفِتْنَةِ ، الَّذِي اعْتَرَفَ
 بِاتِّحَادِهِ ^(٢) الْجَمِيعُ ، وَأَنْصَفَ بِالْإِبْدَاعِ فَمَاذَا يَتَّصِفُ بِهِ
 الْبَدِيعُ ^(٣) ؟ ، وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَحْيَاهُ ^(٤) بِالتَّقْدِيمِ ، لِمَالَهُ مِنْ
 حَقِّ التَّعْلِيمِ ، كَيْفَ وَسَبْقُهُ الْأَشْهُرُ ، وَنُطْقُهُ الْيَاقُوتُ

(١) أنظرها بالاريس Alorbois (٢) أي توحده وانفراد (٣) يريد البديع
 الهمداني (٤) أن أحياه: أن أخصه دون سواه. وحياه: نصره واخصه ومثل اليه

وَالْجَوْهَرُ ، تَحَلَّتْ بِهِ الصَّحَافُ وَالْمَهَارِقُ ، وَمَا تَخَلَّتْ
عَنْهُ الْمَغَارِبُ وَالْمَشَارِقُ ، فَصَنِي أَنْ أَجْهَدَ فِي أَوْصَافِهِ ،
ثُمَّ أَشْهَدَ بِمَدَمِ إِنْصَافِهِ ، هَذَا عَلَى تَنَاوُلِ الْخُصُوصِ
وَالْعُمُومِ لِذِكْرِهِ ، وَتَنَاوُبِ الْمَشُورِ وَالْمَنْظُومِ عَلَى شُكْرِهِ .
ثُمَّ أوردَ لَهُ جُمْلَةً مِنْهَا قَوْلُهُ :

وَأَجَلْتُ فِكْرِي فِي وِشَاحِكَ ^(١) فَأَنْشَى

شَوْقًا إِلَيْكَ يَحُولُ فِي جَوَالِ ^(٢)

أَنْصَفَتْ غُصْنَ الْبَانِ إِذْ لَمْ تَدْعِهِ

لِتَأْوُدِ ^(٣) مَعَ عِطْفِكَ الْمِيَالِ

وَرَحِمَتْ دُرَّ الْعِقْدِ حِينَ وَضَعْتَهُ

مُتَوَارِيًا عَنْ ثَمَرِكَ الْمُتَلَالِ

(١) الوشاح يضم الواو وكسرها: نسج عريض مرصع بالجواهر تشده للراة
بين عاتقها وكشحيها (٢) يصفها بنحافة الحصر وضمور البطن والميف ،
وكان القياس (لم تدعيه) ان كان الخطاب لمؤن وهو الظاهر أوله
خاطب (شخص) المحبوبة ، ومنه قول الشاعر :

نالت خلاخلها وجمال وشاحها وجرى الوشاح على كتيب أهيل

فاستيقظت منه فلاتها التي عقدت على جيد الغزال الأكحل

(٣) تأود : انطفأ وانحنى وثنى وتمايل

كَيْفَ الْفَاءُ وَفَعْلٌ وَعَدِكِ سَيْنُهُ
أَبَدًا تُحْلَصُهُ لِلْإِسْتِقْبَالِ ؟
وَكَأَنَّ^(١) قَوْمِكَ نَارُهُمْ وَوَقِيدُهُمَا
لِلطَّارِقِينَ أَسِنَّةٌ وَعَوَالِي^(٢)
وَلَهُ مِمَّا يُكْتَبُ عَلَى قَوْمٍ قَوْلُهُ :
مَا أَنَا^(٣) مُنْقَلِبٌ إِلَيْنَا إِلَّا لِأَنَّ
يَحْكِي تَأَطَّرَ قَامَتِي الْعَوَجَاءُ
تَحْتُو الضُّلُوعُ عَلَى الْقُلُوبِ وَإِنِّي
ضَلَعٌ قَوَى فِيهَا بِأَعْضَلِ دَاءٍ^(٤)
وَلَهُ وَقَدْ أَهْدَى وَرَدًا :

(١) الكفاءة : جمع كفى وهو الشجاع يتكفى في سلاحه : أى يستتر
ويتغطى (٢) عوالى : جمع عالية وهو أعلى الفناء ورأسها . وخير من هذا
البيت فى معناه قول الشاعر :

مَنْ تَرَى قَوْمًا تَهْوَى بَارَتَهُمَا لَا يَتَحَفَّوْكَ بِبِرِّ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
(٣) أَنَا د (انفصل من الأود وهو العوج والانحناء) وَأَد الموديثوده فَأَنَا د أى
اثنى واعوج مثل تأود . والأطر عطف الشيء تقبض على أحد طرفيه
ختموجه ، وأطرية بأطره فتأطر : عطفه فانعطف كالعود ترامستدبرا إذا جمعت
بين طرفيه . وفى البيت حسن تظليل على مافيه (٤) أعضل داء : داء يستحكم
لادواءه وهو اللوات

(٣ - فتح الطيب - ثالث)

خُذْهَا إِلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قَدْ
جَاءَتْكَ مِثْلَ خُدُودِ زَانِهَا الْخَفَرِ^(١)
أَتَتْكَ تَحِيكى سَجَا يَمْنِكَ قَدْ عَذِبَتْ
لَكِنْ تَغَيَّرَ هَذَا دُونَهُ الْغَيْرِ^(٢)
إِنْ شِئْتَ^(٣) مِنْهَا بُرُوقَ الْغَيْثِ لَامِعَةً
فَسَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ مَاءِ لَهَا مَطَرٌ

قَالَ: وَكَتَبَ إِلَى مَعَ تُحَفَةٍ أَهْدَاهَا مُكَافَأَةً عَنْ مِثْلِهَا: كتاب أبي
المطرف في الهدية
يَا وَاحِدَ الْأَدَبِ الَّذِي قَدْ زَانَهُ
بِمَنَاقِبٍ جَعَلْتَهُ فَارِسَ مَنْصِبِهِ
بِالْفَضْلِ فِي الْهَيْبَةِ ابْتَدَأَتْ فَإِنْ تُعِرْ
طَرَفَ الْقَبُولِ لِمَا وَهَبْتَ خَتَمْتَ بِهِ

قَالَ: وَلَهُ أُرْتِجَالًا بِقَصْرِ الْإِمَارَةِ مِنْ بَلَنْسِيَّةَ ، وَأَنَا حَاضِرٌ كتابته في الجامعة

(١) الخمر شدة الحياء (٢) غير البهر: أحداثه وأحواله للغيرة - يريد أن
يفضل سجايا المدوح وتماثله على رقة الورد ولطقه (٣) شئت البرق :
نظرت إلى سحابة ابن تخطر

فِي صَبِيحَةٍ بَعْضِ الْجُمُعِ ، وَقَدْ حُجِمَ صَاحِبُ لَنَا مِنْ أَهْلِ
النَّظْمِ وَالنَّثْرِ ، وَأَخْسَنَ إِلَى الْحُجَّامِ بِالْخُصُوصِ :

أَرَى مَنْ جَاءَ بِالْمُوسَى مُوسَى

وَرَاحَةُ^(١) ذِي الْقَرِيضِ تَعُودُ صِفْرًا

هَذَا مُحَقِّقٌ إِنَّ قَصَّ شِعْرًا

وَهَذَا مُنْجِحٌ إِنَّ قَصَّ شِعْرًا^(٢)

وَلَهُ أَيْضًا :

هُوَ مَا عَلِمْتُ مِنَ الْأَمِيرِ فَمَا الَّذِي تَرَدَّدُ مِنْهُ وَفِيهِ لَا يُرْتَابُ كِتَابُهُ فِي السَّهَاءِ

لَا تَتَّبِعِ الْأَجْنَادُ فِي أَيَّامِهِ فَقَرَّوْا وَلَا يَرْجُو النَّحْيُ الْكُتَابُ

وَلَهُ بَعْدَ أَنْفِصَالِهِ مِنْ بِلَنْسِيَّةٍ عَنْ وَحْشَةٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ^{كتاب في مدح أميرين}

سَنَةً ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِثْمَائَةٍ :

أَسِيرُ بَارِجَاءِ الرِّجَاءِ وَإِنَّمَا حَدِيثُ طَرِيقِ طَارِقِ الْحَدَثَانِ^(٣)

(١) راحة : أى يد ، وصفرا : أى خالية (٢) قص : الأولى من القصص ،

وهو التحديث ، والثانية من القص أى القطع بالقص - وبينهما جناس

لفظي وكذا بين الشعر والشعر (٣) الحدثنان : الليل والنهار

وَأُخْضِرْتُ قَمِيَّ إِنَّ تَقَدَّمْتُ خَيْفَةً
لِفَضٍّ ^(١) عَنَانٍ أَوْ لِفَضٍّ زَمَانٍ
أُبْتَرِكُ حَظِّي لِلْحَضِيضِ ^(٢) وَقَدْ سَرَى
لِإِمْكَانِهِ فَوْقَ الدُّرَا ^(٣) جَبَلَانِ ؟
وَأُخْبِطُ ^(٤) فِي لَيْلِ الْحَوَادِثِ بَعْدَمَا
أَصَاءَ لِعَيْنِي مِنْهُمَا الْقَمَرَانِ ؟
فَيَحْيِي لَأَمَالِي حَيَاةً مُعَادَةً
وَإِنَّ عَزِيزًا عِزَّةً ^(٥) لِمَكَانِي
وَقَالُوا اقْتَرِحْ إِنَّ الْأَمَانِيَّ مِنْهُمَا
وَإِنْ كُنَّ فَوْقَ النُّجُومِ تَحْتَ ضَمَانٍ
فَقُلْتُ إِذَا نَاجَاهُمَا بِقَضِيَّتِي ضَمِيرِي لَمْ أَخْفَلْ بِشَرْحِ لِسَانِي

(١) (غض العنان) غض من عنان فرسه صوبه وتقص من غره بوحده
وعض الزمان : اشتداده وكليه (٢) الحضيض : القرار من الأرض
(٣) الدرا جمع ذروة وهو أعلى الجبل وقتنه (٤) أخبط : أسير على غير هدى
(٥) في الأصل عزه ، وأرى أن (يحيي) أول البيت اسم لأحد المدحجين ،
وعززا في عجز البيت اسم للمدحج الآخر جعله عزة لمكانه كما جعل
يحيي حياة له معادة ، قاليت هكذا :

فَيَحْيِي لَأَمَالِي وَإِنْ عَزِيزًا عِزَّةً الْح
وَأَكْثَرُ آيَاتِ الْقِطْعَةِ نَاطِقَةٌ أَنَّهُ يَمْلِكُ أَمِيرَيْنِ ، وَأَحَدُهُمَا الْأَمِيرُ يَحْيِي قَدْ
تَقَدَّمَ مَدْحَهُ لَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ . «أحمد نجاشي»

وَلَهُ أَيْضًا :

رسالة أخرى

سَلَبَ الْكَرَى ^(١) مِنْ مُقَلَّتِي فَلَمْ يَجِيءْ .
 مِنْهُ عَلَى تَأْيِ خِيَالٍ يَطْرُقُ
 أَهْفُو ^(٢) أَرْيَا حَا لِلنَّسِيمِ إِذَا سَرَى
 إِنَّ الْغَرِيقَ يَمَّا يَرَى يَتَعَلَّقُ
 اتَّعَى مَا تَلَخَّصَ مِنْ تُحْفَةِ الْقَادِمِ فِي ذِكْرِ ابْنِ مُهْمِرَةَ
 أَبِي الْمُطَرِّفِ .

كتاب الاشارة
الى الكفار
الغالين

وَمِمَّا كَتَبَ أَبُو الْمُطَرِّفِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - « وَفِي أَثْنَائِهِ
 إِشَارَةٌ إِلَى الْكُفَّارِ الْغَالِبِينَ عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ » مَا نَصَّهُ :
 أَلَا إِنَّ شَخْصَيْنَا عَلَى الْقَطْعِ وَاحِدٌ
 وَجَاهِدُ هَذَا لِلضَّرُورَةِ جَاهِدُ
 فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقْ مَا نَطَقْتُ بِصِدْقِهِ
 فَإِنَّكَ لِي لَاحٍ ^(٣) وَلِلْوَدِّ لَاحِدٌ

(١) الكرى : النوم ، وللقلة العين (٢) هنا القواد ذهب في اثر الشيء .
 وطرب ومال (٣) لاح : عائب . ولاحد : منكر جاحد

وَمِمَّا ذِئْبُهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَلْحَاقِي ، أَوْ تَمْنَعَ أَفْكَكَ
 رِيحَ رِيحَانِي ، وَكَيْفَ تَصُدُّ عَنِّي بِوَجْهِكَ ، أَوْ تَشْحَذُ لِي^(١)
 غَرْبَ نَجْمِكَ ، وَأَنَا عَلَى غَيْبِكَ أَمِينٌ ، وَلِشِمَاكِ يَمِينٌ ؟
 وَلَكُمْ دَعْوَتِي فِي قَاجَبَتِي ، وَأُسْتَفْنَيْتِ عَنِّي فَصُجِبْتُ ،
 وَأَرَدْتُ الْإِسْتِئْذَانَ فَمَا أُسْطِطِعْتُ ، وَلَمْتُ الْوُدَادَ فَمَا
 أَحْسَنْتِ الْتَمَّتْ ، وَإِنَّمَا تُحْمَدُ قَرَاهَةُ الْأَعْوَجِي^(٢) إِنْ جَرَى ،
 وَتُذَكَّرُ فَضِيلَةُ ابْنِ السَّرِيِّ^(٣) إِذَا سَرَا ، فَأَمَّا الْإِقْتِصَارُ
 عَلَى عَظْمٍ بَادٍ ، وَالْإِنْتِظَارُ لِمَنْ عَدِمَتْ السَّوَادُ ، فَخَطَأُ

(١) تشحذني غرب نجمك: غرب السيف حده ، والنجم استقبال الرجل
 بما يكره وردك إياه عن حاجته أفيح رد قال الشاعر :

حياك ربك أيها الوجه ولتترك البضياء والنجمه

ونجمه رده وانتهره وزجره وردعه واستقبله بما يكفه عنه فينقذ عنه أي
 ينكف ، ويجوز (فحجبت) بالبناء للمعلوم (٢) قراهة : حلق ومهارة
 ونشاط ، والأعوجية منسوبة إلى جواد كريم كان يقال له أعوج ، ويقال
 هنا الحصان من بنات أعوج ، وكان أعوج لبي هلال بن عامر ، وكان
 أولا لكنة فأخذته بنو سليم في بعض أيامهم ثم صار إلى بني هلال ،
 وليس في العرب فحل أشهر منه ولا أكثر نسلا (٣) أي الشريف ، وسرا :
 شرف وقد تكون (الانتظار) محرفة عن (الاتصار) ، ألم بالبيت :
 ان السري هو السري نفسه وابن السري إذا سرا أسرا

مِنَ الْقَاتِلِ ، وَخَطَلُ عِنْدَ الْعَاقِلِ ^(١) ، وَلِلَّهِ دَرُّ أَخِيكَ مِنْ
مُنْغِضِ طَرَفِ النَّطْرِفِ ^(٢) ، قَارِيءُ أَدَبِ الصُّحْبَةِ عَلَى السَّبْمَةِ
الْأَخْرَفِ ؛ كَرَعَ فِي أَعَزِّ مَوَزِدٍ ، وَتَوَاهَعَ فِي شَرَفِ
مَوْلِدٍ ، وَسَمَا بِنَفْسِهِ عَنْ أَنْ يَسْتَخِفَّهُ نَسَبُ يَرْفَعُهُ ، وَحَسَبَ
مَا مَنَّا أَحَدٌ يَدْفَعُهُ ، وَكَذَلِكَ الْكِرَامُ يَرَوْنَ عَلَيْهِمْ حَقًّا ،
وَيَتَوَقَّوْنَ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْكِبَرِ مُوقًى ، وَلَعَهْدِي بِهِ
وَعِظْلُ الثَّرْوَةِ بَارِدٌ ، وَشَيْطَانُ الشَّبِيحَةِ مَارِدٌ ، وَلِشْرُهُ فِي
الْمِلَامَاتِ يَرْفُ ^(٣) ، وَقَدَّمَهُ إِلَى الْحَاجَاتِ تَخَفٌ ، يَصُونُ
عِرْضَهُ بِعَالِهِ ، وَيُخْفِي صَدَقَةَ يَمِينِهِ عَنْ شِمَالِهِ ، وَيُقَسِّمُ

(١) في معناه :

لسنا وإن أحببنا كرمتم يوما على الأحابس تكل

بنبي كما كانت أوائلنا تبني وتفصل مثل ما فعلوا

(٢) رجل متطرف ومستطرف لا يثبت على حال ، وتطرف على القوم أغار

وطرفه عنه يطرّفه إذا صرفه ورده ، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة :

انك والله لنوملة يطرّفك الأذى عن الانقسم

يقول يصرف بصرك عنه أي تستطرف الجديد وتنسى القديم (٣) من

رف لو نه يرف : برق وتلاّ ، ورف التبت : اهتز فصاره ونعمة ، ودخلت

عليه فرف لي : هتس في تحجب وخضوع .

جِسْمُهُ فِي جُسُومٍ ^(١)، وَهُوَ بِالْحُقُوقِ غَيْرَ مَلُولٍ وَلَا مَلُومٍ،
تِلْكَ الْمَكَارِمُ لِأَقْبَانٍ ^(٢)، وَمَا تَسْتَوِي الْبَدَنَةُ ^(٣) الْمِهِيضَةُ
مَعَ غَيْرِهَا مِنَ الْقُرْبَانِ. وَعَرَضْتُ بِذِكْرِ الْبَصْرِ الْخَالِي،
وَالْقَصْرِ الْعَالِي، وَظِلِّي مِنْ فَتْنٍ ^(٤) وَرَيْقٍ؛ وَعَيْشٍ مَعَ
أَكْرَمِ فَرِيقٍ، وَمَا تَذَكَّرُ مِنْ زَمَنِ تَوَلَّى؟ وَعَهْدٍ عَلَى
أَلَّا يَمُودَ تَأَلَّى ^(٥)؛ فَارْقَنَاهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ، وَوَدَعْنَاهُ
الْأَطْيَبِينَ: الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ، فَفَعَتْ ^(٦) الرُّسُومُ، وَأَقَلَّتْ ^(٧)
تِلْكَ النُّجُومُ، وَرَمَتْنَا عَنْ قَوْسِهَا الرُّومُ، ثُمَّ خَلَفْتَنِي
الْمَعَانِي، وَقَسَمْتَنَا بَيْنَ الْأَسِيرِ وَالْمَانِي ^(٨)، فَأَوْدَى ^(٩) الْقُلُوءُ

(١) من قول حاتم :

أقسم جسمي في جُوم كثيرة وأحسوق راح للاء وللاء بارد

(٢) من قول أمية بن أبي الصلت :

تلك للكلام لأقبان من لبن شيئا بماء فمادا بعد أبوالا

متنى قب : قبح ضخم غليظ (٣) البدنة من الابل والبقر كالاضحية
من النعم تهدي الى مكة . مهيضة : كبيرة (٤) الفتن : النصن للستقيم
والوريق : ذو الورق الناضر (٥) أى حلف وأقسم (٦) عفت الرسوم : محي
مايق من أثر البيلار (٧) أقلت النجوم : غابت (٨) المعاني : الدلائل الخاطض
والمعاني أيضا الاسير ، والتغنية الحبس (٩) أودى : ذهب وهاك

وَالْكُفْرُ ، وَأُشْتَقَّ مِنَ الْإِسْلَامِ الْكُفْرُ ، فَكَمْ كَلْسٍ
أَنْسِ أَرْقَنَاهُ ، وَمَنْزِلِ فُرْقَةٍ ^(١) الْأَبَدِ فَارْقَنَاهُ . ؟

وَدَكَرْتُ أَجْتِيَازَكَ بَيْنَ الْعَلَمَيْنِ ، وَقَطَعْتَ مَتْنِ الْيَمِّ
فِي يَوْمَيْنِ ، وَأَنَّكَ أَتَقَلَّتَ مِنْ ذَوَاتِ الْأَلْوَابِ ^(٢) ، إِلَى
عَذَابَاتِ ^(٣) الْأَدْوَابِ ، وَمِنْ مُتَهَابَاتِ الشَّرَاعِ ، إِلَى مَنَابِتِ
الْإِبْرَاعِ ^(٤) ، وَمِنْ سُكْنَى يَنْتِ السُّكَّانِ ^(٥) إِلَى مَنْزِلِ بِهِ
الْفَلَاحِ وَالْمَلَّاحِ يَشْتَرِكَانِ ، حَيْثُ اجْتَمَعَ الضَّبُّ وَالنُّونُ ^(٦)
وَأَيَّنَعَ الثَّيْنُ وَالزَّيْتُونُ ، وَظَلَمَتِ السَّاحَاتُ ، وَدَلَّتِ الثَّمَارُ

(١) لا يبعد أن تكون محرفة عن : منزل رفقة الى الأبد الخ (٢) كناية عن
السفينة (٣) العذاب : الأطراف « تقول : ما أرق عذبة لسانه ، والحق على
عذابات ألسنتهم » والوحدة الشجرة العظيمة ذات الفروع الممتدة (٤) البراع
القصب ، وتهافت الشيء تهاطفت وتطايير لحفته (٥) السكان ذنب السفينة ،
ويسمى أيضا الخيزرانة والكوئل ، وهو ما تسكن به السفينة تمنع به من
الحركة والاضطراب ، وتعديل به (٦) النون : الحوت العظيم وهو لا يسكن
الا للماء الضاب لا يسكن الا البر ، وقد أخذ الكاتب معناه من قول أبي عبيدة
للهملي في قصر عيسى بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس
ابن عبد المطلب :

يا وادي القصر نعم القصر والوادي من منزل حاضران شئت أو بادي
تري قراقربه والميس واقفة والضب والنون والملاح والحادي
القراقرم جمع قرقور وهو السفينة الطويلة أو العظيمة

الْبَحَاثُ . فَلَا تُشْرِقْنَا يَا أَصِيلُ^(١) ، وَلَا تُمِثَّكَ الْأَرْضُ
الْوَيْلُ^(٢) . اُنْتَهَى .

وَوَصَلَ هَذَا الْكَلَامَ بِالْأَيَّاتِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ قَرِيبًا وَهِيَ قَوْلُهُ :
* زِدْنَا عَلَى النَّاسِ عَنِ أَوْطَانِهِمْ * النخ :

* *

وَكَتَبَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَهْلِ شَاطِئَةِ أَيَّامٍ كَانَ قَاضِيًا
بِهَا، مُهَنَّا أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ ابْنَ هُوْدِ الْمُسْتَوْدِي عَلَى الْأَنْدَلُسِ
آخِرَ دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ بِوُصُولِ الْكِتَابِ الْعَبَّاسِيِّ الْكَرِيمِ
إِلَيْهِ مِنْ بَعْدَادَ بِوَلَايَةِ الْأَنْدَلُسِ - إِذْ كَانَ ابْنُ هُوْدٍ حِينَ
نَارَ عَلَى الْمُوَحِّدِينَ يَدْعُو إِلَى الْخُلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ الَّذِي كَانَ
أَكْثَرُ الْمُلُوكِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَدِينُونَ بِطَاعَتِهِ - بِمَا نَصَّهُ
بَعْدَ الصَّدْرِ :

كتاب تهنة
الى ابن هود

(١) هذا مثل ، وأصيل هذا هو أصيل بن عبد الله الهذلي (أو الفهاري)
الصحابي رضي الله عنه ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم لما وصف مكة :
حسبك يا أصيل لانحزنا (٢) من قول عبد الله بن عتبة رضي :
لام الأرض ويل مأجنت بحيث أضر بالحسن السبيل
الحسن هنا اسم كتيب في بلاد ضبة سمي بذلك لحسنه و (لامه الويل)
قد تستعمل في التعجب والتعظيم والتهويل . « أحمد نجاني »

«أَمَّا بَدُّ» فَكَتَبَ السَّيِّدُ - كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى
 الْمَقَامِ الْعَلِيِّ الْمُجَاهِدِيِّ الْمُتَوَكِّلِ سَعَادَةً لَا تَبْلُغُ أَمَدًا إِلَّا
 تَخَطَّتْهُ ، وَبَدَأَ غُلُوبَهَا أَنْبَسَتْ أَيْدِي الْأَقْدَارِ وَخَطَّتْهُ - مِنْ
 شَاطِئَةٍ ، وَبَرَّكَ كَاتُ الْأَمْرِ الْمُجَاهِدِيِّ الْمُتَوَكِّلِ ، وَالْمَهْدِ
 الْوَائِقِيِّ الْمُعْتَصِمِ ، تَسَكَّبُ كَالْمَطَرِ ، وَتَسَجِبُ عَلَى
 الْبَشَرِ ، وَتَقْضِي بِعَادَةِ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ ، وَسَعَادَةِ الْوَرْدِ
 وَالصَّدْرِ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - وَعِنْدَ السَّيِّدِ مِنْ أَذَاءِ قُرُوضِ
 الْخِدْمِ ، وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِ النِّعَمِ ، مَا عَقِدَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُهُمْ ،
 وَسَمَتْ إِلَيْهِ نَوَاطِرُهُمْ ، وَاشْتَرَكَ فِيهِ بَادِيهِمْ وَحَاضِرُهُمْ ،
 فَجَنَابُ ^(١) أَمَلِهِمْ فَسِيحٌ ، وَمَتَجَرُّ خِدْمَتِهِمْ رِيحٌ ، وَحَدِيثُ
 طَاعَتِهِمْ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وَبَسَنِي ^(٢) أَنْظَرَ الْعَلِيِّ أَمْتِدَاؤُهُمْ ،
 وَفِي الْبَابِ الْكَرِيمِ رَجَاؤُهُمْ ، وَيَصِدْقُ الْعُبُودِيَّةِ اعْتِرَازُهُمْ
 وَإِلَيْهَا اعْتِرَازُهُمْ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُنْهَضُهُمْ بِوَطَائِفِ الْمُنَابَةِ ^(٣)

(١) الجناب التاحية والفناء (٢) او : وبسنا أى ضوء ونور (٣) للثابة :

للوضع الذى يثاب اليه أى يرجع اليه مرة بعد أخرى ويكن اليه ومنه

قوله تعالى «واذ جئنا البيت مثابة للناس وأمانا»

الْعَلِيَّةِ ، وَنَحْمِلُهُمْ عَلَى الْمَنَاجِحِ السُّوِيَّةِ . وَوَصَلَ الْكِتَابُ
الْكَرِيمُ مُحْتَلِكًا بِرُوءِ الْحَقِّ ، نَاطِقًا بِلِسَانِ الصِّدْقِ ،
وَاصِفًا مِنَ التَّنْشِيرِ ، وَالْفَخَارِ الْمُنِيفِ ، مَا صَدَرَ عَنْ إِمَامِ
الْخَلْقِ ، فَلَا يَبَانَ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ الْبَيَانِ ، وَلَا يَوْمُ كَذَلِكَ
الْيَوْمِ تَبْدَى نَظَرُهُ لِلْبَيَانِ ، أَوْ تَأْدَى خَبْرُهُ فِي أَخْبَارِ الزَّمَانِ
نُبِرَتْ فِيهِ الْخَلْقُ الْعَبَاسِيَّةُ فِي أَعْلَى الصُّورِ ، وَبَرَزَ مِنْهَا
لِلْعِيُونِ مَا يَمْتَرُ الْبَلِيغُ عِنْدَ وَصْفِهِ فِي ذَيْلِ الْحَصْرِ ، وَيَهْدِي
سَوَادَهُ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ ، فَيَا لَمَشْهَدِهَا مَا أَعْجَبَ
مَا كَانَ ، وَمَرَّآهَا الَّذِي رَاعَ الْكُفْرَ وَرَاقَ^(١) الْإِيمَانَ ،
وَأَشْبَهَ يَوْمَهُ بِالْأَنْدَلُسِ يَوْمَ خَرَجَتْ الرَّاياتُ السُّودُ مِنْ
خُرَاسَانَ^(٢) ، وَكَفَى بِهَذَا فَخَارًا لَا يَحْتَاجُ ثَابِتُهُ مُثْبِتًا ، أَنْ
بَاشَرَتْ بُرْدًا^(٣) بَاشَرَ الْبَدَنَ الَّذِي طَابَ حَيًّا وَمَيِّتًا ، هُوَ عَلَوُّ

(١) راع : أفرغ وخوف ، وراق : أعجب وسم وأطرب (٢) يشير
إلى دعوة بني العباس (٣) البردة العباسية بردة خضراء كانت للنبي صلى
الله عليه وسلم (وهي غير البردة التي كانت لملوك بني أمية يلقونها على أكتافهم
في جلوسهم وركوبهم) كان هذه فقدت بفقدان الخلافة منهم ، وكان معاوية
قد اشتراها من آل كعب بن زهير) وإنما تلك البردة العباسية هي التي

فِي الْإِسْنَادِ وَلَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْعَوَالِي، وَقَفَّارٌ صَلَّتْ عَنْ مِثْلِهِ
الْمُصَوِّرُ الْغَوَالِي، وَجَلَّتْ بِهِجَتُهُ أَنْ تُخْلِقَ جِدَّتُهَا الْأَيَّامُ
وَاللَّيَالِي. وَدَكَ الْكِتَابُ الْمَرْبُوعُ عَلَى التَّسْمِيَةِ الْمُسْتَقَّةِ مِنَ
الْجَاهِ، وَالسَّهْمَةِ مِنْ سَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَالًا يَدْخُلُ فِي
جَنْسِ ذَوَاتِ الْأَعْمَادِ، وَخَيْرُ الْأَوْصَافِ مَا صَدَّقَهُ الْمُؤُصِفُ،
وَالْكَرِيمُ النَّسَبِ نَسَبَتُهُ يُبَاهِي بِهَا الدِّينَ وَزُهْمَى
الشُّيُوفِ.

فَإِنْ نَحْنُ مِمَّنَّاكَ خِلْنَا سَيُوفَنَا

مِنْ التَّيِّهِ فِي أَعْمَادِهَا تَبَسُّمٌ^(١)

أعطاهما النبي عليه الصلاة والسلام لاهل الأئمة لتبقى عندهم بركة، فاشتراهما
للنصور واتخذها في شعار الخلافة موضع البردة التي كانت عند الامويين.
وقال أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري المؤرخ الشهور
يمح الخليفة للستين بالله المباسي :

ولو أن برد العطفي اذ ليسته يظن لظن البرد أنك صاحبه

وقال - وقد أعطيته وليسته - نعم هذه أعطافه ومنا كبه

وقال الشريف اللوسوى النقيب من قصيدة يمح بها الخليفة الطائع :

لا رآك رأى النبي محمداً في بردة الاجلال والاعظام

(١) هو لابي الطيب المتنبي من قصيدة يمح بها سيف الدولة بن حمدان

سنة ٣٣٨ مطلقاً :



مضمون الكتاب وَمِمَّا أَفَادَهُ الْكِتَابُ مِنَ الْمُبْهَجِ بِطِيبِ أَنْبَاءِهِ ، نَعْنُ
 عَلَامَةِ سَيِّدِنَا صَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ ، فَإِنَّهَا
 تَضَمَّنَتْ صِفَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ ، وَذَلَّتْ عَلَى
 مَذْهَبِ أَهْلِ الْأُسْنَةِ فِي خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْأَعْمَالِ ،
 وَأَشْرَعَتْهَا مَعَشَرَ الْعَمِيدِ بِعِنَايَةِ سَبَقَتْ بِالْمَقَامِ الْمُجَاهِدِيِّ
 الْأَمُورَ كُلِّيٍّ - أَحْسَنَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ - ، حِينَ تَوَلَّى خِلَافَةَ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - ، فَإِنَّهُ لَمَّا شَإِمَهُ بِعَزِيَّةٍ
 مُسَاعِدَةٍ ، وَنِيَّةٍ فِي مَشَارِعِ^(١) الصَّفَاءِ وَالْإِخْلَاصِ وَارِدَةٍ ،
 إِلَيْهِمْ زِيَادَةً فِي الْعَلَامَةِ شَارَكَتِ الْإِمَامَةَ فِي صِفَةٍ وَاحِدَةٍ ،

إذا كان مدح فالنسب مقدم أكل فصيح قال شعرا ميم؟
 يقول إذا نحن دعونا باسمك (سيف) خلنا سيوفنا بته عجا وترهى
 دلالا وكبرا بمشاركتك لها فى التسمية فهى تنقسم تها وفخرا واعجابا
 بنفسها فحقرت بفلك السلاح والرمح ، وهو من قول أبى نواس:
 بته الشمس والقمر للنير إذا قلنا كاشهما الأثير
 (١) جمع مشرعة ، وهى الشريعة أى مورد النارية التى يشرعها الناس
 فيشربون منها ويستقون ويكون مأوها عدا لا ينقطع وظاهر امعينا لا ينضب .
 وشرع الوارد اذا تناول الماء .

هَذِهِ كَرَامَةٌ فِي الْمَلَامَةِ ، هِيَ عَلَامَةُ الْكَرَامَةِ ، وَهِيَ
 مِنْ مَوَاقِبِ الْكَشْفِ يَجِدُهَا مَنْ أُمْتَلَقَ قَوْلُهُ « فَاسْتَقِمْ
 كَمَا أُمِرْتَ » فَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْتِقَامَةِ . وَتَضَمَّنَ الْكِتَابُ
 الْكَرِيمُ بَيِّنَةً أَهْلَ جَيَّانَ وَمَا مَعَهَا ، وَإِنَّ هَذِهِ الْبَشَائِرُ وَمَا
 تَبِعَهَا ، لَمَرْوُوعٌ عَنْ هَذَا الْأَصْلِ الصَّحِيحِ ، وَأَقْبَسَةٌ مِنْ هَذَا
 النَّصِّ الصَّرِيحِ ، بِإِدْلَالِ اخْتِلَافٍ ^(١) قَدْ اسْتَقَلَّتْ ، وَشُبْهَةٌ
 الْخِلَافِ قَدْ بَطَلَتْ وَأَضْحَكَتْ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ مَنَعَ
 جَزِيلَ النِّعْمَةِ ، وَشَرَحَ بِالْيَقِينِ صُدُورَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَشَرَفَ
 هَذِهِ الْأُمَّةَ بِإِمَامَةِ نَجْلِ الْأَنْبِيَاءِ الْخُلَفَاءِ ، وَأَبْنِ عَمِّ سَيِّدِ
 الرُّسُلِ وَخَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ . وَالْعَمِيدُ يُهَيِّتُونَ بِهَذِهِ النِّعَمِ ، الَّتِي
 لَا يَسْتَقِيلُ بِذِكْرِهَا قَلَمٌ ، وَلَا يَقْطَعُ عِلْمٌ مِنْ وَصْفِهَا إِلَّا أَبَدًا
 عِلْمٌ ^(٢) ، وَهَيْمٌ مِنَ الْأَشْوَاقِ إِلَى مُشَاهَدَةِ الْمَعَالِمِ السَّنِيَّةِ ،

(١) كذا بالأصل ويصح أن يكون أصل العبارة فأدلة الخلافة ، وقد ابتدأ
 ابن الخطيب بعض رسالته بقوله : الخلافة التي ارتفع عن عقائد فضلها
 الأصل القواعد الخلاف الخ (٢) من قول جرير :

إذا قطن علما بدا علم حتى تناهين بنا إلى الحكم
 خليفة الججاج غير اللهم في ضضي المجدو بؤبؤ الكرم
 أي إذا فرغنا من أمر حدث أمر آخر . يريد أن وصفها لانهاية له .

وَلْتَمِ الْيَمِينُ الطَّاهِرَةَ الْعَمَلِيَّةَ ، مَا أَكَّدَهُ دُئُؤُ الدَّارِ ، وَجَدَّه
مَا تَجَدَّدَ لِمَقَامِ الْمَالِ التَّوَكُّلِيِّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى الْجَلِيلَةِ
الْمَقْدَارِ ، وَالشَّاهِدَةَ لَهُ بِإِسْمَادِ الْأَيَّامِ وَإِسْمَافِ الْأَقْدَارِ ،
فَلَوْ أَمَكَّتْهُمْ الْأَقْدَامُ لَأَقْدَمُوا ، وَلَوْ وَجَدُوا رُخْصَةً فِي الْمَسِيرِ
لَعَزَمُوا ، وَهُمْ يَسْتَمُونُ^(١) الْبَسَاطَةَ الْأَشْرَفِيَّةَ تَوْهُمًا ، وَمِنْ
أَمَلِهِمْ أَنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ قَدْ اسْتَلَمُوا . انتهى .

وَبِهِ تَعْلَمُ أَنَّ الدُّوَلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ خُطِبَ لَهَا بِبِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ أَعَادَهَا اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَلَا يَخْشَاكَ أَنْ مَا جَلَبَتْهَا
مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مُنَاسِبٌ لِلْمَقَامِ ، فَلَا اتِّقَادَ وَلَا مَلَامَ



« وَقَدْ رَأَيْتُ » أَنْ أَذْكَرُ هُنَا مُخَاطَبَةً صَدَرَتْ مِنْ
الْغَنِيِّ بِاللَّهِ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى السُّلْطَانِ الْمَنْصُورِ أَمْعَدِ
أَبْنِ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُونَ مِنْ إِنْشَاءِ الْوَزِيرِ

مخاطبة صاحب
الاندلس الى
السلطان المنصور

(١) استلم الحجر : له ما بقية أو باليد ومسحه بكفه (مأخوذ من السلام
وهو الحجر ، أو من السلام أى التحية ، فيكون معناه اللبس باليد تحرياً
لقبول السلام منه تبركاً به)

الْكَبِيرِ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ، رَحِمَهُ اللَّهُ لِيَا أَشْتَمَلَتْ
عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِ الْأَنْدَلُسِ، وَنَصَّهَا:

الْأَبْوَابُ الَّتِي تُفْتَحُ لِنَصْرِهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُسْتَدْرَكُ (١)
مِنْ آفَاقِهَا سَحَابُ النِّعَمِ، وَتُجَلَّى بِأَنْوَارِ سَعْدِهَا جِجِي الظُّلَمَاءِ،
وَتُعَرَّفُ نَكِرَةُ الْبِلَادِ وَالْبَادِيَا لِاتِّسَابِ إِلَى مَحَبَّتِهَا وَإِلْتِمَاءِ،
عَلَى اخْتِلَافِ الْمُرُوضِ وَتَبَايُنِ الْخُدُودِ وَتَعَدُّدِ الْأَشْمَاءِ، وَيُخْتَرَأُ
مِنْ صِلَاتِ صَلَاتِهَا (٢) عِنْدَ الْمَوَانِعِ مِنْ كَمَالِ حَالَاتِ
صِفَاتِهَا بِالْإِيمَاءِ، وَتَحْمِلُ لَهَا التَّحِيَّةَ ذَوَاتُ الدُّسْرِ (٣) وَالْأَلْوَا حِ

خطابة الفنى بالله
صاحب الاندلس
الى السلطان ابن
قلاون

(١) استدر الماء واللين والسمع اذا كثر وسال جريا ، واستدر الحلوى :
طلب درها ، والرج تفر السحاب وتستدره أى تستحبه ، والاستدرار
أيضا أن تسمح الضرع بيدك ثم يهر اللين ويجرى (٢) صلات جمع صلة ،
والصلة القرض منها الرحمة والنعاء ورضا سلطان مصر ، يعني أن يكتفى
منها بالقليل اذا عز الكثير ، بل ان قليلا كثير - وهنا عرض لتوجيهات
خفية كما عرض قبلها لتوجيهات منطقية ونحوية . (٣) الدسر : اللامير
جمع دسار : ذوات الدسر والألواح : السفينة ، وهو مأخوذ من قوله تعالى :
« وحملناه على ذات ألواح ودسر » . والدسار أيضا حبل من ليف تشده
فألواح السفينة

طَاعِنَةً تَحَرَّ الصَّبَاحَ عَلَى كِتْدٍ^(١) الْمَاءَ ، أَوَابُ السُّلْطَانِ
 الْكَبِيرِ ، الْجَلِيلِ الشَّهِيرِ ، الطَّاهِرِ الظَّاهِرِ ، الْإِوْحِدِ الْأَسْعَدِ ،
 الْأَضْعَدِ الْأَنْهَدِ ، الْأَعْلَى الْمَدِلِ ، الْعَالِمِ الْفَاضِلِ الْكَامِلِ ،
 سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، عِمَادِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، رَافِعِ
 ظِلَالِ الْمَدَلِ عَلَى الْعَالَمِينَ ، جَمَالِ الْإِسْلَامِ ، عِلْمِ الْأَعْلَامِ ،
 فَخْرِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، مَلِكِ الْبَرِّينِ وَالْبَحْرَيْنِ ، إِمَامِ الْخُرَمَيْنِ
 مُؤَمِّنِ الْأَمْصَارِ وَالْأَقْطَارِ ، عَاصِبِ^(٢) تَاجِ الْفَخَارِ ، هَازِمِ
 الْفَرَنْجِ وَالتُّرُكِ وَالتَّاتَارِ ، الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ابْنِ الْأَمِيرِ الرَّفِيعِ
 الْجَادَةِ^(٣) ، الْكَرِيمِ الْوَلَادَةِ ، الطَّاهِرِ الظَّاهِرِ ، الْكَبِيرِ الشَّهِيرِ ،

(١) الكد : مجتمع الكفين من الانسان وغيره ، أو هو أعلى الكف ،
 أو هو الكاهل أو ما بين الكاهل إلى الظهر ، والتبج منه ، تقول : نعمه
 على الأكباد فضلا عن الأكباد (٢) عصب : شد ، وعصب التاج والعمامة
 شده (واسم ملشد به العصابة ، والتاج يسمى عصابة وكذا العمامة) قال
 عمرو بن كلثوم :

وسيد معشر قد عصبوه بتاج للكم يحمى الجعحرينا
 فجعل للكم مصبا لأن التاج أخط برأسه كالعصابة التي عصب برأس
 لابسها . واعتصب التاج على رأسه إذا استكف به ، ومنه قول ابن قيس
 الرقيات :

يتصب التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

(٣) الجادة : سواء الطريق والملك .

الْمُعْظَمِ الْمُجَبَّدِ الْأَسْمَى ، الْمُؤَقَّرِ الْأَعْلَى ، فَخْرِ الْجِلَّةِ ، سَيْفِ
 الْمِلَّةِ ، تَاجِ الْإِمَارَةِ ، عِزِّ الْإِسْلَامِ ، مُسْتَظِلِّ الْأَنْامِ ، قَمَرِ الْمِيدَانِ ،
 أَسَدِ الْحَرْبِ الْعَوَانِ ^(١) الْمُقَدَّسِ الْمُطَهَّرِ ، الْأَمِيرِ أَحْمَدَ ابْنِ
 وَالِدِ السَّلَاطِينِ ، وَمَالِكِ الْمُسْلِمِينَ ، وَسَيْفِ خِلَافَةِ اللَّهِ عَلَى
 الْعَالَمِينَ ، وَوَلِيِّ الْمُؤْمِنِينَ ، سُلْطَانِ الْجِهَادِ وَالْحَجِّ ، وَمُقِيمِ
 رِسْمِ الْحَجِّ ^(٢) وَالنَّجَّ ، مُنْجِي مَعَالِمِ الدِّينِ ، قَامِعِ الْمُتَمَدِّينِ ،
 قَاهِرِ الْخَوَارِجِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ ، نَاصِرِ السُّنَّةِ ، مُنْجِي الْمِلَّةِ ، مَلِكِ
 الْبَرِّينَ وَالْبَحْرَيْنِ ، سُلْطَانِ الْحَرَمَيْنِ ، أَمْلِكِ الْعَادِلِ ، الْعَالِمِ
 الْعَامِلِ ، الْمَنْصُورِ الْمُؤَيَّدِ ، أَلْمَعَانِ الْمُرَفَّعِ الْمُعْظَمِ الْمَجْجَلِ
 الْمُؤَمَّلِ ، الْمُجَاهِدِ الْمُرَابِطِ الْمُغَازِي الْمُجَبَّدِ ،
 الْكَمَلِ الْمُطَهَّرِ ، الْكَبِيرِ الشَّهِيرِ الْمُقَدَّسِ ، أَمْلِكِ الْنَاصِرِ
 أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنِ قَلَاوُونَ الصَّالِحِيَّ . جَعَلَ اللَّهُ فُسْطَاطَ

(١) العوان : من الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة (٢) الحج هنا :

رفع الصوت بالتلبية ، والنَّجَّ: سيلان دم الهدى والأضاحي (يريد رسم الحج)

وفي الحديث : « تمام الحج الحج والنَّجَّ »

دَعْوَتِهِ مَعْمُودًا^(١) بِعَمُودِ الصُّنُجِ ، وَحَرَكَاتِ عَزَمِهِ مَبْنِيَّةً
عَلَى الْفَتْحِ ، وَجُمْلَلِ سَعَادَتِهِ غَنِيًّا عَنِ الشَّرْحِ ، وَجِيَادِ
أَوْصَافِهِ مُتَبَارِكَةً فِي مَيْدَانِ الْمَدْحِ ، وَزِنَادِ رَأْيِهِ وَارِيَّةً^(٢)
عَلَى الْقَدَحِ ، مِنْ مُوجِبِ حَقِّهِ وَجُوبِ الشَّعَائِرِ الْخَمْسِ ،
الْمَرْحَبِ لِأَجْلِ أَفْقِهِ^(٣) الشَّرْقِيَّةِ بِوَقْدَةِ^(٤) الشَّمْسِ ، الْمَجْدِدِ
فِي الْيَوْمِ حُكْمَ مَا تَقَرَّرَ بَيْنَ السَّلَفِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - بِالْأَمْسِ ،
أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَنْدَلُسِ ، عَبْدُ اللَّهِ النَّفِيُّ بِاللَّهِ الْعَالِيَةِ بِهِ ،
مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَرَجٍ بْنِ نَصْرِ ، سَلَامٌ
كَرِيمٌ كَمَا زَحَفَتْ رَايَةُ الصُّنُجِ تَقْدِمُهَا طَلَاغُ مُبَشِّرَاتِ
الرِّيحِ ، يُفَاوِحُ أَرْجُهُ أَزَاهِيرَ^(٥) الْأَذْوَاخِ ، وَيُحَاسِنُ طُرُرَ^(٦)

(١) عمده بعمله: أقامه بعماد، كاعمده . وعمود الصبح ما تبليج من ضوئه
وسطع ، وضرب الفجر بعموده (وهو الصبح للاستطير) وفي الحديث :
« أول وقت الفجر إذا انشق عمود الصبح » (٢) وارية : موقدة
والزناد : جمع زند : وهو ما تقدح به النار - ووري الزند : خرجت
ناره ، وفلان وارى الزناد كناية عن نجاحه وظفيره ، واستوريته رأيا
سأله أن يستخرج لي رأيا أمضى عليه وأستضيء به وقال الشاعر :

وجدنا زند جدهم وريا وزند بني هوازن غير وارى

(٣) الأفق : الناحية ، ويستعمل مفردا وجما كالفلك كما قال سيدنا العباس
ابن عبد المطلب رضى الله عنه يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

« وأنت لما ولدت أشرق الأُرُضُ وضامت بنورك الأفق »

(٤) وقدة الشمس : قدومها وورودها - (٥) جمع أزهار جمع
زهر ، وفي الأصل (زهير) محرفة (٦) جمع طرة وهي أن يقطع

الْوُجُوهِ الْمِلَاحِ ، يَخْصُ أَبُوَكُمْ الَّتِي رَبَّ الْغُرُفُفُوهَا ،
وَعَصَدَتْ نُصُوصُ النُّصْرِ نُصُولَهَا ^(١) ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى
وَبَرَكَاتُهُ . أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَهُ فَاتِحَةً لِقُرْآنٍ ،
وَحَاجَةً دُعَاءِ أَهْلِ الْجَنَانِ ، وَشُكْرِهِ عَلَى مَا أَوْلَى مِنْ مَوَاقِبِ
الْإِحْسَانِ ، حَمْدًا وَشُكْرًا يَسْتَحْدِمَانِ مِنَ الْإِنْسَانِ مَلَكَتِي
الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا
مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ زَهْرَةِ كِمَامَةٍ ^(٢) إِلَّا كَوَانِ ، وَسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ
عَلَى اخْتِلَافِ اللُّغَاتِ وَالْأَلْوَانِ ، الَّذِي أَذَلَّ بِعِزَّةِ اللَّهِ نَفُوسَ
أَهْلِ الطُّغْيَانِ ، وَغَطَّى بِدِينِهِ الْحَقَّ عَلَى الْأَدْيَانِ ، وَزَوَّيَتْ ^(٣) لَهُ
الْأَرْضُ فَرَأَى مُلْكَ أُمَّتِهِ يَبْلُغُ مَا زَوَى لَهُ فَكَانَ الْخَبِيرُ
وَفَقَّ الْعِيَانِ ، وَالرُّضَا عَمَّنْ لَهُ مِنَ الْأَصْحَابِ وَالْأَحْبَابِ

الجارية في مقدم ناصيتها كالعلم تحت التاج أو العصابة ، وسمى هذا
الشعر طرة لأنها طرت أى قطعت من جلته . وأصل الطرة طرف كل شئ
وحرقه ، وعلم التوب بخط بجاني البرد بحاشيته ، وللرأه تطر شعرها : تحفه
وتطره حتى يوفى على جهتها وتصفقه ، وطررت الجارية : اتخذت طرة (١) نصول
جمع نصل وهو السيف (٢) الكمامة : غطاء الزهر (٣) زويت : طويت .

وَالْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالَ وَالْإِخْوَانَ ، صَلَاةً يُحَدِّدُهَا الْجَدِيدَانِ^(١)
وَعَلَيْهَا الْمَلَوَانِ ، وَتَتَزَاوَمُ عَلَى تَرْبَتِهِ الْمُقَدَّسَةِ مَعَ الْأَخْيَانِ ،
مَا سَجَعَتْ طُيُورُ الْبَرَاةِ مِنْ أَعْوَادِ الْبَرَاةِ عَلَى الْأَفْنَانِ ،
وَأَلْفَقَتْ عُيُونُ الْمَعَانِي مَا بَيْنَ أَجْفَانِ الْيَبَابِ ، وَالْدُّعَاءُ
لِأَبْوَابِكُمْ الشَّرِيفَةِ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى عِصْمَتَهُ يُقِيمُ بِهَا
وِظَافَتِي الْحِجَابَةِ وَالْإِسْتِثْنَانِ ، وَضَرَبَ بِدَعْوَتِهَا الَّتِي هِيَ
لَدَةُ الْإِقَامَةِ وَالْأَذَانِ عَلَى الْأَذَانِ^(٢) ، أَسْتَعِذُّ بِرُوحِ الْفَلَكَ
النَّوَّارِ فِي أَمْرِهَا التَّعْزِيزِ أَسْتَعِذُّ بِالْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ ، حَتَّى
يُعْلَمَ مَا فِي الْمُدَافَعَةِ عَنْ جَاهَا غَالِبِ السَّرْحَانِ^(٣) ، وَفِي

(١) الجديدان : الليل والنهار وكذا اللوان (٢) يدعو لدعوته الإسلامية
أن تطرق كل أذن وتؤثر في كل سمع (٣) السرحان في الأصل الذئب
والأسد ، ويطلق على بعض الكواكب ، وذئب السرحان : الفجر الكاذب
والليزان معروف ، ومن معانيه العدل ، واسم لبرج في السماء . وما قيل في
وصفه :

ليزان النجوم على وصف وقد قسم الكواكب باعتبار
كجارية تدل من يديها خيوط في فتايل كبار
والزهرة كوكب أبيض مضيء سميت بذلك لضياها واشراق نورها من الأزهار
وهو الاشراق والانارة . ومنه أزهرو الصبح أى أثار وأشرق . وما قيل في وصفها :
لاح الهلال فوق مغربه والزهرة الفراء لم تنب

الإِشَادَةِ بِمَذَلِّهَا كَفَّتِي أَلِيزَانِ ، وَيُهْدِي لَهَا مِنْ الزُّمَرَةِ
 كُرَّةَ أَلْمِيدَانِ ، وَمِنْ أَلْهَلَالِ عَوْضِ الصَّوْلَجَانِ ^(١) وَأَبْقَى
 فِي عَوَامِلِهَا ضَمِيرَ الْأَمْرِ وَالشَّانِ ، إِلَى يَوْمِ تَهْتَوِ ^(٢) وَجُوهُ
 أَلْدُولِ إِلَى أَلْمَلِكِ أَلْدَيَّانِ ، فَإِنَّا كَتَبْتَاهُ إِلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ
 كَتَبَ اللَّهُ لِعَتَبَتِهَا أَلنُّصْرَةَ أَلدَّاخِلَةَ ، كَمَا أَخْجَلَ بِمَكَارِمِهَا
 أَلشُّعْبَ أَلْبَاخِلَةَ ، وَجَمَلَ مَفَارِقِ ^(٣) مَنَاصِلِهَا أَلْمُخْتَضِبَةَ
 مِنْ نَجِيعِ عِدَاهَا غَيْرَ نَاصِلَةٍ ، وَقَرَنَ بِكُلِّ سَبَبٍ مِنْ
 أَضْدَادِهَا فَاصِلَةً ^(٤) مِنْ دَارِ مُلْكِ الْإِسْلَامِ بِأَلْأَنْدَلُسِ حَمْرَاءَ

وهوى دوين منيها فهوت نبكى بلمع غير منسكب
 فكأنها أسماء باكية عند انضمام سوارها القهب

(١) المولجان : الصا للقوفة الرأس يطف طرفها يضرب بها الكرة وكانت
 الكرة والمولجان من شارات الملك (٢) تهو : تنح (٣) المفارق : جمع مفروق :
 موضع فرق الشعر . والنصل : السيف . والتجيج : الهم . ونصل الشعر : خرج
 من الحجاب وعاد الى لونه ، والنصل أيضاً ما نصل له ، ففيه تورية مثل كثير
 من الالفاظ في هذه الرسالة - والقرض الدعوة بدوام غزو الاعداء وجهادهم
 والتبيل منهم (٤) السبب معروف ، والسبب أيضاً من مصطلحات علم العروض
 كالفاصلة ، والفاصل القامضي بين الحق والباطل . والفصل القطع وابانة أحد الشينين
 عن الآخر ، وطعنة فاصلة وفيصل : فصل بين القرنين وتفرق بينهما . والفاصلة

غَرَّاطَةً - وَصَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَادَةَ الدَّفَاعِ عَنْ أَرْجَائِهَا ، وَشَدَّ
بِأَيْدِي الْيَقِينِ عُرَا أَمَلِهَا فِي اللَّهِ وَرَجَائِهَا ، حَيْثُ الْمَصَافُ^(١)
الْمَعْقُودُ ، وَتَمَنُّ النُّفُوسِ الْمَنْقُودُ ، وَنَارُ الْحَرْبِ ذَاتُ
الْوُقُودِ ، حَيْثُ الْأَفْقُ قَدْ تَرَدَّى بِالْقَتَامِ^(٢) وَتَمَمَّ ، وَالسَّيْفُ
قَدْ تَجَرَّدَ^(٣) وَتَيَمَّمَ ، وَغَبَارُ الْجِهَادِ يَقُولُ : أَنَا الْأَمَانُ مِنْ
دُخَانِ جَهَنَّمَ ، حَيْثُ الْإِسْلَامُ مِنْ عَدُوِّهِ كَالشَّامَةِ مِنْ جِلْدِ
الْبَعِيرِ ، وَالْتَمَرَةُ مِنَ الْأَوْسُقِ^(٤) الْبَعِيرِ . حَيْثُ الْمَصَارِعُ^(٥) تَتَزَاوَرُ

الضري في العروض هي السبيان للقرنات (في كلمتي سبب ، وقاصلة
توجيه وتورية) والترض أن سيوف جند السلطان لا تترك سببا من
أسباب الأعداء الاقتض عليه (١) للصارف جمع الصراف : موضع الصراف في الحرب
(٢) القتام : الغبار ، ويريد هنا الغبار للثار في ميادين الحروب (٣) تجرد
السيف : استل من غمده ، وتجرد للأمر اذا جديفه ، ومنه تجرد للعبادة
وتجرب بالحج : تشبه بالحج ، وفي حديث عمر : « تجردوا للحج وان لم تحرموا »
أي تشبهوا بهم وان لم تكونوا حجاجا . وتجرد من ثيابه للأحرام في
الحج . وتيمم : قصد وتيمم الصعيد للصلاة ، وأصله التعمد والتوخى أي
يقصد الصعيد الطيب : أي التراب الطاهر ، ثم كثر استعمال هذه الكلمة
حتى صار التيمم حقيقة لمسح الوجه واليدين بالتراب ، ولما كان السيف
يقترن بالغبار ويشقه ويغوص فيه جله متيما . ويصح أنه يتيمم الأعداء
أي يقصدهم للقتل بهم والقضاء عليهم (٤) أوسق : جمع وسق : وهو حمل
البعير ، والبر : القافلة ، والابل التي تحمل الليرة . (٥) مصارع : جمع

مصارع : مكان الصرع والقتل في الحرب .

الْحُورُ عَلَى شَهَادَتِهَا ، وَالْأَبْطَالُ يَمْلُؤُ بِالتَّكْبِيرِ مَسْمَعُ
 نِدَائِهَا . . حَيْثُ الْوُجُوهُ الضَّاحِكَةُ الْمُسْتَبْشِرَةُ قَدْ زَيْنَتْهَا
 الْكُلُومُ ^(١) بِدِمَائِهَا . وَإِنَّ هَذَا الْقَطْرَ الَّذِي مُهِدَّتْ لِسَيَّاسَتِنَا
 أَكْوَازُ ^(٢) مَطَايَاهُ ، وَجُمِلَتْ يَدِنَا - وَالْيَنَّةُ لِلَّهِ - عِيَابُ ^(٣)
 عَطَايَاهُ ، قَطْرٌ مُسْتَقِلٌ بِنَفْسِهِ ، مُرَبٍّ ^(٤) يَوْمُهُ فِي الْبَرِّ عَلَى
 أَمْسِهِ ، زَكَاةُ الْمَنَابِتِ ، عَذْبُ الْمَشَارِبِ ، مُتِمُّ الْمَائِلِ ،
 مُكَمِّلُ النَّارِبِ ، فَارُهُ الْحَيَوَانِ ، مُتَعَدِّلُ الْأَسْحَنِ ^(٥)
 وَالْأَلْوَانِ ، وَسَيْطَةُ فِي الْأَقَالِمِ السَّبْعَةِ ، شَاهِدَةٌ لِلَّهِ
 بِإِحْكَامِ الصَّنْعَةِ . أَمَّا خَيْلُهُ فَضَارَهُهُ ، وَإِلَى الرِّكْضِ ^(٦)
 شَارَهُهُ ، وَأَمَّا سَيُوفُهُ فَلِوِطَانِ النُّمُودِ كَارَهُهُ ، وَأَمَّا
 أَسْلُهُ ^(٧) فَمُتَدَارِكَةُ الْخُلُطَفِ ، وَأَمَّا عَوَامِلُهُ ^(٨) فَيِنَّهُ الْحَذَفِ

(١) الكلوم : الجروح (٢) جمع كور : الرجل بأداته للبحر كالسرج
 وآلته للفرس (٣) عياب : صناديق ، والعبية أيضا الحقيبة زيل من آدم
 يحمل فيه الزرع المحصود (٤) أربى عليه : زاد (٥) السحن جمع السحنة :
 الهيئة واللون (٦) الركض : حث الحصان على الجري ، والعمود السريع
 (٧) الأسل : الرماح (٨) عامل الرمح وعاملته : صدره دون السنان ،

وَأَمَّا نَبَالُهُ فَمَحْذُورُهُ الْقَذْفُ ، إِلَّا أَنَّ الْإِسْلَامَ بِهِ فِي سَقَطٍ ^(١)
 مَعَ الْحَيَاتِ ، وَذَرِئَةُ ^(٢) لِلْمَنِيَّاتِ الْوَحِيَّاتِ ، وَهَدَفٌ ^(٣)
 لِلنَّبَالِ ، وَأَكْلَةُ لِلشَّبَالِ ^(٤) ، تَطَوُّهُمْ النَّارَاتُ الْمُتَعَابِقَةُ ،
 وَتُخَفِّفُهُمُ الْحُدُودُ الْمُصَابِقَةُ ^(٥) ، وَتَجُوسُ خِلَالَهُمُ الْعِيُونُ ^(٦)

وقيل ان الننان نفسه عامل ، ويقال الرمح بامله والقرس بسوامله
 (الموامل : القوائم) (١) السقط : مايسأ فيه الطيب ونحوه كالجواني
 والقفقة ، ومر أعرابي بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يدفن فقال :
 هلا جلت رسول الله في سقط من الآلوة أحوى ملبسا ذهباً
 وروى :

ألا دفتم رسول الله في سقط من الآلوة والكافور منضود
 وروى هذا البيت الثاني لحسان بن ثابت « الآلوة : العود يتبخر به »
 ولأبي حامد محمد بن عبد الرحيم للزنى القيسى الفرناطى :
 تكتب العلم وتلقى في سقط ثم لا تحفظ لا تفلح قط
 أما يفلح من يحفظه صد فهم وتوق من غلط
 ولبعض الأندلسيين في معنى مايقوله لسان الدين في الرسالة :
 حنوار واحلصكم يأهل أندلس فما المقام بها الا من النلط
 من جاور الشر لم تؤمن بواقعه كيف الحياة مع الحيات فيسقط
 (٢) القرية : الوسيلة والسبب ، والوحى : السريع العاجل (٣) الهدف :
 كل مايقصد بالرمي (٤) الشبال : جمع شبل وهو ولد الأسد (٥) أى المجاورة
 للالصقة. وصاقهم : قاربهم وواجههم ، وفي الحديث : « الجار أحق بصقبه »
 أراد للالصقة والقرب أى بما يليه ويقرب منه وللراد به الشفعة . وقد
 تكون (تخفيفهم) محرفة عن (تنقيفهم) أى تنقصهم من حيفهم أى
 من نواحهم وأطرافهم (٦) الجوس : التردد خلال الدور والبيوت في النارة

الْمُرَاقِبَةُ ، وَتَرْيبٌ ^(١) مِنْ أَشْكَالٍ مُخْتَطِّمَةٍ إِلَّا أَنْ يَفْضَلَ
 اللَّهُ بِمُحْسِنِ الْعَاقِبَةِ ، فَلَيْسَ إِلَّا الصَّبْرُ ، وَالضَّرْبُ الْهَبْرُ ^(٢)
 وَالْهَمْزُ ^(٣) وَالْتَبْرُ ^(٤) ، وَالْمُقَابَلَةُ وَالْجَبْرُ ^(٥) ، وَكَذَلِكَ الْبَحْرُ
 يَنْتَهَمُ وَيَنْ إِخْوَانِ مِلَّتِهِمْ ، وَأَسَاءَةُ ^(٦) عَلَيْهِمْ ، يَقُومُونَ بِهَذَا
 الْقَرْصِ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَيُقَرِّضُونَ مَلِكَ يَوْمِ الْعَرْضِ

قال تعالى : « فنجاسوا خلال البيار » أى ترددوا بينها للغارة ، أو قتلواكم
 بين بيوتكم ، أو طافوا فى خلال البيار ينظرون هل بقى أحد لم يقتلوه ،
 وجاسوا وحاسوا بمعنى واحد يذهبون ويحيثون ، والعميون : الجواسيس
 يترصدون ويتجسسون الأخبار . وخلال البيار : ماحولها وما بين بيوتها
 (١) رابه الامر : نابه وأصابه وأدخل عليه شرا وحوفا . والريب صرف
 الدهر وحادثه ، ولعلها محرفة عن (وترتب) توجيهه فى علم للنطق ، هو أن
 الافرنج يرتبون مقدمات الاشكال لتسكون النتيجة الاستيلاء على البلاد
 فهم يستمدون بكل جهد ويفكرون فى كل وسيلة موصلة (٢) ضرب
 هبر وهبير : أى هابر قاطع من اللحم قطعا (٣) الهمز : الدفع والضرب
 والكسر (٤) طلعن نبر : مختلس سريع ، كأنه ينبر الرمح عنه أى يرفع
 بسرعة ، ومنه قول على : اطفئوا النبر وانظروا الشرر ، أى اختلسوا
 الطعن (٥) فى كلتا الكلمتين تورية وتوجيه يعلم الجبر والمقابلة للمروء
 (٦) جمع آس ، وأسا الجرح بأسوه : عالجوه وداووه ، والآسى : الطيب

أَحْسَنَ الْقَرَضِ ، فَلَوْلَا بُعْدُ الْمَدَى ، وَغَوْلُ^(١) الرَّدَى ،
وَلَفْظُ^(٢) الْعِدَا ، وَمَا عَدَا^(٣) مِمَّا بَدَا ، لَسَمِعْتُمْ تَكْثِيرَ الْحَمَلَاتِ
وَزَيْرَ تِلْكَ الْقِلَاتِ^(٤) ، وَدَوَى الْحَوَافِرِ ، وَصَلِيلَ السُّيُوفِ
مِنْ فَوْقِ الْمَنَافِرِ^(٥) ، وَصُرَاخَ الثَّكَالَى^(٦) وَأَرْتَقَاعَ الْأَدْعِيَةِ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَوْ أَرْتَقَعَ هَذَا الْمَكَانُ . وَهُوَ لِلْأَوْلِيَاءِ

(١) غاله : أهلكه وأخذه من حيث لا يدري ، وغالهم تلك الأرض اذا
هلكوا فيها . والفول : الحياة أيضا . والقول : الملكة والنية (٢) اللفظ :
الصوت والحلبة والضوضاء ، وأصوات مبهمه لاتفهم (٣) ما عدا بما بدا :
هذا مثل أى مامنك مما ظهر لك أولا ، وفى حديث على رضى الله عنه
أنه قال اطلحة أو الزبير يوم الجمل : عرفنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق
فما عدا بما بدا ؟ وذلك أنه كان يابسه بالمدينة وجاء يقاتله بالبصرة ، أى ما الذى
صرفك ومنحك وحملك على التخلف بعد ما ظهر منك من التقدم فى
الطاعة والتابعة ؟ ، أو ما الذى بدا لك منى فصرفك عنى ، وقال ابن عيين
يادهر ويحك ما عدا بما بدا أرسلت سهم الحادقات فأقصدا

(٤) القلات : جمع قلة خلاف الكثرة وقد تقدم قوله : حيث الاسلام من
عدوه كالشامة من جلد البعير الخ شبه هذه القلة بالأسود ، « كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثير تباذن الله » أو قلات جمع قلة وهى الجماعة يجتمعون
جما (٥) للمنافر : جمع منفر وهو غطاء للرأس يلبس تحت القلنسوة
فى الحرب (٦) الثكالى : جمع الثكلى وهى التى فقدت ولدها الوحيد

مِنْكُمْ مِنْ حَيْزِ الْإِمْكَانِ ، لَمَقَلْتُمْ^(١) مَقَلَّ الْأَسِنَّةِ
الزُّرْقِ ، حَالَةً مِنْ أَطْرَافِ قَصَبِ الرِّمَاحِ حَمَالًا الْوُزْقِ^(٢) ،
وَأَبْصَرْتُمْ الْقَنَا الْخَطَّارَ قَدْ عَادَ أَخِلَّةً^(٣) ، وَالسُّيُوفَ قَدْ صَارَتْ
فَوْقَ بُدُورِ الْخُودِ^(٤) أَهْلَةً ، وَعَقُودَ الشَّهَادَةِ عِنْدَ قَاضِي
السَّعَادَةِ مُسْتَقِلَّةً^(٥) ، وَكَانَ كَمَا تَحْضُرُهُ عُلُومُكُمْ الشَّرِيفَةُ
حَدَقَ^(٦) سُورِ الْفَتْحِ ، وَآخِرَ وِلَاءِ ذَلِكَ الْمَنْعِ ، عَرِضَ

(١) مقلتم : نظرتم ، مأخوذ من المقله وهي الحديقة وشحمة العين التي تجمع
السود والبياض (٢) شبه أسنة الرماح في أطرافها بالهائم الورق
فوق أطراف النصوص في الارتفاع والحركة والصوت ، وكأن هؤلاء
الفرسان الأسود يطربها عمل الأسنة في الأعداء كما يطرب سجع
الهائم . وأنهم شغلوا عن السماع والطرب بالجهاد والحرب . ويقال
أيضا : نصل أورك وهو الذي برد أو جلى ثم لوح بعد ذلك على
الجر حتى اخضر (٣) رمح خطر : يهتز اهتزازا شديدا . وأخلة : جمع
خلال - : العود الذي يتخلل به ، شبه الرماح بها في دقتها ، وأشار بذلك
أيضا الى أنهم كانوا يوجرون أعداءهم الرماح أى يطعنونهم بها في أفواههم
(٤) الخوذ جمع الخوذة : الغفر (معرب) وفي الأصل خود وهو تحريف .
وجعل السيوف أهلة إشارة لانحنائها وتقوسها من كثرة عملها والضرب بها
وهو من قول الشاعر :

فَأَبَوْا بِالرِّمَاحِ مَكْسِرَاتٍ وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدْ انْحَنَيْنَا

(٥) أى مرتفعة ذاهبة (٦) كذابا لا صلوة بما كان محرطاً عن (خندق) وهو حفير
حول أسوار المدن ، أو تكون محرفاً عن (حرف) أى آخر وطرف ونهاية ،

عَلَى الْفَارُوقِ فَاحْتَاطَ^(٥)، وَأُغْرِيَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُ

(١) احتاط الرجل أخذ في أموره بالأحزم، واحتاط الرجل لنفسه أي أخذ بالثقة، واشتاط واشتطاب : غضب . ويظهر أن هذين الفعلين (احتاط، واشتاط) مبدلان قد وضع كلاهما في مكان الآخر وإن لم يكن ذلك واجبا متعينا فإن الذي غضب عمر والذي أغرى فاحتاط عثمان وذلك أن معاوية بن أبي سفيان ألح على سيدنا عمر في أيام ولايته على الشام أن يأذن له في غزو البحر، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص : صف لي البحر وراكبه فإن نفسى تنازعنى إليه . فكتب إليه عمرو : انى رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير، ان ركن خرق القلوب، وان تحرك أزرع العقول، يزداد فيه اليقين قوة والشك كثرة، ليس الا السماء واللاء، هم فيه كدود على عود، ان مال غرق، وان نجى برق . فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية : لا والذي بئس محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا، وكيف أحمل الجنود في هذا الكافر المستصعب ؟ ! وثاقله لمسلم أحب إلى مما حوت الروم، فإياك أن تمرض لى وقد تقدمت إليك، وقد علمت ما لى العلاء منى ولم أتقدم إليه في مثل ذلك . فلما لى سيدنا عثمان لم يزل به معاوية حتى عزم عثمان على ذلك بأخرة (بعد احتياط وروية وتدبر وتفكير) وقال لمعاوية : لا تنتخب الناس ولا تفرع بينهم، خيرهم فمن اختار الغزو طائفا فاحمله وأعنه . ففعل . فكان معاوية أول من غزا في البحر في زمن عثمان بن عفان، واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الحارثى حليف بنى فزارة فنزاه خمسين غزاة ما بين شاذية وصائفة في البحر . وفى سنة ٢٥ وجه عبد الله بن سعد بن أبي سرح الحيل إلى اللرب، وكان عمرو بن العاص قد بئ قبل ذلك إليه بشا فأصابوا غنائم، وكتب عبد الله إلى عثمان يستأذنه في الغزو إلى إفريقية فأذن له، وفى سنة ٢٧ فتح عبد الله إفريقية وكان عبد الله بن أبي سرح من

فَأَشْطَا ، وَسَرَحَتْ خَيْلُ ابْنِ أَبِي سَرْحٍ ، فِي خَيْرٍ يَدْعُو إِلَى
سَرْحٍ ، حَتَّى إِذَا وَلَدُ مَرْوَانَ تَقَلَّدُوا كُرْهَهَا الَّتِي هَوَتْ ،
وَقَضِمُوا^(١) مَا أَنْضَجَتْ وَرَثَةُ الْحَقِّ وَشَوَتْ ، وَيَدْمُهُمْ عَلَى
الْأَمْرِ اخْتَوَتْ ، وَقَازَتْ مِنْهُ بِمَانَوَتْ ، نَقَلَّ وَلَا يَدُهُ^(٢) الْوَلِيدَ ،

جند مصر فأمره عثمان على جنده وأمدته بالرجال وسرحه الى افريقية
وسرح معه عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحسين
الفهريين وقال لعبد الله بن سعد : ان فتح الله عز وجل غدا افريقية
فلك ما آفاه الله على المسلمين خمس الخس من الغنيمة نفلا ، وأمر العبد بن
على الجند ورماهما بالرجال وسرحهما الى الاندلس ، فأثابها من قبل
البحر ، وخرجوا ومعهم البربر فأتوها من برها وبحرها ففتحها الله على
المسلمين . وفي سنة ٢٨ غزاهما قيرس وغزاها أهل مصر وعليهم عبد الله
ابن سعد بن أبي سرح حتى لقوا معاوية فكان على الناس وصالح أهلها .
وفي سنة ٣٢ غزا معاوية مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة ابنة
قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . وفي سنة ٣٣ غزا عبد الله
ابن سعد بن أبي سرح افريقية مرة ثانية حين قض أهلها العهد . ومات
عثمان سنة ٣٥ وعلى البحر عبد الله بن قيس القزاري - وفي سنة ٥٣
تم فتح جزيرة رودس فتحها جنادة بن أمية الأزدي فزها للمسلمون
وعمروها . « أحمد بن حنبل » . (١) قضم (كسمع) أكل بأطراف أسنانه ،
أو بأطراف أضراره ، أو قضم : أكل يابسا بمقدم الفم (وخضم أكل
رطبا) (٢) جمع وليدة : الجارية والعذبة الصغيرة ، مذكرو وليد ، وفيد
بعضهم بمن يولد في الرق . وتطلق الوليدة على الجارية والأمة والشابة

وَجَلَبَ لَهُ الطَّرِيفَ وَالْتَلِيدَ . وَطَرَفَتْ خَيْلُ طَارِقٍ ، وَصَافَتْ
عَنْ أَخْبَارِهِ الْمَهَارِقُ ^(١) وَجَلَّتِ الْفَائِدَةُ ، وَظَهَرَ عَلَى الذَّخِيرَةِ
الَّتِي مِنْهَا الْمَائِدَةُ ، ثُمَّ أَسْتَرْسَلَ الْمَهَبُ ^(٢) ، وَنَصَرَ الرَّبَّ ،
وَبَكَثَرُ الطَّيْرِ حِينَ يَنْتَرُ الْعَبَّ ^(٣) ، وَصَرَفَتْ أَشْرَافُ
الشَّامِ أَعْيُنَهَا إِلَى التِّمَاسِ خَيْرِهِ ، وَطَارَتْ بِأَجْنَحَةِ الْعَزَائِمِ
تَيْمَنًا بِطَيْرِهِ ^(٤) ، وَقَصَدَتْهُ الْطَّلَاحُ صُحْبَةً بَلِيجِ بْنِ بَشْرِ

وان كانت كبيرة ، وقيل الوليدة : المولودة بين العرب وتسمى أيضا وصيفة -
والوليد : هو الوليد بن عبد الملك بن مروان (١) للهارق : جمع مهرق
وهي الصحيفة (٢) من معاني هب : سار ونشط وأسرع ، ومن المجاز :
هب فلان حيناً ثم قدم ، أى غاب دهرًا ثم قدم - يشير الى توافد العرب
الى بلاد الأندلس (٣) من قول بشر بن برد :

يكثر الطير حيث ينتثر الحب م وتثنى منازل الكرماء
(٤) من المجاز : الطائر والطير : ما تيمنت به أو تشامت ، وأصله في الخناجر ،
والطائر : الحظ والبخت ، تقول العرب : جرى له الطائر بكنا من الخير
أو التشر على طريق القفال والطيرة على مذهبهم في تسمية الشيء ، بما كان
له سببا . والطير اسم من التطير ، ومنه قولهم : لا طير الا طير الله كما يقال :
لا أمر الا أمر الله . وتيمن به : تبرك ، واليمين واليمن : البركة ضد الشؤم

وغيره ، فَتَحَتِ الْأَفْئَالَ ، وَفُتِلَتِ الْأَفْئَالُ^(١) ، وَنَجَحَ
 أَلْفَالُ ، وَوُسِمَتِ الْأَفْئَالُ^(٢) ، وَأَفْتُحَتِ الْبِلَادُ الشَّهِيرَةُ ،
 وَأَتَّقِيَتِ الْعَذَارَى الْخَيْرُ^(٣) ، وَأَقْنِيَتِ الدَّخِيرَةُ ، وَتَجَاوَزَ
 الْإِسْلَامُ الدُّرُوبَ وَخَطَى ، وَخَضَدَ الْأَرْضَى^(٤) ، وَأَزْكَبَ
 وَأَمْطَى ، وَأَسْتَوْتَقَ وَأَسْتَوَطَا ، وَتَنَابَّ وَتَمَطَّى ، حَتَّى
 تَعَدَّدَتْ مَرَاجِلُ الْبَرِيدِ ، وَسَخِنَتْ عَيْنُ الشَّيْطَانِ الْعَرِيدِ^(٥) ،

(١) النفل : القنينة ، ونفله النفل ، ونفله وأنفله : أعطاه إياه ، ونفل الامام
 الجند جعل لهم ماغنموا وسوغهم إياه (٢) جمع غفل : وهو في الأصل مالا
 علامة فيه من القداح والطرق وغيرها وملا عمارة فيه من الأرضين ،
 ومالاسمة عليه من الدواب ، ووسم الشيء : أعلمه بسلامة وأثر فيه أثرا
 (٣) خارت المرأة على صاحبها خيرا وخيرة : فضلتها ، وخار الشيء انتقاء
 واختاره كتحخير ، والحيرة : اسم من اختاره عليهم إذا فضله وآثره ،
 تقول هذه خيري : أى ما اخترته واصطفيته (٤) خضد العود : كسره ،
 وقطعه ، وأصل الخضد : كسر الشيء اللين من غير إيانة له ، وخضد الشجر
 قطع شوكه - والأرطى : شجر ينبت بالرمل شبيه بالتضا ينبت عصيا من
 أصل واحد يطول قدر قامة ورأحته طيبة ، ومنبت الرمل ولهذا أكثر
 شعراء العرب من ذكر نموذ بقرا الوحش بالأرطى ونحوها من شجر الرمل
 واحتقار أصولها لكسوس فيها والتبرد بهامن الحر والانكراس فيها من المطر
 دون شجر الجبل ، لأن الرمل احتقاره سهل ، الانكراس : الاستتار والاتقاء
 (٥) أى علتتمرد ، وسخونة عينه : كناية عن حزنه وكدره بالاندلس
 (٥ - نفع الطيب - ثالث)

وَأَسْتَوْسَقَ ^(١) لِلْإِسْلَامِ مُلْكٌ صَخْمُ الشَّرَاقِ ، مَرْهُوبُ
الْبَوَارِقِ ^(٢) ، رَفِيعُ الْعَمَدِ ، بَعِيدُ الْأَمَدِ ، تَشْهَدُ بِذَلِكَ الْأَنْبَارُ
وَالْأَخْبَارُ ، وَالْوَقَائِعُ الْكِبَارُ ، وَالْأَوْدَاقُ ^(٣) وَالْأَمْطَارُ ،
وَهَلْ يَخْفَى النَّهَارُ ؟ وَلِكُلِّ هُبُوبٍ رُكُودٌ ^(٤) وَاللَّهْرُ
حَسُودٌ لِمَنْ يَسُودُ ، فَرَاغَتِ الْقَرَنُجُ كَرَمَهَا ، وَأَسْتَدْرَكَتْ
مَعَرَمَهَا ، فَدَوَّمَتْ ^(٥) جَوَارِحُهَا وَحَلَقَتْ ، وَأَوَمَصَتْ بَوَارِقَهَا
وَتَأَلَّقَتْ ، وَتَشَبَّثَتْ وَتَمَلَّقَتْ ، وَأَرْسَلَتْ الْأَعِنَّةَ وَأَطْلَقَتْ ،
وَرَاغَمَتِ الْقَقَائِلَ الَّتِي طُلِقَتْ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنَ الْكِتَابِ
إِلَّا الْخَاشِيَةُ ^(٦) ، وَلَا مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا النَّاشِيَةُ ^(٧) ، وَسَقَطَتْ

(١) أى اجتمع وانتظم ، وفى حديث النجاشي : « واستوسق عليه أمر
الحبشة » أى اجتمعوا على طاعته واستقر للكل فيه (٢) السيوف لبريقها
(٣) الودق : للطركه شديده وهينه (٤) أى سكون وثبات ، ويقال ركبت
ريحهم أى زالت دولتهم وأخذ أمرهم يتراجع (٥) دوم الطائر اذا حلق
فى الهواء ، وهو دورانه فى طيره ليرتفع الى السماء . وفى الاصل دوخت وهو
تحريف غير مناسب . « أحمد نجاشي »

(٦) حاشية الكتاب : طرفه وطرفه « وحشى تحشية : اذا كتب على
حاشية الكتاب مواءة ، ثم سمي ما كتب حاشية مجازاً » (٧) مهول من
ناشئة ، وفى التنزيل (ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قبلاً) قيل
هى أول ساعة ، وقيل الناشئة والناشئة اذا نمت من أول الليل نومة ثم قمت

النَّاشِيَةُ^(١) وَأَخْلَدَتْ^(٢) أَلْفَةً^(٣) الْمُتَلَّاشِيَةَ^(٤) ، وَتَلَّصَّتِ
الظَّلَالَ^(٥) النَّاشِيَةَ^(٦) إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَدَارَكَ بِقَوْمٍ رُجَّحٍ مِنْ سَلَفِنَا
أَبْتَتُوا فِي مُسْتَنْقَعِ الْحَرْبِ أَقْدَامَهُمْ^(٧) وَأَخْلَصُوا^(٨) لِلَّهِ بِأَسْهُمٍ
وَإِقْدَامَهُمْ ، وَوَصَلُوا^(٩) سِيُوفَهُمْ الْبَارِقَةَ^(١٠) مُحْطَأَهُمْ^(١١) ، وَأَعْطَاهُمْ

(١) من معاني الناشية: العذاب والعقوبة المجللة، ومنه قوله تعالى: «أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله» أي عقوبة مجللة تعمهم، والناشية: الباهية والناشية: القيامة لأنها تغيى الخلق بأفزعها فتم، وبه فسر قوله تعالى: «هل أتاك حديث الناشية؟» (٢) أخلد إلى الأرض: مال وركن والطمأن إليها وسكن (٣) الضمعة، قيل إن ثلاثي على حتى اعترض التاج الكندي على قول ابن نباتة الخطيب: وبقياً جسوم متلاشية، بأن ثلاثي الشيء بمعنى اضمحل وبطل الاعتداد به لم يرد عن العرب، وقيل كأنها منحوتة من لاشي كبسمل وحمل - وما ورد منه قول الصنوبري:

وثلاثي نضح السموع فناء لك عيني إلا دما نضاحا

وورد في حديث رواه السخاوي من أن معاوية سأل العباس رضي الله عنهما عن أبيه فقال: ثلاث الأعدان عند فضيلته، وتباعدت الأنساب عند ذكر عشيرته الخ (٤) قلص الظل: انقبض وانضم واتزوى. وفشا: انتشر وامتد واتسع (٥) للمستنقع: اللوح يستنقع فيه للواء أي يجتمع، والعبارة مأخوذة من قول أبي تمام في قصيدته للشهيرة يرثي محمد بن حميد الطوسي فأثبت في مستنقع اللوت رجله وقال لها من دون أخمك الحشر

(٦) من قوله:

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا قلما وتلحقها إذا لم تلحق
وهو كناية عن فرط الشجاعة والأقدام

مَنْشُورٌ^(١) أَلِزَّ مَنْ أَعْطَاهُمْ ، حِينَ تَمَّيْنِ^(٢) الدِّينَ وَتَحَيَّرَ ،
وَأَشْتَدَّ بِالْمُدَافَعَةِ وَتَمَيَّزَ ، وَعَادَتِ الْخُرُوبُ سَجَالًا ، وَعَلِمَ
الرُّومُ أَنَّ اللَّهَ رَجَالًا . وَقَدْ أَوْفَدَ جَدْنًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى
أَبْوَابِ سَلَفِكُمْ مِنْ وَقَائِمِهِ فِي الْمَدُونِ كُلِّ مُبَشِّرَةٍ ، وَوُجُوهِ
بِهِ مُسْتَبَشِّرَةٍ^(٣) ضَحِكَتْ لَهَا نُفُورُ النُّفُورِ^(٤) ، وَسَرَتْ بِهَا فِي
الْأَغْطَافِ مُحِيًّا^(٥) السُّرُورَ ، وَكَانَتِ الْمَرَّاجِعَةُ عَنْهَا شِفَاءً
لِلصُّدُورِ ، وَغَمَائِمَ^(٦) فِي دُرَرِ النُّجُورِ ، وَخَفَرًا^(٧) فِي وَجُوهِ
الْبُدُورِ ، فَإِنَّ دِمَامَ^(٨) الْإِسْلَامِ مَوْضُولٌ ، وَفُرُوعُهُ تَجْمَعُهَا

(١) للشهور ما كان غير مخنوم من كتب السلطان ، وهو الشهور بالقرمان
(٢) يصح أن تكون : تبين ، وتخير : تلبث وتمكث ، وشغل حيزا :
أى ناحية (٣) فى الأصل : ووجودية منتشرة ، وهو تحريف (٤) نفور
الأولى موضع التيسم ، والثانية موضع الخافق والحبود (٥) حميا الكاس : سورتها
وشدتها أو اسكارها وبلوغها من شاربها ، وديب الشراب . وحميا الشباب
سورته ونشاطه (٦) أصل التميمية خرزة رقطاء تنظم فى سير أو خيط ثم
يقط فى النقى ، وقال أبو ذؤيب الهذلى :

وإذا النية أنثبت أظفارها ألفت كل تيممة لاتنفع

(٧) الحفر : شدة الحياء ، والفرض هنا لازم الحياء من حمرة الوجه
وتورده ، وإشراقه ونضرتة (٨) أى حق وحرمة وعهد

فِي اللَّهِ أُصُولٌ ، وَمَا أَقْرَبَ الْحَزَنَ مِمَّنْ دَارُهُ صَوْلٌ^(١) ،
وَالْمَلَّةُ سَوَالِمَةٌ لِلَّهِ سَوَاحِدَةٌ ، وَالنَّفْسُ لَا مُنْكَرَةَ لِلْحَقِّ وَلَا
جَاحِدَةً ، وَالْأَقْدَارُ مَعْرُوفَةٌ ، وَالْأَمَالُ إِلَى مَا يُوَصِّلُ إِلَى اللَّهِ
مَصْرُوفَةٌ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ^(٢) الْإِسْتِدْعَاءُ ، أَمَكَنَ الدُّعَاءُ ،
وَالْحَوَاطِرُ فَمَّالَةٌ ، وَالْكُلُّ عَلَى اللَّهِ عَالَةٌ ، وَالَّذِينَ غَرِيبٌ
وَالْغَرِيبُ يَحِينُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَالْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ عَلَى بُعْدِ عَمَلِهِ .
انْتَهَى الْمَقْصُودُ مِنَ الْمُحَاطَبَةِ بِمَا تَعَلَّقُ بِهَذَا الْبَابِ ،
وَاللَّهُ الْمُوَقِّتُ لِلصَّوَابِ .

(١) مثل ، وهو من قول حنبل الرى من أبيات :

ما أقدر الله أن يلقى على شحط من داره الحزن من داره صول
وصول مدينة في بلاد الحزر في نواحي باب الأبواب (دربند) قرب بحر
قزوین ، والحزن : التليظ من الأرض ، وفي بلاد العرب بضعة حزون ، منها
طريق بين المدينة وخيبر ، والحزن : بلاد يربوع وهي من أطيب البادية
مرعى (٢) يمكن أن تكون محرفة عن (يمكن) . « أحمد نجاني » .



« الْبَابُ الثَّلَاثُ »

فِي سَرْدِ بَعْضِ مَا كَانَ لِلدِّينِ بِالْأَنْدَلُسِ مِنَ الْعِزِّ مكانة الدين
بالأندلس
السَّامِيِّ الْعِمَادِ ، وَالْقَهْرِ فِي الرِّوَاكِ وَالنُّدُوِّ وَالتَّحَرُّكِ
وَالْهُدُوِّ وَالْإِزْتِيَاكِ الْبَالِغِ غَايَةَ الْآمَادِ ^(١) ، وَإِعْمَالِ أَهْلِهَا
لِلْجِهَادِ بِالْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ فِي الْجِبَالِ وَالْوَهَادِ ^(٢) ، بِالْأَسِنَّةِ
الْمُشْرِعَةِ ^(٣) وَالسُّيُوفِ الْمُسْتَلَّةِ مِنَ الْأَعْمَادِ .



« أَقُولُ » قَدْ قَدَّمْنَا فِي الْبَابِ قَبْلَ هَذَا مَا كَانَ مِنْ
نَصْرِ الْمُسْلِمِينَ وَفَتْحِهِمُ الْأَنْدَلُسَ وَمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ
الْسُّلْطَانِ بِهَا إِلَى مَجِيءِ الدَّخِيلِ ، فَتَقَرَّرَتِ الْقَوَاعِدُ
الْسُّلْطَانِيَّةُ ، وَعَلَتِ الْكَلِمَةُ الْإِيمَانِيَّةُ ، كَمَا نَسَرَدُهُ هُنَا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) الآماد : التاليات (٢) الوهاد : جمع وهدة وهي اللطمن من الأرض
والكلان للنخفص (٣) شرع الرمح وأشرعه : سنده



« وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ابْنَ حَزْمٍ : أَنَّ دَوْلَةَ ^{زوالملك بنى} ^{أمية} بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ كَانَتْ أَنْبَلَ دُولِ الْإِسْلَامِ وَأَنْكَاهَا ^(١) فِي الْمَدُونِ ، وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْعِزِّ وَالنَّصْرِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ كَمَا سَتَرَى بَعْضُهُ .

« وَأَصْلُ هَذِهِ الدَّوْلَةِ » كَمَا قَالَ ابْنُ خَلْدُونٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَمَّا تَزَلَّ بِهِمْ بِالْمَشْرِقِ مَا تَزَلَّ ، وَغَلِبَهُمْ بَنُو الْعَبَّاسِ عَلَى الْخِلَافَةِ ، وَأَزَالُوا عَنْ كُرْسِيِّهَا ، وَقَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ آخِرَ خُلَفَائِهِمْ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، وَتَتَبَعَ بَنِي مَرْوَانَ بِالْقَتْلِ فَطَلَبُوا بَطْنَ الْأَرْضِ ^(٢) مِنْ بَعْدِ ظَهْرِيهَا ، وَكَانَ يَمُنُّ أَفْلَتَ ^(٣) مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامٍ

(١) نكح المدونكى فيه اذا أصاب منه وقتل فيه وجرح فوهن لذلك

(٢) كناية عن شدة الاختفاء والاستتار (٣) الافلات: التخلص من الشيء

ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَكَانَ قَوْمُهُ يَتَحَيَّنُونَ ^(١) لَهُ
مُلْكًا بِالْمَغْرِبِ ، وَيَرَوْنَ فِيهِ عَلَامَاتٍ لِدَلِكِ يَأْتُرُونَهَا ^(٢)
عَنْ مُسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ^(٣) ، وَكَانَ هُوَ قَدْ سَمِعَهَا مِنْهُ
مُشَافَهَةً ، فَكَانَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِذَلِكَ ، فَخَلَصَ إِلَى الْمَغْرِبِ
وَتَرَكَ عَلَى أَخْوَالِهِ نَفْزَةً ^(٤) مِنْ بَرَابِرَةِ طَرَابُلُسَ ، وَشَعَرَ بِهِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَبِيبٍ ^(٥) ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ ابْنِي الْوَلِيدِ بْنِ
يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا دَخَلَ إِفْرِيقِيَّةَ - فَلَحِقَ بِمُعِيَّةَ ^(٦)

(١) يتحنيون : ينتظرون (٢) أي ينقلونها (٣) كان مسلمة من
أشجع بني أمية وأخبرهم بالحرب وكان قائدا مظفرا وغازيا منصورا
وكانت له وقائع عظيمة في أكثر غزوات بني أمية وحروبهم . ولى الكوفة
والبصرة والعراق في زمن أخيه يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٢ وعزل عنه
سنة ١٣٧ وفرغ للفرز والجهاد (٤) نفزة قبيلة مشهورة من قبائل البربر
الذين بالمغرب ، ومنهم للننرين سعيد البلوطي النفزي . وفي الأصل (نفرة)
بالراء الهمزة وهو تصحيف (٥) عبد الرحمن بن حبيب بن عقبة بن نافع
القمي ، وتقدمت ترجمته (٦) من قبائل البربر أيضا ، وهناك قبائل من
البربر سميت بها أما كنزلوا بها منها نفزة ومغيلة وهواردة وصنهاجة وكنتامة
ومكناسة ، ونفزة قرية بالقة منها ابن أبي العاص النفزي شيخ الشاطبي ،
وجيه الدين موسى بن محمد النفزي محدث مات بمصر . ومغيلة إقليم من
أعمال شنونة . ومكناسة مدينة بالمغرب بينها وبين مراكش ١٤ مرحلة
نحو الشرق ، ومنها إلى فاس مرحلة واحدة ، وبالمغرب بلدة أخرى مشهورة
يقال لها مكناسة الزيتون حصينة مكنية في طريق اللار من فاس إلى سلا

وَقِيلَ يَكْنَسَةُ ^(١) ، وَقِيلَ بِقَوْمٍ مِنْ زِنَانَةٍ ^(٢)
فَأَحْسَنُوا قَبُولَهُ ، وَأَطْمَأَنَّ فِيهِمْ ، ثُمَّ لَحِقَ بِمَلِيلَةٍ ^(٣) وَبِمَتَّ
بَدْرًا مَوْلَاهُ إِلَى مَنْ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ مَوَالِي الْمَرْوَانِيِّينَ
وَأَشْيَاعِهِمْ ، فَاجْتَمَعَ بِهِمْ وَبَثُّوا لَهُ فِي الْأَنْدَلُسِ دَعْوَةً ،
وَنَشَرُوا لَهُ ذِكْرًا ، وَوَافَقَ قُدُومُهُ مَا كَانَ مِنَ الْإِخْوَانِ ^(٤)
بَيْنَ الْيَمِينَةِ وَالْمُضَرِّيَةِ ، فَاصْفَقَتِ ^(٥) الْيَمِينَةُ عَلَى أَمْرِهِ ،
لِكَوْنِ الْأَمْرِ كَانَ لِيُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيِّ
وَصَاحِبِهِ الصَّمِيلِ ، وَرَجَعَ بَدْرُ مَوْلَاهُ إِلَيْهِ بِالْخَبَرِ فَأَجَازَ

على شاطئ البحر كان فيه مرمى للمراكب ومنها تجلب الحنطة الى
شرق الاندلس - ومكناسة أيضا حصن بالاندلس من أعمال ماردة
(١) قبيلة عظيمة من البربر وكان لهم بالاندلس رياسة وكثرة وخرج منهم
على عبد الرحمن الداخل شقناب بن عبد الواحد سنة ١٥١ وكانوا من أهل مواطن
ملوية ومليلة وغيرهما من المدن (٢) زنانة بكسر الزاي ، وقد تفتح ، قبيلة
عظيمة بالغرب وجبل قديم العهد فيه ذوايا وقوة ومنعة وهم بطون كثيرة
متفرقون في اللواتن ، وهم الذين اختطوا مدينة تلمسان - ومنهم بنو مرن
وهم أكثرهم عددا وأقواهم سلطانا وملكا وأعظمهم دولة ، ومنهم بنو
عبد الواد يلونهم في الكثرة والقوة ، وبنو توجين من بعدهم . وزنانة
ناحية بسرقطة (٣) مليلة مدينة بالغرب قريبة من سبتة على ساحل
البحر (٤) الاخن : الاحقاد والعداوة ، جمع احنة (٥) أي أجمعت واتفقت

الْبَحْرَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ فِي خِلَافَةِ أَبِي جَعْفَرٍ
الْمَنْصُورِ ، وَتَرَلَّ بِسَاحِلِ الْمُنْكَبِ ^(١) ، وَأَتَاهُ قَوْمٌ مِنْ
أَهْلِ إِشْبِيلِيَّةَ فَبَايَعُوهُ ، ثُمَّ أُنْقَلَ إِلَى كُورَةَ رَدَّةَ ^(٢) ،
فَبَايَعَهُ عَامِلُهَا عَيْسَى بْنُ مُسَاوِرٍ ، ثُمَّ إِلَى شَذُونَةَ ^(٣) ،
فَبَايَعَهُ عَتَابُ بْنُ عَلْقَمَةَ اللَّخْمِيُّ ، ثُمَّ إِلَى مَوْزُورَ ^(٤) فَبَايَعَهُ
أَبْنُ الصَّبَاحِ ^(٥) ، وَهَدَّ ^(٦) إِلَى قَرْطَبَةَ ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ
الْيَمِينَةُ ، وَبَنِي خَبَرَهُ إِلَى وَالِي الْأَنْدَلُسِ يُوسُفَ بْنَ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَهْرِيِّ - وَكَانَ غَازِيًا بِجِلْقِيَّةَ - فَأَنْقَضَ

(١) تقدم التعريف به (٢) رية : كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة
الحضراء وهي قبلى قرطبة (٣) مدينة وكورة تصل بكورة موزور
وهي منحرفة عن موزور الى الغرب مائة الى القبلية وغربى قرطبة ،
منها عتاب بن هرون بن عتاب بن بشر بن أيوب الشافى الشذوفى
توفى سنة ٣١٨ ، وفى الأصل (شذونة) بالبال للهملة وهو تحريف
(٤) موزور : كورة تصل أعمالها بأعمال قرمونة وهي من قرطبة بين
الغرب والقبلية كثيرة الزيتون والفواكه بينها وبين قرطبة عشرون
فرسخا ، ينسب اليها عبدالسلام بن السمح بن نائل بن عبد الله المرادى
للموزورى المحدث القنوى توفى بقرطبة سنة ٣٨٧ . وفى الأصل موزور
بالراء للهملة محرفة (٥) اسمه يحيى بن يحيى (٦) نهد بالامر : نهض به
ومضى فيه ، ونهد لهدوه : صمد لهم وشرع فى قتالهم

عَسْكَرُهُ وَرَجَعَ إِلَى قُرْطَبَةَ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ وَزِيرُهُ الصَّمِيلُ بْنُ
حَاتِمٍ بِالْتَّلَطُّفِ لَهُ وَالْمَكْرِ بِهِ لِكَوْنِهِ صَغِيرَ السِّنِّ
حَدِيثَ عَهْدٍ بِنِعْمَةٍ ، فَلَمْ يَتِمَّ مَا أَرَادَهُ ، وَأَرْتَحَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
مِنَ الْمُنْكَبِ فَاحْتَلَّ بِمَالِقَةَ فَبَالَعَهُ جُنْدُهَا ، ثُمَّ بَرِئْدَةً ^(١)
ثُمَّ بِشَرِيشَ ^(٢) كَذَلِكَ ، ثُمَّ بِأَشْبِيلَةَ ، فَتَوَافَتْ إِلَيْهِ
جُنُودُ الْأَمْصَارِ ، وَتَسَايَلَتْ ^(٣) الْمَصْرِیَّةُ إِلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ
يَبْقَ مَعَ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ غَيْرُ الْفَهْرِيَّةِ وَالْقَيْسِيَّةِ
لِمَكَانِ الصَّمِيلِ مِنْهُ زَحَفَ حِينَئِذٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلُ
وَنَاجَزَهُمْ ^(٤) الْحَرْبُ بِظَاهِرِ قُرْطَبَةَ ، فَانْكَشَفَ يُوسُفُ
وَلَجَأَ إِلَى غُرْنَاطَةَ فَتَحَصَّنَ بِهَا ، وَاتَّبَعَهُ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
فَنَازَلَهُ ، ثُمَّ رَغِبَ إِلَيْهِ يُوسُفُ فِي الصُّلْحِ ، فَقَعَدَ لَهُ

(١) رنْدَة : معقل حصين على نهر جاربين أشبيلية ومالقة . منها خطيبها
البلغ للفقهاء عبيد الله بن عاصم القيسي الرندي توفى سنة ٦٤٩ (٢) مدينة
كبيرة على الوادي الكبير منها كانت قاعدة كورة شنونة ، قال مؤرخو
الاندلس : هي بنت أشبيلية وواديها وادبها منها شارح مقامات الحريري
أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي ، ومنها جمال الدين محمد بن
أحمد بن محمد بن عبد الله دخل مصر وتوفى سنة ٦٨٨ (٣) تسايملت الخ : جاءت
من كل ناحية (٤) ناجزهم : بارزهم وقاتلهم ، ويقال تناجر القوم أي
تسافكوا دماهم كأنهم أسرعوا في ذلك وأنجزوه

عَلَى أَنْ يَسْكُنَ قُرْبُطَةَ ثُمَّ أَقْفَلَهُ مَعَهُ ، ثُمَّ تَقَضَّى يُوسُفُ
عَهْدَهُ وَخَرَجَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ وَلَحِقَ بِطَلِيطَةَ ،
وَأَجْتَمَعَ إِلَيْهِ زُهَاءُ عَشْرِينَ أَلْفًا مِنَ الْبُرْبُرِ ، وَقَدَّمَ الْأَمِيرُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِلْقَائِدِ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ الْعُرَوَاتِيَّ ، وَكَانَ
وَقَدْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَشْرِقِ ، وَكَانَ أَبُوهُ عُمَرُ بْنُ ^(١) مَرْوَانَ بْنِ
الْحَكَمِ فِي كِفَالَةِ أَخِيهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بِعَصَرِ .

فَلَمَّا دَخَلَتِ الْمُسَوَّدَةُ أَرْضَ مِصْرَ خَرَجَ عَبْدُ الْمَلِكِ
يَوْمَئِذٍ الْأَنْدَلُسَ فِي عَشْرَةِ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ مَشْهُورِينَ بِالْبَأْسِ
وَالنَّجْدَةِ ، حَتَّى تَزَلَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ ،
فَمَقَدَّ لَهُ عَلَى إِشْبِيلِيَّةَ ، وَلَإِنِّهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى
مُوزُورَ ، وَسَارَ يُوسُفُ إِلَيْهِمَا ، وَخَرَجَا إِلَيْهِ وَلَقِيَاهُ ،
وَتَنَاجَزَا الْفَرِيقَانِ فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ ^(٢) عَلَى يُوسُفَ ، وَأَبْعَدَ

التمديد للطلان
بني مروان
بالأندلس

- (١) توفي سنة ١١٥ ومن ذريته بالأندلس عبد الله بن الحسن (أو الحر)
ابن سعيد بن بشر بن عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم توفي
بالأندلس قريبا من سنة ٣١٠ - وعبد الملك بن عمر بن مروان يلقب
قصد بني أمية وهو الذي كان سبب قطع الدعوة العباسية بالأندلس
(٢) البائرة : كناية عن القلبة والتغير .

الْمَقَرَّ، وَاعْتَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ بِنَاحِيَةِ طُلَيْطَلَةَ وَأَخَذَ
رَأْسَهُ وَقَدَّمَ بِهِ إِلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَاسْتَقَامَ أَمْرُهُ،
وَأَسْتَقَرَّ بِقَرْطَبَةَ، وَبَنَتْ قَدَمُهُ فِي الْمَلِكِ، وَبَنَى الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ
وَالْقَصْرَ بِقَرْطَبَةَ، وَاتَّفَقَ فِيهِ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَمَاتَ
قَبْلَ تَمَامِهِ، وَبَنَى مَسَاجِدَ. وَوَقَدَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ
يَتِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَكَانَ يَدْعُو لِلْمَنْصُورِ ثُمَّ قَطَعَ
دَعْوَتَهُ، وَمَهَّدَ الدَّوْلَةَ بِالْأَنْدَلُسِ، وَأَثَّلَ^(١) بِهَا الْمَلِكَ الْعَظِيمَ
إِبْنِي مَرْوَانَ وَالسُّلْطَانَ الْعَزِيزَ، وَجَدَّدَ مَا طَمَسَ لَهُمْ
بِالْمَشْرِقِ مِنْ مَعَالِمِ الْخِلَافَةِ وَأَثَارِهَا، وَأَسْتَلْحَمَ^(٢) الثَّوَارَ
عَلَيْهِ عَلَى كَثَرَتِهِمْ فِي النَّوَاحِي، وَقَطَعَ دَعْوَةَ آلِ الْمُبَاسِ
مِنْ مَنَابِرِ الْأَنْدَلُسِ، وَسَدَّ الْمَذَاهِبَ مِنْهُمْ دُونَهَا، وَهَلَكَ
سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً. وَكَانَ يُعْرِفُ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ
الِدَاخِلِ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ دَاخِلٍ مِنْ مُلُوكِ بَنِي مَرْوَانَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ.

(١) أثَّل : أصل وثبت (٢) استلحم الثوار الخ تبعهم وأرهمهم في القتال ،
واستلحم الرجل إذا احتوشه العدو في القتال ، واستلحمه الخطب : نسب
فيه

وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ يُسَمِّيهِ صَقْرَ قُرَيْشٍ، لِمَا رَأَى أَنَّهُ
فَعَلَ بِالْأَنْدَلُسِ مَا فَعَلَ، وَمَا رَكِبَ إِلَيْهَا مِنَ الْأَخْطَارِ، وَأَنَّهُ
نَهَدَ إِلَيْهَا مِنْ أُنَايِ دِيَارِ الْمَشْرِقِ، مِنْ غَيْرِ عَصَابَةٍ وَلَا أَنْصَارٍ،
فَقَلَّبَ أَهْلَهَا عَلَى أَمْرِهِمْ، وَتَنَاولَ الْمُلْكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ بِقُوَّةٍ
شَكِيَّةٍ ^(١) وَمَضَّاءَ عَزْمٍ، حَتَّى انْقَادَ لَهُ الْأَمْرُ، وَجَرَى عَلَى
أَخْتِيَارِهِ، وَأَوْرَثَهُ عَقِبَهُ. وَكَانَ يُسَمَّى بِالْأَمِيرِ، وَعَلَيْهِ جَرَى
بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ، فَلَمْ يُدْعَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَأْدِيبًا
مَعَ اخِلَافَةِ بَعْقَرِ الْإِسْلَامِ وَمُتَنَدِي الْعَرَبِ، حَتَّى كَانَ مِنْ
عَقِبِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ - وَهُوَ ثَامِنُ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ -
فَتَسَمَّى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا سَنَدَ كُرُّهُ، لِمَا رَأَى مِنْ ضَعْفِ
خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ بَعْدَ الثَّلَاثِيَّةِ وَغَلْبَةِ الْأَعْلَاجِ عَلَيْهِمْ،
وَكُونِهِمْ لَمْ يَتْرُكُوا لَهُمْ غَيْرَ الْأَسْمِ، وَتَوَارَثَ التَّلْقِيبُ

(١) الشكيمة : الانفة والانتصار من الظلم وقوة القلب ، وفلان شديد
الشكيمة أى قوى النفس أى أنف (وأصله من شكيمة الجحش وهي
الحديدة للعرضة فى فم الفرس فيها الفأس ، وفأس الجحش هى الحديدة
القائمة فى الشكيمة) وفلان ذو شكيمة اذا كان ذا عارضة وحيدة صارما
لا يتقاد حازما

بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَنُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ.



ملك بنى عبد
الرحمن

« قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : وَكَانَ لِبْنِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخِلِ
بِالْمَدُونَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ مُلْكٌ ضَخْمٌ وَدَوْلَةٌ مُتَّسِعَةٌ اتَّصَلَتْ
إِلَى مَا بَعْدَ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ ، وَعِنْدَ مَا شُغِلَ الْمُسْلِمُونَ
بِبَعْدِ الرَّحْمَنِ وَتَهْمِيدِ أَمْرِهِ قَوَى أَمْرُ الْجَلَالِقَةِ وَاسْتَفْجَلَ
سُلْطَانُهُمْ ، وَعَمَدَ فَرْوِيلَةُ بْنُ أَذْفُونَشَ مَلِكُهُمْ إِلَى ثُورِ
الْبِلَادِ فَأَخْرَجَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا وَمَلَكَهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ
فَمَلَكَ مَدِينَةَ لُكَّ^(١) وَبُرْبُقَالَ^(٢) وَسَمُورَةَ^(٣) وَقَشْتَالَةَ^(٤)

(١) مدينة من أعمال فحمص البلوط Luque (٢) Porto مدينة هي
الآن عاصمة الاقليم المعروف للسمى بهذا الاسم على بعد نحو ٢٧٥ كيلو
مترا من أشبونة أولشبونة شمالا ، وقد كان لهذه المدينة شأن عظيم في
أيام العرب ، وقد كانوا يجيئونها قاصحين ثم يجوزونها الى غيرها من البلاد
ولم ترسخ أقدامهم فيها ولهذا لم يتركوا بها آثارا تذكر ، وكان للنصور
ابن أبي عامر قد دمرها وظلت خرابا مدة طويلة « نحو ٨٠ سنة » (٣) مدينة
في وسط اسبانيا الشمالى من اقليم ليون التى كان يشمل مدنا كثيرة منها
سمورة وسلمنقة وقلورية وغيرها (٤) قشتالة اسم لاقليم عظيم كانت
قصبته طليطلة . وقد كونت بقية العنة اللاجئة الى صخرة جليقية مملكة
قشتالة ثم كانوا سببا فى اخراج المسلمين من جليقية وهى قشتالية ،
وآل الامر الى أن كان ملوك غرناطة يسطون الجزيرة عن يد الملوك قشتالة

وَشَقَوِيَّةٌ^(١)، وَصَارَتْ لِلْجَلَالَةِ، حَتَّى افْتَحَهَا الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي
عَامِرٍ آخِرَ الدَّوْلَةِ، ثُمَّ اسْتَعَادُوهَا بَعْدَهُ فِيمَا اسْتَعَادُوا مِنْ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ، وَاسْتَوَلَوْا عَلَى جَمِيعِهَا حَسْبَمَا يَذْكُرُ وَلِلَّهِ سُبْحَانَهُ
الْأَمْرُ. انْتَهَى

* *

وَخَاطَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَارِلَةَ مَلِكِ الْإِفْرَنْجِ، وَكَانَ
مِنْ طُفَاةِ الْإِفْرَنْجِ بَعْدَ أَنْ تَمَرَّسَ^(٢) بِهِ مُدَّةً، فَأَصَابَهُ

عاطفة عبد الرحمن
ملك الفرنج

زمنًا طويلاً وكانت ملكتهم قد اتسعت رقعتها فضارت ملكة عظيمة ذات
علامات فيسحة تشتمل على طليطلة وقشتالة وأشبيلية وبلنسية وقرطاجنة
وجيان وجليقية وسائر أعمالها. (١) Ségovie هي من قشتالة في الحد
للتوسط من إسبانيا ما بين الجنوب والغرب ومنه مدينة طليطلة وطلبيرة
ومريد وأقلش ومكادة ووبنة وشقوية، ولم تلبث هذه الجهات بعد أن
ملكها الإفرنج، بل انتهت سنة ١٤٠٠ مات الأدفونس ملك جليقية وملك
بعده ابنه وكان أشجع من أبيه وأحسن سياحة للملك وضبط له فقوى
أمره وعظم سلطانه وأخرج للمسلمين من ثغور البلاد وملك هذه اللدائن:
لك، وبرتمال، وشلنقة، وسمورة، وشقوية، وغيرها من معظم أقاليم
قشتالة العظيم. ولما آل أمر بقايا العرب بالأندلس إلى الاضمحلال والضعف
تناسوا لغتهم وأسلبيها وطفعت عليهم العجمة الإفرنجية حتى كان منهم (الدون
عيسى دوجار) الفقيه الأكبر بجامع شقوية سنة ١٤٦٢ م بل إنه ألف
كتاباً في الفقه الإسلامي باللغة الأسبانية وطبعته جمعية التاريخ الملكية
بمريد سنة ١٨٥٣ (٢) تمرس به: احتك وتمسح، ويقال فلان يتمرس
في أي يتعرض لى بالأذى والشر قال الشاعر:

صَلْبٌ^(١) الْمَكْسِرِ ، تَأَمَّ الرُّجُؤِيَّةَ فَمَالَ مَعَهُ إِلَى الْمُدَارَاةِ ،
وَدَعَاهُ إِلَى الْمُصَاهَرَةِ وَالسَّلَامِ ، فَأَجَابَهُ السَّلَامَ وَلَمْ يَتِمَّ الْمُصَاهَرَةُ .
قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : وَلَمَّا أَلْقَى الدَّاخِلُ الْأَنْدَلُسَ تَفَرَّقَ قَاصِبًا غَفْلًا^(٢)
مِنْ حَلِيَّةِ الْمَلِكِ عَاطِلًا أَرْهَفَ^(٣) أَهْلَهَا بِالطَّاعَةِ السُّلْطَانِيَّةِ ،
وَحَكَّمَهُم بِالسِّيَرَةِ الْمُلُوكِيَّةِ ، وَأَخَذَهُمْ بِالْأَدَابِ ، فَأَكْسَبَهُمْ
عَمَّا قَلِيلٍ الْمُرُوءَةَ ، وَأَقَامَهُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ^(٤) ، وَبَدَأَ قَدَوْنَ
الدَّوَاوِينَ ، وَرَفَعَ الْأَوَاوِينَ^(٥) ، وَفَرَضَ الْأَعْطِيَّةَ ، وَعَقَدَ

وأحمق غريص عليه غضاضة تمرس في من حينه وأنا الرقم
وتارسوا في الحرب : تضرلوا ، والممارسة : شدة علاج الشيء ومزاوته .
وفلان قد تمرس بالنوابب والحصومات اذا مارسها ، وما بفلان
متمرس : اذا كان شجاعا لا ينال العدو منه . (١) يقال : فلان
صلب للكسر ، وصلب العود وصلب للماجم اذا كان قويا شديدا لا يستهان
به ولا يطمع فيه . وفي الأصل صلب الكسر ، محرفة (٢) غفلا : خاليا مجردا
(٣) رهف : رق ولطف (٤) الطريقة : الحال والسيرة والذهب وكل
مسلك يسلكه الانسان في فعل محمودا كان أو مذموما ، تقول فلان على
طريقة حسنة ، وعلى طريقة سيئة ، وللراصدنا الحال الحسنة ، وقوله تعالى :
(وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا) أى على طريقة الهدى
وجاءت معرفة بال على التفخيم (٥) الأواوين : جمع ايوان : السفة العظيمة
كالأزج ، فارسي . ومنه ايوان كسرى ، وفي الحكم الايوان : شبه أزج غير
ممدود الوجه . وهو المسمى بالعمية « لوان » والأزج : بيت بيني طولاً
(٦ - قمع الطيب - ثالث)

الْأَوَّلِيَّةَ، وَجَنَّدَ الْأَجْنَادَ، وَرَفَعَ الْعِمَادَ^(١)، وَأَوْثَقَ^(٢) الْأَوْتَادَ.
فَأَقَامَ لِلْمَلِكِ آلَتَهُ، وَأَخَذَ لِلسُّلْطَانِ عُدَّتَهُ، فَأَعْتَرَفَ لَهُ
بِذَلِكَ أَكْبَادُ الْمُلُوكِ، وَحَذَرُوا جَانِبَهُ، وَتَحَامَوْا حَوَازَتَهُ^(٣).
وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ دَانَتْ لَهُ بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ، وَأُسْتُقِلَّ لَهُ الْأَمْرُ
فِيهَا. فَلِذَلِكَ مَا ظَلَّ عَدُوَّهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ بِصِدْقِ
حِسِّهِ، وَبُعْدِ غَوْرِهِ^(٤)، وَسَعَةِ إِحْاطَتِهِ، يَسْتَرْجِعُ^(٥) عَبْدُ الرَّحْمَنِ
كَثِيرًا وَيَعْدِلُهُ بِنَفْسِهِ، وَيُكْثِرُ ذِكْرَهُ، وَيَقُولُ: لَا تَعْجَبُوا
لِامْتِدَادِ أَمْرِنَا مَعَ طُولِ مِرَاسِهِ، وَقُوَّةِ أَسْبَابِهِ، فَالْشَّانُ فِي

(١) العِمَاد: الأبنية الرفيعة جمع عمادة، ورجل رفيع العِمَاد: أى سيد
شريف (٢) أوثق وقوى، والجملة كناية عن احكام الامور وثبيت
دعائم الدولة على أسس قوية ورفع قواعد الملك على بناء وطيء، ويقال
وتد فلان رجله فى الأرض اذا ثبته، قل بشار:

ولقد قلت حين وتد فى الأرض ض تبير أرى على شملان

وتد الرجل فى بيته: أقام وثبت، وتدد الزرع: طلع نباته فثبت وقوى
(٣) حوزة الرجل: ما فى حيزه وملكه، والحوزة: الناحية. يقال فلان
مانع حوزته: أى لما فى حيزه، وحى أبو بكر حوزة الاسلام: أى حدوده
ونواحيه، والحوزة: بيضة للملك وحرمانه (٤) رجل يبيد النور: أى سديد
الرأى جيده عميق التفكير يبيد التنظر واسع الحيلة (٥) يسترجع الخ:
يعده. راجحاً رزينا عقلاً.

أَمَرَ قَتَى قُرَيْشٍ الْأَخُوذَى^(١) أَلْفَذَّ^(٢) فِي جَمِيعِ شُؤُونِهِ ،
وَعَدَمِهِ لِأَهْلِهِ وَنَشَبِهِ^(٣) ، وَتَسْلِيهِ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ بَعْدَ مَرَقٍ
هَمَّتْ ، وَمَضَاءَ عَزِيَّتِهِ ، حَتَّى قَذَفَ نَفْسَهُ فِي لُجَجِ الْمَهَالِكِ
لِإِبْنَاءِ عَجْدِهِ ، فَاقْتَحَمَ جَزِيرَةَ شَاسِعَةِ الْمَحَلِّ ، نَائِيَةَ الْمَطْمَعِ ،
عَصِيَّةَ الْجُنْدِ ، ضَرَبَ بَيْنَ جُنْدِهَا بِخُصُوصِيَّتِهِ ، وَقَمَعَ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضِ بَقْوَةِ حِيلَتِهِ ، وَأَسْتَمَالَ قُلُوبَ رَعِيَّتِهَا بِقَضِيَّةٍ^(٤) سِيَاسَتِهِ
حَتَّى اتَّقَادَ لَهُ عَصِيَّتُهُمْ ، وَذَلِكَ لَهُ أَيْبُهُمْ ، فَاسْتَوَى فِيهَا عَلَى
أَرِيكَتِهِ^(٥) ، مَلِكًا عَلَى قَطِيعَتِهِ^(٦) ، قَاهِرًا لِأَعْدَائِهِ ، حَامِيًا

(١) الأخوذى : الشمر فى الأمور القاهر لها لا يشذ عليه شئ ، ومن يسوق الأمور أحسن مساق لملعه بها ، والرجل الحاد الخفيف فى أمور الحسن السياق لها . والحادق السريع فى كل ما أخذه (٢) الفذ : الفرد العديم النظير (٣) النشب : اللال الأصل من الناطق والصامت ، والمقار ، وأكثر ما يستعمل فى الأشياء الثابتة التى لا يروح بها كاليدور والضياع ، واللال أكثر ما يستعمل فيها ليس بثابت كالبراهم والدنانير . (٤) كذا بالأصل : وربما كانت محرفة عن كلمة أخرى مثل : فيصل ، فصل ، فضيلة -- والخصوصية : الفضل والليزة . والخصوص التفرد ببعض الشئ . مما لا تشارك فيه الجملة . والفصل : القضاء بين الحق والباطل كالفيصل . والقضية : القضاء والحكم (٥) الأريكة فى الأصل سرير فى حجرة من دونه ستر ، أو كل ما يستر عليه من ستر أو فراش أو منصة ، والرداد كرسى للملكة (٦) القطيعة فى الأصل طائفة من أرض الخراج ،

لِدِمَارِهِ ^(١) مَا نِمَا لِحَوَازَتِهِ ، خَالِطًا الرُّغْبَةَ إِلَيْهِ بِالرُّهْبَةِ مِنْهُ ،
 إِنَّ ذَلِكَ لَهُوَ الْفَتَى كُلُّ الْفَتَى ، لَا يَكْذِبُ مَادِحُهُ . وَجَعَلَ
 ابْنُ حَيَّانَ مِنْ التَّوَادِرِ الْعَجِيبَةِ مُوَافَقَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا
 لِأَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ فِي الرُّجُومِ ^(٢) ، وَالْإِسْتِيلَاءِ وَالصَّرَامَةِ
 وَالْإِجْبَاءِ عَلَى الْكِبَائِرِ وَالْقَسَاوَةِ ، فَإِنَّ أُمَّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
 بَرَبْرِيَّةٌ . وَكَانَ الدَّاخِلُ يَقْعُدُ لِلْعَامَّةِ وَتَسْمَعُ مِنْهُمْ . وَيَنْظُرُ
 بِنَفْسِهِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَيَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ مَنْ أَرَادَهُ مِنَ النَّاسِ ، فَيَصِلُ
 الضَّعِيفُ مِنْهُمْ إِلَى رَفْعِ ظُلَامَتِهِ إِلَيْهِ دُونَ مَشَقَّةٍ . وَكَانَ مِنْ
 عَادَتِهِ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ أَذْرَكَ وَقْتَ طَعَامِهِ ،
 وَمَنْ وَافَقَ ذَلِكَ مِنْ طُلَّابِ الْحَوَائِجِ أَكَلَ مَعَهُ .



« وَفِي كِتَابِ ابْنِ زَيْدُونَ » أَنَّهُ كَانَ أَضْهَبَ ^(٣) خَفِيفَ
 الْعَارِضِينَ ، وَجْهَهُ خَالٍ ، طَوِيلَ الْقَامَةِ ، نَحِيفَ الْجِسْمِ ، لَهُ

ومف عبد
الرحمن الناصر

والإقطاع يكون تملكا وغير تملك ، والترض هنا مملكته (١) النصار :
 كل ما يازم للرء حمايته وحفظه وان ضيمه لزمه اليوم . وسمى ذمارا
 لأنه يجب على أهله التضرع له - أى التضرع - اذا انتهكت حرمة
 (٢) يقال هورجل بين الرجولية والرجولة : اذا كان كاملا شهما قويا
 (٣) الصبهة : لون حمرة أو شقرة في شعر الرأس

صَفِيرَانِ ، أَغَوْرَ أَخْشَمَ - وَالْأَخْشَمُ الَّذِي لَا يَشْمُ^(١) .
وَكَانَ يُلْقَبُ بِصَفَرٍ قُرَيْشِيٍّ ، لِكَوْنِهِ تَقَرَّبَ وَقَطَعَ الْبَرَّ
وَالْبَحْرَ ، وَأَقَامَ مُلْكًا قَدْ أَذْبَرَ وَحْدَهُ . وَلَمَّا ذَكَرَ الْحَجَارِيُّ
أَنَّهُ أَغَوْرُ قَالَ : مَا أَتَشَدُّ فِيهِ إِلَّا قَوْلُ أُمِّ الْقَيْسِ :
لَكِنْ غَوِيْرٌ وَفِي بَذْمَتِهِ^(٢) لَا عَوْرَ شَانُهُ وَلَا تَصْرُ



« وَقَالَ^(٣) ابْنُ خَلْدُونَ » وَفِي سَنَةِ مِائَتٍ وَأَرْبَعِينَ سَارَ
دعاء العلاء لابن
جفر المنصور

(١) والاششم أيضا واسع الالف ، وفعله كفرح وهو مأخوذ من
الحيشوم (٢) من أبيات يمدح بها عور بن شجنة الطائي وهو أحد من
أجار امرأ القيس وكان قد أجار هندا بنت حجر أخت امرئ القيس
فوفي لها حتى أتى نجران فمدحه بوفاء القمة ونزله من كل عيب يشين
غيره ، وأول الأبيات الخمسة :

ان بني عوف ابتنوا حسبا ضيعه الدخيلون اذ غيروا
« الدخيل والدخيل القى يداخل الرجل في أمره ويصاحبه عليه وهم
خاصة للره - يقول ان بني عوف ابتنوا حسبا باجارتهم لي وذبحهم عني
على حين ضيع ذلك الحسب خلصني وقومي اذ لم يتصروني على طلب تاري »
وقال أيضا يمدحه من أبيات أخرى :

وما فعلوا فعل الموير بجواره لدى باب هند اذ تجرد قائما
يريد بقوله تجرد قائما أنه جرد في نصرته والدفع عنه . وله فيمن قصيدة :
عور ومن مثل العور ورهطه وأسعد في ليل البلبال صفوان
ثياب بني عوف طهاري نقيه وأوجههم عند للشاهد غران
وصفوان رجل أبيض من الذين حموه وتحرمهم ، والبلبال : المموم والافتكار
(٣) في ابن خلدون تسع وأربعون

الْعَلَاءُ بْنُ مُعَيْثٍ الْيَحْصِيُّ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، وَتَرَكَ
يَبَاجَةَ^(١) الْأَنْدَلُسَ دَاعِيًا لِأَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ
خَلْقٌ، فَسَلَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَيْهِ وَلَقِيَهُ بِنَوَاحِي إِشْبِيلِيَّةَ
فَقَاتَلَهُ أَيَّامًا، ثُمَّ أَنْهَزَ الْعَلَاءُ وَقُتِلَ فِي سَبْعَةِ آلَافٍ مِنْ
أَصْحَابِهِ، وَبَعَثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِرُءُوسِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ إِلَى
الْقَيْرَوانِ^(٢) وَمَكَّةَ، فَأُلْقِيَتْ فِي أَسْوَاقِهَا سَرًّا وَمَعَهَا اللِّوَاءُ^(٣)
الْأَسْوَدُ وَكِتَابُ الْمَنْصُورِ لِلْعَلَاءِ، فَأَرْتَعَ^(٤) الْمَنْصُورُ
لِذَلِكَ وَقَالَ: مَا هَذَا إِلَّا شَيْطَانٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَهُ الْبَحْرَ - أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ - وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ ذَلِكَ.

- (١) باجة Béja كورة من أعمال غرناطة وهي الى الشمال والشرق منها
وكان بها أطلال قصر عربي قديم ، وبها كنيسة من عهد ملوك القوط
وكان العرب قد حولتها مسجدا ثم تحول للمسجد كنيسة في إثر رحيل
العرب عن الاندلس ، وكانت باجة من أعمال بلنسية أيام بني عباد ، وبها
ولد للعتمد بن عباد (٢) أمر عبد الرحمن بعض التجار بحمل رأس العلاء
ورءوس جماعة من مشهورى أصحابه إلخ ، ثم حمل منها شئ إلى مكة فوصلت
وكان بها المنصور ، وكان مع الرءوس لواء أسود وكتاب كتبه للمنصور للعلاء
(٣) اللواء : الراية « العلم » واللواء الأسود راية بني العباس وشعارهم السواد
(٤) ارتناع : فزع وهاله الامر

وَكثُرَتْ ثَوَرُهُ رُؤَسَاءُ الْعَرَبِ بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْدَّاخلِ، وَنَافَسُوهُ مُلْكَهُ، وَلَقِيَ مِنْهُمْ خُطُوبًا عَظِيمَةً، وَكَانَتْ
الْمَاقِبَةُ لَهُ. وَأَسْتَرَابُ^(١) فِي آخِرِ أَمْرِهِ بِالْعَرَبِ لِكثَرَةِ
مَنْ قَامَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْطِنَاعِ^(٢) الْقَبَائِلِ مِنْ سِوَاهُمْ
وَاتَّخَذَ الْمَوَالِي. ثُمَّ غَزَا بِلَادَ الْإِفْرَنْجِ وَالْبَشْكَنْسِ وَمَنْ
وَرَاءَهُمْ وَرَجَعَ بِالظَّفَرِ، وَكَانَ فِي نَيْتِهِ أَنْ يُجَدِّدَ دَوْلَةَ
بَنِي مَرْوَانَ بِالْمَشْرِقِ فَمَاتَ دُونَ ذَلِكَ الْأَمَلِ. وَكَانَتْ مُدَّةُ
مُلْكِهِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، إِذْ دَخَلَ
الْأَنْدَلُسَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، وَمَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ
وَسَبْعِينَ، وَقِيلَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ، فِي خِلَافَةِ الرَّشِيدِ،
وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدِ بَرْبَرِيَّةَ^(٣) اسْمُهَا رَاحُ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَلَاثَ
عَشْرَةَ وَمِائَةٍ بِدِيرٍ حَتَا^(٤) مِنْ أَرْضِ دِمَشْقَ، وَقِيلَ بِالْعَلْيَا

(١) استراب : شك فيهم واتهمهم (٢) اصطناع القبائل : مصانفتهم
يبدل اللروف لهم واصطفاهم لصانته ، واختيارهم لمروفه وأياديه ،
واصطنعه : اذا رباه وخرجه وجهه موضعا لبره واحسانه (٣) كانت
أمه من سبي إفريقية (٤) للروف أن دير حنة بالحيرة ، أما أديرة

مِنْ تَدْمَر ، وَمَاتَ أَبُوهُ^(١) فِي أَيَّامِ أَبِيهِ هِشَامِ سَنَةَ
ثَمَانِي عَشْرَةَ عَنْ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَكَفَلَهُ وَإِخْوَتَهُ
جَدُّهُمْ هِشَامٌ ، وَوَهَبَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا جَمِيعَ الْأَخْمَاسِ

الشام ودمشق فقد كانت كثيرة منها دير خالد ، ودير زكي ودير سابور
ودير بطرس ، ودير بطرس ، ودير محمد ، ودير مران ، ودير هند ، وغيرها
ومعروف أن عبد الرحمن ولد بأرض دمشق وقيل بالعليا من ناحية تدمر
وفي الأصل (تدمر) محرفة . وتدمر مدينة قديمة مشهورة في بركة
الشام . واللا اسم لموضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام . وعلاء
حلب بالشام (١) كان أبوه معاوية بن هشام شجاعا مغوارا وبطلا مقداما
وقائدا ماهرا وكانت له في الروم والترك وغيرهم وقائع مشهورة فاصلة ، وكان
له فيهم كل عام جهاد موفق ، فمن صائفة مظفرة الى غزوة منتصرة ، فما
ورث عبد الرحمن الداخل الشجاعة عن كلاله ، ولكن : ألقى أباه
بهذا الكسب يكسب ، وحق على ابن الصقر أن يشبه الصقر ، وكان
عبد الرحمن الداخل عالما حازما سريع النهضة في طلب الخارجين
عليه لا يخلد الى الراحة ولا يسكن الى الدعة ، ولا يكل الامور الى غيره ولا ينفرد
في الامور برأيه ، شجاعا مقداما بعيد الثور شديد الحنر ، يكثر لبس البياض
وكان مع هذا جوادا سخيا حلما شاعرا لسانا فصيحاً ، وبنى رصافة قرطبة
تشبه بمجده هشام بن رصافة الشام ، ولما سكنها رأى نخلة فيها منفردة فقال
تبنت لنا وسط الرصافة نخلة تنامت بأرض القرب عن بلدنا نخل
فقلت شيبه في الترقب والتوى وطول التناهي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة فثلثك في التقضاء والتناهي مثلي
سقتك غواصي للزن من صوبها التي يسبح ويستمرى السماكين بالوبل
« أجد نجاتي »

الَّتِي اجْتَمَعَتْ لِلْخُلَفَاءِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَقْطَعَهُ إِيَّاهَا ، وَوَجَّهَ
لِحِيزَاتِهَا مِنَ الشَّامِ سَعِيدَ بْنَ أَبِي لَيْسَى . وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا قَصَدَ
الْمَغْرِبَ مِنْ فِلَسْطِينَ خَرَجَ مَعَهُ أَرْبَعَةٌ : بَدْرُ مَوْلَى أَبِيهِ
وَأَبُو شُجَاعٍ ، وَزِيَادٌ ، وَعَمْرُو ، وَقِيلَ إِنَّ بَدْرًا لِحَقِّهِ وَلَمْ يَخْرُجْ
مَعَهُ ، فَاللهُ أَعْلَمُ . وَخَلَفَ مِنَ الْوَلَدِ عَشْرِينَ ، مِنْهُمْ أَحَدُ عَشَرَ
رَجُلًا وَتِسْعُ إِنَاثٍ .



« وَحَكَى غَيْرُ وَاحِدٍ » أَنَّهُ لَمَّا هَرَبَ مِنَ الشَّامِ إِلَى
إِفْرِيقِيَّةَ قَاصِدًا الْأَنْدَلُسَ نَزَلَ بِمُضِلَّةٍ ، فَصَارَ بِهَا عِنْدَ شَيْخٍ
مِنْ رُؤَسَاءِ الْبَرَبْرِ يُدْعَى وَأَنْسُوسَ وَيُكْنَى أَبُو قُرَّةَ ، فَلَبَسَتْ
عِنْدَهُ وَقْتًا ، وَلَحِقَ بِهِ بَدْرُ مَوْلَى أَبِيهِ بِجَوْهَرٍ وَذَهَبٍ أَفْذَنُهُ
أُخْتُهُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ وَاسْتَبَّ أَمْرُهُ بِهِ سَارَ إِلَيْهِ
أَبُو قُرَّةَ وَأَنْسُوسُ الْبَرَبَرِيُّ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَحَظَى عِنْدَهُ ،
وَأَكْرَمَ زَوْجَتَهُ تَكَفَّاتِ الْبَرَبَرِيَّةِ الَّتِي حَبَّأَتْهُ تَحْتَ ثِيَابِهَا
عِنْدَ مَا فَتَشَتْ رَسُولُ ابْنِ حَبِيبٍ يَتَمَّ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهَا

هرب عبدالرحمن
الى الأندلس

عَبْدُ الرَّحْمَنِ مُدَاعِبًا حِينَ اسْتَظَلَّتْ بِظِلِّهِ فِي الْأَنْدَلُسِ :
لَقَدْ عَذَّبَنِي بِرِيحِ إِبْطِكَ يَتَكَفَّاتُ عَلَى مَا كَانَ بِي مِنْ
الْخَوْفِ ، وَمَقَطَعَتِي ^(١) بِأَنْتَنَ مِنْ رِيحِ الْجَيْفِ . فَكَانَ جَوَابُهَا
لَهُ مُسْرِعَةً : بَلْ ذَلِكَ كَانَ وَاللَّهِ يَأْسِدِي مِنْكَ خَرَجٌ وَلَمْ
تَشْمُرْ بِهِ مِنْ قَرِطٍ فَرَعَكَ . فَاسْتَظَرَفَ جَوَابُهَا ، وَأَغْصَى عَنْ
مُوجِبَتِهَا بِمِثْلِ ذَلِكَ . وَهَذَا مِنْ آفَاتِ الْمَزَاحِ ^(٢) . وَمِنْ
مَحَاسِنِهِ أَنَّهُ أَدَارَ السُّورَ بِقُرْطُبَةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

(١) يقال سطحه رائحة للسك تسطحه : اذا طارت الى أنفه ، وسطعت
الرائحة سطوعاً : فاحت وعلت .

(٢) قال الشاعر :

فياك اياك الزاح فانه يجرى عليك الطفل والدينس النذلا
وقالوا : للزاح يبدى للهانة ويذهب للهابة ، والغالب فيه وائر ، والغالب
ناثر . ولكن لا بأس بالمفاكة تخرج الرجل من حال البؤس ، والناس
في سجن مالم يتأزحوا ، ولكن لابد من القصد فيه فان الافراط به يذهب
البهاء ويجرى على الرمال سفهاء ، وتركه يقبض الثؤانسين ويوحش الخناطين
وقد كان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا « أحمد نجاشي »



« وَتَوَلَّى الْمَلِكَ بَعْدَهُ ابْنَهُ هِشَامٌ * بِمَهْدٍ مِنْهُ إِلَيْهِ » تولية هشام
وأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ أَسْمَاهَا حُلُلُ ، وَأَفْضَى إِلَيْهِ الْمَلِكُ وَهُوَ بِأَرْدَةِ
وَالِ عَلَيْهِمَا ، وَكَانَ أَبُوهُ يُؤَلِّيهِ فِي صِبَاهُ وَيَرْشَحُهُ لِلْأَمْرِ ،
وَكَانَ الدَّاخِلُ كَثِيرًا مَا يَسْأَلُ عَنْ ابْنَيْهِ سُلَيْمَانَ ^(١) وَهِشَامَ

* ترجم له في كتاب تاريخ العرب والاسلام لأبي العيون « ج ٢ ص
١٢٢ » بما يأتي :

هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مروان :
تولى الامارة بعهد من أبيه ، « من سنة احدى وسبعين ومائة الى سنة ثمانين ومائة »
وقد غلب عليه الحلم والاحسان والزهد ، اتبع سنة العدل في الرعية فأجبتة ،
وأنشأ المهارات ، وعطف على الفقراء والمساكين ، وكان يذهب بسيrote
مذهب عمر بن عبد العزيز ، فكان يث العيون والأرصاد بين القرى
والأصهار ليخبروه بمتجددات الأحوال حتى يقوم بما يجب لها ، توفي
سنة ثمانين ومائة هجرية (قلت) وكنية هشام أبو الوليد ، وكانت أمه أم
ولد ، وكان أبيض أشهل مشرباً بحمرة بعينه حول ، وكان عاملاً عاقلاً - أرماداً
رأى سديد وشجاعة حكيمة محبا لأهل الخير والصالح شديداً على الأعداء .
راغباً في الجهاد ، وبلغ من عز الاسلام في أيامه أن رجلاً توفي في عهده
وكان قد وصى أن يفك أسير من المسلمين من تركته فطلب ذلك فلم
يوجد في دار الكفار أسير مسلم يشتري لقوة المسلمين وضعف أعدائهم .
ومناقبه - رحمه الله - كثيرة ، وخلف من القرية خمسة بنين « أحمد بن جاني »
(١) أفضى اليه : وصل اليه . (٢) هو أكبر أبنائه وكان والياً على طليطة

فَيَذْكُرُ لَهُ أَنَّ هِشَامًا إِذَا حَضَرَ مَجْلِسًا أَمْتَلَا أَدْبًا وَتَارِيخًا
وَذِكْرًا لِأُمُورِ الْحَرْبِ وَمَوَاقِفِ الْأَبْطَالِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ،
وَإِذَا حَضَرَ سُلَيْمَانُ مَجْلِسًا أَمْتَلَا سُخْفًا وَهَذْيَانًا^(١) ، فَيَكْبُرُ
هِشَامٌ فِي عَيْنِهِ بِمَقْدَارِ مَا يَصْغُرُ سُلَيْمَانُ . وَقَالَ يَوْمًا لِهِشَامٍ
لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ :

وَتَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شِمَاتِلًا^(٢)

وَمِنْ خَالِهِ أَوْ مِنْ يَزِيدٍ وَمِنْ حُجْرٍ^(٣)

سَمَاحَةً ذَا مَعٍ بَرِّذَا وَوَفَاءَ ذَا

وَنَائِلِ ذَا إِذَا صَحَا وَإِذَا سَكِرَ

فَقَالَ لَهُ يَا سَيِّدِي لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ^(٤) مَلِكِ كِنْدَةَ ،

(١) الهذيان : الكلام الذي لا طائل تحته (٢) جمع شمال ، هو الخلق والطبع

(٣) يقرأ بضم الجيم اتباعا لضمه الحاء قبله ، وسكون الراء .

(٤) هما من قصيدة يمدح فيها سعد بن الشباب ، وسعد هنا أخو امرئ القيس وذلك أن أم سعد كانت تحت حجر أبي امرئ القيس فطلقها وهي حامل ولم يعلم بها فتزوجها الشباب فولدت سعدا على فراشه فلاحق به نسبه وسقط نسبه الى حجر ، وهذا يدل على أن العرب كانت تجعل الولد للفراش ، وأول القصيدة :

لعمرك ما قلبي الى أهله بحر ولا مقصر يوما فيأبيني بحر

وَكَانَهُ قَالَهُ فِي الْأَمِيرِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - فَضَمَهُ إِلَيْهِ أُسْتَحْسَانًا بِمَا
 سَمِعَ مِنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِإِحْسَانٍ كَثِيرٍ ، وَزَادَ فِي عَيْنِهِ ، ثُمَّ قَالَ
 لِسُلَيْمَانَ عَلَى أَقْرَادٍ : لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ ؟ وَأَنشَدَهُ الْبَيْتَيْنِ -
 فَقَالَ : لَمَلَهُمَا لِأَحَدٍ أَجْلَافٍ ^(١) الْعَرَبِ ، أَمَالِي شُغْلٌ غَيْرُ
 حِفْظِ أَقْوَالٍ بِمَضِ الْأَغْرَابِ ؟ فَأَطْرَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعَلِمَ
 قَدْرَ مَا بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ مِنَ الزَّمَانَةِ . وَلَمَّا وَلِيَ هِشَامُ أَشْخَصَ ^(٢)
 الْمَنْجَمَ الْمَعْرُوفَ بِالضَّبِّيِّ مِنْ وَطَنِهِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ إِلَى
 قُرْبَةِ - وَكَانَ فِي عِلْمِ النُّجُومِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالْحَرَكَاتِ
 الْمَالِيَةِ بِطَلِيمُوسَ زَمَانَهُ حِدَقًا وَإِصَابَةً - فَلَمَّا أَتَاهُ خَلَا بِهِ
 وَقَالَ لَهُ : يَا صَبِيءُ لَسْتُ أَشْكُ أَنَّهُ قَدْ عَنَّاكَ مِنْ أَمْرِنَا إِذْ بَلَغْتَكَ

يقال للرجل اذا تزلت به مصيبة فلم يصبر عليها: ما وجد فلان حرا، فهو
 يقول ان قلبه لم يكن في الجزع حرا يعني انه لم يصبر - وهذا من رفيق
 النزل، أى أن قلبى يتقد أن الجزع فى الحب أحسن من الصبر، والى
 هذا نظر أبو تمام اذ يقول :

الصبر أجمل غير أن تلذذا فى الحب أحرى أن يكون جميلا

وقوله ولا مقصر: أى ولا هو تازع عما هو عليه، وقوله فيأتينى بقر
 أى لم أستطع الصبر عنهم فأستقر وأهدأ (١) الجلف: التليظ الجاني خلقه
 والاحمق، والجمع أجلاف (٢) أشخص: بعث، وشخص من بلد الى بلد
 اذا ذهب - وأشخصه من المكان: أزعجه وأقلقه فذهب

مَا لَمْ نَدْعَ تَحْدِيدَ^(١) النَّظَرِ فِيهِ ، فَأَنْشُدُكَ^(٢) اللَّهُ إِلَّا مَا نَبَأْتَنَا
بِمَا ظَهَرَ لَكَ فِيهِ ، فَلَجَلَجَ^(٣) وَقَالَ : أَغْنَىٰ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، فَإِنِّي
أَلَمْتُ^(٤) بِهِ وَلَمْ أَحَقِّقِ النَّظَرَ فِيهِ لِجَلَالَتِهِ فِي نَفْسِي ،
فَقَالَ لَهُ قَدْ أَجَلْتُكَ لِنَدَاكَ ، فَتَفَرَّغَ لِلنَّظَرِ فِيمَا بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْهُ .
ثُمَّ أَحْضَرَهُ بَعْدَ أَيَّامٍ فَقَالَ : إِنَّ الَّذِي سَأَلْتُكَ عَنْهُ جَدُّ مَنِّي
مَعَ أَنِّي وَأَلَّهُ مَا أَتَقَىٰ بِحَقِيقَتِهِ ، إِذْ كَانَ مِنْ غَيْبِ اللَّهِ الَّذِي
أَسْتَأْثِرُ بِهِ ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ مَا عِنْدَكَ فِيهِ ، فَالْنَفْسُ
طُلَعَةٌ^(٥) ، وَالزَّمَةُ الصَّلَاةُ أَوِ الْمُقُوبَةُ^(٦) ، فَقَالَ : أَعْلَمَ أَيُّهَا

(١) حد بصره في الشيء : وإليه ، وأحده : حدقه ورماه به ، والنرض هنا
اطالة التفكير وإعمال الروية في الأمور ونسبة الاهتمام به (٢) أي أسألك بالله
(٣) اللجلجة : أن يتكلم الرجل بلسان غير بين ، ونقص الكلام والتردد
فيه وبالأخص يخرج بعضه في أثر بعض (٤) أي لم أحقق علمه ولم أنعمق
فيه بل كدت أصل إليه وأقاربه ، ومنه اللم وهو صغار الذنوب ، ويقال
ما يزورنا إلا لاما : أي أحيانا على غير مواطبة (٥) أي تكثر التطلع إلى
الشيء والوقوف عليه ، ومنه حديث الحسن البصري : إن هذه النفوس
طلعة فاقنعوها بالمواظع ولا تزعت بكم إلى شر غاية . وقال الشاعر :

وما تخبت من مال ومن عمر إلا بما سر نفس الحاسد الطامع

(٦) أي ألزمه أحد الأمرين إما أن يصدق بما يعلمه ويخبره به على جلبته
فيصله ، وإما أن يكتمه ولا يبوح به فيعاقبه

الْأَمِيرُ أَنَّهُ سَوْفَ يَسْتَقِرُّ مُلْكُكَ ، سَعِيدًا جَدُّكَ ، قَاهِرًا
لِمَنْ عَادَاكَ ، إِلَّا أَنْ مُدَّتْكَ فِيهِ فِيمَا دَلَّ عَلَيْهِ النَّظَرُ تَكُونُ
تَمَانِيَةً أَعْوَامٍ أَوْ نَحْوَهَا . فَأَطْرَقَ ^(١) سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ
وَقَالَ : يَا ضَيْئُ مَا أَخَوْفِي أَنْ يَكُونَ النَّذِيرُ ^(٢) كَلَمَنِي
بِلِسَانِكَ ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الْمُدَّةَ كَانَتْ فِي سَجْدَةٍ لِلَّهِ
تَعَالَى لَقَلَّتْ طَاعَةٌ لَهُ . وَوَصَلَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَزَهَدَ فِي
الدُّنْيَا وَلَزِمَ أَفْعَالَ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ « وَمِنْ حِكَايَاتِهِ فِي الْجُودِ »
أَنَّهُ كَانَ قَاعِدًا لِرَاحَتِهِ فِي عُثْيَةٍ ^(٣) عَلَى النَّهْرِ فِي حَيَاةِ
وَالِدِهِ ، فَنَظَرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ قَدَمَاءِ صَنَائِمِهِ مِنْ أَهْلِ جَبَانَ
قَدْ أَقْبَلَ يُوضِعُ ^(٤) السِّيرَ فِي الْمَاجِرَةِ ^(٥) ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ
وَقَدَّرَ شَرًّا وَقَعَ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ - وَكَانَ وَالِيًا

(١) أطرَق الرجل اذا سكت وخصه بعضهم : اذا كان عن فرق وخوف ،
وقيل اذا سكت وأطرَق يبصره الى صدره ساكنا (٢) النذير للنذر الذي
يُعلم القوم بما يكون فقدمهم من عدو أو غيره ، وهو الخوف أيضا - وأنفره
بالأمر أعلمه به وحذر منه وخوفه في بلاغه - ونذر بالشيء : علمه فحذره
(٣) العثية : الفرقة (٤) يوضع السير : يسره (٥) الماجرة : وقت اشتداد
الحر في الظهيرة

عَلَى جِيَانٍ - فَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ مَهْمٌ^(١)
يَا كِنَانِي فَلَأْمُرٍ مَا ؟ وَمَا أَحْسَبُكَ إِلَّا مُزْعَجًا لِشَيْءٍ
دَهَمَكَ^(٢) . فَقَالَ : نَعَمْ يَا سَيِّدِي ، قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي
رَجُلًا خَطَأً فَحَمِلَتِ الدِّيَّةُ عَلَى الْمَاقِلَةِ^(٣) ، فَأُخِذَ بِهَا
مِنْ كِنَانَةَ عَامَةً وَحَمَلْنَا^(٤) عَلَى مِنْ يَنْبَنِيهِمْ خَاصَّةً ، وَقَصَدَنِي
أَخُوكَ بِالْإِعْتِدَاءِ إِذْ عَرَفَ مَكَانِي مِنْكَ . فَمَدَّ
هَشَامُ يَدَهُ إِلَى جَارِيَةٍ كَانَتْ وَرَاءَ السُّتْرِ وَقَطَعَ
فِلَادَةً عِقْدٍ نَفِيسٍ كَانَ فِي نَحْرِهَا وَقَالَ لَهُ دُونَكَ^(٥)
هَذَا الْعِقْدُ يَا كِنَانِي ، وَشِرَاؤُهُ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ
دِينَارٍ ، فَلَا تُخَدِّعْنِ^(٦) عَنْهُ وَبِعْهُ وَأَدِّ عَنْ نَفْسِكَ

(١) مهيم كلمة استفهام معناها : ما حالك وما شأنك ؟ أو ما حدث لك ؟
أو ما الخبر ، وهي كلمة يمانية اسم فعل بمعنى أخبرني ، ومنه الحديث أنه
رأى على عبد الرحمن بن عوف وضرا من صفرة فقال مهيم ؟ فقال
تزوجت امرأة من الأنصار على نواة من ذهب ، فقال أولم ولو بشاة
(٢) دهمة الاسم (كنع وسمع) غشيه ونزل به فجأة ، والبهمة : الناقة
(٣) الماقلة : قرابة الرجل وعشيرته وعصبته من قبل الأب الذين يطون
دية قتل الخطأ (٤) في العبارة شيء من الغموض ولعل الأصل « وحمل على
من بينهم خلسة » أو : وحملنا من بينهم خاصة (٥) أي خذ (٦) أي لا تخدعك
بعض الناس يوهمك أنه غير أمين فيشتريه منك بشمن بخس

وَعَنْ قَوْمِكَ ، وَلَا تُتَكَّنِ الرَّجُلَ مِنْ أَهْتِصَامِكَ^(١) .
 فَقَالَ يَاسِيدُ لَمْ آتِكَ مُسْتَجِدًّا^(٢) ، وَلَا لِيُضِيقَ أَمَالُ
 عَمَّا حُمِلْتُهُ ، وَلَكِنِّي لَمَّا أَغْتَمِدْتُ^(٣) بِظُلْمِ صُرَاحٍ^(٤) أَحْبَبْتُ
 أَنْ يَظْهَرَ عَلَى عِزِّ نَصْرِكَ ، وَأَثَرُ ذَبِّكَ^(٥) وَأَمْتِصَانِكَ^(٦) ،
 فَأَتَمَّجِدُ^(٧) بِذَلِكَ عِنْدَ مَنْ يَحْسُدُنِي عَلَى الْإِتِمَاءِ إِلَيْكَ .
 فَقَالَ مِشَامٌ : فَمَا وَجْهُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : أَنْ تَكْتُبَ إِلَى
 أَخِيكَ فِي الْإِمْسَاكِ عَنِّي ، وَالْقِيَامِ بِذِمَّتِكَ^(٨) لِي ، فَقَالَ
 أَمْسِكِ الْعِقْدَ ، وَرَكِبِ مِنْ جِئِنِهِ إِلَى وَالِدِهِ الدَّاهِلِ ،
 وَأُسْتَاذِنَ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ أَنْكَرِهِ ، فَارْتَعَجَ وَقَالَ :
 مَا أَتَى بِأَبِي الْوَلِيدِ فِي هَذَا الْوَقْتِ إِلَّا أَمْرٌ مُقْلِقٌ ،
 لِيَذْنُوا لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ سَلَّمَ عَلَيْهِ وَمَثَلَ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيْهِ ،
 فَقَالَ لَهُ : أَجْلِسْ يَا هِشَامُ ، فَقَالَ : - أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ -
 يَاسِيدُ وَكَيْفَ جُلُوسِي بِهِمْ وَذَلِكَ مُزْجِعٌ ؟ وَحَقٌّ

(١) هضمه واهضمه وتهضمه : اذا ظلمه وغصبه حقه وقهره .

(٢) مستجديا : طالبا لجديوى ، أى عطاه واحسانا (٣) أى قصدت (٤) صراح : أى
 بين واضح يعرفه الناس (٥) ذبك : دفاعتك وحمايتك (٦) الامتصاص :
 أن يشق الامر الكروه على الانسان وينضب له ويظم عليه (٧) أى اقتصر
 واظهر المجد والشرف : وعاجد الرجل : ذكر مجده (٨) ذمة : عهد وحرمة

لِمَنْ قَامَ مَقَامِي أَلَا يَجْلِسَ إِلَّا مُطْمَئِنًّا ، وَلَنْ يُقْعِدَنِي
إِلَّا طَيْبٌ قَعِي بِإِسْمَافِ الْأَمِيرِ لِحَاجَتِي ، وَإِلَّا رَجَعْتُ
عَلَى عَقِي . فَقَالَ لَهُ : حَاشَ لَكَ مِنْ أَتْلَابِكَ ^(١) خَالِيَا ، فَأَقْعُدْ
مُجَابَا مُشْفَعًا . فَجَلَسَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : فَمَا أَطْلَدْتُ
الْمُفْلِقُ ؟ فَأَعْلَمَهُ . فَأَمَرَ بِحَمْلِ الدِّيَةِ عَنْهُ وَعَنْ عَشِيرَتِهِ
مِنْ يَتِّ الْمَالِ ، فَفَرَّ هِشَامٌ وَأَطْنَبَ فِي الشُّكْرِ ،
وَكَتَبَ الْأَمِيرُ إِلَى وَلَدِهِ سُلَيْمَانَ فِي تَرْكِ التَّعَرُّضِ لِهَذَا
الْكِنَانِي عِمَا لَمْ يَذُرْ فِي خَلِيلِهِ .

وَلَمَّا دَخَلَ الْكِنَانِيُّ لِدَوَاعِ هِشَامٍ قَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي ،
قَدْ تَجَاوَزْتُ بِكَ حَدَّ الْأُمْنِيَّةِ ، وَبَلَغْتُ غَايَةَ النَّصْرِ ،
وَقَدْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِ الْعَقْدِ الْمَبْدُولِ بَيْنَ يَدَيِ الْعِنَايَةِ
الْكَرِيمَةِ ، فَتَعَمَّدُهُ إِلَى صَاحِبَتِهِ . فَأَبَى مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ :
لَا سَبِيلَ إِلَى رُجُوعِهِ إِلَيْنَا . وَكَانَ هِشَامٌ يَذْهَبُ
بِسِيرَتِهِ مَذْهَبَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْغَزِيرِ ، وَكَانَ يَبْعَثُ
بِقَوْمٍ مِنْ نِقَاتِهِ إِلَى الْكُورِ ^(٢) ، فَيَسْأَلُونَ النَّاسَ

وداع الكناني
لهم

(١) أي جوعك وعودتك (٢) الكور : جمع كورة ، وهي المدينة والواقع

عَنْ سَيِّرِ عُمَالِهِ، وَتُخْبِرُونَهُ بِحَقَائِقِهَا، فَإِذَا أَتَيْتُمْ إِلَيْهِ
حَيْفٌ ^(١) مِنْ أَحَدِهِمْ أَوْقَعَ بِهِ وَأَسْقَطَهُ، وَأَنْصَفَ مِنْهُ
وَلَمْ يَسْتَعْمِلْهُ بَعْدُ.

وَلَمَّا وَصَفَهُ زِيَادُ بْنُ ^(٢) عَبْدِ الرَّحْمَنِ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ
قَالَ: نَسَّأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُزَيِّنَ مَوْتَنَا ^(٣) يَيْثُلَ هَذَا.

وَفِي أَيَّامِهِ فُتِحَتْ أَرْبُوعَةٌ ^(٤) الشَّهِيرَةُ، وَأُشْتُرِطَ عَلَى الْمُكَاهِدِينَ فَتَحَ أَرْبُوعَةٌ
مِنْ أَهْلِ جَلِيقَةَ مِنْ صِعَابِ شُرُوطِهِ انْتَقَالَ عَدَدٌ مِنْ

(١) الحيف : الظلم والجور (٢) زياد بن عبد الرحمن بن زياد دخل
الاندلس مع عبدالرحمن الداخل وهو من أهل الشام ، وكان منزل بني زياد
بها مشهورا بين غزة وبيت المقدس . وابنه محمد بن زياد بن عبد الرحمن
الاندلسي ولي القضاء بالاندلس في اماره عبدالرحمن بن الحكم وولى الصلاة
في اماره ولده محمد بن عبدالرحمن ، وتوفي هناك سنة بضع وأربعين ومائتين .
ومن نسله بالاندلس أبو عبد الله زياد بن عبد الله بن محمد بن زياد بن
أحمد بن زياد بن عبد الرحمن من أهل قرطبة ، وتولى القضاء في الفتنة
ببعض البكور ، ولد سنة ٣٤٧ وتوفي سنة ٤٣٠ .

(٣) موسم الحج مجتمعه ، وكذا موسم السوق « وأظن الامام رضى الله
عنه يمرض ببعض خلفاء بني العباس » (٤) أربوعة : بفتح أوله ويضم
ثم السكون وضم الباء اللوحنة وسكون الواو ونون وهاء بلد في طرف
التغر من بلاد الاندلس ، وهي الآن بيد الافرنج بينها وبين قرطبة على
ما ذكره ابن الفقيه الفصيح . والله أعلم . معجم البلدان « ج ١ ص ١٧٦ »

أَخْلَلَ التُّرَابِ مِنْ سُورِ أَرْبُوعَةِ الْمُفْتَحَةِ يَحْمِلُونَهَا إِلَى
بَابِ قَصْرِهِ بِقَرْطَبَةَ ، وَبَنَى مِنْهُ الْمَسْجِدَ الَّذِي قُدَّامَ بَابِ
الْجَنَانِ ، وَفَضَّلَتْ مِنْهُ فَضْلَةً يَبْقِيَتْ مُكْرَمَةً . وَقَامَ مَعَ
الْمُخَالِفِينَ لَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ^(١) وَغَيْرِهِمْ حُرُوبًا ، ثُمَّ كَانَتْ
الدَّائِرَةُ لَهُ . وَقَصَدَ إِلَى بِلَادِ الْحَرْبِ غَارِيًا ، وَقَصَدَ أَلْبَةَ ^(٢)
وَالْقِلَاعَ فَلَقِيَ الْعَدُوَّ وَظَفَرَ بِهِمْ ، وَقَتَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَنَةً
خَمْسٍ وَسِتِّينَ ، وَبَعَثَ الْعَسَاكِرَ إِلَى جِلْقِيَّةَ مَعَ يُوسُفَ
ابْنِ نَجِيَّةٍ ^(٣) ، فَلَقِيَ مَلِكَهَا ابْنَ مَنْدَةَ ^(٤) وَهَزَمَهُ وَأَتَقَنَ ^(٥)
فِي الْعَدُوِّ . وَفِي سَنَةِ سِتِّ وَسِتِّينَ بَعَثَ وَزِيرَهُ عَبْدَ الْمَلِكِ
ابْنَ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ مُنَيْثٍ لِنِزَاةِ الْعَدُوِّ ، فَبَلَغَ أَلْبَةَ

(١) منهم أخوه سليمان غص بولايته فأظهر له الخلاف بطليطلة ولحق به أخوه
عبد الرحمن فحاربه وظفر به حتى دخل في طاعته ولكنه مالبث أن عاد
إلى خلافه فحاصره بتدمر ثم طلب العبور إلى عدوة البربر بأهله وولده
فأجازاه هشام وأعطاه مالا جزيلًا وأقام بسدوة الغرب وسار معه أخوه عبد
الله (٢) مأخوذ من اسمها القديم Alaba وهي مدينة بين وادي نهر ابره
واسناد جبال البرنات وكان عندها فتوحات للعرب « وألية مدينة من نواحي
إشبيلية وأخرى من نواحي استجة » (٣) في ابن خلدون « نجيّة » وفي
ابن الأثير (نجت) (٤) أظنها محرفة عن (برمند) فإنه في سنة ١٧٣٣ ملت
ملك جليقية الذي كان يدعى لدى العرب «مورقاط» وولى من بعده «برمند بن
فلورية القس» (٥) أنحن في العدو : بالغ في جراحه والفتك فيه .

وَالْقَلَاعَ ، فَأَنْخَنَ فِي نَوَاحِيهَا ، ثُمَّ بَعَثَهُ فِي الْمَسَاكِرِ سَنَةَ
سَبْعٍ وَسَبْعِينَ إِلَى أَرْبُوعَةٍ وَجَرَنْدَةَ ^(١) فَأَنْخَنَ فِيهَا ، وَوَطِئَ
أَرْضَ بَرْطَانِيَّةَ ، وَتَوَغَّلَ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي بِلَادِ الْكُفَّارِ
وَهَزَمَهُمْ ، ثُمَّ بَعَثَ الْمَسَاكِرَ مَعَ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ
عَبْدِ الْوَاحِدِ إِلَى أَلْبَةِ وَالْقَلَاعِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ ، وَمَعَ
أَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ إِلَى بِلَادِ جَلِيقِيَّةَ ، فَأَتَتْهُ
إِلَى اسْتَرْقَةَ ، فَجَمَعَ لَهُ مَلِكُ الْجَلَالِقَةِ ، وَأَسْتَمَدَ بِمَلِكِ
الْبَشْكَنْسِ ^(٢) ثُمَّ خَافَ ^(٣) عَنِ الْفَقَاءِ وَرَجَعَ أَدْرَاجَهُ ^(٤) ،
وَاتَّبَعَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَكَانَ هِشَامٌ قَدْ بَعَثَ الْجِيُوشَ

(١) وكان بجرندة حمية الفرنج فبدأ بها عبد الملك فقتل رجلها وهم
أسوارها وأبراجها وأشرف على فتحها فرحل عنها إلى أربونة ففعل مثل
ذلك (٢) استعان ملك الجلالقة بملك البشكنس وهم جيرانه ومن يليهم
من الجيوش وأهل تلك النواحي فصار في جمع عظيم فأقسم عليه عبد الملك
فرجع الأذقوش هيبة له وتبعهم عبد الملك يقفوا أثرهم ويهلك كل من
تخلف منهم فدوخ بلادهم وأوغل فيها وأقام بها يفتك وينتم وعاد سالماً
(٣) خاف منه يخيم: نكس وجبن (٤) يقال رجع أدراجه أي عاد من حيث
جاء ورجع في الطريق الذي جاء منه « وأدراج جمع درج وهو الطريق »
وأكثر ما يقال ذلك للرجل إذا طلب شيئاً فلم يقدر عليه ورجع ولم يصب
شيئاً - ومنه « نكس على عقبيه »

مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، فَاتَّقُوا بِمَبْدِ الْمَلِكِ، وَأَخْضُوا فِي الْبِلَادِ
وَأَعْرِضْهُمْ عَسَاكِرُ الْفَرَنْجِ، فَنَالُوا مِنْهُمْ بَعْضَ الشَّيْءِ^(١)
ثُمَّ خَرَجُوا سَالِينَ ظَافِرِينَ .

تجديد قسرة
قرطبة

وَمِنْ عَاصِيَةِ أَنَّهُ جَدَّدَ الْقَنْطَرَةَ الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا
الْمَثَلُ بِقَرْطَبَةٍ كَمَا سَبَقَ، وَكَانَ بَنَاهَا السَّمُحُ الْخَوْلَانِيُّ عَامِلُ
عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَأَحْكَمَ هِشَامُ بَنَاهَا
إِلَى الْعَالِيَةِ، وَقَالَ يَوْمًا لِأَحَدِ وُزَرَائِهِ : مَا يَقُولُ أَهْلُ
قَرْطَبَةٍ ؟ فَقَالَ : يَقُولُونَ مَا بَنَاهَا الْأَمِيرُ إِلَّا لِيَمْضِيَ عَلَيْهَا
إِلَى صَيْدِهِ وَقَنْصِهِ، فَأَلَى^(٢) هِشَامٌ عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا يَسْلُكَ
عَلَيْهَا، فَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْهَا بَعْدُ، وَوَفَّى بِمَا حَلَفَ عَلَيْهِ . ثُمَّ تُوُفِّيَ
سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ لِسَبْعِ سِنِينَ وَتِسْعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ إِمَارَتِهِ،
وَقِيلَ لِثَمَانٍ . وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، كَثِيرٌ

(١) لما قفل المسلمون من غزوتهم هذه ضل الدليل بهم فنالهم مشقة شديدة

ومات منهم خلق كثير ونفقت دوابهم وتلفت آلاتهم ثم سلسوا وعادوا .

(٢) ألى على نفسه : أقسم وحلف

الْفَزْوِ وَالْجِهَادِ ، وَمِنْ عَمَلِهِ أَيْضًا إِكْمَالُ بِنَاءِ الْجَامِعِ بِقَرْطَبَةِ ، وَكَانَ أَبُوهُ شَرَعَ فِيهِ .

وَمِنْ عَمَلِهِ أَنَّهُ أَخْرَجَ الْمُصَدَّقَ ^(١) لِأَخْذِ الزَّكَاةِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَعُمُرُهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً وَأَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ ، وَوُلِدَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ

وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْحَكَمُ بِمَهْدٍ مِنْهُ إِلَيْهِ فَاسْتَكْرَمَ تولى الحكم ابن همام
مِنْ الْمَالِكِ ، وَأَرْتَبَطَ الْخَلِيلُ ، وَأَسْتَفْعَلَ ^(٢) مُلْكَهُ ، وَبَاشَرَ
الْأُمُورَ بِنَفْسِهِ ، وَفِي خِلَالِ فِتْنَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمِيهِ
أَعْتَمَ الْمَدُوءُ الْكَافِرُ الْفُرْصَةَ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَصَدَ
بَرْشِلُونَةَ ^(٣) فَمَلَكَوْهَا سَنَةً خَمْسٍ وَثَمَانِينَ ، وَتَأَخَّرَتْ

(١) المصدق : أخذ الصدقات أى الحقوق من الابل والنعم يقبضها ويجمعها
لتصرف في مصارفها . وللمصدق هو مطلق الصدقة (٢) أى اشتد وعظم (٣) تقع
على البحر الأبيض المتوسط في الشمال الشرقي من أسبانيا Barcelona
بناها القرطاجيون في شمال الساحل الشرقي وكانوا يسمونها مدينة برقة
باسم القائد الفاتح (Barca) الذين بناها وبنوا في جنوبها قلعة قرطاجنة .
ومدينة برشالونة عدة كنائس أثرية ، وكان يحتفل فيها بمسابقة التيران

عَسَا كَرُّ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَا دُونَهَا ، وَبَعَثَ الْحَكَمُ الْمَسَاكِرَ
مَعَ الْحَاجِبِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ مُعَيْثٍ إِلَى بِلَادِ الْجَلَالَةِ
فَانْتَحَنُوا فِيهَا ، وَخَالَفَهُمُ الْمَدُوُّ إِلَى الْمَضَائِقِ ، فَرَجَعَ عَلَى
التَّعْيَةِ ، وَظَفَرَ بِهِمْ وَخَرَجَ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ ظَافِرًا .
وَكَانَتْ لَهُ الْوَصَةُ الشَّهِيدَةُ مَعَ أَهْلِ الرَّبَضِ ^(١) مِنْ قُرْطُبَةٍ ،
لِأَنَّهُ فِي صَدْرِ وَلَايَتِهِ كَانَ قَدْ أَنْتَهَكَ فِي لَدَائِهِ ، فَاجْتَمَعَ
أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْوَرَعِ بِقُرْطُبَةٍ مِثْلُ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى ^(٢)
صَاحِبِ مَالِكٍ ، وَأَحَدِ رُوَاةِ الْمُوَطَّأِ عَنْهُ ، وَطَالُوتَ الْفَقِيهِ

(١) الربض : ماحول للدينة من بيوت ومساكن (٢) هو أبو محمد يحيى
ابن يحيى بن كثير ، وكثير هو الكني بأبي عيسى وهو الباخل إلى الأندلس
وهو كثير بن وسلاس بن شملل بن منقليا ، وهو أحد الأعلام للبرزين
من أهل قرطبة أصله من البربر من مسمودة ويتولى بني ليث ، سمع من
زياد بن عبد الرحمن اللوطي ثم رحل إلى الشرق وهو ابن ثمان وعشرين
سنة فسمع للوطي من الإمام مالك بن أنس وسمع بمصر من الإمام الليث
ابن سعد وغيره وقسم الأندلس بعلم كثير فمادت قضا الأندلس بعد عيسى
ابن دينار إلى رأيه . ورحل ثانية إلى الإمام مالك فوجده عليلا فأقام عنده
إلى أن توفي رحمه الله وحضر جنازته ثم عاد إلى الأندلس فكان إماما وقتها
وواحد بلده علما وعقلا وثقة . قال محمد بن عمر بن لبابة : فقيه الأندلس

وَعَبْرِيهَا، فَتَارُوا بِهِ وَخَلَمُوهُ وَبَايَعُوا بَعْضَ قَرَابَتِهِ، وَكَانُوا
بِالرَّيْضِ الْغُرَبِيِّ مِنْ قُرْطُبَةٍ، وَكَانَ عَمَلَهُ مُتَّصِلًا بِقَصْرِه^(١)،
فَقَاتَلَهُمُ الْحُكْمُ، فَغَلَبَهُمْ وَأَفْتَرَقُوا وَهَدَمَ دُورَهُمْ وَمَسَّاجِدَهُمْ
وَلَحِقُوا فِاسَ مِنْ أَرْضِ الْعُدُوَّةِ، وَبِالْإِسْكَندَرِيَّةِ مِنْ
أَرْضِ الْمَشْرِقِ، وَتَرَكَ بِهَا جَمْعٌ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَارُوا بِهَا
فَرَحَفَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ صَاحِبُ مِصْرَ لِلْعَامُونَ
أَبْنُ الرَّشِيدِ وَعَلَبَهُمْ وَأَجَازَهُمْ إِلَى جَزِيرَةِ أَقْرِيطَش^(٢)،
فَلَمْ يَرَأُوا بِهَا إِلَى أَنْ مَلَكَهَا الْإِفْرَنْجُ مِنْ أَيْدِيهِمْ
بَعْدَ مُدَّةٍ.

عيسى بن دينار، وعلمها عبد الملك بن حبيب، وعاقله يحيى بن يحيى، وكان
عن اتهم في هيج الريض ففر الى طليطلة ثم استأمن فكتب له الامير الحكم
أمانا وانصرف الى قرطبة، وكان آخر من حدث عنه ابنه عبيد الله بن يحيى وتوفي
يحيى رحمه الله سنة ٢٣٤هـ (١) كان بالرّيض الغرّبي من قرطبة عملة متصلة بقصره
(٢) فتح بعض هذه الجزيرة في أيام هرون الرشيد ثم غزاها في أيام للأمون
أبو فحس عمر بن عيسى الاندلسي المعروف بالأقريطشي واستمر يفتح
فيها شيئا فشيئا حتى لم يبق فيها من الروم أحد، وغزاها أيضا شعيب بن
عمر بن عيسى، وقيل فتحت بعد سنة ٢٥٠ على يد عمر بن شعيب المعروف
بأبن النليظ وكان من أهل قرية بطروج من عمل فحس البلوط بالاندلس
وتوارثها عنه عقبه سنين كثيرة وكانت من أعظم بلاد المسلمين نكابة
على الروم الى أن أتلخ عليها المستنق في خلافة الطيع العباسي حتى فتحت



حروب الحكم وقروحه
وَكَانَتْ فِي أَيَّامِ الْحُكْمِ حُرُوبٌ وَقَتْنٌ مَعَ الشُّوَارِ
الْمُخَالِفِينَ مِنْ أَهْلِ طَلَيْطَلَةَ وَغَيْرِهِمْ . وَفِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ
وَتِسْعِينَ جَمَعَ لُدْرِيْقُ بْنُ قَارِلَةَ مَلِكُ الْفَرَنْجِ جُجُوعَهُ ، وَسَارَ
إِلَى حِصَارِ طَرْسُونَةَ ^(١) ، فَبَعَثَ الْحُكْمُ ابْنَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ
فِي الْمَسَاكِيرِ فَهَزَمَهُ ، وَقَفَّحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَعَادَ ظَافِرًا .
وَلَمَّا كَثُرَ عَيْتُ ^(٢) الْفَرَنْجِ فِي الثُّغُورِ بِسَبَبِ اشْتِغَالِ
الْحُكْمِ بِالتَّخَارِجِينَ عَلَيْهِ ، سَارَ بِنَفْسِهِ إِلَى الْفَرَنْجِ سَنَةَ
سِتٍّ وَتِسْعِينَ ، فَافْتَحَ الثُّغُورَ وَالْحُصُونِ وَخَرَّبَ النُّوَاحِيَ ،
وَأَتَّخَنَ فِي الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ ، وَعَادَ إِلَى قُرْبُطَةَ ظَافِرًا .

عنوة سنة ٣٥٠ وأخذ صاحبها عبد العزيز بن شعيب من ولد أبي حفص
عمر بن عيسى الأندلسي . وينسب إليها بعض الرواة منهم أبو بكر محمد
ابن عيسى الأقرطشي وغيره (١) طرسونة : مدينة بينها وبين تطيلة
أربعة فراسخ وهي من أعمالها وكان يسكنها المال ومقاتلة المسلمين
إلى أن قلب عليها الروم . وبمدينة طرسونة توفي أبو حفص سعيد بن محمد
ابن سعيد الجمحي للقرى سنة ٥٠٨ . وبها قتل السمح بن مالك
الحولافى أمير الأندلس ، قتله الروم في ذى الحجة يوم عرفة سنة ١٠٢
(٢) عيت : فساد ، وعات : أقصد واعتدى وأخذ بغير رفق

« وَفِي سَنَةِ مِائَتَيْنِ » بَعَثَ الْمَسَاكِرَ مَعَ ابْنِ مُعَيْثٍ ^(١)
إِلَى بِلَادِ الْقَرْنَجِ ، فَخَرَّبَ وَهَدَمَ عِدَّةَ حُصُونٍ ، وَأَقْبَلَ
عَلَيْهِ أَلِيطُ مَلِكُ الْجَلَالَةِ فِي جُمُوعٍ عَظِيمَةٍ وَتَنَازَلُوا عَلَى
نَهْرٍ وَأَقْتُلُوا عَلَيْهِ أَيَّامًا ، وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ أَكْثَرُ
الْقَتْلِ ، وَأَقَامُوا كَذَلِكَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، ثُمَّ كَثُرَتْ
الْأَمْطَارُ وَمَدَّ ^(٢) النَّهْرُ ، وَهَلَكَ الْمُسْلِمُونَ ظَافِرِينَ ظَاهِرِينَ ^(٣)
وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَنَدَ الْأَجْنَادَ وَاتَّخَذَ الْمُدَّةَ ، وَكَانَ أَفْضَلَ
بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَشَدَّهُمْ إِقْدَامًا وَجِدَّةً ، وَكَانَ يُشَبَّهُ
بِأَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي شِدَّةِ الْمَلِكِ ،
وَوَطِيدِ النَّوَلَةِ ، وَقَمْعِ الْأَعْدَاءِ . وَكَانَ يُؤَثِّرُ الْفَقِيهَ زِيَادَ
ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٤) وَحَضَرَ يَوْمًا عِنْدَهُ وَقَدْ غَضِبَ فِيهِ

(١) هو الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن عبد الميث ولم يكن
عند الحكم من يوازيه في قربه ومنزلته (٢) مد النهر : سال وكثر ماؤه
وزاد (٣) افرا خبر هذه النزوة في تاريخ ابن الاثير في حوادث سنة ٢٠٠
(٤) هو أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشرة بن حسين
ابن الخطاب بن الحرث بن دبة بن الحرث الاحمسي ينتهي نسبه الى لحم
ابن عدى ، وقيل انه من ولد حاطب بن أبي بلتعة ، كان من أهل قرطبة
وعن روى عن مالك بن أنس من أهل الأندلس ، وروى عن عبد الله
ابن عقبة وعن الليث بن سعد وموسى بن علي بن رباح وغيرهم ، وروى

عَلَى خَلِيمٍ لَهُ لِإِصَالِهِ إِلَيْهِ كِتَابًا كَرِهَ وُصُولُهُ ، فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِهِ ، فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ - فَإِنَّ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ حَدَّثَنِي فِي خَبَرٍ رَفَعَهُ ، « أَنَّ مَنْ كَلَّمَ غَيْظًا يَقْدِرُ عَلَى إِنْقَاذِهِ مَلَأَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَمْنًا وَإِيمَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ، فَأَمَرَ أَنْ يُمَسِكَ عَنِ الْخُلَايِمِ وَيُغْنَى عَنْهُ ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ وَقَالَ اللَّهُ ^(١) إِنَّ مَالِكًا حَدَّثَكَ بِهَذَا ؟ فَقَالَ زِيَادٌ : آلهِ إِنْ مَالِكًا حَدَّثَنِي بِهَذَا . وَكَانَتْ الْجَاعَةُ الشَّدِيدَةُ سَنَةً سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً فَأَكْثَرَ فِيهَا مُوَاسَاةَ أَهْلِ الْخُلَايِمِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَبَّاسُ بْنُ نَاصِحٍ الْجَزِيرِيُّ ^(٢) فِيهِ :

عنه يحيى بن يحيى اللوطي قبل أن يرسل إلى مالك ، وكان زياد جامعا بين العلم والعمل والفقه والورع ، وكان الأمير هشام بن الحكم يقول : صحبت الناس وبلوتهم فإريت رجلا يسر من الزهد أكثر مما يظهر إلا زياد بن عبد الرحمن ، وأراد هشام على القضاء فخرج هاربا بنفسه فقال هشام: ليت الناس كزياد حتى أكنى أهل الرغبة في الدنيا ، وتوفى زياد سنة ٢٠٤ قبل موت الحكم بعامين . « أحمد نحاسي » .

(١) الله : قسم بمعنى والله (٢) وهو أبو الملاء عباس بن ناصح الثقفي الشاعر من أهل الجزيرة رحل به أبوه صغيرا فنشأ بمصر وتردد بالحجاز طالبا

نَكِدَ الزَّمَانُ ^(١) فَأَمَنْتَ أَيَّامُهُ

مِنْ أَنْ يَكُونَ بِمَصْرِهِ عُسْرُ

ظَلَمَ ^(٢) الزَّمَانُ بِأَزْمَةٍ فَجَلَّالَهُ ^(٣)

تِلْكَ الْكَرِيمَةُ جُودُهُ الْفَمَرُ ^(٤)

وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِهِ « بِاللهِ يَتَّقُ الْحُكْمُ وَيَتَّقِمْ » .

وَذُكُورُ وَلَدِهِ عِشْرُونَ وَإِنَاثُهُمْ عِشْرُونَ . وَأُمَّهُ

لغة العرب ثم رحل به أبوه الى العراق فلقى الأصمعي وغيره من علماء
البصرة والكوفة ثم انصرف عن الأندلس فكان لا يزال يستفهم عن
نجم المشرق من الشعراء بعد ابراهيم بن هرمة فأخبر عن الحسن بن هاني
وأشد بعض شعره فقال لأجهلن أن ألقى هذا الرجل، ثم رحل الى العراق
فلقبه واستنشد « ويقال ان أبا نواس قضى لباساً بالفضل على نفسه »
ثم عاد الى الأندلس فأتصل بالحكم بن هشام وخدعه ونظم فيه مدائح غراء
فاستقضاء على شقونة الجزيرة ، وولى القضاء بعده ابنه عبد الوهاب
ابن عباس وكان شاعراً ، ثم ابن ابنه محمد بن عبد الوهاب وكان شاعراً ،
فهم ثلاثة قضاء في نسق وثلاثة شعراء في نسق ، وكان عباس من أهل العلم
بالغة جزل الشعر يسلك فيه مذاهب العرب القديمة ، وكان له حظ من
الفقه والرواية ، ولم يشتهر ذلك عنه لظلمة الشعر عليه . « أحمد نجاشي » .

(١) نكد عينه كفرح : اشتد وعسر ، وأرض نكاد : قليلة الخير
(٢) ظلم الزمان : كمنع ظلماً : أصيب وضعف كالظالم يظلم في مشيه .
(٣) جلا الأمر : كشفه ، وجلا المم عنه : أذهب . (٤) النمر الكثير
الواسع ، والنمر الكريم السخي الواسع الخلق ، ورجل غمر الرداء :
واسع العطاء كثير اللروف والجود

جَارِيَةً أُمِّهُمَا زُخْرُفٌ ، وَكَانَ أَسْمَرُ طَوَالًا أَشَمٌّ نَحِيفًا .
وَمُدَّةٌ مُلْكِهِ سِتُّ وَعِشْرُونَ سَنَةً - سَاعَهُ اللَّهُ - .



تسعة المالك

وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ : إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَعَلَ لِلْمَلِكِ بَارِضٍ
الْأَنْدَلُسِيِّ أَبَةً : وَأَسْتَعَدَّ بِالْمَمَالِكِ حَتَّى بَلَغُوا خَمْسَةَ
آلَافٍ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ فَارِسٍ وَأَلْفًا رَاجِلٍ . ثُمَّ
ثَوَّقَى الْحُكْمُ بَنُ هِشَامٍ آخِرَ سَنَةِ سِتِّ وَمِائَتَيْنِ
لِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْ وَلَايَتِهِ . وَمَوْلَاةُ سَنَةِ أَرْبَعٍ
وَعَمْسِينَ وَمِائَةٍ . وَقَالَ ابْنُ خَلْدُونِ وَغَيْرُ وَاحِدٍ : إِنَّهُ
أَوَّلُ مَنْ جَنَدَ بِالْأَنْدَلُسِ الْأَجْنَادَ وَالْمُرْتَزِقَةَ (١) وَجَمَعَ
الْأَسْلِحَةَ وَالْعُدَّةَ ، وَأَسْتَكْتَرَمِنَ الْخَدَمِ وَالْحَوَاشِي وَالْحَشَمِ (٢) ،
وَأَرْبَطَ الْخَيُْولَ عَلَى بَابِهِ ، وَأَتَّخَذَ الْمَمَالِكَ وَكَانَ يُسَمِّيهِمْ
الْخُرْسَ لِمُجْتَمِعِهِمْ ، وَحَكَى فِي عِدَّتِهِمْ مَا تَقَدَّمَ ثُمَّ قَالَ :
وَكَانَتْ لَهُ عُيُونٌ يُطَالِمُونَهُ (٣) بِأَحْوَالِ النَّاسِ ، وَكَانَ

(١) ارتزقوا : أخذوا أرزاقهم « وهو مطاوع رزق الأمير الجند »
وللمرتزقة أصحاب الجرايات والرواتب للوظيفة (٢) حشم الرجل : خاصته
الذين يرضون له من أهل أو عبيد أو جيرة أو خلم إذا ضابه أمر (٣) يطالونه
بأحوال الناس : يرضونها عليه ، وطلاله بحقيقة الأمر : إذا نظر عليه وأخبره به

يُأَشِرُ الْأُمُورَ بِنَفْسِهِ ، وَيُقَرِّبُ الْفُقَهَاءَ وَالْعُلَمَاءَ وَالصَّالِحِينَ ،
وَهُوَ الَّذِي وَمَأً^(١) الْمَلِكَ لِعَقِبِهِ بِالْأَنْدَلُسِ ، انْتَهَى .

وَكَانَ لَهُ فِيمَا حَكَى غَيْرُ وَاحِدٍ الْفَأَ فَرَسٍ مُرْتَبَطَةٍ رِبَاطُ الْحَبْلِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ بِقَبْلِي قَصْرِهِ يَحْمِيهَا دَارَانِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ
لَمَّا قَتَلَ أَهْلَ الرَّبَضِ وَهَدَمَ دِيَارَهُمْ وَحَرَّهَا^(٢)
رَأَبْتُ^(٣) صُدُوعَ الْأَرْضِ بِالسَّيْفِ رَاقِعًا
وَقَدِمَا لَأَمْتُ^(٤) الشَّعْبِ مُذْ كُنْتُ يَافِيَا
فَسَائِلُ ثَمُورِي هَلْ بِهَا الْيَوْمَ^(٥) ثَمَرَةٌ
أَبَادِرُهَا مُسْتَنْضِي^(٦) السَّيْفِ دَارِعًا ؟
تُبَيِّكَ أَتَى لَمْ أَكُنْ فِي قِرَاعِهِمْ
بِوَانٍ^(٧) وَقَدْ مَا كُنْتُ بِالسَّيْفِ قَارِعًا

(١) أي مهدونيت (٢) أظنها محرفة عن (خرجا) (٣) رأب الصدع : أصلحه
والصدع : الشق والكسر (٤) لأم الشعب : رقق الكسر وأصلح الفاسد
(٥) الثمرة : موضع الخفاقة وهي في الأصل كل جوبة أو عورة منفتحة
وكل فرجة في جبل أو بطن واد أو طريق مساوكة (٦) مستنضي : مستله
من غمده ، ورجل دارع : عليه درع كأنه ذو درع « مثل لابن ونامر »
(٧) الواني للقصر ، والوني : الضف والقصور والتب والكلال والاعياء ،
وذي في الأمر بنيونيا : ضف وقصر وقتر ، وتواني في الأمر : قصر وأهل

وَهَلْ زِدْتُ إِذْ وَقَيْتُهُمْ صَاعَ قَرَضِهِمْ
فَوَافُوا مَنِيًّا قُدِّرْتُ وَمَصَارِعَا؟
فَهَذِي بِلَادِي إِنِّي قَدْ تَرَكْتُهَا
مِهَادًا^(١) وَلَمْ أَتْرُكْ عَلَيْهَا مُنَازَعًا



أخلاق الحكم
وعادته
وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي حَقِّهِ : إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُبَاهِرِينَ
بِالْمَعَاصِي السَّافِكِينَ لِلدَّمَاءِ وَلِذَلِكَ قَامَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ وَالصُّلَحَاءُ .
وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ : إِنَّهُ تَنَصَّلَ^(٢) أَخِيرًا وَتَابَ - سَأَعَهُ اللَّهُ - :
وَمِنْ نَظْمِهِ قَوْلُهُ مُتَفَرِّدًا :

فُضِبُ مِنَ الْبَايِ مَاسَتْ^(٣) فَوْقَ كُشْبَانِ
وَلَيْنَ عَنِّي وَقَدْ أَرَمَعَنَ هِجْرَانِي

(١) الهاد جمع مهد وهو في الأصل للوضع يهأ للصبي ويوطأ لينام فيه
ومهد الفراش (كمنم) ومهده : بنطه ووطأه وجهه وثبراً لنا ، وقوله
تعالى : « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا » أى بساطاً وطيباً ممكناً سهلاً للساكنين
طرقه (٢) تنصل من ذنبه : خرج وثبراً ، واتقى منه واعتذر ، والغرض
هنا أنه تلب وأقلع واستقام (٣) ماس : تمايل وثنى وتبختر وتهادى
كلهم روس

وَمِنْهَا :

مَنْ لِي بِمُقْتَضِيَاتِ^(١) الرُّوحِ مِنْ بَدَنِي

يُعْصِيَنِي فِي الْهَوَىٰ عِزِّي وَسُلْطَانِي

وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يُنْسِكُ أَوْلَادَ النَّاسِ وَيَخْصِيهِمْ ،

وَقِيلَتْ عَنْهُ أُمُورٌ ، وَلَعَلَّهُ تَابَ مِنْهَا كَمَا قَدَّمْنَا ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمُحَقِّقَةِ أَمْرِهِ .



وَمِنْ بَدِيعِ أَخْبَارِ الْحُكْمِ أَنَّ الْعَبَّاسَ الشَّاعِرَ تَوَجَّهَ شَيْءٌ مِنْ بَدِيعِ
أَخْبَارِ الْحُكْمِ

إِلَى الثَّغْرِ فَلَمَّا تَزَلَّ بِوَادِي الْحِجَارَةِ سَمِعَ امْرَأَةً تَقُولُ :

وَأَعُوذُ بِكَ يَا حَكَمُ ، لَقَدْ أَهْمَلْنَا حَتَّى كَلَبَ^(٢) الْعَدُوُّ عَلَيْنَا

فَأَيْمَنَا^(٣) وَأَيْتَمَنَا ، فَسَأَلَهَا عَنْ شَأْنِهَا فَقَالَتْ : كُنْتُ

مُتَقَبِّلَةً مِنَ الْبَادِيَةِ فِي رُقَقَةٍ فَخَرَجَتْ عَلَيْنَا خَيْلُ عَدُوِّ

فَقَتَلَتْ وَأَسْرَتْ ، فَصَنَعَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

(١) مقتضيات الروح : قاطعاتها ومز هفتها ، يريد عشيقته (٢) كلب العدو

علينا : اشتد وقسا ، و كلب الدهر على أهله اذا ألح واشتد (٣) أيمنا :

أفقدنا أزواجنا

تَمَلَّكَتُ^(١) فِي وَادِي الْحِجَارَةِ مُسْتَدًا^(٢)
أُرَاعِي نُجُومًا مَا يَرَوْنَ^(٣) تَغِيرًا
إِلَيْكَ أَبَا الْعَالَمِيِّ نَضَيْتُ^(٤) مَعْطِي
تَسِيرُ بِهَمِّ سَارِيَا^(٥) وَمُهَجَّرَا
تَدَارِكُ نِسَاءَ الْعَالَمِينَ بِنُصْرَةٍ
فَإِنَّكَ أُخْرَى أَنْ تُفَيْتَ وَتَنْصُرَا
فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَنْشَدَهُ الْقَصِيدَةَ ، وَوَصَفَ لَهُ
خَوْفَ الثَّغْرِ وَأُسْتَنْصَرَ^(٦) الْمَرْأَةَ بِأَسْنِهِ ، فَأَيْفَ وَنَادَى
فِي الْحَيْنِ بِالْجِهَادِ وَالْإِسْتِعْدَادِ ، فَخَرَجَ بَعْدَ ثَلَاثٍ إِلَى وَادِي
الْحِجَارَةِ وَمَعَ الشَّاعِرُ ، وَسَأَلَ عَنِ الْخَيْلِ الَّتِي أَغَارَتْ

(١) تَمَلَّك : تَقَلَّبَ عَلَى الْفَرَاشِ غَمًا (٢) مُسْتَدًا : سَارًا اللَّيْلَ كَلَامًا ،
وَالْأَسَادَ سُرْعَةَ الْبِيرِ . وَقَدْ تَكُونُ مُسْتَدًا مُحَرَّفَةً عَنْ مَسْهَدًا وَهُوَ
أَنْسَبُ بِالسِّيَاقِ ، فَإِنَّ التَّمَلُّكَ هُوَ أَنْ يَنْبُو بِالرَّجُلِ مَضْجَعَهُ مِنْهُمْ أَوْ وَصَبَ
أَوْ حَزَنَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ فَيَسْهَدُ وَيَبِيتُ مَتَقَلِّبًا عَلَى فَرَاشِهِ كَأَنَّهُ يَتَقَلَّبُ عَلَى
شَوْكِ الْقِتَادِ . « أَحْمَدُ نَجَاشِي » (٣) لِلْهَاجِرِينَ (٤) أَيِ هَزَلْتَهَا بِالْبِيرِ فَهَبَ
لَهَا وَقَدْ تَكُونُ (نَضَيْتُ) مُحَرَّفَةً عَنْ (نَضَمْتُ) أَيِ سَقَتُ (٥) سَارِيَا :
أَيِ فِي السَّرَى ، وَهُوَ سِيرَ اللَّيْلِ ، وَالْهَجْرَ السَّائِرَ فِي الْمَاجِرَةِ وَهُوَ وَقْتُ
شَدَةِ الْحَرِّ نَهَارًا (٦) أَيِ اسْتَنْصَرْتَهُ وَاسْتَنْجَدَ .

مِنْ أَىِّ أَرْضٍ الْمَدُّو كَانَتْ ؟ فَأَعْلِمَ بِذَلِكَ ، فَزَرَ تِلْكَ
الْثَّالِثَةَ وَأَتْنَحْنَ فِيهَا ، وَفَتَحَ الْحُصُونِ وَخَرَّبَ الدِّيَارَ وَقَتَلَ
عَدَدًا كَثِيرًا ، وَجَهَ إِلَى وَادِى الْحِجَارَةِ فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ
الْمَرْأَةِ وَجَمِيعِ مَنْ أَمَرَ لَهُ أَحَدٌ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ فَأُخْضِرَ ،
فَأَمَرَ بِضَرْبِ رِقَابِ الْأَسْرَى بِحَضْرَتِهَا ، وَقَالَ لِلْعَبَّاسِ :
سَلِمَ هَلْ أَغْنَاهُمَا الْحَكْمُ ؟ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ - وَكَانَتْ نَبِيلَةً - :
وَاللَّهِ لَقَدْ شَقَى الصَّدُورَ ، وَأَنْكَبَى ^(١) الْمَدُّو ، وَأَغَاثَ الْمَلُوفَ
فَأَغَاثَهُ اللَّهُ وَأَعَزَّ نَصْرَهُ . فَارْتَحَلَ لِقَوْلِهَا وَبَدَأَ السَّرُورُ
فِي وَجْهِهِ وَقَالَ :

أَلَمْ تَرَ يَا عَبَّاسُ أَنِّي أَجَبْتُهَا
عَلَى الْبُعْدِ أَقْتَادُ الْحَمِيسِ ^(٢) الْمَطْفَرَا
فَادْرَكْتُ أَوْطَارًا وَبَرَدْتُ غُلَّةً
وَنَفْسْتُ مَكْرُوبًا وَأَغْنَيْتُ مُعْسِرًا ^(٣)

فَقَالَ عَبَّاسٌ : نَعَمْ - جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَقَبْلَ يَدِهِ

(١) أنكبي المدو : قتل فيهم وجرح وأتحن (٢) أقتاد الحميس : أقود
الجيش العظيم (٣) الغلة في الأصل حرارة العطش ، ونفس عن المكروب
إذا فرج عنه همه وكشف كرب

« وَمَا عَيْبَ بِهِ » أَنَّهُ قَتَلَ الْقَفِيهَ أَبَا زَكْرِيَّا يَحْيَى
 ابْنَ مُضَرَ الْقَيْسِيِّ ^(١) وَكَانَ قُدْوَةً فِي الدِّينِ وَالْوَرَعِ ، سَمِعَ
 مِنْ سُفْيَانَ وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، وَرَوَى عَنْهُ مَالِكٌ وَقَالَ : حَدَّثَنَا
 يَحْيَى بْنُ مُضَرَ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّ الطَّلَحَ الْمَنْضُودَ هُوَ
 الْمَوْزُ . وَكَانَ قَتَلَ الْمَذْكُورَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُلُكَاءِ وَغَيْرِهِمْ .

قتل القفيه
 أبي زكريا
 القيسي

« وَقَامَ بِأَمْرِهِ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِمَهْدٍ مِنْهُ إِلَيْهِ
 ثُمَّ لِأَخِيهِ الْمَغِيرَةِ بَعْدَهُ » فَتَزَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِأَوَّلِ وَلِيَّتِهِ
 إِلَى جَلِيقِيَّةَ وَأَبْعَدَ وَأَطَالَ الْمَغِيبَ وَأُخْضِنَ فِي أُمِّ النَّصْرَانِيَّةِ
 هُنَاكَ وَرَجَعَ .

قيام عبدالرحمن
 ابنه بعده بالأمر

(١) هو أبو زكريا يحيى بن مضر القيسي من أهل قرطبة وهو شامي
 الأصل سمع من سفیان بن سعید الثوري ومالك بن أنس وروى عنه
 يحيى بن يحيى بالاندلس قبل رحلته وكان علما متفنا ، وكان ممن قتل
 يوم ثورة الربض . وفي الأصل يحيى بن مطر الصافي وهو تصحيف
 خاطي . « أحمد نجاشي » .

* ترجم له في كتاب تاريخ العرب والاسلام « ج ٢ لابي السيون ص
 ١٢٤ » بما يأتي :

عبد الرحمن الثاني بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن
 هشام بن عبد الملك بن مروان :

تولى بعد وفاة أبيه ابتداء من سنة ست ومائتين الى سنة ثمان وثلاثين



وَقَدِمَ عَلَيْهِ سَنَةٌ سِتٍّ وَمِائَتَيْنِ زَرِيَابُ^(١) قسوم زريب
الغنى

ومائتين هجرية وكان معاصرا للأُمون العباسي وكان علما بعلوم الشريعة والفلسفة سخيّا محبا للعلماء والأدباء ، وكان كجده هشام في الحلم والاحسان وفي أيامه كثرت الآطام والممارات فاتخذ القصور وللتزهات وجلب إليها المياه من الجبال وأقام الجسور وأكثر من المساجد في القرى وغزا بلادا وفتح بها مدنا ووصلت جيوشه الى ليون بفرنسا ورموها بالمجانيق فهرب أهلها وغنم للسلحون منها غنائم كثيرة . احتجب عن العامة خوفا بالشعره والبارعين في الموسيقى وهو أول من أحدثها في الأندلس . فأحدثت في العرب عظيم الرفة . عاقب مرة جارية قطعت غير مراده بسد باب مكانها بقطع من فضة وكلفها هدم ذلك بيدها توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين هجرية أقول : ولد عبد الرحمن بطليطلة أيام كان أبوه الحكم يتولاها لايه هشام . واسم أمه حلاوة وكان بكر أبيه ، ووجد بخط أبيه أنه ولد لسبعة أشهر وكان جسيما وسيما حسن الوجه مليح الشاتل .

(١) زرياب بفتح الزاي بالفارسية معناه ماء الذهب عربوه بكسر الزاي وإبدال الالف ياء وأطلقوا لفظ الزرياب على الذهب أو مائه وعلى الأصفر من كل شيء وغلب على اللغتي هنا ببلده قيل لسواد لونه مع فصاحة لسانه شبه بطائر أسود غريد يسمى الزرياب . وكان شاعرا مطبوعا أستاذًا في الموسيقى وعنه أخذ الناس . وقال عبد الملك بن حبيب مع زهده وعلمه وورعه في أبيات له :

زرياب قد أعطيتها جملة وحرفني أشرف من حرفته

وكان زرياب من أعلام اللغتين بالشرق ، وأخذ الفناء عن اللوصلى وبرز فيه حتى خشي على نفسه عاقبة هذا التبريز لمنزلة أستاذه من الخليفة الرشيد فهاجر الى الأندلس فأكرم أميرها وفادته وأحسن مثواه وغمره بقبض إنعامه . وعلت منزلته عندهم وأحسنوا اليه حتى كلدوا يفرطون ، وقد قدر دخله كل عام بنحو أربعة آلاف دينار ، وكان يجري عندهم في الفناء

الْمَغْنَى مِنَ الْإِرَاقِ - وَهُوَ مَوْلَى الْهَمْدِيِّ، وَمُتَعَلِّمُ إِزَاهِيمَ
الْمَوْصِلِيِّ، وَأَسَمُهُ عَلَى بْنِ نَافِعٍ - فَرَكَبَ بِنَفْسِهِ لِتَلْقِيهِ عَلَى
مَا حَكَاهُ ابْنُ خَلْدُونٍ، وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ بِمَحْزَرٍ
حَالٍ، وَأَوْرَثَ صِنَاعَةَ الْفَنَاءِ بِالْأَنْدَلُسِ، وَخَلَفَتْ أَوْلَادًا
فَخَلَفَهُ كَثِيرُهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي صِنَاعَتِهِ وَحُطُوتِهِ .

وَفِي سَنَةِ ثَمَانٍ أَعَزَى حَاجِبُهُ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ
إِلَى أَلْبَةِ وَالْقَلَاعِ، فَخَرَّبَ كَثِيرًا مِنَ الْبِلَادِ وَأَنْتَسَفَهَا، وَفَتَحَ
كَثِيرًا مِنْ حُصُونِهِمْ، وَصَالَحَ بَعْضَهَا عَلَى الْجِزْيَةِ وَإِطْلَاقِ
أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ وَأَنْصَرَفَ ظَافِرًا . وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ
بَعَثَ قَرِيبَهُ عُيَيْدَ اللَّهِ بْنِ الْبُلَنْسِيِّ فِي الْمَسَاكِرِ لِيُزَوِّ أَلْبَةَ
وَالْقَلَاعِ، فَسَارَ وَلَقِيَ الْمَدَوِّ فَهَزَمَهُمْ وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ وَالسَّبْيَ،
ثُمَّ خَرَجَ لِلدَّرِيقِ مُلِكُ الْجَلَالَةِ وَأَغَارَ عَلَى مَدِينَةِ سَالِمٍ (١)

غزوة ألب
والقلاع

عجى للوصل بالمرق، وكان لهم عمدة للفنين، وله طريق أخذت عنه
وأصوات استقيدت منه، ونهض بصناعة الفناء في الأندلس واخترع
للموسيقى نظاما خاصا جديدا وأضاف الى العود وترالخماسا وكان قبله على
أربعة أوتار، ووضع طرقا للفناء أصبحت علما خاصا اشتهرت به الأندلس
لعوقها فيه ولا يزال أثره باقيا بها الى اليوم. «أحمد نجاشي»
(١) مدينة تصل بأعمال باروشة، وكانت من أعظم المدن وأشرفها

بِالثَّنَرِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ فَرْتُونُ بْنُ مُوسَى وَقَاتَلَهُ فَهَزَمَهُ ، وَأَكْثَرَ
الْقَتْلَ وَالسَّبْيَ فِي الْعَدُوِّ وَالْأَسْرِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْحِصْنِ الَّذِي
بَنَاهُ أَهْلُ أَلْبَةِ بِالثَّنَرِ ^(١) نِكَايَةً لِلْمُسْلِمِينَ فَافْتَحَهُ وَهَدَمَهُ ،
ثُمَّ سَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْجَبُوشِ إِلَى بِلَادِ جَلِيقِيَّةَ فَدَوَّخَهَا ^(٢)
وَأَفْتَحَ عِدَّةَ حُصُونٍ مِنْهَا ، وَجَالَ فِي أَرْضِهِمْ وَرَجَعَ بَعْدَ طَوْلٍ
الْمَقَامِ بِالسَّبْيِ وَالْفَنَاءِ . وَفِي سَنَةِ سِتِّ وَعِشْرِينَ بَعَثَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَسَاكِرَ إِلَى أَرْضِ الْقَرْنَجَةِ ، وَأَتَتْهُوَ إِلَى أَرْضِ
بَرْطَانِيَّةَ ^(٣) ، وَكَانَ عَلَى مُقَدِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ مُوسَى بْنُ

وأكثرها شجر أوماء ، وكان طارق لما افتتح الاندلس ألغىها خرابا فعمرت
في الاسلام . ومن أهل مدينة سالم أبو الحسن علي بن إبراهيم بن فتح
يعرف بابن الامام أخذ عن أبي عمر بن عبد البر وأبي الوليد الباجي وغيرهما
وكان من أهل النبل والعرفة علما أدبيا توفى سنة ٤٧٩ . ومنهم أبو الأصمغ
عيسى بن أبي يونس بن أسد الفخمي وتوفى بها سنة ٤٨٢ . وعيسى بن
عبد الرحمن بن سعيد الأموي كان علما حافظا وتوفى سنة ٤٩٨ . ومنهم
أبو الوليد يونس بن عيسى بن خلف الانصاري للقرى العالم توفى سنة
٥٠٨ (١) أي بآزاء ثور المسلمين (٢) دوحها : قهرها واستولى على أهلها
(٣) كورة واسعة من أعمال الثغر الأعلى من شرقي الاندلس ، ومن
أعمال الثغر الأعلى مرسطة وكورة لاردة وكورة تطيلة وكورة وشقة
وكورة مدينة سالم وكورة قلعة أيوب وكورة برطانيا وكورة باروشة .

مُوسَى عَامِلُ تَطِيلَةَ ^(١) وَلَقِيَهُمُ الْعَدُوُّ فَصَبَرَ حَتَّى هَزَمَ اللَّهُ
عَدُوَّهُمْ ، وَكَانَ لِمُوسَى فِي هَذِهِ الْغَزَاةِ مَقَامٌ عَمُودٌ .



وَفِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِالْعَسَاكِرِ وَتَقَدَّمَ
إِلَى يَبْلُوتَةَ ^(٢) فَأَوْقَعَ بِالْمُشْرِكِينَ عِنْدَهَا وَقَتَلَ غَرَسِيَةَ ^(٣)
صَاحِبَهَا وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ مُلُوكِ النَّصَارَى . وَفِي أَيَّامِهِ ظَهَرَ
الْمَجُوسُ وَدَخَلُوا إِسْبِيلِيَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
الْعَسَاكِرَ مَعَ الْقَوَادِمِ مِنْ قُرْطَبَةَ ، فَتَزَلَّ الْمَجُوسُ مِنْ

دخول يبلوتة
والإغاث
بالمركبين

(١) مدينة في شرقي قرطبة كانت شريفة البقعة غزيرة المياه كثيرة الأشجار
والإثمار اختلطت في أيام الحكم بن هشام بينها وبين سرقطة ١٧ فرسخا
وكان الفرنج قد ملكوا مدينة تطيلة سنة ١٨٧ وأسروا أميرها يوسف
ابن عمرو ، ثم استخلصه المسلمون وفتحوا المدينة . ومن أهل تطيلة
أبو عبد الله محمد بن عيسى بن القاسم الصدقي الفقيه الشاعر الأديب
وتوفي سنة ٥٩٢ وممن ولي قضاء تطيلة للناصر وابنه المستنصر بالله محمد
ابن أحمد بن عبد الله بن محمد بن سليمان بن صالح بن تمام المعنري السرقطي
(٢) تقدم القول فيها وقد يسميها مؤرخو العرب بغلوتة وأما حكمها العرب
اثنى عشرة سنة فحسب وهي الآن من أنظف مدن اسبانيا وأكثرها
عناية بالنظام والاصلاح حتى ان جميع شوارعها وطراتها وأزقتها أنضاء
بمصاييح الكهرباء الساطعة (٣) لقب بابن غرسية كثير من علماء
الأندلس منهم العلامة الفقيه عبد الرحمن بن أحمد ، وهو لقب اسباني
Carcia ولا يزال لقباً لأسرات اسبانية كثيرة .

مَرَّا كِيْهِمْ ، وَقَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَهَزَمُوهُمْ بَعْدَ مَقَامٍ صَغِيرٍ ،
ثُمَّ جَاءَتْ الْمَسَاكِرُ مَدَدًا مِنْ قُرْبَى ، فَقَاتَلَهُمُ الْمَجُوسُ
فَهَزَمَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، وَغَنِمُوا بَعْضَ مَرَّا كِيْهِمْ وَأَخْرَقُوهَا ،
وَرَحَلَ الْمَجُوسُ إِلَى شَذُونَةَ ، فَأَقَامُوا عَلَيْهَا يَوْمَيْنِ وَغَنِمُوا
بَعْضَ الشَّيْءِ ، وَوَصَلَتْ مَرَّا كِبُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى إِشْبِيلَةَ
فَأَقْلَعَ الْمَجُوسُ إِلَى لَبْلَةٍ وَأَغَارُوا وَسَبَوْا ، ثُمَّ إِلَى بَابَةِ ،
ثُمَّ أَشْبُونَةَ ، ثُمَّ انْقَطَعَ خَبَرُهُمْ حِينَ أَقْلَمُوا مِنْ أَشْبُونَةَ ،
وَسَكَنْتِ الْبِلَادُ ، وَذَلِكَ سَنَةٌ ثَلَاثِينَ ، وَتَقَدَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
بِإِصْلَاحِ مَا خَرَّبُوهُ مِنَ الْبِلَادِ ، وَأَكْتَفَ حَامِيَتَهَا ^(١) .



دخول جليقية
وعاصم مدينة
ليون

وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ بَعَثَ الْمَسَاكِرَ إِلَى جَلِيقِيَّةَ
فَدَوَّخُوهَا وَحَاصَرُوا مَدِينَةَ لِيُون ^(٢) وَرَمَوْهَا بِالْمَجَانِقِ ، وَهَرَبَ

(١) لعله تحريف صوابه: (أكتف) أي جعل حاميتها كثيفة أي كثيرة عظيمة
من الكنف: وهو الجماعة والحشد والكثرة والاتفاف. والكنف اسم
يوصف به السكر والحابب واللواء. « أحمد نحاس » . (٢) مدينة من
بلاد الجلائقة شمال أسبانيا ، وهي غير ليون فرنسا ، وكان عبد الرحمن
الضافقي قبل ذلك « وهو الذي بدأ بإصلاح ما فسد من داخل البلاد » قد
سار إلى (أرل) وبعد استيلائه عليها سار إلى (بورجو) التي يسميها
العرب بردال وبردال فاستولى عليها ثم قصد (ليون) و (بيزانسون)

أَهْلَهَا عَنْهَا وَتَرَ كُوهَا ، فَفَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مَا فِيهَا وَأَخْرَقُوهَا ،
وَأَرَادُوا هَدْمَ سُورِهَا فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ لِأَنَّ عَرَضَهُ كَانَ سَبْعَةَ
عَشَرَ ذِرَاعًا ، فَتَلَمَّوْا فِيهِ ثُلَمَةً وَرَجَعُوا .



ثُمَّ أَغْزَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَاجِبَهُ عَبْدَ الْكَرِيمِ فِي الْمَسَارِكِ
إِلَى بِلَادِ رَشْلُونَةَ ، فَصَاتَ فِي نَوَاحِيهَا ، وَأَجَازَ الدُّرُوبَ الَّتِي تُسَمَّى
الْبُرْتُ إِلَى بِلَادِ الْفَرَنْجَةِ ^(١) فَدَوَّخَهَا قَتْلًا وَأَسْرًا وَسَبْيًا وَحَاصَرَهُ
مَدِينَتَهَا الْمُظْمَى (جَرِيدَةً) وَعَاثَ ^(٢) فِي نَوَاحِيهَا وَقَتَلَ ، وَقَدْ

غزويرشلوبه

فأخذها عنوة - وقد كان من أول مآذره بقية السيف جهة جبال البرينات
بسوء مكرهم وسياستهم أن كونوا لهم دولة سموها « ليون » وأقاموا عليها
ملكاً منهم وكانت هذه المملكة تجاور ملكة قشتالة غرباً وإلى الشمال
منها . ومن مدنها سمورة وشلنقة وقلعرية وغيرها ، ثم أخذت أطرافها تمتد
إلى جهة الجنوب الشرقي حتى كان من ذلك مملكة (قشتالة) قام بالأمر
فيها أمير منهم انتهى أمره أن صار ملكاً ، وهكذا أخذت رقعة أملاكهم
تتسع ودأرتما تنداح وتنفسح إلى أن كان ما كان : ومعظم النار من
مستنصر الشرر :

ان القنذى يؤذى البيون أفله ولربما جرح البعض الفيل
(١) يريد حدود فرنسا الجنوبية الغربية ووجهة جبال البرينات : وأصل
الحرب للضييق في الجبال وكل مدخل إلى الروم والافرنج درب من دروبها
ومنهم قولهم : أدرب القوم إذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم « أحمد نجاشي »
(٢) عاث : أفسد

كَانَ مَلِكَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مِنْ وَرَثَتِهِمْ تُوفِلُسُ بَعَثَ إِلَى الْأَمِيرِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ بِهَدِيَّةٍ يَطْلُبُ مُوَاصَلَتَهُ
وَيُرْغَبُهُ فِي مُلْكِهِ سَلَفِهِ بِالْمَشْرِقِ مِنْ أَجْلِ مَا ضَيَّقَ بِهِ
الْمَأْمُونُ وَالْمُعْتَصِمُ^(١)، حَتَّى إِنَّهُ ذَكَرَهَا لَهُ فِي كِتَابِهِ لَهُ

(١) في سنة ٢١٧ كتب توفيل بن ميخائيل بن جرجس صاحب الروم الى
للمأمون يسأله الصلح وعرض الفدية وبدأ بنفسه في كتابه ومزج فيه اللين
بالشدة والاستعطاف بالوعيد ، فكتب اليه للمأمون رجع جوابه كتابا بليفا
منصفا شديدا يتوعد وعيده ويحتقر تهديده ختمه بقوله : «وقد رأيت أن
أقدم اليك بالوعظة التي يثبت الله بها عليك الحجة من الدعاء لك ولبن معك
الى الوحدة والشرعية الحنيفية ، فان آيت فدية توجب ذمة وثبتت
نظرة ، وان تركت ذلك في يقين للعائنة لنعودنا ما يضي عن الابلاغ في
القول والأغراق في الصفة ، والسلام على من اتبع الهدى» . وفي سنة ٢٢٣
في خلافة للمعتمد وقع توفيل بأهل زبطرة (مدينة بين ملطية وسمبساط
والحدث في طرف بلاد الروم) فأسرهم وخرب ديارهم ، ثم مضى الى ملطية
فأغار على أهلها وسبي كثيرا من مسلمات سيداتها ومثل بمن صار في يده
من المسلمين أشنع تمثيل ، فلما بلغ ذلك للمعتمد هاله الأمر واستعظمه
وصاح في قصره البغدير ، ووجه جماعة من قواده الى زبطرة فوجدوا ملك
الروم قد عاد الى بلاده ، وشخص للمعتمد غازيا الى بلاد الروم وقد تجهز
جهازا لم يجهز مثله قبله خليفة قط ، وحالفه النصر العزيز في غزاته ففتح
مدينة عمورية وعاد وفي أيديه كثير من الأسرى ، وفي ذلك يقول
أبو تمام في قصيدته المشهورة :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحديدين الجد واللعب



ليت صوتنا زبطريا هزقت له كاس الكرى وورضاب الحرد العرب

وَعَمْرَ عَنْهُمَا يَا بَنِي مَرَجِلٍ وَمَارِدَةَ^(١) ، فَكَافَأَهُ الْأَمِيرُ

وهلك توفيل ملك الروم سنة ٢٢٧ وكانت مدة ملكه ١٢ سنة وملكته بعده امرأته تدورة وكان ابنها ميخائيل بن توفيل صيبا . « أحمد نجاشي » (١) أم للأمون أم ولد فارسية تسمى مارجل ماتت أيام نفاسها به « وفي الأصل مارجل بالحاء وهو تحريف » وأم للعنصم من مولدات الكوفة واسمها ماردة وكانت أمها عذبة وكان أبوها قد نشأ بالبندنجين « بلدة في طرف النهر وان من ناحية الجبل من أعمال بباد » وما يذكر أن للأمون كان شديد الليل إلى العلويين والتقرب منهم والاحسان إليهم وأخباره في ذلك مشهورة مهم ، وكان يفعل ذلك طبعاً لا تسكفا حتى انه في سنة ٢٠٢ زوج على بن موسى الرضا ابنته أم حبيب ، وزوج محمد بن علي ابن موسى الرضا ابنته أم الفضل ، وفي سنة ٢٠٤ دخل بغداد ولباسه ولباس أصحابه وأعلامهم الخضرة « شارة العلويين » ومكتوا كذلك حوالي شهر وساء ذلك بني العباس وبعض قواد الجيش فماد إلى السواد وزى دولة آبائه ، ومن ذلك أنه توفي في أيامه يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين العلوي فحضر الصلاة عليه بنفسه ورأى الناس عليه من الحزن والكآبة ما لم يجربوا منه ، ثم ان رجلا من أبناء زينب بنت ساجان بن علي بن عبد الله بن العباس - وهي ابنة عم للنصور - توفي بعده فأرسل له للأمون كفا وبث أخاه صالحا ليعلى عليه ويعزى أمه فاتها كانت عند العباسيين بمنزلة عظيمة ، فقصدها صالح وعزاها عن الخليفة للأمون واعتذر عن تخلفه عن الصلاة عليه ، فظهر غضبها وهاج الحزن والتأثر ثورة نفسها وقالت لابن ابنها تقدم فصل على أبيك ، وتمثلت :

سبكتاه ونحبسه لجينا فأبدى الكبير عن خبث الحديد

ثم قالت لصالح بن الرشيد قل له : يا بن مارجل أما لو كان يحيى بن الحسين بن يزيد لوضمت ذيلك على فيك وعدوت خلف جنازته : « أحمد يوسف نجاشي » .

عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنِ الْهَدِيَّةِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ يَحْيَى النَّزَالِ مِنْ^(١)
كِبَارِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَكَانَ مَشْهُورًا فِي الشَّرِّ وَالْحِكْمَةِ
فَأَخْلَصَ بَيْنَهُمَا الْوُصْلَةَ، وَارْتَقَعَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ذِكْرٌ عِنْدَ
مُنَازِعَتِهِ^(٢) مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ

وَيُعرفُ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِالْأَوْسَطِ، لِأَنَّ
الْأَوَّلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّخِيلُ، وَالثَّالِثُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
النَّاصِرُ، ثُمَّ تُوُفِّيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطُ سَنَةَ ثَمَانٍ
وَعَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ بِرَيْسِ الْآخِرِ لِاحْدَى وَثَلَاثِينَ
سَنَةً مِنْ إِمَارَتِهِ، وَمَوْلَدُهُ بِطَلِيطَةَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سِتِّ
وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ، وَكَانَ عَالِمًا بِمُلُومِ الشَّرِيعَةِ وَالْفَلَسَفَةِ،
وَكَانَتْ أَيَّامُهُ أَيَّامَ هُدُوءٍ وَسُكُونٍ، وَكَثُرَتْ الْأَمْوَالُ
عِنْدَهُ، وَاتَّخَذَ الْقُصُورَ وَالْمَتَرَّهَاتِ، وَجَلَبَ إِلَيْهَا أَلِيَّاءَهُ
مِنْ الْجِبَالِ، وَجَمَعَ لِقَصْرِ^(٣) مَصْنَعًا^(٤) اتَّخَذَهُ النَّاسُ

(١) تقدم ذكره، وسيأتي له حديث آخر (٢) في الأصل (مناغية) وهو
تصنيف وتخريف فاسد (٣) في الأصل (لفظه) وهو تحريف غير
مناسب (٤) للمصنع: حوض أو شبه صهريج يجتمع فيه ماء المطر وبه
فسر بعضهم قوله تعالى: «وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون».

شريعة^(١)، وأقام الجسور، وبنيت في أيامه الجوامع بكور
الأندلس، وزاد في جامع قرطبة رواقين^(٢) ومات قبل
أن يستتمه فاته ابنه محمد بعده، وبني بالأندلس جوامع
كثيرة، ورث رسوم^(٣) المملكة، واحتجب عن العامة.
وعدد ولده مائة وخمسون من الذكور، وخمسون من
الإناث، ونقش خاتمه: «عابد الرحمن بقضاء الله راض». وفي
ذلك قيل:

خاتم للملك أضحي حُكْمُهُ فِي النَّاسِ مَاضِي
عَابِدُ الرَّحْمَنِ فِيهِ بِقَضَاءِ اللَّهِ رَاضِي

(١) أصل الشريعة مورد الشاربه التي يشرعها الناس فيشربون منها
ويستقون ويوردونها دولهم . والعرب لاتسميها شريعة حتى يكون الماء
عدا لاقطاع له ويكون ظاهرا معينا لايتقى بالرشاء . ونهر الشريعة
بالقرب من بيت المقدس ، بنى عليه السلطان برقوق جسرا فقلت فيه
السيدة عائشة الباعونية :

بنى سلطاننا برقوق جسرا بدل والائنام له مطيمة

بجاز في الحقيقة لبرايا وأمر بالوقوف على الشريعة

(٢) الرواق سقف في مقدم البيت ، أويت كالنسطاط يحمل على سطاوع
واحد في وسطه (٣) أى أوامر وقوانين، ورسم له كذا أى أمره به ، فارسم أى
امثل . ويقال أنا أرسم مراسمك لا أخطأها . والرسم كتاب مطبوع
وجمه مراسيم .

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَحَدَّثَ هَذَا النَّقْشَ وَبَقِيَ وَرِاثَةً لِمَنْ
بَعْدَهُ مِنْ وَلَدِهِ



« قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ » وَفِي أَيَّامِهِ أَتَتْهُ مَالُ الْجَبَايَةِ إِلَى
أَلْفِ أَلْفٍ دِينَارٍ فِي السَّنَةِ ، وَكَانَ قَبْلُ لَا يَزِيدُ عَلَى سِتْمِائَةِ
أَلْفٍ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مَا يُخَالِفُ هَذَا
فَلْيُرَاجَعْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَمِنْ تَوْقِيعَاتِهِ : مَنْ لَمْ يَعْرِفْ وَجْهَ
طَلَبِهِ فَالْحَرَمَانُ أَوَّلَى بِهِ ، وَمِنْ شِعْرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَذْكُورِ
قَوْلُهُ :

وَلَقَدْ تَمَارَضُ^(١) أَوْجُهُ لِأَوَامِرِ

فَيَقُودُهَا التَّوْفِيقُ نَحْوَ صَوَابِهَا

وَالشَّيْخُ إِنْ يَحْوِ الثَّغْيَ بَتَجَارِبِ

فَشِبَابِ^(٢) رَأَى الْقَوْمَ عِنْدَ شَبَابِهَا

(١) أى يمرض بعضها بعضا وتشبهه على الرء ملتبسة مبهمه ، وعرضه جانبه
وعدل عنه ، وحقيقة للمارضة حينئذ أن يكون كلاهما فى عرض صاحبه ،
وعرض الكتاب : قابله بكتاب آخر (٢) الشباب الفتاء وحفاة السن ،



حافل في جامع
خرطبه
وَفِي زِيَادَتِهِ فِي جَامِعٍ قُرْطَبَةَ يَقُولُ ابْنُ أَلْتَمِثِ (١)
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

بَنَيْتَ اللَّهُ خَيْرَ بَيْتٍ يَخْرُسُ عَنْ وَصْفِهِ الْأَنَامُ
حُجَّ إِلَيْهِ بِكُلِّ (٢) أَوْبٍ كَأَنَّهُ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ
كَأَنَّ حِرَابَهُ (٣) إِذَا مَا حُفَّ بِهِ الرُّكْنُ وَالْمَقَامُ
وَقَالَ آخَرُ :

بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ لَمْ يَكُ مِثْلُهُ
وَلَا مِثْلُهُ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ مَسْجِدُ
سَيَوَى مَا بَنَى الرَّحْمَنُ وَالْمَسْجِدَ الَّذِي
بَنَاهُ نَبِيُّ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدٌ

والشباب (بكسر الشين) ما شبت به النار أى أوقدت ، وشب الفرس يشب
شبابا رفع يديه جيما ولعب وقص ، وكذلك اذا حرن ، وأرى أن (شباب)
الأولى يجوز أن تقرأ بالوجهين (١) ومن تنزل عبد الرحمن بن أحمد بن
اللتى قوله :

وخرطفي الممدود وفي التجنى كافرط الروافض في على
يلاحظنى بلحظ بابلى ويفعل في ضال الدامرى .
(٢) حجة اليه : قصده ، من كل أوب : من كل جهة (٣) قال الأزهري : الحراب
عند العلة التى يهيمه الناس : مقام الامام من المسجد - والحراب : للوضع
الذى يتفرد به الملك فيباعد عن الناس ، وصدر المجلس .

لَهُ مُعْدٌ مُّحَرَّمٌ وَخُضْرٌ كَانَا
 تَلُوحُ يَوَاقِيتُهَا وَزَبَرْجَدُ
 أَلَا يَا أَمِينَ اللَّهِ لَا زِلْتَ سَالِمًا
 وَلَا زِلْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ تُسَدَّدُ^(١)
 فَيَا لَيْتَنَا نَقْدِيكَ مِنْ كُلِّ حَادِثٍ
 وَأَنْتَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ تَخْلُدُ
 وَكَانَ كَثِيرَ الْمَيْلِ لِلنِّسَاءِ، وَوَلَعَ بِجَارِيَتِهِ طَرُوبَ
 وَكَلِفَ^(٢) بِهَا كَلَفًا شَدِيدًا، وَهِيَ الَّتِي بَنَى عَلَيْهَا الْبَابَ
 بِيَدِرِ^(٣) الْمَالِ حِينَ تَجَنَّتْ^(٤) عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهَا حَلِيًّا قِيمَتُهُ مِائَةُ
 أَلْفِ دِينَارٍ قَقِيلَ لَهُ: إِنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْرُجَ مِنْ
 خِزَانَةِ الْمَلِكِ، فَقَالَ: إِنَّ لَابِسَهُ أَنْفُسُ مِنْهُ خَطَرًا، وَأَرْفَعُ

(١) أى توفى الى السداد والصواب (٢) كف بها : أحباها حباً شديداً وأولع
 بها حتى شغفتها بها (٣) جمع بكرة وهى كيس فى ألف أو عشرة آلاف درهم
 أو سبعة آلاف دينار ، وتقول : فلان يهب البدور ويهب البدور
 (٤) تجنبت عليه : ادعت عليه ورمته باثم لم يفعلها تها ودلالا قال الشاعر :
 تجنى على الذنب والذنب ذنبه وعائني ظلما وفى جنبه العقب
 وكانوا يقولون : التجنى وافد القطيعة

قَدَرًا، وَأَكْرَمُ جَوْهَرًا، وَأَشْرَفُ عُصْرًا، وَفِيهَا يَقُولُ:

إِذَا مَا بَدَتْ لِي شَمْسُ النَّهَارِ

رِطَالِمَةً ذَكَرْتَنِي طَرُوبًا

أَنَا ابْنُ الْيَمَامِينَ^(١) مِنْ غَالِبٍ

أَشْبُ حُرُوبًا^(٢) وَأُطْفِي حُرُوبًا

وَخَرَجَ غَارِيًّا إِلَى جِلْدِيَّةَ، فَطَالَتْ غَيْبَتُهُ، فَكَتَبَ

إِلَيْهَا:

عَدَانِي عَنْكَ^(٣) مَرَارُ الْعِدَا

وَقَوْدِي إِلَيْهِمْ سِهَامًا مُصِيبًا

فَكَمْ قَدْ تَخَطَّيْتُ مِنْ سَبَسَبٍ^(٤)

وَلَا قَيْتُ بَعْدَ دُرُوبٍ دُرُوبًا؟

أَلَا لِي بِوَجْهِ سَمُومِ الْهَجْرِ^(٥)

رِإِذْ كَادَ مِنْهُ الْخَصِي أَنْ يَذُوبًا

(١) من اليمن وهو البركة (٢) أشب: أوقد (٣) عداني: صرفتي وعافيتي، يقال عدته عنه العوادي، وعافته العوائق، وصرفته اللوانع. والزوار: الزيارة ولعل (سهما) في البيت محرفة عن (لهما) أي جيشا لهما كثيرا لئلا يمتهم كل شيء (٤) السبب: للفازة (٥) سموم الهجير: شدة حرارة القبط وقت الظهر

تَدَارَكَ بِي اللَّهُ دِينَ الْهُدَى
فَأَحْيَيْتُهُ وَأَمَتُ الصَّلِيَا
وَسِرْتُ إِلَى الشُّرْكِ فِي جَحْفَلٍ^(١)
مَلَأْتُ الْخَزُونَ بِهِ وَالشُّهُوبَا^(٢)

« وَسَاقَ » بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ قَضِيَّةَ طَرُوبَ هَذِهِ بِقَوْلِهِ :
عبد الرحمن الأوسط وجرته طروب
إِنَّ السُّلْطَانَ أَلَمَذَ كُورَ أَغْضِبَهَا، فَهَجَرْتُهُ وَصَدَّتْ عَنْهُ وَأَبَتْ
أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَزِمَتْ مَقْصُورَهَا^(٣) ، فَاشْتَدَّ قَلْقُهُ لِهَجْرِهَا ،
وَصَاقَ ذَرْعُهُ مِنْ شَوْقِهَا، وَجَهَدَ أَنْ يَتَرَصَّاهَا بِكُلِّ وَجْهِ ، فَأَعْيَاهُ

(١) الجحفل : الجيش الكثير العدد (٢) جمع سهب وهو الفلاة والصحراء .
والسهب يضم السين وسكون الهاء : المستوى من الأرض في سهولة أو
للتسوية البعيدة ، أو الواسع من الأرض ، قال الفضل بن العباس الهبلي :
حللنا من تهامة كل سهب تنقي التراب أودية رحبا
(٣) للقصور : الدار الواسعة المحصنة بالحيطان ، أو هي أصغر من الدار
وقال البيت : إذا كانت دار واسعة محصنة بالحيطان فكل ناحية منها على
حدها مقصورة ، وللقصور والقصور ما قصر من الدار فلا يدخلها إلا صاحبها
وللقصور المحجلة . وقصر الجارية بالحجب إذا صانها : وقصر الستر
عليها أرخاء ، قال حاتم الطائي :

وما تشكيني جلق غير أئني إذا غاب عنها زوجها لا أزورها
سبيلتها خيرى ويرجع بملها إليها ولم تقصر على ستورها

ذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ مِنْ خَاصَّةٍ خِصْيَانِهِ مَنْ يُكْرِهُمَا عَلَى
الْوُضُوءِ إِلَيْهِ ، فَأَغْلَقَتْ بَابَ مَجْلِسِهَا فِي وَجْهِهِمْ ، وَآلَتْ
أَلَّا تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ طَائِفَةٌ وَلَوْ أَنْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى الْقَتْلِ ،
فَانْصَرَفُوا إِلَيْهِ وَأَعْلَمُوهُ بِقَوْلِهَا ، وَأَسْتَأْذَنُوهُ فِي كَسْرِ الْبَابِ
عَلَيْهَا ، فَهَاجَمُ ، وَأَمَرَهُمْ بِسَدِّ الْبَابِ عَلَيْهَا مِنْ خَارِجِهِ بِبَدْرِ
الدَّرَاهِمِ ، فَفَعَلُوا وَبَنَوْا عَلَيْهَا بِالْبَدْرِ ، وَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ
بِالْبَابِ ، وَكَلَّمَهَا مُسْتَرْضِيًّا رَاغِبًا فِي الْمُرَاجَعَةِ عَلَى أَنَّهَا
جَمِيعٌ مَا سُدَّ بِهِ الْبَابُ ، فَأَجَابَتْ وَفَتَحَتْ الْبَابَ ، فَأَنهَلَتْ
الْبَدْرَ فِي يَدَيْهَا ، فَأَكَبَتْ^(١) عَلَى رِجْلِهَا تَقْبِلُهَا وَحَازَتْ الْمَالَ .
وَكَانَتْ تُبْرِمُ^(٢) الْأُمُورَ مَعَ مُضَرَّ الْحِصَى ، فَلَا يَرُدُّ شَيْئًا مِمَّا
تُبْرِمُهُ . وَأَحَبَّ أُخْرَى اسْمُهَا مُدْثَرَّةٌ^(٣) فَأَعْتَقَهَا وَزَوَّجَهَا ،
وَأُخْرَى كَذَلِكَ اسْمُهَا الشَّفَاءُ ، . وَأَمَّا جَارِيتُهُ فَلَمْ فَكَانَتْ

(١) أى أقبلت وتجانأت « انحنت » (٢) تبرم : تدبرها وتنفضها وتخصيها
(٣) اسم فاعل من ادثر بالثوب والدثار اذا اشتمل به وتلفف داخلا
فيها الاصل متدثرة ادغمت التاء في الهال وشددت ، وقال الفراء في قوله
تعالى : يا أيها الدثر : يعنى للتدثر بشيائه اذا نام وفي الحديث : « كان اذا نزل
عليه الوحي يقول : دثروني دثروني » أى غطوني بما أدفأ به . وفلانة دنور
الضحي تدثر فتنام

أَدْبِيَّةٌ حَسَنَةٌ أَخْطَأَ رَاوِيَةً لِلشَّعْرِ حَافِظَةً لِلْأَخْبَارِ عَالِمَةً
يُضْرُوبُ الْأَدَبَ . وَكَانَ مُوَلِّمًا بِالسَّمَاعِ مُؤَثِّرًا لَهُ عَلَى جَمِيعِ
لَدَّائِهِ . وَلَهُ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ -



وَلَمَّا مَاتَ وَلَّى مَكَانَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ * فَبَعَثَ لِأَوَّلِ
وَلَايَتِهِ عَسَاكِرَ مَعَ مُوسَى بْنِ مُوسَى صَاحِبِ طُلَيْطَلَةَ^(١)

(١) كذا بالأصل ، والذي في ابن خلدون وابن الأثير أنه صاحب
« ططيلة » وهو الذي أرجحه فإن موسى بن موسى كان عاملاً
على مدينة ططيلة من أيام الأمير عبد الرحمن « والد محمد » وكان من
أعيان قواده ، ثم جرى بينه وبين القواد تحامداً ومنافسة أدت إلى
عصيانه على عبد الرحمن وثورته ثورة قتل فيها ابنه « لب بن موسى »
ثم جرت حوادث فظيمة سنة ٢٤٩ كان فيها « غرسية » ملك الفرنجة
سنة ٢٢٩ مساعداً لموسى إلى أن طلب موسى السلالة فأجيب إليها وأعطى
ابنه اسماعيل رهينة وولاه عبد الرحمن مدينة ططيلة فسار موسى إليها وأخرج
منها كل من يخافه واستقر فيها « أحمد يوسف نجاشي »

* ترجم له في كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن القرضى « ج ١ ص ٩ »
بمبائى : قال أحمد : ولّى محمد بن عبد الرحمن فى الليلة التى توفى فيها أبوه
وتوفى رحمه الله ليلة الخميس فى صفر سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، فلبث
فى ولايته أربعين سنة غير ثلاثة أيام . قال الرازى : ولّى الأمير محمد
ابن عبد الرحمن يوم الخميس ثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ثمان
وثلاثين ومائتين وتوفى غشية الخميس ليلة بقيت من صفر سنة ثلاث وسبعين
فكانت خلافته أربعين سنة وعشرة أشهر وسبعة عشر يوماً .
وطغ من السن خمساً وستين سنة . وكان مولده فى ذى القعدة سنة سبع ومائتين .

فَآتَ^(١) فِي نَوَاحِي أَلْبَةِ وَالْقِلَاعِ ، وَفَتَحَ بَعْضَ حُصُونِهَا
وَرَجَعَ ، وَبَعَثَ عَسَاكِرَ أُخْرَى إِلَى نَوَاحِي بَرْشَلُونَةَ
وَمَا وَرَاءَهَا ، فَمَاتُوا فِيهَا وَقَتَحُوا حُصُونًا مِنْ بَرْشَلُونَةَ
وَرَجَعُوا .

وَلَمَّا أَسْتَمَدَ أَهْلُ طُلَيْطَلَةَ الْمُخَالِفُونَ مِنْ أَهْلِ
بِلَادِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ بِلَاكِي جَلِيقَةَ وَالْبَشْكَسِ
لِقِيَمُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ عَلَى وَادِي سُلَيْطَةَ^(٢) ، وَقَدْ أَكْمَنَ
لَهُمْ فَأَوْقَعَ بِهِمْ ، وَبَلَّغَتْ عِدَّةُ الْقَتْلِ مِنْ أَهْلِ طُلَيْطَلَةَ
وَالْمُشْرِكِينَ عِشْرِينَ أَلْفًا .

وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ ظَهَرَتْ مَرَاكِبُ الْمَجُوسِ^(٣)
وَعَاثُوا فِي الْأَنْدَلُسِ ، فَلَقِيَهُمْ مَرَاكِبُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ

(١) عات : أفسد (٢) كذا بالأصل . . وفي تاريخ ابن خلدون وابن الأثير
« وادي سلب » في غير موضع . راجع ابن الأثير في حوادث سنة ٢٤٠
(٣) أصل هؤلاء الذين يسميهم كثير من مؤرخي العرب بالمجوس أنه في
سنة ٢٢٩ ظهر على شواطئ أشبونة أكثر من خمسين سفينة تقل كثيرا
من أقوام متوحشين قمعوا من البلطيق وشواطئ « التروبيج » يعرفون عند
مؤرخي الأفرنج بالنورمان ويسيهم مؤرخو العرب « المجوس » وما ظن
أن الراد بهم عابو النيران بل يرى بعضهم أنهم للروفون لدى العرب

فَقَاتَلُوهُمْ وَغَنِمُوا مِنْهُمْ مَرَّ كَبِيرٍ ، وَأَسْتَشْهِدَ جَمَاعَةٌ مِنْ
 الْمُسْلِمِينَ ^(١) . وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ أَعَزَّى مُحَمَّدٌ إِلَى
 نَوَاحِي بَنِي لُؤْلُؤَةَ ، وَصَاحِبِهَا حِينَئِذٍ غَرَسِيَّةُ بْنُ وَبْقَةَ ، وَكَانَ
 يُظَاهِرُ أَرْحَدَ بْنَ أَذْقَنْشٍ ^(٢) ، فَعَاشِيَ نَوَاحِي بَنِي لُؤْلُؤَةَ ، وَرَجَعَ
 وَقَدْ دَوَّخَهَا وَفَتَحَ كَثِيرًا مِنْ حُصُونِهَا وَأَسَرَ قَرْتُونَ ^(٣)
 ابْنُ صَاحِبِهَا ، فَبَقِيَ أَسِيرًا بِقَرْطَبَةَ عَشْرِينَ سَنَةً ^(٤) . ثُمَّ
 بَعَثَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ أَخَاهُ الْمُنْدَرِ فِي الْمَسَاكِ إِلَى
 نَوَاحِي الْأَلْبَةِ وَالْقِلَاعِ ، فَعَاثُوا فِيهَا وَجَمَعَ لَدْرِيُّ لِلْقَائِمِ
 خَلْقَهُمْ وَأَنْهَزَهُمْ ، وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَشْرِكِينَ بِالْقَتْلِ
 وَالْأَسْرِ ، فَكَانَ فَتْحًا لَا كِفَاءَ لَهُ ^(٥) .

باسم «الأجوج» أو «ياجوج، مأجوج» وأنترى في كثير من كتب
 التفسير أن بعض أخبار اليهود يقول ان ياجوج ومأجوج في منتهى
 الشمال حيث لا يستطيع أحد سواهم السكنى فيه ، ولقد عثا هؤلاء البربر
 للتوحشون مفسدين في أرض الاندلس وأزعجوا كثيرا من نواحيها
 وسكان الشواطىء فيها وهدموا كثيرا من مبانيها (١) ارجع الى خبر هذه
 الفزوة في تاريخ ابن الاثير في حوادث سنة ٢٤٥ وما بعدها فهو أوضح
 وأكثر فائدة (٢) هو صاحب جليقية (٣) هو ابن غرسية وكان شجاعا
 مقداما وبطلا صنديدا (٤) بعد ذلك أطلقه الأمير من أسره وأبلغ له أن
 يعود الى وطنه ولكنه أتر طامعا غتارا أن يقيم بمدينة قرطبة الى أن بلغ
 من الكبر عتيا (٥) لا كفاءه : لامثيل ولا نظير له ، قال حسان بن ثابت :
 جوروح القدس ليس له كفاءه أي جبريل عليه السلام ليس له نظير ولا مثيل



غزو بلاد الجلائفة

ثُمَّ غَزَا الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ بِنَفْسِهِ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ
بِلَادَ الْجَلَالَةِ^(١) فَأَنْصَحَنَ وَخَرَّبَ . وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ
أَغْزَى الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ ابْنَهُ الْمُنْدَرِ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ^(٢) .
وَفِي السَّنَةِ الَّتِي بَعْدَهَا إِلَى بَنْبُلُونَةَ ، فَدَوَّخَهَا وَرَجَعَ^(٣) .
وَفِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ أَغْزَاهُ أَيْضًا إِلَى دَارِ الْحَرْبِ ، فَكَانَتْ
فِي نَوَاحِيهَا وَقَفَّحَ حُصُونَهَا^(٤)

وَفِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ خُرِبَتْ مَارِدَةُ^(٥) وَهُدِمَتْ

(١) كانت في الشمال الغربي من أسبانيا (٢) انظر ابن الأثير في حوادث
سنة ٢٦٣ ويريد بدار الحرب جليقية (٣) انظر حوادث سنة ٢٦٤ في ابن
الأثير (٤) ارجع الى ابن الأثير في حوادث سنة ٢٦٨ (٥) ماردة : كورة
واسعة متعلقة بحوز فريش بين الترب والجوف من أعمال قرطبة وهي
على نهر بطليوس « الوادي النافع » الى الشرق منها . وكانت إحدى القواعد
التي تخيرتها للولك للسكنى من القياصرة والروم . قال ياقوت : وهي مدينة
رائعة كثيرة الخلم عالية البنيان فيها آثار قديمة حسنة تقصد للفرجة
والتعجب ، ولها حصون وقرى . ومن أهل ماردة أبو عبد الله مالك بن
معروف يروى عن عبد الملك بن حبيب ، وتوفي سنة ٢٦٤ .
ومنهم أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن ثبات كان قضيها حافظا نبيا
وهو من أهل ماردة وسكن قرطبة وتوفي سنة ٥٤١ .

وَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ رَأَى بِالْمَشْرِقِ
هَذِهِ الْآيَاتَ قَبْلَ أَنْ تُخْرَبَ ^(١) مَارِدَةُ بِأَعْوَامٍ ، وَلَمْ
يُعْلَمْ قَائِلُهَا وَذَلِكَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ .

(١) كان لهذه المدينة من اسمها نصيب فان الثورات لم تكد تهدأ فيها منذ أيام الحكم بن هشام ففي سنة ١٩١ عصى أصبغ بن عبد الله ووافقه أهل ماردة على الأمير الحكم وأخرجوا عامله ، واتصل الأمر بالحكم فسار إليها وحاصرها وبينما هو مجد في الحصار أتاه الخبر عن أهل قرطبة أنهم شقوا عما الطاعة فرجع مبادرا إليها وعاقب من أثار الفتننة عقابا صارما كان عبرة لسواهم ولم يزل أهل ماردة تارة يطيعون وتارة يصونون إلى سنة ١٩٢ فضغط أمر أصبغ لأن الحكم وإلى إرسال الجيوش إليه واستمال طائفة من أعيان أهل ماردة وثقاته من أصحابه فقالوا إلى الأمير وتركوا أصبغ حتى أخوه فضمت نفسه وألقى يد السلم وأرسل يطلب الأمان من الحكم فأمنه ففارق ماردة وحضر عند الحكم وأقام بقرطبة . وفي سنة ١٩٤ عاود أهل ماردة الخلف على الحكم ونيذوا طاعته فسار بنفسه إليهم وقتلهم ولم يزل سراياه وجيوشه تتردد إلى محاربتهم والنيل منهم ومن مدينتهم في هذه السنة ، وفي سنتي ١٩٥ ، ١٩٦ طمع الفرنج في ثور المسلمين وقصدوها بالفترة وعاثوا فيها فسادا وكان الأمير الحكم مشغولا بأهل ماردة فلم يتفرغ للفرنج حتى بلغه الخبر بشدة الأمر وقطاعة ما يرتكبه الفرنجة مع أهل الثغور فلم يكن عزمه عنهم شدة بل سار إليهم وأذاقهم وبال أمرهم وعاد إلى قرطبة مظفرا . ومن أعظم الأسباب في اضطراب ماردة وعمرداها وتوالي الثورات فيها أن كان بين المسلمين من سكانها ولويس ملك الفرنج تراسل واتفاق يبطنون . كما أن ملك الجلائفة « ملكة ليون

وَنِلْ ۞ لِإِرْدَةِ الَّتِي مَرَدَّتْ ۞
وَتَكَبَّرَتْ عَنْ عُذْوَةِ النَّهْرِ
كَانَتْ تُرَى لَهُمْ بِهَا زَهْرُ
فَخَلَّتْ مِنَ الزَّهْرَاتِ كَالْقَفْرِ

القديعة « في شمال أسبانيا عاث بجيوشه سنة ٣٠٢ في أرض ماردة يحرق ويقتل فاتقم منه الناصر وغزا أرض ليون سنة ٣٠٤ ، فلا عجب أن دمرت ماردة وأن يرحل عنها كثير من صالحى أهلها الى سواها ، ومن هؤلاء أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سويد القيسى كان أصله من ماردة ففارقها الى بطليوس وكان عالما فقيها ذا منزلة عظيمة في فنون من العلوم وتوفى سنة ٣٠٠ ومنهم أبو عبد الله محمد بن مروان بن رزيق كان أصله من ماردة ثم سكن بطليوس ورحل الى الشرق سنة ٣٠٩ مع أخيه عبد الملك وروى عن كثير من أهل الأندلس والشرق وكان مع هذا تاجرا عاقلا حليما واستقدمه الأمير المنتصر بالله وكتب عنه وتوفى سنة ٣٣٩ عن ٩٥ سنة - وماردة كانت مدينة ذات شهرة ذائعة في أيام العرب وكانت لاتزال فيها الى عهد قريب آثار جلييلة تشهد بفضائلها ، ولا أدرى ما فعل الآثار ون الآن بها فقد قضى على كثير من هذه الآثار النفيسة . « أحمد يوسف نجاشى » .

(١) الويل : حاول الشر والمهلك والغضب (٢) مرد : عتاوعصى . والعدوة شاطئ الوادى وشفيره وحافته ، وعدوة كل شئ طواره وهو ما انتقاد منه من عرضه وطوله ، يقال زمت عدوة الطريق أو النهر أو الجبل أى طواره

فَالْوَيْلُ لَكُمْ أَلْوَيْحُ^(١) حِينَ غَزَا
يَجْمَعُهُمْ مِنْ صَاحِبِ الْأَمْرِ
ثُمَّ تُوُفِّيَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ فِي شَهْرِ صَفَرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ
وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ لِحَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ إِمَارَتِهِ، وَمَوْلِدُهُ
سَنَةِ سَبْعٍ وَمِائَتَيْنِ .

* *

لِلنَّفَرِ بْنِ
الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ

وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْمُنْذِرُ * وَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ وَأَقَامَ فِي

(١) الويح : كلمة ترحم وتوجع ، وقد تستعمل بمعنى ويل وقال سيبويه :
الويل لمن وقع في الملكة أو بلية لا يترحم عليه ، والويح زجر لمن أشرف
على الملكة ، وتقال لمن وقع في بلية يرحم ويدعى له بالتخلص منها .
ووقعت ويل في القرآن الكريم لاستحقاق العذاب بجرائمهم ، وأما ويح
فان النبي صلى الله عليه وسلم قالها لعمار بن ياسر ويحك يا ابن سمية يؤسا
لك تقتلك الأمّة الباغية ، كأنه أعلم بما يتلى به من القتل فتوجع له وترحم
* ترجمه في كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي « ج ١ ص ٩ »
جاءتني :

قال أحمد : ولي الأمير المنذر بن محمد يوم الأحد ثلاث مضين من
ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين وتوفي - رحمه الله تعالى - يشتر سنة
خمس وسبعين ومائتين . وقال الرازي : توفي الأمير المنذر - رحمه الله -
فجأة في محلة يشتر يوم السبت لتتصف من صفر سنة خمس وسبعين
وكانت خلافته سنة وأحد عشر شهرا وخمسة عشر يوما ، وبلغ من السن
ستا وأربعين سنة ، ودفن في القصر وصلى عليه الأمير أخو عبد الله بن محمد

الْمَلِكِ سِتِّينَ إِلَّا نِصْفَ شَهْرٍ ، وَتُوفِيَ مُتَّصِفَ صَفَرِ سَنَةِ
خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتِينَ وَفِيهِ قِيلَ^(١) :
بِالْمُنْدَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ صَلَحَتْ بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ

* *

عبد الله بن محمد ثُمَّ وَلِيَ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ * قَالَ ابْنُ خَلْدُون : كَانَ خَرَّاجُ
الْأَنْدَلُسِ قَبْلَهُ ثَلَاثَمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، مِائَةَ أَلْفٍ لِلْجِيُوشِ ،
وَمِائَةَ أَلْفٍ لِلنَّفَقَةِ فِي النِّوَابِ وَمَا يَمْرُضُ ، وَمِائَةَ أَلْفٍ
ذَخِيرَةً وَوَفَرًا ، فَأَتَقَقَ الْوَفَرُ حِينَ اضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ
نَوَاحِي الْأَنْدَلُسِ بِالثُّوَارِ وَالْمُتَغَلِّبِينَ فِي تِلْكَ السِّنِينَ ، وَقَالَ

(١) القائل ابن عبد ربه صاحب المقد الفريد ، وبهذه :

فالطبر فيها ساكن والوحش فيها قد أنس

* ترجمه في كتاب تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي « ج ١
ص ٩ » بما يأتي : قال أحمد :

ولي عبد الله بن محمد سنة خمس وسبعين ومائتين وتوفي - رحمه الله -
ليلة الخميس أول يوم من ربيع الأول سنة ثلثمائة وقال الرازي : توفي الأمير
عبد الله ليلة الخميس مقبل ربيع الأول سنة ثلاثمائة وكانت خلافته خمسة
وعشرين سنة وخمسة عشر يوما ودفن في القصر يوم الخميس مستهل
ربيع الأول وبلغ من السن اثنين وسبعين سنة .

الْخُرَاجُ^(١) . انْتَهَى . وَمِنْ نَظْمِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ قَوْلُهُ :
يَا مُهْجَةَ الْمُشْتَقِ مَا أَوْجَعَكَ
وَيَا أُسِيرَ الصُّبِّ مَا أَخْشَعَكَ
وَيَا رَسُولَ الْعَيْنِ مِنْ لَحْظِهَا
بِالرَّدِّ وَالتَّبْلِغِ مَا أَسْرَعَكَ^(٢)

(١) سبب ذلك اضطراب البلاد وتوالى الفتن فيها حتى ارتبكت أحوال
الاندلس ارتبا كما شديدا وأصبحت ميدانا للقتال وتنازع القبائل الفاتحة
وسواها ، فان زعماء الكور الاندلسية انتهزوا فرصة الشقاق الذي دب
بين الأسرة للملكة للوصول الى أغراضهم وهو الاستقلال بمناحت أيديهم
من الاقاليم والبلاد بل انهم سولت لهم أنفسهم أن يثلوا عرش الدولة
الأموية فناصروها العدااء واعتدوا على كور قرطبة وأعمالها (٢) في معنى
أبيات الأمير عبد الله قول ابراهيم بن المهدي :

إذا كلتني بالسيون الفواتر رددت عليها بالدموع البوادر
فلا يعلم الواشون مآدار بيننا وقد قضيت حاجتنا في الضائر
وقول معقل بن عيسى :

إذا نحن خفنا الكاشحين ولم نطق كلاما تكلمنا بأعيننا سرا
وقد على بن هشام :

فقلت إيماء وودعت خفية فكان جوابي كسرعين وحاجب
وقال ابن أبي طاهر :

وجلس لمة لم تقو فيه على شكوى ولا عدل فزوب
فلما لم نطق فيه كلاما تكلمت السيون عن القلوب
وفي غمز الجواب مسترد لحاجت الحب الى الحبيب

تَنْهَبُ بِالسَّرِّ فَتَأْتِي بِهِ
 فِي مَجْلِسٍ يَخْفَى عَلَى مَنْ مَعَكَ
 كَمْ حَاجَةٍ أَنْجَزْتَ إِزْرَازَهَا
 تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ مَا أَطْوَعَكَ !
 وَهَذِهِ الْآيَاتُ عُتُونُ فَضْلِهِ ، وَبَرَاعَةُ اسْتِهْلَالِ بُنْيَانِهِ (١)
 وَكَانَ الْوُزَرَاءُ يُطَالِمُونَ بِأَرْأَسِهِمُ الْخَلِيفَةَ فِي بَطَاقَةٍ ، فَطَالَمَهُ

وقال صردر :

وَإِذَا تَلَاخِظْتَ الْعِيُونَ تَفَاوَضْتُ وَتَحَدَّثْتَ عَمَّا تَجْنِ قُلُوبُهَا
 بِالسَّرِّ وَالْأَفْوَاهِ صَامِتَةٌ فَمَا تَخْفَى عَلَيْكَ صَحِيحُهَا وَمَرِييُهَا
 وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِيمَنْ يَفْهَمُ إِشَارَةَ الْعَيْنِ :
 يَكَادُ يَفْهَمُ عَنْكَ الْوَحْيَ نَظَرُهُ كَأَنَّ عَيْنِيهِ تَفْتَرَانِ عَنْ أُذُنٍ
 وَالْقَوْلُ فِي هَذَا النِّعَاضِ كَثِيرٌ ، وَقَصَارَاهُ أَنْ :
 عَيْنُ الْمَحَبِّ إِلَى الْأَحْيَابِ نَظَرَةٌ وَسَمِعُهُ لِنِدَاءِ الْوَصْلِ يَنْتَظِرُ
 « أَحْمَدُ نِجَاشِي » .

(١) وَمَنْ غَزَلَهُ فِي صَبَاحٍ :

وَيُحْيِي عَلَى شَادِنِ كَحِيلٍ فِي مِثْلِهِ يَخْلَعُ الْعَذَارُ
 كَأَنَّمَا وَجِئْتَهُ وَرَدَ خَالِطُهُ النُّورَ وَالْبَهَارُ
 قَضِيبُ بَانَ إِذَا تَفَنَّى يَدِيرُ طَرَقًا بِهِ أَحْوَارُ
 فَصُفْوُودِي عَلَيْهِ وَقِفْ مَا لَطَرْدُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

وَزِيرُهُ النَّضْرُ^(١) بَنُ سَلَمَةَ بِرَأْيِهِ فِي أَمْرِ فِي وَرَقَةٍ ، فَلَمَّا
وَقَفَ عَلَيْهَا لَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ الرَّأْيُ فَكَتَبَ :
أَنْتَ يَا نَضْرُ آبِدُهُ^(٢) لَيْسَ تُرْجَى لِفَائِدَةٍ
إِنَّمَا أَنْتَ عُدَّةٌ لِكَيْفٍ^(٣) وَمَائِدَةٌ
وَتُوفَى الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمُدَّةُ مُلْكِهِ
نَحْوُ مِنْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً .

(١) هو أبو محمد نضر بن سلمة بن الوليد بن أبي بكر بن عبيد بن بلج
ابن عبيد الكلابي القيسي من أهل قرطبة استغضاه الأمير عبد الله بن
محمد بقرطبة مرتين ثم استوزره بعد ذلك وتوفي سنة ٣٠٢ هـ « أحمد بن حنبل »
(٢) الآبِدَةُ : الداهية ، والَاوَابِدُ : الوحوش والطير تقيم بأرض شتاءها
وصيفها ، ويقال جاء فلان بآبِدَةٍ : أى داهية يبق ذكرها على الأبد
(٣) هو للرحاض مأخوذ من الكنف وهو السر والناحية لأن الانسان
يقضى حاجته به في أستر النواحي وكان الأمير يقول لوزيره : انما تبش
لتأكل :

دع الكرام لاترحل لبقيتها واضد فانك أنت الطاعم الكاسي



عبدالرحمن الناصر «وَوَلِيَّ حَافِدُهُ»^(١) عَبْدُ الرَّحْمَنِ * النَّاصِرُ ابْنُ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ
قَتِيلِ أَخِيهِ الْمُطَرِّفِ^(٢) »

(١) الحافد والحفيد ابن الابن (٢) كان للطرف قد أكثر السعاية في أخيه محمد عند أبيهما ودبت عقارب وشائته حتى تمكنت وظهر سخط الأمير عبد الله على ابنه محمد فلحق حيفتد بغيري الأندلس « ببلد عمر بن حفصون الناصر بالأندلس وهو الذي افتتح الخلاف بها وطارق الجماعة أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن في سنة ٢٧٠ وانضم إليه كثير من الجند ممن في قلبه مرض في الطاعة وابتنى قلعة هناك واستولى على غرب الأندلس إلى رندة وكانت له هناك حوادث عظيمة إلى أن انقرض أمر بني حفصون سنة ٣١٥ » ثم استأمن وعاد فبالغ الطرف في السعاية به حتى حبسه أبوه ببعض حجر القصر وخرج لبعض غزواته واستخلف ابنه للطرف على قصره فقتل أخاه في محبسه منتهاكاً بذلك حرمة والده وحزن الأمير عبد الله على ابنه القتيل وضم ولده عبد الرحمن إلى قصره وهو ابن يوم فرج مع ولده ، ثم بث الأمير عبد الله ابنه للطرف بالصائفة سنة ٢٨٣ ومعه الوزير عبد الملك بن أمية ففتك للطرف به لداوة بينهما ، فسطا به أبوه الأمير عبد الله وقتله بشار أخيه محمد وبالوزير . « أحمد يوسف نجاشي »

* ترجمته في كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن القرضي « ج ١ ص ١٠٠ »
بما يأتي : قال أحمد : ولي أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الله صبيحة يوم الخميس مستهل شهر ربيع الأول سنة ثلاثمائة وتوفي - رحمه الله - يوم الأربعاء ليلتين خلتا من شهر رمضان سنة خمسين وثلاثمائة ومولده فيها ذكره الرازي يوم الخميس عند انبلاج الصبح ثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة سبع وسبعين ومائتين فكانت خلافه خمسين سنة وستة أشهر ويومين .

وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ مِنَ الْغَرِيبِ لِأَنَّهُ كَانَ شَابًا ، وَأَعْمَامُهُ
وَأَعْمَامُ أَبِيهِ حَاضِرُونَ ، فَتَصَدَّى إِلَيْهَا وَاحْتَارَهَا ^(١) دُونَهُمْ ، وَوَجَدَ
الْأَنْدَلُسَ مُضْطَرِبَةً بِالْمُحَالِفِينَ ، مُضْطَرِمَةً بِبِزْرَانِ
الْمُتَغَلِّبِينَ ، فَاطْفَأَ تِلْكَ النَّيْرَانَ ، وَأَسْتَنْزَلَ ^(٢) أَهْلَ الْمِصْيَانِ ،
وَأَسْتَقَامَتَ لَهُ الْأَنْدَلُسُ فِي سَائِرِ جِهَاتِهَا بَعْدَ نَيْفٍ وَعَشْرِينَ
سَنَةً مِنْ أَيَّامِهِ ، وَدَامَتْ أَيَّامُهُ نَحْوَ عَشْرِينَ سَنَةً أَسْتَفْجَلَ ^(٣)
فِيهَا مَلِكُ بَنِي أُمَيَّةَ تِلْكَ النَّاجِيَةَ .

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَسَمَّى مِنْهُمْ بِالْأَنْدَلُسِ بِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ مَا أَلْتَأَتْ ^(٤) أَمْرُ الْخِلَافَةِ بِالْمَشْرِقِ ،
وَأَسْتَبَدَّ مَوَالِي التُّرْكِ عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَبَلَغَهُ أَنْ
الْمُقْتَدِرَ قَتَلَهُ مُؤْنِسُ ^(٥) الْمُظَفَّرُ مَوْلَاهُ سَنَةَ سَبْعٍ عَشْرَةَ

سبب تلقب
عبد الرحمن
الناصر بالخلافة

(١) احتارها : ضمها اليه (٢) أى أخضع وأذل وقهر ، واستنزل فلانا :
حط عن مرتبته ، ويقال قهروا أعداءهم واستنزلوهم من صياصيمهم
(٣) استفجَلَ الح : عظم واتسع (٤) التأس : التيس واضطرب واختلط
(٥) مؤنس الخادم كان مملوك الخليفة للعتفد ، ومن القواد ذوى المال والفلزلة
الرفيعة فى الدولة العباسية ، فكان يتصرف فى أمورها كما يشاء حتى كادت أعمالها
الجليلة كلها تكون بيده ، ابتدأت الوحشة بينه وبين الخليفة للمقتدر فى
(١٠ - نفع الطيب - ثالث)

وَتَلْثِمَانَةٍ، قَتَلَبَ بِأَقَابِ خِلَافَةٍ . وَكَانَ كَثِيرًا الْجِهَادَ بِنَفْسِهِ

سنة ٣١٥ بدسائس بعض خلم القصر وتدخلهم في شؤون الدولة « ولى للقتدر الخلافة سنة ٢٩٥ بعد وفاة الخليفة المكتفي بالله على بن المعتز بالله أحمد بن اللفق بن للتوكل » وانضم الى مؤنس كثير من الرجال والجنس ، وكان من آثار ذلك أن خلع للقتدر في سنة ٣١٧ وبويع أخوه القاهر بالله محمد بن المعتز « بتدبير أشباع مؤنس » فبقى القاهرة يومين ثم أعيد للقتدر بعد فن وثورات شديدة كانت فيها الدولة فوضى والجنس منقسما . وفي سنة ٣١٨ خلع للقتدر على ابنه أبى العباس الراضى وأقطعه بلاد الغرب ومصر والشام وجعل مؤنسا الظفر بحلفه فيها . وفي سنة ٣١٩ تجددت الوحشة بين مؤنس والقتدر واشتدت حتى آلت الى قتل للقتدر بعد ، وفي المحرم من سنة ٣٢٠ سار مؤنس الى اللوصل مغاضبا للقتدر ومعه أنصاره ومالكيه وأصحابه وكثير من الفرسان والرجال واستولى على اللوصل بعد قتال اتصروا فيه على بنى حمدان ، ثم عاد مؤنس الى بنداى فكانت فيها فتنة شعواء وثورة تفلت نارها ، قتل فيها الخليفة للقتدر وان لم يكن مؤنس راغبا في ذلك ، قتله قوم من الغاربة والبربر في تلك الثورة العمياء الطائشة . ولما قتلوه رفعوا رأسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنونه وسلبوه جميع ما عليه حتى سراويله وتركوه مكشوف العورة لم يرعوا له حرمة الى أن مر به رجل من الأكر فستره بحشيش ثم حفر له موضعه ودفنه وعنى قبره . وكان ما فعله مؤنس سببا لجراة أصحاب الأطراف على الخلفاء وطمعهم فيما لم يحطار لهم على بال ، فاشتد ضعف الدولة وخرق سياج هبتها ، على أن للقتدر - عفا الله عنه - أهل من أحوال الخلافة كثيرا وحكم فيها النساء والخدم ، وفرط في الأموال وهى عصب الدولة وقوتها ، وكان يزل ويولى من الوزراء بحسب الهوى وميل

وَالْفَزْوِ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ ، إِلَى أَنْ هُزِمَ عَامَ الْخَنْدَقِ سَنَةَ
ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ ، وَحَصَّ^(١) اللَّهُ فِيهَا الْمُسْلِمِينَ ،

للتخليل عليه عن كان طوع أيديهم . ثم يوجع محمد بن القصد في شوال
سنة ٣٢٠ . ولقب بالقاهر بالله فأساء إلى حرمة القنطرة حتى عامل والدته
التكلى معاملة قاسية غير شريفة . وفي سنة ٣٢١ استوحش مؤنس
والوزير أبو علي بن مقله وأتباعهما من القاهر وضيقوا عليه وعلى أسبابه ،
ثم قبض القاهر على مؤنس بعد تدير طويل وحبسه وقتله في شعبان
سنة ٣٢١ . وإلى مؤنس الظفر تنسب قرية اللوسية بالعديد على شرق
النيل ، وهي في جزيرة من أعمال قوص أنشأها مؤنس في أيامه للقنطرة بالله
أيام قدومه مصر لقتال للخرقة . « أحمد يوسف نجاتي »

(١) التمهيد : الابتلاء والاختبار . بفسر قوله تعالى : « ولتحص الله الذين
آمنوا » أي ينسبهم ، وقال ابن اسحاق : جعل الله الأيام دولا بين الناس ليحص
الؤمنين بما يقع عليهم من قتل أو ألام أو ذهاب مال . وحص الشيء : خاصه
بما يشوبه كالذهب والمعادن النفيسة تمحص مما يشوبها من تراب ونحوه .
وكان سبب صعود الناصر عن الفزو أنه في سنة ٣١٤ حل بالبلاذق قط شديد
وأصابها محل تحتاج فيه إلى اللوازمة واللوعة وبذل غاية اللالك في اتقاء
شره وسوء مغبته واشتد القحط وعم الملل وعظم البلاء في سنة ٣١٥
فاستسقى الناس أبا عبد الله أحمد بن يحيى بن محمد قاضي قرطبة وقاضيا لها
الورع الزاهد ، وأرسلت الكتب إلى الكور والأقاليم في الاستسقاء
والتوجه إلى الله تعالى في دفع البلاء فاستسقى الله البلاد وجادهم الغيث . توفي أحمد
ابن يحيى سنة ٣٢٤ - رحمه الله - . ثم ضنت السماء عائلها في سنة ٣١٧ فساد
الملل وغلت الأسعار واستسقى الناس بجامع قرطبة

فَقَعَدَ عَنِ الْفَزْوِ بِنَفْسِهِ ، وَصَارَ يُرَدُّ الصَّوَائِفُ ^(١) فِي كُلِّ سَنَةٍ ، فَأَوْطَأَ عَسَاكِرَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بِلَادِ الْفَرَنْجِ مَا لَمْ يَطَّوُّهُ قَبْلُ فِي أَيَّامِ سَلَفِهِ ، وَمَدَّتْ إِلَيْهِ أُمُّ النَّصْرَانِيَّةِ مِنْ وَرَاءِ الثَّرُوبِ يَدَ الْإِذْعَانِ ^(٢) ، وَأَوْفَدُوا عَلَيْهِ رُسُلَهُمْ وَهَذَايَاهُمْ مِنْ رُومَةٍ وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي سَبِيلِ الْمُهَادَنَةِ وَالسَّلَامِ وَالْإِعْتِمَالِ ^(٣) فِيمَا يَمْنُ فِي مَرْضَاتِهِ ، وَوَصَلَ إِلَى

(١) جمع صائقة أى غزوة ، وأصله أن العرب كانت تغزو الروم فى الصيف لمكان البرد والتلج هناك - وفى الأصل « طوائف » محرفة (٢) هذه لقوة بطشه واتساع ملكه وبسطة نفوذه وتأيد العلم والمال والقوة له ، فقد مكنته قوته البرية أن يطغى نيران الفتن والثورات ويقهر نصارى الشمال ، ومكنته قواه البحرية أن يقبض بها على مدينة سبته مفتاح المغرب وغيرها قد للولوك إليه أيديهم يحطبون وده ويتفنون ما عنده وأرسل إليه قسطنطين بن ليون ملك الروم بهدية ذات خطر وكذلك أرسل إليه عاهل ألمانيا رسل المودة ، وبعث إليه شارل Charles ملك الفرنجة

مضى تجمع القلب الذى وصار ما وأتفا حيا تجتنبك المظالم



ما مضوا لم يقايلوك ولك سن القتال الذى كفاك القتلا
(٣) فى ابن خلدون : (والاحتمال) وما هنا أولى ، واعتمل : اضطرب فى العمل ، أو عمل لغيره ، أو عمل يجهد لغيره أو لنفسه

سُدَّتِهِ^(١) الْمُلُوكُ مِنْ أَهْلِ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ الْمُنَاجِمِينَ^(٢)
لِبِلَادِ الْمُسْلِمِينَ يَجْهَاتُ قَشَالَةً وَبَنِيْلُونَ وَمَا يُنْسَبُ إِلَيْهَا
مِنْ الثُّغُورِ الْجُوفِيَّةِ^(٣) فَقَبِلُوا يَدَهُ ، وَاتَّمَسُوا رِضَاهُ ،
وَأَحْتَقَبُوا^(٤) جَوَازَهُ ، وَامْتَطَوْا مَرَاجِيَهُ . ثُمَّ مِمَّا إِلَى مُلْكِ
الْمُدَوَّةِ ، فَتَنَاولَ سَبْتَةَ^(٥) ، وَنَقَلَ الْفُرْصَةَ^(٦) مِنْ أَيْدِي
أَهْلِهَا سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ وَثَلَاثِينَ ، وَأَطَاعَهُ بَنُو إِدْرِيسَ
أُمَرَاءُ الْعُدُوَّةِ^(٧) وَمُلُوكُ زَنَاقَةَ وَالْبَرْبَرِ ، وَأَجَازَ إِلَيْهِ الْكَثِيرُ

(١) السدة : باب الحار والبيت ، وفناء البيت ، والسدة كالصفة تكون
بين أيدي البيت ، وفي حديث أبي الررداء أنه أتى باب معاوية فلم يأذن له
فقال : من يش سدد السلطان يتم ويقعد . (٢) المناجمين : الملاصقين
والمجاورين ، والتخيم هو الحد (٣) الجوف في الأصل المطمئن من الأرض .
والجوف كورة كبيرة بالاندلس من ناحية القرب قرب البحر المحيط بها اطمئنان
على باقى الاندلس تشتمل على نواح وقرى ، وهو المراد هنا ، والجوف
عمل آخر بالاندلس من إقليم أكنونية . وفي الأصل « الحوفية بالحاء
محرفة » (٤) احتقبوا : جموا وحملوا (٥) سبتة : مدينة حصينة مشهورة
من قواعد بلاد المغرب ، وقد كان مرساها أجود مرسى على البحر
(٦) الفرسة : المرفأ « محط السفن » للميناء (٧) دولة الادارسة بالمغرب
الاقصى مرفوعة تنسب الى ادريس بن حسن بن حسن بن الحسن
السيط بن علي بن أبي طالب ، قامت هناك من سنة ١٧٢ - سنة ٣١٩
حين دخلت دعوة الروانيين خلفاء قرطبة الى المغرب

مِنْهُمْ كَمَا يُعْلَمُ مِنْ أَخْبَارِهِ ^(١) ، وَبَدَأَ أَمْرُهُ أَوَّلَ
وَلَايَتِهِ بِتَخْفِيفِ النِّعَامِ ^(٢) عَنِ الرِّعَايَا . اُنْتَهَى كَلَامُ
ابْنِ خَلْدُون . وَفِيهِ يَقُولُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ الْعَمَدِ يَوْمَ
تَوَلَّى الْمَلِكَ :

بَدَأَ الْهَلَالَ جَدِيدًا وَالْمَلِكُ غَضُّ جَدِيدُ
يَانِمْمَةَ اللَّهِ زَيْدِي إِنْ كَانَ فِيكَ مَزِيدُ
إِنْ كَانَ لِلصُّومِ فِطْرُ فَانْتَ لِلدَّغْرِ عَيْدُ
وَأَرَادَ بِأَوَّلِ الْآيَاتِ أَنَّهُ وَلِيَ مُسْتَهْلَ رَيْعِ الْأَوَّلِ
كَمَا عَلِمَ ^(٣) .



غزوة ممورة وَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ ابْنُ خَلْدُونِ فِي غَزْوَةِ الْخُنْدَقِ
فَصَلَّاهُ الْمَسْمُودِيَّ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أُجْرِيَ ذِكْرُ مُخَالَفَةِ أُمِّهِ

(١) في الاصل أجناده محرفة (٢) النعام: الترامات - جمع منرم (٣) يوافق

أَبْنِ إِسْحَقَ^(١) عَلَى النَّاصِرِ ، وَدُخُولِهِ أَرْضَ النَّصَارَى ،
وَدَلَالَتِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى عَوَارِثِ الْمُسْلِمِينَ مَا مُلْخَصَهُ : وَغَزَا عَبْدُ
الرَّحْمَنِ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ سَمُورَةَ^(٢) دَارَ الْجَلَالَةِ ، وَكَانَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ زَيْدُونَ ، وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُدْمِيرَ مَلِكِ الْجَلَالَةِ فِي شَوَّالِ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ
وَنَلْثِمَاتِهِ ، بَعْدَ الْكُسُوفِ الَّذِي كَانَ فِي هَذَا الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ

(١) فِي سَنَةِ ٣٢٧ عَصَى أُمِيَّةُ بْنُ إِسْحَقَ بِمَدِينَةِ شَنْتَرِينَ عَلَى
الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ . وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ أَخٌ اسْمُهُ أَحْمَدُ وَكَانَ
وَزِيرًا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَكَانَ أُمِيَّةُ بِشَنْتَرِينَ فَلَمَّا بَلَغَهُ
ذَلِكَ عَصَى فِيهَا وَالتَّجَأَ إِلَى رُدْمِيرَ مَلِكِ الْجَلَالَةِ وَدَلَّ عَلَى عَوَارِثِ
الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ خَرَجَ أُمِيَّةُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ يَتَصِيدُ فَنَمَتْهُ أَصْحَابُهُ مِنْ
دُخُولِ الْبَلَدِ فَسَارَ إِلَى رُدْمِيرَ فَاسْتَوَزَرَهُ وَغَزَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِلَادَ
الْجَلَالَةِ النَّخ . ثُمَّ إِنَّ أُمِيَّةُ اسْتَأْمَنَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَبِلَهُ وَأَكْرَمَهُ .
(٢) هِيَ مَدِينَةُ الْجَلَالَةِ عَلَى نَهْرِ دَوْرَةَ ، وَإِلَى الْجَنُوبِ مِنْهَا سَلْعَنَةُ ، وَإِلَى
الشِّمَالِ لِيُون « وَتَكَادُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثُ تَكُونُ عَلَى خُطِّ رَأْسِي يَتَنَسَّى إِلَى
أَفْصَى شِمَالِ أُسْبَانِيَا » وَقَدْ غَزَاهَا بَعْدَ ذَلِكَ النَّصُورُ بْنُ أَبِي عَمْرٍو خَرَجَ
مَعَهُ الْإِمَامُ الْوَرَعُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ طَاهِرُ الْقَيْسِيِّ التَّدْمِيرِيُّ الْمَعْرُوفُ
بِالشَّهِيدِ وَشَهِدَ مَعَهُ مَدِينَةَ سَمُورَةَ وَفَتَحَ مَدِينَةَ قَلْبَرِيَّتَيْنِ قَوَاعِدَ جَلِيقِيَّةِ ،
ثُمَّ رَجَلَ إِلَى الْفُتُوحِ وَوَأَصَلَ الرِّبَاطَ بِفُرُوجِهِ الْخَوْفَةَ وَكَانَ ذَابَأْسُ وَشَدَّةُ وَشَجَاعَةُ
بَاعَ نَفْسَهُ وَمَالَهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُرَابِطًا بِمَدِينَةِ طَلْبِيرَةَ إِلَى أَنْ
اسْتَشْهَدَ مَقْبَلًا غَيْرَ مَدِيرٍ حَمِيدٍ الْقَامِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ٣٣٩ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -

أَيَّامٍ فَكَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ ثَابُوا^(١) بَعْدَ أَنْ
 حُوصِرُوا وَاجْتُؤُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ
 غُبُورِهِمُ الْخَنْدَقَ خَمْسِينَ أَلْفًا ، وَقِيلَ : إِنَّ الَّذِي مَنَعَ رُدْمِيرَ مِنْ
 طَلَبِ مَنْ نَجَّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُمِيَّةُ بْنُ إِسْحَقَ ، وَخَوْفُهُ
 الْكَيْمِينَ^(٢) ، وَرَغْبَةُ فِيمَا كَانَ فِي عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَمْوَالِ
 وَالْمَدَّةِ وَالْخِزَانِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَتَى عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ .
 ثُمَّ إِنَّ أُمِيَّةَ اسْتَأْذَنَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَتَخَلَّصَ مِنْ
 رُدْمِيرَ ، وَقَبِلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَحْسَنَ قَبُولٍ . وَقَدْ كَانَ
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَعْدَ هَذِهِ الْوَقْعَةِ جَهَّزَ عَسَاكِرَهُ مَعَ عِدَّةٍ مِنْ
 قُوَّادِهِ إِلَى الْجَلَالَةِ ، فَكَانَتْ لَهُمْ بِهِمْ عِدَّةُ حُرُوبٍ هَلَكَ
 فِيهَا مِنْ الْجَلَالَةِ ضِعْفُ مَا قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْوَقْعَةِ
 الْأُولَى ، وَكَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ إِلَى هَذِهِ النَّيَاةِ . وَرُدْمِيرُ
 مَلِكُ الْجَلَالَةِ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ ، وَهُوَ سَنَةٌ سِتٍّ وَعِشْرِينَ
 وَثَلَاثِينَ . اُنْتَهَى .

(١) أى عادوا (٢) الكمين : القوم يستخفون فى مكنن ثم يشتهزون غرة

العدو فينقضون عليه .

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مَا مُلَخَّصُهُ: إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ غَرَا فِي
 أَزِيدَ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ ، فَزَلَّ عَلَى دَارِ مَمْلَكَةِ
 الْجَلَالَةِ ، وَهِيَ مَدِينَةُ مَمُورَةَ ، وَعَلَيْهَا سَبْعَةُ أَسْوَارٍ مِنْ
 أَجَبِ الْبُنْيَانِ قَدْ أَخْكَمَهَا الْمُلُوكُ السَّالِفَةُ ، وَبَيْنَ
 الْأَسْوَارِ فُضْلَانٌ ^(١) وَخَنَاقٌ وَمِيَاءٌ وَاسِعَةٌ ، وَافْتَتَحَ مِنْهَا
 سُورِينَ ، ثُمَّ إِنَّ أَهْلَهَا تَارَوْا عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَتَلُوا مِنْهُمْ بَيْنَ
 أَذْرَكَهُ الْإِحْصَاءِ ^(٢) وَبَيْنَ عُرْفِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، وَقِيلَ تَحْسِينِ
 أَلْفًا ، وَكَانَتْ لِلْجَلَالَةِ وَالْبَشْكَسِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ . انْتَهَى
 كَلَامُ الْمَسْعُودِيِّ .

« رَجِعْ إِلَى أَخْبَارِ النَّاصِرِ » فَقُولُ: إِنَّ النَّاصِرَ - رَحِمَهُ
 اللَّهُ - كَانَ لَهُ نَظْمٌ ، وَمِمَّا نَسَبَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ قَوْلُهُ :

لَا يَضُرُّ الصَّغِيرَ حَدَثَانُ سِنَّ

إِنَّمَا أَلْشَانُ فِي سُعُودِ الصَّغِيرِ

(١) جمع فضيل وهو حائط قصير دون الحصن أو دون سور البلد ، يقال :
 وثقوا سور البلد بكباش وفضيل . وفي الأصل (فضلات) محرفة (٢) كان في
 هذا الموضع بياض بالأصل وكان في العبارة تحريف كثير وسقط يخل
 بالمعنى ويفسد السياق والصواب ما كتبه تقي الله عن المسعودي .
 « أحمد نجاني »

كَمْ مُقِيمٍ فَازَتْ يَدَاهُ يُنْعَمُ^(١)
 لَمْ تَنْلُهُ بِالرَّكْضِ^(٢) كَفْ ثَمِيرٍ
 هَكَذَا أَلْقَيْتُ اللَّيْتَيْنِ مَنْسُوبَيْنِ إِلَيْهِ بِحِطِّ بَعْضٍ
 الْأَكْبَرِ، ثُمَّ كُتِبَ بِإِثْرِهِ مَا نَصَّهُ: الصَّحِيحُ أَنَّهُمَا لِغَيْرِهِ،
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ. أُنْتَهَى.



وَكَانَ النَّاصِرُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ اسْتَحْبَبَ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ
 ابْنِ حُدَيْرٍ^(٣)، وَاسْتَوَزَرَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ جَهْوَرٍ، وَأَمَّهَدَ بْنَ
 عَبْدِ الْمَلِكِ بْنَ شُهَيْدٍ، وَأَهْدَى لَهُ ابْنُ شُهَيْدٍ هَدِيَّةً
 الْمَشْهُورَةَ الْمُتَمَدِّدَةَ الْأَصْنَافِ. وَقَدْ ذَكَرَهَا ابْنُ حَيَّانَ

هدية ابن شهيد
الناصر

(١) النعم : بالضم ، ما يؤخذ من الحار بين عنوة (٢) الركض : العدو
 والاسراع . وللنير : الذى يهجم على العدو ويوقع به . (٣) كان
 من أهل الفضل والأدب والشعر ومن بيت رياسة ورفعة توفى
 سنة ٣٢٠ وبه أبو اللطف عبد الرحمن بن موسى بن محمد بن
 حدير كان وزيرا خيرا ذا دين وفضل توفى سنة ٣٦٩ - ومن هذا البيت
 أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن حدير القرطبي ولى الشرطة
 بقرطبة وعلت حاله فأسفرت عن خلق كريم وأمل شريف وكان فاضلا
 أدبيا وعقلا حلما ، توفى سنة ٣٧٨ . « أحمد نجاشي »

وَأَبْنُ خَلْدُونَ وَعَيْرُهُمَا مِنَ الْمُورِّخِينَ . قَالَ ابْنُ خَلْدُونَ :
وَهِيَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى ضَخَمَةِ النُّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَاتِّسَاعِ أَحْوَالِهَا ،
وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِينَ لِثَمَانٍ خَلُونَ مِنْ
شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى ، وَهِيَ هَدِيَّةٌ عَظِيمَةُ الشَّانِ ، وَأُشْتَهَرَ
ذِكْرُهَا إِلَى الْآنَ ، وَاتَّفَقَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَمَادِ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ
الْأَنْدَلُسِ بِمِثْلِهَا ، وَقَدْ أُعْجِبَتِ النَّاصِرَ وَأَهْلَ مَمْلَكَتِهِ
جَمِيعًا ، وَأَقْرَأُوا أَنَّ نَفْسًا لَمْ تَسْمَعْ بِإِخْرَاجِ مِثْلِهَا ضَرْبَةً (١)
عَنْ يَدِهَا ، وَكَتَبَ مَعَهَا رِسَالَةً جَسَنَةً بِالِاعْتِرَافِ لِلنَّاصِرِ
بِالنِّعْمَةِ وَالشُّكْرِ عَلَيْهَا ، فَاسْتَحْسَنَهَا النَّاسُ وَكَتَبُوهَا .



أولمن لقب
ببني الوزائين
بالأندلس

وَزَادَ النَّاصِرُ وَزِيرَهُ هَذَا حُطُوءَةً وَأَخْتِصَاصًا ، وَأَنْعَمَى
مَنْزِلَتَهُ عَلَى سَائِرِ الْوُزَرَاءِ جَمِيعًا ، وَأَضْفَلَ لَهُ رِزْقَ الْوِزَارَةِ وَبَلَّغَهُ
ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ أَنْدَلُسِيَّةً ، وَبَلَّغَ مَعْرُوفُهُ إِلَى أَلْفِ دِينَارٍ ،
وَوَقَّى لَهُ الْعُظْمَاءَ لَتَنْتِيَتِهِ لَهُ الرُّزْقَ فَسَمَّاهُ ذَا الْوِزَارَتَيْنِ

لِللَّيْلِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَسَمَّى بِذَلِكَ بِالْأَنْدَلُسِ امْتِثَالًا لِاسْمِ
صَاعِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ ^(١) وَزِيرِ بْنِ الْعَبَّاسِ بَيْفُ دَادَ ، وَأَمَرَ بِتَصْدِيرِ ^(٢)

(١) هو من وزراء مصر العباسي ومشهورى كتابه الذين تولوا
جلال الأعمال ، ففى سنة ٢٦٥ استكتب أبو أحمد اللواتى صاعد
ابن محمد وخلق عليه ، وفى سنة ٢٦٩ سعى صاعد ذا الوزارتين ، وفى
سنة ٢٧١ شخص الى فارس لحرب عمرو بن الليث الصغار ، وقدم من
فارس سنة ٢٧٢ ودخل واسط فأمر للوفى جميع القواد أن يستقبلوه
فاستقبلوه وترجلوا له وقبلوا كفه وهو لا يكاد يكلمهم فيها وإعجابا -
ولكنه ما لبث أن لحقه داء وزراء بنى العباس فقبض للوفى عليه بواسط
وعلى أسبابه واتهمت منازلهم ، وقبض على ابنه أبى عيسى العلاء وأبى صالح
ببغداد وعلى أخيه عبدون بسامرا - وفى صاعد بن محمد يقول ابن الرومى
من قصيدته الدالية الفراء التى يحدها بها :

كَانَ أَبَاهُ حِينَ سَمَاهُ صَاعِدًا دَرَى كَيْفَ يَرُقُّ فِي الْعَالِي وَيَصْعَدُ ؟
وَالْبَحْتَرَى فِيهِ وَفَى ابْنِهِ وَأَخِيهِ مَدَانِحَ رَاضَةٍ وَفِيهِ يَقُولُ مِنْ قَصِيدَةٍ :
لَقَدْ وَفَى اللَّهُ لِلْوَفَى لِلَّتِي تَبَاعَدَ عَنْ غَى الْمُلُوكِ رَشِيدُهَا
رَأَى صَاعِدًا أَهْلًا لَا شَرَفَ رَتَبَةٍ يَشْقَى عَلَى سَارَى النُّجُومِ صَعُودُهَا
فَكَيْفَ رَأَيْتُمْ عَدْلَهُ وَقَدْ التَقَتْ مَسَاوِيَةَ شَاةِ الْبِلَادِ وَسِيدُهَا ؟
جَزَى اللَّهُ عَنَّا صَالِحًا آلَ مُحَمَّدٍ وَتَمَّتْ لَهُمْ نَعْمَى يَدُومَ خُلُودُهَا
وفيه يقول :

لَا أَدْعَى لِأَبَى الْعَلَاءِ فَضِيلَةً حَتَّى يَسْلُمَهَا إِلَيْهِ عَدَا
وَأَقَامَ صَاعِدٌ فِي الْوِزَارَةِ سَبْعَ سِنِينَ وَكَانَ ذَا ثَرَةٍ طَائِفَةٍ وَغْنَى وَاسِعٍ
وتوفى بالجلس سنة ٢٧٦ . هـ . «أحمد نحاسي»

(٢) أى بتقديمه وجعله صدر المجلس . والصدر أعلى مقدم كل شئ . وأوله ،
ويقال : صدره فتصدر ، أى جلس فى صدر المجلس وأعلامه

فَرَأَاهُ فِي الْيَتِّ ، وَتَقْدِيمِ أَسْمِهِ فِي دَفْتَرِ الْأَزْرَاقِ أَوَّلَ
التَّسْمِيَةِ ، فَعَظُمَ مِقْدَارُهُ فِي التَّوَلَّةِ جَدًّا .

وَتَقْسِيرُ مَهْدِيَّتِهِ الْمَذْكُورَةِ عَلَى مَا ثَبَتَ فِي كِتَابِ ابْنِ خَلْدُونَ وصف الهدية
عَلَى مَا يُسَرُّ : خَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ مِثْقَالٍ مِنَ الذَّهَبِ ^(١) أَلْفَيْنِ ،
وَأَرْبَعُمِائَةِ رِطْلٍ مِنَ التَّبَرِّ ، وَمُصَارَفَةِ خَمْسَةِ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ
دِينَارٍ ^(٢) وَمِنْ سَبَائِكَ الْفِضَّةِ مِائَتًا ^(٣) بِذَرَّةٍ - وَأَقْتَصَرَ ابْنُ الْقَرَضِيِّ
عَلَى خَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ فَقَطْ - وَاثْنَا عَشَرَ رِطْلًا مِنَ الْعُودِ
الْهِنْدِيِّ الَّذِي يُخْتَمُ عَلَيْهِ كَالشَّمْعِ ، وَمِائَةُ وَثَمَانُونَ رِطْلًا
مِنَ الْعُودِ الْمُخَيَّرِ ، وَمِائَةُ رِطْلٍ مِنَ الْعُودِ الشَّبِّهِ الْمُتَقَى .
هُكَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ خَلْدُونَ . وَقَالَ ابْنُ الْقَرَضِيِّ مُسْتَنِدًّا
إِلَى الْكِتَابِ الَّذِي وَجَّهَهُ ابْنُ شُهَيْدٍ مَعَ الْهَدِيَّةِ : إِنَّ الْعُودَ
الْمَالِيَّ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعُمِائَةِ رِطْلٍ ، مِنْهَا قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ مِائَةً
وَوِثْمَانُونَ رِطْلًا . وَقَالَ ابْنُ خَلْدُونَ : وَمِائَةُ أَوْقِيَّةٍ مِنَ
السِّلْكِ الدَّكِيِّ الْمُفْضَلِ فِي جَنْبِهِ . اِنْتَهَى .

(١) تطلق المِيعَة على الدينار للضروب وعلى الذهب الخالص (٢) في الأصل
من سبائك بدون واء ، وقبله : معارفه بدل مصارفة وهو تحريف
ينير اللحن ويعوق الفهم (٣) في الأصل في مائتي وهو تحريف

وَقَالَ ابْنُ الْقَرَضِيِّ تَقْلَاعَنِ الْكِتَابِ الْمَصْحُوبِ مَعَ
الْهَدِيَّةِ : إِنَّ الْمِسْكَ مِائَتًا أَوْقِيَّةً وَاثْنَتَا عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً ، وَمِنْ
الْعَنْبَرِ الْأَشْهَبِ ^(١) الْبَاقِي عَلَى خِلْقَتِهِ بَغِيرِ صِنَاعَةٍ تَحْشُمَانَةِ
أَوْقِيَّةً ، مِنْهَا قِطْعَةٌ عَجِيْبَةٌ مُلَمَلَةٌ ^(٢) الشَّكْلِ وَزَنُ مِائَةِ
أَوْقِيَّةً . هَكَذَا فِي تَارِيخِ ابْنِ خَلْدُونَ . وَفِي ابْنِ الْقَرَضِيِّ :
إِنَّ الْكُلَّ مِائَةُ أَوْقِيَّةً ، وَإِنَّ هَذِهِ الْقِطْعَةَ أَرْبَعُونَ أَوْقِيَّةً ،
وَمِنْ الْكَافُورِ الْمُرْتَفِعِ أَلْتَقَى اللَّهُ كَيْ ثَلَاثِينَ أَوْقِيَّةً ، قَالَ
ابْنُ خَلْدُونَ : وَمِنْ اللَّبَاسِ ثَلَاثُونَ شُقَّةً مِنَ الْحَبِيرِ الْمُخْتَمِ
الْمَرْقُومِ بِالذَّهَبِ كِلْبَاسٍ ^(٣) الْحَلَفَاءُ مُخْتَلِفَةٌ الْأَلْوَانِ
وَالصَّنَائِعِ ، وَعَشْرَةُ أَفْرِیَّةٍ ^(٤) مِنْ عَالِي جُلُودِ الْفَنَكِ ^(٥)

(١) قال ابن البيطار : وأجود العنبر الأشهب القوي ، ثم الأزرق ، ثم
الاصفر ، وأردؤه الأسود (٢) الللم واللوم : المجتمع للدور للضموم ،
وللستدير (٣) في ابن خلدون « لباس الحلفاء مختلفة الألوان » (٤) جمع
فروة أو فرو ، وللمسوع في جمعه أفر للفتوفراء للكرة (٥) الفنك
جنس من الثعالب أصغر من الثعلب المعروف وفروته من أحسن الفراء
وألميتها ، ويطلق الفنك على الجلد الذي يلبس أى على الفرو ، وهو لفظ
معرب . ويحلب الفنك كثيرا من بلاد الصقالبة

الْخُرَّاسَانِيَّةُ . وَخَالَفَهُ ابْنُ الْقَرَّضِيِّ إِذْ قَالَ : وَمِنْ أَنْوَاعِ
الْثِّيَابِ ثَلَاثُونَ شُقَّةً ، وَخُلُجٌ خَاصَّةٌ ^(١) لِلْيَاسِيَةِ بَيْضَاءُ وَمُلَوَّنَةٌ ،
وَمَحْسٌ ظَهَائِرٌ ^(٢) شَمِيعِيَّةٌ ^(٣) خَاصَّةٌ لَهُ ، وَعَشْرُ فِرَاءٍ مِنْ عَالِي
الْفَنَكِ ، مِنْهَا سَبْعَةٌ يَبِضُّ خُرَّاسَانِيَّةٌ ، وَثَلَاثٌ مُلَوَّنَةٌ ،
وَسِتَّةٌ مَطَارِفٌ ^(٤) عِرَاقِيَّةٌ خَاصَّةٌ لَهُ ، وَثَمَانٌ وَأَرْبَعُونَ
مِلْحَفَةً ^(٥) زُهْرِيَّةً لِكُسُوتِهِ ، وَمِائَةٌ مِلْحَفَةً زُهْرِيَّةً لِرُقَادِهِ

(١) في الأصل : خنج خاسية وهو تحريف . والحلج والحلاج ضرب
من البرود المخططة قال ابن أحر :

إذا انفرجت عنه سداير خلفه يبردن من ذاك الحلج السهم
(٢) ظهائر جمع ظهارتوهي ضدالبطانة ، فبطانةالتوبماولى منهالجسد وكان
داخلا ، والظهارة ماعلا وظهر ولم يل الجسد (٣) كذا بالأصل ولعله نسبة
الى شيب وهي الزادة التي تكون من أديمين يقابلان ، أو من قطعتين
شعبت احدهما الى الأخرى أىضمت (٤) للطارف : جمع مطرف : رداء
من خزمربع ذو أعلام (٥) للملحفة وللحف والالحاف : اللباس فوق
سائر اللباس من دثار البرد ونحوه . وفي اللسان : الملحفة عند العرب هي
لللادة السمط فإذا بطننت ببطانة أو حشيت فهي عند العوام ملحفة
والعرب لاتعرف ذلك . ولعل الزهرية منسوبة الى الزهرى . قال ياقوت :
الزهرى منسوب الى الزهراء مدينة السلطان بقرطبة « ومدينة الزهراء
بناها الأمير عبد الرحمن الناصر هذا في سنة ٣٢٥ » وعن ينسب الى الزهرى
أبو على الحسين بن محمد بن أحمد الصائى الزهرى ثم الجبائى فىالحافظ تزيل
قرطبة كان امام أهل الاندلس فى علم الحديث وأضيظهم للكتاب وأنقشهم
لروايته وأوسعهم سماعا مع الحظ الوافر من الأدب . توفى سنة ٤٩١

« وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ خَلْدُونِ ذَلِكَ ، وَابْنُ الْفَرَضِيِّ أَعْرَفَ
لَا سِيَّامًا وَقَدْ اسْتَنَّدَ إِلَى كِتَابِ الْمُهْدِيِّ ، وَصَاحِبِ الْبَيْتِ
أَذْرَى . قَالَ ابْنُ خَلْدُونِ : وَعَشْرَةُ قَنَاطِيرَ شَدَّ فِيهَا مِائَةَ جِلْدٍ
سَمُورٍ ^(١) ، وَقَالَهُ ابْنُ الْفَرَضِيِّ أَيْضًا ، وَزَادَ ابْنُ خَلْدُونِ :
وَسِتَّةٌ مِنَ الشَّرَاقَاتِ الْفِرَاقِيَّةِ ، وَثَمَانٌ وَأَرْبَعُونَ مِنَ
الْمَلَاخِيفِ الْبَغْدَادِيَّةِ لَزِيْنَةِ الْخَيْلِ مِنَ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ ،
ثُمَّ قَالَا مَعًا : وَأَرْبَعَةُ آلَافٍ رِطْلٍ مِنَ الْحَرِيرِ الْمَغْزُولِ ،
وَأَلْفُ رِطْلٍ مِنَ لَوْنٍ ^(٢) الْحَرِيرِ الْمُتَمَتَّى لِلِاسْتِغْرَالِ ، وَزَادَ

(١) التي في ابن خلدون : وعشرة قناطير من السمور فيها مائة جلد ، والسمور
حيوان يرى يشبه السمور . وزعم بعض الناس أنه النمس ، وليس به ولكنه
يشبهه ، والبقرة التي هو فيها هي التي أثرت في تغير لونه ، وقال عبد اللطيف
البغدادي : انه حيوان جرى . ليس في الحيوانات أجراً منه على الانسان
ولا يؤخذ الا بالخيول ، وذلك بأن تدفن له جيفة فيقتل بها ، ولحمه حار والترك
يأكلونه ، وجلده لا يدبغ كالأجلود ، اه وتقدم وصفه والقول فيه . وقال
في اللصاح : والسمور حيوان من بلاد الروس وراء بلاد الترك يشبه
النمس ومنه أسود لامع وأشقر ، وحكى لي بعض الناس أن أهل تلك
الناحية يصيدون الصغار منها فيخصون الذكور منها ويرسلونها ترعى
فإذا كان أيام الثلج خرجوا للصيد فما كان فحلافاتهم وما كان خصياً استلقى
على قفاه فأدركوه وقد سمن وحسن شعره . اه . (٢) ليس في ابن
خلدون كلمة لون .

أَبْنُ خَلْدُونُ : وَتَلَاثُونَ شُقَّةً مِنَ الْفَرَبُونِ ^(١) لِسُرُوجِ الْهَبَاتِ ،
وَرَادَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ فِي الْحَرِيرِ الْمَذْكُورِ : قِيلَ إِنَّهُ قَبَضَهُ
مِنْهُ صَاحِبُ الطَّرَازِ ^(٢) وَلَمْ يَأْتِ بِهِ مَعَ الْهَدِيَّةِ ، وَإِنَّمَا دَفَعَهُ
لِصَاحِبِ الطَّرَازِ وَأَثْبَتَهُ فِي الدِّفْتَرِ . قَالَا : وَتَلَاثُونَ بِسَاطًا
مِنْ الصُّوفِ مُخْتَلِفَةً الصَّنَاعَاتِ طُولُ كُلِّ بِسَاطٍ مِنْهَا
عِشْرُونَ ذِرَاعًا ، وَقَالَ ابْنُ خَلْدُونُ : مُسْتَقَامَةٌ مُخْتَلِفَةُ الْأَلْوَانِ ،
قَالَا : وَمِائَةٌ قِطْعَةٍ مُصَلِّيَاتٍ مِنْ وَجُوهِ الْفُرُشِ الْمُخْتَلِفَةِ -
رَادَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ : الصَّنَاعَاتِ ^(٣) مِنْ جِنْسِ الْبُسْطِ - قَالَا :
وِخْمَسَةٌ عَشَرَ نَوْحًا ^(٤) مِنْ عَمَلِ الْخَزِّ الْمَقْطُوعِ شَطْرُهَا ،
قَالَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ : وَسَاءَتْ هَافِي مِنْ جِنْسِ الْبُسْطِ . قَالَ ابْنُ خَلْدُونُ :
وَمِنْ السَّلَاحِ وَالْمُدَّةِ ثَمَانِيَةٌ مِنَ التَّجَافِفِ ^(٥) الْمَزِينَةِ

(١) الذي في المحيط : الفريسون والفرقيون : شجر كالخس
عليه شعر وله شوك ، ومنه أسود حديد الشوك يقال له اللبانة
للغريبة . اه وفيه : الثياب الفرقيية ثياب بيض من كتان .
(٢) الطراز : للوضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة ، وتوب ينسج
للسلطان (٣) يعني أن ابن الفرضي قال في العلبيات : من وجوه الفرش
المختلفة الصناعات الخ (٤) أظنها محرفة عن نحا ، والذي في ابن خلدون :
وخمسة عشر من نخاع الخز المقطوع شطرها - والنخ بساط طويل طوله
أكثر من عرضه ، وهو فارسي معرب وجمعه نخاخ (٥) التجافيف : جمع
تجافى وهو آلة للحرب من حديد وغيره يلبيه القرس وقد يلبيه الانسان

أَيَّامُ الْبُرُوزِ وَالْمَوَاقِبِ ، وَقَالَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ مِائَةُ تَجَافٍ
يَأْبُدُ الصَّنَاعَاتِ وَأَغْرَبَهَا وَأَكْمَلَهَا . قَالَا : وَأَلْفُ تُرْسٍ ^(١)
سُلْطَانِيَّةٌ ، وَمِائَةُ أَلْفِ سَهْمٍ - زَادَ ابْنُ خَلْدُونُ : مِنْ أُنْبَالِ
الْبَارِعَةِ الصَّنْعَةِ . قَالَ ابْنُ خَلْدُونُ : وَمِنْ الظَّهْرِ خُمْسَةُ عَشَرَ
فَرَسًا مِنْ أَخِيلِ الْعَرَابِ ^(٢) الْمُتَخَيَّرَةِ لِرِكَابِ السُّلْطَانِ فَإِنَّهُ
الْتَمُوتُ . وَقَالَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ : وَمِنْ أَخِيلِ مِائَةُ فَرَسٍ ، مِنْهَا
مِنْ أَخِيلِ الْعَرَابِ الْمُتَخَيَّرَةِ لِرِكَابِهِ خُمْسَةُ عَشَرَ فَرَسًا ،
وْخَمْسُ مِنْ عُرُضٍ ^(٣) هَذِهِ أَخِيلٌ مُسْرَجَةٌ مُلْجَمَةٌ لِمَرَكَبِ
الْخِلَافَةِ ، مَجَالِسُ سُرُوجِهَا خَزْ عِرَاقِيٌّ ، وَتَمَانُونٌ فَرَسًا يَصْلُحُ
لِلْوُصْفَاءِ ^(٤) وَالْحَصَمِ . وَقَالَ ابْنُ خَلْدُونُ : مِائَةُ فَرَسٍ مِنْ أَخِيلِ

أيضا ليقية في الحرب ، ومنه حديث أبي موسى : « كان على تجافيه الديباج »
وفي الحديث « أعد للفقر تجافا » قال ابن الأثير التجفاف ما جل به الفرس
من سلاح وآلة تقيه الجراح - والذي في ابن خلدون : من تجافيف الزينة
أيام البروز الخ والتجفاف لفظ معرب (١) الترس ما يتوق به من السلاح وجمعه
أتراس ، وتراس ، وترسة ، وتروس ، ورجل تارس : ذو ترس تقول
لايتسوى الراجل والفرس ، ولا الأكشف والتارس (٢) العرب : الأصلية
الكرمة التي ليس فيها هجوة (٣) من عرض هذه الخيل : أي من
أقواها - يقال : نافعة عرض أسفار : أي قوية عليها . (٤) الوصفاء : الخدم -
جمع وصيف ووصيفة .

أَتَيْ تَصْلُحُ لِلرُّكُوبِ فِي التَّصَرُّفِ وَالْفَرَزَاتِ . وَقَالَ
 ابْنُ الْفَرَضِيِّ : وَخَمْسَةُ أَبْغُلٍ عَالِيَةِ الرُّكَّابِ ، وَقَالَ ابْنُ
 خَلْدُون : وَعِشْرُونَ مِنْ بَغَالِ الرُّكَّابِ مُسْرَجَةٌ مُلْجَمَةٌ
 لِمِرَاكِبِ الْخِلَافَةِ ، مَجَالِسُ مُرُوجِهَا خَزْ جَعْفَرِي ^(١) عِرَاقِي .
 قَالَ : وَمِنْ الرِّقِيقِ أَرْبَعُونَ وَصِيفًا وَعِشْرُونَ جَارِيَةً مِنْ مُتَخَيَّرِ
 الرِّقِيقِ يَكْسُوهُمْ وَجَمِيعِ آلَاتِهِمْ ، وَقَالَ ابْنُ خَلْدُون فِي
 الْجَوَارِي : مُتَخَيَّرَاتٌ يَكْسُوْنَهُنَّ وَزِينَتُهُنَّ ، وَقَالَ ابْنُ خَلْدُون :
 وَمِنْ سَائِرِ الْأَصْنَافِ قَرْيَةٌ تُقَالُ آلَافًا مِنْ أَمْدَادِ ^(٢) الزَّرْعِ ،
 وَمِنْ الصَّخْرِ اللَّبْنِيَّانِ مَا أَتَفَقَ عَلَيْهِ فِي عَامٍ وَاحِدٍ تَمَانُونَ
 أَلْفَ دِينَارٍ ، وَعِشْرُونَ أَلْفَ عُودٍ مِنْ الخَشَبِ مِنْ أَجْمَلِ
 الخَشَبِ وَأَصِيلِهِ ^(٣) وَأَقْوَمُهُ ، قِيمَتُهَا خَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ .
 أَتَى .

(١) لعلها منسوبة الى الجعفرية وهي محلة كبيرة في الجانب الشرقي من
 بغداد تنسب الى الخليفة جعفر للتوكل العباسي . والجعفرى اسم قصر بناه
 التوكل بن المعتصم قرب مدينة سامراء فاستحدثت عنده مدينة وانتقل اليها
 وأقطع القواد منها قطائع فصارت أكبر من سامراء (٢) أمداد : جمع مد ،
 وهو مكيال قصره رطلان عند أهل العراق ، ورطل وثلاث عند أهل الحجاز
 (٣) في ابن خلدون وأصله -



كتاب بن شيد
للمصحوب مع
الهدية

وَقَالَ ابْنُ الْفَرَحِيِّ تَقْلًا عَنْ كِتَابِ ابْنِ شُهَيْدٍ
الْمَصْحُوبِ مَعَ الْهَدِيَّةِ عِنْدَ مَا ذَكَرَ الرَّقِيقَ مَا صُوِّرَتْهُ :
وَكَانَ قَدْ أَرَبَى ^(١) - أَيْدَهُ اللَّهُ - بِابْتِئَاعِهِمْ مِنْ مَالِ الْأَتَحَاسِ ،
فَابْتَعَهُمْ مِنْ نِعْمَتِهِ عِنْدِي ، وَصَيَّرَهُمْ مِنْ بَعْنِي ، وَمَعَ ذَلِكَ عَشَرُ
قَنَاطِيرِ سُكَّرٍ طَبْرَزْدَ ^(٢) لَا سُحَّاقَ ^(٣) فِيهِ . وَفِي آخِرِ الْكِتَابِ :
وَلَمَّا عَلِمْتُ تَطْلُعُ مَوْلَايَ - أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَى قَرْيَةٍ كَذَا
بِالْقُبَابِيَّةِ ^(٤) الْمُنْقَطِعَةِ الْفَرَسِ شَرَّهَا وَرَدَّادَهُ - أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى -

(١) لعلها من الرباء وهو الطول والمئة (٢) الطبرزد « طبرزل ،
طبرزن » السكر ، فارسي معرب عن : تبرزد « والتبر والطبر
القاس بالفارسية » والذي يشفق به الخطب وما يشاكله ، وأصل معناه
« ما نمت بالقاس » كأنه نحت بها من نواحيه ، ولذا سميت
طبرستان لقطع شجرها و « استان » الوضع أو الناحية (٣) من سحق
الشيء « كنع » إذا دقه ، فالسحاق كالدقاق فثابت الشيء وكساره (٤) قنباينة
أو كنبانية : ناحية بالاندلس قرب قرطبة من عملها ينسب إليها أبو عبدالله
محمد بن قاسم بن محمد الأموي القرطبي الجبالي الكنياني وكان بصيرا
بالفقه والأدب وولى الصلاة والخطبة بجامع مدينة الزهراء فكان آخر
خطيب قام على منبره ورحل الى الشرق وحج سنة ٣٧٠ وأخذ هنالك عن
جماعة من العلماء وكان من أهل الرواية والبراية والحفظ والبرقة الى الدين
والصلاح ومكارم الاخلاق والحلم وحسن المعاشرة لآخوانه والسياسة وقضاء
المجالبات وتقلد أيضا أحكام الشرطة للخليفة هشام بن الحكم فكان محمود

لَدِكْرَهَا ، لَمْ أَهْنَأُ بَيْتِي حَتَّى أَعْمَلْتُ الْحِجْلَةَ فِي أُتْبَاعِهَا
بِأَخْوَازِهَا^(١) ، وَأَكْتَبْتُ وَكِيلَهُ أَبْنَ بَقِيَّةَ^(٢) الْوَيْقَةَ فِيهَا
بِاسْمِهِ ، وَضَمَّمَهَا إِلَى ضِيَاعِهِ ، وَكَذَلِكَ صَنَعْتُ فِي قَرْيَةِ شِيرَةَ
مِنْ نَظَرِ جَبَّانَ ، عِنْدَ مَا اتَّصَلَ بِي مِنْ وَصْفِهِ وَتَطْلُعِهِ إِلَيْهَا ،
فَمَا زِلْتُ أَتَصَدَّى لِمَسَرَّتِهِ بِهَا حَتَّى ابْتَعْتَهَا الْآنَ بِأَخْوَازِهَا ،
وَجَمِيعِ مَنَازِلِهَا وَرُبُوعِهَا ، وَأَخْتَارَ ذَلِكَ كُلَّهُ الْوَكِيلُ
أَبْنُ بَقِيَّةَ ، وَصَارَ فِي يَدِهِ لَهُ أَبْقَاءُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَرْجُو

في حكومته ، ثم قلته البرابرة يوم تظلمهم على قرطبة سنة ٤٠٣ هـ ويطلق
هذا الاسم « قتبانية » على الروابي والسهول الممتدة جنوب قرطبة على الضفة
اليسرى من الوادي الكبير ، وكلمة (شرفها) هنا نائية ، فلعلها محرفة عن
بشرفها مثلا يعني أن تطلعه إليها بسبب ما قدر لها من نيل الشرف . والشرف
كل نشز من الأرض قد أشرف على ماحوله كشرف اشبيلية من سوادها
« أحمد يوسف نجاشي » . (١) حوز الدار وحيزها ما انضم إليها من الرافق
وللنافع وكل ناحية على حدة حوز ، والحوز من الأرض أن يتخذها
رجل ويبين حدودها فيستحقها ويحوزها ولا يكون لأحد فيها حق معه
والحوزة الناحية والحد (٢) كذا بالأصل وأظنه محرفا عن (بقنة) بفتح
الباء والفاء وتشديد النون المفتوحة ، فهناك أبو تميم الزين محمد بن بقنة ذكره
في بغية اللئيم وقال فيه : أديب حافظ من أهل بيت وزارة وجلالة يروى
عن أبي القاسم الأظلي وغيره توفي سنة ٤٨٨ هـ . وأظن أن وكيل
الناصر من أصول الزين محمد هنا - وأحمد بن بقنة كان وزير دولة
العلويين من بني حمود بالاندلس وقد جطنها (بقنة) بدل (بقية) بد
ذلك . « أحمد يوسف نجاشي »

أَنَّهُ سَيَرْفَعُ فِيهَا^(١) فِي هَذِهِ السَّنَةِ آلَافَ أُمْدَادٍ مِنَ الْأَطْمَةِ
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَلَمَّا عَلِمْتُ نَافِذَ عَزْمِهِ أَبْقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي
 الْبُنْيَانِ وَكَلَّفَهُ بِهِ ، وَفَكَرْتُ فِي عَدَدِ الْأَمَّا كِنْ الَّتِي تَطْلُعُ
 نَفْسُ الْكَرِيحَةِ إِلَى تَحْلِيدِ آثَارِهِ فِي بُنْيَانِهَا - مَدَّ اللَّهُ تَعَالَى
 فِي عُمْرِهِ وَأَوْفَى بِهَا عَلَى أَقْصَى أَمَلِهِ - عَلِمْتُ أَنَّ أُمَّهُ^(٢)
 وَقَوْمَهُ الصَّخْرُ وَالْإِسْتِكْثَارُ مِنْهُ ، فَأَثَارَتْ لِي هَمَّتِي وَتَصَبَّحَتِي
 حِكْمَةً حِيلَةً أَحْكَمَهَا سَعْدُكَ وَجَدُّكَ اللَّذَانِ يَبْعَثَانِ مَا لَا
 يَتَوَهَّمُ عَلَيْهِ حِيلَةٌ أَقِيمُ لَكَ فِيهَا بِعَامٍ وَاحِدٍ عَدَدَ مَا كَانَ
 يَقُومُ عَلَى يَدَي عَبْدِكَ ابْنِ عَاصِمٍ فِي عِشْرِينَ عَامًا ؛ وَيَنْتَهِي
 تَحْصِيلُ النِّفْقَةِ فِيهِ إِلَى نَحْوِ الثَّمَانِينَ أَلْفًا ، أَعْجَلُ شَأْنُهُ فِي
 عَامٍ سِوَى التَّوْفِيرِ الْعَظِيمِ الَّذِي يُبْدِيهِ الْعِيَانُ قَبْلًا إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَكَذَلِكَ مَا تَابَ إِلَيَّ فِي أَمْرِ الْخُشْبِ
 لَهُذِهِ الثَّمَنِ الْمَكْرَمَةِ ، فَإِنَّ ابْنَ خَلِيلٍ عَبْدَكَ الْمُجْتَهِدَ
 الدَّيُّوبَ أَتَمَّتْ فِي تَحْصِيلِ عَدَدٍ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِلَى ثَلَاثِيانَةٍ

(١) قد تكون محرفة عن (منها) (٢) أس البناء : أصله وأساسه

أَلْفِ عُوْدٍ، وَبَيَّنَّ^(١) عَلَى عِشْرِينَ أَلْفَ عُوْدٍ، عَلَى أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ فِي السَّنَةِ إِلَّا نَحْوُ أَلْفَيْنِ^(٢) عُوْدٍ، فَتَحَّجَّ لِي سَعْدُكَ رَأِيَا أَقِيمْ لَهُ بِتَمَامِهِ جَمِيعَ هَذَا الْخَشَبِ الْعَامَ عَلَى كَمَالِهِ بِوُرُودِ الْجَلِيلَةِ^(٣) لَوْفَتِهَا، وَرَقِمَتْهُ عَلَى الرُّخَصِ مَا يَتَنَ الْخَمْسِينَ أَلْفًا وَالسَّتِينَ أَلْفًا. ائْتَعَى.

وَمِنْ غَرِيبٍ مَا يُحْكَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ إِنْشَادِ الزُّرُورِ
الْمَذْكُورِ أَنَّهُ أَرَادَ الْقَصْدَ، فَقَمَدَ بِالْبَهْوِ^(٤) فِي الْمَجْلِسِ
الْكَبِيرِ الْمُشْرِفِ بِأَعْلَى مَدِينَتِهِ بِالزَّهْرَاءِ، وَأَسْتَدْعَى الطَّيِّبَ
لِذَلِكَ، وَأَخَذَ الطَّيِّبُ أَلَّا لَةً وَجَسَّ يَدَ النَّاصِرِ، فَيَنْمَا
هُوَ إِذَا طَلَّ زُرُورٌ^(٥) فَصَمَدَ عَلَى إِيَّاهُ ذَهَبٍ بِالْمَجْلِسِ وَأَنْشَدَ:

(١) نيف زاد (٢) هذا الاستعمال لا يجيزه اللغة والأولى أن يقال نحو
ألفي عود أو ألفي العود (٣) الجلبية، الجلب والجلبة اسم لما يجلب من
الشيء أي يؤتى به من موضع إلى الآخر من مثل خيل وابل ومتاع وسبي
ونحو ذلك (٤) البهو: البيت للقدم أمام البيوت - وأصل البهو الواحة، يقال
هم في بهو من العيش أي في سعة ورغد (٥) الزرور: طائر من نوع
الصفور يشبه القبرة، سمي بذلك لزروره أي تصويته وهو طائر رقيق
معتدل الزاج يتبع الربيع وطيب الهواء، والشيخ برهان الدين القبراطي
قد قلت لا مربى معرضا وكفه يحمل زرورا
ياذا التي عذبي مطله ان لم تر حقا فزرورا

أَيُّهَا الْفَاصِدُ رِقْقًا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 إِنَّمَا تَقْصِدُ عِرْقًا فِيهِ حَيَاةُ الْمَالِينَا
 وَجَعَلَ يُكَرِّرُ ذَلِكَ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ، فَاسْتَظَرَفَ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرُ ذَلِكَ غَايَةَ الْإِسْتِظْرَافِ، وَسُرَّ بِهِ
 غَايَةَ السُّرُورِ، وَسَأَلَ عَنْهُ أَهْتَدَى إِلَى ذَلِكَ وَعَلَّمَ الزُّرُورَ،
 فَذَكَرَ لَهُ أَنَّ السَّيِّدَةَ الْكُبْرَى مَرَجَانَةَ أُمِّ وَلَدِهِ وَلَّى عَهْدِهِ
 الْحَكَمَ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ صَنَعَتْ ذَلِكَ، وَأَعَدَّتْهُ لِذَلِكَ الْأَمْرِ،
 فَوَهَبَ لَهَا مَا يُنِيفُ عَلَى ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .

هدية ابن شهيد وَذَكَرَ ابْنُ بَسَّامٍ أَنَّ أَبَا عَامِرٍ بْنَ شُهَيْدٍ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ
 الْوَزِيرَ أَهْدَى لَهُ غُلَامًا مِنَ النَّصَارَى لَمْ تَقْعِ الْغُيُوثُ عَلَى شِبْهِهِ،
 فَلَمَحَهُ النَّاصِرُ فَقَالَ لِابْنِ شُهَيْدٍ: أَيْنَ لَكَ هَذَا؟ قَالَ: هُوَ مِنْ
 عِنْدِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ النَّاصِرُ: تُحِبُّونَنَا بِالنُّجُومِ وَتَسْتَأْذِنُونَ
 بِالْقَمَرِ، فَاسْتَعْذَرُ^(١) وَأَحْتَفَلَ فِي هَدِيَّةٍ بَيْنَهَا مَعَ الْغُلَامِ. وَقَالَ
 يَكُنِّي كُنْ مَعَ جُنَّةٍ مَا بُعِثَ بِهِ: وَلَوْلَا الضَّرُورَةُ مَا سَمَحْتَ
 بِكَ قَسِي، وَكَتَبَ مَعَهُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ:

أَمْوَالِي هَذَا الْبَدْرُ سَارَ لِأَقْسِمُ
وَلَلَأَفْقُ أُولَى بِالْبُدُورِ مِنَ الْأَرْضِ
أَرْضِيكُمْ بِالنَّفْسِ وَهِيَ نَفْسِي
وَلَمْ أَرِ قَبْلِي مَنْ يُهَجِّتُهُ يُرْضَى
فَحَسُنَ ذَلِكَ عِنْدَ النَّاصِرِ، وَأَنْحَفَهُ بِمَالِ جَزِيلٍ، وَمَكَّنْتُ
عِنْدَهُ مَكَاتَهُ . ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَهْدَيْتُ إِلَيْهِ جَارِيَةً مِنْ
أَجْمَلِ نِسَاءِ الدُّنْيَا، فَخَافَ أَنْ يَنْتَهِيَ ذَلِكَ إِلَى النَّاصِرِ فَيَطْلُبَهَا،
فَتَكُونُ كَقِصَّةِ الْغُلَامِ، فَاحْتَفَلَ فِي هَدِيَّةٍ أَعْظَمَ مِنْ
الْأُولَى وَلِيَعْمَهَا مَعَهَا، وَكَتَبَ لَهُ :

أَمْوَالِي هَذِي الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ أَوَّلَا
تَقَدَّمَ كَيْمَا يَلْتَقِي الْقَمَرَانِ
قِرَانٌ لَمَعَرِي بِالسَّعَادَةِ قَدْ أَتَى
فَدُمُ مِنْهُمَا فِي كَوْنٍ وَجِنَانِ
فَمَا لَهُمَا وَاللَّهِ فِي الْحُسْنِ ثَالِثُ
وَمَالِكَ فِي مُلْكِ الْبَرِيَّةِ ثَانِي

فَضَاعَفَتْ مَكَاتَهُ عِنْدَهُ . ثُمَّ إِنَّ أَحَدَ الْوُشَاةِ رَفَعَ
لِلْمَلِكِ أَنَّهُ بَقِيَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْغَلَامِ حَرَارَةٌ ^(١) ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ
يَذْكُرُهُ حِينَ تُحَرَّكُهُ الشَّمُولُ ^(٢) ، وَيَقْرَعُ ^(٣) السِّنَّ عَلَى تَعَذُّرِ
الْوُصُولِ ^(٤) ، فَقَالَ لِلْوَأَسِيِّ : لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ ، وَإِلَّا طَارَ
رَأْسُكَ . وَأَتَمَلَ النَّاصِرُ حِيلَةً فِي أَنْ كَتَبَ عَلَى لِسَانِ
الْغَلَامِ رُقْعَةً مِنْهَا : يَا مَوْلَايَ ، تَعَلَّمَ أَنَّكَ كُنْتَ لِي عَلَى
أَهْرَاقِي ، وَلَمْ أَزَلْ مَمَكًا فِي نَعِيمٍ ، وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ عِنْدَ
الْخَلِيفَةِ مُشَارِكًا فِي الْمَنْزِلَةِ ، مُحَازِرٌ مَا يَبْدُو مِنْ سَطْوَةِ
الْمَلِكِ ، فَتَحِيلٌ فِي اسْتِدْعَائِي مِنْهُ . وَبَعَثَهَا مَعَ غُلَامٍ صَغِيرٍ
السِّنِّ ، وَأَوْصَاهُ أَنْ يَقُولَ مِنْ عِنْدِ فُلَانٍ ، وَإِنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَكَلِّمَهُ

(١) أى لوعة وحرقة ووجد ، ويجوز أن تكون حزازة وهى الالم فى
القلب من غيظ أو نحوه من كل ما حزن فى القلب وحاك فى الصدر
(٢) الشمول : الحرق أو الباردة منها سميت شمولاً لان ريحها تشمل
الناس وتسمهم أو لانها عرضت لنسيم الشمال فبردت وطابت (٣)
السن : كناية عن النعم والحسرة والاسف (٤) تذكرت هنا قول
البحرئى :

يذكرنيك والذكرى غناء مشابه فيك طيبة الشكول
نسيم الروض فدريغ شمال وصوب للزن فى راح شمول

قَطُّ إِنْ سَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ . فَلَمَّا وَفَّ أَبُو عَامِرٍ عَلَى تِلْكَ الرِّسَالَةِ ،
وَأَسْتَخْبَرَ الْخُلَدِمَ ، عَلِمَ مِنْ سُؤَالِهِ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْغَلَامِ ،
وَمَا تَكَلَّمَ بِهِ فِي مَجَالِسِ الْمُدَامِ ، فَكَتَبَ عَلَى ظَهْرِ الرُّقْمَةِ
وَلَمْ يَزِدْ حَرْفًا :

أَمِنْ بَعْدِ إِحْكَامِ التَّجَارِبِ يَنْبَغِي
لَدَيَّ سُقُوطُ الطَّيْرِ فِي غَابَةِ الْأَسَدِ ؟
وَمَا أَنَا بِمَنْ يَغْلِبُ الْغُلْبُ قَلْبَهُ
وَلَا جَاهِلٌ مَا يَدَّعِيهِ أُولُو الْحَسَدِ
فَإِنْ كُنْتَ رَوْحِي قَدْ وَهَبْتِكَ طَائِعًا
وَكَيْفَ يَرُدُّ الرُّوحُ إِنْ فَارَقَ الْجَسَدَ ؟

فَلَمَّا وَفَّ النَّاصِرُ عَلَى الْجَوَابِ تَعَجَّبَ مِنْ فِطْنَتِهِ وَلَمْ
يَعُدْ إِلَى اسْتِمَاعِ وَائِي بِهِ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ :
كَيْفَ خَلَصْتَ مِنَ الشَّرِكِ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّ عَقْلِي بِالنُّهَى غَيْرُ
مُشْتَرِكٍ . فَأَنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَزَادَتْ مَحَبَّتُهُ عِنْدَهُ . وَبِمَنْ ذَكَرَ هَذِهِ
الْحِكَايَةَ صَاحِبُ مَطَالِعِ الْبُدُورِ ^(١) فِي مَنَازِلِ الشُّرُورِ .

(١) تَأَلَّفَ الشَّيْخُ الْأَدِيبُ علاء الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَهَائِيُّ النُّرُولِيُّ
وَهُوَ كَتَبَ نَفِيسَ جَمَلٍ فِيهِ لِمَنَازِلُ الشُّرُورِ خَمْسِينَ بَابًا .



غزوات الناصر وأخبار الناصر طويلاً جداً ، وقد منح الظفر على الثور ، واستزله من معاليهم ^(١) حتى صفاه الوقت . وكانت له في جهاد العدو اليد البيضاء ، فمن غزواته أنه غزا سنة ثمان وثلاثمائة إلى جليقية ، ومليكا أردون بن أذفونش ^(٢) ، فاستنجد بالبشكنس ^(٣) والإفرنجية ، وظاهر شانجة ^(٤) بن فرويلة صاحب ببلونة أمير البشكنس ، فهزمهم ووطى بلادهم ودوخ أرضهم وفتح معاليهم وخرّب حصونهم ،

(١) للعقل : للجبأوالحسن (٢) . كان أولادافنش الثالث « في أول اماره للملك الناصر عبد الرحمن بن محمد » في شمال أسبانيا يقتسمون حكومة أيهم قسموها الى ثلاث ممالك فأخذ منهم غرسية الأرض التي بين نهر دويره واستور ياوالبرارى القوطية للسماة قبوس Campos وجعل عاصمته مدينة ليون « نهر دويره نهر عظيم تقع عند مصبه مدينة برتغال وعليه في الوسط مدينة سمورة وبالقرب من نهاية فرع منه يتجه شمالا تقع مدينة ليون » وتملك أخوه « أردن » جليقية « الطرف الشمالى الغربى من أسبانيا » ، وأخوهما فرويلة كان يملك أستور يا (٣) تقدم القول فيهم ، وقد كان الافرنج يسمونهم بسكس Basques أوفونكس Yacons ولعل الاسم العربى منحوت من هاتين الكلمتين ومماهم الاصطخرى في كتاب للسالك وللملك « بكونس » (٤) أو هو شانجة بن غرسية ، وقد اتقى جيش الناصر وجمع شانجة على حصن أرنيط « في شرق الاندلس من

ثُمَّ غَزَا بَبِلُونَ سَنَةَ ثَلَاثِي عَشْرَةَ، وَدَخَلَ دَارَ الْحَرْبِ، وَدَوَّخَ
الْبَسَائِطَ، وَفَتَحَ الْمَعَاوِلَ، وَخَرَّبَ الْحُصُونِ، وَأَفْسَدَ الْعِمَارَ،
وَجَالَ فِيهَا، وَتَوَعَّلَ فِي قَاصِيَتِهَا، وَالْعُدُوَّ يُحَاذِيهِ فِي الْجِبَالِ
وَالْأَوْعَارِ وَلَمْ يَظْفَرْ مِنْهُ بِشَيْءٍ . ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ طَفِرَ بَعْضُ
الثَّوَارِ عَلَيْهِ وَكَانَ أَسْتَمَدَ النَّصَارَى - فَقَتَلَ النَّاصِرُ مَنْ كَانَ
مَعَ الثَّائِرِينَ مِنَ النَّصَارَى أَهْلَ أَلْبَةِ، وَفَتَحَ ثَلَاثِينَ مِنْ حُصُونِهِمْ .
وَبَلَغَهُ انْتِقَاضُ طُوطَةِ ^(١) مَلِكَةِ الْبَشْكَنْسِ فَعَزَّاهَا فِي

أعمال تطيلة كانت مطلة على أرض العدو « فاقْتلَا فِهْرَمَ جَمع شَانْجَة وولوا
الادبار ، ثم بلغ الناصر خبر اجتماع الملجعين أردن وشانْجَة وتعاضدهما
فأوغل في بلادهما واقتفت جيوشه آثار خيلهما وجندهما حتى هزموهم وشتتوا
شملهم (١) هي أرملة شانْجَة - وقد كان أردن ملك ليون مات قبل الشروع
في غزوة بابلونة وخلفه أخوه فرويلة فلم يمكث في الملك الا سنة واحدة
لم يقاتل فيها للمسلمين الا أنه أمد شانْجَة ملك قفارة في حروبه مع الناصر
سنة ٣١٢ قاهزم جمع شانْجَة - ثم مات فرويلة سنة ٩٢٥ فتنازع ملكة
ليون ولدا أردن شانْجَة وأذفتش قنظب الثاني لأن صهره ملك قفارة
ظاهره وأعانه ، ومع هذا لم يأس شانْجَة فانه عند تنويع اذفونش في
مدينة « شت ياقب » نهض الى مدينة ليون واستولى عليها ثم عاد اذفتش
فاستخلصها منه بمساعدة النصارى سنة ٩٢٨ ففر شانْجَة بن أردن الى
جلبقية القصوى الى أن مات سنة ٩٢٩ م وتوافق سنة ٥٣١٤ هـ

بَنِيْلُوْنَةَ ، وَدَوَّخَ أَرْضَهَا وَأَسْتَبَاحَهَا وَرَجَعَ إِلَى قُرْبَلَةَ . ثُمَّ
غَزَا غَزْوَةَ الْخَنْدَقِ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ إِلَى جَلِيقَةِ ، فَأَنْهَزَمَ
وَأُصِيبَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ ، وَقَعَدَ بَعْدَهَا عَنِ الْغَزْوِ بِنَفْسِهِ ، وَصَارَ
يُرَدُّدُ الْبُيُوتِ وَالصَّوْافِ إِلَى الْجِهَادِ ، وَلَمَتَّ جُيُوشَهُ إِلَى
الْمَغْرِبِ ، فَلَمَكَ سَبْتَهُ وَقَالَسَا وَغَيْرُهُمَا مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ ، وَطَلَّ
مِيتَهُ وَأَنْتَشَرَ ذِكْرُهُ كَمَا سَبَقَ . وَلَمَّا هَلَكَ شَانِجَةُ بْنُ قُرَيْطَةَ
مَلِكُ الْبَشْكَنِسِ قَامَ بِأَمْرِهِمْ بَعْدَهُ أُمُّهُ طُوطَةُ ^(١) وَكَفَلَتْ
وَلَدَهُ ، ثُمَّ انْتَقَصَتْ عَلَى النَّاصِرِ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ ، فَمَزَا
النَّاصِرُ بِلَادَهَا ، وَخَرَّبَ نَوَاحِيَ بَنِيْلُوْنَةَ ، وَرَدَّدَ عَلَيْهَا كَمَا
مَرَّ الْغَزَوَاتِ . وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ غَزَا
إِلَى خَشْمَةِ ^(٢) ثُمَّ رَحَلَ إِلَى بَنِيْلُوْنَةَ ، فَجَاءَتْهُ طُوطَةُ بِطَاعَتِهَا ،
وَعَقَدَ لَابْنَهَا غَرْسِيَةَ عَلَى بَنِيْلُوْنَةَ ، ثُمَّ عَدَلَ إِلَى أَلْبَةِ

(١) للشهورة كما تقدم أنها أرملة شانجة ، رحلت إلى الملك الناصر وكان
غازيا في ببلونة وقدمت طاعتها ففقد لابنها غرسية على ببلونة (٢) كذا
بالأصل وهي محرفة عن «وخشمة» Osma والاسم العربي «وخشمة»
في كتاب نزهة المشتاق ، وفي سنة ٣٢٧ اجتاز الناصر نهر دوبرة وانساب
جيشه في أرض العدو كالسيل الجارف مغربا القلاع التي كان يمر بها ومنها
رباط ، وخشمة ، وشت اشقين ، وحاصر مدينة سمورة وامتدت خيامه

وَبَسَاتِلِهَا فَدَوَّخَهَا وَخَرَّبَ حُصُونَهَا ، ثُمَّ أَقْتَحَمَ جَلِيقِيَّةَ ،
وَمَلَكَهَا يَوْمَئِذٍ رُذْمِيرُ بْنُ أَرْدُونٍ فَخَافَ^(١) عَنْ لِقَائِهِ ، وَدَخَلَ
وَحْشَمَةَ^(٢) فَتَنَزَّلَهُ النَّاصِرُ فِيهَا ، وَهَدَمَ بَرْغَشَ^(٣) وَكَثِيرًا مِنْ

على طول نهر دويرة ودوخ بلاد الجلائقة ، وكانت سيوف كتنا الطائفتين تنوش الأخرى وتنال منها. هذا ومدينة « شت ياقب » أو ياقوب Santiago في نهاية الطرف الشمالي لاسبانيا « البرغال الآن » وكانت من بلاد جليقية ذات حصن منيع ، ويقال ان لفظها منحوت من الكلمتين الروميتين « سنكنوس يقوبوس » « القديس يعقوب » ومن ذلك أخذ الأسبانون لفظ « سنت ياغو » وقد زحف عليها النصور بن أبي عامر في أيام دولته. وكنا قد سهونا عن التطبيق على هذه الكلمة بما يحققها في صفحة ٢٥٩ فتداركنا ذلك هنا كما تلافينا سهوا في صفحة ٢٥٧ من الجزء الأول يتعلق بمدينة « بردو » أو « بردال ، برذيل » فتلافيناه في هذا الجزء في غير موضع أنظر صفحة ١٣٥ (١) خلم عن لقائه : جين ونكس (٢) كانت في الأصل « وحشمة كما تقدم » فأصلحت (٣) برغش أو برغش Burgos قرية قرب طليطلة ، وقد كان الناصر فتح مدينة طليطلة سنة ٣٢٠ - وكان « رامير » ملك ليون قد شنت شمل جيش من المسلمين كان يحاصر وحشمة سنة ٩٣٣ م فأثار ذلك حمية الأمير عبد الرحمن سنة ٩٣٤ م وأبى عليه همه الا أن ينتقم لجيشه ويجعل سهول وحشمة تسهل له بالنصر كما شهدت على جيشه بالخذلان فتزأها ، وأراد أن يستنزل رامير من قلعتها الى ميادين القتال فاستصم بها فترك الناصر فرتة تحاصرها واتجه الى الشمال فأتت جيوشه ولاسيما الافارقة في بلاد أعدائهم وخربوا مدينة برغش قاعدة قشتالة وكثيرا من الحصون . هذا وبرغش مشهورة بكنائسها وقد كان في إحدى هذه الكنائس لواء بديع الشكل استولى عليه الأسبانون من العرب في واقعة العقاب للشهورة « أحمد يوسف نجاني »

مَعَاظِلِهِمْ وَهَزَمَهُمْ مِرَارًا وَرَجَعَ . ثُمَّ كَانَتْ بَعْدَهَا غَزْوَةٌ
الْخُنْدَقِ السَّابِقَةُ ، وَهَابَتْهُ أُمُّ النَّصْرَانِيَّةِ . ثُمَّ وَقَدَتْ عَلَيْهِ
سَنَةٌ سِتٌّ وَثَلَاثِينَ رُسُلُ صَاحِبِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَهَدَيْتُهُ وَهُوَ
يَوْمَئِذٍ قُسْطَنْطِينُ . وَاحْتَفَلَ النَّاصِرُ لِقُدُومِهِمْ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ ،
قَالَ ابْنُ خَلْدُون : رَكِبَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَسَاكِرُ بِالسَّلَاحِ
فِي أَكْمَلِ شِكَّةٍ ^(١) ، وَزَيَّنَ الْقَصْرُ الْخِلَافِي بِأَنْوَاعِ الزَّيْنَةِ
وَأَصْنَافِ الشُّتُورِ ، وَجَمَلَ السَّرِيرُ الْخِلَافِي بِمَقَاعِدِ الْأَبْنَاءِ
وَالْإِخْوَةِ وَالْأَعْمَامِ وَالْقَرَابَةِ ، وَرَتَّبَ الْوُزَرَاءَ ، وَالتَّخْدِمَةَ فِي
مَوَاقِعِهِمْ ، وَدَخَلَ الرُّسُلُ فَهَالَهُمْ مَا رَأَوْهُ ^(٢) وَقُرُبُوهَا حَتَّى
أَدَّوْا رِسَالَتَهُمْ ، وَأَمَرَ يَوْمَئِذٍ الْأَعْلَامُ أَنْ يَخْطُبُوا فِي ذَلِكَ
الْمَحْفِلِ ، وَلَمْ يَمْطُؤْا مِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَالْخِلَافَةِ ، وَيَشْكُرُوا

(١) الشكَّة : ما يلبس من السلاح ، وشك في السلاح : أى دخل في سلاح
تام وعدة كاملة (٢) تذكرت هنا قول البحترى :

لخطوك أول لحظة فاستعصروا من كان يظلم عندهم وييجل
وقول أبى الطيب من قصيدة يمدح بها سيف الدولة عند دخول رسول
الروم سنة ٣٤٣هـ :

إذا عايتك الرسل هانت نفوسها عليها وما جانت به والبرائل
« أحمد يوسف نجاشى » .

نِعْمَةً اللَّهُ عَلَى ظُهُورِ دِينِهِ وَإِعْزَازِهِ وَذَلَّةِ عَدُوِّهِ ، فَاسْتَعَدُّوا
لِلذَلِكَ ، ثُمَّ بَهَرَهُمْ هَوْلُ الْمَجْلِسِ فَوَجَّهُوا^(١) وَشَرَعُوا فِي الْقَوْلِ
فَارْتَجَحَ^(٢) عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي وَافِدُ الْعِرَاقِ^(٣) ،
كَانَ فِي مُجَلَّةِ الْحُكْمِ وَلِيُّ الْهَمْدِ وَنَدَبَهُ لِذَلِكَ أَسْتِثَارًا
فَعَجَزَ ، فَلَمَّا وَجَّهُوا كُلَّهُمْ قَامَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ الْبَلْطُوطِيُّ^(٤) مِنْ
غَيْرِ اسْتِعْدَادٍ وَلَا رَوِيَّةٍ وَلَا تَقَدَّمَ لَهُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ،
فَنَطَبَ وَأَسْتَحْضَرَ وَجَلَّى^(٥) فِي ذَلِكَ الْقَصْدِ ، وَأَنْشَدَ شِعْرًا
طَوِيلًا أَرْتَجِلُهُ فِي ذَلِكَ الْغَرَضِ ، فَفَازَ بِفَخْرٍ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ

(١) وجوا : سكتوا واستولت عليهم الهيبة والندم (٢) فارتجح عليهم :
استغلق عليهم الكلام فلم يقدر واعليه ، وأوصدت أمامهم أبوابه (٣) استدعاه
الناصر لتربية ابنه الحكم وتهذيبه فقد كان يختار لذلك كبار الأساتذة
وفحول العلماء - وكان أبو علي القالي ذا حظوة عند بني العباس وصيت
ذائع في المراقين - فكان يصاحب الحكم في قصر الزهراء ويختلف إليه
في ذلك القصر نخبة العلماء وصفوة الأدباء فشب ذا شغف بالغة وعلومها
وآدابها ، ودخل القالي قرطبة في شبان سنة ٣٣٠ واستوطنها وأملى كتابه
الأمالي بها ، ومدحهم هناك الشاعر للشهور يوسف بن هرون الرمادي بقصيدة
بدعية رائعة . وتوفي أبو علي بقرطبة سنة ٣٥٦ (٤) ستأتي ترجمته (٥) جلّى
الفرس جاء سابقا في الحلبة ، وللعلی الذي يأتي وراءه ثانيا . وجلّى الأمر
وجلاه إذا كشفوا أظهوره ، وقنا جلّى الأمر والمم وتجلّى : زال كما تنجلي الظلمة
(١٢ - فتح الطيب - ثالث)

وَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ شَأْنِهِ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ مَا وَقَعَ، وَأَعْجَبَ
 بِهِ النَّاصِرُ وَوَلَّاهُ الْقَضَاءَ بَعْدَهَا، وَأَصْبَحَ مِنْ رِجَالِ
 الْمَعَالِمِ ^(١). وَأَخْبَارُهُ مَشْهُورَةٌ. وَخُطْبَتُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
 مَنْقُولَةٌ فِي كُتُبِ ابْنِ حَيَّانَ وَغَيْرِهِ. ثُمَّ أَنْصَرَفَ هُوَ
 الرُّسُلُ، وَبَعَثَ النَّاصِرُ مَعَهُمْ هِشَامَ بْنَ هُذَيْلٍ ^(٢) يَهْدِيَةً حَافِلَةً
 لِيَوْمِ كَدَّ الْمَوَدَّةِ وَنَحْسِنِ الْإِجَابَةِ. وَرَجَعَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ وَقَدْ
 أَحْكَمَ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ وَجَاءَتْ مَعَهُ رُسُلُ قُسْطَنْطِينِ. ثُمَّ
 جَاءَ رَسُولٌ مِنْ مَلِكِ الصَّقَالِبَةِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ دُوْقُو ^(٣)
 وَرَسُولٌ آخَرُ مِنْ مَلِكِ الْأَلَمَانِ ^(٤)، وَرَسُولٌ آخَرُ مِنْ مَلِكِ

(١) جمع معلم، وأصل المعلم ما يستدل به على الطريق من الآثار، ومعلم الشيء
 مظنته فيقال هو معلم للخير ومن معلمه، يريد من الرجال المشهورين
 للبرزين الذين يدعون في مواقف الحشد والقول في المجمع وأنه صار من
 أعلام العلم الخافقة ومن أعلام البلاغة الشائعة (٢) كان وزيراً للناصر.
 (٣) يسميه ابن الخطيب «دوقو» وابن خلدون «هوتو» وقال ابن عسار
 للراكني: في سنة ٣٤٢ قدمت رسل «هوتو» ملك الصقالبة على الناصر،
 وبعض مؤرخي قرطبة يسمونه «أوتون» ولعل من يسميه «دوقو» أخذ
 ذلك من لقبه «Duc» (٤) كان عاهل اللانياني عصر الناصر هو «أوتون»
 «Othon» فقد ارتقى عرش اللانياني سنة ٣٢٤ هـ «لواقة سنة ٩٧٢ م»
 وتوفي سنة ٣٦٢ هـ، سنة ٩٧٣ م وكان قد أخضع العقاب «أحمد بنجاني»

الْإِفْرَنْجِيَّةِ^(١) وَرَاءَ الْبَرْتِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَوْقَةُ وَرَسُولُ
آخَرُ مِنْ مَلِكِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ بِقَاصِيَةِ الْمَشْرِقِ - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ
كَلْدَةُ^(٢) - وَاحْتَفَلَ النَّاصِرُ لِقُدُومِهِمْ ، وَبَعَثَ مَعَ رَسُولِ
الصَّقَالِبَةِ رِيحًا الْأَسْفَفَ إِلَى مَلِكِهِمْ «دُوقُو» وَرَجَعَ بَعْدَ
سِتِّينَ . «وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ» جَاءَ رَسُولُ أَرْدُونَ
يَطْلُبُ السَّلَامَ فَعَقِدَ لَهُ ، ثُمَّ بَعَثَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ
يَطْلُبُ إِدْخَالَ فِرْدَنْدُ^(٣) قَوْمَسَ قَشْنِيلَةَ فِي عَهْدِهِ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي

(١) كان دوق فرنسا في ذلك العصر «هوغوش Hugues» التوفي سنة ١١٤٥م
٩٥٦م ويحرف للأورخون اسمه الى «أوقه» والبرت هي جبال البرانس
(٢) لعل اسم «كلد» أو «كلرة» كما يسميه بعضهم محرف عن «كارلة»
أو «كارلوس» أو «شارل» Charles (٣) كذا بالأصل ، ويسمى به
«فردتد» زعيم قشتالة أوقشنية «Castell» وفي بعض المراجع الافرنجية
أن شانجة هو ابن أخت غربية ، وأردن أخو شانجة من أم أخرى ،
واستمال شانجة اليه فردتد زعيم قشتالة وزوج خالته «فان أم شانجة وامرأة
فردتد أختان أمهما طوطة» وانما مال فردتد الى شانجة دون صهره
أردن لأن الأحوال قضت عليه بذلك فدعا رجاله الى حمل السلاح وسار
معه شانجة وجيش من النفارين لنزع تاج الملك عن أردن ، وكانت مدينة
بنبلونة حاضرة قفارة . والقومس الأمير والملك الشريف كلمة «معربة»
وقال الفضل بن العباس اللهي :

ذَلِكَ وَأَدْخَلَ فِي عَهْدِهِ ، وَكَانَ غَرْسِيَّةُ بْنُ شَانْجَةَ قَدْ أُسْتَوَلَى
عَلَى جَلِيقِيَّةَ بَعْدَ أَبِيهِ شَانْجَةَ بْنِ فُرُوِيلَةَ^(١) ، ثُمَّ انْتَقَضَ عَلَيْهِ
أَهْلُ جَلِيقِيَّةَ ، وَتَوَلَّى كِبَرَهُمْ قَوْمُسُ قَشْنِيلَةَ فِرْدَنْتُ
الْمَذْكَورُ ، وَمَالَ إِلَى أَرْدُونِ بْنِ رُذْمِيرَ ، وَكَانَ غَرْسِيَّةُ بْنُ
شَانْجَةَ حَافِدًا^(٢) لِبَطْوَةَ مَلِكَةِ الْبَشْكَنَسِ ، فَأَمْتَمَضَتْ^(٣)
لِحَافِدِهَا غَرْسِيَّةَ ، وَوَقَدَتْ عَلَى النَّاصِرِ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ
مُلْكِيَّةً بِنَفْسِهَا فِي عَقْدِ السَّلَامِ لَهَا وَلَوْلَدِهَا شَانْجَةَ بْنَ رُذْمِيرَ
الْمَلِكِ ، وَإِعَانَةَ حَافِدِهَا غَرْسِيَّةَ بْنَ شَانْجَةَ عَلَى مُلْكِهِ وَنَصْرِهِ
مِنْ عَدُوِّهِ ، وَجَاءَ الْمَلِكُ كَانُ مَعَهَا ، فَاحْتَقَلَ النَّاصِرُ لِقُدُومِهِمْ
وَعَقَدَ الصُّلْحَ لِشَانْجَةَ وَأُمِّهِ ، وَبَعَثَ الْعَسَاكِرَ مَعَ غَرْسِيَّةَ
مَلِكِ جَلِيقِيَّةَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ مُلْكَهُ ، وَخَلَعَ الْجَلَالَةَ طَاعَةَ
أَرْدُونُ إِلَيْهِ ، وَبَعَثَ إِلَى النَّاصِرِ يَشْكُرُهُ عَلَى فَعْلَتِهِ .

وَأَبَى هَاتِمَ هَا وَلِدَانِي قَوْمُسَ مَنْصِي وَلَمْ يَكُنْ خِيَا
وَالْقَمْسُ الرَّجُلُ الشَّرِيفُ ، وَأَشَدُّ ابْنِ الْأَعْرَابِ :
وَعَلَتْ أَنَّى قَدْ مَنَبَتْ بَنِي طَلَّ اذْقِيلَ كَانَ مِنْ آلِ دَوْفَنِ قَمْسِ
وَالْقَهْمَاةُ الْبَطَارِقَةُ وَاحِدَةٌ قَمْسِ « أَحْمَدُ بَجَائِي »

Fruela(١)

(٢) الحافد والحفيد : ابن الابن (٣) امتنعت : امتلأت غضبا .

وَكَتَبَ إِلَى الْأُمَمِ فِي النُّوَاحِي بِذَلِكَ، وَمِمَّا أُرْتَكِبَهُ فَرَدَنْتُ
قَوْمَسُ قَشْتِيلَةَ فِي نَكْتِهِ^(١) وَوُثِّبَ بِهِ وَيُعِيرُهُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْأُمَمِ،
وَلَمْ يَزَلِ النَّاصِرُ عَلَى مُوَالَاتِهِ وَإِعَاتَتِهِ إِلَى أَنْ هَلَكَ^(٢)، وَلَمَّا

(١) نكته : نقضه للعهد . (٢) خلاصة ما صرح من هذه الحادثة ملخصا من
المصادر العربية والافرنجية أنه لما مات أردن الثالث ملك ليون في آخر سنة ١١٤٥ هـ
(مارس سنة ١١٥٧ م) خلفه على ملكة ليون من كان ينازع فيه وهو أخوه شانجة
(وفي تاريخ ابن عذاري للرا كشي وتاريخ ابن خلدون أن الذي كان ينازع
أردن بن ردمير هو أخوه غرسية) وبمد سنة من حكمه اتمم به الاشراف وغلوه
لاستبداده وعمله على خضد شوكتهم ونحو نفوذهم وولوا عليهم أردن بن
أذفنش واستأثر لنفسه بالحكم المطلق فقتلوه وتبرموا بحكمه ، واتخذ
فردنت زعيم قشيلة سخط البيونيين على ملكهم ذريعة لخلعه فأمر به هو
والجيش غلوه في فصل الربيع من سنة ٩٥٨ م واختاروا من بيت الملك
أردن بن أذفنش الرابع ملكا عليهم وزوجه فردنت ابنته براءة (Urraca
أرملة أردن الثالث بن رامير الذي كان ملكا على ليون) فهرب شانجة
الى بنبولونة حاضرة هارة (أوالبشكنس) وشكا أمره الى جده للسلطة
طوطة التي كانت تحكم بشاره باسم ابنها غرسية ، ثم سار في وفد الى قرطبة
سنة ٣٤٧ م فظهر أنه يقصد التداوى عند أطباء العرب للامرين الذين
حذقوا صناعة الطب في ذلك الحين لكن نم عليه وعلى أن غرضه كان
سياسيا خروجه في جيش من المسلمين سنة ٣٤٨ م للاغارة على مملكة ليون
وقد تم استرجاعها اليه في سنة ٣٤٩ م وبعد مدة هاجم جيش النصارى
قتلته وهاجم جيش المسلمين مملكة ليون بصحبة شانجة فاستولى الجيش
أولا على مدينة سمورة ، وفي شهر ابريل سنة ٩٥٩ خضع لشانجة جزء
عظيم من المملكة وقد قاومت عاصمتها زمنا ولكن فرار أردن الرابع منها
الى استوربا أسقطها سنة ٩٦٠ م

وَصَلَ رَسُولُ « شَارَل » مَلِكِ الْإِفْرَنْجَةِ بِالشَّرْقِ كَمَا تَقَدَّمَ
وَصَلَ مَعَهُ رَسُولُ مَلِكِ بَرْشُلُونَةَ وَطَرَّ كُونَةَ رَاغِبًا فِي
الصُّلْحِ ، فَأَجَابَهُ النَّاصِرُ ، وَوَصَلَ بَعْدَهُ رَسُولُ صَاحِبِ رُومَةَ
يَخْطُبُ الْمَوَدَّةَ فَأَجِيبَ . اُنْتَهَى كَلَامُ ابْنِ خَلْدُونِ بِيَمْنُصِ
اُخْتِصَارٍ .



وَلْنُفَصِّلَ بَعْضَ مَا أَجْمَلَهُ فَقُولُ : ذَكَرَ ابْنُ حَيَّانَ
وغيره واحد أن ملك الناصر بالأندلس كان في غاية الضخامة
ورفعة الشأن ، وهادئة الرؤم وأزدلفت^(١) إليه تطلب
مهادنته ومتاحفته بمظيم الذخائر ، ولم تبق أمة سمعت به
من ملوك الروم والإفرنجية والمجوس وسائر الأمم إلا وقدت
عليه خاضعة راغبة ، وأنصرفت عنه راضية ، ومن مجلتهم صاحب
القُسطنطينية المظني^(٢) فإنه هاداه ورغب في موادعته ،

ملك الناصر
وضخامته

وللقرى هنا قال ان حفيد طوطة ملكة البشكنس الذي انقض عليه اهل
جليقية هو غربية بن شانجة لا شانجة بن أردن مع أنه قال في تاريخ
الحكم بن الناصر في حوادث سنة ٣٥٤ م كانت وفادة أردن بن أذفونش
ملك الجلائقة وذلك أن الناصر لما أعان عليه شانجة بن رديم الخ
(١) ازدلف : تقرب وابتغى اليه الدرجة والنزلة (٢) هو قسطنطين بن



وفود رسل
قنطين على
الناصر

وَكَانَ وُصُولُ أَرْسَالِهِ ^(١) فِي صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ
وَعَلَاةَيْنِ وَتَلْثِمِيَّةٍ ، وَقَدَّمَ فِي كَلَامِ ابْنِ خَلْدُونِ أَنَّهَا سِتُّ
وَعَلَاةَيْنِ ، فَاللهُ أَعْلَمُ أَيُّهُمَا أَصَحُّ ؟ وَتَاهَبَ النَّاصِرُ لُوْرُودِهِمْ ،
وَأَمَرَ أَنْ يُتْلَقُوا أَعْظَمَ تَلَقٍّ وَأَفْضَمَهُ ، وَأَحْسَنَ قَبُولٍ
وَأَكْرَمَهُ ، وَأَخْرَجَ إِلَى لِقَائِهِمْ بِيَجَايَةِ ^(٢) يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ

ليون ملك الروم والرجح أن ذلك كان سنة ٤٤٨هـ التي توافق سنة ٩٤٩م
فقد بث فيها ملك الروم الى الناصر رسلا يحملون هدية وكتبا يرغب
فيه تجديد المحالفة القديمة التي كانت بين أسلافهما على خلفاء بغداد
(١) جمع رسل وهو في الأصل القطيع من كل شيء ويستعمل في الناس
حقيقة أو مجازا ومنه الحديث : ان الناس دخلوا عليه بعد موته أرسالا
يسألون عليه ، أى أفواجا وفرقا متقطعة يتلو بعضهم بعضا
(٢) كذا بالأصل والظاهر أنها بجانة بفتح الباء وتشديد الجيم ثم نون بعد
الألف وهي مدينة بالاندلس من أعمال كورة البيرة بينها وبين الرية شمالا
فرسخان (على نهر تقع مدينة للرية على قرب مصبه بالبحر الأبيض)
والرية مدينة كبيرة من كورة البيرة وقد كانت هي وبجانة بابي الشرق
منها يركب التجار وفيها ترسو السفن وكان بالرية مرفأ ومرسى للسفن
والراكب يضرب ماء البحر سورها وكان فيها ترتيب الأسطول الذي
للمسلمين ومنها يخرج الى غزو البحر (قال أبو عمر أحمد بن دراج
القسطلي :

متى تلحظوا قطر للرية تظفروا ببحر ندى ميناء در ومرجان
وتستبدلوا من موج بحر شجاكم ببحر لكم منه لجين وعقيان
وكانت بجانة قد خربت فأتقل أهلها الى الرية ، أما بجاية فهي مدينة

الَّذِينَ^(١) وَغَيْرُهُ لِحِدْمَةِ أَسْبَابِ الطَّرِيقِ، فَلَمَّا صَارُوا بِأَقْرَبِ
 الْمَحَلَّاتِ مِنْ قُرْطُبَةَ خَرَجَ إِلَى لِقَائِهِمُ الْقَوَادُ فِي الْعَدَدِ
 وَالْمُدَّةِ وَالتَّعْيِيةِ، فَتَلَقَوْهُمْ قَائِدًا بَعْدَ قَائِدٍ، وَكَمَّلَ
 اخْتِصَاصُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَنْ أَخْرَجَ إِلَيْهِمُ الْفَتَيْنِ الْكَبِيرَيْنِ
 الْخَصِيِّنِ يَاسِرًا وَتَمَامًا^(٢) إِنْلَاغًا فِي الْإِحْتِفَالِ بِهِمْ، فَلَقِيَاهُمُ
 بَعْدَ الْقَوَادِ، فَاسْتَبَانَ لَهُمْ بِخُرُوجِ الْفَتَيْنِ إِلَيْهِمْ بَسْطُ النَّاصِرِ
 وَإِكْرَامُهُ، لِأَنَّ الْفَتَيَانَ حِينَئِذٍ هُمُ عُظَمَاءُ الدَّوْلَةِ، لِأَنَّهُمْ
 أَصْحَابُ الْخُلُوفَةِ مَعَ النَّاصِرِ وَحَرَمِهِ، وَيَدِهِمُ الْقَصْرُ السُّلْطَانِيُّ،
 وَأَنْزَلُوا بِعُنْيَةٍ وَلِيَّ الْمَهْدِ الْحَكَمَ الْمُنْسُوبَةَ إِلَى نُصَيْرٍ بِعُدُودِ
 قُرْطُبَةَ فِي الرَّبِضِ^(٣) وَمُنِعُوا مِنْ لِقَاءِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ جُمْلَةً

على ساحل البحر بين افريقية والغرب وكان أول من اختطها الناصر
 بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين في حدود سنة ٤٥٧
 بعد هذه الحادثة بنحو ١٢٠ سنة (١) هو من القواد (٢) كانا كبيرى اللوالى
 الذين كانوا أولى سلطان في قصر الخلافة وكانوا حين ذاك من عظماء الدولة
 فكان ذلك دليلا على مزيد الاحتفاء وعظيم الاحتفال بالوافدين، وياسر
 الفتى من قتل في حادثة الأمير عبد الله وتهمته سنة ٣٣٨ (٣) أى رصافة
 قرطبة محلة بها، واللروف أنهم أنزلوا في قصر في ضاحية قرطبة

وَمِنْ مُلَابَسَةِ النَّاسِ طَرًّا ، وَرُتَبَ لِحَبَابَتِهِمْ رِجَالٌ تُخَيَّرُوا
مِنَ الْمَوَالِي وَوُجُوهُ الْحُشَمِ ، فَصَيَّرُوا عَلَى بَابِ قَصْرِ هَذِهِ
الْمُنِيَةِ سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا لِأَرْبَعِ دُولٍ ، لِكُلِّ دَوْلَةٍ أَرْبَعٌ مِنْهُمْ .

وَرَحَلَ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ مِنْ قَصْرِ الزَّهْرَاءِ إِلَى قَصْرِ قُرْطُبَةَ رحلة الناصر الى
قصر قرطبة

لِدُخُولِ وَفُودِ الرُّومِ عَلَيْهِ ، فَقَعَدَ لَهُمْ يَوْمَ السَّبْتِ لِإِخْدَى
عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ رَيْسِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ
فِي يَوْمِ الْمَجْلِسِ الزَّاهِرِ قُودًا حَسَنًا نَبِيلًا ؛ وَقَعَدَ عَنْ
يَمِينِهِ وَلِيُّ الْعَهْدِ مِنْ بَنِيهِ الْحُكَمَ ، ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ (١) ، ثُمَّ

(١) كان عبد الله بن الناصر فقيها شافعيًا متنبكًا وأخباريًا عارفًا وشاعرًا مطبوعًا
ضاربًا في اللغة وآدابها بأوفر سهم ومن شعره :

أما فؤادي فكانم ألمه لو لم يبح ناظري بما كتبه
مأوضح السقم في ملاحظ من يهوى وإن كان كاتما سقمه
ظلمت أبكى وظل يمدلني من لم يقاس الهوى ولا علمه
اليك عن عاشق بكى أسفا حبيبه في الهوى وإن ظلمه
ظلت جيوش الأسي تقاتله مذنرت أعين الملاح دمه

وروى عن كثير من فضلاء الأندلس منهم الإمام أحمد بن محمد بن
عبد البر ، وعن غاية عظمة بسامع العلم وحمله والتأليف فيه ، وكان يكثر
من مجالسة العلماء ويستريح الى الاجتماع بهم ، وهو أحد النجباء من أبناء
الحلفاء ، ثم سعى به الى والده فحبسه في آخر خلافته تحت الرقابة الشديدة
وكان قتلهم مع الفقيه ابن عبد البر بتهمة سعيه في قتل أخيه ولي العهد
ثم قتل في ثاني أيام الاضحى من سنة ٣٣٩ ، أو سنة ٣٣٨ وأحمد بن جاني

عَبْدُ الْمَرْزِزِ (١)، ثُمَّ الْأَصْبَغُ ثُمَّ مَرْوَانُ (٢) وَقَعَدَ عَنْ يَسَارِهِ

(١) يكنى أبا الأصبغ كان أدبياً شاعراً ، وولده له ولد ثم دخل الكتّاب لما بلغ السابعة وظهرت منه نجابة فأول لوح كتبه بنثبه إلى أخيه للسننصر بالله وكتب إليه بهذه الأبيات :

هاك يا مولاي خطا مطه في اللوح مطا
ابن سبع في سنه لم يطق لوح ضبطا
لم يقل في الضاد طائحا وى ألفاظا وخطا
دمت يا مولاي حتى يلد ابن ابنك سبطا

(٢) من ذريته أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ، كان أدبياً رفيقاً وشاعراً مكثراً مقلداً ، وهو في بني أمية كالأب للمز في بني العباس ملاحه شعر وحسن تشبيه ، سجن وهو ابن ١٦ سنة ومكث في السجن ١٦ وعاش بعد إطلاقه من السجن ١٦ سنة فلقب بالطلاق وأكثر شعره في السجن ، كان فيما ذكر يتعشق جارية كان أبوه قد رباها معه وذكرها له ثم بدا لها ستاثر بها وأنه اشتدت غيرته لذلك فأتى سيفاً وانهز فرصة من بعض خالوات أبيه معها فقتله فسجن وذلك في أيام للنصور ابن أبي عامر ، ومن شعره :

غصن يهتز في دعصى نفا يجتنى منه فؤادي حرقا
أطلع الحسن لنا من وجهه قرا ليس يرى بمنحفا
ورنا عن طرف ريم أحور لحظه سهم لقلبي فوقاً
ومنه :

أصبحت شمساً وفوقه مغرباً ويدا الأساقى المهي مشرقاً
فاذا ما غربت في فمه تركت في الخدم منه شغفاً

وتوفي نحو سنة ٤٠٠ هـ « أحمد يوسف نجاني »

الْمُنْدَرُ^(١) ثُمَّ عَبْدُ الْجَبَّارِ، ثُمَّ سُلَيْمَانُ، وَتَخَلَّفَ عَبْدُ الْمَلِكِ
لِأَنَّهُ كَانَ عَلِيًّا لَمْ يُطَقِ الْحُضُورَ، وَحَضَرَ الْوُزَرَءَ عَلَى
مَرَاتِبِهِمْ عَيْنًا وَشِمَالًا، وَوَقَفَ الْحُجَّابُ مِنْ أَهْلِ الْخِدْمَةِ
مِنْ أَبْنَاءِ الْوُزَرَءِ وَالْمَوَالِي وَالْوُكَلَاءِ وَغَيْرِهِمْ، وَقَدْ بُسِطَ
صَحْنُ الدَّارِ أَجْمَعُ بِمِثْقِ الْبُسْطِ وَكَرَّامِ الدَّرَانِكِ^(٢)،
وُظِّلَتْ أَبْوَابُ الدَّارِ وَحَيَاهَا بِظُلُلِ^(٣) الدِّيَاجِ وَرَفِيعِ الشُّوَرِ

* *

وصف هدية
قسطنطين لبيد
الرحمن الناصر

فَوَصَلَ رُسُلُ مَلِكِ الرُّومِ حَاضِرِينَ مِمَّا رَأَوْهُ مِنْ
بَهْجَةِ الْمَلِكِ وَفَضَامَةِ السُّلْطَانِ، وَدَقَقُوا كِتَابَ مَلِكِهِمْ
صَاحِبِ قُسْطَنْطِينِيَّةِ الْمُعْظَمَى قُسْطَنْطِينَ بْنِ يُوْنٍ وَهُوَ فِي
رَقٍّ^(٤) مَصْبُوغٍ لَوْنًا سَمَويًّا مَكْتُوبًا بِالذَّهَبِ بِالْخَطِّ الْإِغْرِيقِيِّ
وَدَاخِلَ الْكِتَابِ مُدْرَجَةٌ^(٥) مَصْبُوغَةٌ أَيْضًا مَكْتُوبَةٌ

(١) كان ابنه عبد العزيز بن المنذر ذا حظوافر من الأدب وحسن
الشعر وعناية بالغة وأدبها (٢) جمع درنك وهو « والبرنوك والبرنيك
والبرموك » الطنفسة وضرب من البسط ذو خمل قصير كخمل المناديل ،
وتشبه به فروة البعير واللاسد ، والدرانيك تكون ستورا وتكون فرشاً
وفيها الصخرة والحضرة - وهو لفظ معرب - (٣) جمع ظلة وهي ما يستظل
به من الشمس ويستتر به من الحر والبرد (٤) الرق : الجلد الرقيق يكتب فيه
(٥) طرس مدرج : أى مطوى وملفوف ضمن الكتاب

فِضَّةً بِخَطِّ غَرِيبٍ أَيْضًا، فِيهَا وَصَفُ هَدِيَّتِهِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا
وَعَدَّهَا، وَعَلَى الْكِتَابِ طَائِعُ ذَهَبٍ وَزَنُّهُ أَرْبَعَةُ مَنَاقِيلَ،
عَلَى الْوَجْهِ الْوَاحِدِ مِنْهُ صُورَةُ الْمَسِيحِ، وَعَلَى الْآخَرِ صُورَةُ
قُسْطَنْطِينِ الْمَلِكِ وَصُورَةُ وَلَدِهِ ^(١)، وَكَانَ الْكِتَابُ بِدَاخِلِ
دُرْجٍ ^(٢) فِضَّةً مَنَقُوشٍ عَلَيْهِ غِطَاءُ ذَهَبٍ، فِيهِ صُورَةُ
قُسْطَنْطِينِ الْمَلِكِ مَعْمُولَةً مِنَ الزُّجَاجِ الْمُلَوَّنِ الْبَدِيعِ،
وَكَانَ الثَّرْجُ دَاخِلَ جَعْبَةٍ ^(٣) مُلَبَّسَةٍ بِالذِّيَابِجِ، وَكَانَ فِي
تَرْجَمَةٍ عُنْوَانٍ ^(٤) الْكِتَابِ فِي سَطْرِ مِنْهُ : قُسْطَنْطِينُ
وَرُومَانِينَ ^(٥) الْمُؤْمِنَانِ بِالْمَسِيحِ الْمَلِكَانِ الْعَظِيمَانِ مَلِكَا
الرُّومِ ، وَفِي سَطْرِ آخَرَ : إِلَى الْعَظِيمِ الْإِسْتَحْقَاقِ الْفَخْرِ

(١) ابنه رومانوس (٢) أى على والدريج حفش النساء وهو سفيط صغير تدخر فيه المرأة طليها وأدواتها وخف متاعها - والدريج الذى يكتب فيه ، يقال : أفغذته فى درج الكتاب أى فى طيه وداخله ، وفى درج الكتاب كذا وكذا ، أى فى ضمنه وطيه (٣) الجعبة فى الأصل كنانة الشباب وهى من خشب مستديرة واسعة من أعلاها ، وقد تطلق الجعبة على أكبر أواني الشرب (٤) أى مفتحة ومقدمته (٥) كذا بالأصل ، وللمروى أنه كان فى السطر الاول من مفتح الكتاب ما ترجمته : من قسطنطين ورومانوس المؤمنين بالمسيح الخ وفى السطر الثانى : الى العظيم صاحب المجد الشريف النسب الخ . « أحمد يوسف نجاشى » .

الشَّريفِ النَّسَبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَلِيفَةِ الْحَاكِمِ عَلَى الْعَرَبِ
بِالْأَنْدَلُسِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَايَهُ -

* *

وَلَمَّا احْتَفَلَ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ هَذَا الْإِحْتِفَالِ أَحَبَّ
أَنْ يَقُومَ الْخُطْبَاءُ وَالشُّعْرَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ لِتَذْكَرُ جَلَالَةُ
مَقْعَدِهِ وَعَظِيمُ سُلْطَانِهِ ، وَتَصِفَ مَا تَهَيَّأَ مِنْ تَوْطِيدِ
الْخِلَافَةِ فِي دَوْلَتِهِ ، وَتَقْدَمَ إِلَى الْأَمِيرِ الْحَكَمِ ابْنِهِ
وَلِيِّ عَهْدِهِ بِإِعْدَادِ مَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ مِنَ الْخُطْبَاءِ ، وَيُقَدِّمُهُ أَمَامَ
نَشِيدِ الشُّعْرَاءِ ، فَأَمَرَ الْحَكَمُ صَنِيعَهُ الْفَقِيهَ مُحَمَّدَ بْنَ
عَبْدِ الْبَرِّ الْكَشْكِينَانِي^(١) بِالتَّأْهِبِ لِذَلِكَ وَإِعْدَادِ خُطْبَةٍ
بَلِيغَةٍ يَقُومُ بِهَا بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ - وَكَانَ يَدْعَى مِنَ الْقُدْرَةِ
عَلَى تَأْلِيفِ الْكَلَامِ مَا لَيْسَ فِي وُسْعِ غَيْرِهِ ، وَحَضَرَ
الْمَجْلِسَ السُّلْطَانِي - فَلَمَّا قَامَ يُحَاوِلُ التَّكَلَّمَ بِمَا رَأَى هَالَهُ^(٢)

(١) في الأصل « الكشيباني » وهو تحريف . والفقير للذكور هو
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد البر المعروف بالكشكيباني « نسبة
إلى قرية كشكيبان من قنانية قرطبة » (٢) هالو بهره : غلبه وقهره ، والبهرة
أي الكربة يترى الإنسان إذا كلف فوق الجهد ، كأنه قطع بهره .
أي نفسه ومنه :

إن البخل إذا سألت بهرته وزى الكريم يراح كالختال

وَبَهْرُهُ هَوْلُ الْمَقَامِ وَأُتْمَةُ^(١) الْخِلَافَةِ فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى لَفْظَةٍ ،
بَلْ غَشِيَ عَلَيْهِ وَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ .

فَقِيلَ لِأَبِي عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيُّ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ
الْقَالِي ، صَاحِبِ الْأَمْوَالِ وَالنَّوَادِرِ ، وَهُوَ حِينَئِذٍ صِفٌ
الْخَلِيفَةِ الْوَافِدُ عَلَيْهِ مِنَ الْعِرَاقِ - وَأَمِيرُ الْكَلَامِ ،
وَبَحْرُ الثَّلَاثَةِ : قُمْ فَارْقَعْ هَذَا الْوَهْيَ^(٢) . فَقَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ
وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - هَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ حَيَّانَ وَغَيْرُهُ . وَكَلَامُ ابْنِ خَلْدُونَ
السَّابِقُ يَقْتَضِي أَنَّ الْقَالِي هُوَ الْمَأْمُورُ بِالْكَلامِ أَوَّلًا
وَالْمُعَدُّ لِدَلَالِكَ ، وَتَحْوُهُ فِي الْمَطْمَحِ ، وَالْخَطْبُ سَهْلٌ . ثُمَّ
انْقَطَعَ الْقَوْلُ بِالْقَالِي ، فَوَقَفَ سَاكِتًا مُفَكِّرًا فِي كَلَامِ

خطبة أبي
على القالي

(١) أي عظمة ومهابة (٢) الوهي : الشق في الشيء وتخرقه ، وهي الشيء
إذا تخرق وانشق أو استخرخرابطه - ويروى « للؤمن موه راقع » كأنه
يوهي دينه بمعصيته ، ويرقصه بتوبته ، وفي اللؤلؤ :

خل سيل من وهي سقاؤه ومن أريق بالفلاة ماؤه
يضرب لمن لا يستقيم أمره ولا تصلح حاله - ويقال : أوهيت وهيا فارقمه
وغلادرو هية لارتفع ، أي فتقا لا يقدر على رتقه

يَدْخُلُ بِهِ إِلَى ذِكْرٍ مَا أُرِيدَ مِنْهُ وَقَالَ فِي الْمَطْمَحِ : إِنَّ
أَبَا عَلِيٍّ الْقَالِيَّ انْقَطَعَ وَبُهِتَ ^(١) ، وَمَا وَصَلَ إِلَّا قَطَعَ ، وَوَقَفَ
سَاكِئًا مُتَفَكِّرًا ، لَا نَاسِيًا وَلَا مُتَذَكِّرًا ،



خطبة منفر
ابن سبيد

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ وَكَانَ مِمَّنْ حَضَرَ فِي زُمْرَةِ
الْفُقَهَاءِ قَامَ مِنْ ذَاتِهِ ، بِدَرَجَةٍ مِنْ مَرَقَاتِهِ ^(٢) فَوَصَلَ أَفْتِيَا حِ ابْنِ عَلِيٍّ
لِأَوَّلِ خُطْبَتِهِ بِكَلَامٍ عَجِيبٍ ، وَنَادَى مِنَ الْإِحْسَانِ فِي ذَلِكَ
الْمَقَامِ كُلِّ مُجِيبٍ ^(٣) ، يَسْعُهُ سَحَابٌ ^(٤) كَأَنَّمَا كَانَ يَحْفَظُهُ
قَبْلَ ذَلِكَ بِعَدَّةٍ ، وَبَدَأَ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي أُنْتَهَى إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ
الْبَغْدَادِيُّ فَقَالَ : أَمَّا بَعْدُ مُحَمَّدُ أَفٍّ وَالنَّاءُ عَلَيْهِ وَالتَّعْدَادُ
لَا لَأَيْهِ ، وَالشُّكْرُ لِنِعْمَاتِهِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ
صَفِيٍّ وَخَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ ، فَإِنَّ لِكُلِّ حَادِثَةٍ مَقَامًا ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ
مَقَالَ ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ، وَإِنِّي قَدْ قُمْتُ فِي

(١) البهت : الانقطاع والحيرة ، وقد بهت (كلم ونصر وكرم وعنى)
- وبناؤه للجھول أفصح وأشهر - اذا انقطع وسكت حائراً فهو مبهوت
(٢) الرقاة : الدرجة من رقى اليه اذا صد (٣) بنى أنه كان يدعو جيد
القول فيجيبه ولا يتأني عليه ولا يستعصى (٤) السح : الصب المتتابع
الكثير ، ومن المجاز : استغشده قصيدة فسحها على سحاً

مَقَامٍ كَرِيمٍ ، يَنْبَغِي مَلِكٍ عَظِيمٍ ، فَاصْنُوا إِلَيَّ مَعْشَرَ النَّاسِ بِأَسْمَائِكُمْ ، وَاتَّقُوا^(١) عَنِّي بِأَفْعِدَتِكُمْ . إِنْ مِنْ الْحَقِّ أَنْ يُقَالَ لِلْحَقِّ صَدَقْتُ ، وَلِلْبُطْلِ كَذَبْتُ ، وَإِنْ الْجَلِيلَ تَعَالَى فِي سَمَائِهِ ، وَتَقَدَّسَ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ - أَمَرَ كَلِيمَهُ مُوسَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ - أَنْ يُذَكَّرَ قَوْمَهُ بِأَيَّامِ^(٢) اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ عِنْدَهُمْ ، وَفِيهِ وَفِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أُسْوَةٌ^(٣) حَسَنَةٌ ، وَإِنِّي أَذْكُرُكُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ عِنْدَكُمْ ، وَتَلَا فِيهِ لَكُمْ خِلَافَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي لَمْتُ شَعْنَكُمْ^(٤) ، وَأَمَنْتُ سِرْبَكُمْ^(٥) وَرَفَعْتُ قُوَّتَكُمْ^(٦)

(١) أى احفظوه وعوه ، وفى اللطمح : وأمنوا ، أى صدقوا (٢) أيام الله نعمه (وبه فسر قوله تعالى : لا يرجون أيام الله ، وقوله تعالى : وذكركم بأيام الله) - وقد يراد بها أيضا العقوبات والنقم ، وبه فسر الآية الثانية - وغرض الخطيب هنا للمنى الأول أى النعم والمن (٣) أسوة : قنوة (٤) لمت شعنكم : جمعت متفرقكم وأصلحت أحوالكم ولت ما كان منتشرا من أموركم (٥) السرب الطريق والبال « يقال هو واسع السرب أى رعى البال » وللأل - والسرب فى قوله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » هو القلب « يقال فلان آمن السرب أى آمن القلب مطمئن » والسرب النفس والأهل وللأل والولد « يقال فلان آمن السرب أى لا ينزى ماله ونعمه لغيره - والسرب فى الأصل جماعة البقر والظباء والغنم والنساء » وفلان آمن فى سربه أى فى منقلبه ومتصرفه وسائر أحواله (٦) كذا بالأصل ، وفى اللطمح : ورفعت خوفكم ، وهو أولى وأظهر

بَعْدُ^(١) أَنْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ ، وَمُسْتَضْعِفِينَ فَقَوَّكُمْ ،
وَمُسْتَذِلِّينَ فَغَصَرَكُمْ ، وَلَآءُ اللَّهِ رِعَايَتَكُمْ ، وَأَسْنَدَ إِلَيْهِ
إِمَامَتَكُمْ ، أَيَّامَ ضَرَبَتِ الْفِتْنَةُ سُرَادِقَهَا^(٢) عَلَى الْآفَاقِ ،
وَأَحَاطَتْ بِكُمْ شُعْلُ^(٣) النِّفَاقِ ، حَتَّى صِرْتُمْ فِي مِثْلِ حَدَقَةِ
الْبَعِيرِ^(٤) ، مِنْ ضَيْقِ الْحَالِ وَنَكْدِ الْعَيْشِ^(٥) وَالْتِمِيزِ^(٦) ،
فَأَسْتَبَدَّتُمْ بِخِلَافَتِهِ مِنَ الشَّدَةِ بِالرَّخَاءِ^(٧) وَأَتَقَلَّصْتُمْ بِمَعْنَى

(١) في الطمح « وكنتم قليلا فكثركم الخ » وهو أقوى في السياق ونسق
العبارة (٢) يريد عموم الفتنة وتمكنها في البلاد وقوة سلطانها في الدولة .
(٣) في الطمح : شعل ، جل النفاق نارا مشتملة لأنه يؤدي الى التهلكة
ويوقد نار الفتنة والبغضاء (٤) أى فى رعد ولين : وفى حديث الأحنف
ابن قيس : تزلوا فى مثل حديقة البعير ، أى فى خصب ورغد ، شبهه بحديقة
البعير لأنها ريا من الماء ، قال ابن الأثير شبه بلادهم فى كثرة ماها وخصبها
بالعين لأنها توصف بالنداء وكثرة الماء ولأن اللخ « الثقي » لا يبقى فى
شيء من الأعضاء بقاءه فى العين فهو فيها دائم ثابت - ، « من » فى قوله
« من ضيق العيش الخ » لا يدل أو بمعنى بعد (٥) أى ضيقه وعسره وشدة
(٦) لها من غير الدهر وهى أحداثه وأحواله لليرة ، وقبر الشيء عن
حاله : تحول ، وغيره : حوله وبذله وجعله غير ما كان ، وفى التنزيل العزيز
« ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمه أنعمها على قوم حتى يظفروا ما بأنفسهم »
وقد تكون فى الخطبة محرفة عن التقدير ، وهو الضيق والرمقة من العيش
والقلة فى النفقة (٧) كذا بالأصل والطمح ، والواجب حذف الباء

سِيَّاسَتِهِ إِلَى تَهْدِيدٍ^(١) كَتَفِ الْمَافِيَةِ بَعْدَ اسْتِطْلَاقِ الْبَلَاءِ ،
أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ مَعَاشِرَ الْبِلَادِ : أَلَمْ تَكُنِ السَّمَاءُ مَسْفُوكَةً^(٢)
فَصَحَّهَا ، وَالسَّبُلُ مَخُوفَةً فَأَمَّتْهَا ، وَالْأَمْوَالُ مُشْتَبَةً
فَأَخْرَزَهَا^(٣) وَحَصَّنَهَا ، أَلَمْ تَكُنِ الْبِلَادُ خَرَابًا فَعَمَرَهَا ،
وَتُغَوَّرُ الْمُسْلِمِينَ مُهْتَضَمَةً^(٤) فَحَمَاهَا وَتَصَرَّهَا ؟ فَأَذْكُرُوا
آلَاءَ^(٥) اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِخِلَافَتِهِ ،^(٦) وَتَلَافِيهِ جَمْعَ كَلِمَتِكُمْ
بَعْدَ افْتِرَاقِهَا بِإِمَامَتِهِ ، حَتَّى أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْكُمْ غَيْظَكُمْ ،
وَشَقَى صُدُورَكُمْ ، وَصَرَّمْ يَدَا^(٧) عَلَى عَدُوِّكُمْ بَعْدَ أَنْ كَانَ

(١) مهدي الفرائش : وطأه أوليته ، والكنف : الحرز والستر وحسن الولاية ،
والظل « يقال هو يعيش في كنف فلان أي في ظله وحماه » ، والكنف : الجانب
والناحية (٢) سفك الدم والدمع واللأ : صبه وأراقه ، ومن المجاز : سفك الكلام
إذا تفرقه من فيه بسرعة ، وحقنه « كضرب ونصر » حبسه وصانته وحفظه
ويقال حقن دم فلان إذا أنقذه من القتل بعد ما وجب عليه ، ومنع من
أراقه وازهاق روحه ، أي جمعه وحبسه عليه (٣) أي صانها وحفظها وجعلها
في حرز حصين (٤) أي مقتضية مقهورة ، ومتنقضة مظلومة (٥) أي نعمه
ومنته (٦) وتلافيه : وتلاركة (٧) أي قوة وجماعة وفي الحديث : « وهم يد
على من سواهم » يعني أن مثل المؤمنين مع كثيرهم في وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد
الواحدة فكما لا يتصور أن يخل بعض أجزاء اليد بعضها وأن تختلف بها
الجهات في التصرف كذلك سبيل المؤمنين في تضادهم على الشركين

بَأْسُكُمْ^(١) يَنْتَكُمُ ، فَأَنْشُدْكُمْ اللَّهَ أَلَمْ تَكُنْ خِلَافَتُهُ
 قُلَّ الْقِتَّةِ بَعْدَ انْطِلَاقِهَا مِنْ عِقَالِهَا ؟ أَلَمْ يَتَلَفْ^(٢) صِلَاحُ
 الْأُمُورِ بِنَفْسِهِ بَعْدَ اضْطِرَابِ أَحْوَالِهَا ؟ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ
 إِلَى الْقَوَادِ وَالْأَجْنَادِ ، حَتَّى بَاشَرَهُ بِالْقُوَّةِ وَالْمُهْجَةِ^(٣)
 وَالْأَوْلَادِ ، وَأَعْتَزَلَ النِّسْوَانَ ، وَهَجَرَ الْأَوْطَانَ ، وَرَفَضَ
 الدَّعَاةَ وَهِيَ مَحْبُوبَةٌ ، وَتَرَكَ الرُّكُونَ إِلَى الرَّاحَةِ وَهِيَ
 مَطْلُوبَةٌ ، بِطَوِيَّةٍ^(٤) صَحِيحَةٍ ، وَعَزِيَّةٍ صَرِيحَةٍ ، وَبَصِيرَةٍ^(٥)
 ثَابِتَةٍ نَافِذَةٍ ثَاقِبَةٍ^(٦) ، وَرِيحٍ هَابَةٍ^(٧) غَالِبَةٍ . وَنُصْرَةٍ مِنْ
 اللَّهِ وَاقِعَةٍ وَاجِبَةٍ^(٨) ، وَسُلْطَانٍ قَاهِرٍ ، وَجِدِّ ظَاهِرٍ ، وَسَيْفٍ
 مَنْصُورٍ ، تَحْتَ عَدْلٍ مَشْهُورٍ ، مُتَحَمِّلًا لِلنَّصَبِ ، مُسْتَقِلًّا لِمَا

لأن كلمة التوحيد جامعة لهم واتفاق الأهواء مؤلف بين قلوبهم فهم
 مجتمعون على أعدائهم وأمرهم واحد (١) البأس : الشدة في الحرب
 والغلب الشديد (٢) أي يتدارك ويبلغ (٣) أي النفس والروح (٤) أي نية
 وضيم (٥) البصيرة : قوة القلب للدركة ، والنظنة ، واليقين والفرقة
 (٦) أي تخترق حجاب الحفايا وتطم للشكليات وتنفذ إلى ما وراءها ، وتشتف
 بنور ذكائها ما أخفى على غيرها (٧) من معاني الريح : القوة ، والظبة
 والنصرة ، والدولة ، ويقال :

إذا هبت رياحك فاعنتمها فإن لكل عاصفة سكونا

(٨) أي لازمة ثابتة

نَالَهُ فِي جَانِبِ اللَّهِ مِنَ النَّعْبِ ، حَتَّى لَانَتِ الْأَحْوَالُ بَعْدَ
شِدَّتِهَا ، وَأُنْكَسَرَتْ شَوْكَةُ الْفِتْنَةِ عِنْدَ حِدَّتِهَا ، وَلَمْ
يَبْقَ لَهَا غَارِبٌ ^(١) إِلَّا جَبَهُ ، وَلَا نَجْمٌ ^(٢) لِأَهْلِهَا قَرْنٌ إِلَّا
جَدَّهُ ، فَأَصْبَحَتْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِخْوَانًا ، وَلِمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
لِشَعْبِكُمْ عَلَى أَعْدَائِهِ أَعْوَانًا ، حَتَّى تَوَاتَرَتْ ^(٣) لَدَيْكُمْ
الْفَتْوحَاتُ ، وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِخِلَافَتِهِ أَبْوَابَ الْخَيْرَاتِ
وَالْبَرَكَاتِ ، وَصَارَتْ وَفُودُ الرُّومِ وَافِدَةً عَلَيْهِ وَعَلَيْكُمْ ،
وَأَمَالُ الْأَفْصَيْنِ وَالْأَذْنَيْنِ مُسْتَحْدَمَةٌ إِلَيْهِ وَإِلَيْكُمْ ،
يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ ^(٤) عَمِيقٍ ، وَبَلَدٍ سَحِيقٍ ، لِأَخِذِ جَبَلٍ ^(٥)
بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا « لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ
مَقْمُولًا ، وَلَكِنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ » وَلِهَذَا الْأَمْرُ مَا بَعْدَهُ ^(٦) ،

(١) غارب كل شيء : أعلاه . وجبه : قطعه وأزاله (٢) نجم الشيء :
ظهر وطلع ، ومنه نجوم الثبات والقرن والكوكب والتاب . وفي
الأصل نجح وهو تحريف . وجد الشيء : قطعه (٣) أي تباينت
وتوات (٤) الفجج : الطريق الواسع الواضح بين جبلين في قبل جبل .
وهو أوسع من الشعب ، وعميق بعيد ، وكذلك السحيق الثاني (٥) يطلق
الحبل مجازا على العهد واليثاق . والملة : الرابطة (٦) كناية عن عظيم خطره
وشأنه ووجوب الاهتمام والعناية به والتفكير فيه

وَتِلْكَ أَسْبَابُ ظَاهِرَةِ بَادِيَةٍ، تَدُلُّ عَلَى أُمُورٍ بَاطِنَةٍ خَافِيَةٍ،
دَلِيلُهَا قَائِمٌ، وَجَفَنُهَا غَيْرُ نَائِمٍ « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » الْآيَةُ . وَلَيْسَ فِي تَصْدِيقِ
مَا وَعَدَ اللَّهُ أَرْتِيَابٌ « وَلِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ » (١) وَلِكُلِّ أَجَلٍ
كِتَابٌ « فَاحْمَدُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَى آلَائِهِ، وَأَسْأَلُوهُ الْمَزِيدَ
مِنْ نِعَمَائِهِ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ بِخِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَيَّدَهُ اللَّهُ
بِالْمِصَّةِ وَالسِّدَادِ، وَاللَّهُمَّ خَالِصَ التَّوْفِيقِ إِلَى سَبِيلِ
الرَّشَادِ - أَحْسَنَ النَّاسِ حَالًا، وَأَنْعَمَهُمْ (٢) بِالْأَلَا، وَأَعَزَّهُمْ
قَرَارًا، وَأَمْنَمَهُمْ دَارًا، وَأَكْفَمَهُمْ (٣) جَمًّا، وَأَجْلَمَهُمْ صُنْعًا،
لَا تُهَاجُونَ (٤) وَلَا تُدَاوُونَ، وَأَنْتُمْ - بِحَمْدِ اللَّهِ - عَلَى أَعْدَائِكُمْ

(١) قوله تعالى : « لكل نبي مستقر » أى لكل ما أنبأتكم به عن الله عز
وجل - غاية ونهاية ترونها في الدنيا والآخرة (٢) كناية عن الدعوى وراحة القلب
ورخاء الحال والهدوء والاطمئنان . والبال : الحاطر ، والحال الذى ينطوى عليه
الانسان (٣) أى أكثرهم . والكثف : الجماعة . والكثافة : الكثرة والاتفاف
(٤) هاجه : أثاره وأفرعه وأقلعه من مأمنه . وهاج الابل اذا حركها .
ويقال : هاج هائجه : اذا اشتد غضبه وثار ، وهذا هائجه : سكنت فورته
وحديثه . وذاده : دفعه وصدده ومنعه

ظَاهِرُونَ ، فَاسْتَعِينُوا عَلَى صَلَاحِ أَرْوَاحِكُمْ بِالنُّصَاحَةِ
لِإِمَامِكُمْ ، وَالْزَّامِ الطَّاعَةَ لِخَلِيفَتِكُمْ وَأَبْنِ عَمِّ نَبِيِّكُمْ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . فَإِنَّ مَنْ تَزَعَ يَدًا مِنَ الطَّاعَةِ ، وَسَمَى
فِي قَرِيبِ الْجَمَاعَةِ ، وَمَرَقَ ^(١) مِنَ الدِّينِ ، فَقَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ فِي
التَّلَاقِ بِمِصْمَتِهَا ^(٢) ، وَالتَّمَسُّكِ بِعُرْوَتِهَا ، حِفْظُ الْأَمْوَالِ
وَحَقْنُ الدَّمَاءِ ، وَصَلَاةُ النُّصَاحَةِ وَالذَّمَمِ ^(٣) ، وَأَنَّ بِقِيَامِ
الطَّاعَةِ ثِقَامُ الْخُلُودِ ، وَتَوْفَى الْعُمُودُ ، وَبِهَا وَصَلَتْ الْأَرْحَامُ
وَوَضَحَتْ الْأَحْكَامُ ، وَبِهَا سَدَّ اللَّهُ الْخُلُلَ ، وَأَمَّنَ السُّبُلَ ،
وَوَطَّأَ الْأَكْنَافَ ، وَرَفَعَ الْإِخْتِلَافَ ، وَبِهَا طَابَ لَكُمْ
الْقَرَارُ ، وَأُطْمَئِنَّتْ بِكُمْ الدَّارُ ، فَاعْتَصِمُوا بِمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ
بِالْإِعْتِصَامِ بِهِ ، فَإِنَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَقُولُ : « أَطِيعُوا اللَّهَ

(١) مرق : خرج . وفي الحديث وذكر الخوارج : « يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » أى يجوزونه ويخرقونه ويتصدونه كما يخرق السهم للرمية به ويخرج منه (٢) أصل المصمة الحبل والسبب وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه ، والمصمة : للتعويض والربط والوقاية (٣) أى جماعة الناس والعدد الكثير والسواد الأعظم منهم .

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، آيَةً . وَقَدْ عَلِمْتُمْ
مَا أَحَاطَ بِكُمْ فِي جَزِيرِكُمْ هَذِهِ مِنْ ضُرُوبِ الْمُشْرِكِينَ ،
وَصُنُوفِ الْمُلْحِدِينَ ، السَّاعِينَ فِي شَقٍّ عَصَاكُمْ ،
وَتَفْرِيقِ مَلَائِكَةٍ^(١) الْأَخْذِينَ فِي مُخَاذَلَةِ دِينِكُمْ ، وَهَتِكِ^(٢)
حَرَمِكُمْ ، وَتَوْهِينِ دَعْوَةِ نَبِيِّكُمْ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ - أَقُولُ قَوْلِي هَذَا
وَأَخْتِمُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، مُسْتَغْفِرًا اللَّهُ الْغَفُورَ الرَّحِيمَ ،
هُوَ خَيْرُ النَّافِرِينَ .

* *

وَسَاقَ ابْنُ سَعِيدٍ فِي الْمَغْرِبِ هَذِهِ الْحِكَايَةَ مَنْتَزِعَةً مِنْ سَعِيدٍ
فَقَالَ مَا صُورَتُهُ : مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ الْبَلُوطِيُّ قَاضِي الْجَمَاعَةِ
بِقَرْطَبَةٍ ، خَطِيبٌ مُصَفَّقٌ^(٤) ، وَلَهُ كُتُبٌ مُؤَلَّفَةٌ

(١) أي تفريق جماعتكم وتشقيت أئلافكم . والعصا : الجماعة (٢) للآ : الجماعة
والقوم ذوو الشارة والتجمع للادارة ، وقد يطلق على الأشراف من القوم
ووجوههم ورؤسائهم ومقدميهم الذين يرجع إلى قولهم (٣) حريم الحرم
وحرمه : ما يحمي ويقاتل عنه (٤) مصقع : بلغ مله في خطبته مأخوذ
من قول ابن الأعرابي : الصقع : البلاغة في الكلام والوقوع على المعاني ،
والصقع : العالي الصوت ، من الصقع وهو رفع الصوت ومتابته ، أو من لا يرجع
عليه في كلامه ولا يتبع ، قال قيس بن عاصم النخعي :

فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْوَرَعِ ، وَالرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ
وَالْبِدْعِ ، شَاعِرٌ بَلِيجٌ ، وَلَدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ،
وَأَوَّلُ سَبَبِهِ فِي التَّعَلُّقِ بِمَبْدِ الرَّعْنِ النَّاصِرِ ، لَمَّا احْتَلَّ
لِدُخُولِ رَسُولِ مَلِكِ الرُّومِ صَاحِبِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ بِقَصْرِ
قُرْطُبَةَ الْإِحْتِفَالِ الَّذِي اُسْتُهْرِذَ كَرُّهُ ، أَحَبَّ أَنْ يَقُومَ
الْخُطْبَاءُ وَالشُّعْرَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ لِدُكْرِ جَلَالَةِ مَقْعَدِهِ ، وَوَصَفِ
مَاتَهِيَّاءَ لَهُ مِنْ تَوْطِيدِ الْخِلَافَةِ ، وَرَمَى مُلُوكِ الْأُمَمِ بِسِهَامِ
بَاسِهِ وَتَجْدِيدِهِ ، وَقَدَّمَهُ ^(١) إِلَى الْأَمِيرِ الْحَكَمِ ابْنِهِ وَوَلِيِّ عَهْدِهِ
بِإِعْدَادِ مَنْ يَقُومُ لِنَيْلِكَ مِنَ الْخُطْبَاءِ ، وَيُقَدِّمُهُ أَمَامَ إِنْشَادِ
الشُّعْرَاءِ ، فَتَقَدَّمَ ^(٢) الْحَكَمُ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيِّ صَيْفِ
الْخَلِيفَةِ وَأَمِيرِ الْكَلَامِ وَبَحْرِ اللَّغَةِ أَنْ يَقُومَ ، فَقَامَ وَحَمْدَ اللَّهِ

خطباء حين يقوم قائلنا بيض الوجوه مصافح لسن

وقيل ان للمصقع صيغة مبالغة من صفع الديك اذا صاح ورفع صوته ، ورفع
صوته في التبليغ ، أو من المصقع وهو جانب الشيء لأن الخطيب القادر يأخذ
في كل جانب من الكلام ، وينهب فيه كل ناحية اهـ . « أحمد نحاس » .
(١) لها : وتقدم (٢) تقدم اليه في كذا اذا أمره وأوصاه به

وَأَتْنِي عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ
 انْقَطَعَ وَبُهِتَ، فَمَا وَصَلَ وَلَا قَطَعَ، وَوَقَفَ سَاعَةً مُفَكِّرًا
 فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ قَامَ قَائِمًا بِدَرَجَةٍ مِنْ مِرْقَاةِ
 أَبِي عَلِيٍّ، وَوَصَلَ افْتِتَاحَهُ بِكَلَامٍ عَجِيبٍ، بَهَرَ الْعُقُولَ
 جَزَالَةً^(١)، وَمَلَأَ الْأَسْمَاعَ جَلَالَةً. ثُمَّ ذَكَرَ الْخُطْبَةَ كَمَا
 سَبَقَ، وَقَالَ بَعْدَ إِيرَادِهَا مَا صُورَتْهُ: فَصَلَّبَ^(٢) اللَّيْلُجُ،
 وَغَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ وَقَالَ: هَذَا كَبِيرُ الْقَوْمِ أَوْ كَبِشُ الْقَوْمِ.
 وَخَرَجَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ حُسْنِ مَقَامِهِ^(٣)، وَتَبَاتِ جَنَانِهِ،
 وَبَلَاغَةِ لِسَانِهِ. وَكَانَ النَّاصِرُ أَشَدَّهُمْ تَعْجِبًا مِنْهُ، وَأَقْبَلَ
 عَلَى ابْنِهِ الْحَكَمِ - وَلَمْ يَكُنْ يُثْبِتُ مَعْرِفَتَهُ - فَسَأَلَهُ عَنْهُ،

- (١) الجزل من الكلام: اللتين الجيد والقوى الشديد خلاف الركيك
 (٢) ذلك اماره تعظيم واجلال، ويقال ثوب مصلب أى فيه نقش كالصليب،
 وفى خبر مقتل سيدنا عمر أن ابنه عبد الله فرضى الله عنهم خرج فضرب
 جفنى الأعجمى فصلب بين عينيه أى ضربه حتى صارت الضربة كالصليب،
 وصلب اللهوا إذا جعل عليها صليبين (٣) المقام فى الأصل اسم لموضع القيام
 ثم سمي به المكان والجلس والوقوف ثم توسعوا فسموا ما يقام به فى المجلس
 من خطبة أو موعظة ونحوها مقامة ومقاما، يكونان للكان والفعل.

قَالَ لَهُ : هَذَا مُنْذِرُ بْنُ سَمِيدِ الْبَلُوطِيِّ ^(١) ، قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ
أَحْسَنَ مَا شَاءَ ، وَلَئِنْ أَخَّرَنِي اللَّهُ بَعْدُ لَأَرْقَنَنَّ مِنْ ذِكْرِهِ ،
فَضَعْ يَدَكَ يَا حَكَمُ عَلَيْهِ وَأَسْتَخْلِصْهُ ^(٢) ، وَذَكَرَنِي بِشَأْنِهِ
فَمَا لِلصَّنِيعَةِ مَذْهَبٌ عَنْهُ . ثُمَّ وَلَّاهُ الصَّلَاةَ وَالْخُطَابَةَ فِي
الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِالزَّهْرَاءِ ، ثُمَّ تُوفَّى مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى ^(٣)
الْقَاضِيَ فَوَلَّاهُ قَضَاءَ الْجَمَاعَةِ بِقَرْطَبَةَ وَأَقْرَهُ عَلَى الصَّلَاةِ
بِالزَّهْرَاءِ . وَمِنْ شِعْرِهِ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ قَوْلُهُ :

مَقَالِي كَحَدِّ السَّيْفِ وَسَطَ الْمَحَافِلِ

فَرَقْتُ بِهِ مَا بَيْنَ حَقٍّ وَبَاطِلٍ

بِقَلْبٍ ذِكِّي ^(٤) تَرْتَمِي جَرَّائُهُ

كِبَارِقِ رَعْدٍ عِنْدَ رَعَشِ الْأَنَامِلِ

(٤) منسوب الى موضع هناك قريب من قرطبة يقال له فحص البلوط
وكان يسكنه البربر (٢) استخلصه لنفسه وأخلصه اذا استخصه وقربه
(٣) هو الفقيه الأجل أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن يحيى بن
يحيى اللبني، ولي قضاء الجماعة بقرطبة، وله رحلة الى الشرق. وكان فقيها
جليلا علما موصوفا بالعقل والدين والعدل ومن أهل الأدب والشعر والمروءة
والظرف، وكان شديدا في الحق وإقامة الحدود لا تلحقه في ذلك هوانة
ولا تأخذه فيطومة لائم. وتوفي سنة ٣٣٩ (٤) القاء : سرعة القطة وحدة

فَمَا دَحَضَتْ^(١) رِجْلِي وَلَا زَلَّ مِقْوَلِي
وَلَا طَاشَ^(٢) عَقْلِي يَوْمَ تَلَاكَ الْزَّلَّالُ^(٣)
وَقَدْ حَدَقَتْ حَوْلِي عُيُونُ إِخَالِهَا^(٤)
كَمَثَلِ سِهَامٍ أَثْبَتَتْ فِي الْمَقَاتِلِ
لِخَيْرِ إِمَامٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَانَ^(٥)
لِمُقْتَبِلٍ أَوْ فِي الْمُصَوِّرِ الْأَوَائِلِ

الفؤاد بقوة ادراكه وسرعة فهمه . والذكاء : سرعة اقتراح النتائج ، من
ذكت النار اذا اشتعلت واشتد لهبها ، والذكوة الجرة اللثية ، وقال
بعض اللادحين :

لَوْلَمْ يَجِلْ مَاءُ النَّدى فِيهِ لَأَحْرَقَهُ ذَكَوُهُ

(١) دحضت رجله : زلقت ، وفي حديث وفد مذحج : « نجباء غير دحض
الاقدام » ، الدحض : جمع داحض : وهم الذين لا ثبات لهم ولا عزيمة في
الأمور . وللقول : اللسان (٢) الطيش : النزق وخفة العقل ونهايه حتى
يجعل صاحبه يحاول وطاش اذا خف بد رزاقته ، وطاش السهم عن الهدف اذا
تجاوزته وعدل عنه ولم يقصد الرمية . وفي اللطمح طار بدل طاش ، ويقال
فيه طيرة ، أى خفة وطيش ، وهو ساكن الطائر أى وقور لا حركة له
(٣) في اللطمح « البلابل » جمع بلبل وهو شدة الهم والوساوس في الصدر
(٤) في اللطمح « أجلها » مع تقديم الليت الذى بعده على هنا الليت
ضمير أجلها عائد على الامام الناصر ، يعنى أنه جعل عيون الحفل تجول
في المجلس وتدور زائفة حول ما فيه .

تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا يُوْثِقُونَ بِآبِهِ
وَكُلُّهُمْ مَا يَنْ رَاجٍ وَآمِلٍ
وَقُوْدُ مُلُوكِ الرُّومِ وَمَنْطَفِئَاتِهِ ^(١)
مَخَافَةَ بَأْسٍ أَوْ رَجَاءٍ لِنَائِلٍ ^(٢)
فَعِشْ سَالِمًا أَقْصَى حَيَاةٍ مُؤَمَّلًا
فَأَنْتَ رَجَاءُ الْكُلِّ خَافٍ ^(٣) وَنَاعِلٍ
سَتَمَلِكُهَا مَا يَنْ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
إِلَى دَرْبِ قُسْطَنْطِينٍ أَوْ أَرْضِ بَابِلٍ
أَتَتْحَى كَلَامُ ابْنِ سَمِيدٍ ، وَهُوَ يُؤَيِّدُ كَلَامَ ابْنِ خَلْدُونٍ
أَنَّ الْأُمُورَ بِالْخُطْبَةِ هُوَ الْقَالِي .



وَذَكَرَ أَنَّ النَّاصِرَ قَالَ لِابْنِهِ الْحَكَمَ بَعْدَ أَنْ
سَأَلَهُ عَنْهُ : لَقَدْ أَحْسَنَ مَا شَاءَ ، فَلَيْتَ كَانَ حَبْرٌ ^(١)
خُطِبَتْهُ هَذِهِ وَأَعَدَّهَا مَخَافَةً أَنْ يَدُورَ مَا دَارَ

اعجاب الناصر
بخطبة النفر
ابن سميد

(١) فناء القار : ما اتسع من أملها وامتد من جوانبها (٢) أى إعطاء وجود
(٣) وفى اللطمح : * فأنترجاء كل خاف وناعل * وهو أولى لغة وإن كان
يترجم عليه قبض متفاعلين الأولى وهو قليل عروضا (٤) تحيير الكلام
والشر والخط : تحييره وتبينه والتعميق فيه ، من الحبر وهو الحسن والبهاء
والوشى وأثر النعمة

فَيَتَلَفَى الْوَهَى فَإِنَّهُ لَبَدِيعٌ مِنْ قُدْرَتِهِ وَأَخْتِطَاطِهِ ، وَلَئِنْ
كَانَ أَتَى يَهَا عَلَى الْبَدِيهِ^(١) لَوْفَتِهِ فَإِنَّهُ لَأَعْجَبُ وَأَعْرَبُ .
قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَلَمَّا فَرَعَ مُنْذِرٌ مِنْ خُطْبَتِهِ أَنْشَدَ :

هَذَا الْمَقَامُ^(٢) الَّذِي مَا عَابَهُ فَتَدُّ

لَكِنَّ قَالَهُ^(٣) أَزْرَى بِهِ الْبِلْدُ

لَوْ كُنْتُ فِيهِمْ غَرِيبًا كُنْتُ مُطَرِّفًا^(٤)

لَكَيْتِي مِنْهُمْ فَأَغْتَالَنِي النَّكَدُ

وَيَزْوِي بَدَلَ هَذَا الشَّطْرِ :

* وَلَا دَهَانِي لَهُمْ بَنَى وَلَا حَسَدُ *

لَوْ لَا اِخْلَافُهُ - أَبْقَى اللَّهُ حُرْمَتَهَا -

مَا كُنْتُ أَرْضَى بِأَرْضٍ مَا بِهَا أَحَدٌ^(٥)

(١) أى القول بلا روية وتفكر ، والارتجال أسرع من البدية ،
والروية بعدما - وبدعه بالأمر : استقبله به مفاجأة (٢) الذى فى
الطمح للقال - والفند : الخطأ فى القول والرأى ، والكذب ، والحرف
وانكار العقل لهم أو مرض - وفنده : كذبه وعجزه وخطأ رأيه وضعفه
(٣) فى الطمح : صاحبه ، وأزرى به : عابه وخط من شأنه ، ويشير البيت
الى معنى قولهم : زامر الحى لا يطرب (٤) أى مختاراً معدوداً لمرضاة ، وتطرف
الشيء : اختاره واصطفاه . وأصل مطرف متطرف فأبدلت التاء طاء وأدغمت
(٥) يشير الى قول أبى فراس :

انتهى. قُلْتُ: كَأَنَّهُ عَرَضَ بَابِي عَلَىِ الْعَالِي وَتَقَدَّمَ
إِيَّاهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ. وَاللَّهِ أَكْبَرُ. وَمِنْ نَظْمِ مُنْذِرِ بْنِ سَعِيدٍ
قَوْلُهُ:

الْمَوْتُ حَوْضٌ وَكُلُّنَا نَرِدُّ
لَمْ يَنْجُ بِمَا يَخَافُهُ أَحَدٌ
فَلَا تَكُنْ مُعَرِّمًا بِرِزْقِ غَدٍ
فَلَسْتَ تَذَرِي بِمَا يَحْيِي غَدٌ
وَحُذِّ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ
وَسَلِّمِ الرُّوحَ مِنْكَ وَالْجَسَدَ^(١)
وَالْخَيْرَ وَالشَّرَّ لَا تُدْعُهُ فَمَا
فِي النَّاسِ إِلَّا التَّشْنِيعُ وَالْحَسَدُ^(٢)

مَا كَثُرَ النَّاسُ لَا بِلِ مَا أَقْلَهُمُ اللَّهُ يَلِمُ أَيْ لَمْ أَقْلُ فَسَدَا
أَيْ لَا فَتَحَ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحَهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا
(١) مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

وَحُذِّ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مِنْ قَرِينَا بَيْتِهِ نَفَعَهُ
(٢) كَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِهِمْ :

لَا تَظْهَرَنَّ لِعَاذِلٍ أَوْ عَاذِرٍ حَالِيكَ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ
فَارْحَمَةَ لِلتَّوَجِّعِينَ حَرَارَةً فِي الْقَلْبِ مِثْلَ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ

وَلَهُ، وَقَدْ آذَاهُ شَخْصٌ فَخَاطَبَهُ بِالْكُنْيَةِ فَقِيلَ لَهُ :
 أَيُوذِيكَ وَأَنْتَ تُخَاطِبُهُ بِالْكُنْيَةِ^(١)؛ فَقَالَ :
 لَا تَعْجِبُوا مِنِّي كُنْيَتُهُ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ سَبَّنا وَأَذَانَا
 فَاللهُ قَدْ كَتَبَ أَبَاهُ وَمَا كُنَاهُ إِلَّا خِزْيَةٌ وَهَوَانًا

وَقَالَ فِي الْمَطْمَحِ : مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ الْبَلُوطِيُّ آيَةٌ
 حَرَكَةٌ^(٢) وَسُكُونٌ، وَبَرَكَهٌ لَمْ تَكُنْ مُعَدَّةً وَلَا
 تَكُونُ، وَآيَةٌ سَفَاهَةٍ^(٣)

(١) الكنية في الأصل لفظ يطلق على الشخص للتعظيم والتوقير ، وقد
 تقوم مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه كآبي هب واسمه
 عبدالعزيز ، عرف بكنيته فسماه الله بها ، وقد يدعى للرء بكنيته ليكون
 ذلك كناية عن معنى تصلح الكنية له بحسب معناها الأصلي قبل أن
 تكون اسماعلما نحو «تبت يدا أبي هب» كناية عن كونه من أهل جهنم
 لأنه ملابس للهيب وصاحب النار ، فان معنى أبي هب بالنظر الى الوضع
 الاول ذات ملازمة للنار بل من تولد منه النار لانه وقود لها - هذا وقد
 كانت الكنى في الامتدلس مشهورة كأنها أعلام فكل رجل من فضلائها
 كنية لا يكاد يعرف الا بها (٢) في اللطمح : في سكون (٣) السفاهة والسفه :
 تقيض الحلم ، والنرض أن للتفر كان يضع الحلم في موضعه والجهل في
 موضعه ولا غرو فقد قال الشاعر الحكيم :

لئن كنت محتاجا الى الحلم انتني الى الجهل في بعض الاحيان أحوج
 ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ولي فرس للجهل بالجهل مسرج

فِي تَحْلُمٍ ، وَجَهَامَةٍ ^(١) وَرَعٍ فِي طَيِّ تَبَشُّمٍ ، إِذَا
جَدَّ وَجَدَّ ^(٢) ، وَإِذَا هَزَلَ نَزَلَ ، وَفِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ لَمْ
يَنْزِلْ لِلْوَرَعِ مِنْ مَرَقٍ ^(٣) ، وَلَا أَكْتَسَبَ إِنَّمَا
وَلَا ائْتَقَبَ ^(٤) ، وَلِي قَضَاءُ الْجَمَاعَةِ بِقُرْطُبَةِ أَيَّامٍ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَنَاهِيكَ ^(٥) مِنْ عَدْلِ أَظْهَرَ ، وَمِنْ فَضْلِ أَشْهَرِ ^(٦)

فمن رام تقويي فاني مقوم ومن رام تسويجي فاني معوج
وقال الاول :

أحلامنا تزن الجبال رزاةً ويزيد جاهلنا على الجهال
ولله الحازم يلبس لكل حال لبوسها فهو :
جهول اذا أزرى التحلم بالفتى حلیم اذا أزرى بذى الحساب الجهل

فكالسيف ان لا يثته لان مثنه وحده ان خاشثته خشنان
(١) جهم جهامة وجهومة وجهمه « كمنعه وسمعه » ونجهمه : اذا استقبله
بوجه بأسر كرهه مكفهرو أن يلفظ له في القول - والدهر يتجهم الكرام
(٢) في اللطمح : تجرد « وهو أظهر » من جرد السيف من غمده فتجرد
لذا استله ، وتجرد لأمره اذا جد فيه ، فهو كقول الطاهراني :
حلوا الفسكاهة مراجد قد مزجت بشدة البأس منه رقة الغزل
وما عدل قول بعض الادياء :

عندي انقباض وحشمة فاذا لاقيت أهل السلاح والكرم
أرسلت نفسي على سجيها وقلت ما قلت غير محشم
(٣) للرقب والرقبة : اللوض للارتفاع للشرف يلاوه للره ليرقب منه ما يريد
مراقبته ومراعاته ، وما أوفيت عليه من علم أورانية لتنظر من بعد
(٤) يقال : احتقب فلان الاسم اذا جمعه واحتمله (٥) وناهيك الخ : أي
حسبك وكافيك . وهو تعجب (٦) في اللطمح : اشهر .

وَمِنْ جَوْرِ قَبْضٍ^(١) ، وَمِنْ حَقِّ رَفْعٍ ، وَمِنْ بَاطِلٍ خَفَضٍ ،
وَكَانَ مَهِيئًا صَلِيحًا صَارِمًا ، غَيْرَ جَبَانٍ وَلَا عَاجِزٍ وَلَا مُرَاقِبٍ
لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فِي اسْتِخْرَاجِ حَقِّ وَرَفْعِ ظَلَمٍ ، وَاسْتِمْرَارٍ
فِي الْقَضَاءِ إِلَى أَنْ مَاتَ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ ، ثُمَّ وَلَّى ابْنُهُ
الْحَكَمُ فَأَقْرَهُ ، وَفِي خِلَافَتِهِ اسْتَعْفَى مِرَارًا فَمَا أُعِفِيَ^(٢) ،
وَتُوُفِّيَ بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ مُدَّةٌ وَلَا يَتَهُ قَضِيَّةٌ جَوْرٍ ، وَلَا
عُدَّتْ عَلَيْهِ فِي حُكُومَتِهِ زَلَّةٌ ، وَكَانَ غَزِيرَ الْعِلْمِ ،
كَثِيرَ الْأَدَبِ ، مُتَكَلِّمًا بِالْحَقِّ ، مُتَّبِعًا بِالصِّدْقِ ، لَهُ كُتُبٌ
مُؤَلَّفَةٌ فِي السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ وَالْوَرَعِ وَالرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ
وَالْبِدْعِ ، وَكَانَ خَطِيبًا بَلِيغًا وَشَاعِرًا مُحْسِنًا ، وَلِدَ عِنْدَ
وَلَايَةِ الْمُنْذِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٣) وَتُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ
وَتَلْثِيانَةَ^(٤) . وَمِنْ شِعْرِهِ فِي الزُّهْدِ قَوْلُهُ :

كَمْ نَصَابِي^(٥) وَقَدْ عَلَاكَ الْمَشِيبُ
وَلَمَّا^(٦) عَمْدٌ وَأَنْتَ اللَّيْبُ؟

(١) قبض : منع وأزال . (٢) في اللطمح : وفي خلافة توفى ، بعد
أن استعفى مِرَارًا فَمَا أُعِفِيَ (٣) أي في سنة ٢٧٣ (٤) في اللطمح ٣٣٥ وما
هنا هو الصواب (٥) نصابي الكبير : مال إلى اللهو واللغو وعمل عمل الصبا
(٦) لَمَّا : تتعافى حتى كأنك أعمى لا تبصر رشك

كَيْفَ تَلَهُوْا وَقَدْ آتَاكَ نَذِيرٌ
 أَنْ سَيَأْتِيَّ الْحِمَامُ^(١) مِنْكَ قَرِيبٌ
 يَأْسِفُهَا قَدْ حَانَ مِنْهُ رَجِيلٌ
 بَعْدَ ذَلِكَ الرَّجِيلِ يَوْمٌ عَصِيبٌ^(٢)
 إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَةً فَأَرْتَبِهَا
 لَا يُدَاوِي إِذَا أَتَتْكَ طَيْبٌ^(٣)
 كَمْ تَوَاتَى^(٤) حَتَّى تَصِيرَ رَهِينًا
 ثُمَّ تَأْتِيكَ دَعْوَةٌ فَتُجِيبُ
 بِأُمُورِ الْمَعَادِ أَنْتَ عَلِيمٌ
 فَأَعْمَلَنَّ جَاهِدًا لَهُ يَا رَيْبٌ^(٥)

(١) الحمام بالكسر : قضاء اللوت وقصره ، من قولهم حم كذا أى قصر ، وفى اللطيم : أن يوم الحمام منك قريب (٢) أى شديد ، وأظنه من العصب وهو جفاف الريق ويسه فى القم (٣) فى اللطيم : لا يداويك ان أتتك طيب (٤) تواتى : أى تقصر ، وكل ما احتبس به شيء فهو رهينه كما أن الانسان رهين عمله ، ومنه قوله تعالى : « كل امرئ بما كسب رهين » أى يحبس بسمله - ويقال هو رهين بكنا ورهين ورهينة أى لازم له لا ينفك عنه ، والخلق رهائن اللوت ، والناس رهين للنية (٥) الريب : الربوب ، من ربه اذا أصلحه وساسه وراه وأحسن القيام عليه ، أى يامن

وَنَذَرَ يَوْمًا تُحَاسِبُ فِيهِ
 إِنَّ مَنْ يَذَرَ فَسَوْفَ يُنِيبُ ^(١)
 لَيْسَ مِنْ سَاعَةٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا
 لِلْمَنَآيَا بِهَا عَلَيْكَ رَقِيبٌ
 وَلَمَّا نَذَرَ شَيْئًا مِنْ أَحْوَالِ مُنْذِرٍ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ

« رَجَعُ الْأَخْبَارِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ » حُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا مِنْ أَخْبَارِ النَّاصِرِ
 أَعْذَرَ ^(١) لِأَوْلَادِ أَبِيهِ أَبِي مَرْوَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ اتَّخَذَ ذَلِكَ
 صَنِيعًا عَظِيمًا بِقَصْرِ الزَّهْرَاءِ لَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ عَنْهُ مِنْ
 أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وَأَمَرَ أَنْ يُنْذَرَ ^(٢) لِشُهُودِهِ الْفُقَهَاءَ
 الْمَشَاوِرُونَ وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُدُولِ وَوُجُوهِ

ربالك مولاك وكان لك جل وعلا - رباعا لكا ومدبرا مصلحا ، والعباد
 مربيون لله تعالى أى مملوكون ، ورب للمروف والصنيعة والنعمة : تعالها
 وأتمها وزادها وأصلحها (١) أى يتوب ويرجع الى الله تعالى مطيعا له وقبيل
 عليه راجيا رحمته وخاشيا عذابه (٢) أعذر للقوم : اذا عمل لهم طعام الحتان
 وأعدده ، وذلك الطعام هو العذار والاعذار والعذرة والعذير ، وأصل الاعذار
 الحتان ثم استعمل في الطعام الذى يصنع فيه والوليمة التى تعمل له (٣) أى أن
 يعلم ويخبر - وأصل الانذار الابلاغ فى أمر مخوف ، وقد يستعمل فى مطلق
 الابلاغ ولا سيما الامور الرسمية « كان من تخلف عنها يكون ما وما فهو ينفر بها »

النَّاسِ ، فَتَخَلَّفَ مِنْ بَيْنِهِمُ الْمُشَاوِرُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ ^(١) وَاقْتَدَ
مَكَانَهُ لِإِرْقَاعِ مَرْزِيَّتِهِ ، فَسَأَلَ فِي ذَلِكَ أَخْلِيقَةُ النَّاصِرُ ،
إِذْ أَبُو إِبْرَاهِيمَ مِنْ أَكْبَرِ عُلَمَاءِ الْمَالِكِيَّةِ الَّذِينَ عَلَيْهِمُ
الْمَدَارُ ، وَوَجَدَ ^(٢) النَّاصِرُ سَبَبَ ذَلِكَ عَلَى أَبِي إِبْرَاهِيمَ ،
وَأَمَرَ ابْنَتَهُ وَلِيَ الْمَهْدِ الْحَكَمَ بِالْكِتَابِ إِلَيْهِ وَالتَّغْنِيْدَ ^(٣)
لَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَكَمُ رُقْمَةً نُسَخَهَا :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَفِظَكَ اللَّهُ وَتَوَلَّاهُ ،
وَسَدَّدَكَ وَرَعَاكَ ، لَمَّا أَمْتَحَنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَوْلَايَ
وَسَيِّدِي - أَبْنَاهُ اللَّهُ - الْأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ يَسْتَعِذُّ بِهِمْ ^(٤) وَجَدَّكَ

خطاب الناصر
إلى أبي إبراهيم

(١) هو الفقيه اسحق بن إبراهيم بن مسرة من أهل قرطبة ، وأصله
من طليطلة وهو من موالى بعض أهلها ، كان حافظاً للفقه على مذهب
الاعلم مالك متقدماً فيه ، وكان مشاوراً في الأحكام صدراً في الفتيا وقوراً مهيباً
توفي بطليطلة سنة ٣٥٢ وكان قد خرج غازياً مع للسنصر بالله وسنه يومئذ
خمس وسبعون سنة (٢) أى غضب (٣) أى اللوم وتخطئته في رأيه في التأخر
(٤) يجوز أن تكون محرفة عن « يستعديهم » أى يستعين بهم
ويستنصرهم ويتقوى بهم على مخالفته

مُقَدِّمًا فِي الْوَلَايَةِ، مُتَأَخِّرًا عَنِ الصَّلَاةِ^(١)، عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَنْذَرَكَ
- أَبْقَاءُ اللَّهِ - خُصُوصًا لِلْمُشَارَكَةِ فِي الشُّرُورِ الَّتِي كَانَ عِنْدَهُ
- لَا أَعْدَمَهُ اللَّهُ تَوَالِي الْمَسَرَّةِ - ثُمَّ أَنْذَرْتَ مِنْ قَبْلُ إِبْلَاقًا
فِي التَّكْرِمَةِ ، فَكَانَ مِنْكَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ التَّخَلُّفِ
مَا ضَافَتْ عَلَيْكَ فِيهِ الْمَعْدِرَةُ ، وَاسْتَبْلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
فِي إِنْكَارِهِ وَمُعَاتَبَتِكَ عَلَيْهِ ، فَأَعْيَتْ عَلَيْكَ^(٢) عَنْكَ
الْحُجَّةُ ، فَمَرَّقَنِي - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - ، مَا الْمُدْرُ الَّذِي أَوْجَبَ
تَوْفُكَ عَنْ إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ ، وَمُشَاهَدَةِ الشُّرُورِ الَّتِي سُرَّ
بِهِ ، وَرَغِبَ الْمُشَارَكَةَ فِيهِ ؟ لِنَعْرِفَهُ - أَبْقَاءُ اللَّهِ - بِذَلِكَ
فَتَسْكُنَ نَفْسُهُ الْعَزِيزَةُ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَأَجَابَهُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ : « سَلَامٌ عَلَى الْأَمِيرِ سَيِّدِي وَرَحْمَةٌ
رَدَّ إِلَى إِبْرَاهِيمَ
إِلَى النَّاصِرِ
اللَّهُ ، قَرَأْتُ - أَبْقَى اللَّهُ الْأَمِيرَ سَيِّدِي - هَذَا الْكِتَابَ

- (١) يشهد له بولائه ومحبته وينكر عليه انقطاعه وقلة اتصاله به والشرف بزيارته
 - (٢) لها : علينا ، يعني أن أمير المؤمنين اشتد في إنكاره هذا التخلف وفي لومك عليه وأردنا أن نشتد عنك فلم نجعلنا مقبولا ولا حجة بالته
- لأنه لا شيء ينبغي أن يوفقك عن إجابة دعوته بالنا ما بلغ

وَهَمَّتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ تَوْفِي لِنَفْسِي، إِنَّمَا كَانَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 سَيِّدًا - أَبَقَى اللَّهُ سُلْطَانَهُ - لِعَلِّي بِمَذْهَبِهِ وَسُكُونِي
 إِلَى تَقْوَاهُ، وَاقْتِفَائِهِ لِأَثَرِ سَلَفِهِ الطَّيِّبِ - رِضْوَانُ اللَّهِ
 عَلَيْهِمْ - فَإِنَّهُمْ يَسْتَبِقُونَ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ بَقِيَّةً لَا
 يَمْتَحِنُونَهَا^(١) بِمَا يَشِينُهَا، وَلَا بِمَا يَنْقُضُ^(٢) مِنْهَا وَيَطْرُقُ إِلَى
 تَنْقِصِهَا^(٣)، يَسْتَعْدُونَ بِهَا لِدِينِهِمْ، وَيَتَرَتَّبُونَ بِهَا عِنْدَ
 رَعَايَاهُمْ وَمَنْ يَهْدُ عَلَيْهِمْ مِنْ قُصَادِهِمْ، فَلِهَذَا تَخَلَّفْتُ،
 وَلِعَلِّي بِمَذْهَبِهِ تَوَقَّضْتُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. فَلَمَّا أَقْرَأَ
 الْحُكْمَ أَبَاهُ النَّاصِرَ لِدِينِ اللَّهِ جَوَابَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ اسْتَحَقَّ
 أَعْجَبَهُ وَأَسْتَحْسَنَ أَعْتَذَرَهُ، وَزَالَ مَا بَنَفْسِهِ عَلَيْهِ.

وَكَانَ الْفَقِيهُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ الْمَذْكُورُ مُعْظَمًا عِنْدَ
 النَّاصِرِ وَأَبْنَيْهِ الْحُكَمِ، وَحَقَّ لَهُمَا أَنْ يُعْظَمَا، وَقَدْ
 حَكَى الْفَقِيهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ مُفَرَّجٍ^(٤) قَالَ: كُنْتُ أُخْتَلِفُ

رسالة الحكم
 الى الفقيه ابى
 ابراهيم المذكور

(١) امتنته : استخدمته وابنته واحقره. وشانه : عابه (٢) غرض منه اذا
 نقص من قيمته وقصر به موضوع من قدره (٣) أى يكون طريقا موصلا اليه
 (٤) هو أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرج مولى الامام عبد الرحمن بن
 الحكم كان من أهل قرطبة توفى سنة ٣٣٩

إِلَى الْفَقِيهِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِيمَنْ يَخْتَلِفُ
إِلَيْهِ لِلتَّفَقُّهِ وَالرُّوَايَةِ ، فَإِنِّي لَمُنْدُهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ فِي مَجْلِسِهِ
بِالْمَسْجِدِ الْمُنْسُوبِ لِأَبِي عُثْمَانَ ^(١) الَّذِي كَانَ يُصَلِّي بِهِ قُرْبَ
دَارِهِ بِمَحَوِّ قَصْرِ قُرْطُبَةَ ، وَمَجْلِسُهُ حَافِلٌ بِجَمَاعَةِ الطُّلَبَةِ
وَذَلِكَ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ خَصِيٌّ مِنْ أَصْحَابِ
الرِّسَالِ جَاءَ مِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ الْحَكَمِ ، فَوَقَفَ وَسَلَّمَ
وَقَالَ لَهُ : يَا فَخِيهِ أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَبَقَاهُ اللَّهُ - فَإِنَّ
الْأَمْرَ خَرَجَ ^(٢) فِيكَ ، وَهَاهُوَ ذَا قَاعِدٌ يَنْتَظِرُكَ ، وَقَدْ
أَمَرْتُ بِإِعْجَالِكَ ، فَاللهُ اللَّهُ ، فَقَالَ : سَمِعًا وَطَاعَةً لِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا عَجَلَةَ ، فَارْجِعْ إِلَيْهِ وَعَرِّفْهُ - وَهَهُؤُا اللَّهُ -
عَنِّي أَنَّكَ وَجَدْتَنِي فِي يَلْتٍ مِنْ يُتُوتِ اللَّهُ تَعَالَى ، مَعِيَ

(١) أظنه أبا عثمان عبد الله بن يحيى بن إدريس من أهل قرطبة كان متفانيا في ضروب العلم ، وكان الشعر أشهر أدواته لم يتقدمه فيه أحد في وقته مع معرفته بالآثار وجمعه للسنن وحفظه للغريب والثلث ، وكان علما ثقة متواضعا شريفا سريا بنفسه وبسلفه ، ولحقه أحكام الشرطة ثم ولى الوزارة فما زادت هذه الخطط الرفيعة الاتواضا وفضلا ونبلًا ، وكان يؤذن في مسجده ويقيم الصلاة فيه وهو وزير ، توفي سنة ٣٥٢ - رحمه الله تعالى - .
« أحمد يوسف نجاشي » (٢) خرج فيك : صدر في شأنك

طَلَّابُ الْعِلْمِ أَسْمِعُهُمْ حَدِيثَ ابْنِ عَمْرِو رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هُمْ يُقْبِدُونَهُ عَنِّي ، وَلَيْسَ يُنْكِسُنِي
 تَرْكُ مَا أَنَا فِيهِ حَتَّى يَتِمَّ الْمَجْلِسُ الْمَعْمُودُ لَهُمْ فِي رِضَا
 اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، فَذَلِكَ أَوْ كَدُ مِنْ مَسِيرِي إِلَيْهِ السَّاعَةَ ،
 فَإِذَا انْقَضَى أَمْرٌ مِنْ أَجْتَمَعَ إِلَيَّ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُحْتَسِبِينَ
 فِي ذَاتِ اللَّهِ السَّاعِينَ لِمَرْضَاتِهِ مَشَيْتُ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 تَعَالَى . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ شَأْنِهِ ، وَمَضَى أَخْلَصِي يَهْتِمُ^(١)
 مُتَضَاجِرًا مِنْ تَوْفِيقِهِ ، فَلَمْ يَكْ إِلَّا رَشْمًا^(٢) أَدَّى جَوَابَهُ
 وَأَنْصَرَفَ سَرِيعًا سَاكِنَ الطَّيِّشِ ، فَقَالَ لَهُ يَا فِقِيهَ أَنْهَيْتَ^(٣)
 قَوْلَكَ عَلَى نَصِّهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَبَقَاهُ اللَّهُ - فَأَصْنِي إِلَيْهِ
 وَهُوَ يَقُولُ لَكَ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنِ الدِّينِ وَعَنْ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْتَعَهُمْ^(٤) بِكَ ،
 وَإِذَا أَنْتَ أَوْعَيْتَ^(٥) فَأَمْضِ إِلَيْهِ رَاشِدًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ

(١) أى يتكلم بصوت خفى لا يسمعه ، وهو شبه قراءة غير بينة (٢) قد رما

(٣) أنهيت : أوصلت وأبليت (٤) أمتعته الله بكنا : أباهم ليمتعهم بطويلا ،

ويتنفع به كثيرا (٥) وعى الحديث : حفظه وقبضه وفهمه ، كالأوعاء

تَعَالَى . ، وَقَدْ أَمَرْتُ أَنْ أُبْنِيَ مَعَكَ حَتَّى يَنْقَضِيَ شُغْلُكَ
وَيَنْقَضِيَ مَعِيَ ، فَقَالَ لَهُ : حَسَنٌ جَمِيلٌ ، وَلَكِنِّي أَضْعَفُ
عَنِ الْمَشْيِ إِلَى بَابِ السُّدَّةِ ^(١) ، وَيَضْعَبُ عَلَيَّ رُكُوبُ دَابَّةٍ
لِشِخُوخَتِي وَضَعْفِ أَعْضَائِي ، وَبَابُ الصَّنَاعَةِ الَّذِي يَقْرُبُ
إِلَى مِنْ أَبْوَابِ الْقَصْرِ الْمَكْرَمِ أَحْوَطُ لِي وَأَقْرَبُ وَأَرْفَقُ
بِي ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَنْ يَأْمُرَ
بِفَتْحِهِ لِأَدْخُلَ إِلَيْهِ مِنْهُ هَوْنٌ عَلَى الْمَشْيِ وَوَدَعَ ^(٢) جِسْمِي ،
وَأَحِبُّ أَنْ تَعُودَ وَتُنْهِيَ إِلَيْهِ ذَلِكَ عَنِّي حَتَّى تَعْرِفَ رَأْيَهُ
فِيهِ ، وَكَذَلِكَ تَعُودُ إِلَيَّ ، فَإِنِّي أُرَاكَ قَتَى شَدِيدًا ^(٣) ،
فَكُنْ عَلَى الْخَيْرِ مُعِينًا ، وَمَضَى عَنْهُ الْفَتَى ، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ
حِينٍ وَقَالَ : يَا فَقِيهَ قَدْ أَجَابَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا
سَأَلْتَ ، وَأَمَرَ بِفَتْحِ بَابِ الصَّنَاعَةِ وَاتِّظَارِكَ مِنْ قِبَلِهِ ،
وَمِنْهُ خَرَجْتُ إِلَيْكَ ، وَأَمَرْتُ بِمَلَازِمَتِكَ مَذْكُرًا بِالنُّهْوضِ
عِنْدَ قَرَاغِكَ . وَقَالَ : أَفْعَلُ رَاشِدًا ، وَجَلَسَ الْخَصِيُّ جَانِبًا حَتَّى

(١) السدة : باب الدار ، والظلة فوقه . تقول رأيتُه قاعدا في سدة داره .
وفي الحديث : « والثنت الرؤوس لا تفتح لهم السد » . (٢) ودع الشيء .
« ككرهم ووضع » ودعا ، ودعة ، ووداعة : سكن واستقر وصار إلى الدعة
والراحة فهو وديع (٣) يجوز أن تكون (سديدا) من السداد

أَكَلَ أَبُو إِسْرَاهِيمَ مَجْلِسَهُ بِأَكْلٍ وَأَفْسَحَ مَا جَرَتْ بِهِ
عَادَاتُهُ غَيْرَ مُتَزَعِّجٍ وَلَا قَلِقٍ ، وَلَمَّا انْقَضَتْ عَنْهُ قَامَ
إِلَى دَارِهِ فَأَصْلَحَ مِنْ شَأْنِهِ ، ثُمَّ مَضَى إِلَى الْخَلِيفَةِ الْحَكَمِ
فَوَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ ، وَقَضَى حَاجَتَهُ مِنْ لِقَائِهِ ،
ثُمَّ صَرَفَهُ عَلَى ذَلِكَ الْبَابِ ، فَأَعِيدَ إِغْلَاقُهُ عَلَى أَثَرِ خُرُوجِهِ .
قَالَ مُفَرِّجٌ : وَلَقَدْ تَعَمَّدْنَا فِي تِلْكَ الْعَشِيَّةِ إِثْرَ قِيَامِنَا عَنْ
الشَّيْخِ أَبِي إِسْرَاهِيمَ الْمُرُورَ بِهَذَا الْبَابِ الْمَمْهُودِ إِغْلَاقُهُ
بِدَيْرِ الْقَصْرِ الَّذِي تَجَسَّمُ ^(١) الْخَلِيفَةُ لَهُ فَوَجَدْنَاهُ مَفْتُوحًا
كَمَا وَصَفَ الْخَلِيعِيُّ ، وَقَدْ حَفَّهَ الْخَدَمُ وَالْأَعْوَانُ مُتَزَعِّجِينَ
مَا بَيْنَ كُنَاسٍ وَقَرَّاشٍ مُتَاهِمِينَ لَا يَنْتَظِرُ أَبِي إِسْرَاهِيمَ ،
فَاسْتَدَّ عَجْبًا لَذَلِكَ ، وَطَالَ تَحَدُّثُنَا دَنَّهُ . أَتَيْ . فَكَذَا
تَكُونُ الْعُلَمَاءُ مَعَ الْمُلُوكِ ، وَالْمُلُوكُ مَعَ الْعُلَمَاءِ ،
- قَدَسَ اللَّهُ تِلْكَ الْأَرْوَاحَ - .

ثُمَّ تُوُفِيَ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ تَانِي أَوْ ثَالِثَ شَهْرِ رَمَضَانَ

خولة الناصر

(١) تجسم الأمر : تكلفه على مشقة وحمل نفسه عليه

مِنْ عَامِ خَمْسِينَ وَثَلَاثِيَّةٍ ، أَكْثَمَ مَا كَانَ سُلْطَانُهُ ، وَأَعَزَّ
مَا كَانَ الْإِسْلَامُ بِمُلْكِهِ .

« قَالَ ابْنُ خَلْدُون » خَلَفَ النَّاصِرُ فِي يُّبُوتِ الْأَمْوَالِ
وَفِرَةِ الضَّرَائِبِ وَالْأَمْوَالِ فِي
عَهْدِ النَّاصِرِ
خَمْسَةَ آلَافِ أَلْفِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . أَتَمَّ . وَقَالَ
غَيْرُ وَاحِدٍ : إِنَّهُ كَانَ يُقَسِّمُ الْجَبَايَةَ أَثْلَاثًا ثُلُثٌ لِلْجُنْدِ
وِثْلُثٌ لِلْبَنَاءِ ، وَثُلُثٌ مَدَّخَرٌ ، وَكَانَتْ جَبَايَةُ الْأَنْدَلُسِ
يَوْمَئِذٍ مِنَ الْكُورِ وَالْقُرَى خَمْسَةَ آلَافِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةَ
أَلْفٍ وَثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَمِنْ الشُّوقِ وَالْمُسْتَخْلَصِ
سَبْعِمِائَةَ أَلْفٍ وَخَمْسَةَ وَثْنِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَمَّا أَخْمَاسُ
الْفَتَايِمِ الْعَظِيمَةِ فَلَا يُحْصِيهَا دِرْهَانٌ .

وَحَكِي أَنَّهُ وَجِدَ بَحْطَ النَّاصِرِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَيَّامَ الشُّرُورِ
أَيَّامِ السُّرُورِ فِي
عَهْدِ النَّاصِرِ

الَّتِي صَفَّتْ لَهُ دُونَ تَكْدِيرِ يَوْمِ كَذَابٍ مِنْ شَهْرِ كَذَابٍ مِنْ سَنَةِ
كَذَابٍ، وَيَوْمِ كَذَابٍ مِنْ كَذَابٍ، وَعُدَّتْ تِلْكَ الْآيَاتُ فَكَانَتْ
أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا. فَأَعْجَبَ أَيُّهَا الْعَاقِلُ لِهَذِهِ الدُّنْيَا وَعَدَمِ صَفَائِهَا،
وَبُخْلِهَا بِكَمَالِ الْأَخْوَالِ لِأَوْلِيَائِهَا، هَذَا الْخَلِيفَةُ النَّاصِرُ
حَلَفَ السُّعُودِ، الْمَضْرُوبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْأَرْبَعَةِ فِي الدُّنْيَا
وَالسُّعُودِ، مَلَكَهَا خَمْسِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ
وَتَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلَمْ تَصِفْ لَهُ إِلَّا أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا. فَسُبْحَانَ
ذِي الْعِزَّةِ الْقَائِمَةِ، وَالْمَمْلَكَةِ الدَّائِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.
وَمِمَّا يُنْسَبُ لِلنَّاصِرِ مِنَ الشُّعْرِ - وَقِيلَ لِابْنِهِ الْحَكَمِ -
قَوْلُهُ :

مَا كُلُّ شَيْءٍ فَقَدْتُ إِلَّا عَوَضَنِي اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا

إِنِّي إِذَا مَا مَنَعْتُ خَيْرِي تَبَاعَدَ الْخَيْرُ مِنْ يَدَيَا

مَنْ كَانَ لِي نِعْمَةٌ عَلَيْهِ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ عَلَيَّ

وَيَمَّا زَيْنَ اللَّهُ بِهِ دَوْلَةَ النَّاصِرِ وَزَرَاؤُهُ الَّذِينَ مِنْ جُلَّتِهِمْ

أَبْنُ شُهَيْدٍ، قَالَ فِي الْمَطْمَحِ :



أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ بْنِ شُهَيْدٍ * مَفْعَرُ الْإِمَامَةِ ، الوزير ابن شهيد

* ترجم له في كتاب الغرب في حل القرب المجلد الأول من الاصل
في ظهر « ص ٤ » : بترجمة مسهبه تقتطف منها مايتأتى :

أبو عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان بن ذى الوزارتين
الأعلى أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى ابن شهيد

هو أعظم هذا البيت شهرة في البلاغة ، وقال ابن بسام في وصفه :
شيخ الحضرة وفتاها ، ونادرة الفلك الدوار ، وأعجوبة الليل والنهار ،
وأطنب في الثناء على نظمه وثره وأدبه . وقال عنه ابن حيان : كان يبلغ
لغته ولم يطل سفر الكلام ، ولم يوجد له بعد موته كتب يستعين بها على
ماجرت به عادة البلغاء والأدباء . وله من قصيدة يمدح بها ابن الناصر :

ورعيت من وجه السماء خميعة خضراء لاح البدر من غدرانها
وكان ثمر النجم ضأن عندها وكأنا الجواز راعى ضانها
وله رسالة يخاطب بها أبا بكر بن حزم سماها بالتوابع والزوابع .
ومن شعره الذى ضمنه تلك الرسالة :

ومرقة لا يدرك الطرف رأسها تزل بها ربح الصبا فتحدر
تكلفتها والليل قد ملج بحره وقد جعلت أمواجه تنكسر
وقوله :

أبى دمعنا يجرى مخافة شامت فنظمه فوق المهاجر ناظم
وراق الهوى منا عيوننا كريمة تميمن حتى ماتروق المباسم
وقاسى في مرضه شدة ، وتوفى يوم الجمعة آخر جمادى الأولى سنة ست
وعشرين وأربعمائة ولم يشهد على قبر أحد ما شهد على قبره من البكاء
والعويل ، وأُنشد عليه من المراثى جملة موفورة .

وَزَهْرُ تِلْكَ الْكِمَامَةِ ^(١) ، وَحَاجِبُ ^(٢) النَّاصِرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ،
وَحَامِلُ الْوِزَارَتَيْنِ عَلَى مُنْعَمَاهُمَا ^(٣) فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ، أُسْقِلَ ^(٤)
بِالْوِزَارَةِ عَلَى تَقْلِيلِهَا ، وَتَصَرَّفَ فِيهَا كَيْفَ شَاءَ عَلَى حَدِّ نَظَرِهَا
وَالْتِفَاتِ مُقْلِلِهَا ^(٥) ، وَظَهَرَ عَلَى أُولَئِكَ الْوُزَرَاءِ ، وَأَشْهَرَ مَعَ
كَثَرَةِ النُّظَرَاءِ ، وَكَانَتْ إِمَارَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَسْعَدَ إِمَارَةٍ ،
بَعْدَ عَنْهَا كُلِّ نَفْسٍ بِالشَّوْءِ أَمَارَةٍ ، فَلَمْ يَطْرُقْهَا صَرْفٌ ^(٦) ،
وَلَمْ يَرْمُقْهَا مَحْذُورٌ بِطَرْفٍ ، قَرَعَ ^(٧) النَّاسُ فِيهَا هِصَابَ
الْأَمَانِي وَرُبَاهَا ^(٨) ، وَرَتَمَتْ ظُبَاؤُهَا فِي ظِلَالِ ظُبَاهَا ^(٩) وَهُوَ

(١) هي : وعاء النور وغطاؤه ، يشبه للملكة بنور ذات كرامة وجعل ابن
شهيد زهرتها وأطيب نبي . فيها (٢) في الأصل صاحب وما هنا أولى
(٣) في الأصل سموها محرفة (٤) أي نهض وقام بأعبائها قويا قادرا
(٥) يريد أنه تصرف في كل أمورها الى أقصى ماتملمه وأبعد ما تتناول
(٦) صرف الدهر : حدائقه ونوائبه لانه يصرف الأشياء عن وجوها
(٧) فرع الجبل ونحوه صد وعلا ، وفي الأصل قرع محرفة (٨) الهضبة :
الجبل المنبسط على وجه الأرض أو كل جبل خلق من صخرة واحدة ،
أو هو الطويل من الجبال للمتنع للفرد . والربوة ما ارتفع من الأرض
« كأنها ربت بنفسها في مكان » . يريد أن الناس تمكنوا من نيل أمانهم
العظيمة وأدركوا كل أسلهم البعيدة (٩) الطبا جمع طبة وهي حد السيف
أو السنن أو نحوه من الأسلحة كالنصل والخنجر . والغرض أن الأمن

أَسَدٌ عَلَى بَرَائِهِ ^(١) رَابِضٌ ، وَبَطَلٌ أَبَدًا عَلَى قَائِمٍ سَيْفِهِ
قَابِضٌ ^(٢) ، يَرْوِعُ الرُّومَ طَيْفُهُ ^(٣) وَيَحْمُسُ خِلَالَ تِلْكَ الدِّيَارِ
خَيْفُهُ ^(٤) ، وَيَرْوِي مِنْ نَجْمِهِمْ ^(٥) كُلَّ آوَنَةٍ سَيْفُهُ ، وَأَبْنُ
شُهَيْدٍ يَنْتَجِجُ ^(٦) الْآرَاءَ وَيُلْقِيهَا ^(٧) ، وَيَنْقُدُ تِلْكَ الْأَنْحَاءَ

فيها قد استتب والعدل قد انتشر وصنبت الأعراض وظل ضيفها يتمتع
بكل حقوقه في ظل الأمن وسياج العدل وحراسة القوة (١) البرن
غلب الأسد وهو السبع كالاصبع للإنسان ، ور بض الأسد والطبي وغيره
من الدواب: مثل يرك في الأبل وجثم في الطير ، ومنه قوله عليه السلام للضحاك
ابن سفيان بن عوف العامري وقد بعثه الى قومه بنى عامر بن صعصعة :
« اذا أتيتهم فار بض في دارهم طيبا » ، أى أقم فيهم آمنا كالطبي الآمن
الوادي ، أولا تأمنهم بل كن يقظا متنبها مستوفزا فانك بين أظهر قوم من
الكفار فاذا رابك منهم ريب فرت عنهم شاردة كما ينفر الطبي (٢) من
قول الفرزدق : * وقائم سيني من يدي بمكان * وقائم السيف مقبضه
(٣) الطيف الخيال الطاف في النوم ، والطيف: التنبؤ (فيه تورية)
(٤) كذا بالأصل وللطمح وأراها محرفة عن : ضيفه ، أو صيفه ، جعل
جيشه الذى يزور الروم ضيفا أو أسند النزو الى الصيف لانه زمانه ، وهو
مجاز حسن مألوف جميل في هذا اللقاف بديع (٥) التنجيع : الدم للصوب
أو الأسود منه ، أو دم الجوف خاصة ، يقال : طعنة تمج التنجيع ، وفي
الأصل بدل « من نجيعهم » « بل يحسم » وهو عريف غريب (٦) تنجج
الثقة ونحوها اذا ولّى تاجها وولادتها (٧) لقت الثاقه ونحوها حملت ،
وألقها الفحل ولقحها ، شبه استنباط الآراء الجديدة بد التفكير بتناج

وَبُنْعُهَا ، وَالْقَوْلَةُ مُشْتَمِلَةٌ ^(١) بِنِائِهِ ، مُتَجَمِّلَةٌ بِسَنَائِهِ ^(٢) ،
وَكَرُمُهُ مُنْتَشِرٌ عَلَى الْآمَالِ ، وَيَكْثُرُ ^(٣) الْأَوْلِيَاءُ بِذَلِكَ
الْإِجْمَالِ ، وَكَانَ لَهُ أَدَبٌ تَزَخَّرَ لُجْبُهُ ، وَتَبَهَّرَ حُجْبُهُ ،
وَشِعْرُهُ رَقِيقٌ لَا يُنْقَدُ ، وَيَكَادُ مِنَ اللِّطَافَةِ يُعْقَدُ ، فَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُهُ :

تَرَى الْبَدْرَ مِنْهَا طَالِمًا فَكَأَنَّمَا
يَحُولُ وَشَاحَاهَا عَلَى لَوْلُؤٍ رَطْبٍ

الحامل ، وجعل تلك الآراء التي هي وليدة الفكر وبنات القرائح بمنزلة ما تضمه
الحامل ، ومن المجاز : ألقحت الرياح السحاب والشجر ، وألقح بينهم شرا منلا
إذا أسداه وسببه (١) اشتمل بالتوب : أداره على جسده كله حتى لا تخرج
منه يد وهو التلقع ، وربما اضطلع فيه على هذه الحالة ، يريد أن الدولة كانت
في حاضرتها هادئة وقارة مطمئنة ، وقوله بِنِائِهِ (بالعين) أي كفايته وحسن
نِائِهِ (٢) كذا بالمطمح وهو أولى من (نِائِهِ) كما في الأصل ، والسناء :
الرفعة والشرف وعلو القدر ، والسناء (بكسر السين) مصدر سأناه إذا راضاه
وداناه وأحسن معاشرته (٣) كذا بالمطمح ، وفي الأصل : ويكسو ، وما
في المطمح أولى ولذا أثرناه . والقرص أن أولياء المرء وأنصاره يكثرون
بالكرم والبذل :

يسقط الطير حيث يلتقط الحب وتفتنى منازل الكرماء
وأجمل الصنعة : حسنها وكثرها

بَعِيدَةٌ مَهْوَى ^(١) الْقَرْطِ مُخَطَفَةٌ ^(٢) أَحْشَى
وَمُفْعَمَةٌ اَلْخَلْخَالِ مُفْعَمَةٌ اَلْقَلْبِ ^(٣)
مِنْ اَللَّاءِ لَمْ يَرْحَلْنَ فَوْقَ رَوَاحِلِ
وَلَا سِرْنَ يَوْمًا فِي رِكَابٍ وَلَا رَكَبَ ^(٤)
وَلَا أَبْرَزْنَهُنَّ اَلْمَدَامُ لِنَشْوَى ^(٥)
وَشَدُو ^(٦) كَمَا تَشَدُّو اَلْقِيَانِ عَلَى اَلشَّرْبِ ^(٧)

وَكَانَ يَنْتَهُ وَيِنَّ اَلْوَزِيرِ عَبْدُ اَلْمَلِكِ بْنِ جَهْوَرٍ ^(٨) مُتَوَلَّى

عبد الملك
بن جهور

(١) بعيدة مهوى القرت : كناية عن طول العنق وحسن الجيد، والقرت :
الشنف يطلق في شحمه الاذن ، قال :
أكلت دما ان لم أركع بضرة بعيدة مهوى القرت طيبة النشر
(٢) أى ضامرة منطوية (٣) القلب : السوار « يصفها بربالة الساق والمعصم »
وهو من قول عمار بن عقيل بن بلال بن جرير :
وكم ليلة قد بنها غسيرا ثم بساجية الحجلين ريانة القلب
(٤) يريد أنهم حضريات ذوات رفاة ودعة ورغد عيش ، ولسن من
الباديات الاوانى يرتحلن مع أهلن فوق الأبل للنجعة (٥) النشوة : السكر
أو أوله (٦) الشدو : الغناء ، والقيان : المغنيات يريد أنهم مع ترفهن لسن
من الأماء ولا يمن يتنلن في الغناء والمدامة بل هن غفيفات مصونات
وحضريات محصنات (٧) الشرب : أى الشاربين : جمع شارب هذا الأبيات
نسبها صاحب بغية الشمس للشاعر الأديب سعدون بن عمر « كان في زمن عبد
الرحمن الناصر » وهى من قصيدة مدح بها سعيد بن النضر الأعمى ، وقبلها :
منعمة يصبو إليها أخو النهى ومن حسن أروى مايجن ومايصبى
وهذا هو الذى أراه وأميل اليه . « أحمد يوسف نجاشى » (٨) هو الوزير
الجليل أبو مروان عبد الملك بن جهور كان اديبا شاعرا « وقدمت ترجمته »
(١٥ - فصح الطيب - ذلك)

الْأَمْرِ مَعَهُ ، وَمُشَارِكِهِ فِي التَّدْبِيرِ إِذَا حَضَرَ مُجْتَمَعُهُ ، مُنَافَسَةً ،
لَمْ تَنْفَصِلْ لَهُمَا بِهَا مُدَاخَلَةٌ وَلَا مُلَابَسَةٌ ، وَكِلَاهُمَا يَتَرَبَّصُ
بِصَاحِبِهِ ^(١) دَارَةَ السَّوْءِ ، وَيَنْصُثُ مِنْهُ غُصَصُ الْأَفْقِ بِالنَّوَى ^(٢) ،
فَاجْتَازَ يَوْمًا إِلَى رَبِيعِهِ ، وَمَالَ إِلَى زِيَارَتِهِ وَلَمْ تَكُنْ مِنْ
غَرَضِهِ ، فَلَمَّا اسْتَأْمَرَ ^(٣) عَلَيْهِ ، تَأَخَّرَ خُرُوجُ الْأَذْنِ إِلَيْهِ ،
فَتَنَى عِنَانَهُ حَقًّا ^(٤) عَلَى حُجَابِهِ ، وَضَجَّرَا مِنْ حِجَابِهِ ^(٥) ،
وَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعْرَضًا - وَكَانَ يُلَقَّبُ بِالْحِمَارِ - :

أَتَيْنَاكَ لَاعْنِ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَنَا إِلَيْكَ وَلَا قَلْبَ إِلَيْكَ مَشُوقٍ
وَلَكِنَّا زُرْنَا بِفَضْلِ حُلُومِنَا

فَكَيْفَ تُتَلَّاقِي بَرًّا نَا بِعُقُوقٍ ^(٦) !؟

فَرَاغَهُ ابْنُ جَهْوَرٍ يَنْصُثُ ^(٧) مِنْهُ ، بِمَا كَانَ يَشِيعُ عَنْهُ ،

(١) يتربص به البائرة: ينتظر وقوع المكروه له ونزول البلاء به (٢) النوى: المطر ، وغص إذا شرق: يريد أن كليهما يجد الآخر كأنه غصة في صدره وشجاف في حلقه، ويثلى منه غماو غيظا. وفي الأصل «ينص فيه» ولعلها محرفة عن «منه» (٣) الاستأمر والاستئثار للساورة والتأمر (٤) حقا: غيظا ، وثنى عنانه: أى انصرف عائدا (٥) فى الأصل أحجابه ، وفى اللطمة حجابه ولا بأس بها ، وخير منهما أن تكون محرفة عن «أحجابه» أى الذين كان معهم يأتمرون به ، وهم لا يخفون على أبى عامر (٦) العقوق: الخلف والعصيان والقطعية ، و عدم البر والعلة (٧) ينص منه: ينقص ويضع من قدره .

بِأَنَّ جَدَّهُ أَبَا هِشَامٍ ، كَانَ يَطَّارًا بِالشَّامِ ، يَقُولُهُ :

حَجَبْنَاكَ لَمَّا زُرْتَنَا غَيْرَ تَائِقٍ ^(١)

بِقَلْبٍ عَدُوٍّ فِي ثِيَابٍ صَدِيقٍ ^(٢)

وَمَا كَانَ يَطَّارُ الشَّامِ بِمَوْضِعٍ

يُبَاشِرُ فِيهِ بَرًّا نَا بِخَلِيقٍ

وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ يَتَنَزَّلُ :

خَلَفْتُ بَعْنَ رَمَى فَأَصَابَ قَلْبِي

وَقَلْبُهُ عَلَى جَبْرِ الصُّدُودِ

لَقَدْ أَوْدَى تَذَكُّرُهُ بِجِسْمِي ^(٣)

وَلَسْتُ أَشْكُ أَنَّ النَّفْسَ تُودِي

(١) ناق إليه إذا اشتاق وزعت نفسه إليه (٢) من قول أبي نواس :

إذا استحسن الدنيا ليبت تكشفت له عن عدو في ثياب صديق
ومثله لبعض الأدباء :

وإذا سمعت من الرجال حديثهم ان كان يخبث قولهم أو ينفس
أدركت ما عوى الصدور فرما نطق اللسان بما تكن الأنفس
وجه الغنى كصحيفة ولطالما قرأ الضمير بها اليب الأكرس
ولرب ذي خفن تبسم شعره ملقا وفي ثوبه ذتب أطلس
كالخية الرقطاء في أنيابها سم زعاف لان منها لللس

(٣) في الأصل « قلبي » وفي اللطمح « بئلى » وكلاهما تحريف - وفي بنية
اللمتس « بجسمي » وهو للناسب للغنى واللباق « أحد يوسف نجاني »

فَقِيدٌ وَهُوَ مَوْجُودٌ بِقَلْبِي
فَوَاعَجِبَا لِمَوْجُودٍ فَقِيدٍ !
وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى هَدِيَّةِ ابْنِ شُهَيْدٍ وَبَعْضِ
أَخْبَارِهِ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ -

الحكم المستنصر بالله ابن الناصر
وَلَمَّا تُوُفِّيَ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ تَوَلَّى الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ وَلِيَّ
عَهْدِهِ الْحَكْمُ الْمُسْتَنْصَرُ بِاللَّهِ * فَجَرَى عَلَى رَسْمِهِ، وَلَمْ يُقَدِّ

* ترجم له في كتاب تاريخ العرب والاسلام لابن العيون « ج ٢
ص ١٢٦ » بما يأتي

الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر لدين الله،
تولى الحكم بعد وفاة أبيه من سنة خمسين وثلاثمائة الى سنة ست وستين
وثلاثمائة، فسار على نهج سالفه وأعمل فكره فيما فيه سعادة الرعية،
وكثرة المنافع العامة، ورغب عن الزخرفة والترَف، وفي أول عهده طمع
فيه بعض الملوك المجاورين له فأراهم عين القوة، فأذعنوا له، وأهدوا
إليه هدايا جمعت أنقر الآثار، فحمل رسلهم أحسن محمل وأجزل عطاءهم
وكان يحب العلم ويكرم العلماء ويضد المؤلفين، فلقد أهدى لصاحب كتاب
الأنغاني ألف دينار من الذهب العين، وعنى بجمع الكتب عناية كبرى
حتى كان عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعة وأربعين فهرسا
توفى - رحمه الله تعالى - بقرطبة سنة ست وستين وثلاثمائة

مِنْ تَرْتِيْبِهِ إِلَّا شَخْصُهُ ، وَوَلَّى حِجَابَتُهُ جَعْفَرُ الْمُصْحَفِيِّ (١) ،
وَأَهْدَى لَهُ يَوْمَ وَلَايَتِهِ هَدِيَّةً كَانَتْ فِيهَا مِنَ الْأَصْنَافِ
مَا ذَكَرَهُ ابْنُ حَيَّانٍ فِي الْمُقْتَبَسِ : وَهِيَ مِائَةُ مَمْلُوكٍ مِنْ
الْإِفْرِنجِ نَاشِبَةٍ (٢) عَلَى خِيُولٍ صَافِيَةٍ (٣) كَامِلُو الشُّكَّةِ
وَالْأَسْلِحَةِ مِنَ السُّيُوفِ وَالرُّمَاحِ وَالسَّرَقِ (٤) وَالْأَتْرَاسِ
وَالْقَلَانِسِ الْهِنْدِيَّةِ ، وَثَلَاثُمِائَةٍ وَتَيْفٌ وَعِشْرُونَ دِرْعًا مُخْتَلِفَةً
الْأَجْنَاسِ . وَثَلَاثُمِائَةٍ خُوْذَةٍ (٥) كَذَلِكَ ، وَمِائَةُ يَبْضَةٍ
هِنْدِيَّةٍ ، وَخَمْسُونَ (٦) خَشِيْبَةً مِنْ يَبْضَاتِ الْفَرَنْجَةِ مِنْ غَيْرِ

(١) في الأصل جعفر « العقلي » وهو تحريف فاحش - وهو أبو الحسن
جعفر بن عثمان المعروف بابن الصحفى كان من أهل العلم والأدب البارع وله
شعر بديع يدل على رقة طبعه وسعة أدبه ، وسيأتى حديث عنه في الذمخ
(٢) ناشبة : رامية بالنشاب ، ووزن فاعل هنا للنسب نحو تامر ولابن ، والنشاب
السهم (٣) خيول صافنة : كل منها قائم على ثلاث قوائم وطرف حافر
الرابعة دون قيد بيد أو رجل وهو أمانة النشاط والفراة :

ألف الصقون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كبيرا

(٤) البرقة : الحجة تتخذ من جلود ليس فيها خشب ولا عقب ، والحجة
ترس من جلد بلا خشب ولا عقب (٥) الخوذة : للفقر ما يجعله المحارب
على رأسه ليقيه « وهو لفظ مغرب » وكذا البيضة (٦) كذا بالأصل وفى ابن
خلدون « وخمسون خوذة حبشية من حبشيات الفرنجة غير الحبش التي
يسمونها الطاشانية » وما فى الأصل هنا أظهر

أَلْخَسْبِ يُسْمَوْنَهَا الطَّاشَانِيَّةُ^(١) ، وَلَثَلْمَائَةِ حَرَبِيَّةٍ إِفْرَنْجِيَّةٍ ،
وَمِائَةِ ثُرَيْسٍ سُلْطَانِيَّةٍ ، وَعَشْرَةُ جَوَاشِينَ^(٢) فِضَّةٍ مُذَهَّبَةٍ ،
وَحَمْسَةُ وَعِشْرُونَ قَرْنًا مُذَهَّبَةً مِنْ قُرُونِ الْجَامُوسِ . اِنْتَهَى .



فَوُحِشَ الْحَكْمُ
لِلْمُسْتَنْصَرِ بَاقِ
قَالَ ابْنُ خَلْدُونٍ : وَلِأَوَّلِ وَقَاةِ النَّاصِرِ طَمِيعَ الْجَلَالَةِ
فِي الثُّغُورِ ، فَزَارَ الْحَكْمَ الْمُسْتَنْصَرُ بِنَفْسِهِ وَأَقْتَمَ بَلَدَ
« فِرْلَنْدِينَ عِنْدَ شَاب »^(٣) فَتَازَلَ شَنْتَ أَشْتِينَ^(٤) وَقَفَّحَهَا عَنْوَةً
وَأَسْبَحَاهَا وَقَلَ ، فَبَادَرُوا إِلَى عَقْدِ السَّلَامِ مَعَهُ ، وَأَتَقَبَّضُوا عَمَّا
كَانُوا فِيهِ . ثُمَّ أَغْزَى غَالِبًا مَوْلَاهُ بِلَادَ جَلِيْقِيَّةَ ، وَسَارَ إِلَى
مَدِينَةِ سَالِمٍ^(٥) لِادْخُولِ دَارِ الْحَرْبِ ، فَجَمَعَ لَهُ الْجَلَالَةُ

(١) في الأصل « الطشطانة » (٢) الجوشن : البرع أو زرد يلبسه الصر
والخيزوم (٣) كذا بالأصل وعرضه « فرند » أمير قشتالة (٤) شنت
استباني Saint Sebastien أو San Steban يسمى بهذا الاسم
عدة مواضع بأسبانيا منها واحد بشمالها الغربي وواحد بإقليم شلفنقة
بأسبانيا الغربية ، ومنها موضع بإقليم وشقة في الشمال الشرقي ومنها اثنان
بقشتالة القديمة ، وأشهر هاهنا الثغر الواقع على بحر برديل « خليج غسقونيا »
إلى الشمال الشرقي من برغش « من بلاد قشتالة » وقد وصلت جيوش
الحكم إلى هذه المدينة كما وصلت زمن للنصور بن أبي عامر إلى « شانت
ياقوب » في طرف الشمال الغربي (٥) على نهمة متفرع من نهر طرطوشة
وتقدم القول فيها

وَلَقِيَهُمْ فَهَزَمَهُمْ وَأَسْتَبَاحَهُمْ، وَأَوْطَأَ الْمَسَاكِرَ بِلَدٍ فَرَدَنَدَ
وَدَوَّخَهَا، وَكَانَ شَانْجَةُ بْنُ رُذَمِيرَ مَلِكُ الْبَشْكَنْسِ^(١) قَدْ
أَتَقَضَ، فَأَغْزَاهُ الْحَكَمُ الثَّجِيي^(٢) صَاحِبَ سَرُفْسَطَةَ فِي
الْمَسَاكِرِ، وَجَاءَ مَلِكُ الْجَلَالَةِ لِنَصْرِهِ فَهَزَمَهُمْ وَأَمْتَمُوا
بِقُورِيَّةِ^(٣) وَعَاثُوا فِي نَوَاحِيهَا - وَقَتْلَ. ثُمَّ أَغْزَى الْحَكَمُ
أَحْمَدَ بْنَ يَمْلَى وَيَحْيَى بْنَ مُحَمَّدٍ الثَّجِييِّ إِلَى بِلَادِ بَرْشُلُونَةَ،
فَنَاصَتْ الْمَسَاكِرُ فِي نَوَاحِيهَا. وَأَغْزَى هُذَيْلُ بْنُ هَاشِمٍ
وَمَوْلَاهُ غَالِبًا إِلَى بِلَادِ الْقَوْمَسِ، فَمَاتَ فِيهَا وَقَتْلًا. وَعَظُمَتْ
قُتُوحَاتُ الْحَكَمِ وَقُودِ الثُّغُورِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَكَانَ مِنْ
أَعْظَمِهَا فَتَحُ قُلْمَرِيَّةِ^(٤) مِنْ بِلَادِ الْبَشْكَنْسِ عَلَى يَدِ غَالِبِ،
فَعَمَّرَهَا الْحَكَمُ وَأَعْتَى بِهَا. ثُمَّ فَتَحَ قَطُورِيَّةَ^(٥) عَلَى يَدِ قَائِدِ

(١) بالشمال الشرقي (٢) يحيى بن محمد (٣) مدينة من نواحي
حارثة وهي النصف بينها وبين سمورة مدينة الافرنج (٤) مدينة
من بلاد البرتغال Coimbra الى الشمال من أشبونة في نحو منتصف
المسافة بين مدينة برغال ومدينة أشبونة على نهر في وسط البلاد يصب
في المحيط - وهي الآن دار العلم ومحط رحال للعالم في بلاد البرتغال بها
كثير من الجامعات وللتأخف وبها بستان بديع يقصده الزائرون (٥) كنا
بالأصل والتحرّف في ابن خلدون أشد. وأظنها « قطلونية » الاقليم
الذي به برشلونة وطركونة بالشمال الشرقي

وَشَقَّةٌ^(١)، وَغَنَمٌ فِيهِمِنَ الْأَمْوَالِ وَالسَّلَاحِ وَالْأَقْوَاتِ وَالْأَنْثِ
وَفِي بَسِيطِهِ مِنَ النَّعَمِ وَالْبَقَرِ وَالرَّمَكِ^(٢) وَالْأَطِمْعَةِ وَالسَّيِّ
مَا لَا يُحْصَى

« وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ » سَارَ غَالِبٌ إِلَى بَلَدِ أَلْبَةِ^(٣)
وَمَعَهُ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّجِيبِيُّ، وَقَاسِمُ بْنُ مُطَرِّفٍ بْنِ ذِي الثَّنُونِ،
فَأَبْتَنَى حِصْنَ غُرْمَاجٍ وَدَوَّخَ بِلَادَهُمْ وَأَنْصَرَفَ. وَظَهَرَتْ فِي
هَذِهِ السَّنَةِ مَرَاكِبُ الْمَجُوسِ فِي الْبَحْرِ الْكَبِيرِ، وَأَفْسَدُوا
بَسَاطِطَ أَشْبُونَةَ، وَنَاشَبَهُمُ النَّاسُ الْقِتَالَ، فَرَجَعُوا إِلَى
مَرَاكِبِهِمْ، وَأَخْرَجَ الْحَكَمُ الْقَوَادِ لِاخْتِرَاسِ السَّوَاكِحِ

(١) وشقة بلدة بالشمال الشرقي شرقي طليطة « بأرغون »
(٢) جمع رمكة وهي الفرس والبرذونة التي تتخذ للفيل « وهو
لفظ معرب » (٣) ألبه Alaba تقدم التعريف بها وأنها إلى الشمال
الشرقي بين وادي نهر ابره Ebre « أو وادي نهر طرطوشة قريبا
من منابه » وسفوح جبال البرت وعندها انتهت فتوحات العرب
بالاندلس - وبذلك الجهات حصن غرماج ، وبه توفي غازيا
أبو الربيع سليمان بن ابراهيم بن هلال القيسي من أهل طليطة : كان
رجلا صالحا ورعا زاهدا متمسكا بدينه لا يزال لسانه رطبا بتلاوة القرآن
الكريم مشاركا في التفسير والحديث فرق جميع ماله واقطع الى الله عز
وجل ولزم للرابطة بالنور حتى توفي بحصن غرماج - رحمه الله تعالى - ويقال
ان نصارى هذه الاعضاء يقصدونه ويتركون قبوره . وبالأصل « عرماج »
بالعين للمهله وهو تحريف . « أحمد يوسف نجاتي »

وَأَمَرَ قَائِدَ الْبَحْرِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ رُمَاحِسٍ ^(١) بِتَجْيِيلِ حَرَكََةِ
الْأَسْطُولِ ^(٢)، ثُمَّ وَرَدَتْ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ الْعَسَاكِرَ نَالَتْ مِنْهُمْ
مِنْ كُلِّ جِهَةٍ مِنَ السَّوَاوِلِ. ثُمَّ كَانَتْ وَقْدَةُ أَرْدُونَ بْنِ
أَذْفُونِشَ مَلِكِ الْجَلَالَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّاصِرَ لَمَّا أَعَانَ عَلَيْهِ
شَانِجَةَ بْنَ رُذَيمِرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ وَهُوَ الْمَمْلُوكُ مِنْ قَبْلِ أَرْدُونَ،
وَحَمَلَ النَّصْرَانِيَّةَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَسْتَظْهَرَ ^(٣) أَرْدُونُ بِصِهْرِهِ

(١) لعله من ذرية عبدالرحمن بن الرماحس بن الرسارس بن السكران بن
وافد بن وهيب بن جابر بن عويبة بن واثلة بن الفاكه بن عمرو بن الحارث
ابن كنانة والرماحس معناه في اللغة الشجاع الجريء للقدام ، والأسد ،
والرماحس بن عبد العزيز بن الرماحس بن الرسارس الكناني كان على شرطة
مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء بني أمية. وتقدم أن المجوس
هؤلاء هم النورمان (٢) اطلاق هذا الاسم على المركب الحربى للعدا للقتال في
البحر وقع في الشعر العربي بعد العصر الأول في كلام اللولدين ولم يرد في
شعر عربي قديم ومنه قول علي بن محمد الأيادي يصف أسطول الامام القائم
الفاطمي المتوفى سنة ٣٣٤ من قصيدة مطلعها :

اعجب بأسطول الامام محمد ويحسنه وزمانه المستغرب
لبسته الأمواج أحسن منظر يبدو لعين الناظر المستعجب
ومنها :

يفعن فيما بينهن لطافة ويجئن فصل الطائر للمستغرب
كنضا ناض الحيات رحن لو اغيا حتى يقفن يرد ماء للشرب
(٣) استظهر : استعان

فِرْدَلَنْدَ قَوْمَسِ قَشْنِيَلَهٗ، تَوَقَّعَ مُظَاهَرَةَ الْحَكَمِ لِشَانْجَهٗ كَمَا
ظَاهَرَهُ أَبُوهُ النَّاصِرُ، فَبَادَرَ إِلَى الْوِفَادَةِ عَلَى الْحَكَمِ مُسْتَجِيرًا
بِهِ، فَاحْتَقَلَ لِقَاؤُهُ، وَعَبَّى السَّاكِرَ^(١) لِيَوْمِ وِفَادَتِهِ،
وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا وَصَفَهُ ابْنُ حَيَّانَ كَمَا وَصَفَ أَيَّامَ
الْوِفَادَاتِ قَبْلَهُ، وَوَصَلَ إِلَى الْحَكَمِ وَأَجْلَسَهُ وَوَعَدَهُ بِالنَّصْرِ
مِنْ عَدُوِّهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَكَتَبَ بِوُصُولِهِ^(٢) مُلْقِيًا بِنَفْسِهِ،
وَعَاقَدَهُ عَلَى مُوَالَاةِ الْإِسْلَامِ وَمُقَاطَعَةِ فِرْدَلَنْدَ الْقَوْمَسِ،
وَأَعْطَى عَلَى ذَلِكَ صَفْقَةً^(٣) يَمِينِهِ، وَرَهْنَ وَلَدَةِ غَرَسِيَّةَ، وَدُفِعَتِ
الْصَّلَاتُ وَالْحُمْلَانُ^(٤) لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ، وَأَنْصَرَفَ مَعَهُ وَجُوهُ
نَصَارَى النَّمَةِ لِيُوطِدُوا^(٥) لَهُ الطَّاعَةَ عِنْدَ رَعِيَّتِهِ وَيَقْبِضُوا
رَهْنَهُ، وَعِنْدَ ذَلِكَ بَعَثَ ابْنُ عَمِّهِ شَانْجَهٗ بْنَ رُذْمِيرَ بَيْعَتِهِ

(١) عبي السَّاكِرِ وعَبَّاهُمْ : جهزهم وأعدهم (٢) في ابن خلدون : وخلع
عليه لما جاء ملقيا بنفسه الخ (٣) يقال : أصفق يده بكنا إذا تفق عليه ،
وأصفقوا على كذا إذا طبقوا عليه واجتمعوا - والصفقة الاجتماع على الشيء
والاتفاق عليه - وصفق على يده صفقا وصفقة إذا ضرب يده على يده وذلك عند
وجوب البيع وتامه والاتفاق عليه (٤) الحملان (بضم الحاء) ما يحمل عليه
من الدواب في الهبة خاصة (٥) في ابن خلدون : ليوطنوا ، وذلك سنة ٣٥١

وَطَاعَتِهِ مَعَ قَوَامِسِ أَهْلِ جَلِيقِيَّةَ وَسَمُورَةَ وَأَسَاقِصَتِهِمْ^(١)
يَرْغَبُ فِي قَبُولِهِ، وَيَسْتُ^(٢) بِمَا فَعَلَ أَبُوهُ النَّاصِرُ مَعَهُ، فَتَقَبَّلَ
يَعْتَمَهُمْ عَلَى شُرُوطٍ شَرَطَهَا، كَانَ مِنْهَا هَدْمُ الْخُصُونِ وَالْأَبْرَاجِ
الْقَرِيَّةِ مِنْ ثُغُورِ الْمُسْلِمِينَ . ثُمَّ بَسَتْ مَلِكًا بَرْشَلُونَةَ
وَطَرَ كُونَةَ^(٣) وَغَيْرُهُمَا يَسْأَلَانِ تَجْدِيدَ الصُّلْحِ وَإِقْرَارَهُمَا
عَلَى مَا كَانَا عَلَيْهِ ، وَبَعَثَا هَدِيَّةً وَهِيَ عِشْرُونَ صَبِيًّا مِنْ
الْخُصْبَانِ الصَّقَالِبَةِ، وَعِشْرُونَ قِنْطَارًا مِنْ صُوفِ السَّمُورِ ،
وْخَمْسَةُ قَنْطَارٍ مِنَ الْقَصْدِيرِ ، وَعَشْرَةُ أَذْرُعٍ صَقْلِيَّةٍ ، وَمِائَتَا
سَيْفٍ إِفْرَنْجِيَّةٍ ، فَتَقَبَّلَ الْهَدِيَّةَ ، وَعَقَدَ^(٤) عَلَى أَنْ يَهْدِمُوا

(١) الاساقفة : جمع أسقف وأسقف «بتشديد الفاء وتخفيفها» وهو ما كان
فوق القيس ودون الطران، وقد تطلق على المطران نفسه ، وعلى الملك
المتخاضع في مشيئته، وهو لفظ معرب تكلموا به قديما (٢) مت اليه بكذا :
توسل وتوصل بنحو قرابة أو حرمة أو دالة أو غير ذلك :

نمت بأرحام اليك وشيخة ولاقرب بالأرحام مالم تقرب

واللأمة الحرم والوسيلة ، وجمعها موات (٣) بلدة متصلة بأعمال طرطوشة
وهي مدينة قديمة على شاطئ البحر جنوبي برشاونة منها نهر علان يصب
مشرقا الى نهر ابره وهو نهر طرطوشة وهي بين طرطوشة وبرشاونة وبين
كل واحدة منهما ١٧ فرسخا (٤) في ابن خلدون : وعقد لهم على أن
يهلما الحصون التي بقرب الثغور الخ

الْحُصُونِ الَّتِي تَصُرُّ بِالثُّمُورِ، وَالْأَيْطَاهِرُوا عَلَيْهِ أَهْلُ
مِلَّتِهِمْ، وَأَنْ يُنْذِرُوا بِمَا يَكُونُ مِنَ النَّصَارَى فِي الْإِجْلَابِ^(١)
عَلَى الْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ وَصَلَتْ رَسُولُ غَرْسِيَّةَ بْنِ شَانَجَةَ مَلِكِ
الْبَشَكَنْسِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَسَاقِفَةِ وَالْقَوَامِسِ يَسْأَلُونَ
الْصَّلَحَ - بَعْدَ أَنْ كَانَ تَوَقَّفَ وَأُظْهِرَ الْمَكْرَ - فَقَعْدَ^(٢) لَهُمْ
الْحُكْمَ، فَاجْتَبَطُوا وَرَجَعُوا. ثُمَّ وَقَدَّتْ عَلَى الْحُكْمِ أُمُّ لُذَرِيقَ
ابْنِ بِلَاشِكِ^(٣) الْقَوْمِسِ بِالْقُرْبِ مِنْ جِلْقِيَّةَ - وَهُوَ الْقَوْمِسُ
الْأَكْبَرُ - فَأَخْرَجَ الْحُكْمُ لِنَلْقِيهَا أَهْلَ دَوْلَتِهِ، وَاجْتَمَعَ
لِقُدُومِهَا فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ مَشْهُورٍ، فَوَصَلَتْ وَأُسْنِفَتْ،
وَعَقِدَ السَّلَامُ لَابْنِهَا كَمَا رَغِبَتْ، وَدَفَعَ لَهَا مَالًا يُقَسِّمُهُ بَيْنَ
وَفْدِهَا دُونَ مَا وَصَلَتْ بِهِ هِيَ، وَجُمِلَتْ عَلَى بَغْلَةٍ فَارِهِةٍ
بِسَرَجٍ وَلِجَامٍ مُثْقَلَيْنِ بِالذَّهَبِ وَمِلْحَفَةٍ دِيْبَاجٍ، ثُمَّ عَاوَدَتْ
مَجْلِسَ الْحُكْمِ لِلْوَدَاعِ فَعَاوَدَهَا بِالصَّلَاتِ لِسَفَرِهَا وَأَنْطَلَقَتْ.

ثُمَّ أَوْطَأَ عَسَاكِرُهُ الْأَرْضَ الْمُدَوَّةَ مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى

غزوة البدوة
بالغرب الأقصى

(١) أجلب عليه إذا توعدته بشر أو جمع له الجوع ، وفي التنزيل :

«وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ» ، أي اجمع عليهم وتوعدهم بالشر (٢) في

الأصل (فَعَقَدَ) محرفة (٣) في ابن خلدون : بلا كش

وَالْأَوْسَطِ ، وَتَلَقَّى دَعْوَتَهُ مُلُوكُ زَنَاقَةَ مِنْ مَرَاوَةِ وَمِكنَاسَةَ
فَبَشَّوْهَا فِي أَعْمَالِهِمْ وَخَطَبُوا بِهَا عَلَى مَنَابِرِهِمْ ، وَزَاحَمُوا بِهَا
دَعْوَةَ الشَّيْعَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ . وَوَقَدْ عَلَيْهِ مِنْ بَنِي خَزَرَ (١) وَبَنِي

(١) في الاصل « الحرز » محرفة وفي ابن خلدون : ووقد عليه ملوكهم من
آل خزر الخ . وخلاصة المروفي في التاريخ أنه لما انتقض للغرب على المعيديين
وقفت فيه دعوة الأمويين بالاندلس نار بمدينة سجلماسة قائم من ولد
الشاذلي « محمد بن الفتح بن ميمون بن مبرار بن البع من ملوك البربر »
وتلقب بالنصر بالله ، ثم وب عليه أخوه أبو محمد سنة ٣٥٢ فقتله وقام بالامر
مكانه وتلقب المعتز بالله وأقام على ذلك مدة ، وكان أمر مكناسة يومئذ
قد تداعى الى الانحلال وأمر زنادة قد استفحل بالمغرب الى أن زحف
« خزرون » بن فلزول من ملوك مراوطة الى سجلماسة سنة ٣٦٦ وبرز
اليه أبو محمد للمعز فهزمه « خزرون » وقتله واستولى على بلده وبث
برأسه الى قرطبة مع كتابه بالفتح « وكان ذلك لأول حجابة للنصور بن أبي
عمر بقرطبة » ففقد لخزرون على سجلماسة وأعمالها وجاء عهد الخليفة
بذلك فأقام دعوة هشام بن الحكم في نواحيها وضبطها وقام بأمرها الى
أن توفى فكانت أول دعوة أقيمت لهم في أمصار المغرب الأقصى ،
واقترض أمر مكناسة من المغرب أجمع ، وانتقلت الدولة الى مراوطة وبني
يفرن . وبعد وفاة خزرون ولي أمر سجلماسة ابنه « وانودين بن خزرون »
الح وفي سنة ٤٤٦ دخلت سجلماسة في ملك المرابطين لأول أمرهم
واقترضت دولة بني خزرون منها وتداولها من بعدهم من ملوك اللوحدين
ثم ملوك بني مرين . اه ملخصا من صبح الأعشى وتاريخ ابن خلدون
وغيرهما . « أحمد يوسف نجاني »

أَبِي الْعَافِيَةِ^(١) ، فَأَجَزَلَ صِلَتَهُمْ وَأَكْرَمَ وَقَادَهُمْ وَأَحْسَنَ
مُنْصَرَفَهُمْ . وَاسْتَنْزَلَ بَنِي إِدْرِيسَ^(٢) مِنْ مُلْكِهِمْ بِالْمُدَوَّةِ
فِي نَاحِيَةِ الرَّيْفِ ، وَأَجَازَهُمُ الْبَحْرَ إِلَى قُرْطُبَةَ ، ثُمَّ أَجْلَاهُمْ
إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ .

وَكَانَ مُجِبًّا لِلْعُلُومِ مُكْرِمًا لِأَهْلِهَا ، جَمَاعًا لِلْكِتَابِ فِي
أَنْوَاعِهَا بَمَا لَمْ يَجْمَعُهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ . قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ
حَزْمٍ : أَخْبَرَنِي تَلِيدُ النَّصِيِّ - وَكَانَ عَلَى خِزَانَةِ الْعُلُومِ

شفيع الحكم
بالمعلوم

(١) هو موسى بن أبي العافية من مكناسة من قبائل البربر وكان أميراً
على مكناسة بعد أن استنزل مصالة بن حبيوس « البربري الذي كان من
أكبر فواد عبيد الله المهدي » يحيى بن إدريس بفاس إلى طاعة المهدي
سنة ٣٠٥ وعقد لابن عمه موسى بن أبي العافية على مكناسة وسائر
ضواحي المغرب وأمصاره وأجلى موسى الإدارة عنه ، ثم خطب للخليفة
الناصر الأموي . وبعد حوادث استفحل أمر ابن أبي العافية بالمغرب
الاقصى واتصل عمله بعمل محمد بن خزر ملك مفاوة وماحب المغرب
الاطوسط وبثوا دعوة الأموية في أعمالها ، وتوفي موسى سنة ٣١٧ وقام
بالأمر بعده ابنه مدين وتوفي سنة ٣٤٥ فقد الناصر لآخيه أي جعله على
عمله حتى تقلب على فاس وأعمالها مفاوة ، ثم بنوزيري بن عطية بن
عبدالله بن خزر بن محمد بن خزر بن حفص من زناتة . « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) الإدارة هم بنو إدريس الأكبر بن حسن بن حسن بن الحسن بن
علي بن أبي طالب ، كان لهم دولة بالمغرب من سنة ١٧٠ إلى زمن
الحكم كما هنا

وَالْكِتَابِ بِدَارِ بَنِي مَرْوَانَ - أَنَّ عَدَدَ الْفَهَارِسِ ^(١) الَّتِي فِيهَا تَسْمِيَةُ الْكِتَابِ أَرْبَعٌ وَأَرْبَعُونَ فَهْرَسَةً ، وَفِي كُلِّ فَهْرَسَةٍ عِشْرُونَ وَرَقَةً لَيْسَ فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ أَسْمَاءِ النَّوَاوِينَ لَا غَيْرُ ، وَأَقَامَ لِلْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ سُوقًا نَافِقَةً ^(٢) جُلِبَتْ إِلَيْهِ بِضَائِعُهُ مِنْ كُلِّ قَطْرِ .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ خَلْدُونَ: وَلَمَّا وَقَدَّ عَلَى أَبِيهِ أَبُو عَلِيٍّ وَفُودًا بُوْعِيَ الْعَالِ
الْقَالِي صَاحِبُ كِتَابِ الْأَمَالِي مِنْ بَغْدَادَ أَكْرَمَ مَثْوَاهُ ^(٣)
وَحَسُنَتْ مَنَزِلَتُهُ عِنْدَهُ، وَأَوْرَثَ أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ عِلْمَهُ، وَأَخْصَصَ
بِالْحُكْمِ الْمُسْتَنْصِرِ وَاسْتَفَادَ عِلْمَهُ . وَكَانَ يَبْعَثُ فِي شِرَاءِ
الْكِتَابِ إِلَى الْأَنْطَارِ رِجَالًا مِنَ الثُّجَّارِ، وَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ

(١) الفهرس (بالكسر) الكتاب الذي تجمع فيه الكتب معرب ، وقد اشتقوا منه فلا فقالوا : فهرس كتابه فهرسة ، وقد يقال فهرسة للفهرس ، والكثير أن يقال فيه فهرست وجعل التاء أصلية ، ومعناها في اللغة جملة العدد للكتب ، والكلمة الفارسية الأصلية هي : (فهرست) ومعناها اجمال الأشياء لتعدد أسمائها وحصرها مطلقا على الترتيب
(٢) نافقة : رابحة (٣) أكرم مثواه : أكرم وقادته ، والثنوى : للنزل .
ومصدر ثوى أى أقام ، وقوله تعالى في سورة يوسف : « أحسن مثواي »
أى تولاني في طول مقامي بالأكرام

الْأَمْوَالِ لِشِرَائِهَا، حَتَّى جَلَبَ مِنْهَا إِلَى الْأَنْدَلُسِ مَا لَمْ
يَعْدُوهُ، وَبَثَّ فِي كِتَابِ الْأَقَانِي إِلَى مُصَنِّفِهِ أَبِي الْفَرَجِ
الْأَصْفَهَانِيَّ - وَكَانَ نَسَبُهُ فِي بَنِي أُمَيَّةَ - وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فِيهِ
بِأَلْفِ دِينَارٍ مِنَ الذَّهَبِ الثَّمِينِ، فَبَثَّ إِلَيْهِ بِنُسْخَةٍ مِنْهُ
قَبْلَ أَنْ يُخْرِجَهُ إِلَى الْعِرَاقِ. وَكَذَلِكَ فَعَلَ مَعَ الْقَاضِي
أَبِي بَكْرٍ الْأَبْهَرِيِّ^(١) الْمَالِكِيِّ فِي شَرْحِهِ لِمُخْتَصَرِ
أَبْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ^(٢)، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ. وَجَمَعَ بِدَارِهِ الْحُدَّاقَ
فِي صِنَاعَةِ النَّسْخِ، وَالْمَهْرَةَ فِي الضُّبْطِ وَالْإِجَادَةِ فِي التَّجْلِيدِ

(١) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح بن عمر بن حفص
ابن عمر بن مصعب بن الزبير بن سعد بن كعب ينسب إلى سعد
ابن زيد مناة بن تميم، الفقيه للمالكى المشهور كان مقدم أصحابه في وقته
ومن أهل العبادة والورع والزهد دعى إلى القضاء ببغداد فامتنع منه،
وكان مولده سنة ٢٨٩ وتوفى سنة ٣٧٥ وهو منسوب إلى مدينة أبهر
مدينة بين قزوین وزنجان وهذان من نواحي الجبل، والبعجم يسمونها
أوهر. وقال بعضهم إن أبهر مركب من آب وهو الماء، وهو وهى الرحا
كأنه ماء الرحا (٢) هو أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن
ليث بن رافع الفقيه للمالكى للصيرى كان أعلم أصحاب مالك بمختلف
قوله، وأفضت إليه رئاسة الطائفة للمالكية بعد أشهب، وروى عن مالك
للوطأ سماعاً، ولد سنة ١٥٠ وتوفى بمصر سنة ٢١٤ وقبره إلى جانب قبر
الامام الشافعى وتوفى ابنه عبد الرحمن سنة ٢٥٧ وقبره إلى جانب قبر أبيه

فَأَوْعَى مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَأَجْتَمَعَتْ بِالْأَنْدَلُسِ خَزَائِنُ مِنْ
الْكِتَابِ لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِهِ وَلَا مِنْ بَعْدِهِ ، إِلَّا
مَا يُذَكِّرُ عَنِ النَّاصِرِ الْعَبَّاسِيِّ ابْنِ الْمُسْتَضَى ^(١) ، وَلَمْ

(١) هو الامام المستضيء بالله الحسن بن يوسف للسنجد بن أحمد اللقيني
ابن عبد الله القائم بن القادر بن اسحق بن اللقندر بن المعتض بن اللوفى
ابن التوكل بن المتصم بن هرون الرشيد ، وكان عادلا حسن السيرة
رءوفا رحيا دمث الاخلاق موطأ الاكفاف ، وأمه أم ولد أرمنية اسمها
غضة ، بويج بالخلافة بعد وفاة والده للسنجد بالله فى شهر ربيع الآخر
سنة ٥٦٦ وفى أيامه زالت دولة العبيدين بمصر وخطب له بمصر والشام
والهين وبرقة ودانت الملوك لطاعته ، وكان يطلب الامام عبد الرحمن بن
الجوزى « للتوفى سنة ٥٩٧ » ويأمره بمقد مجلس الوعظ ومجلس حيثنذ
يسمع ، وتوفى رحمه الله سنة ٥٧٥ فبويج لولده الامام أحمد الناصر لدين
الله وطلت مدة خلافته نحو ٤٧ سنة ، وكان مع عنايته بالعلوم وجمع الكتب
بخلاف أبيه قاسيا شديدا خرب فى أيامه العراق وتفرق أهله فى البلاد ،
وتوفيت أمه زمرد سنة ٥٩٩ وتوفى ابنه الأمير على سنة ٦١٢ فوجد
عليه وجدا شديدا ، وأكثر الشعراء من للرأى فيه ، وكان الامام الناصر
أديبا يقول الشعر ويعنى به ، ولما استقر الملك الأفضل على الايوى بصرخد
سنة ٥٩٢ كتب الى الخليفة الامام الناصر يشكون عمه العادل أبى بكر
وأخيه العزيز عثمان « وهم ملوك الشام ومصر » وأول الكتاب :

مولاي ان أبا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حق على
فاظن الى حظنا الاسم كيف لقي من الآخر مالاقي من الاول
فكتب الامام الناصر جوابه :

وافى كتابك يا بن يوسف مبعثنا بالصدق يخبر أن أصلك طاهر

(١٦ - ضح الطيب - ثالث)

تَزَلْ هَذِهِ الْكُتُبُ بِقَصْرِ قُرْطَبَةَ إِلَى أَنْ يَسَعَ أَكْثَرُهَا
فِي حِصَارِ الْبَرْبَرِ ، وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهَا وَبَيْنَهَا الْحَاجِبُ وَاضِحٌ
مِنْ مَوَالِي الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ، وَهَبَ مَا بَقِيَ مِنْهَا
عِنْدَ دُخُولِ الْبَرْبَرِ قُرْطَبَةَ وَأَقْبَحَ مِنْهُمْ إِيَّاهَا عَنُوءَةً . انْتَهَى
كَلَامُ ابْنِ خَلْدُونَ بِبَعْضِ اخْتِصَارٍ .



« وَلْتَبْسُطِ الْكَلَامَ عَلَى الْحُكْمِ فَقُولُ » : إِنَّ الْحُكْمَ
الْمُسْتَنْصَرَ اعْتَلَى سَرِيرَ الْمَلِكِ ثَانِي يَوْمٍ وَقَفَ عَلَيْهِ يَوْمَ
الْخَمِيسِ ، وَقَامَ بِأَعْيَاءِ الْمَلِكِ أَتَمَّ قِيَامٍ ، وَأَقْعَدَ الْكُتُبَ إِلَى
الْأَفَاقِ بِتَمَامِ الْأَمْرِ لَهُ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى يَمِينِهِ ، وَأَسْتَقْبَلَ
مِنْ يَوْمِهِ النَّظَرَ فِي تَهْمِيدِ سُلْطَانِهِ ، وَتَقْصِيفِ مَمْلَكَتِهِ ، وَضَبْطِ
قُصُورِهِ ، وَتَرْتِيبِ أَجْنَادِهِ . وَأَوَّلُ مَا أَخَذَ الْبَيْعَةَ عَلَى مَقَالَةٍ

يَمِينَةِ الْمُسْلِمِ
الْمُسْتَنْصَرَ بِأَمْرِهِ

غصبوا عليها حقه اذ لم يكن بعد النبي له يثرب ناصر
ومن شره يشير الى ولده الظاهر :
بليت حتى يأتى الناس من خلدي يريد موتى وبالارواح أفديه
وتوفى الناصر سنة ٦٢٢ فقام بالامر بعده ولده الظاهر بأمر الله أبو نصر
محمد ولم تطل مدة خلافته سوى تسعة أشهر .

قَصْرِهِ الْفَتَيَانِ الْمَرْوْفَيْنِ بِالْخَلْفَاءِ الْأَكْبَرِ ، كَجَعْفَرٍ صَاحِبِ
الْخَيْلِ وَالطَّرَازِ ، وَغَيْرِهِ مِنْ عُظَمَائِهِمْ ، وَكَفَّلُوا بِأَخْذِهَا عَلَى
مَنْ وَرَاءَهُمْ وَتَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ طَبَقَتِهِمْ وَغَيْرِهِمْ ، وَأَوْصَلَ
إِلَى نَفْسِهِ فِي النَّيْلِ دُونَ هَؤُلَاءِ الْأَكْبَرِ مِنَ الْكُتَّابِ
وَالْوُصَفَاءِ وَالْمُقَدِّمِينَ وَالْمُرَفَّاءِ فَبَالِغُهُ ، فَلَمَّا كَمَلَتْ يَبْعَةُ
أَهْلِ قَصْرِهِ تَقَدَّمَ إِلَى عَظِيمِ دَوْلَتِهِ جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ^(١)
بِالْهُوْصِ^(٢) فِي أَخِيهِ شَقِيقِهِ أَبِي مَرْوَانَ عُبَيْدِ اللَّهِ الْمُتَخَلِّفِ
بِأَنْ يُلْزِمَهُ الْخُصُورَ لِلْبَيْعَةِ دُونَ مَعْدِرَةٍ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى مُوسَى
ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ حُدَيْرٍ بِالْهُوْصِ أَيْضًا عَنْ أَبِي الْأَصْبَغِ
عَبْدِ الرَّزِيزِ^(٣) شَقِيقَهُ الثَّانِي ، فَمَضَى إِلَيْهِمَا كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا فِي قَطِيعٍ مِنَ الْجُنْدِ ، وَاتَّيَا بِهِمَا إِلَى قَصْرِ مَدِينَةِ

(١) هو الحاجب أبو الحسن الوزير جعفر بن عثمان المعروف بابن المصحفي
وستأني ترجمته (٢) بالهوض في أخيه : بالاسراع اليه (٣) تقدمت ترجمته
هو وموسى بن أحمد بن حدير . ومن أسرة ابن حدير أبو عمر أحمد
ابن محمد بن سعيد بن موسى بن حدير من أهل قرطبة ولي خطة الوزارة
وأحكام اللظام وكان ملبا في أحكامه مهييا في الحق ، ولد سنة ٢٥٥ وتوفي
سنة ٣٢٧ وابنه أبو عثمان سعيد بن أحمد ولي أحكام الشرطة في صدر دولة الملويد
بالقهم لزمنه وواقبض عن الخمة الى وقاته وكان رجلا قاضيا زاهداذا حظ
من الفقه والحديث توفي سنة ٣٩٩ هذا ومن ذرية الناصر أبو الوليد هشام
ابن عبيد الله بن الناصر من أهل قرطبة كان من خير من بقي من أهل بيت

الزَّهْرَاءَ ، وَقَعَدَ غَيْرُهُمَا مِنْ وَجْهِ الرِّجَالِ فِي الْخَلِيلِ لِإِيَّانٍ
غَيْرِهِمَا مِنَ الْإِخْوَةِ - وَكَانُوا يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً - فَوَافَى جَمِيعَهُمْ
الزَّهْرَاءُ فِي اللَّيْلِ ، فَزَلُّوا فِي مَرَاتِبِهِمْ بِفُضْلَانٍ ^(١) دَارِ الْمَلِكِ ،
وَقَعَدُوا فِي الْمَجْلِسَيْنِ الشَّرْقِيِّ وَالْغَرْبِيِّ ، وَقَعَدَ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ
عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ فِي الْبَهْوِ الْأَوْسَطِ مِنَ الْأَنْبَاءِ الْمَذْمُومَةِ
الْقَبِيلَةِ الَّتِي فِي السَّطْحِ الْمُرْدِ ^(٢) فَأَوَّلُ مَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ
الْإِخْوَةُ فَبَايَعُوهُ وَأَنْصَرُوا لِصَحِيفَةِ الْبَيْعَةِ ، وَاتَّزَمُوا الْإِيمَانَ
الْمَنْصُوصَةَ بِكُلِّ مَا أُنْفَقَ فِيهَا ، ثُمَّ بَايَعَ بَعْدَهُمُ الْوُزَرَاءُ
وَأَوْلَادُهُمْ وَإِخْوَتُهُمْ ، ثُمَّ أَصْحَابُ الشَّرْطَةِ ، وَطَبَقَاتُ أَهْلِ

الخِلافة عفاها ومروءة وفضلا وأدبا وعناية بجمع الكتب ، وقد رغب
الخليفة سليمان في كتبه فقومت واشتراها . وتوفي سنة ٤٠٠ ، ومنهم
أبو مروان عبد الملك بن يزيد بن مروان بن عبد الرحمن بن مروان
ابن عبد الرحمن الناصر من أهل قرطبة كان ذاعنابة بالغة وآدابها وحفظها
والقيام عليها وألف كتابا في مثلها نحا فيه منحى أبي محمد البطليوسي على
حروف للمعجم وسماه « بحر الدرر وروض الفكر » كتب عنه في
سنة ٥٢١ هـ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد
ابن عبد الرحمن بن الحكم بن سليمان بن الناصر عبد الرحمن بن محمد
وكان حافظا لفقته على مذهب الإمام مالك مقدما فيه متفتنا في العلوم
والعارف توفي بمدينة قبرة سنة ٥٤٢ هـ « أحمد يوسف نجاشي » (١) فضلان دار
الملك : جمع فضيل : جائط قصير دون الحصن أودون سور البلد (٢) للمرد :
الأمس والتمريد في البناء : التلميس والتسوية ، وبناء عمود مطول على

الْخِدْمَةِ ، وَقَعَدَ الْأَخُوَّةَ وَالْوُرَرَاءَ وَالْوُجُوَّةَ^(١) عَنْ يَمِينِهِ
وَشِمَالِهِ ، إِلَّا عَيْسَى بْنَ فُطَيْسٍ^(٢) فَإِنَّهُ كَانَ قَائِمًا يَأْخُذُ الْبَيْعَةَ
عَلَى النَّاسِ ، وَقَامَ التَّرْتِيبُ عَلَى الرَّسْمِ فِي مَجَالِسِ الْأَخْتِفَالِ
الْمَعْرُوفَةِ ، فَاصْطَفَى فِي الْمَجْلِسِ الَّذِي قَعَدَ فِيهِ أَكْبَرُ الْفَتَيَانِ
يَمِينًا وَشِمَالًا إِلَى آخِرِ الْبَهْوِ ، كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى قَدَرِهِ فِي الْمَنْزِلَةِ ،
عَلَيْهِمُ الظَّهَائِرُ الْبَيَاضُ شِعَارُ الْحَزَنِ^(٣) ، قَدْ تَقَلَّدُوا فَوْضَهَا

(١) الوجوه : جمع وجه : سيد القوم . (٢) هو عيسى بن فطيس
ابن أصبغ بن فطيس بن سليمان ، واسم فطيس بن سليمان عثمان ، وفطيس
لقب له واسم في ولده ، ومن ذريته عبد الرحمن بن محمد بن عيسى
ابن فطيس قاضي الجماعة بقرطبة كان من جهاذة المحدثين وفحول العلماء
البرزخين للفتن في سائر العلوم ، جمع من الكتب في أنواع العلوم ما لم
يجمعه أحد من أهل عصره بالاندلس ، تولى قضاء قرطبة سنة ٣٩٤
مع خطئه العليا في الوزارة فاستقل بالعمل ونهض به على خير حال وذلك
في أيام للظفر عبد الملك بن أبي عامر قيم الدولة وتوفي صدر الفتنة البربرية
سنة ٤٠٢ ودفن بترية سلفه على باب منازلهم وقرب مسجدهم وصلى عليه
ابنه أبو عبد الله محمد - وكان مولده سنة ٣٤٨ ، وكان قبل القضاء صاحب
الظالم ، وابنه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن
فطيس كان من أهل اللغة والمعرفة والفهم سرى نفيلا سمع من أبيه وغيره
وتوفي سنة ٤٠٩ (٣) كان البياض شعار الحزن في الاندلس . واسمع
هذا التعليل البديع لابن شاطر السرقطى :

قد كنت لأدري لاية علة صار البياض لباس كل مصاب
حتى كساها الدهر سحق ملالة بياض من شيب لفقد شبابي
فذا تبين لي اصابة من رأى لبس البياض على نوى الاحباب

السُّيُوفَ ، ثُمَّ تَلَاهُمْ الْقَتِيَانُ الْوُصَفَاءَ عَلَيْهِمُ الدُّرُوعُ
السَّابِقَةُ^(١) وَالسُّيُوفُ الْحَالِيَةُ صَفَيْنِ مُنْتَظِمَيْنِ فِي السَّطْحِ ،
وَفِي الْفُصْلَانِ الْمُتَّصِلَةِ بِهِ ذَوُو الْأَسْنَانِ^(٢) مِنَ الْقَتِيَانِ الصَّقَالِيَةِ
الْخَصِيَانِ لِابْسِينَ الْبَيَاضِ بِأَيْدِيهِمُ السُّيُوفَ ، يُتَّصِلُ بِهِمْ
مَنْ دُونَهُمْ مِنْ طَبَقَاتِ الْخَصِيَانِ الصَّقَالِيَةِ ، ثُمَّ تَلَاهُمْ الرُّمَاهُ
مُتَّكِّينَ^(٣) قِسْمَهُمْ وَجِبَابَهُمْ ، ثُمَّ وَصَلَتْ صُفُوفُ هَؤُلَاءِ
الْخَصِيَانِ الصَّقَالِيَةِ وَصُفُوفُ الْعَبِيدِ الْفُحُولِ شَاكِينَ^(٤) فِي
الْأَسْلِحَةِ الرَّائِقَةِ وَالْمُدَّةِ الْكَامِلَةِ ، وَقَامَتِ التَّمِيسَةُ فِي دَارِ
الْجُنْدِ وَالْتَرْتِيبُ مِنْ رَجَالِهِ^(٥) الْعَبِيدِ عَلَيْهِمُ الْجَوَاشِيْنُ وَالْأَقْبِيَةُ
الْبَيْضُ ، وَعَلَى رُؤُوسِهِمُ الْبَيْضَاتُ الصَّقَلِيَّةُ ، وَبِأَيْدِيهِمُ الرُّؤُوسُ
الْمَلُونَةُ وَالْأَسْلِحَةُ الْمَزِينَةُ اتَّظَمُوا صَفَيْنِ إِلَى آخِرِ الْفَصْلِ^(٦) ،
وَعَلَى بَابِ السُّدَّةِ الْأَعْظَمِ الْبَوَابُونَ وَأَعْوَانُهُمْ ، وَمِنْ
خَارِجِ بَابِ السُّدَّةِ فُرْسَانُ الْعَبِيدِ إِلَى بَابِ الْأَقْبَاءِ^(٧) وَاتَّصَلَ

(١) السَّابِقَةُ : الطويلة الواسعة (٢) ذَوُو الْأَسْنَانِ : أصحاب الأعمار :
جمع سن وهو العمر أو مقدار في الناس وغيرهم ، مؤنثة : (٣) مُتَّكِّينَ :
متقلدين قد وضعوها على مناكبهم (٤) شَاكِينَ فِي الْأَسْلِحَةِ : أي
ذوي شوكة وحدة في أسلحتهم ، وزجل شاكي السلاح وشاتكه : أي حديده ،
والشاكي الأسد أيضا (٥) رَجَالُهُ الْعَبِيدُ : جمع راجل وهو خلاف الفارس
(٦) الْفَصْلُ : الحاجزين الشيئين والحد بين الأرضين ، وقد تقدم شرح
(الْفُصْلَانِ) (٧) جمع قبو وهو الطاق للمقود بضه الى بعض

بِهِمْ فُرْسَانُ الْحِثَمِ وَطَبَقَاتُ الْجُنْدِ وَالْعِيدِ وَالرَّمْلَةِ
مَوْكِبًا^(١) إِنْزَمَوْا كَيْبًا إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ الشَّارِعِ إِلَى الصَّخْرَاءِ.
فَلَمَّا تَمَّتِ الْبَيْعَةُ أُذِنَ لِلنَّاسِ بِالْإِقْتِضَاضِ إِلَّا الْأَخَوَةَ
وَالْوُزَرَءَ وَأَهْلَ الْخِدْمَةِ، فَإِنَّهُمْ مَكَثُوا بِقَصْرِ الزَّهْرَاءِ إِلَى
أَنْ أُحْتِمِلَ جَسَدُ النَّاصِرِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِلَى قَصْرِ قُرْبَةِ الدَّفْنِ
هُنَاكَ فِي تَرْبَةِ الْخُلَفَاءِ

«وَفِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ خَمْسِينَ» تَكَثَّرَتْ الْوُفُودُ بِبَابِ
الْحَكْمِ الْخَلِيفَةِ الْحَكَمِ مِنَ الْبِلَادِ لِلْبَيْعَةِ وَالْتِمَاسِ الْمَطَالِبِ مِنْ
أَهْلِ طُلَيْطَلَةَ وَغَيْرِهَا مِنْ قَوَاعِدِ الْأَنْدَلُسِ وَأَصْقَاعِهَا، فَتَوَصَّلُوا
إِلَى مَجْلِسِ الْخَلِيفَةِ بِمَخْضَرِ جَمِيعِ الْوُزَرَءِ وَالْقَاضِي مُنْذِرِ بْنِ سَعِيدٍ
وَالْمَلَأِ^(٢)، فَأَخَذَتْ عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةَ وَوَقَعَتِ الشَّهَادَاتُ فِي نُسْخَاهَا

«وَفِي آخِرِ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ» أَخْرَجَ
الْخَلِيفَةُ الْحَكَمُ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ مَوْلِيَهُ مُحَمَّدًا وَزِيَادًا ابْنَيْ
أَفْلَحِ النَّاصِرِيِّ بِكُتَيْبَةٍ^(٣) مِنَ الْحِثَمِ لَتَلْقَى غَالِبَ النَّاصِرِيِّ

خروج بني أفلح
الناصرى لى
غالب الناصرى

- (١) اللوكب : الجماعة ركباناً أو مشاة ، أو ركاب الأبل للزينة (٢) الملا :
الاشراف من القوم ووجوههم ورؤسائهم ومقدموهم الذين يرجع الى قولهم
(٣) الكتيبة : الجماعة من الجيش التقسمه

الَّذِي خَرَجُوا إِلَيْهِ - صَاحِبِ مَدِينَةِ سَالِمٍ - الْمُورِدِ لِلطَّاعَةِ
 أَرْدُونَ بَنِي أَذْفُونَشَ النَّحِيثِ فِي النَّوْلَةِ، أَلْتَمَكَ عَلَى
 طَوَائِفَ مِنَ الْأُمَمِ الْجَلَالَةِ، وَالْمَنَازِعِ لِابْنِ عَمِّهِ الْمَلِكِ
 قَبْلَهُ شَانْجَةَ بَنِي رُذَمِيرَ، وَتَبَرَّعَ هَذَا اللَّيْنُ أَرْدُونَ بِالْمَسِيرِ
 إِلَى بَابِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ مِنْ ذَاتِهِ غَيْرِ طَالِبٍ إِذْنٍ وَلَا مُسْتَظْهِرٍ
 بَعْدِهِ، وَذَلِكَ عِنْدَ مَا بَلَغَهُ اعْتِرَاضُ الْحُكْمِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ
 فِي عَامِهِ ذَلِكَ عَلَى الْفُرْوَإِلَيْهِ، وَأَخَذَهُ فِي التَّأْهِبِ لَهُ، فَاحْتَالَ
 فِي تَأْمِيلٍ ^(١) الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ وَالْإِرْتِمَاءِ عَلَيْهِ، وَخَرَجَ قَبْلَ
 أَمَانٍ يُمَقِّدُ لَهُ أَوْ ذِمَّةَ تَمَصُّمِهِ فِي عَشْرِينَ رَجُلًا مِنْ وَجُوهِ
 أَصْحَابِهِ تَكْنَفُهُمْ غَالِبُ النَّاصِرِيِّ الَّذِي خَرَجُوا إِلَيْهِ، فَجَاءَ
 بِهِ تَحْوِمَوَلَاءُ الْحُكْمِ، وَتَلَقَّاهُمْ أَبْنَا أَفْلَحَ بِالْجَيْشِ الْمَذْكُورِ
 فَأَنْزَلَاهُمْ، ثُمَّ تَحَرَّكَ بِهِمْ ثَانِي يَوْمٍ تَزُولُهُمْ إِلَى قَرْطُبَةَ،
 فَأَخْرَجَ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ إِلَيْهِمْ هِشَامًا ^(٢) الْمُصْحَقِّي فِي جَيْشِ

(١) التأميل : الرجاء (٢) هو جد أبي الوليد هشام بن محمد بن هشام بن
 محمد بن عثمان بن نصر بن عبد الله بن حميد بن سلمة بن عباد بن يونس القيسي
 المعروف بابن المصحقي من أهل قرطبة ، روى عن أبي الطرف بن فليس القاضي

عَظِيمٍ كَامِلِ التَّعْيَةِ ، وَتَقَدَّمُوا إِلَى بَابِ قُرْطُبَةَ فَمَرُّوا بِبَابِ
قَصْرِهَا ، فَلَمَّا انْتَهَى أَرْدُونُ إِلَى مَا بَيْنَ بَابِ السُّدَّةِ وَبَابِ الْجَنَانِ
سَأَلَ عَنْ مَكَانِ رَمْسٍ ^(١) النَّاصِرِ لِدِينِ أَهْلِهِ ، فَأَشِيرَ إِلَى مَا يُوَارِى
مَوْضِعَهُ مِنْ دَاخِلِ الْقَصْرِ فِي الرُّوَضَةِ ، فَخَلَعَ قَلْنُسُونَةُ
وَحَضَعَ نَحْوَ مَكَانِ الْقَبْرِ وَدَعَا ثُمَّ رَدَّ قَلْنُسُونَةَ إِلَى رَأْسِهِ .
وَأَمَرَ الْمُسْتَنْصِرُ بِأَنْتَزَالِ أَرْدُونِ فِي دَارِ النَّاعُورَةِ ، وَقَدْ كَانَ
تَقَدَّمَ فِي قَرْشِهَا بِضُرُوبِ النِّطَاءِ وَالْوِطَاءِ ^(٢) ، وَأَتَتْهُ مِنْ ذَلِكَ
إِلَى الْغَايَةِ ، وَتَوَسَّعَ لَهُ فِي الْكَرَامَةِ وَالْأَصْحَابِ ، فَأَقَامَ بِهَا
الْخَمِيسَ وَالْجُمُعَةَ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ تَقَدَّمَ الْمُسْتَنْصِرُ
بِاللهِ بِاسْتِدْعَاءِ أَرْدُونِ وَمَنْ مَعَهُ ، بَعْدَ إِقَامَةِ التَّرْتِيبِ ، وَتَعْيِيَةِ
الْجَبُوشِ ، وَالِاخْتِفَالِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمُدَدِ وَالْأَسْلِحَةِ وَالزَّيْنَةِ ،
وَقَعَدَ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللهِ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ فِي الْمَجْلِسِ الشَّرِيقِ
مِنْ مَجَالِسِ السَّطْحِ ، وَقَعَدَ الْإِخْوَةَ وَبَنُوهُمْ وَالْوُزَرَءَ

وصاعد النوى ، وعباس بن أصبغ وغيرهم ، وكان علما بالآداب واللغات
مفيدا لها مع الفكاهة والفهم وحدث عنه ابنه أبو بكر محمد بن هشام
وتوفي سنة ٤٤٠ (١) الرمس . القبر (٢) الوطاء : بكسر الواو وفتحها ،
خلاف النطاء أى الفراش الوطى السهل الوثير يريح جنب النائم

وَوَزَّرَاوَهُمْ صَفًّا فِي الْمَجْلِسِ، فِيهِمُ الْقَاضِي مُنْدِرُ بْنُ سَعِيدٍ
وَالْحُكَّامُ وَالْفُقَهَاءُ، فَأَتَى مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ طَمِيسٍ بِالْمَلِكِ
أَزْدُونَ وَأَصْحَابِهِ، وَعَالِي لَبُومِيهِ ثَوْبٌ دِيَّاجِيٌّ رُومِيٌّ أَيْضٌ
وَيَلْيَوَانُ مِنْ جَنْبِهِ وَفِي لَوْنِهِ، وَعَلَى رَأْسِهِ قَلَنْسُوَةٌ رُومِيَّةٌ
مَنْظُومَةٌ بِجَوْهَرٍ، وَقَدْ حَفَّتْ جَمَاعَةٌ مِنْ نَصَارَى وَجُوهِ الدِّمَّةِ
بِالْأَنْدَلُسِ يُؤَنِّسُونَهُ وَيُصَرُّونَهُ، فِيهِمْ وَلَيْدُ بْنُ حِزْوَنَ
قَاضِي النَّصَارَى بِقَرْطَبَةِ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ قَاسِمٍ مُطْرَانٌ طَلِيظُ طَلَّةٍ
وَعَيْرُهُمَا، فَدَخَلَ بَيْنَ صَنِ التَّرْتِيبِ يُقَلِّبُ الطَّرْفَ فِي نَظْمِ
الْصُّفُوفِ، وَيُجِيلُ الْفِكْرَ فِي كَثَرَتِهَا وَتَظَاهُرِ أَسْلِحَتِهَا
وَرَأَيْتُ حَلِيَّتَهَا، فَرَأَعْتُهُمْ مَا أَبْصَرُوهُ، وَصَلَّبُوا^(١) عَلَى وَجُوهِهِمْ،
وَنَامَلُوا أَنَا كَيْسَى رُؤُسِهِمْ، غَاضِبِينَ مِنْ أَجْفَانِهِمْ، قَدْ سُكِّرَتْ^(٢)

(١) صلب للسيحي : رسم صورة الصليب بيده على نفسه ، وصلب الرهبان :
اتخذوا الصليب (٢) سكرت أبصارهم : حيرت أو غطيت وغشيت وحجبت
عن الابصار ومنعت من النظر وسكت عنه ، من السكر بالشراب ، وقيل في قوله
تعالى : « لَقَالُوا لِمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا » أغشيت وسدت السحرة فيتحايل بأبصارنا
غير مازي ، أو غشينا ما منعها من النظر ، وقال أبو عبيدة : سكرت أبصار
القوم إذا دبر بهم وغشيم كالسبادير فلم يبصروا ، وقال أبو عمرو بن
العلاء : مأخوذ من سكر الشراب لأن العين لحقها ما يلحق شارب للسكر
إذا شرب

أَبْصَارُهُمْ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى بَابِ الْأَنْبِيَاءِ أَوَّلِ بَابِ قَصْرِ الزَّهْرَاءِ ،
فَتَرَجَّلَ جَمِيعُ مَنْ كَانَ خَرَجَ إِلَى لِقَائِهِ ، وَتَقَدَّمَ الْمَلِكُ
أَرْدُونُ وَخَاصَّةً قَوَامِسِهِ عَلَى دَوَابِّهِمْ حَتَّى أَتَوْهُوَ إِلَى بَابِ السُّدَّةِ ،
فَأَمَرَ الْقَوَامِسُ بِالْتَّرَجُّلِ هُنَاكَ وَالْمَشْيِ عَلَى الْأَقْدَامِ ،
فَتَرَجَّلُوا ، وَدَخَلَ الْمَلِكُ أَرْدُونُ وَحَدَّهُ رَاكِبًا مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ
طُمَيْسٍ ، فَأَنْزَلَ فِي بُرْطُلٍ ^(١) الْبَهْرَ الْأَوْسَطِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
الْقَبْلِيَّةِ الَّتِي بَدَارِ الْجُنْدِ ، عَلَى كُرْسِيِّ مُرْتَفِعٍ مَكْسُورٍ
الْأَوْصَالِ ^(٢) بِالْفِضَّةِ . وَفِي هَذَا الْمَكَانِ بَعِثَهُ زَلَّ قَبْلَهُ
عَدُوُّهُ وَمُنَاوِيهِ شَانَجَةُ بْنُ رُذَيْرٍ الْوَافِدُ عَلَى النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ
- رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فَقَعَدَ أَرْدُونُ عَلَى الْكُرْسِيِّ ، وَقَعَدَ أَصْحَابُهُ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَخَرَجَ الْأَذُنُ لِأَرْدُونِ الْمَلِكِ مِنَ الْمُسْتَنْصِرِ
بِاللَّهِ بِالدُّخُولِ عَلَيْهِ ، فَتَقَدَّمَ يَمِينِي وَأَصْحَابُهُ يُتَبِعُونَهُ إِلَى أَنْ
وَصَلَ إِلَى السُّطْحِ ، فَلَمَّا قَابَلَ الْمَجْلِسَ الشَّرْقِيَّ الَّذِي فِيهِ

(١) البرطل والبرطلة : شبه المظلة الصيفية وليست عند الأصمعي من كلام

العرب (٢) جمع وصلوه هو للفصل

الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ وَقَفَ وَكَشَفَ رَأْسَهُ وَخَلَعَ بُرْنُسَهُ^(١) ،
وَبَقِيَ حَامِرًا إِعْظَامًا لِمَا بَانَ لَهُ مِنَ الدُّثُورِ إِلَى السَّرِيرِ ،
وَأَسْتَنْهَضَ فَمَضَى بَيْنَ الصَّفَّيْنِ الْمُرْتَبَيْنِ فِي سَاحَةِ السُّطْحِ
إِلَى أَنْ قَطَعَ السُّطْحَ وَأَتَى إِلَى بَابِ الْبَهْرِ ، فَلَمَّا قَابَلَ
السَّرِيرَ خَرَّ سَاجِدًا سُوَيْمَةً ، ثُمَّ أَسْتَوَى قَائِمًا ، ثُمَّ نَهَضَ
خُطَوَاتٍ وَعَادَ إِلَى الشُّجُودِ ، وَوَالَى ذَلِكَ مِرَارًا إِلَى أَنْ
قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ ، وَأَهْوَى^(٢) إِلَى يَدِهِ فَتَاوَلَهُ إِيَّاهَا ،
وَكَّرَّ رَاجِعًا مُقَهِّقًا عَلَى عَقِبِهِ إِلَى وَسَادِ دِيبَاجٍ مُثْقَلٍ
بِالذَّهَبِ جُعِلَ لَهُ هُنَاكَ ، وَوُضِعَ عَلَى قَدْرِ عَشْرَةِ أَذْرُعٍ مِنَ
السَّرِيرِ ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ وَالْبَهْرُ^(٣) قَدْ عَلَاهُ ، وَأَنْهَضَ خَلْفَهُ مَنْ
أَسْتَدْنَى مِنْ قَوَائِمِهِ وَاتَّبَاعِهِ ، فَدَنَوْا مُمَثِّلِينَ فِي تَكْرِيرِ
الْخُنُوعِ^(٤) ، وَتَاوَلَهُمُ الْخَلِيفَةُ يَدُهُ قَبَّلُوهَا ، وَأَنْصَرَفُوا
مُقَهِّقِينَ^(٥) فَوَقَفُوا عَلَى رَأْسِ مَلِكِهِمْ

(١) البرنس : قلنسوة طويلة وكان الناس يلبسونها في صدر الاسلام ، أو هو كل ثوب رأسه منه ملتزم به دراعة كان أوجبة ، قيل انه غير عربي .
(٢) أهوى : مال وانحنى وقسم : قدم (٣) البهر : تتابع النفس وانقطاعه من الاعياء (٤) الخنوع : الخضوع والذل (٥) مقهقرين ومقهقرين : راجعين المقهقرى أى الى خلف .



وَوَصَلَ بِوُصُولِهِمْ وَلَيْدُ بْنُ حِزْرُونَ قَاضِي النَّصَارَى بِقَرْطَبَةَ
عزل شامية وتولية أردون
فَكَانَ التَّرْجَمَانُ عَنِ الْمَلِكِ أَرْدُونُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَاطْرَقَ الْخَلِيفَةُ
الْحُكْمُ عَنْ تَكْلِيمِ الْمَلِكِ أَرْدُونُ إِثْرَ قُعودِهِ أَمَامَهُ وَقَتًا كَيْمَا
يُفْرِخَ رُوعُهُ^(١)، فَلَمَّا رَأَى أَنَّ قَدْ خُضَّصَ^(٢) عَلَيْهِ أُفْتُتِحَ
تَكْلِيمُهُ فَقَالَ: لَيْسَ رُكَّ إِبْرَافِيلَكَ وَتَمَيُّطُكَ تَأْمِيلُكَ، فَلَدَيْنَا
لَكَ مِنْ حُسْنِ رَأْيِنَا وَرُحْبِ قَبُولِنَا فَوْقَ مَا قَدْ طَلَبْتَهُ. فَلَمَّا
تُرْجِمَ لَهُ كَلَامُهُ إِيَّاهُ، تَطَلَّقَ^(٣) وَجْهَ أَرْدُونُ، وَانْحَطَّ عَنْ

(١) فرخ الروع وأفرخ: ذهب فزع - ومن أمثالهم للنشرة في كشف
الكرب عن الجبان عند المخاوف قولهم أفرخ روعك، أى سكن
جأشك، ولينهب رعبك وفزعك فإن الأمر ليس على ما تحاذر.
وكتب معاوية الى زياد: أفرخ روعك قد وليناك الكوفة، وكان
يخاف أن يولها غيره. وأفرخ فؤاد الرجل اذا خرج روعه وانكشف
عنه الفزع كما تفرخ البيضة اذا انطلقت عن الفرخ فخرج. وأصل
الانقراح: الانكشاف، وقد قلبه ذو الرمة لمعرفته بالمعنى فقال:

ولى يميز انهزاما وسطها زعلا جذلان ففأفرخت عن روعه الكرب
فلروع في الفؤاد كالفرخ في البيضة، وأفرخ روعه اذا دعى له أن يسكن
روعه ويذهب

وقل للفؤاد ان نزا بك نزوة من الخوف أفرخ أكثر الروع باطله
(٢) يقال: خفض عليك جأشك، أى سكن قلبك، والخفض الدعة
والسكون (٣) تطلق وجهه: تهلل فرحا وعلاه البشر والسرور

رُبَّتْهُ قَبِيلُ الْبَسَاطِ وَقَالَ : أَنَا عَبْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَوْلَايَ
 الْمُرُوكِ^(١) عَلَى فَضْلِهِ ، الْقَاصِدُ إِلَى مَجْدِهِ ، الْمُحْكَمُ فِي نَفْسِهِ
 وَرِجَالِهِ ، فَحَيْثُ وَضَعَنِي مِنْ فَضْلِهِ ، وَعَوَّضَنِي مِنْ خِدْمَتِهِ ،
 رَجَوْتُ أَنْ أَتَقَدَّمَ فِيهِ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ وَنَصِيحَةٍ خَالِصَةٍ . قَالَ
 لَهُ الْخَلِيفَةُ : أَنْتَ عِنْدَنَا بِمَحَلٍّ مَنْ يَسْتَحِقُّ حُسْنَ رَأْيِنَا ،
 وَسَيِّئَاتِكَ مِنْ تَقْدِيرِنَا لَكَ ، وَتَفْضِيلِنَا إِيَّاكَ عَلَى أَهْلِ مِلَّتِكَ
 مَا يَبْطِطُكَ ، وَتَعَرَّفَ بِهِ فَضْلُ جُنُوحِكَ^(٢) إِلَيْنَا ، وَأَسْتَظْلَاكَ
 بِظِلِّ سُلْطَانِنَا ، فَعَادَ أَرْدُونُ إِلَى السُّجُودِ عِنْدَ قَهْمِهِ مَقَالَةً
 الْخَلِيفَةِ ، وَابْتَهَلَ دَاعِيَا وَقَالَ : إِنَّ شَانِجَةَ ابْنِ عَمِّي تَقَدَّمَ إِلَى
 الْخَلِيفَةِ الْمَاضِي مُسْتَجِيرًا بِهِ مِنِّي ، فَكَانَ مِنْ إِعْزَازِهِ إِيَّاهُ
 مَا يَكُونُ مِنْ مِثْلِهِ مِنْ أَعَظِمِ الْمُلُوكِ وَأَكَارِمِ الْخُلَفَاءِ
 لِمَنْ قَصَدَهُمْ وَأَمْلَهُمْ ، وَكَانَ قَصْدُهُ قَصْدَ مُضْطَرٍّ
 قَدْ شَتَّاهُ^(٣) رَعِيَّتُهُ ، وَأَنْكَرَتْ سِيرَتَهُ ، وَأَخْتَارَنِي

(١) أي العتمة ، ويقال : تورك على الغاية إذا تفرج وجهه ووضع أحد وركيه
 في السرج ليستريح وذلك إذا أعيانتم (٢) جنوحك : ميلك والتجاءك
 (٣) شتَّاهُ : أبغضته وكرهته

لِكَانِهِ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ مِنِّي - عَلِمَ اللَّهُ ذَلِكَ - وَلَا
دُعَاءَ إِلَيْهِ ، فَخَلَعَتْهُ وَأَخْرَجَتْهُ عَنْ مُلْكِهِ مُضْطَرًّا مُضْطَهَدًّا
فَتَطَوَّلَ^(١) عَلَيْهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِأَنْ صَرَفَهُ إِلَى مُلْكِهِ ، وَقَوَّى
سُلْطَانَهُ ، وَأَعَزَّ نَصْرَهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَقُمْ بِفَرْضِ النُّعْمَةِ
الَّتِي أُسْدِيَتْ إِلَيْهِ ، وَقَصَرَ فِي آدَاءِ الْمَفْرُوضِ عَلَيْهِ وَحَقِّهِ
وَحَقِّ مَوْلَايَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِهِ . وَأَنَا قَدْ قَصَدْتُ
بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ مِنْ قَرَارَةِ سُلْطَانِي ،
وَمَوْضِعِ أَحْكَامِي ، مُحْكَمًا لَهُ فِي قَسِيٍّ وَرِجَالِي وَمَعَالِي^(٢)
وَمَنْ تَحْوِيهِ مِنْ رَيْبِي ، فَشَتَانُ^(٣) مَا يَبْنَتَا بِقُوَّةِ الثَّقَةِ
وَمُطَرَّحِ^(٤) الْهَمَّةِ . فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : قَدْ سَمِعْنَا قَوْلَكَ ، وَهَمْنَا
مَعْرَاكَ^(٥) ، وَسَوْفَ يَطْهَرُ مِنْ إِفْرَاضِنَا إِيَّاكَ عَلَى الْخُصُوصِيَّةِ
شَأْنُهُ ، وَيَتَرَادَفُ^(٦) مِنْ إِحْسَانِنَا إِلَيْكَ أَضْعَافُ مَا كَانَ
مِنْ أَيْدِنَا - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - إِلَى نِدِّكَ^(٧) ، وَإِنْ كَانَ

(١) تطول عليه. امكن عليه وانهم (٢) الماقل: اللاجئ والحصون، جمع معقل.
(٣) شتان: اسم فعل ماض بمعنى افرق (٤) أى بعد، وطرحه واطرحه:
أبعده، وطرف، مطرح، وطريح: بعيد النظر (٥) أى غرضك وقصدك، وغزا
الشيء: أراداه وطلبه (٦) يترادف: يتعاقب ويتوالى ويتتابع (٧) الند:
التل والنظير

لَهُ فَضْلُ التَّقْدِيمِ بِالْجُنُوحِ إِلَيْنَا وَالْقَصْدِ إِلَى سُلْطَانِنَا فَلَيْسَ
ذَلِكَ مِمَّا يُؤْخِرُكَ عَنْهُ، وَلَا يَنْقُصُكَ مِمَّا أَنْتَ لَنَا، وَسَنْصَرِفُكَ
مَقْبُوطًا^(١) إِلَى بَلَدِكَ، وَنَشُدُّ أَوَاخِي^(٢) مُلْكِكَ، وَنُمَلِّكَكَ
جَمِيعَ مَا أَنْعَاشَ^(٣) إِلَيْكَ، وَنَعْقِدُكَ بِذَلِكَ كِتَابًا يَكُونُ
بِيَدِكَ، وَتُقَرَّرُ بِهِ حَدٌّ مَا يَنْتَكِ وَيَبْنِ ابْنِ عَمِّكَ،
وَتَقْبِضُهُ^(٤) عَنْ كُلِّ مَا يَتَصَرَّفُهُ مِنَ الْبِلَادِ إِلَى يَدِكَ، وَسَيَتَرَادَفُ
عَلَيْكَ مِنْ إِفْضَالِنَا فَوْقَ مَا أَحْتَسَبْتَهُ، وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ
وَكَيلٌ. فَكَرَّرَ أَرْدُونُ الْخُضُوعَ، وَأَنْشَبَ فِي الشُّكْرِ،
وَقَامَ لِلْإِنْصِرَافِ مُتَهَيِّئًا لَا يُؤَلِّي الْخَلِيفَةَ ظَهْرَهُ، وَقَدْ

(١) مقبوطا : حسن الحال مسرورا في نعمة حسنة . والقبطة حسن
الحال والسرة والنعمة (٢) الأواخي « بتشديد الياء » جمع أخية
وأخية ، وهي في الأصل عود يمرض في حائط أو في حبل يدفن طرفاه
في الأرض ويبرز طرفه كالحلقة تشد فيها الدابة « وانما تؤخى الأخية في
سهولة الأرض لانها أرفق بالحبل من الأوتاد الناشزة عن الأرض وهي
أثبت في الأرض السهلة من الوند » والأخية أيضا : الطنب والحرمة والذمة .
وتقول لي عند الأمير أخية ثابتة ، وشدة الله بينكما أواخي الأخاء وحل
أواخي الرباء ، وشدة أخية لك لا يحلها للمهرالأرن « أي للرح ذو النشاط
والقوى ، والآرى : « الأخية » (٣) مطاوع قولهم : جاش عليه الصيد وأحاشه
إذا نفره نحوه وساقه اليه وجمعه عليه وأعانه على صيده . وانعاش
عنهضه : أي نفر وتقبض (٤) تقبضه : نزع له أو نعمة ونصرفه

تَكَفَّهَ الْفَتَيَانُ مِنْ جُمْلَةِ الْفَتَيَانِ ، فَأَخْرَجُوهُ إِلَى الْمَجْلِسِ
الْقَرِيبِيِّ فِي السَّطْحِ ، وَقَدْ عَلَاهُ الْبَهْرُ وَأَذْهَلَهُ الرُّوعُ
مِنْ هَوْلِ مَا بَاشَرَهُ ، وَجَلَّالَةَ مَا عَايَنَهُ مِنْ فَخَامَةِ الْخَلِيفَةِ
وَبَهَاءِ الزَّمَةِ . فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ الْمَجْلِسَ وَوَقَفَتْ عَيْنُهُ عَلَى
مَقْعَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَالِيًا مِنْهُ انْحَطَّ سَاجِدًا إِعْظَامًا لَهُ .
ثُمَّ قَدَّمَ الْفَتَيَانُ بِهِ إِلَى الْبَهْرِ الَّذِي يَجُوفِي هَذَا الْمَجْلِسَ ،
فَاجْلَسُوهُ هُنَاكَ عَلَى وَسَادٍ مُثْقَلٍ بِالذَّهَبِ ، وَأَقْبَلَ نَحْوَهُ
الْحَاجِبُ جَمْفَرٌ ، فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ قَامَ إِلَيْهِ وَخَضَعَ لَهُ ، وَأَوْمَأَ
إِلَى قَبِيلِ يَدِهِ فَقَبَضَهَا الْحَاجِبُ عَنْهُ ، وَأَنْحَنَى إِلَيْهِ فَمَاقَنَّهُ ،
وَجَلَسَ مَعَهُ ^(١) فَبَطَلَتْهُ ، وَوَعَدَهُ مِنْ أَنْجَازِ عِدَاتِ الْخَلِيفَةِ لَهُ
بِمَا ضَاعَفَ سُرُورَهُ . ثُمَّ أَمَرَ الْحَاجِبُ جَمْفَرٌ فَصُبَّتْ عَلَيْهِ
الْخَلِجُ الَّتِي أَمَرَ لَهُ بِهَا الْخَلِيفَةُ - وَكَانَتْ دُرَاعَةً ^(٢) مَسْجُوجَةً
بِالذَّهَبِ ، وَبُرْنَسًا مِثْلَهَا لَهُ لَوْزَةٌ مُفَرَّغَةٌ مِنْ خَالِصِ التَّبَرِ
مُرَصَّعَةً بِالْجَوْهَرِ وَالْيَاقُوتِ مَلَأَتْ عَيْنَ الْمَلِجِ ^(٣) نَجْمَةً -

(١) يريد بشره بالبطلة وهنأه بها (٢) الدُّرَاعَةُ : كالجبة مشقوقه للقبض

(٣) المَلِجُ : الرجل الضخم من كفار المعجم . والنَجْلَةُ : العظمة

فَعَرَّ سَلَجِدًا وَأَعْلَنَ بِالدُّعَاءِ . ثُمَّ دَعَا الْحَاجِبُ أَصْحَابَهُ
رَجُلًا وَرَجُلًا فَخَلَعَ عَلَيْهِمْ عَلَى قَدَرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ ، فَكَمَلَ
جَمِيعُ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يَصْلَحُ لَهُمْ ، وَخَرَّ جَمِيعُهُمْ خَاضِعِينَ
شَاكِرِينَ . ثُمَّ انْطَلَقَ الْمَلِكُ أَرْدُونُ وَأَصْحَابُهُ ، وَقَدَّمَ
لِرِكَابِهِ فِي أَوَّلِ الْبَهْرِ الْأَوْسَطِ فَرَسٌ مِنْ عِتَاقِ خَيْلِ
الرَّكَابِ ، عَلَيْهِ سَرِجٌ حَلِيٌّ وَلِجَامٌ حَلِيٌّ مُفَرَّغٌ ، وَأَنْصَرَفَ
مَعَ ابْنِ طُمَيْسٍ إِلَى قَصْرِ الرُّصَافَةِ مَكَانِ تَضْيِيفِهِ ، وَقَدْ
أَعَدَّ لَهُ فِيهِ كُلُّ مَا يَصْلُحُ لِمِثْلِهِ مِنَ الْآلَةِ وَالْفُرُشِ
وَالْمَاعُونِ ، وَأَسْتَقَرَّ أَصْحَابُهُ فِيهَا لَا كِفَاءً^(١) لَهُ مِنْ مَسْعَةِ
التَّضْيِيفِ وَإِرْغَادِ الْمَعَاشِ ، وَأُسْتَشْعَرَ النَّاسُ مِنْ مَسْرَةِ
هَذَا الْيَوْمِ وَعِزَّةِ الْإِسْلَامِ فِيهِ مَا أَقْضَوْا مِنَ التَّبَجُّعِ^(٢)
بِهِ وَالتَّحَدُّثِ عَنْهُ أَيَّامًا

وَكَانَتْ لِلْحُطْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ بِمَجْلِسِ الْخَلِيفَةِ فِي هَذَا

تبارى الخطباء
بمجلس الخليفة

(١) لا كفاء: لا مساوى ولا نظيره (٢) التبجج: الشئ : الفرح به
والافتخار واللباهة

الْيَوْمَ مَقَامَاتُ حِسَانٍ ، وَإِنْشَادَاتُ لِأَشْعَارٍ مُحْكَمَةٍ مِتَانٍ ،
يَطُولُ الْقَوْلُ فِي اخْتِيَارِهَا . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَبْدِ الْمَلِكِ
ابْنِ سَعِيدٍ الْمُرَادِيِّ ^(١) مِنْ قَصِيدَةٍ حَيْثُ يَقُولُ :

مُلْكُ الْخَلِيفَةِ آيَةُ الْإِقْبَالِ

وَسُعُودُهُ مَوْصُولَةٌ بِنَوَالِ

وَالْمُسْلِمُونَ بِعِزِّهِ وَبِرَفْعَةِ

وَالْمُشْرِكُونَ بِذِلَّةٍ وَسِفَالِ ^(٢)

أَلَقَتْ بِأَيْدِيهَا الْأَعْلَامُ نَحْوَهُ .

مُسَوِّمِينَ لِمَوْصُولَةِ الرَّبِّبَالِ ^(٣)

(١) عبد الملك بن سعيد المرادي الخازن شاعر أديب كثير الشعر موصوف
بالفضل ، ومن شعره في وصف ناعورة :

ناهيك ناعورة تعالت على صفائي مع اقتداري

يحملها الماء باقيداً وتحمل الماء باقتدار

تذكر طوراً حين نأى وتارة من زفير ضاري

نسقى بباين حلويات غرائب الروض والنهار

طلوع عبد العزيز فيها كالشمس في جنة القرار

وقال فيمن حجبته :

ما حمدناك إذ وقفنا ببابك لذي كان من طويل حجابك

قد دمننا الزمان فيك وقلنا أبداً الله كل دهر آتى بك

(٢) السفال . بفتح السين ، تقيض العلاء .

(٣) المصولة : القوة والبطش ، والرئبال : الأحد

هَذَا أَمِيرُهُمْ أَتَاهُ آخِذًا
 مِنْهُ أَوَاصِرٌ ^(١) ذِمَّةٌ وَحِبَالٌ
 مُتَوَاضِعًا لِجَلَالِهِ مُتَخَشِّعًا
 مُتَبَرِّعًا لِمَا يُرْعَى بِقَتَالِ
 سَيْتَالٍ بِالتَّامِيلِ لِلْمَلِكِ ^(٢) الرُّضَا
 عِزًّا يَمُوتُ عِدَاهُ بِالْإِذْلَالِ
 لَا يَوْمَ أَعْظَمُ لِلْوَلَاةِ مَسْرَّةٌ
 وَأَشَدُّهُ غَيْظًا عَلَى الْأَقْيَالِ ^(٣)
 مِنْ يَوْمِ أَرْدُونِ الَّذِي إِقْبَالُهُ
 أَمَلُ الْمَدَى وَنَهَايَةُ الْإِقْبَالِ
 مَلِكُ الْأَعَاجِمِ كُلِّهَا أَنْ مَلُوكَهَا
 وَإِلَى الرُّعَاظِ إِلَى الْأَعَاجِمِ وَإِلَى
 إِنْ كَانَ جَاءَ ضَرُورَةٌ فَلَقَدْ آتَى
 عَنْ عِزٍّ مَمْلُوكَةٍ وَطَوْعِ رِجَالٍ

(١) جمع أصرة : وهي ماعطفك على غيرك من رحم وقرابة أو معروف ومنة . والأصرة : جبل صغير يشد به أسفل الحباء الى وتد . (٢) الملك الرضا : للرضى . وهو وصف بالمصدر . وتظهره رجل عدل : أى عادل أو « الرضا » مفعول « سينال » وقوله : عزا الخ يدل منه (٣) الأقبال : جمع قيل وهو الرئيس دون الملك .

فَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنِيلِ إِمَامَنَا
 حَطَّ الْمُلُوكِ بِقَدَرِهِ ^(١) الْمَتَعَالِ
 هُوَ يَوْمَ حَشَرَ النَّاسِ إِلَّا أَنَّهُمْ
 لَمْ يُسْأَلُوا فِيهِ عَنِ الْأَعْمَالِ
 أَضْحَى الْقَضَاءُ مُخَيَّمًا بِحَيُوشِهِ
 وَالْأَفْقُ أَقْتَمَ ^(٢) أَغْبَرَ السَّرْبَالَ
 لَا يَهْتَدِي السَّارَى لِلَّيْلِ قَتَامِهِ
 إِلَّا بِضَوْءِ صَوَارِمٍ وَعَوَالِي ^(٣)
 وَكَأَنَّ أَجْسَامَ الْكُفَّةِ تَسَرَبَلَتْ
 مُذْ غَرَّيَتْ عَنْهُ جُسُومَ صِلَالٍ ^(٤)

(١) قد تكون (لغيره) (٢) القنعة النيرة أو سواد ليس بشديد ، والقنم
 النبار ، والسربال القميص أو البرع أو كل ما ليس (٣) السارى : الشرطمة
 الليل ، والصوارم : السيوف القواطع ، والعوالى : الرماح (٤) فى الأصل
 «ضلال» وهو مخرف فاسد ، والصلال : جمع صل : وهو الحية شبه ماعلى
 الكفة والجنود من الأسلحة والدروع بجلد الحيات وهو تشبيه ما لوف لدى
 العربى فيه من الدوائر التى تشبه حلق البرع ، قال محمد بن عبد الله بن
 صالح الهاشمى البلباسى :

وعلى سابتة للدروع كالها سلخ كسابتة الشجاع الارقم
 وسابتة الحية : سلخها وجلدها. وقال أبو العلاء اللرى فى البرعيات :
 كاثواب الاراقم مزقتها فخلطتها بأعينها الجراد

وَكَأَنَّمَا الْعِقَابُ^(١) عِقَابُ الْقَلَا
مُنْقَضَةٌ لِتَخْطِفِ الشَّلَالِ
وَكَأَنَّ مُقْتَضِبَ الْقَنَا مُهْتَرَّةً
أَشْطَانُ^(٢) نَارِجَةً بَعِيدَةً جَالِ
وَكَأَنَّمَا قِيلَ التَّجَافِيفُ أَكْتَسَتْ
نَارًا تُوجِّجُهَا بِلَا إِشْعَالٍ^(٣)

ولبعض الأعراب يصف درعا فسيها في صفاتها وما فيها من الخلق الدقيقة
بسلخ الحية :

وشرة تهرأ بالنصال كأنها من خلع الملل

والملل هنا : الحية، وهزوها بالنصال : ردها إياها غير مؤثرة فيها .

« أحمد يوسف نجاشي » .

(١) جمع عقاب ، طائر من الطائفة الجوارح (٢) للمقتضبة من اقتضب النفس
إذا قطعه ومنه القضب وهو ما قطع من الأغصان للسهم والنسي - وأشطان :
جمع شطن وهو الحبل الشديد القتل يبقى به أو عام . والجال والجلول :
ناحية البئر وجانبها أو جبلها ، أو كل ناحية من نواحيها إلى أعلاها من
أسفلها ، وتازجة أى بعيدة صفة لبئر « محذوفة » ومعنى البيت مأخوذ
من قول عنترة :

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم

(٣) التجفاف : آلة للحرب يابسه الفرس والإنسان ليقيه في الحرب من
سلاح وآلة ، وأجج النار أوقدها - يصف هذه التجافيف بالتوهج والبريق
واللمعان . ويظهر لي أن البيت : وكأنما قبل التجافيف اكتست الخ
والقبيل : جمع قبلة : وهو شئ من عاج مستدير بئلا لا يطلق في صدر
للرأة أو الصبي أو القرس .



وَقَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ فِي حَقِّ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ، خزانة الحكم
عَنْ فَتَاهُ تَلِيدٍ صَاحِبِ خَزَائِنِهِ الْعَلِيَّةِ، فِيمَا حَدَّثَ عَنْهُ
الْحَافِظُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ: إِنَّ عِدَّةَ الْفَهَارِسِ الَّتِي فِيهَا
تَسْمِيَةُ الْكُتُبِ أَرْبَعٌ وَأَرْبَعُونَ فَهْرَسَةً، فِي كُلِّ فَهْرَسَةٍ
عِشْرُونَ وَرَقَةً لَيْسَ فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ التَّوَاوِينِ فَقَطْ. انْتَهَى.
وَقَدْ قَدَّمْنَاهُ عَنْ ابْنِ خَلْدُونَ، وَتَقْلَهُ ابْنُ الْأَبَّارِ فِي التَّكْمِلَةِ.
وَقَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ فِي حَقِّ الْحَكَمِ: إِنَّهُ كَانَ حَسَنَ
السَّيَرَةِ، مُكْرِمًا لِلْقَادِمِينَ عَلَيْهِ، جَمَعَ مِنَ الْكُتُبِ مَا لَا يُحَدُّ
وَلَا يُوصَفُ كَثْرَةً وَقَاسَةً، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهَا كَانَتْ أَرْبَعَمِائَةٍ
أَلْفٍ مُجَلَّدٍ، وَإِنَّهُمْ لَمَّا تَقَلُّوْهَا أَقَامُوا سِتَّةَ أَشْهُرٍ فِي تَقْلِهَا.
وَكَانَ عَالِمًا نَبِيهَا صَافِي الشَّرِيرَةِ، وَسَمِعَ مِنْ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغٍ^(١)،

(١) هو أبو محمد قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطا
الليثاني مولى الوليد بن عبد الملك امام حافظ من أئمة الحديث مكثر مصنف،
كان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر أمره وانتشر ذكره، وروى عنه
جماعت من أكابر أهل بلده، وكان أصله من مدينة بيانة ثم سكن قرطبة
وبها توفي سنة ٣٤٠

وَأَمَّحَدَ بْنَ دُحَيْمٍ ^(١) وَمُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ السَّلَامِ الْحُسَيْنِيِّ ^(٢)
وَزَكَرِيَّا بْنَ خَطَّابٍ ^(٣) وَأَكْثَرَ عَنْهُ ، وَأَجَازَ لَهُ ثَابِتُ
ابْنِ قَاسِمٍ ^(٤) ، وَكُتِبَ عَنْ خَلْقٍ كَثِيرٍ سِوَى هَؤُلَاءِ .
وَكَانَ يَسْتَجْلِبُ الْمُصَنَّفَاتِ مِنَ الْأَقَالِمِ وَالنَّوَاحِي بِإِذْنِهِ .
فِيهَا مَا أَمَكَّنَ مِنَ الْأَمْوَالِ حَتَّى ضَاقَتْ عَنْهَا خَزَائِنُهُ ،

(١) هو أبو عمر أحمد بن دحيم بن خليل بن عبد الجبار بن حرب
من أهل قرطبة أخذ عن كثير من الأندلس ورحل إلى الشرق
سنة ٣١٥ وكان محدثاً جليلاً ثقة ولاء الإمام الناصر أحكام القضاء
بمدينة طليطلة ولم يزل قاضياً إلى أن توفي سنة ٣٣٨ في الطائون ،
وكان مولده سنة ٢٧٨ - وفي الأصل « رحيم » محرفة (٢) هو أبو عبد
الله محمد بن عبد السلام بن ثعلبة بن زيد بن الحسن بن كليب بن أبي
ثعلبة الحشني صاحب رسول الله ﷺ من أهل قرطبة كان ذاهظ عظيم
من علوم اللغة والأدب والحديث وأدخل الأندلس كثيراً من اللغة والشعر
الجاهلي بعد عودته من رحلته إلى الشرق ، وأراده الأمير محمد على القضاء
فأبى ، توفي سنة ٢٨٦ - ولعل للستنصر إنما سمع من ابنه محمد بن محمد
ابن عبد السلام للتوفى سنة ٣٣٣ وكان عالماً فاضلاً زاهداً أخذ عن أبيه
وغيره وكان مشاوراً في الأحكام (٣) هو أبو يحيى زكريا بن خطاب بن
اسماعيل بن عبد الرحمن بن اسمعيل بن حزم الكلبي من أهل طليطلة عالم
محدث استقدمه للستنصر بالله وهو ولي عهد فسمع منه أكثر روايته
وكان ثقة مأموناً وولى القضاء بموضه بعد عمر بن يوسف بن الإمام في
سنة ٣٣٧ (٤) ثابت بن قاسم بن ثابت السرقطي حدث
لقوى عالم مليح الخط جيد الكتاب توفي سنة ٣٥٢

وَكَانَ ذَا غَرَامٍ بِهَا قَدْ آثَرَ ذَلِكَ عَلَى لَدَاتِ الْمُلُوكِ، فَلَسْتُ وَسَعِ
عِلْمُهُ وَدَقَّ نَظَرُهُ وَجَمَّتِ اسْتِفَادَتُهُ. وَكَانَ فِي الْمَعْرِفَةِ
بِالرِّجَالِ وَالْأَخْبَارِ وَالْأَنْسَابِ أَحْوَذِيًّا^(١) نَسِيجَ وَحْدِهِ ،
وَكَانَ ثِقَةً فِيمَا يَنْقُلُهُ ، هَذَا وَصَفُهُ ابْنُ الْأَبَّارِ وَبِأَضْعَافِهِ ،
وَقَالَ : عَجِبَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ وَابْنُ بَشْكُوَالِ كَيْفَ لَمْ يَذْكُرَاهُ
وَقَلَّمَا يُوجَدُ كِتَابٌ مِنْ خَزَائِنِهِ إِلَّا وَلَهُ فِيهِ قِرَاءَةٌ أَوْ نَظَرٌ
فِي أَيْ قَنْ كَانَ ، وَيَكْتُبُ فِيهِ نَسَبَ الْمُؤَلِّفِ وَمَوْلَاهُ
وَوَفَاتِهِ ، وَيَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِرَأْيِ لَاتِكَادُ تُوْجَدُ إِلَّا عِنْدَهُ
لِعَيْنَاتِهِ بِهَذَا الشَّانِ ؟ وَمِمَّا يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ النِّظَمِ قَوْلُهُ :
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ شِمَائِلِ مُسْرِفٍ
عَلَى ظُلُومٍ لَا يَدِينُ بِمَا دِنْتُ

(١) الأحوذى السريع في كل ما أخذ فيه ، والجاد في أموره القاهر لما
لا يشد عليه شيء - ويقال هو نسيج وحده : يضرب مثلا لكل من يولع
في مدحه كقولك : هو واحد عصره ، وقرع قومه ، فنسج وحده
أى لا نظيره في العلم وغيره ، وأصله في التوب لأن التوب إذا كان رفيعا
كرما لم ينسج على منواله غيره ولا يعمل على مثاله مثله لدقته . وفي
حديث عائشة أنها ذكرت عمر فقالت : « كان والله أحوذيا نسيج وحده »
أرادت أنه كان منقطع القرين عديم النظير

نَأَتْ عَنْهُ دَارِي فَاسْتَرَادَ صُدُودَهُ
وَأِنِّي عَلَى وَجْدِي الْقَدِيمِ كَمَا كُنْتُ
وَلَوْ كُنْتُ أَذْرِي أَنَّ شَوْقِي بِالْعِ
مِنَ الْوَجْدِ مَا بَلَّغْتُهُ لَمْ أَكُنْ بِنْتُ^(١)
وَقَوْلُهُ :

عَجِبْتُ وَقَدْ وَدَّعْتُهَا كَيْفَ لَمْ أُمْتُ
وَكَيْفَ أَتَنَّتْ بَعْدَ الْوَدَاعِ يَدِي مَعِيَ ؟؟
فَيَا مُقَلَّتِي الْعَبْرَى^(٢) عَلَيْنَا أَسْكُنِي دَمًا
وَيَا كَبِدِي الْحَزَى عَلَيْنَا تَقَطَّعِي
وَتُؤَوِّفِي - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - بِقَصْرِ قُرْطُبَةَ ثَانِي صَفَرٍ سَنَةِ
سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِينَ لِسِتِّ عَشْرَةِ سَنَةٍ مِنْ خِلَافَتِهِ ، وَكَانَ
أَصَابُهُ الْفَالِجُ^(٣) فَلَزِمَ الْفِرَاشَ إِلَى أَنْ هَلَكَ - رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى - وَكَانَ قَدْ شَدَّدَ فِي إِبْطَالِ الْخَمْرِ فِي مَمْلَكَتِهِ تَشْدِيدًا
عَظِيمًا .

(١) بنت : بنت (٢) عين عبري : باكية ، ورجل عبران : باك حزين ، من
العبرة وهي البمع ، وحرى مؤنث حران وفضلها حريعر «من باب تعب»
فهو حران إذا عطش . وفي الحديث : «في كل كبد حرى أجر» أي في سقيها
أوفى صبر صاحبها « (٣) الفالج : النلال واسترخاء أحد شقي البدن فيبطل
إحساسه وحركته



« وَوَلِي بَعْدَهُ ابْنُهُ هِشَامٌ صَغِيرًا » ، سَنُهُ تِسْعٌ سِنِينَ ، هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ
وَلَا يُنَافِيهِ قَوْلُ ابْنِ خَلْدُونَ : قَدْ نَاهَزَ الْحَكَمُ ^(١) ، وَكَانَ
الْحَكَمُ قَدْ اسْتَوَزَرَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ ، وَقَعَلَهُ مِنْ
خُطَّةِ الْقَضَاءِ إِلَى وَزَارَتِهِ ، وَقَوَّضَ إِلَيْهِ أُمُورَهُ فَاسْتَقَلَّ . قَالَ
ابْنُ خَلْدُونَ : وَتَرَقَّتْ حَالُ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ عِنْدَ الْحَكَمِ ، فَلَمَّا
تَوَفَّى الْحَكَمُ وَبُويعَ هِشَامٌ وَلَقِبَ الْمُؤَيَّدَ ، بَعْدَ أَنْ قُتِلَ
لِيَلْتَمِذَ الْمُنِيرَةُ أَخُو الْحَكَمِ الْمُرْشَحُ لِأَمْرِهِ ، تَنَاولَ الْقَتْلَ
بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ هَذَا ، بِمُحَالَةٍ ^(٢) مِنْ جَعْفَرِ بْنِ عُثْمَانَ
الْمُضَحَقِيِّ حَاجِبِ أَبِيهِ وَغَالِبِ مَوْلَى الْحَكَمِ صَاحِبِ مَدِينَةِ

(١) أى قارب البلوغ (٢) ماله ماله : ساعده وعاونه واتفق معه

* ترجم له في تاريخ علماء الأندلس لابن القرضى « ج ١ ص ١٠ »
بما يأتي : بويع لهشام أمير المؤمنين - أعزاه الله - بالخلافة صبيحة يوم الاثنين
لحس خلون من صفر سنة ست وستين وثلثمائة ومولده في جمادى الآخرة
سنة أربع وخمسين وثلثمائة .

سَالِمٍ ، وَمِنْ خَصِيَانِ الْقَصْرِ يَوْمَئِذٍ وَرُؤَسَائِهِمْ فَاتِقٌ ^(١)
وَجَوْذَرٌ ، فَقَتَلَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ الْمَغِيرَةَ بِمَمْلَاةٍ مِنْ ذِكْرٍ ،
وَتَمَّتِ الْيَمَّةُ لِهَشَامٍ . ثُمَّ مِمَّا لَابَنِ أَبِي عَامِرٍ أَمَلٌ فِي التَّغْلِبِ
عَلَى هِشَامٍ لِمَكَانِهِ فِي السَّنِّ ، وَثَابَ لَهُ رَأْيٌ فِي الْإِسْتِئْذَادِ ،
فَكَرَرَ بِأَهْلِ الدَّوْلَةِ ، وَضَرَبَ بَيْنَ رَجَالِهَا ، وَقَتَلَ بَعْضًا
يَبْمُضَ ، وَكَانَ مِنْ رِجَالِ الْيَمِينَةِ مِنْ مَعَاوِرَ ، دَخَلَ جَدُّهُ
عَبْدُ الْمَلِكِ مَعَ طَارِقٍ ، وَكَانَ عَظِيمًا فِي قَوْمِهِ ، وَكَانَ لَهُ فِي
الْفَتْحِ أَثَرٌ

(١) كذا بالأصل ، « فاتق وجودر » بتحريف الاسمين والقي أعرفه
أن اسمه فاتن لافاتق . وجؤذر هذا هو جؤذر الحكيم الخادم بقصر
قرطبة كان يعني باللغة العربية ويتقن في فهم معانيها ، وكان ذا ثقة وأمانة
ومعرفة ، حتى لقد أجمع أهل الدولة أنه لم يبق على رأس أمير بالاندلس
من هذا الجيل الصقلي القبط المليط القلب القاسي الطبع كهذين الخادمين
فاتن وجؤذر سمة معرفة وصدق خدمة ولطف إشارة ، مع رجب صدر ،
وشدة احتال ، وحسن معاملة . وفاتن ، وجؤذر ، اسنان لطيفان من أسماء
الوصفاء ومقدمي القتيلان . « أحمد يوسف نجاشي » .

النصور
أبي عامر

وَعُظْمَ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ * هَذَا وَعَلَبَ عَلَى الْمُؤَيَّدِ وَمَنَعَ

* ترجم له في كتاب الغرب في حلى الغرب « ج ١ ص ٥٧ » ترجمة
مسيبة تقتطف منها ما يأتي :

للتصور أبو عامر محمد بن أبي عامر الملقب الذي حجب للتويد ،
وكان في منزلة سلطان ، هو مذكور في كتب كثيرة ، ولابن حيان فيه
كتاب مفرد . قال الحمدي : أصله من الجزيرة الخضراء ، وله بها قبر
وأبوة ، وورد شابا إلى قرطبة ، فطلب العلم والأدب وتمهر ، وكانت له همه
لم تزل ترتقي إلى أن اعتنت به صبيح أم هشام للتويد ، فصارت له الحجابة
وكان له مجلس معروف في الأسبوع يجتمع فيه أهل العلم ، وغزواته
نيف وخمسون غزوة ، وله فتوح كثيرة ، وكان في أكثر زمانه لا يخل
بغزوتين في السنة . ومن خط ابن حيان : هو أبو عامر محمد بن عبد الله
ابن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن سويد بن عبد الملك ، وعبد الملك
جده هو الداخل للأندلس مع طارق بن زياد أول الداخلين من العرب
وهو وسيط في قومه ، ثم حصلت وحشة بين صبيح أم هشام الخليفة وبين
للتصور الحاجب ، آل الأمر فيها إلى أن كانت التولية له ، وأخذ الأموال
التي كانت في القصر مخزنة ، ونقلها إلى داره ، ووكّل بالقصر من أراد
ونفى من أراد ، وصارت الدولة بالظنا وظاهرا على حكمه ، وكان في أثناء
ذلك مريضا ، ولما أفاق وصل إلى الخليفة هشام واجتمع به واعترف
له بالاضطلاع بالدولة ، فخرست ألسنة الحبيدة ، وعلم ما في نفوس الناس
لظهور هشام ورؤيته ، ومات للتصور في صغرة اثنين وتسعين وثلاثمائة .
وذكر ابن حيان أنه مات ليلة الاثنين ثلاث بقين من رمضان سنة اثنين
وتسعين وثلاثمائة وأوصى أن يدفن حيث يقبض ، فدفن في قصره بمدينة
سام ، واضطرب للوالي على ابنه عبد الرحمن وقالوا : إنما نحن في حجر
آل أبي عامر الدهر كله .

الْوُزَرَءَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ إِلَّا فِي النَّادِرِ مِنَ الْأَيَّامِ يُسَلَّمُونَ
وَيَنْصَرِفُونَ. وَأَرْضُخَ^(١) لِلْجُنْدِ فِي الْمَطَاءِ، وَأَعْلَى مَرَاتِبِ الْمَطَاءِ
وَقَعَ^(٢) أَهْلُ الْبِدْعِ، وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَرَأْيٍ وَشَجَاعَةٍ وَبَصِيرَةٍ
بِالْحُرُوبِ وَدِينِ مَتِينٍ. ثُمَّ تَجَرَّدَ لِرُؤَسَاءِ النَّوَلَةِ بِمَنْ عَانَدَهُ
وَزَاوَعَهُ، فَمَالَ عَلَيْهِمْ وَحَطَّمَهُمْ عَنْ مَرَاتِبِهِمْ، وَقَتَلَ بَعْضًا
بِمَعْضٍ - كُلُّ ذَلِكَ عَنْ هِشَامٍ وَخَطِّهِ وَتَوْقِيعِهِ - حَتَّى
اسْتَأْصَلَهُمْ وَفَرَّقَ جُوعَهُمْ، وَأَوَّلَ مَا بَدَأَ بِالصِّقَالَةِ الْخُلَصِيَانِ
الْخُدَامَ بِالْقَصْرِ، فَحَمَلَ الْحَاجِبَ الْمُصْحَفِيَّ عَلَى نَكَبَتِهِمْ،
فَنَكَبَهُمْ وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْقَصْرِ، وَكَانُوا ثَمَانِيَةَ أَوْ ثَلَاثِينَ.
ثُمَّ أَصْهَرَ^(٣) إِلَى غَالِبٍ مَوْلَى الْحَكَمِ، وَبَالَغَ فِي خِدْمَتِهِ
وَالْتَنَصُّحِ لَهُ، وَاسْتَعَانَ بِهِ عَلَى الْمُصْحَفِيِّ فَنَكَبَهُ وَمَحَا أَثَرَهُ
مِنَ النَّوَلَةِ. ثُمَّ اسْتَعَانَ عَلَى غَالِبٍ بِيَحْيَى بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
حَمْدُونَ^(٤) «صَاحِبَ الْمَسِيلَةِ وَقَائِدَ الشُّبُعَةِ» مَمْدُوحَ ابْنِ هَانِيٍّ

(١) أرضخ للجنود : أعطاهم قليلا من كثير ، والرضيخة والرضاخة
القلييل من العطية (٢) أى قهرهم وأذلهم وردعهم عما يريدون
(٣) أصهر إليه : صار له مهرا (٤) هو صاحب السيلة وأمير الزاب
وكان أبوه على قد جعد السيلة فكانت معروفة بهم ، وجرت عين

بِالْفَائِيَةِ الْمَشْهُورَةِ وَغَيْرِهَا^(١)، وَهُوَ التَّارِغُ إِلَى الْحُكْمِ

جعفر وزيري بن مناد جد العزيز بالله بن باديس ابن ومشارجات أفضت إلى القتال فتوافقا ونشبت بينهما معركة -أمية قتل زيري فيها، وقام ولده بلكين بن زيري مقامه، واستظهر على جعفر وأجلب عليه فلم أن ليس له به طاقة فتأدّر بلاده وملكته وهرب إلى الأندلس فقتل بها سنة ٣٦٤ «والسيلة» مدينة بالغرب من أعمال الزاب كانت تسمى الحمدية اختطها سنة ٣١٥ أبو القاسم محمد بن الهدي للقب بالقاسم حين كان ولي عهد أبيه للهدي الفاطمي . والزاب كورة عظيمة بقرية بين تلمسان وسجلماسة ، ينسب إليها محمد بن الحسن التميمي الطنبلي كان في أيام الحكم المستنصر . هذا ولائني القاسم ابن هاني الأندلسي في جعفر بن علي مدائح فائقة يجاوز حسنها حد الوصف وهو القائل فيه :

للدنقان من البرية كلها جسمي وطرف بابل أحور
وللشرقات النيرات ثلاثة الشمس والقمر للنير وجفر
وله فيه :

ألا أيها الوادي المقدس بالندي وأهل الندي قلبي اليك مشوق
ويأبها القصر المتيف قبابه على الزاب لا يبدد اليك طريق
ويملك الزاب الرفيع عماده بقيت لجمع الجبد وهو تزيق
على ملك الزاب السلام مرددا وريحان مبلك بالسلام قتيق
(١) عدة هذه القصيدة سبعون بيتا، ومطلعها :

أليتنا اذ أرسلت واردا وحفا وقتنا ترى الجوزاء في أذننا شتفا
وبلت لها ساق يقوم على النجا شمة نجم ماتقط ولا تطفأ
وبعد أن وصفه بأيات قال :

جعلنا حشاينا ثياب مدامنا وقفت لنا الظلما من جلدها لحفا
فمن كبد تبدي إلى كبد هوى ومن شفة توحى إلى شفة رشفا

أَوَّلُ الْقَوْلَةِ ، وَبَيْنَ كَانَ مَعَهُ مِنْ زِنَانَةٍ وَالْبَرْبَرِ ، ثُمَّ قَتَلَ
جَعْفَرًا بِمِثْلَةِ أَنْبِ عَبْدِ الْوُدِّ (١) وَأَبْنِ جَمُورٍ وَأَبْنِ
ذِي الثُّونِ وَأَمْثَالَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْقَوْلَةِ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ .
ثُمَّ لَمَّا خَلَا الْجَوْ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْخِلَافَةِ ، وَالْمُرْشَحِينَ لِلرِّيَاسَةِ

ثم وصف الليل ونجومه في نحو عشرين بيتا حتى قال :

كَانَ لَوَاهِ النَّمِسِ غَرَّةَ جَعْفَرٍ رَأَى الْقُرْنَ فَازْدَادَتْ طَلَاقَتُهُ ضَعْفًا
ثُمَّ مَدَحَهُ بِقَوْلِ جَزَلٍ بِالْأَسِّ وَالْأَقْدَامِ وَالْكَرَمِ وَالْجُودِ وَفَضْلِهِ عَلَى غَيْرِهِ
مِنَ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ حَتَّى قَالَ :

فَتَنِي تَسْحَبُ الدُّنْيَا بِهِ خِيَلَاهَا وَقَدْ طُمَحَتْ طَرَفًا وَقَدْ شَمَخَتْ أَنْفًا
وَبَالِغٌ فِيهَا مَا شَاءَ كَعَادَتِهِ ثُمَّ خَتَمَهَا بِقَوْلِهِ :

أَمَنْتُ بِكَ الْإِيَّامَ وَهِيَ غُخُوفَةٌ وَلَوْ يَبِيدُكَ الْخَلْدُ أَمْتَنَتْنِي الْخُفَا
وَلَهُ فِي جَعْفَرٍ نَحْوَ عَشْرِينَ قَصِيدَةً غَرَاءَ ، وَمِنْ أَشْهَرِهَا أَيْضًا قَصِيدَتُهُ الْبَائِيَّةُ
الَّتِي مَطْلَعُهَا :

أَحْبَبَ بِهَاتِيكَ الْقُبَابِ قُبَابَا لَا بِالْحِدَاةِ وَلَا الرِّكَابِ رَكَابَا
فِيهَا قُلُوبُ الْمَاشِقِينَ تَخَالُهَا عَنَا بِأَيْدِي الْبَيْضِ أَوْعَابَا

ومنها :

فَكَلَّمَا ضَرَبَ الْبِنَاءُ سَرْدَاكَ بِالزَّابِ أَوْ رَفَعَ النُّجُومُ قُبَابَا
فَرَشَتْ لَهُ أَبْدَى الْيُوثِ خَدُودَهَا وَرَضِينَ مَا يَأْتِي وَكُنْ غَضَابَا
قَدْ طَبِيبَ الْأَفْوَاهِ طَبِيبُ ثَنَائِهِ مِنْ أَجْلِ ذَا عَجْدِ الثُّغُورِ عَذَابَا
وَلَوْ أَنَّ أَقْطَارَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَا

(١) هو الوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي عقد له المنصور
ابن أبي عامر على المغرب الأقصى وأُنفذته إليه في سنة ٣٧٦ ومكث به ضابطا
لأعماله حتى قتل في بعض الحروب سنة ٣٨١ . «أحمد يوسف نجاشي»

رَجَعَ إِلَى الْجُنْدِ ، فَاسْتَدْعَى أَهْلَ الْمُدَوَّةِ مِنْ رِجَالِ زَنَانَةَ
وَالْبَرَابِرَةِ قَرِيبَ مِنْهُمْ جُنْدًا ، وَأَصْطَنَعَ أَوْلِيَاءَ ، وَعَرَفَ
عُرْفَاءَ^(١) مِنْ صِنْهَاجَةَ ، وَمَمْرَاوَةَ ، وَبَنِي يَمْرَنَ ، وَبَنِي بَرْزَالَ ،
وَمِكَنَاسَةَ^(٢) ، وَغَيْرِهِمْ ، فَخَلَبَ عَلَى هِشَامٍ وَحَجَرَهُ ، وَأَسْتَوْلَى
عَلَى الدَّوْلَةِ ، وَمَلَأَ الدُّنْيَا وَهُوَ فِي جَوْفِ يَتِّهِ مِنْ تَعْظِيمِ

(١) جمع عريف : وهو رئيس القوم وسيدهم ، أو النقيب وهو دون
الرئيس ، سمي به لأنه عرف بذلك أو لمعرفته بسياسة القوم . والعريف
أيضا : القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس إلى أمورهم ويتعرف
الأمير منه أحوالهم (٢) كل هؤلاء من قبائل البربر المشهورة وقد كانت
الدولة لزنانة ومكناسة ثم انتقلت إلى ممرآوة وبني يفرن في زمن حجابة
للنصور بن أبي عامر - وكانت مكناسة لأول الفتح العربي بنواحي
أواسط المغرب الأقصى والأوسط - وكان محمد بن خزر ملك ممرآوة
وصاحب المغرب الأوسط - وغلب ممرآوة على مدينة فاس وأعمالها واستفعل
أمرهم بالمغرب وأزاحوا مكناسة عن ضواحيه وأعماله حتى أيام النصور
ابن أبي عامر - وكان من دعاة الناصر أبو زيد محمد اليفرنى الزناتى الخارجى
ثار على الشيعة بأفريقية وأوقع بهم واستولى على مدينة القيروان وعلى
رقادة ، ونشر فيهما الدعوة لأمير المؤمنين الناصر لدين الله ، ووفدت
رسل منه ومن أهل القيروان في سنة ٣٣٤هـ إلى قرطبة يخبرون الخليفة
بهذا الفتح للدين والفوز العظيم ، ولكن أبا يزيد لم يلبث أن ظهرت
حساويه فاقبض جنوده من حوله وخلفوه ، وكان من حديث خروجه
حاهو معروف في التاريخ . وفي الأصل « وبني يمزز » وهو تحريف .

الْخِلَافَةِ وَالْخُضُوعِ لَهَا ، وَرَدَّ الْأُمُورَ إِلَيْهَا ، وَزَيْدُ الْقَزْوِ
وَالْجُهَادِ ، وَقَدَّمَ رِجَالَ الْبَرَايَةِ وَزَنَانَةَ ، وَأَخَّرَ رِجَالَ الْعَرَبِ
وَأَسْقَطَهُمْ مِنْ مَرَاتِبِهِمْ ، قَمَّ لَهُ مَا أَرَادَ مِنَ الْإِسْتِقْلَالِ
بِالْمَلِكِ ، وَالْإِسْتِغْدَادِ بِالْأَمْرِ . وَبَنَى لِنَفْسِهِ مَدِينَةً لِنَزْلِهِ ^(١)
مِمَّا هَا أَلْزَامِرَةَ ، وَقَالَ لَهَا خَزَائِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَسْلِحَةِ ، وَقَعَدَ
عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ ، وَأَمَرَ أَنْ يُحْيَا بِتَحِيَّةِ الْمُلُوكِ ، وَسَمَّى
بِالْحَاجِبِ الْمَنْصُورِ ، وَهَدَّتِ الْكُتُبُ وَالْمُحَاطَبَاتُ
وَالْأَوَامِرُ بِاسْمِهِ ، وَأَمَرَ بِالْدُّعَاءِ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ بِاسْمِهِ
عَقِبَ الدُّعَاءِ لِلْخَلِيفَةِ ، وَخَارَسَمَ الْخِلَافَةَ بِالْجُمْلَةِ ، وَلَمْ يَبْقَ
لِهَا مِنْ الْمُؤَيَّدِ مِنْ رُسُومِ الْخِلَافَةِ أَكْثَرُ مِنَ الدُّعَاءِ عَلَى
الْمَنَابِرِ وَكُتِبَ اسْمُهُ فِي السُّكَّةِ وَالطَّرِيزِ ^(٢) ، وَاغْفَلَ دِيَوَانَهُ
مِمَّا سِوَى ذَلِكَ ، وَجَنَّدَ الْبَرَايَةَ وَالْمَمَالِيكَ ، وَأَسْتَكْرَمَ مِنَ
الْقَيْدِ وَالْمُلُوجِ ^(٣) لِلْإِسْتِغْلَاءِ عَلَى تِلْكَ الرُّتْبَةِ وَهَرَمَ مِنْ

(١) النزل : للنزل وبه فسر قوله تعالى : « انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا »
ومكان نزل : ينزل فيه كثيرا . (٢) الطرّز : جمع طراز ، وهو علم التوب
(٣) الملوج : جمع علج : وهو في اصطلاح العرب الرجل الضخم القوى
من كفار البجم ، وكانوا بالترب يطلقون لفظ علج على الجند من
الافرنج الذين ربما اتخذهم السلطان لحامته « أحمد يوسف نجاشي »

تَطَاوَلَ إِلَيْهَا مِنَ الْعَلِيَّةِ ، فَظَفَرَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا أَرَادَ . وَرَدَدَ
الْفَزُو بِنَفْسِهِ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ ، فَفَزَا سِتًّا وَخَمْسِينَ غَزْوَةً فِي
سَائِرِ أَيَّامِ مُلْكِهِ ، لَمْ تَنْتَكِسْ ^(١) لَهُ فِيهَا رَايَةٌ وَلَا قُلٌّ ^(٢) ،
لَهُ جَيْشٌ ، وَمَا أَصِيبَ لَهُ بَمُتٍّ ، وَمَا هَلَكَتْ لَهُ سَرِيَّةٌ ^(٣) ،
وَأَجَّازَ عَسَاكِرُهُ إِلَى الْمُدَوَّةِ ، وَضَرَبَ ^(٤) بَيْنَ مُلُوكِ الْبَرَابِرَةِ ،
وَضَرَبَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، فَاسْتَوْتَقَ لَهُ مُلْكُ الْمَغْرِبِ ،
وَأَخْبَتَ لَهُ مُلُوكُ ^(٥) زَنَاتَهُ ، وَأَتَقَادُوا لِحُكْمِهِ ، وَأَطَاعُوا
سُلْطَانَهُ ، وَأَجَّازَ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى مُلُوكِ مَغْرَاوَةِ بِلَاسِ
مِنْ آلِ خَزَرَ . وَلَمَّا سَخِطَ زِيرِي بْنُ عَطِيَّةَ ^(٦) مَلِكُهُمْ

(١) لم تنتكس له فيها راية ، كناية عن أنه لم يهزم ولا في واحدة منها
(٢) قل الجيش : هزم (٣) السرية : قطعة من الجيش (٤) وضرب بين الخ:
أفقد بينهم وقد تكون محرفة عن « ضرى » أى أغرى وذلك عندى
أظهر (٥) أخبت : تواضعت وخضعت (٦) هو زيرى بن عطية بن
عبد الله بن خزر بن محمد بن خزر بن حنص من مغراوة من بطون
زناتة من البربر كان أمير بنى خزر في وقته واهتت اليه رياستهم
وإمارتهم في البداوة « وكان بنو مغراوة بالقرب الاوسط من زمن قديم
ثم صار لصنهاجة في سنة ٣٦٩ فلقى مغراوة فيمن بقى من بنى خزر
بالمغرب الاقصى وأمرأؤهم يومئذ محمد بن الحجير ، ومقاتل وزيرى ابن عطية ،
وخزرون بن قفلول ووصلوا الى سبتة وأميرهم للنصور بن أبى عامر ، ثم
أراد العزيز بن تزار العبيدى ملك مصر أن يسترد ملكه بالمغرب سنة ٣٧٥

لَمَّا بَلَغَهُ مَا بَلَغَهُ مِنْ إِعْلَانِهِ بِالنِّيلِ مِنْهُ ، وَالْقَصْ مِنْ مَنْصِبِهِ ،
وَالثَّأْفِ (١) لِحَبْرِ خَلِيفَةِ هِشَامٍ ، أَوْقَعَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ سَنَةً
سِتًّا وَثَمَانِينَ ، وَتَزَلَّ بِقَاسٍ وَمَلَكَهَا ، وَعَقَدَ لِمُلُوكِ زِنَانَةً
عَلَى مَمَالِكِ الْمَغْرِبِ وَأَعْمَالِهِ مِنْ سِجِلْمَاسَةَ وَغَيْرِهَا ، وَشَرَّدَ
زَيْرِي بْنَ عَطِيَّةَ إِلَى تَاهَرْتِ (٢) ، فَأَبْدَمَ الْمَفْرَّ ، وَهَلَكَ فِي مَفَرِّهِ

فقاله للنصور بجيش انعاش اليه زيري بن عطية ومن معه من بني خزر في
جوع مفراوة فهزم جيش العزيز ، ثم عقد النصور بن أبي عامر على
القرب الأقصى للوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي سنة ٣٧٦
بملوك مفراوة خصوصا زيري فسار الحسن بن أحمد حتى نزل بقاس
وضبط أعمال القرب ، وتوفي مقاتل بن عطية سنة ٣٧٨ واستقل أخوه
زيري بن عطية برياسة مفراوة ، وبعد وفاة الحسن بن أحمد بن عبد الودود
سنة ٣٨١ عقد للنصور على القرب لزيري بن عطية وكتب اليه بعهده
وأمره بضبط القرب فاستفحل ملكه وغلب على تلمسان واختط مدينة
وجدة سنة ٣٨٤ وأنزل بها عساكره ، ثم قد ما بينه وبين النصور فعقد
لنصور لمولاه واضح على القرب وجهزه لحرب زيري بن عطية في جيش عظيم
ثم أتبعه للنصور ابنه للظفر عبد الملك فهزم زيري وجرح في المعركة وفر
إلى قاس فامتنع عليه أهلها فلحق بالصحراء جريحا ، ثم شبت الحرب
بينه وبين صنهاجة بالقرب الأوسط وفتح تاهرت وتلمسان وأعمالها وأقام
الدعوة فيها لهشام بن عبد الملك خليفة الأندلس وحاجبه للنصور من بعده
وبقي على ذلك حتى توفي سنة ٣٩١ وبويع من بعده ابنه العزيز زيري
فجري على سنن أبيه من البطش لهشام بن عبد الملك والنصور من بعده حتى
توفي للنصور . وبقى للزيري ولايته حتى توفي سنة ٤١٧ «أحمد يوسف نجاشي»
(١) الثأف : التضجر والغضب (٢) تاهرت أو تهرت مدينة بمملكة تونس

ذَلِكَ . ثُمَّ قَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى قُرْطُبَةَ وَأَسْتَعْمَلَ مَوْلَاهُ
وَاضِحًا عَلَى الْمَغْرِبِ . وَهَلَكَ الْمَنْصُورُ أَعْظَمَ مَا كَانَ مُلْكًا ،
وَأَشَدَّ أَسْنِيْلًا ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِينَ ، بِمَدِينَةِ سَالِمٍ
مُنْصَرَفَهُ مِنْ بَعْضِ غَزَوَاتِهِ ، وَدُفِنَ هُنَاكَ ، وَذَلِكَ لِسَبْعِ
وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ . انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ خَلْدُونِ ، وَبَعْضُهُ
بِالْمَعْنَى وَزِيَادَةِ يَسِيرَةٍ . وَلَا بَأْسَ أَنْ تَرِيدَ عَلَيْهِ فَقُولُ :
بِمَا حُكِيَ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ عَلَى قَبْرِ الْمَنْصُورِ - رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى - :

آثَارُهُ تُنْيِكَ عَنْ أَخْبَارِهِ

حَتَّى كَأَنَّكَ بِالْعِيَانِ تَرَاهُ

تَأْقِدُ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ

أَبَدًا وَلَا يَحْجِي الثُّغُورَ سِوَاهُ

من أعمال بجاية وكانت قاعدة العرب الأوسط ، وكانت في القديم مدينتين
القديمة وكانت مدينة جليله حتى سموها ببلاد المغرب ، وناهرت الجديدة على
مرحلتها وهي أعظم من القديمة خصبة كثيرة الزرع وكانت بها البساتين
الموتقة والنفوا كالحسنه ، وهي شديدة البرد كثيرة السيوم والتلج والأتداء
والضباب والامطر



رأى بن مود وعَنْ شُجَاعٍ مَوْلَى الْمُتَمِيمِ بْنِ هُوْدٍ : لَمَّا تَوَجَّهْتُ إِلَى أَذْقُونَشَ وَجَدْتُهُ فِي مَدِينَةِ سَالِمٍ ، وَقَدْ نَصَبَ عَلَى قَبْرِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ سَرِيرَةً ، وَأَمْرَأَتُهُ مُسَكِّنَةٌ إِلَى جَانِبِهِ ، فَقَالَ لِي يَا شُجَاعُ : أَمَا تَرَانِي قَدْ مَلَكَتُ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَلَسْتُ عَلَى قَبْرِ مَلِكِهِمْ ؟ قَالَ فَحَمَلْتَنِي الْغَيْرَةُ أَنْ قُلْتُ لَهُ : لَوْ تَنَفَّسَ صَاحِبُ هَذَا الْقَبْرِ وَأَنْتَ عَلَيْهِ مَا سَمِعَ مِنْكَ مَا يُكْرَهُ سَمَاعُهُ ، وَلَا اسْتَقَرَّ بِكَ قَرَارٌ ، فَهَمَّ بِي فَحَالَتْ أَمْرَأَتُهُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَقَالَتْ لَهُ : صَدَقَكَ فِيمَا قَالَ ، أَيُفْخَرُ بِمِثْلِكَ بِمِثْلِ هَذَا ؟ .



فذلكة في تاريخ المنصور وَهَذَا تَلْخِيسُ تَرْجَمَةِ الْمَنْصُورِ مِنْ كَلَامِ ابْنِ سَعِيدٍ . قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : تَرْجَمَةُ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ الْمَنْصُورِ أَبِي عَامِرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ أَبِي عَامِرِ ابْنِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَعَاوِرِيِّ مِنْ قَرْيَةِ تَرْكَشَ^(١) ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ جَدُّهُ هُوَ الْوَافِدُ عَلَى الْأَنْدَلُسِ مَعَ

(١) العروف أن أصله من الجزيرة الخضراء « وهي مدينة مشهورة

طَارِقٍ فِي أَوَّلِ الدَّاخِلِينَ مِنَ الْعَرَبِ ، وَأَمَّا الْمَنْصُورُ فَقَدْ
ذَكَرَهُ ابْنُ حَيَّانٍ فِي كِتَابِهِ الْمَخْصُوصِ بِالدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ ،
وَالْفَتْحُ فِي الْمَطْمَحِ ، وَالْحَجَارِيُّ فِي الْمُسْنَبِ ، وَالْقَشْنَدِيُّ^(١)
فِي الطَّرَفِ ، وَذَكَرَ الْجَمِيعُ أَنَّ أَصْلَهُ مِنْ قَرْيَةٍ تَرَكُشَ ،
وَأَنَّهُ رَحَلَ إِلَى قَرْطَبَةَ وَتَأَدَّبَ بِهَا ، ثُمَّ اقْتَعَدَ^(٢) دُكَانًا
عِنْدَ بَابِ الْقَصْرِ يَكْتُبُ فِيهِ لِمَنْ يَمْنُ لَهُ كُتُبٌ مِنْ

من أشرف المدن وأطيبها أرضا مما على جبل الفتح من المغرب على
الساحل . وكانت آخر البلاد البحرية الإسلامية للأندلس وهي
من كور اشبيلية مما يلي جانب نهرها من الجنوب - وإلى الشمال منها كورة
أركش وهي من كور اشبيلية الجنوبية ، وأركش مدينة ومغلقة غاية
للنعة « على نهر يصب في البحر عند جزيرة قاذس » (١) كذا بالأصل
وقد يكون محرفا عن القشندى فهناك أبو عمر أحمد بن إبراهيم بن
عبد الرحمن الكلاعي القرطبي ، وكان يسكن عدوة النهر بشقطة وكان
فقيها صالحا ثقة وتوفي سنة ٣٩١ وأبو محمد عبد الله بن عبيد الله بن وجيه
ابن عبد الله الكلاعي القشندى من أهل قرطبة أيضا كان محدثا جليلا
أخذ عنه هشام بن محمد بن هلال المتوفى سنة ٤٢٠ وأخوه قاسم بن محمد
ابن هلال المتوفى سنة ٤٥٨ - وقنطرة بلدة بالأندلس ثم مرسقطة
استشهد بها سنة ٥١٤ امام المحدثين بالأندلس أبو علي الحسين بن محمد
ابن فيره المرسقطي الصدقي ، واستشهد بهذه الوقعة أيضا أبو عبد الله
محمد بن يحيى بن عبد الله بن زكريا قاضي مدينة المرية ، وسبأ في نقله عن
القشندى كثيرا (٢) اقعد دكانا : اتخذ له دكانا يقعد فيه

الخدم والمراقبين للسلطان ، إلى أن طلبت السيدة صبح
أم المؤيد من يكتب عنها ، فمرها به من كان يأس إليه
بالجلوس من فيان القصر ، فترقى إلى أن كتب عنها
فاستحسنته ، ونهت عليه الحكم ، ورغبت في تشريفه
بالخدمة ، فولاه قضاء بعض المواضع ، فظهرت منه نجابة
فترقى إلى الزكاة والموارث بالشميلية ، وتمكن في قلب
السيدة بما استمالها به من التحف والخدمة ما لم يتمكن
لغيره ، ولم يقصر مع ذلك في خدمة المصحفي الحاجب ،
إلى أن توفي الحكم



هشام بن الحكم وولي ابنه هشام المؤيد وهو ابن اثنتي عشرة
سنة ، فباشت^(١) الروم ، فجهز المصحفي ابن أبي عامر
لديفاعهم ، فنصره الله عليهم ، وتمكن حبه من قلوب
الناس ، وكان جواداً عاقلاً ذكياً ، استعان بالمصحفي على
الصقالية ، ثم بنال على المصحفي ، وكان غالب صاحب

(١) أي تحركت واستبقت ، وجشت الحرب بين الطائفتين إذا بدأت أن
تقتل وتشتعل ناراها . ومن المجاز جيش صدره إذا غلى غيظا ، وجيش البحر :
إذا هاج واضطربت أمواجه

مَدِينَةِ سَالِمٍ، وَتَرَوَّجَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ ابْنَتَهُ أَسْمَاءَ، وَكَانَ أَكْثَرُ
عُرْسٍ بِالْأَنْدَلُسِ، ثُمَّ يَجْعَفَرُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَنْدَلُسِيُّ مَمْدُوحُ
ابْنِ هَانِيٍّ عَلَى غَالِبٍ، ثُمَّ بَعْدَ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ هِشَامٍ
التَّجِيبِيُّ عَلَى جَعْفَرٍ، وَلَهُ فِي الْحَزْمِ وَالْكَيْدِ وَالْجَلْدِ مَا أَفْرَدَ
لَهُ ابْنُ حَيَّانَ تَأْلِيْفًا. وَعَدَدُ غَزَوَاتِهِ الْمُنْشَأَةِ مِنْ قُرْطُبَةَ
نِيفٍ وَخَمْسُونَ غَزْوَةً وَلَمْ يَهْزَمْ لَهُ رَايَةٌ، وَقَبْرُهُ بِمَدِينَةِ
سَالِمٍ فِي أَقْصَى شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ، وَمِنْ شِعْرِهِ:

رَمَيْتُ بِنَفْسِي هَوْلَ كُلِّ عَظِيمَةٍ

وَحَاطَرْتُ وَالْحُرَّ الْكَرِيمُ يُحَاطِرُ

وَمَا صَاحِي إِلَّا جَنَانٌ مُشَبِّعٌ^(١)

وَأَسْمَرُ خَطِيٌّ وَأَيْفَنُ بَاطِلٌ^(٢)

(١) الجنان: القلب، والمشيّع: الشجاع القوي الجريء، وسمى به لأن قلبه
لا يخلده كأنه يشيعه بنيره أو بقوة قلبه، أو شيع قلبه بما يركب به كل هول،
ويقال قد شيعته نفسه على ذلك وشايته، أي تبعته وشجته، وشيع فلانا
إذا شجعه وجراه وقواه، ومنه تشيع النار بالقاء الحطب عليها لقوتها
قال كثير:

فيلقب كن عنها صبوراً فاتها يشيعها بالصبر قلب مشيع

(٢) الأسمر الرمح، والخطي منسوب إلى الخط موضع بالبلقاء وهو خطهمجر

فَسُدْتُ بِنَفْسِي أَهْلَ كُلِّ سِيَادَةٍ
وَفَاخَرْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَنْ أَفْخِرُ
وَمَا شِدْتُ بُيُنَانًا وَلَكِنْ زِيَادَةً
عَلَى مَا بَنَى عَبْدُ الْمَلِكِ ^(١) وَعَامِرُ
رَفَعْنَا الْعَوَالِي بِالْعَوَالِي مِثْلَهَا
وَأَوْرَثْنَاهَا فِي الْقَدِيمِ مَعَاوِرَ ^(٢)
وَجُودُهُ مَعَ صَاعِدِ الْبَغْدَادِيِّ الْغَوِيِّ ^(٣) مَشْهُورٌ .

نسب اليه الرماح الخطية لأنها كانت تحمل من بلاد الهند فقوم به ، وقيل
الخط مرفأ السفن بالبحرين واليه نسب الرماح لأنها تباع به لأنه منبتها
وهي نسبة جرت بحري الاسم الطروق قد كثر بحيته في أشعار العرب ، قال زهير :
وهل ينبت الخطى الاوشيجه وتقرس الا في منابتها النخل ؟
وقال عمرو بن كلثوم :
بسم من قنا الخطى لن ذوابل أو بيض يختلينا
وقال غيره :

ذكرتك والخطى يخطر بيننا وقد نهلت منا للثقفة السر
والأبيض : السيف ، والياتر : الحاد القاطع (١) هما من جدوده كما
تري في نسبه (٢) العالية : القناة المستقيمة ، يعني أنهم شيدوا لانفسهم
جها ساميا قديما متوارثا بالشجاعة والحروب . وروى صدر البيت :
* رفعا العوالى بالعوالى حديثة * (٣) هو أبو العلاء صاعد بن الحسن
ابن عيسى الرضى النوى البغدادى ، رحل الى الاندلس في أيام هشام بن
الحكم وولاية النصور بن أبي عامر حوالى سنة ٣٨٠ وكان صاعد طالما



وَصَدَرَ عَنْ بَعْضِ غُرَوَاتِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ
هشام عبد الملك
ابن شهد
شُهَيْدٍ وَكَانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْهُ :

أَنَا شَيْخٌ وَالشَّيْخُ يَهْوَى الصَّبَا

يَا بِنَفْسِي أَقِيكَ كُلَّ الرَّزَا

وَرَسُولُ الْإِلَهِ أَنَّهُمْ فِي النَّبِيِّ

لَمَنْ لَمْ يُخْبِ^(١) فِيهِ الْمَطَا

باللغة والأخبار والآداب سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة تمتع
الحديث فأكرمه المنصور وزاد في الإحسان إليه والأفضال عليه، وكان مع
ذلك محسنا في السؤال حاذقا في استخراج الأموال، وجمع له كتاب
الفصوص في الفقه والأدب نحا فيه منحى أبي علي الغالي في أماليه وأتابه
عليه خمسة آلاف دينار. ولما كان صاعدا متهما بالكذب في ثقله والوضع
في حديثه رفض الناس كتابه، ولما ظهر للمنصور جراته على العلم وعدم
أمانته في النقل وقلة ثبته في الرواية رمى كتاب الفصوص في النهر لأنه
قيل له إن جميع ما فيه لا صحة له، فقال بعض شعراء عصره :

قد غاص في البحر كتب الفصوص وهكنا كل ثقيل يفوص
فلما سمع صاعد هذا البيت أنشد :

عاد إلى عنصره إنما يخرج من قعر البحور الفصوص
وتوفي صاعد بصقلية سنة ٤١٧ هـ - عفا الله عنه - (١) الحجب : الأسراع في
العدو، وخبت اللطى وأخيا صاحبها، يعني أنه عليه الصلاة والسلام ربما
جعل في الفتيمة سهما لمن لم يحضرها ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب

فَبَعَثَ إِلَيْهِ ثَلَاثَ جَوَارٍ مِنْ أَجْمَلِ السَّيِّ، وَكَتَبَ
 مَعَهُنَّ، وَكَانَتْ وَاحِدَةً أَجْمَلُهُنَّ، قَوْلُهُ :
 قَدْ بَعَثْنَا بِهَا كَشَمْسِ انْتِهَارِ
 فِي ثَلَاثٍ مِنْ أَلَمَاءِ^(١) أَبْكَارِ
 وَأَمْتَحَنًا بِمُذَرَّةِ الْبِكْرِ إِنْ كُنْ
 تَ تَرْجَى بَوَادِرَ الْإِعْذَارِ
 فَاجْهَدْ وَابْتَدِرْ فَإِنَّكَ شَيْخُ
 قَدْ جَلَا لَيْلَهُ يَبَاضُ انْتِهَارِ
 صَانَكَ اللَّهُ مِنْ كَلَالِكَ فِيهَا
 فَمِنْ أَلَمَارِ كَلَّةٍ^(٢) الْمِسْمَارِ
 فَاقْتَضَهُنَّ مِنْ لَيْلَتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ بُكْرَةً :

(١) اللهاء : البقرة الوحشية ، والبلورة التي تبص من يياضها وصفاتها،
 فاذا شبت للرأء بالمهاء من البياض فأما يراد صفاء لونها وإذا شبت
 بها في حسن العينين فأما تعنى البقرة في حسن عينيها، وبها يضرب للتل
 في سمن للرأء وجلالها وشدة ميلها الى الرجل ، وقال جميل :
 لها مقلة كعلاء نجلاء خلقة كأن أباهما الظبي أو أمهامها
 (٢) كلة للسار وكلاله : عدم فقاذه .

قَدْ فَضَضْنَا خِتَامَ ذَلِكَ السَّوَارِ
وَأَصْطَبْنَا مِنَ النَّجِيعِ ^(١) الْجَارِي
وَصَبَرْنَا عَلَى دِفَاعٍ وَحَرْبٍ
فَلَمَبْنَا بِالثَّرْأُ أَوْ بِاللَّارِي
وَقَضَى الشَّيْخُ مَا قَضَى بِحُسَامٍ
ذِي مَضَاءٍ عَضْبِ الطَّبَا بَتَّارٍ
فَاصْطَلَمَهُ فَلَيْسَ يَجْزِيكَ كُفْرًا
وَأَتَّخِذُهُ فَحَلًّا عَلَى الْكُفَّارِ ^(٢)

(١) اصطبنا : ائتمنا . والنجيع الجاري : الراد دم البكرة - يريد أنه قضى وطرامهن (٢) لا يخفى ما في هذه الأبيات التي قبلها من الكنايات التي هي في مثل هذا المقام أبلغ من الإفصاح وأسلم من التصريح ، ومثل هذه الكناية قول بعض الظرفاء فيمن عاقه عن اقتحام مثل هذه الحركة عنذات العنزة :

فارس ماض بحربته مولع بالظمن في الظلم
رام أن يلقي فريسته فأقته من دم يدم
وللمصاحب بن عباد في هذا المعنى إلا أنه أقرب إلى التصريح :
قلبي على الجفرة بأبأ البلا فهل فتحت للوضع للقلعا؟
وهل فككت الختم عن كيمه وهل كطت الناظر الا كحلا؟
ان قلت يا هذا نعم صادقا أبئت تشارا عملا للنزلا
وان تجبني من حياء بلا أبئت اليك القطن والنزلا
وكتب الأستاذ ابن الميبدالي أبي الحسن بن هند وصيغة عرسه من أبيات :



التاجر والحدأة

وَقَدِمَ بَعْضُ التُّجَّارِ وَمَعَهُ كَيْسٌ فِيهِ يَأْقُوتٌ قَيْسٌ ،
فَتَجَرَّدَ لِيَسْبِيحَ فِي النَّهْرِ وَتَرَكَ الْكَيْسَ - وَكَانَ أَحْمَرُ -
عَلَى ثِيَابِهِ ، فَرَفَعَتْهُ حِدَاءَةٌ فِي خَالِهَا ، فَجَرَى تَابِعًا لَهَا وَقَدْ ذَهَلَ ،
فَتَغَلَّغَتْ^(١) فِي الْبَسَاتِينِ ، وَأَنْقَطَعَتْ عَنْ عَيْنِهِ ، فَرَجَعَ مُتَحَبِّبًا
فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى بَعْضِ مَنْ يَأْنَسُ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : صِفْ حَالَكَ
لِابْنِ أَبِي قَامِرٍ ، فَتَلَطَّفَ فِي وَصْفِ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ :
نَنْظُرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَأْنِكَ ، وَجَمَلٌ يَسْتَدْعِي أَصْحَابَ
تِلْكَ الْبَسَاتِينِ ، وَيَسْأَلُ خُدَمَاهَا عَنْ ظَهَرٍ عَلَيْهِ تَبْدِيلُ حَالٍ ،
فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ شَخْصًا يَنْقُلُ الزُّبْلَ اشْتَرَى حِمَارًا ، وَظَهَرَ مِنْ
حَالِهِ مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ بِعِجَّتِهِ ، فَلَمَّا وَقَعَتْ
عَيْنُهُ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ أَخْضِرِ الْكَيْسَ الْأَحْمَرَ ، فَتَمَلَّكَ الرَّغْبُ
قَلْبَهُ وَأَرْتَمَشَ وَقَالَ : دَعْنِي آتِي بِهِ مِنْ مَنَزِلِي ، فَوَكَّلَ بِهِ
مَنْ حَمَلَهُ إِلَى مَنَزِلِهِ ، وَجَاءَ بِالْكَيسِ وَقَدْ نَقَصَ مِنْهُ

قد رُضت طرفك خاليا فهل استلنت له جمالا؟

وقدحت زندقا جهدا فهل اسقيت له انقداحا؟

وطرفت منطلقا فهل سن الاله له انفتاحا؟

(١) فتغللت الخ : فتغللت فيها وأوغلت واختفت عن الأبصار

مَا لَا يَقْدَحُ فِي مَسَرَّةِ صَاحِبِهِ، فَجَبَرَهُ^(١) وَدَفَعَهُ إِلَى صَاحِبِهِ . فَقَالَ :
وَاللَّهِ لَا أُحَدِّثَنَّ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا أَنَّ ابْنَ أَبِي عَامِرٍ
يَحْكُمُ عَلَى الطُّيُورِ وَيُنْصِفُ مِنْهَا ، وَأَلْتَفَتَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ إِلَى
الزَّبَّالِ فَقَالَ لَهُ : لَوْ أَتَيْتَ بِهِ أَغْنَيْتَاكَ ، لَكِنْ تَخْرُجُ
كَفَافًا^(٢) لَا عَقَابًا وَلَا ثَوَابًا . وَتَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي غَزَاتِهِ
لِلْإِفْرَنْجِ بِصَفَرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَجُمِلَ فِي
سَرِيرِهِ عَلَى أَعْنَاقِ الرُّجَالِ ، وَعَسْكَرُهُ يَحْفُؤُ بِهِ وَيَنْ يَدِينَهُ ،
إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى مَدِينَةِ سَالِمٍ ، وَدَامَتْ دَوْلَتُهُ سِتًّا وَعَشْرِينَ
سَنَةً ، غَزَا فِيهَا اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ غَزْوَةً ، وَاحِدَةً فِي الشَّتَاءِ
وَأُخْرَى فِي الصَّيْفِ . انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ سَمِيدٍ ، وَفِي بَعْضِهِ
مُخَالَفَةٌ لِبَعْضِ كَلَامِ ابْنِ خَلْدُونٍ

(١) جبره : أى آتاه (٢) يفسره ما بعده ، وقال المجنون :

فيلرب سو الحب بيني وبينها يكون كفافا لا على ولا يا



وَقَالَ الْفَتْحُ فِي الْمَطْمَحِ فِي حَقِّ الْمُصْحَفِيِّ الْحَاجِبِ جعفر بن عثمان المصنف
جَمْعَرِ بْنِ عُثْمَانَ الْمُصْحَفِيِّ مَا صُوِّرَتْهُ : تَجَرَّدَ لِلْعَلِيَا ،

وَعَرَّدَ^(١) فِي طَلَبِ الدُّنْيَا ، حَتَّى بَلَغَ الْمُنَى ، وَسَوَّعَ^(٢) ذَلِكَ
الْجَنَى ، وَوَصَلَ إِلَى الْمُنْتَهَى ، وَحَصَلَ عَلَى مَا أُشْتَهَى ، دُونَ
مَجْدٍ تَقَرَّعَ مِنْ دَوْحَتِهِ ، وَلَا فَخْرٍ نَشَأَ بَيْنَ مَعْدَاهُ وَرَوْحَتِهِ ،

(١) تمرّد الخ: عصى وجاوز حده ، ولم يقبل موعظة (٢) طابله هنيئاً سائماً
* ترجم له في كتاب بغية اللئس للضي « ج ٣ ص ٢٤٠ » من المكتبة
الاندلسية بترجمة موجزة نذكرها :

جعفر بن عثمان أبو الحسن الوزير الحجاب المعروف بابن للصحن ،
كان من أهل العلم والأدب البارع ، وله شعر كثير رائع ، يدل على قوة
طبعه ، وسعة أدبه ، وهو كان الوزير الناظر في الأمور قبل للنصور أبي
عامر محمد بن أبي عامر ثم « ندى (١) » للنصور يصبح وتمويلها عليه ، وطلب
فنكب جعفرًا ومات في تلك التكبّة ، أنشد له أبو محمد بن حزم :

يا إذا التى أودعنى مره لا ترج أن تسمعه منى
لم أجره بعدك في خاطرى كأنه عامر في أذى

وله :

اجرى الزمان على حاله مجارة نفسى لا نفاسها
إذا نفس صاعد شفا توارت به دون جلاسها
وان عكفت نكية الزمان عكفت بصدرى على رأسها

(١) أى اجتمع ولها محرفة عن « وترقى »

فَمَا دُونَ سَابِقَةٍ ، وَرَمَى إِلَى رُتْبَةٍ لَمْ تَكُنْ لِنَفْسِهِ
مُطَابَقَةً ، فَبَلَغَ بِنَفْسِهِ ، وَتَرَعٌ ^(١) عَنْ جَنْبِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ
يَسْتَفِلُّ ^(٢) وَيَطْلُعُ ، وَيَنْتَقِلُ مِنْ مَطْلَعٍ إِلَى مَطْلَعٍ ، حَتَّى
الْتَأَحَ ^(٣) فِي أَفْقِ الْخِلَافَةِ ، وَارْتَأَحَ إِلَيْهِ ^(٤) مُعْظَمُهَا كَنْشَوَانِ
السَّلَافَةِ ، وَاسْتَوَزَرَهُ الْمُسْتَنْصِرُ ، وَعَنْهُ قَدْ كَانَ يَسْمَعُ
وَبِهِ يُنْصِرُ ، وَحَجَبَ ^(٥) الْإِمَامَ ، وَأَسْكَبَ بِرَأْيِهِ ذَلِكَ
الْعَمَامَ ^(٦) ، فَأَذْرَكَ لِدَلَالِكَ مَا أَدْرَكَ ، وَنَصَبَ لِأَمَانِيهِ الْأَجْبَالِ
وَالشَّرَكَ ، فَاقْتَنَى اقْتِنَاءَ مُدْخِرٍ ، وَأَزْرَى بِعَيْنِ سِوَاهُ وَسَخِرَ ،
وَأَسْتَقْفَطَهُ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ وَنَجْمُهُ غَائِرٌ لَمْ يَلُحْ ^(٧) ، وَسِرُّهُ
مَكْتُومٌ لَمْ يَبْلُغْ ، فَمَا عَطَفَ ، وَلَا جَنَى مِنْ رَوْضَةِ دُنْيَاهُ

(١) أى ابتعد (٢) أى يزل ويخفض (٣) لاح النجم والاح : بداواضاء
وأشرق ، قال المتنبي :

وقد ألاح سهيل بعد ما هجوا كأنه ضرم بالكف مقبوس

(٤) فى اللطمح : وارتاح اليها بطفه ولعل « معظمها » فى الأصل محرفة
عن « مطلقها » وهو أحسن ، وارتاح الانسان الى الشيء وراح يراح
إذا نشط وسربه ، ومنه راح للعروف يراح راحة إذا أخذته له هزة
وأريحية ، والسلافة والسلاف : الحمر وهو أول ما يعصر منها وأخلصها
وأفضلها (٥) أى كان حاجباً له ، والأحسن أن تكون : وحجب للإمام ،
فانه يقال فلان يحجب للأمير إذا كان حاجباً له (٦) يريد أنه نال نوال
الأمير الجمل وكان حاذقاً فى استدراجه وانعله وأنه كان يحسن التصرف
فى أمور الدولة بأصالة رأيه (٧) أى قبل أن يشرق طالع سحبه .

(١٩ - فتح الطيب - ثالث)

وَلَا قَظَفَ ، وَأَقَامَ فِي تَدْيِيرِ الْأَنْدَلُسِ مَا أَقَامَ وَبُرْهَانَهُ^(١)
 مُسْتَقِيمٌ ، وَمِنْ الْفَتَنِ عَقِيمٌ ، وَهُوَ يُجْرِي مِنَ السَّعْدِ
 فِي مَيْدَانِ رَحْبٍ ، وَتَكَرَّرَ^(٢) مِنَ الْعِزِّ فِي مَشْرَبِ عَذْبٍ ،
 وَفَضَّ^(٣) خِتَامَ الشُّرُورِ ، وَيَنْهَضُ مِنَ الْمَلِكِ عَلَى لَبَنَةِ
 مَزْرُورٍ^(٤) ، وَكَانَ لَهُ أَدَبٌ بَارِعٌ ، وَخَاطِرٌ إِلَى نَظْمِ الْقَرِيضِ
 مُسَارِعٌ ، فَمِنْ مَحَاسِنِهِ الَّتِي بَعَثَهَا إِنْسَانُ دَهْرِهِ وَإِسْمَاعِدُهُ ،
 وَقَالَ حِينَ أَلْهَتُهُ سَلَامُهُ وَسُعَادُهُ ، قَوْلُهُ :

لِعَيْنَيْكَ فِي قَلْبِي عَلَيْكَ شُجُونٌ

وَيَبِينُ صَلُوعِي لِلشُّجُونِ فُنُونٌ

نَصِيصِي مِنَ الدُّنْيَا هَوَاكَ وَإِنَّهُ غِذَائِي وَلَكِنِّي عَلَيْهِ ضَنِينٌ
 وَسَتَاتِي هَذِهِ التَّرْجَمَةُ مِنَ الْمَطْمَحِ الصَّغِيرِ

(١) برهانه مستقيم: البرهان، الدليل - أى طريقه معتدل. (٢) في الأصل
 (وباع) وأظنها محرفة عن (ويكرر) يقال كرع في لواء والآناء إذا
 تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا أناء ، أو أن
 يدخل الثمر ثم يشرب حتى يروى (٣) الفض في الأصل: فك خاتم الكتاب
 يقال فضض الحاتم عن الكتاب وفضض ختمه ، ويستعمل مجازاً في
 غير الكتاب كما قال الفرزدق :

فَبَيْنَ بِيحَانِي مَصْرَعَاتِ وَبِتْ أَفْضُ أَغْلَاقِ الْحَتَامِ

(٤) في أصل آخر: وينهض بملك على لبته مزورور ولا بأس بها (أى)
 بملك تام حسن مرغوب فيه)

- إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - بِمَا فِيهِ بَعْضُ زِيَادَةٍ وَتُقْصَانٍ فِي الْبَابِ
الرَّابِعِ .



وَقَالَ فِي الْمَطْمَحِ فِي حَقِّ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ : إِنَّهُ تَحَرَّسَ غَزُو ابْنِ أَبِي عَامِرٍ
بِلَادِ الشَّرِّكَ أَكْثَرَ تَحَرَّسٍ^(١) ، وَمَا مِنْ طَوَائِفِهَا كُلِّ
تَعَجَّرَفٍ وَتَعَطَّرَسٍ^(٢) ، وَعَادَرَهُمْ صَرَعَى الْبِقَاعِ ، وَرَكَعَهُمْ
أَذَلَّ مِنْ وَتِدِ بِقَاعٍ^(٣) ، وَوَالَى عَلَى بِلَادِهِمُ الْوَقَائِعَ ،

(١) تحرس بالشيء وامترس به : احتك ، وتمارسوا في الحرب : اذا تضاربوا
ومارسه : علجه وزاوله ، وللرأسة الشدة ، ورجل مرس : شديد .
(٢) يطلق الطاغوت على الكاهن والاضنام ورأس كل ضلال ، وكل ما عبد
من دون الله ، وعلى مرد ذاهل الكتاب ، والطاغية : الجبار الضئيل ، والاحق
للكبر الظالم . والتعجرف : التكبر والجفوة ، وهو يتعجرف عليهم اذا كان
يركبهم بما يكرهون ولا يهلب شيئا ، والتعطرس : الكبر والتناول والخطرة :
الاعجاب بالنفس والظلم والتعصف (٣) القاع : أرض سهلة مطمئنة واسعة
مستوية حرة لا حوزة فيها ولا ارتفاع ولا انهباط قد انقربت عنها الجبال
والآكام وليس فيها حصا ولا حجارة ولا ثقت الشجر وما حوالها أرض
منها ، فيكون الوتد المدقوق فيها ظاهرا مكشوقا لسكل شيء لا يعجبه حاجز ما ،
ويضرب للتل في الرضا بالذل والقلم على الهوان بالوند والبير الالهى كما
قال للتلس :

ولا يقيم على ضم يراد به الا الادلان غير الحى والوند
هنا على الحفس مربوط برمته وذا يشج فلا يرى له أحد
ولهذا يقال فلان ثالث الادلين ، وفقرة الطمح مأخوذة من قول عبد الرحمن
ابن حسان بن ثابت :

وَسَدَّدَ إِلَى أَكْبَادِهِمْ سِهَامَ الْفَجَائِعِ ، وَأَغْنَى بِالْجَمَامِ
أَرْوَاحَهُمْ ، وَلَنَصَّ بِتِلْكَ الْآلَامِ مُكُورَهُمْ وَرَوَاحَهُمْ ،
وَمِنْ أَوْضَحِ الْأُمُورِ هُنَاكَ ، وَأَفْصَحِ الْأَخْبَارِ فِي ذَلِكَ ،
أَنَّ أَحَدَ رُسُلِهِ كَانَ كَثِيرَ الْإِتْيَابِ ^(١) لِذَلِكَ الْجَنَابِ ،
فَسَارَ فِي بَعْضِ مَسِيرَاتِهِ إِلَى غَرَسِيَّةٍ صَاحِبِ الْبَشْكَنْسِ ،
فَوَالَى فِي إِكْرَامِهِ ، وَتَنَاهَى فِي بَرِّهِ وَاحْتِرَامِهِ ، فَطَالَتْ
مُدَّتُهُ ، فَلَا مَتَزَرَةَ إِلَّا مَرَّةً عَلَيْهِ مُتَفَرِّجًا ، وَلَا مَنَزِلَ إِلَّا
سَارَ عَلَيْهِ مُعَرِّجًا ، فَحَلَّ فِي ذَلِكَ ، أَكْثَرَ الْكُنَاسِ هُنَاكَ .



قصة امرأة أسيرة . فَيَنِمَّا هُوَ يَجُولُ فِي سَاحِبَهَا ، وَيُحِيلُ الْمَيْنَ فِي
مِسَاحِبَهَا ، إِذْ عَرَضَتْ لَهُ أُمْرَأَةٌ قَدِيمَةٌ ^(٢) الْأَسْرِ ، قَوِيَّةٌ
عَلَى طَوْلِ الْكَسْرِ ^(٣) فَكَلَّمَتْهُ وَعَرَفَتْهُ بِنَفْسِهَا وَأَعْلَمَتْهُ ،
وَقَالَتْ لَهُ : أَيَرْضَى الْمَنْصُورُ أَنْ يَنْسَى بِتَنْعِيمِ بُوْسَهَا ،

ولولاهم لكنت كحوت بحر هوى في مظلم التمرات داجي
وكنت أدل من وتد بقلع يشجع رأسه بالقهر واجي
القهر : خجريدق به ، والواجي أصله واجي من وجأ الودد : اذا دقه
(١) أى التردد ، والجناب : الناحية وما قرب من محلة القوم (٢) قد تكون معرفة
عن «قوية» (٣) يبنى أنها ذات احتمال لشدة ألم القهر وقوة على ما نالها

وَيَتَمَتَّعْ بِلِبَاسِ الْمَافِيَةِ وَقَدْ نَفِثَ^(١) لِبُوسَهَا ، وَزَعَمَتْ
أَنَّ لَهَا عِدَّةَ سِنِينَ يَتْلِكَ الْكَنِيسَةَ مُحْبَسَةً ، وَبِكُلِّ ذَلِكَ
وَصَارَ مُلْبَسَةً ، وَنَاشَدَتْهُ اللَّهُ فِي إِهْنَاءِ قِصَّتِهَا ، وَإِبْرَاءِ غُصَّتِهَا ،
وَأَسْتَحْلَفَتْهُ بِأَغْلَظِ الْإِيمَانِ ، وَأَخَذَتْ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ
أَوْ كَدَ مَوَائِقِ الرَّعْمَنِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَنْصُورِ عَرَفَهُ
بِمَا يَحِبُّ تَعْرِيفُهُ بِهِ وَإِعْلَامُهُ ، وَهُوَ مُصْنَعٌ إِلَيْهِ حَتَّى
تَمَّ كَلَامُهُ ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : هَلْ وَقَفْتَ هُنَاكَ
عَلَى أَمْرٍ أَنْكَرْتَهُ ، أَمْ لَمْ تَقِفْ عَلَى غَيْرِ مَا ذَكَرْتَهُ ؟
فَأَعْلَمَهُ بِقِصَّةِ الْمَرْأَةِ وَمَا خَرَجَتْ عَنْهُ^(٢) إِلَيْهِ ، وَبِالْمَوَائِقِ
الَّتِي أَخَذَتْ عَلَيْهِ ، فَقَبَّعَهُ وَلَامَهُ ، عَلَى أَنْ لَمْ يَسْأَلْ
بِهَا كَلَامَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ لِلْجِهَادِ مِنْ قَوْرِهِ ، وَعَرَضَ مِنْ
أَجْنَادٍ فِي تَجْدِيدِهِ وَغَوْرِهِ^(٣) ، وَأَصْبَحَ غَازِيًا عَلَى سَرِجِهِ ،

(١) نفا ثوبه ونفاه « بالتشديد للكثرة » إذا ألقاه عن نفسه ، ونفاه

من ثوبه : إذا جرده ، ونفا ثوبه عنه إذا خلعه . قال امرؤ القيس :

فجئت وقد نفثت لنوم ثيابها لدى السر الالبية للتفضل

وأنفى الثوب إذا أبلاه وأخلقه بكثرة اللبس (٢) يريد بما باحت له به

وما أقضت به إليه من أسرارها وأحوالها (٣) التجدد : المكان المرتفع ضد

القور ، يريد عموم الأمكنة والجهات وأطن الأصل : وعرض من الأجناد

من في تجده وغوره

مُبَاهِيًا مَرَوَانَ يَوْمَ مَرْجِهٍ ^(١) ، حَتَّى وَافَى ابْنَ شَانِجَةَ فِي
جَنْبِهِ ، فَأَخَذَتْ مَهَابَتَهُ يَبْصَرِهِ وَمَمْنِهِ ، فَبَادَرَ بِالْكِتَابِ
إِلَيْهِ يَتَعَرَّفُ مَا الْجَلِيلَةُ ؟ وَيَخْلِفُ لَهُ بِأَعْظَمِ إِلَهَةٍ ^(٢) ،
أَنَّهُ مَا جَنَى ذَنْبًا ، وَلَا جَفَا عَنْ مَضْجِعِ الطَّاعَةِ جَنْبًا ،
فَمَنْتَ أَرْسَالَهُ وَقَالَ لَهُمْ : كَانَ قَدْ عَاقَدَنِي إِلَّا يَبْقَى بِيَلَادِهِ
مَأْسُورَةٌ وَلَا مَأْسُورٌ ، وَلَوْ حَمَلْتُهُ فِي حَوَاصِلِهَا النَّسُورُ ،
وَقَدْ بَلَغَنِي بَعْدُ بَقَاءُ فَلَانَةِ الْمُسْلِمَةِ فِي تِلْكَ الْكَنِيسَةِ ،
وَوَالَهُ لَا أَتَيْتُ عَنْ أَرْضِهِ حَتَّى أَكْتَسَحَهَا ^(٣) . فَأَرْسَلَ
إِلَيْهِ الْمَرْأَةَ فِي اثْنَتَيْنِ مَعَهَا ، وَأَقْسَمَ أَنَّهُ مَا أَبْصَرُهَا ،
وَلَا سَمِعَ بِهَا ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ الْكَنِيسَةَ الَّتِي أَشَارَ بِهَا
قَدْ بَالَتْ فِي هَذِمِهَا ، تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ ، وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ فِي

(١) يعني مروان بن الحكم في مرج رهاط « رهاط اسم رجل من قضاة »
وكانت به واقعة مشهورة ، ومرج رهاط بمشق بين قيس وتغلب ، وللامات
يزيد بن معاوية سنة ٦٥ وولى ابنه معاوية بن يزيد مائة يوم وكان ما
كان واقسم أهل الشام قسمين اجتمع حزب منهما الى الضحاك بن
قيس القهري وحزب مع مروان ووقعت بينهما تلك الواقعة التي قتل فيها
الضحاك واستقام الامر لمروان . (٢) أى بين وقسم (٣) من كسح البيت
والبذر ونحوهما : كسسه ، وأغاروا عليهم فأكسحهم أى أفنواهم وأخذوا
مالهم كله

الْأَخْذِ فِيهِ بِطَوْلِهِ^(١) فَاسْتَحْيَا مِنْهُ ، وَصَرَفَ الْجَيْشَ عَنْهُ ،
وَأَوْصَلَ الْمَرْأَةَ إِلَى قَبْرِهِ ، وَأَلْحَقَ^(٢) تَوَحُّشَهَا بِأَنْسِهِ ،
وَعَبَّرَ مِنْ حَالِهَا ، وَعَادَ بِسَوَاكِيبِ نِعْمَاهُ عَلَى جَدِّهَا وَإِخْوَانِهَا ،
وَحَمَلَهَا إِلَى قَوْمِهَا ، وَكَحَلَهَا بِمَا كَانَ شَرْدَمِنْ نَوْمِهَا . أَتَمَّتْ .

وَقَالَ فِي الْمَطْمَحِ أَيْضًا فِي حَقِّهِ مَا نَصَّهُ : فَرَدْنَا بِهِ عَلَى
مَنْ تَقَدَّمَ ، وَصَوَّبَهُ وَأَسْتَخْزَمَهُ^(٣) ، فَإِنَّهُ كَانَ أَمْضَاهُمْ سِنَانًا
وَأَذْكَاهُمْ جَنَانًا ، وَأَكْثَمَهُمْ جَلَالًا ، وَأَعْظَمَهُمْ اسْتِقْلَالًا ، قَالَ
أَمْرُهُ إِلَى مَا آلَ ، وَأَوْهَمَ الْعُمُولَ بِذَلِكَ الْمَالِ ، فَإِنَّهُ كَانَ
آيَةً اللَّهِ فِي اتِّفَاقِ سَعْدِهِ ، وَقُرْبِهِ مِنَ الْمَلِكِ بَعْدَ بَعْدِهِ ، بَهْرَ
بِرِّفَةِ الْقَدْرِ ، وَأَسْتَظْهَرَ بِالْآثَانَةِ^(٤) وَسَعَةِ الصَّدْرِ ، وَتَحَرَّكَ
فَلَاحَ نَجْمِ الْهُدَى ، وَتَحَلَّكَ فَمَا خَفَقَ بِأَرْضِهِ لَوَاءُ عَدُوٍّ ، بَعْدَ
مُحُولٍ كَابِدَ مِنْهُ غُصَصًا وَشَرَقًا ، وَتَعَذَّرَ مَأْمُولٌ طَارِدَ فِيهِ
سَهْرًا وَأَرْقًا ، حَتَّى أُتْجِرَ لَهُ الْمُوْعُودُ ، وَفَرَخَتْهُ أَمَامَ تِلْكَ

(١) الطول والطائفة الفضل وللة ، ويطلق أيضا على القدرة والفتى والهمة .
وتطول عليهم ومال : امتن وأنعم (٢) في بعض الراجح : وألحق (٣) نسب
إلى الصواب والحزم وفي بعض الراجح : وصرفه واستخضعه (٤) الآثانة :
الصبر والحلم

وصف ابن
أبي عامر

السُّعُودُ؛ فَعَامَ بَدِيرِ الْخِلَافَةِ ، وَأَقْدَمَ مَنْ كَانَ لَهُ فِيهَا
 إِنْافَةٌ^(١) ، وَمَسَّ الْأُمُورَ أَحْسَنَ سِيَاسَةٍ ، وَدَاسَ الْخُطُوبَ
 بِأَخْسَنِ دِيَاسَةٍ . فَانْتَقَمَتْ لَهُ الْمَمَالِكُ ، وَانْتَضَحَتْ بِهِ
 الْمَسَالِكُ ، وَانْتَشَرَ الْأَمْنُ فِي كُلِّ طَرِيقٍ ، وَاسْتَشِيرَ الْيَمَنُ
 بِكُلِّ فَرِيقٍ ، وَمَلَكَ الْأَنْدَلُسَ بَضْعًا وَعَشْرِينَ حُجَّةً ، لَمْ
 تُدْخَضْ^(٢) لِسَعَادَتِهَا حُجَّةٌ ، وَلَمْ تَزْخَرْ لِمَكْرُوبِهَا لُجَّةٌ ،
 لَبِسَتْ فِيهِ الْبِلَادُ الْأَشْرَاقَ ، وَتَنَفَّسَتْ عَنْ مِثْلِ أَنْفَاسِ الْعِرَاقِ^(٣) ،
 وَكَانَتْ أَيَّامُهُ أَمَّهْدَ أَيَّامٍ ، وَسِبْهَامُ بِأَسِهِ أَشَدَّ سِبْهَامٍ ، غَزَا
 الرُّومَ شَاتِيًا وَصَائِقًا ، وَمَضَى فِيمَا يَرُومُ زَاجِرًا وَعَاقِيًا^(٤)

(١) أناف على الشيء إذا ارتفع وأشرف وطلع إليه ، ويقال لكل
 مشرف على غيره أنه لمنيف (٢) تدخض : تبطل ، والحجة : العام
 (٣) يشير إلى قول الشاعر :

وشممت من أرض الشَّامِ نسيم أنفاس العراق ،

في أبيات تقدمت في الجزء الأول صفحة ١٥٣ وان كان لبعض
 أبياتها رواية أخرى (٤) زجر الطير زجرا : تقابل به ، وهو يزجر
 الطير ويصفاها وأصله أن يرمى الطائر بحصاة أو يصيح به فإن ولاد في
 طيرانه ميامنه تقابل به وان ولاد ميامره تطير منه ، وهو ضرب من
 التسكين يقول أنه يكون كذا وكذا ، وقال الزجاج : لطير وغيرها
 التيمن بسوحها والتشؤم يروحها ، وعاف الطير وغيرها من السوانح
 عيافة أي زجرها وذلك أن يستمر بأسيائها ومساقطها وعمرها وأصواتها فيستمد

فَمَا مَرَّ لَهُ غَيْرُ سَنِيحٍ ^(١) ، وَلَا فَازَ إِلَّا بِالْمَلَى لَا بِالنَّيْحِ ^(٢) .
فَأَوَّغَلَ فِي تِلْكَ الشَّعَابِ ، وَتَمَلَّلَ حَتَّى رَاعَ لَيْثَ
النَّابِ . وَمَشَى تَحْتَ الْوَيْتَةِ صَيْدُ ^(٣) الْقَبَائِلِ ، وَاشْتَجَرَتْ ^(٤)
فِي ظِلِّهَا يَبْضُ الظُّبَا وَتُمَرُ النَّوَابِلِ ، وَهُوَ يَقْتَضِي الْأَرْوَاحَ

ويشام ، وهو من عادة العرب ، وفي شعرهم كثير منه ، والعاف : للتكهن
بالطير أو غيرها من السوانح (١) سنح الظبي سنوحا إذا مر من ميسارك
إلى ميسارك وهو ضد برج ، ومن أمثالهم : من لى بالسائح بعد البارح
أى بالبارك بعد التؤم ، والنيح : هو السائح وهو أحسن حالا من
البرح عندهم فى التيمن (٢) المل : هو السهم الذى له سبعة أنصاء
إذا فاز وهو أفضل فداهم وللنيح : قبح بلا نصيب ، وهو من القبح
التغل التى ليست لها فرض ولا أنصاء ولا عليها غرم وإنما يقل بها القداح
الأربعة التى ليس لها غنم ولا غرم أولها للصدر ثم للضف ثم للنيح ثم
السفيح وفى حديث جابر « كنت منيح أصباحى يوم بدر » أى لم أكن
ممن يضرب له بسهم مع المجاهدين لصغرى فكنت بمنزلة السهم القوي الذى
لا فوز له ولا خسر عليه ، أو للنيح السهم من سهام البسر لأنصيب له
الأن يمنح صاحبه شيئا (٣) جمع أصيد ومؤتته صيداء ، وهو من رفع
رأسه كبرا ، ومن لا يلتفت من زهوه وأعجابه يمينا ولا شمالا ، والأصيد
أيضا الأسد لانه يختال فى مشيته ولا يلتفت كأن به صيدا « وهو ميل
العنق » (٤) أى اشتبكت وتدخلت ، ورمح شواجر ومشتجرة ومشاجرة :
منسخله مختلفة ومتشابكة ، قال البحتري :

شواجر أرمح تقطع بينهم شواجر أرحام ملوم قطوعها

بِغَيْرِ سَوْمٍ ^(١) ، وَيَنْتَضِي الصَّفَاحَ عَلَى كُلِّ رَوْمٍ ^(٢) ، وَيُثْلِفُ
 مَنْ يَنْسَاقُ لِلْخِلَافَةِ وَيَنْقَادُ ^(٣) ، وَيَخْطَفُ مِنْهُمْ كُلَّ كَوْكَبٍ
 وَقَادٍ ^(٤) ، حَتَّى اسْتَبَدَّ وَأَقْرَدَ ، وَأَنَسَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ
 مَا قَرَّ وَشَرَدَ . وَانْتَضَمَتْ لَهُ الْأَنْدُلُسُ بِالْعُدُوَّةِ ، وَاجْتَمَعَتْ
 فِي مُلْكِهِ اجْتِمَاعُ قُرَيْشٍ بِدَارِ النَّدْوَةِ ^(٥) ، وَمَعَ هَذَا لَمْ يَخْلَعْ
 أَسْمَ الْحِجَابَةِ ، وَلَمْ يَدْعِ أَسْمَ لِحَلِيقَتِهِ وَالْإِجَابَةِ . ظَاهِرُ
 يُخَالِفُهُ الْبَاطِنُ ، وَأَسْمُ تَنَافَرُهُ مَوَاقِعُ الْحُكْمِ وَالْمَوَاطِنُ .
 وَأَذَلَّ قَبَائِلَ الْأَنْدُلُسِ بِإِجَازَةِ الْبَرَايِرِ ، وَأَخْلَ ^(٦) بِهِمْ أُولَئِكَ
 الْأَعْلَامَ إِلَّا كَابِرَ ، فَإِنَّهُ قَاوَمَهُمْ بِأَصْدَادِهِمْ ، وَأَسْتَكْبَرَ
 مِنْ أَعْدَادِهِمْ ، حَتَّى تَغْلِبُوا عَلَى الْجُمْهُورِ ، وَسَلَبُوا عَنْهُمْ
 الظُّهُورَ ، وَوَثَبُوا عَلَيْهِمُ الْوُثُوبَ الْمَشْهُورَ ، الَّذِي أَعَادَ

(١) أى يأخذها ويطلبها ويستولى عليها بدون أن يساوم أصحابها في ثمنها
 (٢) انتضى السيف : استله ، والصفاح : السيف المريضة ، والروم للطلب
 والرام (٣) أى كل من تعدته نفسه بالذنوب منها والطمع فيها (٤) يريد كل
 عظيم ذي شهرة ومنزلة ورضة قدر ، ومن هو بين قومه كالكوكب الوقاد
 علو منزلة واهتداء به كاقيل :

يا ابن الكواكب من أئمة هاشم والرجح الاحساب والاحلام

(٥) دار الندوة معروفة كانت بمكة بناها قصى بن كلاب وسميت بذلك
 لأنهم كانوا يندون فيها ، أى يجتمعون للمشاورة وعقد الآلوية في الحرب
 (٦) وأخمل الخ : جعلهم خاملين ساقطين لا ذكر لهم .

أَكْثَرَ الْأَنْدُلُسِ قَهْرًا يَبَابًا^(١)، وَمَلَأَهَا وَحْشًا وَذَنَابًا، وَأَغْرَاهَا
مِنَ الْأَمَانِ، بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ . وَعَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ فَهُوَ وَابْنُهُ
الْمُظَفَّرُ كَانَا آخِرَ سَعْدِ الْأَنْدُلُسِ، وَحَدَّ الشُّرُورِ بِهَا وَالْكَأْسِ .
وَعَزَّوَانُهُ فِيهَا شَائِلَةٌ الْأَثَرِ، رَائِلَةٌ كَالسَّيْفِ ذِي الْأَثَرِ^(٢)،
وَحَسْبُهُ^(٣) وَافِرٌ، وَنَسَبُهُ مَعَاوِرٌ، وَلَدْنَا قَالَ يَهْتَجِرُ : رَمِيتُ
بِنَفْسِي، الْآيَاتَ . وَزَادَ هُنَا بَعْدَ قَوْلِهِ : - وَأَيْضُ بَاتِرُ - يَتَا
وَهُوَ :

وَإِنِّي لَزَجَّاءُ الْجِيُوشِ إِلَى الْوَغَى أُسُودُ تَلَايِيهَا أُسُودُ خَوَادِرِ^(٤)

(١) اليباب : الحراب الخالي ، وحوض يباب : لاماء فيه ، وتقول : دارهم
خراب يباب لاحارس ولاباب (٢) أثر السيف « بضمين » وأثره ، فريده
وروقه ، وتسلله وديباجته - والأثر « بفتح فكون » أكثر وأفصح
(٣) الحسب : ما يبعده للرء من مفاخر آياته ، ويطلق على مساعي الرجل
وما أثر سلفه ، وعلى المال والكرم وشرف القفال (٤) زجاء وزجاءه وأزجاءه :
ساقه ودفعه ، والوغى فى الأصل : الصوت والجلبة ، ومنهم من خصه فى
الحرب فقال هو غمغمة الإبطال فى حومة الحرب ، ويطلق على الحرب
نفسها لما فيها من الصوت والجلبة - والحوادر : جمع خدر ، والأسدا الخادر :
المقيم فى عرينه . والخدر : أجمة الأسد ، وأخدر الأسد : لزم أجمته وأقام
واتخذها خدرا كخدر « كفرح » فهو خدر وخدر ، والليل الاخيلية فى
ثوبة بن الحجير :

فنى كان أحياء من فتاة حية وأشجع من ليث بخفان خدر

وَكَانَتْ أُمُّهُ تَمِيمَةً فَحَازَ الشَّرَفَ بِطَرَفِهِ ^(١) وَالتَّحَفَ
بِطَرَفِهِ ، وَلَمَّا قَالَ الْقَسْطَلِيُّ ^(٢) فِيهِ :
تَلَاكَ عَلَيْهِ مِنْ تَمِيمٍ وَلَعْرُبٍ
مُتَمُوسٌ تَلَالَا فِي أَلْمَلَا وَبُدُورُ
مِنَ الْحَمِيرَيْنِ الَّذِينَ أَكْمُهُمْ
سَحَابٌ تَهَمِي ^(٣) بِالنَّدَى وَبُحُورُ
وَتَصَرَّفَ قَبْلَ وَلَايَتِهِ فِي شَتَّى الْوَلَايَاتِ ، وَجَاءَ مِنْ
التَّحَدُّثِ بِمُتَعَيِّ أَمْرِهِ بِآيَاتٍ ، حَتَّى صَحَّ زَجْرُهُ ، وَجَاءَ
بِصُبْحِهِ فَجْرُهُ ^(٤) ، تُؤَثِّرُهُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ أَخْبَارٌ ، فِيهَا عَجَبٌ

(١) أى من جهة الأب والام فهو كريم الطرفين مع محول. ومن شجر لا يخلف ثمره، ومن ماء لا يخاف كثره :

وقد يوفد الزندان نارا لقابس فتضحي من الزندان أعلى وأعظم
(٢) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى
ابن دراج القسطلی كاتب الانشاء لابن أبي عامر وكان شاعرا مقلقا وكتبا
مجيدا وطالما متقدما ، وكان بالاندلس كلتنبي صقع الشام ، ولد سنة ٣٤٧
وتوفي سنة ٤٢١ منسوب الى مدينة قسطة بالاندلس . ومن قوله في قصيدة :

ان كان واديك ممنوعا فموعنا وادى الكرى فطل في ألقاك
(٣) تهمل : نيل سلا متابعا وتهطل (٤) يريد أنه انتقل من حال الى
حال أرق منها - والفجر ضوء الصباح وهو حمرة الشمس في سواد الليل

وَأَعْتَبَارٌ، وَكَانَ أَدِيًّا مُحْسِنًا، وَعَالِيًا مُتَّقِنًا، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ
يُعْنَى نَفْسَهُ بِمَلِكِ مِصْرَ وَالْحِجَازِ ، وَلَسْتَدْعِي صُدُورَ تِلْكَ
الْأَعْجَازِ^(١)

مَنْعَ الْعَيْنِ أَنْ تَذُوقَ الْمَنَامَا
جُثْمًا أَنْ تَرَى الصَّفَا وَالْمَقَامَا
لِي دُيُونٌ بِالشَّرْقِ عِنْدَ أَنَابِي
قَدْ أَحَلُّوا بِالْمَشْعَرَيْنِ الْحَرَامَا^(٢)
إِنْ قَضَوْهَا نَالُوا الْأَمَانِي وَإِلَّا
جَعَلُوا دُونَهَا رِقَابًا وَهَامَا^(٣)

(١) صدر كل شيء : مقدمه وأوله ، ويقال أخذ الأمر بصدوره أى بأوله ،
والأمور بصدورها - وعجز الشيء مؤخره (٢) الشعر : موضع للناسك
في الحج وشماره « أى علامته وآثاره وأعماله وكل ما يجعل علما لطاعة
الله تعالى كالوقوف والطواف والسعي والرمي وغير ذلك » والشعر : للتعبد
من متعبداته ، ومنه سمي الشعر الحرام لأنه محل لمعبادة وموضع لها وهو
بالزُدْلَقَة ، وقيل الشعر الحرام ما بين جبل مزدلفة من مأزمية عرفة الى
محسر وليس للآزمان ولا محسر من الشعر (٣) جمع هامة : أى الرأس يريد
أنهم ان لم يتقاضوا ديونهم بالحسنى اقتضوها بالحرب ويرى الرقاب والمناح
الهام عن الأجسام - وهو وعيد خفي بل صريح للفاطميين والعباسيين
وبنى حمدان وكل من ملك مصر والشام والعراق والحجاز من بلاد الشرق

عَنْ قَرِيبٍ تَرَى خِيُولَ هِشَامٍ
يَلْغُ النَّيْلَ خَطْوُهَا وَالشَّامَا
أَتَعَى مَا قَلَّتْهُ مِنَ الْمَطْمَحِ .

وفي المنصور المدكور أيضا قال بعض مؤرخي
المغرب ما زجا كلامه ببعض كلام الفتح ، بعد ذكر
استماتته ببعض الناس على بعض ، وذكر قتله لـجـعفر
ابن عثمان ، فقال بعده ماضوره : ثم انشرد بنفسه وصار
يتأدى هل من مبارز^(١) فلما لم يجد حمله الدهر على
حكمه ، فاقاد له وساعده ، فاستقام أمره منفردا
بملكه لا سلف له فيها . ومن أوضح الدلائل على
سعدته أنه لم ينكب قط في حرب شهدها ، وما توجهت
عليه هزيمة ، وما انصرف عن موطن إلا قاهرا غالبا ، على
كثرة ما زاول من الحروب ، ومارس من الأعداء ، وواجه
من الأمم ، وإنها لخاصة ما أحسب أحدا من الملوك
الإسلامية شاركه فيها .

(١) مأخوذ من قوله :

ولقد بحثت من النداء . لجمعكم هل من مبارز ؟



وَمِنْ أَعْظَمَ مَا أُعِينَ بِهِ مَعَ قُوَّةِ سَعْدِهِ وَتَمَكَّنَ كَرَمُ النُّصُورِ وَبَهْلُهُ
جَدُّهُ ، سَعَةُ جُودِهِ وَكَثْرَةُ بَذْلِهِ ، فَقَدْ كَانَ فِي ذَلِكَ
أَعْجُوبَةُ الزَّمَانِ ، وَأَوَّلَ مَا أَتَكَأَ عَلَى أَرَائِكَ الْمُلُوكِ
وَأَرْفَقَ ^(١) ، وَأَنْتَشَرَ عَلَيْهِ لَوَاءُ السُّعْدِ وَخَفَقَ ، حَطَّ
صَاحِبُهُ الْمُصْحَفِ ، وَأَثَارَ لَهُ كَامِنَ حِقْدِهِ أَنْخَفَى ، حَتَّى أَصَارَهُ
لِلْهُمُومِ لَيْسًا ^(٢) ، وَفِي غِيَابَاتِ ^(٣) السُّجُنِ حَيْسًا ، فَكَتَبَ
إِلَيْهِ يَسْتَعِظُهُ بِقَوْلِهِ :

هَبْنِي أَسَاتُ قَائِنَ الْفَقْرِ وَالْكَرَمِ
إِذْ قَادَنِي نَحْوُكَ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ ؟
يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ أَلْيَدِي إِلَيْهِ أَمَّا
تَرَنِي لِشَيْخٍ رَمَاهُ عِنْدَكَ الْقَلَمُ ^(٤) ؟

- (١) ارتفق : انكأ على مرفق يده ، أو على الرقعة : وهي المصدة .
(٢) الهموم : التوب قد أكثر لبسه فأخلق ولى ، والليس المثل ، وهو من اللابة ، أى المخالطة (٣) غيبة كل شئ قمره وماستر ما كان فيه وغيبه كالجب والوادي والقبر وغيرها ، ومنه قوله تعالى : « وَأَلْقَوْهُ فِي غِيَابَاتِ الْجُبِّ » وقيل الغيبة فى الأصل قمر البئر ثم نقلت لكل خفى غامض ، وفى الأصل غايت محرفة (٤) رنى له : اذا رجمه ورقى له ، ويريد بالقلم ما كتبه الله فى لوح قضاة :

يَأْتِي فِي السُّخْطِ^(١) فَاصْفَحْ صَفْحَ مُقْتَدِرٍ

إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَا اسْتَرْجَحُوا رَحِمُوا

فَمَا زَادَهُ ذَلِكَ إِلَّا حَقًّا وَحَقْدًا ، وَمَا أَفَادَتْهُ الْآيَاتُ

إِلَّا تَضَرَّمَا وَوَقْدًا ، فَرَاغَهُ عَمَّا أَيَّاسُهُ ، وَأَرَاهُ مَرْمَسَهُ^(٢) ،

وَأَطْبَقَ^(٣) عَلَيْهِ مَحْبَسَهُ ، وَصَيَّقَ تَرَوْحَهُ^(٤) مِنْ الْيَحْنَةِ

وَنَفْسَهُ :

الآنَ يَا جَاهِلًا زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمُ

تَبْنِي أَشْكُرْمَ لَمَّا فَاتَكَ الْكَرَمُ ؟

أَغْرَيْتَ بِي مَلِكًا لَوْلَا تَقَبُّهُ

مَا جَازَى لِي عِنْدَهُ نُطْقٌ وَلَا كَلَمٌ

جرى قلم الغضاء بما يكون فسيان التحرك والكون

وفي بعض المراجع : ناه عندك القلم . وقد يراد بالقلم قلمه الكاتب فقد كان وزيراً (١) في الأصل « في الخط » محرفة (٢) للرسم والرسم : القبر ، وقد يستعار السجن فهو قبر الأحياء (٣) أطبقه : غطاه وجهه مطبقاً عليه ، ومنه الجنون للطبق التي ينطى العقل ويستره - وأطبق سجن تحت الأرض (٤) من الروح وهو برد نسيم الريح « وسميت ريحاً لأن الغالب عليها في هبوبها المهيبة بالروح والراحة وانقطاع هبوبها يكسب الكرب والغم والأذى » وأراح : تنفس ، وأراح واستراح : رجعت نفسه إليه بعد الإعياء ، وصلر ذا راحة

فَايَأْسُ مِنَ الْمَيْتِ إِذْ قَدِصِرَتْ فِي طَبَقٍ ^(١)
 إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَا اسْتَنْعَمُوا ^(٢) تَقَمُّوا

نَفْسِي إِذَا سَخِطَتْ لَيْسَتْ بِرَاضِيَةٍ
 وَلَوْ تَشَفَّعَ فِيكَ الْعَرَبُ وَالْمَجَمُّ

وَكَانَ مِنْ أَخْبَارِهِ الدَّاخِلَةِ فِي أَبْوَابِ الْبَرِّ وَالْقُرْبَةِ
 يُنَادِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ إِلَى أَنْ قَالَ : وَمِنْ ذَلِكَ بِنَاؤُهُ قَنْطَرَةً
 عَلَى نَهْرِ قَرْطَبَةَ الْأَعْظَمِ ، أَبْتَدَأَ بِنَائِهَا الْمَنْصُورُ سَنَةَ ثَمَانٍ
 وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَفَرَعَ مِنْهَا فِي النِّصْفِ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ
 وَسَبْعِينَ ، وَانْتَهَتْ النِّفْقَةُ عَلَيْهَا إِلَى مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَرْبَعِينَ
 أَلْفَ دِينَارٍ ، فَعُظِّمَتْ بِهَا النِّفْقَةُ ، وَصَارَتْ صَدْرًا فِي مَنَاقِبِهِ
 الْجَلِيلَةِ ، وَكَانَتْ هُنَاكَ قِطْعَةُ أَرْضٍ لِشَيْخٍ مِنَ الْعَامَّةِ ، وَلَمْ
 يَكُنْ لِلْقَنْطَرَةِ عُدُولٌ عَنْهَا ، فَأَمَرَ الْمَنْصُورُ أَمَنَاءَهُ بِإِزْصَانِهِ

(١) الطبق : غطاء كل شيء ووجه الأرض ، والطبق : البرك من
 أدراك جهنم ، والبيت الأخير يشير إلى قول مع بن أوس للزرق :
 إذا انصرف نفسي عن الشيء لم تكذب عليه بوجه آخر الدهر تقبل
 (٢) استنعموا : طلبوا للانتقام - وتقموا : عاقبوا .

(٢٠ - نفع الطيب - ثالث)

فِيهَا، فَحَضَرَ الشَّيْخُ عِنْدَهُمْ فَسَأَلُوهُ ^(١) بِالْقِطْعَةِ، وَعَرَّفُوهُ
وَجْهَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا، وَأَنَّ الْمَنْصُورَ لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْصَافَهُ فِيهَا،
فَرَمَاهُمْ ^(٢) الشَّيْخُ بِالْعَرَضِ الْأَقْصَى عِنْدَهُ فِيمَا ظَنَّهُ أَنَّهَا لَا تَخْرُجُ
عَنْهُ بِأَقْلٍ مِنْ عَشْرَةِ دَنَائِرٍ ذَهَبًا كَانَتْ عِنْدَهُ أَقْصَى
الْأُمْنِيَةِ، وَشَرَطَهَا صِحَاحًا، فَأَعْتَمَ الْأُمْنَاءُ عَقْلَهُ، وَتَقَدَّوْهُ
الْثَمَنَ، وَأَشْهَدُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ أَخْبَرُوا الْمَنْصُورَ بِخَبْرِهِ، فَضَحِكَ
مِنْ جَهَالَتِهِ، وَأَتَى مِنْ غَبْنِهِ ^(٣) وَأَمَرَ أَنْ يُعْطَى عَشْرَةُ أَمْثَالٍ
مَا سَأَلَ، وَتُدْفَعَ لَهُ صِحَاحًا كَمَا قَالَ، فَقَبِضَ الشَّيْخُ مِائَةً
دِينَارٍ ذَهَبًا، فَكَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ عَقْلِهِ، وَأَنْ يُحَنَّ عِنْدَ قَبْضِهَا
مِنَ الْفَرَحِ، وَجَاءَ مُحْتَفِلًا فِي شُكْرِ الْمَنْصُورِ، وَصَارَتْ
قِصَّتُهُ خَبْرًا سَائِرًا

« وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا » بِنَاءُ قَنْطَرَةٍ عَلَى نَهْرِ إِسْتِجَةِ ^(٤) وَهُوَ

(١) سَأَلُوهُ بِالْقِطْعَةِ : عِينُوا ثَمَنَهَا (٢) رَمَاهُمْ الشَّيْخُ الخ : أَلْقَى إِلَيْهِمْ
بِمَقْصَدِهِ الْبُعْدَ فِي الثَّمَنِ (٣) غَبْنُهُ : خُدَاعُهُ فِي الثَّمَنِ وَغَلْبُهُ فِيهِ .
(٤) إِسْتِجَةُ Ecija اسم لِكُورَةٍ تَعْمَلُ أَعْمَالَهَا بِأَعْمَالِ قَرْطَبَةِ وَبَيْنَ
مَدِينَةِ اسْتِجَةِ وَقَرْطَبَةِ نَحْوَ ٣٥ مِيلًا وَهِيَ إِلَى الْجَنُوبِ الْقَرِيبِ مِنْهَا عَلَى
رَافِدٍ مِنْ رَوَافِدِ نَهْرِ اشْبِيلِيَةِ الْعَظِيمِ « أَوْ نَهْرِ قَرْطَبَةِ » يُسَمَّى نَهْرَ شَنْلِ
أَوْ نَهْرَ سَنْجَلٍ وَهُوَ نَهْرُ غَرْنَاطَةِ وَكَانَ طَارِقُ بْنُ زَيْدٍ أَيَّامَ الْقُتَيْبِ قَدْ حَارَبَ

نَهْرٌ شَنْيَلٌ^(١)، وَتَجَشَّمْ لَهَا أَعْظَمَ مُؤَنَةٍ، وَسَهَّلِ الطَّرِيقَ الْوَعْرَةَ
وَالشَّعَابَ^(٢) الصَّعْبَةَ

فل عسكر لنريق بعد استيلائه على إستجة ثم ورد عينا من مدينة استجة
على نهرها على أربعة أميال فسميت عين طارق . وفي سنة ٢٣٥ كان
بالاندلس سيل عظيم خرب جسر استجة وأتلف الأرحاء وغرق نهر
اشبيلية ١٦ قرية ومن أهل استجة كثير من العلماء والأدباء منهم أبو عبدالله
محمد بن اسحق بن ابراهيم بن مطرف النصرى العالم الفقيه النحوى
العروضى والشاعر الأديب توفى سنة ٣٦٣ وأبو القاسم أحمد بن يوسف
ابن اسحق بن ابراهيم الفقيه الأديب الشاعر توفى سنة ٣٧٢ وأبو القاسم
أصبح بن قاسم بن أصبح الفقيه الأديب توفى سنة ٣٦٣ وابنه اسحق بن
محمد كان كاتبة في علومه ومعارفه وكان طبيا أديبا وشاعرا مطبوعا وكانبا
بليغا وفقها فاضلا توفى سنة ٣٧٠ (١) نهر شنيل (Xenil) Jenil يسمى
أيضا نهر غرناطة وعليه مدينة إستجة وهو يشق إقليم غرناطة و يروى سهوله
بوسائل الرى وترعه التى أوجدها العرب من قبل ثم يمر بقرطبة ومدينة
لوشة ويصب بعد ذلك فى الوادى الكبير ويدبر عددا كبيرا من الأرحاء
كأرحاء ناصح وغيرها . وقد افتتح الناصر مدينة إستجة سنة ٣٠٠ وفيه
يقول أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن حسان من أبيات :

وقد سل شنيل فرندا مهندا نفى فوق درذ فيه عقيق
إذا تم فيه طيب نشر أراك أراك فتيت للسك وهو فتيق
ومهما بكى جفن الغمام تبسمت ثور أفتح فى الرياض أنيق

وقد ولع شعراء الأندلس بوصف هذا الوادى وتفضيل نهر شنيل على نهر
النيل بزيادة الشين التى هى ألف بحساب الجمل فكانه ألف ضعف بالنسبة
لنيل على عادة التحليق فى سماء الخيال الشعرى ، وقد سبق فى الجزء
الأول شئ من ذلك « أحمد يوسف نجاشى » (٢) الشعب الصعبة :
الطرق فى الجبل غير الممهدة .



قوة إيمان المنصور

« وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا » أَنَّهُ خَطَّ يَدَهُ مُصْحَفًا كَانَ يَحْمِلُهُ
 مَعَهُ فِي أَسْفَارِهِ وَغَزَوَاتِهِ ، يَدْرُسُ فِيهِ وَيَتَبَرَّكُ بِهِ . وَمِنْ
 قُوَّةِ رَجَائِهِ أَنَّهُ أُعْتِيَ يَجْمَعُ مَا عَلِقَ بِوَجْهِهِ مِنَ الْبُكَارِ فِي
 غَزَوَاتِهِ وَمَوَاطِنِ جِهَادِهِ ، فَكَانَ الْخُلْدُ يَأْخُذُونَهُ عَنْهُ
 بِالْمَنَادِيلِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِهِ ، حَتَّى اجْتَمَعَ لَهُ مِنْهُ
 ضُرَّةٌ صَحْحَةٌ عَمِدَ بِتَصْيِيرِهِ فِي حَنُوطِهِ ^(١) ، وَكَانَ يَحْمِلُهَا
 حَيْثُ سَارَ مَعَ أَكْفَانِهِ تَوْقَمًا لِحُلُولِ مَنِيَّتِهِ ، وَقَدْ كَانَ
 اتَّخَذَ الْأَكْفَانَ مِنْ أَطْيَبِ مَكْسِيهِ ، مِنَ الضَّيْعَةِ الْمَوْرُوثَةِ
 عَنْ أَبِيهِ وَغَزَلِ بَنَاتِهِ ، وَكَانَ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتَوَفَّاهُ فِي
 طَرِيقِ الْجِهَادِ ، فَكَانَ كَذَلِكَ . وَكَانَ مُتَسِمًا ^(٢) بِبَصِيحَةٍ
 بَاطِنَةٍ ، وَأَعْتَرَفَهُ بِذَنْبِهِ ، وَخَوْفَهُ مِنْ رَبِّهِ ، وَكَثْرَةَ جِهَادِهِ ،
 وَإِذَا ذُكِّرَ بِاللَّهِ ذَكَرَ ، وَإِذَا خُوفَ مِنْ عِقَابِهِ أُذْجِرَ ،
 وَلَمْ يَزَلْ مُتَنَزِّهًا ^(٣) عَنْ كُلِّ مَا يَفْتِنُ بِهِ الْمُلُوكُ ، سِوَى

(١) الحنوط كل طيب يخلط لثيت خلسة لأكفانهم وأجسامهم من ذريرة
 أو مسك أو عنب أو كافور وغيره. (٢) متصفا ومبروقا (٣) متنزها : مترفعا

الْحَمْرِ، لَكِنَّهُ أَقْلَعَ عَنْهَا قَبْلَ مَوْتِهِ بِسِتِّينَ، وَكَانَ عَدْلُهُ
فِي الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَبَسَطُ الْحَقِّ عَلَى الْأَقْرَبِ فَأَلْأَقْرَبِ
مِنْ خَاصَّتِهِ وَخَاشِيَتِهِ أَمْرًا مَضْرُوبًا بِهِ الْمَثَلُ

« وَمِنْ عَدْلِهِ » أَنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْعَامَّةِ بِمَجْلِسِ
فَنَادَى : يَا نَاصِرَ الْحَقِّ، إِنَّ لِي مَظْلَمَةً عِنْدَ ذَلِكَ الْوَصِيفِ الَّذِي
عَلَى رَأْسِكَ وَأَشَارَ إِلَى الْفَتَى صَاحِبِ الدَّرَقَةِ ^(١)، وَكَانَ لَهُ
فَضْلٌ مَحَلٌّ عِنْدَهُ. ثُمَّ قَالَ : وَقَدْ دَعَوْتُهُ إِلَى الْخَالِكِ فَلَمْ
يَأْتِ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : أَوْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْفُطَيْسِ بِهَذَا
الْعَجَزِ وَالْمَهَانَةِ، وَكُنَّا نَظُنُّهُ أَمَضَى مِنْ ذَلِكَ ؟ اذْكَرْ
مَظْلَمَتَكَ ^(٢) يَاهَذَا، فَذَكَرَ الرَّجُلُ مُعَامَلَةً كَانَتْ جَارِيَةً بَيْنَهُمَا
فَقَطَعَهَا مِنْ غَيْرِ نَصَفٍ ^(٣)، فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مَا أَعْظَمَ بَلِيَّتَنَا
بِهَذِهِ الْخَاشِيَةِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْمُتَقَلِّبِ وَقَدْ ذَهَلَ عَقْلُهُ، فَقَالَ
لَهُ : أَذْفَعُ الدَّرَقَةَ إِلَى فُلَانٍ وَاتَزِلْ صَاعِرًا : وَسَاوِ خَصَمَكَ فِي

(١) هي ترس من جلود ليس فيه خشب (٢) للظلمة : بكسر اللام ، ما نظمه
الرجل (٣) النصف : بالتحريك ، اسم من الانصاف وهو العدل

مَقَامِهِ حَتَّى يَرْفَعَكَ الْحَقُّ أَوْ يَضَعَكَ ، فَعَمَلٌ وَمَثَلٌ بَيْنَ
يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ لِصَاحِبِ شُرْطَتِهِ الْخَاصِّ بِهِ : خُذْ يَدَ هَذَا
الْفَاسِقِ الظَّالِمِ ، وَقَدِّمُهُ مَعَ خَصْمِهِ إِلَى صَاحِبِ الْمِظَالِمِ ،
لِيُنْفِذَ عَلَيْهِ حُكْمَهُ بِأَغْلَظِ مَا يُوجِبُهُ الْحَقُّ مِنْ سِجْنٍ أَوْ
غَيْرِهِ ، فَعَمَلٌ ذَلِكَ ، وَعَادَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ شَاكِرًا ، فَقَالَ لَهُ
الْمَنْصُورُ : قَدْ ائْتَصَفْتُ (١) أَنْتَ ، أَذْهَبَ لِسَبِيلِكَ ، وَيَبْقَى ائْتِصَافِي
أَنَا بِمَنْ تَهَاوَنَ بِعِزَّتِي ، فَتَنَاوَلَ الصَّقْلِيَّ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْمَذَلَّةِ ،
وَأَبْعَدَهُ عَنِ الْخِدْمَةِ .



« وَمِنْ ذَلِكَ » قِصَّةُ فَتَاهُ الْكَبِيرِ الْمَعْرُوفِ بِالْبُورِقِيِّ قصة البورقي
مع التاجر المغربي
مَعَ التَّاجِرِ الْمَغْرِبِيِّ ، فَإِنَّهُمَا تَنَازَعَا فِي خُصُومَةٍ تَوَجَّهَتْ فِيهَا
الْيَمِينُ عَلَى الْقِيِّ الْمَذْكُورِ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ أَكْبَرُ خَدَمِ
الْمَنْصُورِ ، وَإِلَيْهِ أَمْرُ دَارِهِ وَحَرَمِهِ ، فَدَافَعَ (٢) الْحَاكِمُ ، وَظَنَّ
أَنَّ جَاهَهُ يَمْنَعُ مِنْ إِخْلَافِهِ (٣) ، فَصَرَخَ التَّاجِرُ بِالْمَنْصُورِ فِي

(١) اتصف : عدل وأن يأخذ الحق ويطي الحق (٢) دافع الحاكم : رده في

القول ، وزاحمه فيه . (٣) تخليفه اليمين : كاستخلافه

طَرِيقَهُ إِلَى الْجَامِعِ ، مُتَطَلِّمًا مِنَ الْفَتَى ، فَوَكَّلَ بِهِ فِي الْوَقْتِ
مَنْ سَمَّاهُ إِلَى الْحَاكِمِ ، فَأَنْصَفَهُ مِنْهُ وَسَخَطَ عَلَيْهِ الْمَنْصُورُ ،
وَقَبَّحَ نِسْبَتَهُ مِنْهُ ، وَفَقَّاهُ .



« وَمِنْ ذَلِكَ » قِصَّةُ مُحَمَّدٍ فَصَّادِ الْمَنْصُورِ ، وَخَادِمِهِ قِصَّةُ فَصَّادِ الْمَنْصُورِ
وَأَمِينِهِ عَلَى نَفْسِهِ ، فَإِنَّ الْمَنْصُورَ اخْتَبَاهُ يَوْمًا إِلَى الْقَصْدِ (١)
وَكَانَ كَثِيرَ التَّمَهُدِ لَهُ ، فَأَقْبَذَ رَسُولُهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَأَلْفَاهُ
الرَّسُولُ مَحْبُوسًا فِي سِجْنِ الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ رُوبٍ (٢) لِحَيْفِ
ظَهَرَ مِنْهُ عَلَى أَمْرَاتِهِ ، قَدَّرَ أَنْ سَبِيلَهُ مِنَ الْخِدْمَةِ يَحْمِيهِ

(١) القصد : شق العرق واسالة الدم (٢) كنا بالاصل وأنا أعلمها بحرفة
عن « زرب » وهو أبو بكر محمد بن يتيق بن محمد بن زرب بن يزيد
ابن مسلمة قاضي الجماعة بقرطبة كان فقيها نبيلًا وقاضيا جليلا وعنى
بدرس الرأى فتقسم فيه أهل وقته وكان أحفظ أهل زمانه لفقته
مذهب مالك ، شوور في الأحكام صدرا من ولاية محمد بن اسحق
« ابن منفر بن ابراهيم بن محمد بن السليم بن أبي عكرمة الداخل الى الاندلس
قاضي الجماعة بقرطبة بعد وفاة للفر بن سعيد سنة ٣٥٦ » فلما توفي القاضي
محمد بن اسحق ولى محمد بن زرب قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٣٦٧ في أوائل
الدولة العاصرية ، وكان ابن زرب قاضيا عدلا صالحا وفقها جليلا بصيرا
بالعربية والحساب حسن الحديث كثير الرواة ختم الناس بعلومه وجاهه
وتوفي سنة ٣٨١ وكان مولده سنة ٣١٧ - رحمه الله « أحمد يوسف نجاشي »

مِنَ الْعُقُوبَةِ ، فَلَمَّا عَادَ الرَّسُولُ إِلَى الْمَنْصُورِ بِقِصَّتِهِ
أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ مِنَ السَّجْنِ مَعَ رَقِيبٍ مِنْ رُقَبَاءِ السَّجْنِ
يَلْزَمُهُ إِلَى أَنْ يَفْرُغَ مِنْ عَمَلِهِ عِنْدَهُ ، ثُمَّ يَرُدُّهُ إِلَى مَحْبِسِهِ ،
فَفَعَلَ ذَلِكَ عَلَى مَا رَسَمَهُ ، وَذَهَبَ الْقَاصِدُ إِلَى شَكْوَى
مَا نَالَهُ ، فَقَطَعَ عَلَيْهِ الْمَنْصُورُ وَقَالَ لَهُ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُ
الْقَاضِي وَهُوَ فِي عَذْلِهِ ، وَلَوْ أَخَذَنِي بِالْحَقِّ مَا أَطَقْتُ الْإِمْتِنَاعَ
مِنْهُ ، عُدُّ إِلَى مَحْبِسِكَ ، وَاعْتَرِفْ بِالْحَقِّ فَهُوَ الَّذِي يُطْلِقُكَ ،
فَانْكَسِرْ^(١) الْحَاجِمُ ، وَزَالَتْ عَنْهُ رِيحُ الْعِنَايَةِ ، وَبَلَغَتْ قِصَّتُهُ
لِلْقَاضِي فَصَالَحَهُ مَعَ زَوْجَتِهِ ، وَزَادَ الْقَاضِي شِدَّةً فِي أَحْكَامِهِ



وَقَالَ ابْنُ حَيَّانَ : إِنَّهُ كَانَ جَالِسًا فِي بَعْضِ اللَّيَالِي وَكَانَتْ
لَيْلَةً شَدِيدَةَ الْبَرْدِ وَالرَّيْحِ وَالْمَطَرِ ، فَدَعَا بِأَحَدِ الْفُرْسَانِ
وَقَالَ لَهُ : انْهَضِ الْآنَ إِلَى فَجٍّ طَيَّالٍ وَأَقِمْ فِيهِ ، فَأَوَّلُ
خَاطِرِ^(٢) يَحْطَرُّ عَلَيْكَ سُقَّةُ^(٣) إِلَيَّ ، قَالَ : فَتَهَضَّ الْفَارِسُ ، وَتَوَقَّى
فِي الْفَجِّ فِي الْبَرْدِ وَالرَّيْحِ وَالْمَطَرِ وَاقْبَلَ عَلَى فَرَسِهِ ، إِذْ وَقَفَ
عَلَيْهِ قُرْبَ الْفَجْرِ شَيْخٌ هَرِمٌ عَلَى حِمَارٍ لَهُ ، وَمَعَهُ آلَةٌ

قصة الشيخ
مع المنصور

(١) انكسر الحاجم : غلب على أمره (٢) أى أول ما يربك

الْحَطْبِ ، فَقَالَ لَهُ الْفَارِسُ : إِلَى أَيْنَ تُرِيدُ يَا شَيْخُ ؟ فَقَالَ :
وَرَاءَ حَطْبٍ ، فَقَالَ الْفَارِسُ فِي نَفْسِهِ : هَذَا شَيْخٌ مُسْكِنٌ
نَهَضَ إِلَى الْجَبَلِ يَسُوقُ حَطْبًا ، فَمَاذَا عَسَى أَنْ يُرِيدَ الْمَنْصُورُ
مِنْهُ ؟ قَالَ : فَتَرَكْتُهُ فَسَارَ عَنِّي قَلِيلًا ، ثُمَّ فَكَّرْتُ فِي
قَوْلِ الْمَنْصُورِ ، وَخِفْتُ سَطْوَتَهُ ^(١) ، فَهَضْتُ إِلَى الشَّيْخِ وَقُلْتُ
لَهُ : أَرْجِعْ إِلَى مَوْلَانَا الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ لَهُ : وَمَاذَا عَسَى
أَنْ يُرِيدَ الْمَنْصُورُ مِنْ شَيْخٍ مِثْلِي ؟ سَأَلْتُكَ يَا اللَّهُ أَنْ
تُرَكِّنِي أَذْهَبُ لِطَلَبِ مَعِيشَتِي ، فَقَالَ لَهُ الْفَارِسُ : لَا أَفْعَلُ ،
ثُمَّ قَدِمَ بِهِ عَلَى الْمَنْصُورِ ، وَمِثْلَهُ ^(٢) بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَهُوَ جَالِسٌ
لَمْ يَنْمَ لَيْلَتَهُ تِلْكَ ، فَقَالَ الْمَنْصُورُ لِلصَّغَالِيَةِ : فَتَشَوْهُ ،
فَفَتَشَوْهُ فَلَمْ يَجِدُوا مَعَهُ شَيْئًا ، فَقَالَ فَتَشَوْا بَرْدَعَةَ حِمَارِهِ ،
فَوَجَدُوا دَاخِلَهَا كِتَابًا مِنْ نَصَارَى كَانُوا قَدْ تَزَعُّوا إِلَى
الْمَنْصُورِ ، يَخْدُمُونَ عِنْدَهُ إِلَى أَصْحَابِهِمْ مِنَ النَّصَارَى ،
لِيَضْرِبُوا وَيَقْتُلُوا فِي إِحْدَى التَّوَاحِي الْمَرْطُومَةِ ^(٣) ، فَلَمَّا

(١) سَطْوَتُهُ : بَطْنُهُ وَصَوْلَتُهُ (٢) أَيُ وَقْفُهُ ، وَمِثْلُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلًا وَمِثْلًا :

قَامَ شَاخِصًا (٣) كَذَابًا لِأَصْلِهِ وَقَدْ تَكُونُ « الرُّطُومَةُ » مِنْ رَطْمَةٍ فِي الْوَحْلِ

رَطْمًا : أَيُ الْجِهَاتِ ذَاتِ الْوَحْلِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَمْطَارِ

أَنْبَلَجَ^(١) الصَّبِيحُ أَمَرَ بِإِخْرَاجِ أُولَئِكَ النَّصَارَى إِلَى بَابِ
الزَّاهِرَةِ ، فَضَرَبَتْ أَعْنَاقَهُمْ ، وَضَرَبَتْ رَقَبَةَ الشَّيْخِ مَعَهُمْ .

ثُمَّ ذَكَرَ هَذَا الْمُؤَرِّخُ قِصَّةَ الْجَوْهَرِيِّ الَّتِي قَدَّمْنَا تَقْلَمًا
مِنْ مُغْرِبِ ابْنِ سَعِيدٍ ، وَلَكِنَّا رَأَيْنَا إِعَادَتَهَا يَلْقِظُ هَذَا
الْمُؤَرِّخُ لِأَنَّهُ أَتَمَّ مَسَاقًا ، إِذْ قَالَ عَطْفًا عَلَى دَهَائِهِ : وَمِنْ
ذَلِكَ قِصَّةُ الْجَوْهَرِيِّ التَّاجِرِ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا جَوْهَرِيًّا
مِنْ تِجَارِ الْمَشْرِقِ ، قَصَدَ الْمَنْصُورَ مِنْ مَدِينَةِ عَدَنٍ بِجَوْهَرٍ
كَثِيرٍ وَأَخْجَارٍ قَبِيْصَةٍ ، فَأَخَذَ الْمَنْصُورُ مِنْ ذَلِكَ مَا
أَسْتَحْسَنَهُ ، وَدَفَعَ إِلَى التَّاجِرِ الْجَوْهَرِيِّ صُرَّةً ، وَكَانَتْ
قِطْعَةً يَمَانِيَّةً ، فَأَخَذَ التَّاجِرُ فِي أَنْصِرَافِهِ طَرِيقَ الرَّمْلَةِ
عَلَى شَطِّ النَّهْرِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطَهَا وَالْيَوْمُ قَائِظٌ^(٢) ، وَعَرَفَهُ
مُنْصَبٌ ، دَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى التَّبَرُّدِ فِي النَّهْرِ ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ
وَتَلَكَ الصُّرَّةَ عَلَى الشَّطِّ ، فَمَرَّتْ حِدَاةٌ فَأَخْطَفَتِ الصُّرَّةَ
تَحْسِبُهَا لَحْمًا ، وَصَاعَدَتْ فِي الْأَفْقِ بِهَا ذَاهِبَةً ، فَقَطَعَتْ
الْأَفْقَ الَّذِي تَنْظُرُ إِلَيْهِ عَيْنُ التَّاجِرِ ، فَقَامَتْ^(٣) قِيَامَتُهُ ،

نادرة المنصور
والتاجر

(١) أى أنشرق وأضاء (٢) اليوم قائظ : أى شديد الحر (٣) قامت قيامته :

أى ارتزعج وأطرب

وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَدْفِعَ ^(١) ذَلِكَ بِحِيلَةٍ ، فَأَسْرَ
الْحُزْنَ فِي نَفْسِهِ ، وَلَحِقَهُ لِأَجْلِ ذَلِكَ عِلَّةٌ اضْطَرَبَ فِيهَا ،
وَحَضَرَ الدَّفْعُ إِلَى الثَّجَارِ ، فَحَضَرَ الرَّجُلُ لِذَلِكَ بِنَفْسِهِ ،
فَاسْتَبَانَ لِلْمَنْصُورِ مَا بِالرَّجُلِ مِنَ الْمَهَانَةِ وَالْكَآبَةِ وَقَدِ
مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ النَّشَاطِ وَشِدَّةِ الْعَارِضَةِ ^(٢) ، فَسَأَلَهُ الْمَنْصُورُ
عَنْ شَأْنِهِ ، فَأَعْلَمَهُ بِقِصَّتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : هَلَّا أَتَيْتَ إِلَيْنَا
بِحِذْيَانٍ ^(٣) وَقُرْعِ الْأَمْرِ ، فَكُنَّا نَسْتَظْهِرُ عَلَى الْحِيلَةِ ، فَهَلْ
هُدَيْتَ إِلَى النَّاحِيَةِ الَّتِي أَخَذَ الطَّائِرُ إِلَيْهَا ؟ قَالَ : مَرَّ مُشْرِقًا
عَلَى سَمْتٍ ^(٤) هَذَا الْجَبَلِ الَّذِي بَلَى قَصْرَكَ - يَعْنِي الرَّمْلَةَ -
فَدَعَا الْمَنْصُورُ شُرْطِيَهُ أَخْلَاصَ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : جِئْنِي بِمَشِيخَةٍ
أَهْلِ الرَّمْلَةِ السَّاعَةِ ، فَمَضَى وَجَاءَ بِهِمْ سَرِيعًا ، فَأَمَرَهُمْ

- (١) يقال استدفع الله السوء والنشر : اذا طلب منه أن يدفعها عنه
(٢) العارضة والعارض : البيان واللسن والقصاحة ، والجلد والصرامة
وفلان شديد العارضة أى ذو جلد وقوة ، ومنه قول عمرو بن الأهتم حين
سئل عن الزرقان بن بدر التميمي - رضى الله عنهما - فقال : مطاع فى
أذنيه شديد العارضة مانع ما وراء ظهره (٣) حدثان الامر وحداثته : أوله
وابتدأؤه (٤) السمت : الطريق ، وسمت الطريق . قصده وناحيته

بِالْبَحْثِ عَمَّنْ غَيْرِ حَالِ الْإِفْلَاقِ مِنْهُمْ سَرِيعًا ، وَأَتَقَلَّ عَنْ
الْإِصَاقَةِ ^(١) دُونَ تَدْرِيجٍ ، فَتَنَظَرُوا فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالُوا :
يَا مَوْلَانَا مَا نَعْلَمُ إِلَّا رَجُلًا مِنْ ضُعَفَائِنَا ، كَانَ يَمْعَلُ هُوَ
وَأَوْلَادُهُ بِأَيْدِيهِمْ ، وَيَتَنَاوَلُونَ السَّبَقَ بِأَقْدَامِهِمْ عَجْزًا عَنْ
شِرَاءِ دَابَّةٍ ، فَابْتِاعَ الْيَوْمَ دَابَّةً ، وَاكْتَسَى هُوَ وَوَلَدُهُ كُنُوزًا
مُتَوَسِّطَةً ، فَأَمَرَ بِإِخْضَارِهِ مِنَ النَّدَى ، وَأَمَرَ التَّاجِرَ بِالْفُدُوءِ
إِلَى الْبَابِ ، فَخَضَرَ الرَّجُلُ بِعَيْنِهِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ ،
فَاسْتَدْنَاهُ وَالتَّاجِرُ حَاضِرٌ ، وَقَالَ لَهُ سَبَبُ ^(٢) صَاحِ مِنَّا وَسَقَطَ
إِلَيْكَ ، مَا فَعَلْتَ بِهِ ؟ قَالَ : هُوَ ذَا يَامَوْلَايَ ، وَضَرَبَ يَدِهِ
إِلَى حُجْرَةٍ ^(٣) سَرَاوِيلِهِ ، فَأَخْرَجَ الصُّرَّةَ بِعَيْنِهَا ، فَصَاحَ
التَّاجِرُ طَرِبًا ، وَكَادَ يَطِيرُ فَرَحًا ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : صِفْ
لِي حَدِيثَهَا ، فَقَالَ : يَبْنَى أَنَا أَعْمَلُ فِي جَنَاتِي ^(٤) نَحْتُ نَحْلَةً إِذَا

(١) أى الفقر وسوء الحال كالصيقة ، وأضاق : اذا ضاق عليه معاشه .

(٢) السبب : كل ما يتوصل به الى شئ غيره ، ويقال سبب الله لك سبب
خير (٣) أى موضع التكة - واحتجز الرجل : حمل الشئ فى حجزته - وهو
طبيب الحجرة : أى عفيف طاهر طيب الأزار ، وأخفت بحجزته أى
اعصمت به والتجأت اليه مستجير (٤) جنان : بالكسر جمع جنة :
الحديقة ذات النخل والتمر .

بَقَطْتَ أُمَامِي، فَأَخَذْتُهَا وَرَأَيْتِي مَنَظَرَهَا، قُلْتُ: إِنَّ الطَّائِرَ
 اخْتَلَسَهَا مِنْ قَصْرِكَ لِتَقْرُبَ الْجَوَارِ، فَاجْتَرْتُ بِهَا، وَدَعَيْتِي
 فَأَقْبَتِي إِلَى أَخْذِ عَشْرَةِ مَثَاقِيلَ عُيُونًا^(١) كَانَتْ مَعَهَا مَصْرُورَةً،
 وَقُلْتُ: أَقَلُّ مَا يَكُونُ فِي كَرَمِ مَوْلَايَ أَنْ يَسْمَحَ لِي
 بِهَا، فَأَعْجَبَ الْمَنْصُورَ مَا كَانَ مِنْهُ، وَقَالَ لِلتَّاجِرِ خُذْ
 صُرَّتَكَ وَأَنْظُرْهَا، وَأُصْدِقْنِي عَنْ عَدِيدِهَا، فَفَعَلَ وَقَالَ:
 وَحَقُّ رَأْسِكَ يَا مَوْلَايَ مَا صَاعَ مِنْهَا شَيْءٌ سِوَى الدَّنَائِيرِ
 الَّتِي ذَكَرَهَا، وَقَدْ وَهَبْتُهَا لَهُ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ: نَحْنُ
 أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْكَ، وَلَا تُنْقِصْ عَلَيْكَ فَرَحَكَ، وَلَوْ لَا جَمْعُهُ
 بَيْنَ الْإِضْرَارِ وَالْإِفْرَارِ لَكَانَ ثَوَابُهُ مُؤَفُّورًا^(٢) عَلَيْهِ.
 ثُمَّ أَمَرَ التَّاجِرَ بِعَشْرَةِ دَنَائِيرٍ عِوَضًا مِنْ دَنَائِيرِهِ، وَلِلْجَنَانِ^(٣)
 بِعَشْرَةِ دَنَائِيرٍ ثَوَابًا لِتَأْنِيهِ^(٤) عَنْ فَسَادِ مَا وَقَعَ بِيَدِهِ، وَقَالَ:
 لَوْ بَدَأْنَا بِالْاعْتِرَافِ قَبْلَ الْبَحْثِ لَأَوْسَعْنَاهُ جَزَاءً، قَالَ:

(١) عيونا : جمع عين : الذهب للضروب (٢) الجزء الموقوف : التام الذي
 لم ينقص منه شيء ، وفرة له ، وفرة : كثره وأكمله وجهه وافرا -
 وتوفر عليه اذا رعى حرمانه وبره (٣) الجناني : البستاني .
 (٤) أو لتأنيه أي حسن تعلقه واحتياله

فَأَخَذَ التَّاجِرُ بِالنَّسَاءِ عَلَى الْمَنْصُورِ، وَقَدْ عَاوَدَهُ نَشَاطُهُ، وَقَالَ :
وَاللَّهِ لَا بُدَّ^(١) فِي الْأَقْطَارِ عَظِيمِ مُلْكِكَ، وَلَا يُتَيْنَنَّ أَنَّكَ
تَمْلِكُ طَيْرَ أَعْمَالِكَ كَمَا تَمْلِكُ أَنْفُسَهَا فَلَا تَعْتَصِمُ^(٢) مِنْكَ
وَلَا تَمْتَنِعُ، وَلَا تُؤْذِي جَارَكَ، فَضَحِكَ الْمَنْصُورُ وَقَالَ :
أَقْصِدُ^(٣) فِي قَوْلِكَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، فَجَبَّ النَّاسُ مِنْ تَلَطُّفِ
الْمَنْصُورِ فِي أَمْرِهِ، وَحِيلَتِهِ فِي تَفْرِيجِ كَرْبَتِهِ .



« وَمِنْ ذَلِكَ » غَزْوَةُ الْمَنْصُورِ لِمَدِينَةِ « شَنْتِ يَاقِبِ »^(٤)

غزوة المنصور
لمدينة « شنت
ياقب »

(١) بث الجهر والحديث : نشره وأذاعه وفرقه في الجهات (٢) أى تتججى الى
ما يحمها ويمنعها ، واعتصم بالجبل اذا لاذ به . متحصنا (٣) القصد فى الشيء
الاعتدال وعدم الافراط كالاقتصاد (٤) شنت ياقب ، أو ياقو ، وتسمى أيضا
سنكتياك Santiago أو Sanctyac فى نهاية الطرف الشمالى الغربى
لإسبانيا « شمال بلاد البرقال » وهى مدينة ذات حصانة وممنعة وكانت من بلاد
جليقية وفى سنة ٢٤٩ أغار نصارى جليقية على بلاد المسلمين فهاثوا فيها
فسادا فأمر الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم قواده وولائه بجمع
المجنوش للجهاد فخرج بهم وانضم اليهم فرسان ماردة وسار الى جليقية
ودخل مدينة شنت ياقب لما استطاع الجلالة أن يقتبوا على مقاومته بل
تقهروا والتجأوا الى القلاع القائمة على الصخور النيمة هناك فرجع
الأمير من طريق طلييرة أو من طريق سمورة وأرسل فرسان ماردة
من طريق سلمنقة وواصل سيره مع فرسان قرطبة متجها الى طليطلة .

قَلْبِيَّةَ غَلِيسِيَّةَ^(١)، وَأَعْظَمَ مَشَاهِدِ النَّصَارَى الْكَائِنَةِ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ، وَكَانَتْ
كُنَيْسَتُهَا عِنْدَهُمْ بِعَنْزَلَةِ الْكَعْبَةِ عِنْدَنَا وَلِلْكَعْبَةِ الْمَثَلُ
الْأَعْلَى - فِيهَا يَحْلِفُونَ، وَإِلَيْهَا يَحْجُونَ مِنْ أَقْصَى بِلَادِ رُومَةَ
وَمَا وَرَاءَهَا^(٢)، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الْقَبْرَ الْمَرْبُورَ فِيهَا قَبْرُ يَاقُبَ

واسم هذه المدينة منحوت من كلمتين روميتين «سنكيتوس يعقوبوس»
«أى القديس يعقوب» ومن ذلك أخذ الأسبانيون لفظ «سنتياغو»
وفى معجم ياقوت شئت ياقب قلعة حصينة بالأندلس، ووربما مدوا حركة
القاف فقالوا ياقوب كما فى نزهة الشتاقى . وقد علقنا على هذه المدينة هنا
وفى الجزء الثانى بما يزيل سهو تطبيق الجزء الأول صفحة ٢٥٩ .

(١) Galice وجبال غليسية فى الشمال الغربى وهو يعنى إقليم جليقية
(٢) وفيها كانت تتوج ملوكهم فقد تتوج بها أذفنش «أخو شانجة»
ابن أردن سنة ٣١٤ هـ . للوافق سنة ٩٢٥ م . وفى زحف للنصور
على هذه المدينة كان مما استعده للنصور أن استأجر مرتزقة من
الأسبان ولله أول من عمل هذا بالأندلس . ولكن شتان ما بين
عمل للنصور هذا واستخدامه غيره لهم فإن للنصور كان يستخضعهم
فى حروبه لمقاومة نصارى الشمال فكانوا ساهما مصوبة الى مقاتل
بنى جلدتهم - أما بنو هود وغيرهم من بعده فقد كانوا يستأجرون
هؤلاء المرتزقة لا يضربهم أهل ملتهم بل ليخضع بها من شوكة بنى جنسه
من العرب المسلمين فقد كان بنو هود بسرقة يستأجرون البطل دريك
الذى عرف عند العرب باسم السيد قنبلور وكان مشهورا بالشجاعة وقوة
البأس ليقاوم برجاله مسلمى العرب الذين كان بينهم وبين ابن هود حروب

الْحَوَارِيَّ أَحَدِ الْإِثْنَيْ عَشَرَ ، وَكَانَ أَحْصَاهُمْ بَعِيسَى - عَلَى
 نَبِيئًا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَهُمْ يُسَمُّونَهُ أَخَاهُ لِلزُّومَةِ
 إِثَاهُ ، وَيَأْقُبُ بِلِسَانِهِمْ يَعْقُوبُ ، وَكَانَ اسْتَقْفَائِيَّتِ الْمَقْدِسِ ،
 فَجَعَلَ يَسْتَقْرِى الْأَرْضِينَ دَاعِيًا لِمَنْ فِيهَا ، حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى هَذِهِ
 الْقَاصِيَةِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ فَمَاتَ بِهَا ، وَلَهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ
 سَنَةً قَسَمِيَّةً ، فَاحْتَمَلَ أَصْحَابُهُ رِمَتَهُ ، فَدَفَنُوهَا بِهَذِهِ الْكَنِيسَةِ
 الَّتِي كَانَتْ أَقْصَى أَثَرِهِ . وَلَمْ يَطْمَعْ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ فِي
 قَصْدِهَا وَلَا الْوُصُولِ إِلَيْهَا ، لِصُمُوبَةِ مَدْخِلِهَا ، وَخُشُونَةِ مَكَانِهَا ،
 وَبُعْدِ شِقَّتِهَا ^(١) فَخَرَجَ الْمَنْصُورُ إِلَيْهَا مِنْ قُرْطُبَةٍ ، غَازِيًا
 بِالصَّافَةِ ^(٢) يَوْمَ السَّبْتِ لِسِتِّ يَمِينٍ مِنْ مُجَادَى الْآخِرَةِ
 سَنَةِ سَبْعٍ وَتَمَانِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَهِيَ غَزْوَتُهُ الثَّامِنَةُ
 وَالْأَرْبَعُونَ ، وَدَخَلَ عَلَى مَدِينَةِ قُورِيَةِ ^(٣) فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَدِينَةِ

عند انقسام أمر الأندلس وتطلب ملوك الطوائف ، وهذا سنوا للاسبانيين
 عقد الاستيلاء على دول العرب بجزيرة الأندلس واحدة بعد أخرى حتى
 كان ما كان والامر لله ، « أحمد يوسف نجاشي » (١) الشقة : المسافة البعيدة
 والسفر البعيد والناحية التي يقصدها السافر يلحقه في الوصول اليها مشقة
 (٢) الصافقة : النزوة في الصيف (٣) قورية (Coria) مدينة من نواحي

غَلِيصِيَّةٌ ^(١) وَاقَاهُ عَدَدٌ عَظِيمٌ مِنَ الْقَوَامِسِ الْمُتَسَكِّينَ
بِالطَّاعَةِ فِي رِجَالِهِمْ ، وَعَلَى أَمْرٍ أَخَفَّاهُمْ ، فَصَارُوا فِي عَسْكَرِ
الْمُسْلِمِينَ وَرَكِبُوا فِي الْمَوَازِي ^(٢) سَبِيلَهُمْ ، وَكَانَ الْمَنْصُورُ
تَقَدَّمَ فِي إِنْشَاءِ أُسْطُولٍ كَبِيرٍ فِي الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِقَصْرِ
أَبِي دَانِسٍ ^(٣) مِنْ سَاحِلِ غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ وَجَهَّزَهُ بِرِجَالِهِ ^(٤)
الْبَحْرِيِّينَ وَصُنُوفِ الْمُتَرْجِلِينَ ، وَحَمَلَ الْأَقْوَاتَ
وَالْأَطِيمَةَ وَالْمُدَّةَ وَالْأَسْلِحَةَ أَسْتَظْهَارًا عَلَى قُوَّةِ الْعَزِيمَةِ

ماردة وهي النصف بينها وبين سمورة مدينة الافرنج ، وهي على نهر
من روافد نهر تاجه صاعد شمالا ، وكان الامير عبد الرحمن الداخل غزاها
سنة ٢٥٨ هـ (١) يريد جليقية Calicie في الشمال الغربي - وقد غزا
العرب هذه الجهات كثيرا وفي سنة ٢٥٩ أغار للنمر على أرض جليقية
وكانت بينهما معركة حامية على نهر سهجون Sahagun التجه الى
نهر دويره وكانت خسارة الفريقين عظيمة (٢) كذا بالأصل ولعلها
للمناورة وهي الاغارة ، وغاوروا ، وتناوروا أغار بعضهم على بعض - ويقال
فوز الرجل والجيش وتفوز اذا خرج من أرض الى أرض كهاجر
(٣) في الأصل (وانس) وهي محرقه عن «دانس» وفي قصر أبي دانس استشهد
أبو بكر محمد بن عبد النور بن أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الحير بن
عبد النور بن عبد الكريم السبئي الاشبيلي الفقيه المحدث ذو الفضل والزهده
والصلاح قتل شهيدا في واقعة قصر أبي دانس سنة ٩١٤ (٤) رجالة ،
رجال ، رجال : جمع رجل : ورجل ، ورجيل ، ورجلان اللاتي غير الراكب
ومنه قوله تعالى : « فرجلا أو ركباناً » ، والترجل الذي ينزل عن دابته
ويركب رجله ويمشي واجلا

إِلَى أَنْ خَرَجَ بِمَوْضِعِ بُرْتَالٍ عَلَى نَهْرِ دُويرِه^(١) فَدَخَلَ فِي
النَّهْرِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي عَمِلَ الْمَنْصُورُ عَلَى الْمُبُورِ مِنْهُ فَمَقَّدَ
هُنَالِكَ مِنْ هَذِهِ^(٢) الْأَسْطُولِ جَسْرًا يَقْرُبِ الْحِصْنَ الَّذِي
هُنَالِكَ ، وَوَجَّهَ الْمَنْصُورُ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْمِيرَةِ^(٣) إِلَى
الْجُنْدِ فَتَوَسَّعُوا فِي التَّرَوُّدِ مِنْهُ إِلَى أَرْضِ الْمَدُونِ ، ثُمَّ نَهَضَ
مِنْهُ يُرِيدُ شَنْتَ يَأْقَبَ فَمَقَّطَعَ أَرْضَيْنِ مُتْبَاعِدَةً الْأَقْطَارِ ، وَقَطَّعَ
بِالْمُبُورِ عِدَّةَ أَنْهَارٍ كِبَارٍ وَخُلْجَانٍ يَمُدُّهَا الْبَحْرُ الْأَخْضَرُ ،
ثُمَّ أَقْضَى الْمَسْكِرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى بَسَائِطِ^(٤) جَلِيلَةٍ مِنْ بِلَادِ
فِرْطَارِسَ^(٥) وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا ، ثُمَّ أَقْضَى إِلَى جَبَلٍ شَامِخٍ

(١) مدينة « برتال » نهر معروف عند مصب نهر دويره في
المحيط ، نهر دويره (Duéro) نهر عظيم يتفرق بلاد البرتغال
وأسبانيا وله روافد كثيرة يتجه بعضها شمالا وينزل بعضها جنوبا
وعليه مدن عدة منها سمورثو « سلنقة » على أحد روافده للتجهة الى
الجنوب ، وليون الى أقصى الشمال على نهر يتفرع من أحمر ووافد دويره
وغيرها (٢) كنا بالأصل ولله أراد به معنى السفن فأنت اسم الإشارة
(٣) لليرة : الطعام للدخول والزاد (٤) البسيطة ، البساط : الأرض المستوية للنبسة
الواسعة (٥) كذا بالأصل وفي بعض النسخ (فرطارس) وأظنه يعني بلادا جلالقة ،
والاقسام التي تلك الأرجامتها « استوريا » والبراري القوطية للسماة قبوس
Campos وجليقية وفي جنوب سلنقة تجدد شواطئ نهر (تورمس Tormes)
ولكنها بعيدة عما قصد .

شَدِيدِ الْوَعْرِ ^(١) لَا مَسْلَكَ فِيهِ وَلَا طَرِيقَ، وَلَمْ يَهْتَدِ الْأَدْلَاءُ
إِلَى سِوَاهُ، فَقَدَّمَ الْمَنْصُورُ الْفَعْلَةَ بِالْحَدِيدِ لِتَوْسِعَةِ شِعَابِهِ
وَتَسْهِيلِ مَسَالِكِهِ، فَقَطَعَهُ الْمَسْكُورُ وَعَبَرُوا بَعْدَهُ وَادَى
مِنْهُ وَأَنْبَسَطَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي بَسَائِطِ عَرِيضَةٍ، وَأَرْضَيْنِ
أَرِيضَةٍ، وَانْتَهَتْ مُعِيرُهُمْ ^(٢) إِلَى دَيْرِ قَشَانَ ^(٣) وَبَسِيطِ بَلَنْبُو
عَلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ، وَفَتَحُوا حِصْنَ شَنْتَ بَلَايَهْ وَغَنَمُوهُ
وَعَبَرُوا سِبَاخَةَ ^(٤) إِلَى جَزِيرَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ لَجَأَ إِلَيْهَا
خَلْقٌ عَظِيمٌ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ التَّوَاحِي فَسَبَّوْا مَنْ فِيهَا مِمَّنْ
لَجَأَ إِلَيْهَا، وَأَتَعَى الْمَسْكُورُ إِلَى جَبَلِ مُرَاسِيهِ الْمُتَّصِلِ مِنْ
أَكْثَرِ جِهَاتِهِ بِالْبَحْرِ الْمُحِيطِ فَتَخَلَّلُوا أَقْطَارَهُ وَاسْتَخْرَجُوا
مَنْ كَانَ فِيهِ وَحَازُوا غَنَائِمَهُ، ثُمَّ أَجَازَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ هَذَا
خَلِيجًا فِي مَعْبَرَيْنِ أَرْشَدَ الْأَدْلَاءُ إِلَيْهِمَا، ثُمَّ نَهَرَ أَيْلَةَ، ثُمَّ
أَقْضَوْا إِلَى بَسَائِطِ وَاسِعَةٍ الْعِمَارَةِ كَثِيرَةٍ الْفَائِدَةِ، ثُمَّ أَتَوْهَا
إِلَى مَوْضِعٍ مِنْ مَشَاهِدِ يَاقُبِ صَاحِبِ الْقَبْرِ تَلَوْا مَشْهَدَ قَبْرِهِ

(١) وعزل المكان. « من باب كرم ، وعد ، ولع » وعورة، وعارة، وعرا ضد
سهل (٢) جنودهم وخیلهم للثيرة ولفظ (أريضة) ساقط من الأصل
(٣) في بعض الراجع (قسطن) (٤) في الأصل (سباحة) وهو تحريف

عِنْدَ النَّصَارَى فِي الْفَضْلِ يَقْصِدُ نَسَاكُهُمْ لَهُ مِنْ أَقْصَى
بِلَادِهِمْ وَمِنْ بِلَادِ الْقِبْطِ وَالثُّوبَةِ وَغَيْرِهَا فَتَادِرُهُ الْمُسْلِمُونَ
قَاعًا ، وَكَانَ التُّزُولُ بَعْدَهُ عَلَى مَدِينَةِ شَنْتَ يَقْبُ الْبَائِسَةِ
وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِلَّيْلَتَيْنِ خَلَّتَا مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثِيَّةٍ
وَسَبْعَةٍ وَمِائَتَيْنِ ، فَوَجَدَهَا الْمُسْلِمُونَ خَالِيَةً مِنْ أَهْلِهَا ، فَحَازَ
الْمُسْلِمُونَ غَنَائِمَهَا ، وَهَدَمُوا مَصَانِعَهَا وَأَسْوَارَهَا وَكَنِيسَتَهَا
وَعَقَبُوا^(١) آثَارَهَا ، وَوَكَّلَ الْمَنْصُورُ بِقَبْرِ يَاقُبَ مَنْ يَحْفَظُهُ
وَيَدْفَعُ الْأَذَى عَنْهُ ، وَكَانَتْ مَصَانِعُهَا بِدِيعةً مُحْكَمَةً ،
فَقُودِرَتْ هَشِيمًا^(٢) كَانَ لَمْ تَنْ^(٣) بِالْأَمْسِ ،

(١) عفا : محو وأزالوا .

(٢) للصانع : الحصون واحده مصنعة ، واللباني من القصور وغيرها
قال : البعث :

بنى زياد لذكر الله مصنعة من الحجارة لم ترفع من الطين
وقال لييد :

بلينا وماتلى النجوم الطوالح وتقى البيار بمدنا وللصانع
وهشم الشيء : كسره فهو هشيم . والهشم نبت يابس متكسر ، ومنه
قوله تعالى : « فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ » (٣) غنى بالمكان : أقام به
وغنى القوم في دارهم : إذا طال مقامهم فيها مستغنين عن غيرها ، ومنه
قوله تعالى : « كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا » أى يقيموا فيها - وغنى يغنى : بقي

وَأَنْتَسَفَتِ بُعُوثُهُ^(١) بَعْدَ ذَلِكَ سَارًّا الْبَسَائِطِ، وَأَنْتَهَتْ الْجُيُوشُ إِلَى
مَدِينَةٍ شَتَتْ مَا نَكُشُ مُنْقَطِعَ هَذَا الصَّقْعِ عَلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ،
وَهِيَ غَايَةٌ لَمْ يَلْنُهَا قَبْلَهُمْ مُسْلِمٌ، وَلَا وَطَنَهَا لِغَيْرِ أَهْلِهَا قَدَمٌ،
فَلَمْ يَكُنْ بَمَدَّهَا لِلْخَيْلِ عَجَالٌ، وَلَا وَرَاءَهَا أَنْتِقَالٌ، وَأُنْكَفَأَ
الْمَنْصُورُ عَنْ بَابِ شَتِّ يَأْقُبُ وَقَدْ بَلَغَ غَايَةَ لَمْ يَلْنُهَا
مُسْلِمٌ قَبْلَهُ، فَجَعَلَ عَلَى طَرِيقِهِ الْقَصْدَ إِلَى عَمَلِ بُرْمَنْدَ بْنِ
أَزْدُونَ يَسْتَقْرِيه عَائِثًا وَمُفْسِدًا حَتَّى وَقَعَ فِي عَمَلِ الْقَوَامِيسِ
الْمُتَاهِدِينَ الَّذِينَ فِي عَسْكَرِهِ فَأَمَرَ بِالْكَفِّ عَنْهَا، وَمَرَّ
مُجْتَازًا حَتَّى خَرَجَ عَلَى حِصْنِ بَلِيقِيَّةَ مِنْ أَفْتَاخِهِ فَأَجَازَ
هُنَاكَ الْقَوَامِيسَ يَحْمِلَتِهِمْ عَلَى أَقْدَارِهِمْ وَكَسَاهُمْ وَكَسَا
رِجَالَهُمْ وَصَرَفَهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَكَتَبَ بِالْفَتْحِ مِنْ بَلِيقِيَّةَ

وطنى . قال الشاعر :

غبت دارنا تهامة في الله روفيا بنو معد حولا

ويقال لثنى إذا فنى : كأن لم يكن بالأمس ، أى كأن لم يكن (١) نصف
البناء وانتشفه : إذا قلعه من أصله ، ونصف الجبال دكها وذراها ، ونسفت
الريح الثنى وانتشفته : سلبته وأزالته . وكلمة (بعوثة) . ساقطة من الأصل

وَكَانَ مَبْلُغُ مَا كَسَاهُ فِي غَزَاهِ هَذِهِ لِمُلُوكِ الرُّومِ وَلَمَنْ
جَسَنَ غَنَاؤُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلْفَيْنِ وَمِائَتَيْنِ وَخَمْسًا وَثَمَانِينَ
شُقَّةً مِنْ صُنُوفِ الْخَزْ طَرَّازِيٍّ^(١) وَوَاحِدًا وَعَشْرِينَ كِسَاءً
مِنْ صُوفِ الْبَحْرِ وَكِسَاءَيْنِ عَنَبَرِيَّيْنِ وَوَاحِدَ عَشْرٍ سَقْلَاطُونًا^(٢)
وخمسة عشر مَرِيَّشًا^(٣) وَسَبْعَةَ أَنْمَاطٍ^(٤) دِيْبَاجٍ وَثَوْبِيٍّ
دِيْبَاجٍ رُومِيٍّ وَفَرَوِيٍّ فَتَكِيٍّ^(٥) ، وَوَاقِيٍّ جَمِيعُ الْمُسْكِرِ
قُرْطُبَةٍ غَانِمًا ، وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ وَالْمِنَّةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَمِدْ
بِشَنْتِ يَأْقُبَ إِلَّا شَيْخًا مِنَ الرُّهْبَانِ جَالِسًا عَلَى الْقَبْرِ ، فَسَأَلَهُ
عَنْ مُقَامِهِ فَقَالَ : أُوْنِسُ يَمْقُوبَ ، فَأَمَرَ بِالْكَفِّ عَنْهُ^(٦) . قَالَ :

(١) الطراز : للوضع الذي تنسج فيه الثياب الجميلة ، وثوب ينسج
للسلطان ، ويقال ثوب طرازى ، والطرازى الرقام والذي يعمل الطراز
(٢) تقدم شرحه (٣) للریش : البرد اللوئى بخطوط جميلة على أشكال
الریش ، كقولهم برد مسهم اذا كان فيه خطوط كالسهام (٤) جمع
نمط : وهو ظاهرة الفراش « ملادة » وضرب من البسط ، ونوع من
الثياب الصلبة له حمل رقيق ، ولا يكادون يقولون نمط الا لما كان ذا لون
من حمرة أو صفرة أو خضرة (٥) سبق شرحه . (٦) بدا لنا هنا
أن نعرض على القارىء صورة موجزة لحال مسلمى الأندلس مع
الفرنجية سكان البلاد الأصليين فى مدة للنصور بن أبى عامر ومن
قبله ومن بعده فنقول : لما افتتح المسلمون الأندلس أبغضت أم

وَحَدَّثَ شُعْطَةُ قَالَ قُلْتُ لِلْمَنْصُورِ لَيْلَةً أَطَالَ سَهْرُهُ فِيهَا :

النصرانية أمامهم وانحازوا الى سيف البحر من جانب الجوف وتجاوزوا الدروب من وراء قسناة واجتمعوا بجليقية وملكوا عليهم « بلايه » كما تقدم وتوفي سنة ١٣٣ ، ثم اتصل ملكهم في أعقاب « أذفونش » من الجلائقة بد أن اتهموا الى جليقية وأمكنهم استرداد بعض مدنها التي كانت العرب قد اقتسحت كلها ، وذلك حين اشتغال عبد الرحمن الداخل بتمهيد أمره وتوطيد ملكه ، الى أن ولي منهم « ردمير بن أردون » آخر ملوكهم للسبدين بأمرهم سنة ٣١٩ في زمن الخليفة الناصر فأصبح للناصر التغلب عليه ، حتى كانت وقعة الحندق وابتلى الله المؤمنين ليخلص ما في قلوبهم . ثم مات ردمير سنة ٣٣٩ فصب ديب الشقاق في ملك الجلائقة الى أن قام بأمرهم « ردمير بن شانجة » فقوى سلطانه بعد وفاة أمير المؤمنين الحكم المنتصر بالله وعظمت نكايته في المسلمين حتى قبض الله لهم الفارزى العظيم والقانع الشهير المنصور بن أبي عامر فأغتنح في أرض ردمير وأغار على أعماله وغزاه مزارا وحاصره في عقرداره واقتسح « سانت مانكش » وخربها فتطيرت الجلائقة بردمير فساد الى طاعة للمنصور سنة ٣٧٤ وتوفي على أثر ذلك ، واتفقت الجلائقة على « برمند بن أردون » فقد له للمنصور على سمورة وليون وما اتصل بهما من أعمال غليسية الى البحر المحيط ، ثم انتقض على المنصور فزاه سنة ٣٧٨ واسترد ليون وسمورة وغيرها ولم يبق بعدها للجلائقة الا حصون يسيرة بالجليل الحاجر بينهم وبين البحر ولم يزل المنصور به حتى فرض عليه الجزية فأعطاهما عن بلاصاغرا ، وتزل للمسلمون بمدينة سمورة سنة ٣٨٩ وولى المنصور عليها « أبا الاخص » ممن بن عبد العزيز التجيبي « وصار الجلائقة كلهم في طاعة للمنصور كما بهم عمال له ، ثم انتقض « برمند بن أردون » فزاه للمنصور ودوخ بلاده حتى بلغ « شت ياقب » فهدمها ونقل أبوابها الى مدينة قرطبة فجعلها في نصف الزيادة التي أضافها الى المسجد الأعظم . ثم جاءت بد

قَدْ أَفْرَطَ مَوْلَانَا فِي السَّهْرِ وَبَدَنُهُ يَحْتَاجُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ
هَذَا النَّوْمِ ، وَهُوَ أَغْلَمُ بِمَا يُحَرِّكُهُ عَدَمُ النَّوْمِ مِنْ عِلَّةِ
الْمَصَبِّ ، فَقَالَ : يَاشُعْلَةُ الْمَلِكِ لَا يَنَامُ إِذَا نَامَتِ الرَّعِيَّةُ
وَلَوْ اسْتَوْفَيْتُ نَوْمِي لَمَا كَانَ فِي دُورِ هَذَا الْبَلَدِ الْعَظِيمِ عَيْنٌ
نَائِمَةٌ . أَتَمَعَى مَا قَلَّتْهُ مِنَ الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ
وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَذْكَرُ هُنَا أَخْبَارًا قَلَّتْهَا مِنْ كِتَابِ
الْأَزْهَارِ الْمَشْهُورَةِ فِي الْأَخْبَارِ الْمَأْثُورَةِ :



« قَالَ فِي الزَّهْرَةِ التَّاسِعَةِ وَالشَّرِينِ » تَقَدَّمَ إِلَى
الْمَنْصُورِ وَاتَرَ مَا رُبُّنْ أَبِي بَكْرٍ الْبَرْزَالِي^(١) أَحَدُ جُنُودِ
الْمَقَارِبَةِ وَقَدْ جَلَسَ لِلْعَرَضِ وَالْتِمِيزِ وَالْمِيدَانُ غَاصُّ بِالنَّاسِ

المنصور وواتر
مار البرزالي

ذلك الفتنة البربرية فضف أمر السلمين وتقلب أعداؤهم على ماكان
للنصور قد تقلب عليه من قبل بقتالة وجليقية ، ثم أخذوا ينقصون
البلاد من أطرافها لابل نسلواتوب الجزيرة من أواسطها فاستولوا على البلاد
واللبن شيئا فشيئا . وزحف ملك أرغون فاستولى على كثير من المدن
ومنها الزهراء والزاهرة وسائر القواعد والنخور الشرقية وانحاز السلمون إلى
سيف البحر وملكوا عليهم ابن الأحمر بيد ولاية ابن هود ، ثم نفذهم قضاء
ربك وعادل حكمه بينهم بالحق وهو خير الحاكمين . « وأحمد يوسف نجاشي »
(١) في الأصل (البربري والي) وهو تصحيف ، والتصحيح من القطعة
الأوربية

فَقَالَ لَهُ بِكَلَامٍ يُضْحِكُ الشَّكْلَى : يَا مَوْلَايَ مَالِي وَلَكَ
أَسْكِنِي فَإِنِّي فِي الْفَقْرِ ، فَقَالَ وَمَا ذَاكَ يَا وَائِزَ مَارٍ ،
وَأَيْنَ دَارُكَ الْوَاسِعَةِ الْأَقْطَارِ ؟ فَقَالَ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا وَاللَّهِ
نِعْمَتُكَ ، أَعْطَيْتَنِي مِنَ الضَّيَاعِ مَا أَنْصَبَ عَلَيَّ مِنْهَا مِنَ
الْأَطْعِمَةِ مَا مَلَأَ بُيُوتِي وَأَخْرَجْتَنِي عَنْهَا ، وَأَنَا بَرَبْرِي مُجَوِّعٌ
حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْبُؤْسِ ، أَتُرَانِي أَبْعِدُ الْقَمَحَ عَنِّي ؟ لَيْسَ ذَلِكَ
مِنْ رَأْيِي ، قَطَطَلْتُ ^(١) الْمَنْصُورُ وَقَالَ اللَّهُ ذَرِكْ مِنْ فَدَى عَمِّي ،
لَيْسَ لَكَ فِي شُكْرِ النُّعْمَةِ أَتْلَعُ عِنْدَنَا وَآخِذٌ بِقُلُوبِنَا مِنْ
كَلَامٍ كُلِّ أَشْدَقٍ ^(٢) مُتَزَيِّدٍ وَيَلْبِغُ مُتَفَقِّنٍ ^(٣) وَأَقْبَلَ عَلَى

(١) انبسط وجهه مشرقاً بشراً وسروراً (٢) أصل الشدق سعة الشدقين
ويكنى به عن البلاغة وقوة اللسان فيقال : خطيب أشدق ، أي بليغ
مجيد ، ورجل أشدق أي متفوه ذو بيان ، ولقب بالأشدق سعيد بن خالد
ابن سعيد بن العاص لفصاحته ، وولده عمرو بن سعيد الأشدق أحد
خطباء العرب الصامع . وفي الحديث : « كان يفتتح الكلام ويختتمه
بأشداقه » ، أي بجوانب الفم وإنما يكون ذلك لرحب شديه ، والعرب
تستمدح بذلك ، وفي حديث جابر رضي الله عنه أنه حدثه رجل بشيء ،
فقال من سمعت هذا ؟ فقال من ابن عباس ، قال من الشدق ، أي الواسع
الشدق ، ويوصف به البليغ للنطق اللغوه ، ويقال : تشدق إذا لوى شدقه
للتفصيح ، ويقال هو منشدق في منطقته ومتفهب إذا كان يتوسع فيه
ويتزهد ، وللشدق أيضا للتوسع في الكلام من غير احتياط واحتراز ،
وقد نهى عن ذلك (٣) اتقن الرجل وتفقه إذا أخذ في فنون من القول ،

مَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فَقَالَ يَا أَصْحَابَنَا هَكَذَا
فَلْتَشْكِرِ الْأَيْدِيَ وَتُسْتَدَامِ النِّعَمُ ، لَا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ
الْجُحْدِ الْإِلَازِمِ وَالتَّشْكِيِّ الْمُبْرَحِ ^(١) ، وَأَمْرَهُ بِأَفْضَلِ
الْمَنَازِلِ الْخَالِيَةِ .

« وَفِي الْمَوْفَةِ ثَلَاثِينَ » مَا نَصَّهُ : أَصْبَحَ الْمَنْصُورُ
صَبِيحَةَ أَحَدٍ وَكَانَ يَوْمَ رَاحَةِ لِلْخِدْمَةِ الَّذِينَ أُعْفُوا فِيهِ مِنْ
قَصْدِ الْخِدْمَةِ فِي مَطَرٍ وَابِلٍ غَبَّ ^(٢) أَيَّامٍ مِثْلِهِ ، فَقَالَ هَذَا
يَوْمٌ لَا عَهْدَ مِثْلِهِ وَلَا حِيلَةَ لِلْمَوَاطِلِينَ لِقَصْدِنَا فِي مُكَابَدَتِهِ
فَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ شَذَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنِ التَّقْرِيرِ ^(٣) فَأَغْرَبَ

المنصور والبرابرة
الثلاثة

واقفن في حديثه وفي خطبته اذا جاء بالافانين « وأفانين الكلام أساليبه
وطرقه » واقفن في خصوصته اذا توسع وتصرف ، وفنن وفنن اذا اشتق
في فن بعد فن ، ويقال : رجل مفن يأتي في حديثه بالعجائب ، ورجل
معن مفن ، ذوعفن واعتراض واجادة لكل ما بين له ، وذوفنون من
الكلام يذهب فيه كل منذهب (١) الشديد من البرح وهو الشدة والاذى
والشقة والعذاب الشديد (٢) عقب ، بعد ، اثر ، ومنه : غب الصباح يحمد
القوم المسرى (٣) لله من قر بالمكان يقر قرارا اذا ثبت وسكن ، وأقره
فيه وقرره ، وفي بعض الراجع « التقدير » وهو أظهر ، وأغرب القوس
في جريه والرجل في ضحكها اذا بالنا . والغرب : النشاط والتمادي في الامر

فِي الْبُكُورِ ؟ أَخْرِجْ وَتَأْمَلْ - يَقُولُهُ لِعَاجِبِهِ - فَخَرَجَ
وَعَادَ إِلَيْهِ صَاحِبُكَ وَقَالَ يَا مَوْلَايَ عَلَى الْبَابِ ثَلَاثَةٌ مِنْ
الْبَرَابِرَةِ : أَبُو النَّامِسِ بْنُ صَالِحٍ وَأُنْتَانُ مَعَهُ ، وَهُمْ بِحَالٍ مِنْ
الْأَبْلَلِ إِنَّمَا تُوصَفُ بِالشَّاهِدَةِ ، فَقَالَ أَوْصِلْهُمْ إِلَيَّ وَعَجِّلْ ،
فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فِي حَالِ الْمَلَّاحِ بَلَلًا وَنَدَاوَةً ، فَضَحِكَ إِلَيْهِمْ
وَأَدْنَى مَجْلِسِهِمْ ، وَقَالَ خَبِّرُونِي كَيْفَ جِئْتُمْ وَعَلَى أَيِّ حَالٍ
وَصَلْتُمْ ، وَقَدْ اسْتَكَانَ^(١) كُلُّ ذِي رُوحٍ فِي كِنِّهِ ، وَلَازَ
كُلُّ طَائِرٍ بِوَكْرِهِ^(٢) ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو النَّاسِ بِكَلَامِهِ :
يَا مَوْلَايَ لَيْسَ كُلُّ الثُّجَّارِ قَعْدَ عَنْ سُوقِهِ ، وَإِذَا عُذِرَ الثُّجَّارُ
عَلَى طَلَبِ الرِّيحِ بِالْفُلُوسِ فَتَحْنُ أَعْدَرُ يَأْذِرَا كَهَا بِالْبَدْرِ
وَمِنْ غَيْرِ رُيُوسِ الْأَمْوَالِ^(٣) وَهُمْ يَتَنَاقَبُونَ الْأَسْوَاقَ عَلَى

(١) ربما كان محرفاً عن (استكن) أى استتر، والكن: البيت
يرد البرد والحرق، ومنه قوله تعالى « وجعل لكم من الجبال
أكنانا » والكن: وقاء كل شيء وستره. أما استكان الرجل
فمعناه خضع وذلل، وهو إما على وزن افتعل من السكون أشبهت حركة
عينه فجات ألفاً، وأما استفعل من السكون أو من كان يكثر إذا خضع وذلل
(٢) لاذ بالشيء يلوذ إذا استتر به وتحصن، ولأذ به: لجأ إليه وعاد به.
والوكر: عش الطائر وموضعه الذى يبيض فيه ويفرخ، ووكر الطائر
(كوعد): أتى الوكر أو دخله (٣) الفلوس جمع فلس وهو فى الأصل اسم

أَقْدَامِهِمْ وَيُذِيلُونَ فِي قَصْدِهَا ثِيَابَهُمْ ، وَتَحْنُ نَائِيكَ عَلَى خَيْلِكَ ، وَتُذِيلُ^(١) عَلَى صَهْوَاتِهَا مَلَابِسَكَ ، وَتَجْعَلُ الْفَضْلَ فِي قَصْدِكَ مَضْمُونًا إِذْ جَعَلَهُ أُولَئِكَ طِمَعًا وَرَجَاءً ، فَتَرَى لَنَا أَنْ نَجْلِسَ عَنْ سُوقِنَا هَذَا ؟ فَضَحِكَ الْمَنْصُورُ وَدَعَا بِالْكِسَا وَالصَّلَاتِ فَدَفِصَتْ لَهُمْ ، وَأَنْصَرَفُوا مَسْرُورِينَ بَعْدَ وَثَمَتِهِمْ .

« فِي الزَّهْرَةِ الرَّابِعَةِ وَالْأَرْبَعِينَ » مَا نَصْنُ : كَانَ

المنصور والحق
الأديب

لأقل ما يتعامل به قيمة ، ومن ذلك قولهم أفلس الرجل إذا لم يبق له مال كما صارت دراهمه فلوسا وزيوفا بعد أن كان ذا دنانير ودرهم ، والبيرة كبس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار (١) تناوب المكان : تردد عليه مرة بعد مرة ، وتناوبوا الأمر إذا قاموا به نوبة بعد نوبة . أذال الشيء : أهانه « ضحانه » ولم يحسن القيام عليه ، ومنه أذالة الخيل أي امتهاها والحل عليها ، وأذالت المرأة قناعها إذا أرسلته وأرخته . وصهوة الفرس مقعد الفارس أو موضع الابد منه . وصهوة الجبل أعلاه . ومعنى قول أبي الناس البربري مأخوذ من قول أبي الطيب للتغني في سيف الدولة بن حمدان :

أسير إلى أقطاعه في ثيابه على طرفه من داره بحسامه

وقد سبقه البانية بقوله

وان تلادى ان نظرت وشكيت ومهرى وماضيت الى الانامل

حباؤك والعيس الساق كاسها هجان لها تردى عليها الرحائل

بِقُرْبَةٍ عَلَى عَهْدِ الْحَاجِبِ الْمَنْصُورِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ قَتَّى
مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ ، قَدْ رَقَّتْ حَالُهُ ^(١) فِي الطَّلَبِ ، فَتَعَلَّقَ
بِكُتَابِ الْعَمَلِ ، وَاخْتَلَفَ إِلَى الْخِرَازَةِ مُدَّةً حَتَّى قُلِدَ بَعْضُ
الْأَعْمَالِ ، فَاسْتَهْلَكَ كَثِيرًا مِنَ الْمَالِ ، فَلَمَّا ضُمَّ إِلَى الْحِسَابِ
أُبْرِزَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ دِينَارٍ ^(٢) فَرَفَعَ خَبْرَهُ إِلَى الْمَنْصُورِ
فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَزِمَ الْإِقْرَارَ بِمَا بَرَزَ
عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ : يَا فَاسِقُ مَا الَّذِي جَرَأَكَ عَلَى مَالِ السُّلْطَانِ تَنْهَبُهُ ؟
فَقَالَ : قَضَاءُ غَلَبِ الرَّأْيِ وَقُبْرُ أَفْسَادِ الْأَمَانَةِ ، فَقَالَ الْمَنْصُورُ
وَاللَّهِ لَأَجْعَلَنَّكَ نَكَالًا ^(٣) لِفَتْرِكَ ، لِيُخْضَرَ كِبَلٌ ^(٤) وَحَدَادٌ

(١) يقال فلان رقيق الحال ورقيق الدين إذا لم يكن له حظ من دنيا
أو دين . وفي ماله رقق أي قلة (٢) أي ظهر أنه اختلس من الخزانة هذا
البلغ ، وكل ما ظهر بعد خفاء فقد برز (٣) النكال العبرة والعقوبة
التي تجعل المرء وغيره يشكّل عن الأمر أي ينكص عنه ويرجع ويحجم ،
ونكّل به إذا عاقبه في جرم أجرمه عقوبة تنكّل غيره ، وصنعه صنيعا
يحذر سواه عن ارتكاب مثله إذا رآه . وقوله تعالى « فجعلناها نكالاً
لما بين يديها وما خلفها » معناه والله أعلم جعلنا هذه القصة عبرة تنكّل
أن يفعل مثلها فاعل فيها مثل الذي نال اليهود للمتدين في السبت .
(٤) الكبل « وقد تكسر الكاف » القيد ، وكبله « كضرب » وكبله :
حبسه في سجن أو غيره

فَأَخْضَرَ أَفْكَبْلَ النَّتَى، وَقَالَ أَمْلُوهُ إِلَى السَّجْنِ، وَأَمَرَ الضَّابِطَ
بِامْتِحَانِهِ وَالشَّدَّةِ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَوَاهِ أَوَاهِ وَكَمْ ذَا أَرَى
أَكْثَرَ مِنْ تَكَرَّرِ أَوَاهِ ؟
مَا لِأَمْرِي حَوْلٌ وَلَا قُوَّةُ

الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ لِلَّهِ

فَقَالَ الْمَنْصُورُ رُدُّوهُ . فَلَمَّا رُدَّ قَالَ : أَتَمَثَّلْتُ أَمْ قُلْتُ ؟
قَالَ لَا بَلْ قُلْتُ ، فَقَالَ حُلُّوا عَنْهُ كِبَلَهُ ، فَلَمَّا حُلَّ عَنْهُ
أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَمَّا تَرَى عَفْوَ أَبِي عَامِرٍ
لَا بُدَّ أَنْ تَتَّبِعَهُ مِنْهُ
كَذَلِكَ اللَّهُ إِذَا مَا عَفَا

عَنْ عَبْدِهِ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ
خَافِرٍ بِإِطْلَاقِهِ، وَسَوَّغَهُ ذَلِكَ أَلْمَالَ وَأَبْرَأَهُ مِنَ التَّيَمُّعِ فِيهِ .



« وَفِي الْخَامِسَةِ وَالْأَرْبَعِينَ » عُرِضَ عَلَى الْمَنْصُورِ بْنِ
أَبِي عَامِرٍ أَسْمُ أَحَدِ خَدَمِهِ فِي جُمْلَةٍ مِنْ طَالَ سِجْنُهُ - وَكَانَ
شَدِيدَ الْحَقْدِ عَلَيْهِ - فَوَقَعَ عَلَى أَسْمِهِ بَأْنْ لَا سَبِيلَ إِلَى إِطْلَاقِهِ
حَتَّى يَلْحَقَ بِأُمِّهِ الْهَالِكَةِ ^(١) ، وَعُرِفَ الرَّجُلُ بِتَوَقُّعِهِ
فَاقْتَمَ وَأَغْتَمَ وَأَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي الدُّعَاءِ وَالْمُنَاجَاةِ ، فَارِقَ
الْمَنْصُورُ إِنْزَرَ ذَلِكَ وَأَسْتَدْعَى النَّوْمَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَكَانَ
يَأْتِيهِ عِنْدَ تَنَوُّعِهِ آتٍ ^(٢) كَرِيهُ الشَّخْصِ عَنِيفُ الْأَخْذِ

(١) أى المهلكة ، من هوى فلان اذا مات ، قال الثناينة :

وقال الشامتون هوى زياد لكل منية سبب متين
وهوى يهوى هوايا: سقط من علوا الى سفل ، وأمه هواوية : دعاء ، أى هلكت
أمه ، وهوت أمهفوى هواوية أى تأكدة ، وقيل فى قوله تعالى « قَامَ هَاوِيَةٌ »
ان مسكنه النار ، وقيل أم رأسه هواوية فيها أى ساقطة . وقد يستعمل
« هوت أمه » على جهة التمتع وللح كقولهم « قاتله الله ما أفصحه »
ومنه قول سعد بن كعب فى مريثة أخيه :

هوت أمه ما يبيت الصبح غاديا وماذا يؤدى الليل وسجين يؤوب
يقول : أى شئ يبيت من أخى ، أى اذا أيقظه الصبح تنصرف فى
فيل ما يريده ، وغاديا ، منصوب على الحال ، ويؤوب يرجع ، يريدان اقبال
الليل سبب رجوعه الى بيته كما أن اقبال النهار سبب لتصرفه (٢) طارق
فى المنام - والاخذ هنا معناه القهر والتلبة والإيقاع بالشخص وللواخذة

يَأْمُرُهُ بِإِطْلَاقِ الرَّجُلِ وَتَوَعَّدُهُ عَلَى حَبْسِهِ ، فَاسْتَدْفَعَ
شَأْنَهُ مِرَارًا إِلَى أَنْ عَلِمَ أَنَّهُ نَذِيرٌ مِنْ رَبِّهِ فَأَتَقَادَ لِأَمْرِهِ ، وَدَعَا
بِالنَّوَامِ فِي مَرْقَدِهِ فَكَتَبَ بِإِطْلَاقِهِ وَقَالَ فِي كِتَابِهِ : هَذَا
طَلِيقُ أَقْدِ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ ، وَتَحَدَّثَ النَّاسُ
زَمَانًا بِمَا كَانَ مِنْهُ

« وَفِي السَّادِسَةِ وَالْأَرْبَعِينَ » مَا نَصَّهُ : أَنْتَهَتْ هَيْبَةُ
الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَضَبَطَهُ لِلْجُنْدِ وَأَسْتَحْدَامُ ذُكُورِ^(١)
الرَّجَالِ وَقَوَامِ الْمُلْكِ إِلَى غَايَةِ لَمْ يَصِلْهَا مَلِكٌ قَبْلَهُ ، فَكَانَتْ
مَوَاقِفُهُمْ فِي الْمَيْدَانِ عَلَى اخْتِفَالِهِ^(٢) مَثَلًا فِي الْإِطْرَاقِ^(٣)
حَتَّى إِنَّ الْخَيْلَ لَتَسْتَمِثُّ إِطْرَاقَ فُرْسَانِهَا فَلَا تُكْثِرُ الصَّهِيلَ

هيئة المنصور
جمع جنده

والعقوبة الشديدة ، ومن الأخذ بمعنى العذاب والعقوبة : قوله تعالى :
« وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ »
(١) الذكر من الرجال : هو القوى الشجاع الشهم للماضي في الأمور
والأبى الأنف : والذكر من اللط : الوابل الشديد ، ومن القول : الصلب
للتنين ، ومن الشعر : ما كاجزلا فصلا « (٢) امتلأته بالجند والناس :
وكثرة المجتبعين فيه (٣) أى لما يضرب به للتل - وأطرق الرجل إذا سك
ساكنا ، وأطرق بصره إذا أقبل به الى صدره وسكن ساكنا

وَالْحَمْمَةِ^(١) ، وَلَقَدْ وَكَّتَ عَيْنُهُ عَلَى بَارِقَةٍ سَيْفٍ قَدْ
سَلَّ بِمَضُ الْجُنْدِ بِأَقْصَى الْمَيْدَانِ لِهَزْلِ أَوْ جِدِّ بَحِثُ
ظَنٍّ أَنْ لَحْظَ الْمَنْصُورِ لَا يَنَالُهُ ، فَقَالَ عَلَى بِشَاهِرِ السَّيْفِ ،
فَمَثَلُ يَنْ يَدِيهِ لَوْكْتِهِ ، فَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ شَهَرْتَ
سَيْفَكَ فِي مَكَانٍ لَا يُشْهَرُ فِيهِ إِلَّا عَنْ إِذْنِي ؟ فَقَالَ إِنِّي
أَشْرْتُ بِهِ إِلَى صَاحِبِي مُنْعَدًّا فَذَلِكِ^(٢) مِنْ غَمْدِهِ ، فَقَالَ
إِنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يَسُوعُ بِاللَّغْوِ ، وَأَمَرَ بِهِ فَضَرِبَتْ
عُنُقُهُ بِسَيْفِهِ ، وَطِيفَ بِرَأْسِهِ ، وَتُودِيَ عَلَيْهِ بِذَنْبِهِ .



« وَفِي السَّابِغَةِ وَالْأَزْمِينِ » أَنَّ الْمَنْصُورَ كَانَ بِهِ
دَابِي فِي رِجْلِهِ ، وَأَخْتَجَ إِلَى الْكِي ، فَأَمَرَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ بِذَلِكَ وَهُوَ
قَاعِدٌ فِي مَوْضِعٍ مُشْرِفٍ عَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، فَجَعَلَ يَأْمُرُ
وَيَنْعَى وَفَرَى الْفَرَى^(٣) فِي أُمُورِهِ وَرِجْلَهُ تُكْوَى

(١) صوت الخيل دون الصهيل ، وصوت الفرس عند طلب الفلف ، أو اذا
رأى صاحبه الذي كان ألفه فاستأنس اليه (٢) الدلق : التلق ، وور بما كانت معرفة
عن (دلق) أو زلق بالزاي « كغمرح ونصر » اذا زل وتبعد عن موضعه
(٣) يقال هو يفرى الفرى أى يأتى بالمجيبى عمله ، وقد يقال « الفرى »
بفتح الفاء وسكون الراء وتخفيف الياء وفي حديث الرويا : « فلم أرفع رياء
(٢٢ - ضح الطيب - ثالث)

جلد المنصور
وقوة احتاله

وَاللَّسْ لَا يَشْعُرُونَ حَتَّى شَمُوا رَائِحَةَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ ، فَتَجَبَّوْا
مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَرَبٍ .

« وَأَخْبَارُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . » تَحْتَمِلُ مُجَلَّدَاتٍ فَلْتَمَسِكَ
الْعِثَانَ ، عَلَى أَنَاذِ كَرْنَا فِي الْبَابِ الرَّابِعِ وَالسَّادِسِ مِنْ
هَذَا الْكِتَابِ مُجَلَّةٌ مِنْ أَخْبَارِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -
فَلْتَرَجِعْ إِلَى آخِرِهِ .

« وَفِي الثَّامِنَةِ وَالْأَرْبَعِينَ » وَكَانَ بِمَا أُعِينَ بِهِ الْمَنْصُورُ
النَّصُورُ وَالْوُزَرَاءُ وَالْمَصْنُوعُ

عَلَى الْمَصْنُوعِ مِثْلُ الْوُزَرَاءِ إِلَيْهِ ، وَإِثَارُهُمْ عَلَيْهِ ، وَسَمِعَهُمْ
فِي تَرْقِيهِ ، وَأَخَذَهُمْ بِالْمُصَبِّتَةِ فِيهِ ، فَإِنَّهَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ
حِمِيَّةً ^(١) أَعْرَابِيَّةً ، فَقَدْ كَانَتْ سَلَفِيَّةً سُلْطَانِيَّةً ، يَتَقَيَّ
الْقَوْمُ فِيهَا سَبِيلَ سَلَفِهِمْ ، وَيَحْفَلُونَ ^(٢) بِهَا ابْتِدَالَ شَرَفِهِمْ ،

يُفْرَى فَرِيهِ « ، أَيْ يَعْمَلُ عَمَلَهُ وَيَقْطَعُ قَطْعَهُ - وَالْعَرَبُ يَقُولُ : تَرَكَهُ
يُفْرَى الْفَرَى : إِذَا عَمِلَ الْعَمَلَ فَأَجَلَهُ وَأَتَقَنَهُ (١) أَتَقَنَ وَغَيْرُهُ ، وَحُمِي
مِنْ لُتْنِيٍّ وَعَنْهُ « كَرَضَى » حِمِيَّةٌ وَحِمِيَّةٌ : أَتَقَنَ مِنْهُ وَدَاخِلُهُ عَارِ وَأَتَقَنَ
أَنْ يَقَعَهُ (٢) حَفْلٌ بِالنَّسَبِ : إِذَا عُنِيَ بِهِ وَبِالْيَ بَشَانَهُ « وَابْتِدَالَ » هُنَا
مَفْعُولٌ لِأَجْلِهِ عَلَى حَلْفٍ مُضَافٍ ، أَيْ خَوْفٍ أَوْ خَشْيَةٍ ابْتِدَالَ شَرَفِهِمْ

غَادِرُوهَا سِيرَةً ، وَتَخْلُقُوهَا عَادَةً أَثِيرَةً ^(١) ، تَشَاحُّ الْخَلْفُ فِيهَا
تَشَاحُّ ^(٢) سَلَفِهِمْ أَهْلَ الدِّيَانَةِ ، وَصَانُوا بِهَا مَرَاتِبَهُمْ أَعْظَمَ
صِيَانَةٍ ، وَرَأَوْا أَنَّ أَحَدًا لَا يَلْحَقُ فِيهَا غَايَةً ، وَلَا يَتَعَاقَدُ
لَهَا رَايَةً ^(٣) ، فَلَمَّا أَصْطَفَى الْحُكْمَ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ جَمْعَرُ
ابْنِ عُثْمَانَ الْمُصْحَقِي وَأَصْطَنَمَهُ ، وَوَضَعَهُ مِنْ أَثَرَتِهِ حَيْثُ
وَضَعَهُ - وَهُوَ تَزْيِيعٌ ^(٤) يَنْتَهِي وَتَابِعٌ فِيهِمْ - حَسَدُوهُ وَذَمُّوهُ ،

والاحتفال: حسن القيام بالأمور ، ورجل حفيظ في أمره وذو حقل : أى
مبايع فيما أخذ فيه من الأمور ، وأخذ للأمر حقلته إذا جد فيه ، وهو
محافظ على حسيبه محافل : أى يصونه أن يتبدل أو يبال . والتبدل : ترك
التصون ، والابتدال ضد الصيانة ، وقد ابتدله : إذا أهانه . وفى بعض
المراسع « سليقة » بدل سلفية و « بمنعون » بدل يحفلون (١) قديمة
منقولة متواردة ، والاثرة : للكرمة لأنها تؤثر أى تذكر ويذكرها قرن
عن قرن يتحدثون بها . والاثير : الذى يؤثر على غيره ويختار لفظة .
وقلان أثيرى : أى من خلصاى وذو أثره عندى فهو مكين . كرم مقدم وفى بعض
المراسع (وخلقوها) (٢) تشاح على الأمر : إذا تنازعوا لا يريد كلاهما أن يفوته ،
وتشاح القوم فى الأمر . وعليه إذا شاح به بعضهم على بعض وتبادروا إليه حذر فوته ،
وضنا به أن يضع منهم (٣) أى لا يد تولى عليه ولا يعرف به ، وعقد الاثير
الراية لقلان إذا ولاء جهة أو عملا ، والمقدمة : الولاية . على البلد رتاعقوا :
تعاهدوا (٤) التزيغ والتنازع : التريب والبعد ، وفى الحديث « طوبى للزرياء
قبل من هم يارسول الله ؟ قال التنازع من القبائل » وهو الذى نزاع عن أهله
وعشيرته أى بعد وغاب ، أوسمى التريب تزيما لأنه ينزع الى وطنه أى
ينجذب ويميل - والتزيغ من أمه سعية

وَحَصَوُهُ بِالْمُطَالَبَةِ وَعَمُوهُ ، وَكَانَ أَسْرَعَ هَذِهِ الطَّلَافَةِ
مِنْ أَعَالِي الْوُزَرَاءِ وَأَعَاطِمِ النُّوَلَةِ عَلَى مَهَادَةِ الْمَنْصُورِ عَلَيْهِ ،
وَالِانْحِرَافِ عَنْهُ إِلَيْهِ ، آلِ أَبِي عُبَيْدَةَ ^(١) وَآلِ مُشَيْدٍ وَآلِ فُطَيْسٍ
مِنْ الْخُلَفَاءِ وَأَصْحَابِ السَّدَانَةِ ^(٢) مِنْ أُولَى الشَّرَفِ وَالْأَمَانَةِ ،
وَكَانُوا فِي الْوَقْتِ أَرْزَمَةَ ^(٣) الْمَلِكِ وَقُؤَامَ الْخِدْمَةِ ، وَمَصَاحِيحَ
الْأُمَمَةِ ، وَأَغْيَرَ أَخْلَقَ عَلَى جَاهٍ وَحُرْمَةٍ ، فَأَخْطَوْا مُحَمَّدَ
أَبْنِ أَبِي عَامِرٍ مُشَابِعَةً ^(٤) وَيَمِضُ أَسْبَابُهُ الْجَامِعَةَ مُتَابَعَةً ،

(١) كذا بالأصل وأرى أنها محرفة عن « عبدة » وآل أبي عبدة
هم بنو جهور وأبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبدة الله
ابن محمد بن الصمر بن يحيى بن عبد النافر بن أبي عبدة هو
الوزير الذي صار إليه تدبير أمر قرطبة بعد خلع هشام بن محمد للعمد
بأمره ، وكان موصوفاً بالفضل مقدما في البهاء ولطف الاحتياط والمقل
توفي سنة ٤٣٥ ومولده سنة ٣٦٤ وقد سبق التعريف ببعض أفراد هذه
الأسرات الثلاث ، ويأتي حديث عن بعضهم في أثناء الكتاب وفي تعليقنا
عليه « أحمد نجاشي » (٢) سدن : عمل الحجابة فهو سادن . وقال ابن برى :
الفرق بين السادن والحاجب أن الحاجب يحجب واذنه لنيره والسادن يحجب
واذنه لنفسه وفي بعض الراجع (الرادفة) بدل السدانة و (الانافاة) بدل
الامانة ، وهو أولى (٣) جمع زمام - ويقال : هو زمام قومه وهم أئمة
قومهم ، وأتى في يده زمام أمره ، ويصرف أزمة الأمور - وزمام الأمر :
ملاكه وقوامه (٤) شابهة على الأمر : إذا تابعه ووافقه وشجبه ، وشابح
فلانا : إذا تابعه على أمر أو رأى وقواه وطاوعه ..

وَشَادُوا بَنَاهُ ، وَقَادُوا إِلَى غُضْرَةٍ ^(١) سَنَاهُ ، حَتَّى بَلَغَ
الْأَمْلُ ، وَالتَّحَفَ بِمَنَاهُ وَأَكْتَحَلَ ^(٢) . وَعِنْدَ التَّيَامِ هَذِهِ
الْأُمُورِ لِابْنِ أَبِي عَامِرٍ أَسْتَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ لِلْحَادِثَةِ
وَأَيَقَنَ بِالتَّكْبَةِ ، وَزَوَالَ الْحَالِ وَانْتِقَالَ الرُّتْبَةِ ، وَكَفَّ
عَنِ اغْتِرَاضِ مُحَمَّدٍ وَشَرِكْتِهِ فِي التَّدْبِيرِ ، وَأَنْقَبَضَ النَّاسُ
مِنْ الرُّوَاكِ إِلَيْهِ وَالتَّبْكِيرِ ^(٣) . وَأَتَاوُا عَلَى ابْنِ أَبِي عَامِرٍ -
فَقَعَّ مَوْكِهُ ^(٤) ، وَغَارَ مِنْ سَمَاءِ الْمِزْ كَوْكَبُهُ ، وَتَوَالَى
عَلَيْهِ سَعْيُ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ وَطَلَبُهُ إِلَى أَنْ صَارَ يَمْدُو إِلَى
قُرْبَةِ وَيَرُوحُ وَلَيْسَ يَبْدُو مِنْ الْحِجَابَةِ إِلَّا مُجَرَّدُ اسْمِهَا ،

(١) المنصر : الأصل ، والسناء : الشرف (٢) كناية عن شدة تمكنه منه
واستيلائه على كل ما كان يطمح إليه . والتحف بالشيء : تغطى به
ويقال : لحفني فضل لحافه : أي أعطاني فضل عطائه ، قال جرير :

كَمْ قَدْ تَزَلَّتْ بِكُمْ ضَيْفًا فَتَلَحَفْتَنِي فَضْلَ الْحَافِ وَنِعْمَ الْفَضْلُ يَلْتَحِفُ

أي ألتفتني معروفاً وفضلاً وزودتني . ولو قال « واشتمل » لكان
أولى ، مع وضوح المعنى ومناسبته (٣) الرواح : يكون ليلاً ضد
البكور والتبكير يريد الاختلاف إليه والتردد عليه . واثال : تنابح
وانصب من كل جهة (٤) اللوكب : اسم الجماعة من الناس ركباناً أو مشاة
أو ركاب الأبل لازمة وانتزعه وكذلك جماعة الفرسان ، وفي الحديث : أنه
كان يسير في الأفاضة سير اللوكب ، أراد أنه لم يكن يسرع السير فيها « من
وكب يكب وكوبا ، ووكبانا ، إذا مشى في تودة ودرجلن

وَأَبْنُ أَبِي عَامِرٍ مُشْتَبِلٌ عَلَى رَسَمِهَا ، حَتَّى عَمَاهُ ، وَهَتَكَ
ظِلَّهُ ^(١) وَأَضَعَاهُ ، قَالَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ رَأَيْتُهُ يُسَاقُ إِلَى مَجْلِسِ
الْوِزَارَةِ لِلْمُحَاسَبَةِ رَاجِلًا ، فَأَقْبَلَ يَدْرِمُ ^(٢) وَجَوَارِحُهُ ^(٣)
بِالْوَأَعِجِ قَضَطَرِمُ ، وَوَاتِقُ ^(٤) الضَّاعِطُ يَنْهَرُهُ ، وَالزَّمْعُ
يَنْهَرُهُ ، وَالْبَهْرُ وَالنَّفْسُ قَدْ هَامَاهُ ^(٥) ، وَقَصَّرَا خُطَاهُ ،

(١) يقال ضحاظه ، أى مات - وضحا ظله : معناه صار شمساً ، وإذا صار
ظل الانسان شمسا فقد بطل صاحبه ، وهتك السر وغيره : جذب فقطعه من
موضعه أو خرقه عما وراءه موشقه (٢) من درم القنفذ والفأر والارنب ونحوها
« كضرب » درما ، اذا قارب الخطوفى عجلة ، ومنه سمي الرجل دارما
وللبابرة : مشى في ثقل وعجلة (٣) للـ جوارحها محرفة عن « جوانحه »
فنية الاضطرام اليها أبلغ وأشهر وأكثر استعمالاً ، والجوانح أوائل الضلوع
تحت الثنايب مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظهر ، وقيل الجوانح الضلوع
القصار التي في مقدم الصدر ، واحده جناحة - واللاعج : اللوعة والحرقه.
والتمج للرجل : اذا ارتعض وتألم من هم يصيبه ، ويقال هوى لاعج ، وحزن
أو هم لاعج لحرقته القنود ، ولعج الحزن قواده : اذا استحرق في قلبه
(٤) واتق علم . والزمع شبه رعدة تأخذ الانسان من خوف أو نشاط ،
والزمع : البهشة والخوف والجزع والقلق . والزمع أيضا : زلزال الناس وأتباعهم.
وقد يكون (واتق) علم جنس الوثاق لما يوثق به ويربط كالوثاق ، ومنه قوله
تعالى : « فشدوا الوثاق » (٥) البهر : انقطاع النفس من الاعياء ، بهره
الجل وغيره بهرا قانهر وابهر ، أى تنازع نفسه - والبهر : الكرب يعترى
الانسان اذا كلبه فوق جهده ، وهاض العظم يهضه اذا كسره بعد الجبور
وهو أشد ما يكون من الكسر ، ويستمار تيز العظم والجناح ومنه قول

فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : رِقْمًا بِي فَسَتُذْرِكُ مَا تُحِبُّهُ وَتَشْتَهِيهِ ،
وَتَرَى مَا كُنْتَ تَرْجِيهِ ، وَيَأْتِيكَ أَنَّ الْمَوْتَ يُبَاعُ فَأُغْلَى
سَوْمُهُ ، حَتَّى يَرِدَهُ مَنْ أَطَالَ عَلَيْهِ حَوْمَهُ ^(١)
لَا تَأْمَنَنَّ مِنَ الزَّمَانِ تَقَلُّبًا إِنَّ الزَّمَانَ بِأَهْلِهِ يَتَقَلَّبُ
وَلَقَدْ أَرَانِي وَاللُّيُوثُ تُخَافُنِي
فَأَخَافُنِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَلْتَمَلُبُ
حَسْبُ الْكَرِيمِ مَذَلَّةً وَمَهَانَةً

أَلَا يَرَاكَ إِلَى لَيْثٍ يَطْلُبُ
فَلَمَّا بَلَغَ الْمَجْلِسَ جَلَسَ فِي آخِرِهِ دُونَ أَنْ يُسَلَّمَ عَلَى
أَحَدٍ ، أَوْ يُؤْمَى إِلَيْهِ بِمَنْ أَوْ يَدٍ ، فَلَمَّا أَخَذَ مَجْلِسَهُ تَسَرَّعَ

عمر بن عبد العزيز وهو يدعو على يزيد بن المهلب لما كسر سجنه وأقلت:
الهم انه قد هاضى فيه ، أى كسرنى وأدخل الخلل على فأكسره وجاهزه
بافضل ، وكل وجع على وجع فهو هيض ونكس ، ومنه : فان هذا هيضك
الى مابك أى ينكسك الى مرضك (١) سلم الرجل السلعة : اذا عرض
على البائع ثمنها . وأغلاه : جله غاليا . وحلم الطير وغيره على الشيء
وحوله اذا دار ، وحلم فلان على الأمر حوما : اذا رامه وطلبه ، وحلم على
قرايته اذا عطف كفعل الحائم على الماء

إِلَيْهِ الْوَزِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ حَفْصِ بْنِ جَابِرٍ^(١) فَصَفَّهُ وَأَسْتَخَفَّهُ^(٢) ،
وَأَنكَرَ عَلَيْهِ تَرْكَ السَّلَامِ وَجَهْلَهُ ، وَجَمَعَهُ مَعْرُضَ عَنْهُ ،
إِلَى أَنْ كَثُرَ الْقَوْلُ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ يَا هَذَا جِهَلَتَ الْمَبْرَةَ
فَأَسْتَجِهَلْتَ مَمْلَعَهَا^(٣) ، وَكَفَرْتَ أَنْتَ فَقَصَدْتَ بِالْأَذَى
وَلَمْ تَرْهَبْ مُقَدَّمَهَا ، وَلَوْ أَتَيْتُ نُكْرًا ، لَكَانَ غَيْرُكَ
أَدْرَى ، وَقَدْ وَقَفْتَ فِي أَمْرٍ مَا أَظُنُّكَ تَخْلُصَ مِنْهُ ، وَلَا
يَسْمُكَ الشُّكُوتُ عَنْهُ ، وَنَسِيتَ الْآيَادِيَ الْجَلِيلَةَ ،
وَالْمَبْرَاتِ الْجَلِيلَةَ . فَلَمَّا سَمِعَ مُحَمَّدُ بْنُ حَفْصٍ ذَلِكَ مِنْ
قَوْلِهِ قَالَ : هَذَا أَنْبَهْتُ^(٤) بِمِثْلِهِ ، وَأَيُّ أَيَادِيكَ الْفَرُّ الَّتِي
مَنْنْتَ بِهَا ، وَعَيْنْتَ أَدَاءً وَاجِبَهَا ؟ أَيَدُ كَذَا أَمْ يَدُ كَذَا ؟

(١) ليت شرى أهو غير أبي عامر بن حفص بن أشعث القرطبي الذي
كان في عداد الفقهاء المشهورين وللشرفين باسم الوزارة في مدة الفتنة
ذلك كان عفيفا سهل الخلق أديبا من أمثال طبقته توفي سنة ٤٢٩هـ ، ولعلنا
نبعث ذلك « أحمد يوسف نجاتي » .

(٢) من حلقه إذا ماراه ونازعه في الكلام ، وبالغ في مشاركته ، وأحقى به :
أزرى . وقد تكون استخفافه بالجميل (٣) معلم الشيء : مظنته ويقال هو معلم
للخير من ذلك ، والمعلم ما يستدل به على الطريق من الأثر ، والأولى أن تقرأ معلمها
(٤) بهته « كمنه » بهذا إذا قال عليه مالم يفعل ، والبهت الكذب والباطل

- وَعَيْنَ أَشْيَاءَ أَنْكَرَهَا مِنْهُ أَيَّامَ إِمَارَتِهِ ، وَتَصَرَّفَ الدَّغْرِ
طَوَّعَ إِشَارَتِهِ - فَقَالَ جَعْفَرُ هَذَا مَا لَا يُعْرَفُ ، وَالْحَقُّ
الَّذِي لَا يُرَدُّ وَلَا يُصَرَّفُ ، رَفَعِي الْقَطْعَ عَنْ مُيْتَاكَ ^(٧)
وَتَبْلِيغِي لَكَ إِلَى مُتَاكَ ، فَأَصَرَ مُحَمَّدُ بْنُ حَفْصٍ عَلَى الْجُحْدِ .
فَقَالَ جَعْفَرُ : أَنْشُدُ اللَّهَ مَنْ لَهُ عِلْمٌ بِمَا أَذْكَرُهُ ، إِلَّا
اعْتَرَفَ بِهِ فَلَا يُنْكِرُهُ ، وَأَنَا أَخُوجُ الْيَوْمَ إِلَى السُّكُوتِ ،
وَلَا تُحْجَبُ دَعْوَتِي فِيهِ عَنِ الْمَلِكُوتِ . فَقَالَ الْوَزِيرُ
أَمْعَدُ بْنُ عَبَّاسٍ : قَدْ كَانَ بَعْضُ مَا ذَكَرْتَهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ
وغيرَ هَذَا أَوْلَى بِكَ ، وَأَنْتَ فِيمَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ مُحْتِكٍ
وَطَلَبِكَ . فَقَالَ أَخْرَجَنِي الرَّجُلُ فَتَكَلَّمْتُ ، وَأَخُوجَنِي
إِلَى مَا بِهِ أَعْلَمْتُ . فَأَقْبَلَ الْوَزِيرُ ابْنَ جَعْفَرٍ عَلَى مُحَمَّدٍ
ابْنِ حَفْصٍ وَقَالَ : أَسَأْتَ إِلَى الْحَاجِبِ ، وَأَوْجِبْتَ عَلَيْهِ
غَيْرَ الْوَاجِبِ ، أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ مَنْكُوبَ السُّلْطَانِ لَا
يُسَلَّمُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ؟ لِأَنَّهُ إِنْ فَعَلَ الزَّمَهُمُ الرَّدَّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى

« وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ». فَإِنْ
فَعَلُوا طَافَ بِهِمْ مِنْ أَنْكَارِ الْأَسْلَاطَانِ مَا يُنْحَتَى وَيُخَافُ ، لِأَنَّهُ
تَأْنِيسٌ لِمَنْ أَوْحَشَ وَتَأْمِينٌ لِمَنْ أَخَافَ ، وَإِنْ تَرَكُوا
الرَّدَّ اسْتَخَطُوا اللَّهَ ، فَصَارَ الْإِمْسَاكُ أَحْسَنَ ، وَمِثْلُ هَذَا
لَا يَخْفَى عَلَى أَيْ الْحَسَنِ . فَأَنْكَسَرَ ابْنُ حَفْصٍ ، وَخَجِلَ
مِمَّا أَتَى بِهِ مِنَ النِّقْصِ . وَبَلَّغَهُ أَنْ قَوْمًا تَوَجَّعُوا لَهُ ،
وَتَجَّعُوا مِمَّا وَصَلَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ :

أَحِبُّ إِلَى أَقْلَابِكُمْ فَأَظْهَرَهَا

بَوَاعَتْ أَنْفَاسَ الْحَيَاةِ إِلَى نَفْسِي

وَإِنَّ زَمَانًا صِرْتُ فِيهِ مُقَيَّدًا

لَا أَثْقَلُ مِنْ رَضْوَى ^(١) وَأَضْيِقُ مِنْ أَمْسٍ ^(٢)

(١) رَضْوَى : جبل عظيم بالمدينة ، وهو الجبل الذي يزعم الكيسانية

أن محمد بن الحنفية به مقيم حتى يزرق

تقيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عمل وما

(٢) يجوز أن تكون أَمْس معرفة عن «رَمْس» وهو الاظهر والا فقد

بالغ في وصف الزمان بالضيق كما بالغ من قال :

براني المهوى يرى للذي وأذا جئ - صدودك حتى صرت أحمل من أَمْس

فلست أرى حتى أراك وأما - بين هباء النر في ألقى الشمس

انتهى ما ترجم به المنصور بن أبي عامر ، ولترجع

فَنَقُولُ



وَلَمَّا تَوَفَّى الْمَنْصُورُ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ *
الظفر عبد الملك ابن المنصور

* ترجم له في كتب الغرب ، في حلى الغرب « ص ٢٦ ج أول » بما
يأتى :

« الظفر عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر »

ذكر ابن حبان ضبطه للدولة بعد موت أبيه ، وتقبه من خلف فنته من
الغلمان الى سبته ، وأحببه الناس ، وانصب التأيد والاقبال عليه انصباً
لم يسمع بمثله ، وسكن الناس منه الى عفاف وتزاهة ، فأخذوا في الكسب
والزينة ، وبلغت الأندلس في أيامه الى نهاية الجمال والكمال ، وكان أحمد
ابن فارس للنجم قد قال : لم يولد بالأندلس قط أسعد من الظفر على نفسه
وعلى أبيه وحاشيته ، نعم وعلى أهل الأندلس طراً ، وانها لاتزال تحب
حياته ، فإذا هلك لم تطلع ، فكان كذلك ، وكانت نفائس الاعلاق
والآلات اللوكية قد ارتفعت في وقته ارتفاعاً عظيماً ، وبلغت الأندلس
في مدته الى نهاية الهدوء والرفاهية ، وجرى على سنن أبيه من غزو
النصارى ، وضبط الدولة ، ورام صهره عيسى بن سعيد المعروف بابن القطاع
أن يأخذ الدولة ففطن به وعاجله وقتل في مجلس الندامة ، إلا أنه لم يكن
فيه للآداب ما كان له من أبيه ، فقد وصفه ابن حبان بأنه كان مثلاً الى
مجالسة العجم الجفافة من البرابر والافرنج ، منهمكا في القروسية والآلها ،
إلا أن أصحاب أبيه لم يخل بهم ولا جفاهم ، بل أبقاهم على رسمهم .

الْمُظَفَّرُ أَبُو مَرْوَانَ فَجَرَى عَلَى سَنَنِ^(١) أَبِيهِ فِي السِّيَاسَةِ
وَالْفِرَافِ ، وَكَانَتْ أَيَّامُهُ أَعْيَادًا دَامَتْ مُدَّةَ سَبْعِ سِنِينَ ،
وَكَانَتْ تُسَمَّى بِالسَّابِيعِ تَشْبِيهًا بِسَابِيعِ الْعَرُوسِ ، وَلَمْ
يَزَلْ مِثْلَ أَسْمِهِ مُظَفَّرًا إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ
وَتَلْثَمِائَةَ فِي الْمُحَرَّمِ ، وَقِيلَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ ، وَكَاتِبُهُ
الْمُعَرَّبُ بْنُ زَيْرِي مَلِكُ مَرْوَاةَ بَعْدَ أَنْ اسْتَرْجَعَ فَاسًا وَالْمَغْرِبَ
إِثْرَ مَوْتِ أَبِيهِ^(٢) فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْهَدْيَ عَلَى الْمَغْرِبِ ، وَثَارَتْ

(١) السنن : الطريقة ، وسنن الطريق « بثلاث السنين و بضمين » فبه
أربع لئات « نهجه وجهته ومحجته

(٢) ينأ فيها سبق كيف انقضى أمر مكناسة من المغرب وانتقلت الدولة
الى مفرأوة و بنى يفرن ، وذلك في مدة حجابة للنصور بن أبي عامر بقرطبة
وعقد هشام لخزرون بن فلقول من ملوك مفرأوة على سبجلماسة وأعمالها
وجاءه عهد الخليفة بذلك فضبطلها وقام بأمرها حتى توفي ، فولى أمر
سبجلماسة من بعده ابنه « وانودين بن خزرون » حتى غلب زيري بن
مناد على المغرب ففقد على سبجلماسة لحيد بن فضل الكنتاسي ، وفر
وانودين بن خزرون عنها ، ثم أعاده عبد الملك الى سبجلماسة بعد ذلك على
قطيعة يؤذيها اليه ، ثم استقل بها من سنة ٣٩٠ مقيما للدعوة الاموية
بالاندلس ، وعاد للزيري زيري بولاية المغرب عن الظفر بن أبي عامر وحاز
عنه ولاية سبجلماسة لكونها بيد وانودين الذي عظم ملكه وأضاف الى

الطَّوَائِفُ فِي مَمَالِكِهِمْ، وَتَحَرَّكَتِ الْجَلَالَةُ لِاسْتِرْجَاعِ
مَمَالِكِهِمْ وَحُصُونِهِمْ .

سلجلماسة غيرها من أعمال المغرب ، ولما توفى قام بالأمر بعده ولده مسعود
ابن وانودين إلى أن خرج عبد الله بن ياسين شيخ الرابطين فقتل مسعودا
سنة ٤٤٥ وملك سلجلماسة ، فدخلت في ملك الرابطين لأول أمرهم
وانقرضت دولة بني خزرون منها ثم تداولها من بعدهم ملوك الوجدين ثم
ملوك بني مرين - وتقدم أن زيري بن عطية بن عبد الله « من مفراوة »
توفى سنة ٣٩١ فبويع من بعده لابنه للمز بن زيري جري على سنن
أبيه من الدعاء لهشام بن عبد الملك والنصور من بعده حتى توفى المنصور
وقام بالأمر بعده ابنه عبد الملك للظفر وبث المز بن زيري يرغب إلى
الظفر في عمل فاس والمغرب الأقصى فأجابه إلى ذلك وكتب له عهده به
« خلا سلجلماسة كما تقدم » وبقي للمز بن ولاته حتى توفى سنة ٤١٧
وولى من بعده ابن عمه حمامة بن المز بن عطية بن زيري . ثم افتتح
يوسف بن تاشفين مدينة فاس سنة ٤٦٢ « أحمد يوسف نجاشي »



(انتهى الجزء الثالث من كتاب نفع الطيب)

ويليه الجزء الرابع إن شاء الله وأوله

عبد الرحمن الناصر لدين الله بن أبي عامر ❦

حقوق الطبع محفوظة للمترجم

الدكتور أحمد فريد رفاعي

جميع النسخ مجهزة بتوقيع ناشره

سأله كروية

مسألة عرض ، ليوم العرض ، لاموضوع فرض ، ولا اتحال فرض ،
فهو روحانية الحوار ، أدية النشوار ، نورانية الاصدار ، قامت بين أربعة
من السلف الاخير ، أئمة العربية الجهابذة الاحبار ، عن صديق لهم
خامس مختار ، وقرين فيما استظهروه من أسفار ، وإن كان في تواضعه
العلمي ، وتنكبه عن الانظار ، قد حبر المقول ، والافهام ، والابصار .
أما الأربعة الكرام : فهم للرحومون . السيد بن علي الرضوي ،
والسيد الشنقيطي ، والسيد توفيق البكري ، وأستاذنا للرحوم السيد
حمزة فتح الله ، وهم عن ذهبوا بمظان الادب العربي ، وذهبت بهم ، وتلفوا
في مبانها ومعانيها ، بقدر ما تطلعت في دماهم ، وآثروا العزلة والعلم
والدرس والفهم ، على لغة الجاه والنصب ، وللال والنصب ، فأحبوا من
هذه الحلال خلاله ، وأجأوا من تلك الحصال خصاله ، فراح كل للأدب
نصيرا ، وباللغة بصيرا ، وبمداخلها ومخارجها علما خيرا .

أما موضوع العرض ؟ فهو نداء إلى مصدر نفع الطيب للمعقري ،
أن يمد السبيل لنفسه من الآن ، ويمد العدة لمال جديد ، لأن أجزاءه
ستزيد عما حده من قبل ، لاعتبارات سردها ، نشأت عن خصال
ركبت في شخص صاحبهم الخامس ، الذي أهدها لنا القدر ، ليكون
مراجع الكتاب

وإني قد صممت أن أتقم للمال هنا ، وإن كنت أكره الانتقام
دواما ، فأعرض عن ذكر اسمه ، وإن كان هو في المرض مدرارا ،
وفي الشرح مكثرا ، وإن اتقى زلات وعثرات ، وكيف لأفضل ذلك ،
وستزاد الأجزاء حوالى الثلث ، فاهيك بليال سيضئ سدها ، ومال
سينفد ، وحة ستبقى .

وما ينبغي من ذكر إجماع هؤلاء الأئمة ، لأن خامسهم هو أستاذنا مزاجع الوزارة ، للتدب للاشراف على نقح الطيب ، وقول السيد ابن على للرصفي : حياك الله وبياك . خامسنا في المهنة والصناعة ، وولدنا في الذكاوة والبضاعة ، والتزعة والرضاغة ، فقد والله أرحت نفوسنا ، وأثلجت صدورنا ، وابن نجاشي ، وقد والله انتقت القلعة ، وأعدت الروعة ، فأنت الخليق من بدنا بوراة البيان ، في غير إجحاف بما لزملائك الكرام ، من أسهم صائبات ، وحسنات في خدمة الأمة إثر حسنات ، فكلكم والله باعثو نهضتها ، وناشرو جدتها .

ثم قول الشنقيطي : ولاتنس وقد ذكرت ولدنا « أحمد بن يوسف نجاشي » أن تهتف للقرآن والعربية ، ولغة ولحمدية ، وللبلاغة والعدانية ، فلتثبت ونحن في دار البقاء ، ما يمنع النفاق نشره في دار الفناء ، فنقول عنه ونمدد في سجل حسناته ، وثبت في صحيفة بلائه ، أنه كم في اللغة والأدب ، لمباني النشر ، وهاتين اثنتائى ، ضم ورأب ، وكم لتسع التفر ومستصمى الصدع ، سد وشمب ، وكم خلل أصلح ، وخطأ أفصح ، ومبهم أوضح ، وكم في إصابة هدف الصواب أفلح ، وأتجح وأسجح . وكم لكلام الكلام نكاً وأنهر ، ولزيف مخارق النساخ أصلح وأظهر ، وكان - علم الله - لاطلاسهم للهمة ، وأطحيهم للمساة ، بهصر عشاء ، وزعيم أساة ، بل كان وإيم الحق امام نعاة ، وشيخ رواة .

ولقد أبى صاحب الصهاريج ، وأراجيز العرب ، إلا أن يتمتع بدلائه ، ويعرض لأتاه فقال عنه :

أما في الشعر وقوافيه ، وما طار من قوادمه وخوافيه ، أو طمس من أواسطه ومبانيه ، فلقد كان - والله - زميلنا « أحمد » نعم الحادى والرائض والهادى والفارض ، والأصمعي وابن الفارض ، في براءة من صنعة حماده وفي طراوة من بلاغة ابن الهادي .

وهنا أمسك شيخنا السيد حمزة فتح الله بعثنونه ، فقال كماذنه :
أما في الشرح والايضاح ، والتذليل وحوك الوشاح ، ومبر أيوب في
الابانة والافصاح ، فإن صاحبنا في هذه البروب والنواحي ، والفجاح
وللتاحي - حرسه الله من الحسود الحقود للتشكك - عذيقها
المرجب ، وجذيلها المحكك . أقول :

وماذا يعني بالضى في اثبات نصوص ذلك الحوار ، بعدما أصابنا
ما أصابنا من وراء جهد صاحبه المختار ، من زيادة الورق والأسفار ،
ومواصلة الليالي بالآمال ، والبكور بالأسفار ، فلنصر على انتقامنا
- أسقفنا الله من هذه الخصلة القميمة - ولنعرض عن ذكر اسمه
كاملا . والحمد لله أولا وآخرا ، عليه توكلنا واليه المآب .

أحمد فريد رفاعي

دار الأمور في { ٢٠ رمضان سنة ١٣٥٥
٥ ديسمبر سنة ١٩٣٦



شُكْرًا شُكْرًا

وَهَلْ يَحْتَنِي اِسْمِي اِنْ كُنْتُ وَقَدْ وَشَى

بِرِيَاءَهُ قَحُّ الطَّيِّبِ لَمَّا تَصَوَّعَا ؟

أحمد يوسف نجاني

الجزيرة في { ٢١ من رمضان سنة ١٣٥٥
٦ من ديسمبر سنة ١٩٣٦

فهرس

الجزء الثالث من كتاب فتح الطيب

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
اعتراف بالجميل	٣	٣
كلمة العهد الأصمهانى	٤	٤
كتاب أبى الطرف الى سلطان إفريقية	١٢	٥
كتاب آخر لأبى الطرف	١٥	١٣
مخاطبة الرعيني	١٨	١٥
رسالة أخرى لأبى الطرف	٢٤	١٨
كتاب أبى الطرف الى صاحبه	٢٦	٢٤
ترجمة أبى للطرف	٣٠	٢٧
تقلب أبى الطرف فى المناصب	٣١	٣٠
وصف ابن الأبار لأبى الطرف	٣٤	٣١
كتاب أبى الطرف فى المدية	٣٤	٣٤
كتاب أبى الطرف فى الحجامة	٣٥	٣٤
كتاب أبى الطرف فى السخاء	٣٥	٣٥
كتابه فى مدح الأميرين	٣٦	٣٥

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
رسالة أخرى	٣٧	٣٧
كتاب الاشارة إلى الكفار التاليين	٣٧	٤٢
كتاب تهته إلى ابن هود	٤٢	٤٥
مضمون الكتاب	٤٦	٤٨
مخاطبة صاحب الأندلس إلى السلطان المنصور	٤٨	٤٩
مخاطبة النقي بالله صاحب الأندلس إلى السلطان قلاوون	٤٩	٦٩
مكاة الدين بالأندلس	٧٠	٧٠
زوال ملك بنى أمية	٧١	٧٦
التمهيد لسلطان بنى مروان بالأندلس	٧٦	٧٩
ملك بنى عبد الرحمن	٧٩	٨٠
مخاطبة عبد الرحمن لملك الفرنج	٨٠	٨٤
وصف عبد الرحمن الناصر	٨٤	٨٥
دعاء العلاء لأبي جعفر المنصور	٨٥	٨٩
هروب عبد الرحمن إلى الأندلس	٨٩	٩٠
تولية هشام	٩١	٩٨
وداع الكنتاني لمشام	٩٨	٩٩
فتح أربونة	٩٩	١٠٢
تجديد قنطرة قرطبة	١٠٢	١٠٣
تولية الحكم بن هشام	١٠٣	١٠٥
حروب الحكم وفتوحه	١٠٦	١١٠

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
تمتة المالك	١١٠	١١١
ربط الخيل على شاطئ النهر	١١١	١١٢
أخلاق الحكم وعاداته	١١٢	١١٣
شيء من بديع أخبار الحكم	١١٣	١١٥
مقتل الفقيه أبي زكريا القيسي	١١٦	١١٦
قيام عبد الرحمن ابنه بمده بالأمر	١١٦	١١٦
قدوم زريب المنى	١١٧	١١٨
غزوة ألبه والقلاع	١١٨	١٢٠
دخول بنبلونة والإيقاع بالشركين	١٢٠	١٢١
دخول جليقية ومحاصرة مدينة ليون	١٢١	١٢٢
غزو برشلونة	١٢٢	١٢٥
عبد الرحمن الأوسط	١٢٥	١٢٧
زيادة الضرائب	١٢٧	١٢٧
ما قيل في جمع قرطبة	١٢٨	١٣١
عبد الرحمن الأوسط وجارته طروب	١٣١	١٣٣
محمد بن عبد الرحمن الأوسط	١٣٣	١٣٤
حروب الأمير محمد	١٣٤	١٣٥
غزو بلاد الجلائقة	١٣٦	١٣٩
للتنوير بن الأمير محمد	١٣٩	١٤٠
عبد الله بن محمد	١٤٠	١٤٣

الوصف — نوع	الصفحة	
	من	إلى
عبد الرحمن الناصر	١٤٤	١٤٥
سبب تقييد عبد الرحمن الناصر بالخلافة	١٤٥	١٥٠
غزوة سمرة	١٥٠	١٥٤
هدية ابن شهيد للناصر	١٥٤	١٥٥
أول من لقب بنى الوزانين بالأندلس	١٥٥	١٥٧
وصف الهدية	١٥٧	١٦٣
كتاب ابن شهيد المصحوب مع الهدية	١٦٤	١٦٧
إنشاد الرزور	١٦٧	١٦٨
هدية ابن شهيد	١٦٨	١٧١
غزوات الناصر	١٧٢	١٨٢
ملك الناصر وضخامته	١٨٢	١٨٢
وفود رسل قسطنطين على الناصر	١٨٣	١٨٥
رحلة الناصر إلى قصر قرطبة	١٨٥	١٨٧
وصف هدية قسطنطين لأمير المؤمنين الناصر	١٨٧	١٨٩
احتفال الناصر بالمدينة	١٨٩	١٩٠
خطبة أبي على القتالي	١٩٠	١٩١
خطبة منفر بن سميد	١٩١	١٩٩
منفر بن سميد	١٩٩	٢٠٤
إعجاب الناصر بخطبة المنفر بن سميد	٢٠٤	٢٠٧
من تلويح منفر بن سميد	٢٠٧	٢١١

الموضوع	الصفحة	من	الى
من أخبار الناصر	٢١٢	٢١١	
خطاب الناصر إلى أبي إبراهيم	٢١٣	٢١٢	
رد أبي إبراهيم إلى الناصر	٢١٤	٢١٣	
رسالة الحكم إلى الققيه أبي إبراهيم المذكور	٢١٩	٢١٤	
وفرة الضرائب والأموال في عهد الناصر	٢٢٠	٢١٩	
الوزير ابن شهيد	٢٢٥	٢٢١	
عبد الملك بن جهور	٢٢٨	٢٢٥	
الحكم المستنصر بالله بن الناصر	٢٣٠	٢٢٨	
فتوحات الحكم المستنصر بالله	٢٣٩	٢٣٠	
غزوة العلوة بالنرب الأقصى	٢٣٨	٢٣٦	
شفف الحكم بالعلوم	٢٣٩	٢٣٨	
وفود أبي علي القالي - وفي الأصل « أبو » خطأ .	٢٤٢	٢٣٩	
يعة الحكم المستنصر بالله	٢٤٧	٢٤٢	
الوفود ياب الحكم	٢٤٧	٢٤٧	
خروج بني أطلح الناصري لتلق غالب الناصري	٢٥٢	٢٤٧	
عزل شنجة وتولية أردون	٢٥٨	٢٥٣	
تبارى الخطباء بمجلس الخليفة	٢٦٢	٢٥٨	
خزاة الحكم العلية	٢٦٦	٢٦٣	
هشام بن الحكم	٢٦٨	٢٦٧	
النصور بن أبي عامر	٢٧٧	٢٦٩	

الوضـوع	الصفحة	
	من	الى
رأى ابن هود	٢٧٨	٢٧٨
فلكه في تاريخ النصور	٢٨٠	٢٧٨
هشام بن الحكم	٢٨٢	٢٨٠
هشام وعبد الملك بن شهيد وفي الأصل « هشام عبد الملك بن شهيد » خطأ	٢٨٥	٢٨٣
التاجر والحذاء	٢٨٧	٢٨٦
جعفر بن عثمان الصحفي	٢٩١	٢٨٨
غزو بن أبي عامر بلاد الشرك	٢٩٢	٢٩١
قصة امرأة أسيرة	٢٩٥	٢٩٢
وصف ابن أبي عامر	٣٠٢	٢٩٥
شجاعة النصور وخطه	٣٠٢	٣٠٢
كرم النصور وبه	٣٠٥	٣٠٣
آثار النصور ومناقبه	٣٠٧	٣٠٥
قوة إيمان النصور	٣٠٩	٣٠٨
عمل النصور	٣١٠	٣٠٩
قصة البورقي مع التاجر المتري	٣١١	٣١٠
قصة فصاد النصور	٣١٢	٣١١
قصة الشيخ مع النصور	٣١٤	٣١٢
نادرة النصور والتاجر	٣١٨	٣١٤
غزوة النصور لمدينة « شنت بلق »	٣٢٨	٣١٨

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
النصور وآثر البرزالي	٣٢٨	٣٣٠
النصور والبربرة الثلاثة	٣٣٠	٣٣٢
النصور والفق الأديب	٣٣٢	٣٣٤
النصور والسجين	٣٣٥	٣٣٦
هيئة النصور مع جنده	٣٣٦	٣٣٧
جلد النصور وقوة احتماله	٣٣٧	٣٣٨
النصور والوزراء والمصحق	٣٣٨	٣٤٧
المظفر عبد الملك بن النصور	٣٤٧	٣٤٩

مطبعة عارضة دار المناهون

(الدفتر من ذهبت) (الدكتور محمد فوزي رقي)

مكتبة الشريعة والفتاوى مديرية الصحافة والنشر والثقافة

الطبعة

الأدبية

سلسلة المصادر العربية

فتح الطبيب

تأليف العلامة أحمد المقرئ المغربي المالكي الأشعري

مطبوعة ومشروحة ومطفا عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

الجزء الرابع

حقوق الطبع محفوظة المؤلف

طبع بمطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ آمِينَ

فَقَدْ قَالَ الْعَمَادُ الْأَصْفَحَانِي

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّكَ لَكُنْتُ بِنَاسِكٍ كِتَابِي فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ
فِي عَهْدِهِ : لَوْ غَيَّرْتُ هَذَا الْكَانَ أَحْسَنَ ، وَلَوْ زِيدَ كَذَا الْكَانَ مُتَحَسِّنًا .
وَلَوْ قُدِّمَ هَذَا الْكَانَ أَفْضَلَ . وَلَوْ تَرِكَ هَذَا الْكَانَ أَجْمَلَ ، وَهَذَا
مِنْ أَعْظَمِ الْعَبِيرِ . وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِبْلَالِ النَّقِصِ عَلَى جَمَلِيَّةِ
الْبَشَرِ .

الْعَمَادُ الْأَصْفَحَانِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« قَالَ ابْنُ خَلْدُون » ثُمَّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ أَخُوهُ عبد الرحمن
الناصر لدين الله

عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَتَلَقَّبَ بِالنَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ وَقِيلَ بِالْمَأْمُونِ ،
وَجَرَى عَلَى سَنَنِ أَبِيهِ وَأَخِيهِ فِي الْحَجْرِ عَلَى الْخَلِيفَةِ هِشَامٍ
وَالِاسْتِئْذَانِ عَلَيْهِ ، وَالِاسْتِقْلَالِ بِالْمُلْكِ دُونَهُ ، ثُمَّ تَابَ ^(١) لَهُ
رَأْيٌ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ بِمَا بَقِيَ مِنْ رُسُومِ الْخِلَافَةِ ، فَطَلَبَ مِنْ
هِشَامٍ التَّوَيُّدَ أَنْ يُؤَلِّقَهُ عَهْدَهُ فَأَجَابَهُ ، وَأَخْفَرَ لِنَفْسِهِ الْمَلَأَ
مِنْ أَرْكَابِ الشُّوَرَى وَأَهْلِ الْحَلِّ وَالْمَقْدِ ، فَكَانَ يَوْمًا

(١) تَابَ لَهُ رَأْيٌ : عَرَضَ لَهُ .

مَشْهُودًا، فَكُتِبَ عَنْهُ مِنْ أَنْشَاءِ أَبِي حَفْصٍ بِنِ بَرْدٍ ^(١) بِمَا نَصَّهُ :



هَذَا مَا عَدَّ بِهِ هِشَامُ الْمُؤَيَّدُ بِاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى
النَّاسِ عَامَّةً ، وَعَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ خَاصَّةً ، وَأَعْطَى بِهِ
صَفْقَةً يَمِينَهُ يَبْقَى تَامَّةً ، بَعْدَ أَنْ أَمِنَ فِي النَّظَرِ ، وَأَطَالَ
الِاسْتِخَارَةَ ^(٢) وَأَمَّهُ مَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِمَامَةِ ، وَعَصَبَ ^(٣) بِهِ

عهد هشام
للمؤيد بالله

(١) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن برد من أهل قرطبة مولى أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن شهيد ، كان ابن برد من فحول البيان وأقطاب البلاغة كاتبًا بليغًا وشاعرًا مجيدًا مليح الشعر حسن النجابة ، وهو من أهل بيت رياسة وأدب ، وله رسالة في السيف والقلم والفاخرة بينهما وهو أول من سبق بالقول في ذلك بالاندلس ، وكان من كتب ديوان الانشاء في دولة العامين وكتب للطاهر عبد الملك بن النصور بن أبي عامر وله رسائل كثيرة تدل على قدرته في البلاغة وطول بابه في السياسة توفي سنة ٤٢٨ «ومن شعره» أوهو حفيده أبو حفص بن برد الأصغر :

تأمل فقد شق البهار مفلا كاميته عن نواره الخضر الندي
مداهن ترفي أناضل فضة على أذرع مخروطة من زبرجد

(٢) استخار : طلب الحيرة ، ويقال استخار الله يخرك ، والله يخير العبد إذا استخاره (٣) العصب الشد ولزوم الشيء ، ويقال عصب الرجل يته «كعصب» إذا أقام فيه لازما له لا يرحه ، وفي حديث علي كرم الله وجهه فروا إلى الله وقوموا بما عصب بكم ، أي بما افترضه عليكم وقرنه بكم من أوامره ونواهيه ، وفلان تصب الأمور برأيه : أي تنال به

مِنْ أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَتَى حُلُولَ الْقَدَرِ بِمَا لَا يُؤْمِنُ ، وَخَافَ
تُرُؤْلَ الْقَضَاءِ بِمَا لَا يُصْرِفُ ، وَخَشِيَ إِنْ هَجَمَ عَثْوُ ذَلِكَ
عَلَيْهِ ، وَتَرَكَ مَقْدُورَهُ بِهِ ، وَلَمْ يَرْفَعْ لَهُذِهِ الْأَمَّةَ عَلَمَا تَأْوِي
إِلَيْهِ ، وَمَلَجَأً تَنْعِطُ عَلَيْهِ ، أَنْ يَكُونَ يَلْقَى رَبَّهُ - تَبَارَكَ
وَتَعَالَى - مُفَرَّطًا سَاهِيًا عَنْ آدَاءِ الْحَقِّ إِلَيْهَا ، وَتَقْصَى ^(١) عِنْدَ
ذَلِكَ مِنْ أَحْيَاءِ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسْنَدَ هَذَا
الْأَمْرُ إِلَيْهِ ، وَيُعْمَلَ فِي الْقِيَامِ بِهِ عَلَيْهِ ، يَمَنْ يَسْتَوْجِبُهُ بِدِينِهِ
وَأَمَاتِيَّتِهِ ، وَهَدْيِهِ وَصِيَاتِهِ ، بَعْدَ أَطْرَاحِ الْهَوَى ^(٢) وَالتَّحَرَّى
لِلْحَقِّ ، وَالزُّلْفَى ^(٣) إِلَى اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ بِمَا يُرْضِيهِ ، وَبَعْدَ أَنْ
قَطَعَ الْأَوَاصِرَ ^(٤) وَأَسْخَطَ الْأَقَارِبَ ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا أَجْدَرَ أَنْ

(١) تقصى في الأمر واستقصى : بلغ غاية القصوى ، وكذا تقصى الأمر
واستقصاه وفي الأصل «نقص» معرفة (٢) ميل النفس ومحبة الإنسان لنفسه
وغلبته على قلبه (٣) التقرب ، وللتزلة والرتبة والدرجة ، ومنه قوله تعالى :
«وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى» (٤) جمع أصره : وهو
ما يطفئ للره على غيره من رحم أو قرابة أو معروف ومنه - يقال ما تطفنى
على فلان أصره ، أى ما تطفنى عليه عطف لمن قرابة أو منه ، وبينهم أصار
يرعونها : أى عهود ومواثيق ، وعطف مولاى على بغير أصره ونظر فى
أمرى بين باصرة

يُؤَيِّدُهُ عَهْدَهُ، وَيُؤَوِّضُ إِلَيْهِ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ، لِقِصَلِ قَسْبِهِ
وَكَرَمِ خِيَمِهِ^(١) وَشَرَفِ مَرْتَبَتِهِ وَعُلُوِّ مَنْصِبِهِ، مَعَ تَقَاهُ
وَعَفَافِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَحَزْمِهِ، مِنْ أَلَمِ أَمُونِ الْغَيْبِ، النَّاصِحِ
الْجَنِّبِ^(٢)، أَيْ الْمُطَرِّفِ^(٣) عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَنْصُورِ أَبِي عَامِرٍ
مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ - وَفَقَهُ اللَّهُ -، إِذْ كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَيَّدَهُ
اللَّهُ تَعَالَى - قَدْ ابْتَلَاهُ^(٤) وَأَخْتَبَرَهُ، وَلَطَرَ فِي شَأْنِهِ وَأَعْتَبَرَهُ
فَرَأَاهُ مُسَارِعًا فِي الْخَيْرَاتِ، سَابِقًا فِي الْحَلَبَاتِ^(٥)، مُسْتَوِيًّا
عَلَى النَّيَاطَاتِ، جَامِعًا لِلْمَأْثُرَاتِ، وَمَنْ كَانَ الْمَنْصُورُ أَبَاهُ
وَالْمُطَرِّفُ أَخَاهُ، فَلَا غَرْوَ^(٦) أَنْ يَبْلُغَ مِنْ سَبِيلِ الْبِرِّ مَدَاهُ،
وَيَحْوِيَ مِنْ خِلَالِ الْخَيْرِ مَا حَوَاهُ. مَعَ أَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
- أَيَّدَهُ اللَّهُ - بِمَاطَالَعِ مَنْ مَكْتُونِ الْعِلْمِ، وَوَعَاهُ مِنْ تَحْزُونِ

(١) طبعه وسجيته وأمله - أو هو الخلق وسعة الصدر وقال الشاعر :

ومن يتدع ما ليس من خيمٍ نفسه يدعه ويطلبه على النفس خيمها

(٢) يقال هو ناصح الجيب : أى القلب والصدر يثنى أمينهما قال عنزة :

لمرى لقد أعذرت لو تمترى يثنى وخشت صدرا جيبه لك ناصح

(٣) فى الأصل « المظفر » وهو تحريف ، وأبو المظفر كنية تطلب جدا

فيمى يسمى عبد الرحمن (٤) أى امتحنه وجربه (٥) الحلبات : ميادين

الحروب والسباق (٦) لا غرو : لا عجب

الْآثَرِ، يَرَى أَنْ يَكُونَ وَلِيَّ عَهْدِهِ الْقَحْطَانِيُّ الَّذِي حَدَّثَ
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَامِى وَأَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ
قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ»^(١).

(١) الحديث : رواه البخارى ومسلم ، وفى البخارى : حدثنا عبد العزيز
ابن عبد الله قال حدثنى سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبى النيث
عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : لا تقوم
الساعة حتى يقوم رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه اه ، وفى رواية
حتى يخرج رجل . وقوله « حتى يسوق الناس بعصاه » كناية عن ملكه
وغلبته على الناس واثباتهم له ، شبه بالراعى وشبه الناس بالغنم اشارة
الى قوة التصرف التى يملكه الراعى فى الغنم ، ولم يرد العاصم نفسها وان كان
قد يشار بذكرها الى قسوته عليهم وعنفهم بهم وأخذهم ايدهم بالشدة . وهذا
الحديث يدخل فى علامات النبوة من جملة ما خبر به النبى - صلى الله عليه وسلم -
قبل حدوثه ولم يقع بعد ، واستدل به بعض العلماء على أن الخلافة يجوز
أن تكون فى غير قریش ، وأجاب ابن العربى عن ذلك بأنه انما
يما سيكون من الشر فى آخر الزمان من نساء العامة على منازل الامارة
والاستقامة ، فليس فيه حجة لانه لا يدل على الدعوى ولا يارض ما ثبت
من أن الامة من قریش . وفى البخارى فى موضع آخر : حدثنا أبو الهيثم
أخبرنا شعيب عن الزهري قال كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه
بلغ معاوية وهو عنده « بالشام » فى وفد من قریش « عند ما يبيع بالخلافة
لإسلام له الحسن بن على فأرسل أهل المدينة اليه جماعة منهم ليبياموه »
أن عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان ،

فصب معاوية فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فإنه بلغني أن رجلا منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأولئك جهالكم فأياكم والاماني التي تفضل أهلها فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول ان هذا الامر في قريش لا يصاديهم أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين « اه . وقول سيدنا معاوية « فأولئك جهالكم » يريد الذين يتحدثون بأمور من حوادث القريب وشؤون المستقبل لا يستندون فيها الى الكتاب أو السنة ومناسبة قوله « فأياكم والاماني التي تفضل أهلها » أن ذكر ذلك تحذير لمن يسمع من القحطانيين من التسك بالخبر المذكور فتحذره نفسه أن يكون هو القحطاني ، وقد تكون له عصابة وعشيرة ذات قوة فيقطع في الملك مستندا الى هذا الحديث فيضل لخالفه الحكم الشرعي من أن الاثمة من قريش ، وقوله « لا يصاديهم الخ » أي لا ينازعهم أحد في أمر الخلافة ولا يبدى لهم صفحته مجاهرا بالخلاف والعداء الا كان مقهورا في الدنيا معذبا في الآخرة . وفي انكار سيدنا معاوية ذلك نظر فان الحديث الذي استدله مقيد باقامة الدين فيحتمل أن يكون خروج القحطاني اذا لم تقم قريش بأمر الدين وقد وجد ذلك فان الخلافة كانت في قريش والناس في طاعتهم حتى استخفوا بأمر الدين فضحف أمرهم وثلاثي الى أن لم يبق لهم من الخلافة سوى اسمها المجرد في بعض الاقطار دون أكثرها ، وأما أنكر معاوية على عبد الله بن عمرو لأنه حمل حديث عبد الله على ظاهره ، وقد يكون الترض منه أن قحطانيا يخرج في ناحية من النواحي لأن حكمه يشمل الاقطار كلها كما تقدم فلا يارض حديث معاوية ، على أنه يجوز أن يكون ملك ينظ على الناس من غير أن يكون خليفة ، ولأنه أراد أن يقطع طمع التازعين الى الامر من غير قريش خشية أن يظن أحد أن الخلافة تجوز في غيرهم فلما خطب بذلك دل على أن الامر عندهم كما قال اذ لم ينقل أن أحدا منهم أنكر عليه ، وان كان لا يلزم من



فَلَمَّا أَسْتَوَى ^(١) لَهُ الْإِخْتِيَارُ ، وَقَابَلَتْ عِنْدَهُ فِيهِ
الْآثَارُ ، وَلَمْ يَحِذْ عَنْهُ مَذْهَبًا ، وَلَا إِلَى غَيْرِهِ مَعْدَلًا ^(٢)
خَرَجَ إِلَيْهِ مِنْ تَذْيِيرِ الْأُمُورِ فِي حَيَاتِهِ ، وَقَوْضَ إِلَيْهِ
الْخِلَافَةَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، طَالِمًا رَاضِيًا مُتَّحِدًا ، وَأَمْضَى أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ هَذَا وَأَجَازُهُ ، وَأَنْجَزُهُ وَأَقْضَهُ ، وَلَمْ يَشْرِطْ فِيهِ

عسم انكارهم صحة انكار معاوية ما ذكره عبد الله بن عمرو فان في
حديثه ما يقوى ما انكره لقوله « ما أقاموا الدين » فهذا القيد للوقت يدل
على أنه ربما كان في قريش من لا يقيم الدين فينسلط القمطاني عليه .
وأخرج الطبراني من طريق قيس بن جابر الصدقي عن أبيه عن جده
رفعه : « سيكون من بعدى خلفاء ثم من بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء
ملوك ومن بعد الملوك جبابرة ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض
عدلاً كما ملئت جوراً ثم يؤمر القمطاني فوالذي بعثني بالحق ما هو دوني » اه .
وروى أحمد والطبراني من حديث ذى نجرم الحبشي مرفوعاً : كان للملك
قبل قريش في حمير وسيعود إليهم . اه . هذا خلاصة كل ما يتعلق بحديث
القمطاني من البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث ، ولنا في هذا
الموضوع رأى واليه عودة ان شاء الله . « وذو نجرم » كبير الحبشي
ويقال نجرم بالبلاء هو ابن أخي التجاشي ملك الحبشة صحابي خدم النبي
صلى الله عليه وسلم وله خمسة أحاديث وتزل الشام وحديثه عند المصنفين
« أحمد يوسف نجاشي » .

(١) أى استقام وتم (٢) للذهب : موضع الذهب والانصراف ، والمعدل :
محل الصول عن الشيء والأعراض عنه والابتعاد .

مَشْنُونَةٍ^(١) وَلَا خِيَارًا، وَأَعْطَى عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ
وَقَوْلِهِ وَقَوْلِهِ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَذِمَّةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ آبَائِهِ وَذِمَّةَ نَفْسِهِ
الْأَيَّدِلَ وَلَا يُمَيَّرُ وَلَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، وَأَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ
وَالْمَلَائِكَةَ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، وَأَشْهَدُ مَنْ أَوْفَقَ أَسْمُهُ فِي هَذَا
وَهُوَ جَائِزٌ^(٢) الْأَمْرَ، مَاضِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، بِحَضْرٍ مِنْ وَلِيِّ عَهْدِهِ
الْمَأْمُونِ أَبِي الْمُطَرِّفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَنْصُورِ وَفَقَّهُ اللَّهُ تَعَالَى -
وَقَبُولُهُ مَا قُلَّدَهُ، وَالزَّامِيَهُ نَفْسَهُ مَا أَلْزَمَهُ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ
رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِينَ، وَكَتَبَ الْأَوْزَارُ
وَالْقَضَاءُ وَسَائِرُ النَّاسِ شَهَادَاتِهِمْ بِحُطُوطِ أَيْدِيهِمْ، وَتَسَمَّى
بَعْدَهَا بُولَى الْعَهْدِ. وَتَقِمَ^(٣) عَلَيْهِ أَهْلُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ، فَكَانَ
فِيهِ حَقُّهُ^(٤) وَأَتَقَرَّاضُ دَوْلَتِهِ وَدَوْلَةِ قَوْمِهِ، وَكَانَ أَسْرَعُ

(١) يقال حلف فلان يمينا ليس فيها ثنيا ، ولا تنوى ولا تنوية ولا ثنية
أى استثناء . وحلقة غير ذات مشنونة أى غير محللة قال الناجية :

حلفت يمينا غير ذى مشنونة ولا علم الا حسن ظن بصاحب

(٢) أى نافذ: ماض (٣) تم عليه : أنكر عليه وكرم وعاب (٤) الخنف :
الهلاك واللوت ، وتذكرت عند ذلك قول الشاعر :

واذا استوت للتمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطيه

النَّاسِ كَرَاهَةً لِّذَلِكَ الْأَمْرَيْنِ وَالْقُرَشِيِّينَ^(١)، فَفَضُّوا بِأَمْرِهِ^(٢)
وَأَسَفُوا مِنْ تَحْوِيلِ الْأَمْرِ جُمْلَةً مِنَ الْمُضَرَّةِ إِلَى الْيَسَنَةِ ،
فَاجْتَمَعُوا لِشَأْنِهِمْ ، وَتَمَشَّتْ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ رِجَالُهُمْ
وَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ فِي غَيْبَةِ مِنَ الْمَذْكُورِ بِلَادِ الْجَلَالَةِ فِي
غَزَاةٍ مِنْ صَوَائِهِ ، وَوَبَّوْا بِصَاحِبِ الشَّرْطَةِ فَقَتَلُوهُ بِعَقْدِهِ
مِنْ بَابِ قَصْرِ الْخِلَافَةِ بِقَرْطَبَةِ سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِيَّةٍ
وَحَلَمُوا هِشَامًا الْمُؤَيَّدَ .



وَبَالِغُوا مُحَمَّدَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْجُبَّارِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ مِنْ أَعْقَابِ الْخُلَفَاءِ وَلَقَبُوهُ الْمَهْدِيَّ بِاللَّهِ ،

(١) كذا بالأصل ، والأولى أن يكون «الأمويون والقرشيون» بالرفع
اسمًا لكان وأسرع بالنصب خبرها مقدما (٢) مجاز من النصة «أى تألوا
واغتافلوا وحققوا - وغص بالطعام أو بالماء اذا شرب به أو وقفى حلقه
فلم يكده يسيئه - وأغصه بريقه : أضجروا وأطلقه

* ترجم له في كتاب الدروس التاريخية « ج ١ » للخضرى بما يأتى :
محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر ادریس التلقب بالمهدى .
برع من أهل الدولة عقب خلق هشام للزويد ، وعلى يده قتل عبدالرحمن
الحاجب حين رجع من غزواته ، وولاية للهدى أثارت ثائرة عصية جديدة

وَطَارَ النَّخْبُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَاجِبِ بْنِ الْمَنْصُورِ بِمَكَانِهِ
مِنَ الثُّغْرِ فَاقْتَضَى جَمْعُهُ ، وَظَلَّ إِلَى الْحَضْرَةِ مُدًّا بِمَكَانِهِ ،
زَعِيمًا بِنَفْسِهِ ، حَتَّى إِذَا قَرُبَ مِنَ الْحَضْرَةِ تَسَلَّلَ ^(١) عَنْهُ النَّاسُ
مِنَ الْجُنْدِ وَوُجُوهِ الْبَرَبِ وَلَحِقُوا بِقَرْطَبَةَ

وَبَايَعُوا الْمَهْدِيَّ الْقَائِمَ بِالْأَمْرِ وَأَغْرَوْهُ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَاجِبِ
لِكَوْنِهِ مَا جِئُوا مُسْتَهْتَرًا ^(٢) غَيْرَ صَالِحٍ لِلْأَمْرِ ، فَأَعْرَضَهُ مِنْهُمْ
مَنْ قَبِضَ عَلَيْهِ وَأَحْتَرَّ رَأْسَهُ وَحَمَلَهُ إِلَى الْمَهْدِيِّ وَإِلَى
الْجُمَاعَةِ ، وَذَهَبَتْ دَوْلَةُ الْعَامِرِيِّينَ كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ
الْأُمُورِ ، وَفِي الْمَهْدِيِّ يَقُولُ بَعْضُهُمْ :

قتل عبدالرحمن
الحاجب

فإن البرابرة الذين جندهم المنصور الحاجب قمع عليهم للهدى وأهل الدولة
فلما رأوا ذلك أسروا الخروج على الهدى ومبايعة هشام بن سليمان بن
الناصر فظهر أمرهم وأخذ هشام هذا فقتل وطرد البربر خارج قرطبة
ولحق بهم سليمان بن الحكم فاتفقوا على خلع الهدى ومبايعة ولقبوه
بالمستعين بالله .

(١) هر بواني خفية بعضهم وراء بعض (٢) المستهتر بالثبوت : الولع به
لا يتحدث بغيره لا يبالي بما يقال فيه لأجله ، والذي كثرت أباطيله - وفي
حديث ابن عمر « اللهم اني أعوذ بك أن أكون من المستهترين » - وقد
استهتر بكنا « بالبناء للمفعول » اذا قنع به وذهب عقله فيه وانصرفت
همه اليه حتى أكثر القول فيه بالباطل

قَدْ قَامَ مَهْدِيْنَا وَلَكِنْ بِمِلَّةِ الْفَسَقِ وَالْمُجُونِ^(١)
وَشَارَكَ النَّاسَ فِي حَرِيمِ لَوْلَاهُ مَا زَالَ بِالْمُصُونِ
مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِ ذَا أَجْمَا^(٢) فَالْيَوْمَ قَدْ صَارَ ذَا قُرُونِ

(١) المجون صلابة الوجه وقلة الحياء ، من مجن الشيء مجونا اذا صلب
وغلف ، واللجن من لا يبالي ما قيل له ولا ملصع كانه لقله استحيائه صلب
الوجه - والمجون بهذا المعنى كلمة مولدة دخيلة لاتعرفها العرب وانما تعرف
اصلها للتقدم ، وقيل لللجن عند العرب هو الذي يرتكب للقايح الردية
والفواحش المخزية ولا يعضه غزل عاذله ولا تقريع من يقرعه (٢) الأجم
الكباش بغير قرن « ومنه في البقر الأجلح » والحلاق « قرنان » وذى
القرون على من لا يئثر على عرضه وحرمة عامى مولد كائهم جعلوه حيوانا
لا يئثر على أهله ، وقال ابن طبلطبا فى على بن رستم وقد هدم شيئا من
من سور أصبهان « الذى بناه ذو القرنين قديما » ليزيد فى داره :

وقد كان ذو القرنين يبنى مدينة فإ بال ذى القرنين يهدم سورها
على أنه لوحل فى محن داره بقرن له سيناء هدم طورها
وقال ابن نباتة :

صليت محاسنك للترال صفاته حتى تحير كل ظبي فيكا
لك جيد ولحظه وظلمه وكنا نظير قروته لا ييكا
وقال بعض المحدثين :

قالت لجارتها يوما نصيرها قرنت زوجك والقرين يفضحه
قالت آتركه زوجا بلا قرن يحى زوجك ذو القرنين ينطحه



وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْبَرِّ وَرِثَاةَ لِحِقُوا بِالْمَهْدِيِّ لِمَا رَأَوْا
 مِنَ سُوءِ تَذْيِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَاجِبِ وَانْتِقَاضِ أَمْرِهِ ،
 وَكَانَتْ الْأُمُويَّةُ تَعْتَدُ عَلَيْهِمْ مَا كَانَ مِنْ مَظَاهِرِهِمْ
 الْعَامِرِينَ ، وَتَنْسُبُ تَغْلِبَ الْمَنْصُورِيِّينَ^(١) عَلَى الدَّوْلَةِ إِلَيْهِمْ
 فَسَخَطَتْهُمْ الْقُلُوبُ ، وَخَزَرَهُمْ^(٢) الْعِيُونُ ، وَلَوْلَا مَا لَهُمْ مِنْ
 الْمَصِيَّةِ لَأَسْتَأْصَلَهُمْ^(٣) ، وَلَمَطَتْ أَلْسِنَةُ الدَّهْمَاءِ^(٤) مِنْ
 أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِكَرَاهَتِهِمْ ، وَأَمَرَ الْمَهْدِيُّ الْأَبْرَ كَبُورًا
 وَلَا يَتَسَلَّحُوا ، وَرَدَّ بَعْضَ رُؤَسَائِهِمْ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ مِنْ
 بَابِ الْقَصْرِ ، فَأَتَمَّتْ الْعَامَّةُ دُورَهُمْ ، وَشَكَا بَعْضُهُمْ إِلَى
 الْمَهْدِيِّ مَا أَصَابَهُمْ ، فَأَعْتَدُوا لَهُمْ وَقَتْلَ مَنْ أَتَاهُمْ مِنَ الْعَامَةِ فِي

الإجماع برؤساء
 البربر وريثاثة

(١) في الأصل « وغيره » وهو تحريف (٢) خزره خزر الذا نظر اليه بلحاظ
 السين يفعل الرجل ذلك كبروا واستخفوا بالنظر اليه وسخطا عليه وغيظا منه
 (٣) الدهماء العامة والمدالكثير وجماعة الناس وكثرتهم ، أو السواد الأعظم
 من الناس - والحظ الصوت والجلبة أو أصوات مبهمة لا تفهم - وفي الأصل
 فطقت أي فطقت وصرحت .

أَمْرِهِمْ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُظْهِرٌ لِبَعْضِهِمْ ، مُجَاهِدٌ بِسُوءِ الثَّنَاءِ^(١)
 عَلَيْهِمْ ، وَبَلَّغَهُمْ أَنَّهُ يُرِيدُ الْفَتْكَ بِهِمْ ، فَتَمَشَّتْ رِجَالُهُمْ
 وَأَسْرَوْا نَجْوَاهُمْ^(٢) ، وَاشْتَرَوْا فِي تَقْدِيمِ هِشَامِ بْنِ سُلَيْمَانَ
 ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ ، وَقَفَا فِي اخْتِلَاصَةِ حَدِيثِهِمْ ،
 فَمُوجِلُوا عَنْ مَرَامِهِمْ ذَلِكَ ، وَاغْرَى بِهِمُ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ ،
 فَتَارَوْا بِهِمْ وَأَزْعَجُوهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَقَبِضَ عَلَى هِشَامِ بْنِ
 سُلَيْمَانَ ، وَأَخِيهِ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَخْضَرَا بَيْنَ يَدَيِ الْعَهْدِيِّ
 فَضْرَبَ أَغْنَاقَهُمَا .

(١) الثناء وصف بالمدح أو بضم قال الليث : الثناء تسمدك لتثنى على انسان
 يحسن أو قبيح ، أو خاص بالمدح وهو الثالب للمستعمل ، وإن كان عموم
 الثناء في الخير والشر هو الذي جزم به كثيرون واستدلوا بالحديث : « من
 أنثتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أنثتم عليه شرا وجبت له النار »
 ومثله : ثبوت له خيرا أو شرا إذا وجهته اليه ، وكذلك الثناء ما أخبرته به
 عن الرجل من حسن أو قبيح ، قال :

فاضل كامل جميل تناء أريحي مهذب منصور

وقال جميل :

ألوب الحذر واضحة الهيا ألوب دلها حسن تهاها

(٢) النجوى : السر ، وتناجاه : ساره

(٢ - فتح الطيب - رابع)



سليمان بن الحكم وَلَعَنَ سُلَيْمَانُ^(١) ابْنُ أَخِيهِمَا الْحَكَمَ * يَجْنُودُ الْبَرَبِرَ ،
وَقَدْ اجْتَمَعُوا بِظَاهِرِ قُرْطُبَةَ وَتَوَامَرُوا^(٢) ، فَبَايَعُوهُ وَلَقَّبُوهُ
الْمُسْتَعِينَ بِاللَّهِ ، وَهَضُّوا بِهِ إِلَى مَقَرِّ طُلَيْطَلَةَ فَاسْتَجَبَاشَ^(٣)
بِابْنِ أَذْفُونَسَ ، ثُمَّ نَهَضَ فِي مُجُوعِ الْبَرَابِرَةِ وَالنُّصْرَانِيَّةِ
إِلَى قُرْطُبَةَ ، وَبَرَزَ إِلَيْهِ الْمَهْدِيُّ فِي كَافَّةِ أَهْلِ الْبَلَدِ ، وَخَاصَّةً

(١) هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر عبد الرحمن
* ترجم له في كتاب الفروس التاريخية للخضري «ج ١ ص ١٠٥»
سليمان بن عبد الحكم اللقب بالمستعين بالله

بعد خلع هشام اتفق البربر على مبايعة سليمان بن الحكم ولقبوه
بالمستعين بالله ولدوه رأيهم استجاشوا بملك قشتالة الفونس الخامس
فأمدهم بجند كثيف وذهب معهم الى قرطبة فخلعوا للهدى وقتلوا من
جنده نحو عشرين ألفا وملك المستعين قرطبة ورجع الفونس الى مقر
ملكه ففرج للهدى اليه مستنجبا به فأجده وهنا هو كل مايتمناه من
وقوع الخلاف بين هؤلاء البله الذين لا يريدون الا مصالح أنفسهم فجاء
للهدى والفونس الى قرطبة وطار بالمستعين بالله حتى استولى للهدى ثانية على
قرطبة وخرج للمستعين والبربر يمشون في الأرض فسادا فقتلهم للهدى
والفونس فكر عليهم للمستعين وقاتلهم قتالا شديدا حتى هزمهم
(٢) توامروا وتآمروا : تنابروا .

(٣) استجاشه : طلب منه جيشا واستغاثه واستنصره

الْقَوْلَ ، فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَيْهِمْ ، وَأَسْتُلِمَ مِنْهُمْ مَا يَزِيدُ
عَلَى عِشْرِينَ أَلْفًا ، وَهَلَكَ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ وَأَئِمَّةِ الْمَسَاجِدِ
وَسَدَّتْهَا وَمُؤَذِّنُهَا عَالَمٌ ، وَدَخَلَ الْمُسْتَعِينُ قُرْطُبَةَ خِتَامِ
الْيَأْتِ الرَّابِعَةِ ، وَلَحِقَ الْمَهْدِيُّ بِطَلِيطَةَ ، وَأَسْتَجَاشَ بِابْنِ
أَذْقُوْنِ ثَانِيَةٍ فَهَضَمَهُ إِلَى قُرْطُبَةَ وَهَرَمَ الْمُسْتَعِينُ وَالْبَرَابِرَةُ
بِعَقَبَةِ الْبَقَرِ ^(١) مِنْ ظَاهِرِ قُرْطُبَةَ ^(٢) وَدَخَلَ قُرْطُبَةَ أَغْنَى الْمَهْدِيُّ

(١) موضع بقرب قرطبة على نحو بضعة عشر ميلا منها (٢) قتل في هذه
الواقعة كثير من ممن خرجوا مع سليمان للستين من أكابر الفقهاء والقراء
والعلماء ولاسيما من أهل قرطبة. فمن استشهد منهم أبو محمد عبد الله بن
عبد العزيز القرطبي قاضي البيرة ، وأبو عمر أحمد بن بربل أحد القراء
المجودين والحفاظ الفضلاء ، ومنهم أبو الربيع سليمان بن هشام بن وليد بن
كليب القرطبي المعروف بابن التنازع كان في عصره أحفظ الناس وأعرفهم
بالقراءات وأكثرهم ملازمة للقراء ليلا ونهارا وأطيبهم بالذكر الحكيم
صوتا وأعذبهم ترتيلا وتلاوة ، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن قند القوي
كان من أهل البراعة والمعرفة والنفاذ في الفقه والحديث متفنا في ضروب
العلم ضليعا بلم التريب وحفظ اللغة وكان من أصحاب الستين ومن رفع
ذكره وقرب مجله - ومنهم أبو عبد الله محمد بن عيسى المعروف بابن
البريل من أهل تطيلة وقاضيا وقد ألى مصر سنة ٣٨١ وأخذ عن علمائها
وكان موصوفا بالعلم والصلاح واللغة والشجاعة والجهاد بشرة وخرج مع
محمد المهدي بن هشام لتصرته فقتل في صدر شوال سنة ٤٠٠ - رحمه الله
« أحمد يوسف نجاتي »

وَمَلَكُمَا، وَخَرَجَ الْمُسْتَعِينُ مَعَ الْبَرْبَرِ وَفَرَّقُوا فِي الْبَسَائِطِ
يَنْهَبُونَ وَلَا يُثِقُونَ عَلَى أَحَدٍ ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ
الْخَضْرَاءِ ، فَخَرَجَ الْمَهْدِيُّ وَمَعَهُ ابْنُ أَذْفُونَشَ لِإِتْبَاعِهِمْ
فَكَرُّوا عَلَيْهِمْ ، فَانْهَزَمَ الْمَهْدِيُّ وَابْنُ أَذْفُونَشَ وَمَنْ
مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى ، وَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْتَعِينُ إِلَى قُرْطَبَةَ



فَأَخْرَجَ الْمَهْدِيُّ هِشَامًا الْمُؤَيَّدَ لِلنَّاسِ وَبَايَعَ لَهُ وَقَامَ بِأَمْرِ
حِجَابَتِهِ ظَنَامَتُهُ أَنَّ ذَلِكَ يَنْفَعُهُ وَهَيْهَاتَ ، وَحَاصَرَهُمُ الْمُسْتَعِينُ
وَالْبَرْبَرُ فَخَشِيَ أَهْلُ قُرْطَبَةَ مِنْ اقْتِحَامِهِمْ عَلَيْهِمْ فَأَغَرُوا
أَهْلَ الْقَصْرِ وَحَاشِيَةَ الْمُؤَيَّدِ بِالْمَهْدِيِّ ، وَأَنَّ الْفِتْنَةَ إِنَّمَا
جَاءَتْ مِنْ قَبْلِهِ ، وَتَوَلَّى كِبَرُ ذَلِكَ ^(١) وَاضِحُ الْعَامِرِيِّ ، فَقَتَلُوا
الْمَهْدِيَّ ^(٢) وَأَجْتَمَعَ الْكَافَّةُ عَلَى الْمُؤَيَّدِ

بِئْسَ هَئِمًا
وَقَتْلُ الْمَهْدِيِّ

(١) الكبير: الامم ومعظم الشيء، وبه فسر قوله تعالى: «والذي تولى
كبره منهم له عذاب عظيم» يعني «معظم الافلاك» وقال قيس بن الخطيم:
تسام عن كبر شأنها فاذا قامت رويدا تكاد تنفرك

(٢) قتل يوم من سنة ٤٠٠ وواضح العامري هو واضح الصقلي. وأم المهدي
أم ولد اسمها مزنة وكان له ولد اسمه عبد الله انقرض فلم يكن للمهدي
عقب، وكان مولده سنة ٣٦٦ وكان الحكم في دولة للؤيد هذه عليه



وَقَامَ وَاصِحٌ بِحِجَابِهِ وَأَسْتَمَرَ الْحَصَارُ وَلَمْ يُنْعَنْ عَنْ أَهْلِ
قَرْطَبَةَ مَا فَعَلُوهُ شَيْئًا إِلَى أَنْ هَلَكَتْ الْقُرَى وَالْبَسَائِطُ بِقَرْطَبَةَ
وَعُدِمَتِ الرِّافِقُ وَجَهَدَهُمُ الْحَصَارُ، وَبَعَثَ الْمُسْتَعِينُ إِلَى أَهْلِ
أَذْقُونَشَ يَسْتَعْدِيهِمْ لِمُظَاهَرَتِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ هِشَامَ وَحَاجِبَهُ
وَاصِحٌ يَكْفُونَهُمْ عَنْ ذَلِكَ بِأَنْ يَنْزِلُوا لَهُمْ عَنْ ثُغُورِ
قَشْتَالَةَ الَّتِي كَانَ الْمَنْصُورُ أَقْتَصَحَهَا، فَسَكَنَ عَنْ مُظَاهَرَتِهِمْ
عَزَمَ أَذْقُونَشَ، وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ حَتَّى دَخَلَ الْمُسْتَعِينُ قَرْطَبَةَ
وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْبَرْبَرِ عَنُودَ سَنَةٍ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَقَتَلَ

وفي سنة ٤٠١ بلغ اللؤيد أن واضحا كتب الى سليمان للستعين يعرفه
أنه يريد الانتقال عن قرطبة سرا ويشير عليه بمنازلته بعد مسيره عنها
فقبض عليه وقتله وفك بكل من يعيل الى سليمان . ثم ان البربر وسليمان
لازموا الحصار والقتال لاهل قرطبة وضيقوا عليهم حتى اشتد الخطب فيها
وفي مدة هذا الحصار ظهر بطليحلة عبيد الله بن محمد بن عبد الجبار وابيه
أهلها فسير اليهم اللؤيد جيشا فحصرهم فعادوا الى الطاعة وأخذ عبيد الله
أسيرا وقتل في شعبان سنة ٤٠١ - ثم ملك سليمان قرطبة وقلة ورجع الى
اتخذها البربر دارا وأخرج اللؤيد من القصر وحمل الى سليمان ودخل
سليمان قرطبة في منتصف شوال سنة ٤٠٣ وروج له وخرج اليه اهل قرطبة
يسلمون عليه فأنشد متمثلا :

إذا ما رأوني ظالما من فنية يقولون من هذا وقد عرفوني ؟
يقولون لي أهلا وسهلا ومرحبا ولو غفروا بي ساعة قتلوني

هَشَامٌ سِرًّا، وَلَجِقَ يُّوْتَاتِ قُرْطَبَةَ مَعْرَةً^(١) فِي نِسَائِهِمْ
وَأَبْنَائِهِمْ، وَظَنَّ الْمُسْتَعِينُ أَنَّ قَدْ اسْتَحْكَمَ أَمْرُهُ

وَتَوَثَّيْتُ الْبَرَابِرَةَ وَالْمَيْدُ عَلَى الْأَعْمَالِ قَوْلُوا الْمُدْنَ
الْعَظِيمَةَ، وَتَقَلَّدُوا الْبِلَادَ الْوَاسِعَةَ مِثْلُ بَادِيسَ بْنِ حَبُوسَ فِي
غَرْنَاطَةَ، وَالْبَرْزَالِي فِي قَرْمُونَةَ، وَالْيَقْرَنِي فِي رُنْدَةَ، وَخَزْرُونُ
فِي شَرِيشَ، وَاقْتَرَقَ شَمْلُ الْجَمَاعَةِ بِالْأَنْدَلُسِ، وَصَارَ الْمَلِكُ
طَوَائِفَ فِي آخَرِينَ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ مِثْلُ ابْنِ عَبَّادٍ بِإِشْبِيلِيَّةَ،
وَأَبْنِ الْأَفْطَسِ بِبَطْلَيْوَسَ، وَأَبْنِ ذِي الثَّنُونِ بِبَطْلَيْطَلَةَ،
وَأَبْنِ أَبِي عَامِرٍ بِبِلَنْسِيَّةَ، وَأَبْنِ هُوْدٍ بِسَرْقُسْطَةَ، وَنُجَاهِدِ
الْعَامِرِيُّ بِدَانِيَّةَ وَالْجَزَائِرَ.

قَالَ ابْنُ خَلْدُونُ^(٢): وَكَانَ مَا ثَلَا لِبَنِي هَمُودٍ يَهْجُو
سُلَيْمَانَ الْمُسْتَعِينَ.

لَا رَحِمَ اللَّهُ سُلَيْمَانَكُمْ فَإِنَّهُ ضِدُّ سُلَيْمَانَ

(١) للمرة : الأمر القبيح الشديد والسبة والاهانة والأذى (٢) من
وزراء بني عباد وهناك أيضا الأديب ذواتون بن خلدون من هذا العصر

استيلاء البرابرة
واليد على
الأعمال

مجاويز خلدون
لسليمان المستعين

ذَلِكَ بِهِ غُلَّتْ^(١) شَيَاطِينُهَا وَحَصَلَ هَذَا كُلُّ شَيْطَانٍ
فَبَاسِهِ سَاحَتْ عَلَى أَرْضِنَا لِهْلِكِ سُكَّانِ وَأَوْطَانِ

« وَكَانَ مِنْ أَكْثَرِ الْأَسْبَابِ » فِي فَسَادِ دَوْلَةِ الْمُتَمِيمِينَ
أَنَّهُ قَالَ هَذِهِ الْأَيَّاتُ مُسْتَرِيحًا بِهَا إِلَى خَوَاصِهِ ، وَهِيَ
قَوْلُهُ :

حَلَفْتُ بِمَنْ صَلَّى وَصَامَ وَكَبَّرَا
لَأُغْنِيَهُمَا فِيمَنْ طَعَى وَتَجَبَّرَا
وَأَبْصَرَ دِينَ اللَّهِ تَحِيًّا رُسُومَهُ^(٢)
فَبَدَّلَ مَا قَدْ كَانَ مِنْهُ وَغَيْرَا
فَوَاعَجَبًا مِنْ عَبَسَنِي^(٣) مُمْلِكٍ
بِرَغْمِ الْمَوَالِي وَالْمَعَالِي تَبَرَّرَا
فَلَوْ أَنَّ أَمْرِي بِالْخِيَارِ تَبَدَّلَتْهُمْ
وَحَا كَثَمَتْهُمْ السَّيْفُ حُكْمًا مُعَرَّرَا^(٤)

(١) غلت: قيتت و سلسلت (٢) أى أحكامه، من رسمه كفا إذا أمره به
فارتسم أى امثل (٣) نسبة إلى عبد شمس جد بنى أمية (٤) من حرر التتبي
إذا قومه وخلصه و ضبطه

فَإِذَا حَيَاةٌ تُسْتَلَذُّ فَيَقْدِمُ

وَأَمَّا حِمَامٌ لَا تَرَى فِيهِ مَازَرًا^(١)

وَقَدْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ الْمُرْتَضَى الْمُرَوِّانِيُّ فَقَالَ :

قَدْ بَلَغَ الْبَرَبُ فِينَا بِنَا مَا أَفْسَدَ الْأَحْوَالُ وَالنُّظُمَا

كَالسَّهْمِ لِلطَّائِرِ لَوْلَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الرِّيشِ لَمَّا أَصَمَى^(٢)

فُؤِمُوا بِنَا فِي شَأْنِهِمْ قَوْمَةٌ تُزِيلُ عَنَّا الْعَارَ وَالرَّغْمَا^(٣)

إِمَّا بِهَا تَمْلِكُ أَوْ لَا تَرَى مَا يَرْجِعُ الْطَّرْفُ بِهِ أَعْمَى^(٤)

(١) أى ضغفأ، أو أنما و عارا (٢) أصمى : أصاب وقتل ، وأصمى الصيد اذا رماه فقتله مكانه ، وأصمت القوس الرمية. أنفذتها : وراش السهم اذا لزق عليه الريش وركبه عليه ومنه يقال : راش فلانا اذا قواه وأعانه على معاشه وأصلح حاله ونفعه كما يقوى الريش السهم ويحمله قاصدا صائبا ومريبا مستقيما وقال الشاعر :

ما تقوى عن ضعيف غنى لابد للسهم من الريش

يريد للضعيف أنهم هم الذين قوا البربر وأرادوا أن يكونوا در وناحسنة على أعدائهم فكانوا هم الأعداء، ونبأهم (٣) الرغم : الكره والقيل (٤) أى رؤية مبتألم منه نفوسهم وتقضى به عيونهم بما يكرهون ويرغمون عليه . هذا وقد كان سليمان للضعيف أديبا شاعرا بليغا ، ولكن أريق في أيامه دماء كثيرة ، وكان البربر هم الحاكمين في دولته لا يقدر على خلافهم لأنهم كانوا عامة جنده وهم الذين قاموا معه حتى ملكوه .



وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ حَمُودٍ * الْحُسَيْنِيُّ وَأَخُوهُ قَاسِمٌ ^(١) مِنْ دَوْلَةِ بَنِي حَمُودِ
العلويين

* ترجم له في كتاب الدروس التاريخية للحضري « ج ١ ص ١٠٦ »
بما يأتي :

علي بن حمود الحسني لللقب بالناصر. كانت قرطبة قاعدة البلاد الكبرى وكانت مشهدة لقطائع متتالية فإن الأمويين ضفوا واستكانوا وكان إذ ذاك بسبب رجل من العلويين مالكا لها اسمه علي بن حمود الحسني ولما رأى ضعف بني أمية عبر البحر إلى الأندلس وسار إلى قرطبة فبايعه أهلها على طاعة هشام المؤيد إن ظهر خبره فأقام على ذلك مدة ، ولما لم يجدوا له أثرا دعا علي بن حمود الناس إلى بيعته فبايعوه ولقبوه بالناصر. وهو أول الدولة العلوية بالأندلس وكانت هذه الدولة أشبه بحلم النائم فانها لم تمكث كثيرا حتى لم يبق لها أثر وأخذت بين أيديها الدولة الأموية فلم يبق بالأندلس أمر خلافة منتظم وتفرقت البلاد ووجد فيها ما يسميه التاريخ « ملوك الطوائف » .

(١) علي والقاسم ابنا حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله ابن عمر بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، من أعقاب بني ادريس الذين كان لهم دولة بالمغرب الأقصى من نحو سنة ١٧٠ حتى كان آخرهم الحسن بن القاسم بن محمد ابن القاسم بن ادريس الذي قتل بأمر للنصور بن أبي عامر سنة ٣٧٥ وبقتله ركبت ربح العلويين بالمغرب وتفرق جمعهم وانقرضت دولتهم وتفرقت الإدارة في قبائل المغرب ولاذوا بالاختفاء إلى أن خلصوا شارة ذلك النسب الشريف واستعالت صبتهم منه إلى البداوة واستمرت الحال على ذلك إلى أن أشرفت دولة بني أمية بالأندلس على الانقراض وكان

عَبَّ إِدْرِيسَ مَلِكِ فَارِسَ وَبَانِيهَا قَدْ أَجَازُوا مَعَ الْبَرْبَرِ مِنْ
الْعُدُوَّةِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَدَعَوْا لِأَقْسَمِهِمْ وَأَعَصَوْصَبَ^(١) عَلَيْهِمْ
الْبَرْبَرُ، فَمَلَكَوْا قُرْطُبَةَ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَقَتَلُوا
الْمُسْتَعِينَ، وَخَوَّأُوا مَلِكَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَاتَّصَلَ ذَلِكَ فِي خَلْفٍ
مِنْهُمْ سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ رَجَعَ الْمَلِكُ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ ،

وَكَانَ الْمُسْتَعِينَ الْمَذْكُورُ أَدِيبًا يَلِيغًا. وَمِنْ شِعْرِهِ يُعَارِضُ^{معارضة المستعين}
هَارُونَ الرَّشِيدَ فِي قَوْلِهِ * مَلَكَ الثَّلَاثُ إِلَّا نِسَاتُ عِنَانِي^{هَارون الرشيد} *
الْأَيَّاتُ قَوْلُهُ :

بِالْأَنْدَلُسِ هَذَانِ الرَّجُلَانِ عَلَى وَالْقَاسِمِ ابْنَا حَمُودٍ مِنْ آلِ إِدْرِيسٍ دَخَلَا
فِي جَمَلَةِ الْبَرْبَرِ الَّذِينَ كَانُوا هُنَاكَ وَكَانَا مِنْ جَمَلَةِ جُنْدِ سُلَيْمَانَ لِلْمُسْتَعِينَ .
فَطَارَ لَهَا ذِكْرُ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْأَقْدَامِ فَقَوَّاهَا عَلَى الْقَارِيَةِ وَوَلَّى عَلَيْهَا سَبْتَةَ
وَطَنْجَةَ وَهُوَ أَمْرُهُمَا وَلَى الْقَاسِمُ الْجَزِيرَةَ الْخَضْرَاءَ، ثُمَّ تَرَفَّتْ بَيْهَمَا الْأَحْوَالُ
إِلَى أَنْ كَانَتْ لَهَا خِلَافَةُ بِالْأَنْدَلُسِ وَرَتَوْهُمَا يَدِ الْأُمَوِيِّينَ فِي خَيْرِ طَوِيلٍ
« أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَحَاتِي » (١) أَصْوَصَ الْقَوْمَ إِذَا اجْتَمَعُوا وَصَارُوا عَصَابَةَ
(٢) الَّتِي أَرَاهُ أَنَّ هَذَا الْإِيَّاتَ لِلنَّسُوبَةِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ
إِنَّمَا قَالَهَا عَلَى لِسَانِ حَالِهِ الْمُبَاسِرِينَ الْأَخْنَفَ الشَّاعِرَ النَّزَلِيَّ لِلشُّهُورِ ، وَهِيَ :

مَلِكُ الثَّلَاثِ إِلَّا نِسَاتُ عِنَانِي وَتَزَلْنَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَسْكَانٍ
مَالِي تَطَاوَعَنِي الْبَرِّيَّةُ كُلُّهَا وَأَطِيعُهُنَّ وَهْنُ فِي عَصِيَانِي
مِلَاذُكَ إِلَّا أَنْ سُلْطَانُ الْهَوَى سَوْبَعُومٍ مِنْ جَاغِرٍ مِنْ سُلْطَانِي

عَجَبًا يَهَابُ أَلَيْتُ حَدَّ سِنَانِي
وَأَهَابُ لَحَظَ فَوَاتِرِ الْأَجْفَانِ^(١)
وَأَقَارِعُ الْأَهْوَالِ^(٢) لَا مَتَّيًّا
مِنْهَا سِوَى الْإِعْرَاضِ وَالْهَجْرَانِ
وَتَمَلَّكَتْ نَفْسِي ثَلَاثُ كَالِدِي^(٣)
زُهْرُ الْوُجُوهِ نَوَاعِمُ الْأَبْدَانِ
كَكَوَاكِبِ الظُّلُمَاءِ لُحْنُ لِنَاطِرِي
مِنْ فَوْقِ أَغْصَانٍ عَلَى كُثْبَانِ
حَاكَمْتُ فِيهِنَّ السُّلُوكُ إِلَى الْهَوَى
فَقَضَى بِسُلْطَانٍ عَلَى سُلْطَانِي
هَذِي الْهَلَالُوتُكَ بِنْتُ الْمُشْتَرَى
حُسْنًا وَهَذِي أُخْتُ غُصْنِ الْبَانِ

(١) فواتر الاجفان : ناعسات الأطراف فيها فتور وضعف مستحسن
« قابل بين حدة سنانه وفتور أجفانه » (٢) أقارع الأهوال : أغلب
التحامد وأجلهد الخطوب (٣) التي جمع : دمية : وهي الصورة من
البج ونحوه .

فَأَبْجَنَ مِنْ قَلْبِي الْحَيَى وَرَكَنَتِي
 فِي عِزِّ مُلْكِي كَالْأَسِيرِ الْعَانِي
 لَا تَعْدِلُوا مِلْكَاتًا تَذَلُّ فِي الْهَوَى
 ذَلِكَ الْهَوَى عِزٌّ وَمُلْكٌ تَانٍ
 مَا ضَرَّ أَتَى عَبْدُهُنَّ صَبَابَةً
 وَبَنُو الزَّمَانِ وَهْنٌ مِنْ عُبْدَانِي
 إِنْ لَمْ أَطِيعْ فِيهِمْ سُلْطَانَ الْهَوَى
 كَلَفًا بِهِمْ فَلَسْتُ مِنْ مَرَوَانٍ

ابن حمود الحسني «وَوَلِيَّ» الْأَمْرَ بَعْدَهُ إِنْ حَمُودَ الْحَسَنِيِّ (١) تَلَقَّبَ

(١) لما دخل البربر قرطبة مع سليمان وافترق العبيد ملكوا مدنا عظيمة
 وتحصنوا بها فراسلهم علي بن حمود من المغرب وقد حدث له طمع في
 ولاية الأندلس وكتب اليهم يذكر لهم أن هشام بن الحكم اذ كان محاصرا
 بقرطبة كتب اليه يوليه عهده فاستجابوا له وبايعوه فزحف من سبتة
 الى مالقة وفيها عامر بن فتوح الفاتحي مولى فاتح مولى الحكم المستنصر
 فطاع له ودخل مالقة وتملكها وأخرج عنها عامر بن فتوح ثم زحف مع
 خيران الغني وجماعة العبيد الى قرطبة فخرج اليه محمد بن سليمان في
 عساكر البربر فانهمز محمد بن سليمان ودخل علي بن حمود قرطبة وقتل
 سليمان بن الحكم صبرا ضرب عنقه بيده في المحرم سنة ٤٠٧

بِالنَّاصِرِ وَخَرَجَ عَلَيْهِ الْقَيْدُ وَبَعْضُ الْمَعَارِبَةِ ، وَبَايَعُوا
الْمُرْتَضَى ^(١) أَخَا الْمُهَدِّي ، ثُمَّ اغْتِيلَ ^(٢) الْمُرْتَضَى ، وَاسْتَقَامَ
الْمَلِكُ عَلِيُّ بْنُ حَمُودٍ نَحْوَ عَامَيْنِ إِلَى أَنْ قَتَلَتْهُ صَقَالِبَتُهُ
بِالْحِمَامِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ



القاسم بن حود
اللقب بالمأمون

فَوُلِّيَ مَكَانَهُ أَخُوهُ الْقَاسِمُ بْنُ حَمُودٍ وَتَلَقَّبَ بِالْمَأْمُونِ
وَنَازَعَهُ الْأَمْرَ بَعْدَ أَرْبَعِ سِنِينَ مِنْ خِلَافَتِهِ يَحْيَى ابْنُ أَخِيهِ
«عَلِيُّ بْنُ حَمُودٍ» وَكَانَ عَلَى سَبْتَةِ فَأَجَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ عَشْرِ

(١) لما بويع علي بن حمود أظهر له الفتى خيران العامري الخلاف بعد أن كان
يؤيد مود ذلك لأسباب منها أن خيران كان طالما أن يجد للوئيداني كان يعيل
إلى دولته ويرغب فيها فلما لم يجده تغير ، ومنها أنه نقل إليه أن علي بن
حمود يريد قتله فخرج عن قرطبة وأظهر الخلاف عليه وأرسل يسأل عن
بنى أمية فدل على عبدالرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبدالرحمن الناصر
وكان قد خرج من قرطبة مستخفيا ونزل بمدينة جيان وكان أصلع من
بقى من بنى أمية فبايعه خيران وغيره ولقبوه بالمرتضى - وبعد حوادث
قتل المرتضى وعمره أربعون سنة وهو أصغر من أخيه هشام وسار أخوه
هشام إلى البونن وأقام بها إلى أن خطوب بالخلافه « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) اغتيل : قتل على غرة .

وَأَحْتَلَّ بِمَالَقَةَ وَكَانَ أَخُوهُ إِدْرِيسُ « بَنُ عَلِيٍّ بْنِ حَمُودٍ »
 بِهَا مِنْذُ عَهْدٍ أَيْبَهَا قَبْعَتُهُ إِلَى سَبْتَةٍ ، ثُمَّ زَحَفَ يَحْيَى إِلَى
 قُرْبَةِ فَلَمَّا كَمَا سَنَةً ثِنْتَيْ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِينَ وَتَلَقَّبَ الْمُتَعَلِّي
 وَفَرَّ عَمَهُ الْمَأْمُونُ « الْقَاسِمُ بْنُ حَمُودٍ » إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ ، وَبَايَعَ
 لَهُ الْقَاضِي ابْنُ عَبَّادٍ ^(١) وَأَسْتَجَّاشَ بَعْضَ الْبَرَابِرَةِ ، ثُمَّ رَجَعَ
 إِلَى قُرْبَةِ سَنَةً ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمَلَكَهَا ، ثُمَّ لَحِقَ الْمُتَعَلِّي
 « يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حَمُودٍ » بِمَكَانِهِ مِنْ مَالَقَةَ وَتَلَقَّبَ عَلَى
 الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ، وَتَلَقَّبَ أَخُوهُ إِدْرِيسُ « بَنُ عَلِيٍّ بْنِ حَمُودٍ »
 عَلَى طَنْجَةِ مِنْ وَرَاءَ الْبَحْرِ ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ « الْقَاسِمُ بْنُ
 حَمُودٍ » عَمُّ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَمُودٍ وَإِدْرِيسَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَمُودٍ

(١) هو أبو القاسم « الظاهر للزُّيد بالله » محمد بن اسمعيل بن قريش
 ابن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطف بن نعيم اللخمي من
 وفد النعمان بن النضر اللخمي آخر ملوك الحيرة ، وهو جد للشمس على
 الله محمد بن عباد ، وهو أول من نبغ من بني نعيم بن عطف في بلاد الأندلس
 وتقدم باشبيلية إلى أن ولي القضاء بها فأحسن السياسة مع الرعية واللاطفة
 بهم فرمته القلوب وتسلط به النفوس ، وكان من أهل السلم والأدب
 والعرفة التامة بتدبير الدول . توفي سنة ٤٣٣ . « أحمد يوسف نجاشي »

يَتَقَدَّمَا حِصْنًا لِنَفْسِهِ وَفِيهَا ذَخَائِرُهُ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ
اضْطَرَبَ وَكَارَ عَلَيْهِ أَهْلُ قُرْطَبَةَ وَتَقَضُّوا طَاعَتَهُ وَخَرَجَ
فَحَاصِرَهُمْ فَدَافَقُوهُ وَلَحِقَ بِإِسْبِيلِيَّةَ فَمَنَعُوهُ ، وَكَانَ بِهَا
أَبْنُهُ فَأَخْرَجُوهُ إِلَيْهِ وَضَبَطُوا بِلَدَّهُمْ ، وَأَسْتَبَدَّ ابْنُ عَبَّادٍ
عَلَيْكُمَا ، وَلَحِقَ الْمَأْمُونُ بِشَرِيشَ

يحيى بن يحيى الملقب
الخطي

وَرَجَعَ عَنْهُ الْبَرْبَرُ إِلَى يَحْيَى * الْمُعْتَلِي ابْنُ أَخِيهِ عَلِيٌّ بْنُ
حَمُودٍ فَبَالِمُودُ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَزَحَفَ إِلَى عَمِّهِ
الْمَأْمُونِ الْقَاسِمِ بْنِ حَمُودٍ فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ أَسِيرًا
وَعِنْدَ أَخِيهِ إِدْرِيسَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَمُودٍ بِعَالِقَةَ إِلَى أَنْ هَلَكَ بِمَحْبِسِهِ
سَنَةَ سِتِّينَ وَعِشْرِينَ وَقِيلَ : إِنَّهُ خُنِقَ كَمَا سَيَأْتِي ، وَأَسْتَقْلَ

* هو يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس الذي قام بأمر القرب
ببؤفاة أخيه علي بن محمد بن إدريس سنة ٢٦٤ هجرية فهو يحيى بن
علي بن حمود وأخوه إدريس بن علي بن حمود الذي زحف الى قرطبة
سنة ٤١٢ هجرية وتلقب بالمعتلى والذي قُلت دعوته من قرطبة
سنة ٤١٧ هجرية وقتل سنة ٤١٧ . انتهى .

الْمُعْتَلِي يَحْيَى بْنُ دَلِيٍّ بْنِ هَمُودٍ بِالْأَمْرِ، وَأَعْتَقَلَ ابْنُ عَمِّهِ
الْقَاسِمِ . هـ وَكَانَ الْمُسْتَكْنَى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ مِنَ الْأُمَوِيِّينَ اسْتَوَلَى عَلَى
قُرْطُبَةَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ عِنْدَ مَا أَخْرَجَ أَهْلَهَا أَلْوَلِيَّةً .
ثُمَّ خَلَعَ أَهْلُ قُرْطُبَةَ الْمُسْتَكْنَى الْأُمَوِيَّ سَنَةَ سِتٍّ
عَشْرَةَ وَأَرْبَعِينَ وَصَارُوا إِلَى طَاعَةِ الْمُعْتَلِي يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ
ابْنِ حَمُودٍ

ابن عطف وَأُسْتُعْمِلَ عَلَيْهِمْ ابْنُ عَطَافٍ ^(١) مِنْ قَبْلِهِ ، ثُمَّ تَقَضَّوْا سَنَةَ
سَبْعَ عَشْرَةَ وَصَرَفُوا عَامِلَهُمْ ، وَبَايَعُوا الْمُعْتَدَّ بِاللَّهِ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ

(١) هو عبد الرحمن بن عطف اليفرقى من زعماء البربر أرسله المعتلى
والي على أهل قرطبة ولم يحضر هو باختياره فبقى عبد الرحمن فيها إلى شهر المحرم
سنة ٤١٧ هـ فسار إليه مجاهد وخيران العامريان في جيش كثيف فلما دنوا
من قرطبة تار أهلها ببدا عبد الرحمن فأخرجوه وقتلوا من أصحابه جماعة
كثيرة ونجا الباقون، وأقام خيران ومجاهد بها نحو شهر ثم اختلفا فخلع
كلاهما صاحبه فخرج خيران إلى اللرية وبقي بها حتى توفي سنة ٤١٨ هـ .
وصارت اللرية بيده لصاحبه زهير العامري

الْأَمَوِيُّ أَخَا الْمُرَنْصَى وَبَنِي الْمُعْتَلِي بْنِ حَمُودٍ رُدُّدٌ لِحِصَارِهِمْ
الْمَسَاكِرَ إِلَى أَنْ اتَّفَقَتْ الْكَلِمَةُ عَلَى إِسْلَامِ الْحُصُونِ وَالْمَدَائِنِ
لَهُ ، فَصَلَا سُلْطَانُهُ وَأَشْتَدَّ أَمْرُهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ سَنَةَ سَبْعٍ
وَعِشْرِينَ ^(١) أَغْتَالَهُ أَصْحَابُهُ بِدَسِيسَةِ ابْنِ عَبَّادٍ النَّثَّارِ
بِأَشْبِيلَةَ ^(٢)

فَاسْتَدْعَى أَصْحَابُهُ أَخَاهُ إِدْرِيسَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ حَمُودٍ مِنْ إِدْرِيسَ بْنِ حَمُودٍ
سَبْتَهُ ، وَمَلَكُوهُ وَلَقَبُوهُ التَّمَايِدَ ، وَبَابَتُهُ رُنْدَةٌ وَأَعْمَالُهَا ،
وَالْمَرِيَّةُ ، وَالْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ ، وَبَعَثَ عَسَاكِرَهُ لِحَرْبِ أَبِي
الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبَّادٍ وَالِدِ الْمُعْتَصِدِ بْنِ عَبَّادٍ ، فَجَاءَهُ بِرَأْسِهِ

(١) في الأصل سنة تسع وعشرين وهي محرفة عن « سبع » كإرجحناه
(٢) كان علي بن حمود قد سار إلى قرمونة وأقام بها محاصرا لأشبيلية طامعا
في أخذها فبلغه يوما أن خيلا لأهل أشبيلية قد أخرجها القاضي أبو القاسم
ابن عباد إلى نواحي قرمونة فركب إليهم ولقيهم وقد كمنوا له فلم يكن
بأسرع من أن قتل في المحرم سنة ٤٢٧ وخلف من الولد الحسن وإدريس
لأخي ولد وكان علي بن حمود وقورا هينا ولينا وأمه بربرية ، وتوفي عن
اثنين وأربعين سنة . « أحمد يوسف نجاشي » .

(٣ - فتح الطيب - رابع)

بَعْدَ حُرُوبٍ ^(١) ، وَهَلَكَ لِيَوْمَيْنِ بَعْدَ ذَلِكَ سَنَةً إِحْدَى
وَمِثْلَيْنِ .



وَبُؤَيْعَ ابْنِهِ يَحْيَى بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَمُودٍ ، وَلَمْ
يَمُتْ لَهُ أَمْرٌ ، وَبُؤَيْعَ حَسَنِ الْمُسْتَنْصِرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ
ابْنِ حَمُودِ الْمُعْتَلِيِّ ، وَفَرَّ يَحْيَى إِلَى حِصْنِ كَمَارِشٍ ^(٢) ، فَهَلَكَ
بِهَا سَنَةً أَرْبَعٍ وَمِثْلَيْنِ ، وَيُقَالُ إِنَّهُ قَتَلَهُ نِجَا ^(٣)

يعة يحيى بن
إدريس بن علي
ابن حمود فاته

(١) في سنة ٤٣١ سار القاضي أبو القاسم بن عباد ولده اسمعيل في
عسكر لينقلب على تلك البلاد فأخذ قرمونة وأنشونة واستجة ، فأرسل
صاحبها محمد بن عبد الله البرزالي الى ادريس بن علي بن حمود والي
باديس بن حيوس صاحب صنهاجة فأتاه صاحب صنهاجة بنفسه وأمدّه
ادريس بعسكري قوده ابن بقنة مدبر دولته فلم يجسروا على اسمعيل ابن
عباد فمادوا عنه ، فسار اسمعيل محمدا ليأخذ على صنهاجة الطريق فأدركهم
وقد فارقهم عسكر ادريس قبل ذلك بساعة فأرسلت صنهاجة من ردهم
فمادوا وقتلوا اسمعيل بن عباد فلم يلبث أصحابه أن انهزموا وأسلموه
فقتل وحمل رأسه إلى ادريس وكان ادريس قد أيقن بالهلاك وانتقل
عن مالقة الى جبل يمتد به وهو مريض فلما أتاه الرأس عاش بعده
يومين ومات وترك من الأولاد يحيى ومحمدا وحسنا المعروف بالسامعي وكان
له ابن هو أكبر بنيه اسمه علي مات في حياة أبيه وترك ابنا اسمه عبد
الله أخرجه عنه ونفاه لما ولي (٢) حصن كمارش أو قمارش على ثمانية عشر
ميلا من مالقة (٣) نجا : هو الخادم المعتلي وكان هو وأبو جعفر أحمد بن أبي
موسى المعروف بابن بقنة مدبري دولة الملوك



وَهَلَكَ حَسَنٌ مَسْمُومًا بِيَدِ ابْنَةِ عَمِّهِ إِدْرِيسَ بْنِ عَلِيٍّ ^{وَقَدْ حَسَنَ بِنْدِ عَمِّي}
أَبْنِ حُمُودٍ تَأَرَّتْ مِنْهُ بِأَخِيهَا ^(١)



وَكَانَ إِدْرِيسُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حُمُودٍ الْمُشَلِّي ^{إِدْرِيسُ بْنُ يَحْيَى}
مُعْتَقَلًا بِمَالَقَةٍ فَأُخْرِجَ بَعْدَ خُطُوبٍ وَبُوعٍ بِهَا فَأَطَاعَتْهُ
غَرْزَاطَةٌ وَقَرْمُونَةٌ ، وَلَقَّبَ الْعَالِي ، وَهُوَ الْمَدُوحُ
بِالْقَصِيدَةِ الْمَشْهُورَةِ بِالْمَغْرِبِ الَّتِي قَالَهَا فِيهِ أَبُو زَيْدٍ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَقَانَا الْفَنْدَاثِيُّ الْأَشْبُونِيُّ مِنْ شُعْرَاءِ
الْذَخِيرَةِ وَهِيَ :

أَلْبَرَقِ لَا يَحِجُّ مِنْ أَنْدَرِينَ ^(٢)
ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ بِالْمَاءِ الْمَعِينِ ^(٣) ؟

- (١) وكانت ابنة عمه هذه زوجة له فيقال انها سمت زوجها حسنا
السامي أسفا على أخيها يحيى بن إدريس بن علي بن حمود
(٢) أندرين اسم قرية كانت في جنوبي حلب وإياها عني عمرو بن
كثوم بقوله :

أَلَا هِيَ بِصَحْنِكَ فَاصْبِحْنَا وَلَا تَبْقِ خُمُورُ الْأَنْدَرِينَا
وفي هذه اللقطة يقول :

كَأَنَّ سَيُوفَنَا مَنَا وَمِنْهُمْ غَارِقُ بِأَيْدِي لَاعِينَا
(٣) ذرفت : سالت ، والمعين : الجاري الكبير

لَمَبَّتْ أَسْيَافُهُ عَارِيَةً
 كَمَخَارِقٍ ^(١) بِأَيْدِي اللَّاعِينَ
 وَلِصَوْتِ الرَّعْدِ زَجْرٌ وَحَيْنٌ
 وَلِقَلْبِي زَفَرَاتٌ ^(٢) وَأَيْنٌ
 وَأُنَاجِي فِي الدُّجَى عَادِلَتِي
 وَبِكَ لَا أَسْمَعُ قَوْلَ الْمَازِلِينَ
 عَيْرَتْنِي بِسِقَامٍ وَصَنَى
 إِنَّ هَذَيْنِ لَدَيْنُ الْعَاشِقِينَ
 قَدْ بَدَأَ لِي وَضَحُ الصُّبْحِ الْمُبِينِ
 فَاسْتَقْنِيهَا قَبْلَ تَكْثِيرِ الْأَذِينِ ^(٣)

(١) المخاريق جمع مخراق وهو السيف ، والتنديل أو نحوه يلف ليضرب به أو يفرع قال :

أجالهم يوم الحديقة حاسرا كأن يدي بالسيف مخراق لآعب
 (٢) « زفر زفر كضرب » وزفيرا : أخرج نفسه بعد مدهاياه (٣) الوضع :
 بياض الصبح « وقد يراد به مطلق الضوء والبياض من كل شيء »
 والأذنين الأذان ، واللؤذن ، قال جرير :

هل تشهدون من الشاعر مشعرا أو تسمعون من الأذان أذينا

إِسْقِنِهَا مُرَّةً مَشْمُولَةً
لَبِثَتْ فِي دَهْنِهَا بِضْعَ سِنِينَ
ثَرَّ الْمَزْجُ عَلَى مَفْرِحِهَا
دُرَّرًا عَامَتْ فَطَادَتْ كَالْبَرِّينِ»
مَعَ فِتْيَانٍ كِرَامٍ نُجُبٍ
يَتَهَادَوْنَ رَاحِينَ الْمُجُونِ

في الأصل « مرة » وأراها محرفة عن « مرّة » وهي الحجر القديزة
العلم سميت بذلك للدعها اللسان وليست بالحامضة ، قال الأعشى :
نازعتهم قصب الریحان متكئا وقهوة مرّة راووقها خصل
وقال حسان :

كَأَن قَاهَا قَهْوَةُ مُرَّةٍ حَدِيثَةُ الْمَهْدِ بَخْضِ الْحَتَامِ
وَاللَّزَّةُ « بضم الليم » الحجر التي فيها مزازة وهو طعم بين الحلاوة والحوضة
قال عدی بن زید :

مرّة قبل مزجها فأذا ما مزجت لدطعمها من بدوق
(١) للفرق في الأصل وسط الرأس وهو الذي يفرق فيه الشعر ، ومفرق
الطريق للوضع الذي ينشعب منه طريق آخر - والبرين جمع برة وهي
كل حلقة من سولر أو قرط أو خلخال ونحوها ، وحلقة في آف البعير
رفيقة بربدان الحجر للمزج نشأت فيها فتاغات بيض كالبر ثم طامت وانداحت
فصارت حلقات مصوغة من هذه البرر - وهو خيال بدیع

شَرِبُوا الرَّاحَ عَلَى خَدِّ رَشًا
نَوَّرَ الْوَرْدُ بِهِ وَالْيَاسَمِينَ^(١)
وَجَلَّتْ آيَاتُهُ عَامِرَةً
سَبَّحَ الشَّعْرَ عَلَى عَاجِ الْجَيْنِ^(٢)
لَوَتْ الصُّدْعَ عَلَى حَاجِبِهِ
صَنَمَةُ اللَّامِ عَلَى عَطْفَةِ نُونٍ^(٣)
فَرَرَى عُصْنًا عَلَى دِعْصٍ تَقَا
وَرَرَى لَيْلًا عَلَى صُبْحٍ مُبِينٍ^(٤)

(١) الرشا: الظبي إذا قوى وتحرك ومشى مع أمه وأراد بالورد الوجنة والياسمين سائر الخلدانض (٢) السبج: خرز أسود وهو لفظ دخيل (٣) الصدغ: الشعر المتدلى على «الصدغين» من اطلاق اسم الحمل على الحال شبهه باللام في التواتر وأراد بالنون الحاجب « وقد يدعى أنه يتولد من هذين الحرفين « لن » وإن الشاعر ليود أن يحطها فعل دعاء من لأن يلين إذا رقيق قلبه وعطف ، أما المحبوب فكأنه يكتب بهما « لن » ترافى أو « لن » أسمع لك بوصول ومن التوليد البديع في هذا المعنى قول بعض الأدباء :

كأن عنفاره في الخلدلام ومبسمه الشهي الطعم صاد
وطرة شعره ليل بهيم فلا عجب إذا سرق الرقاد
وقال آخر :

أرى في صدغك للعوج دالا ولكن تقطع من مسك خالك
فصارت داله بالنقط ذالا وإنى هالك من أجل ذلك

(٤) الدعص والدعصة الكتيب «قطعة من الرمل مستديرة» المجتمع ، قال :

وَسَيُسْقَوْنَ إِذَا مَا شَرِبُوا
 بِأَبْرِقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ
 وَمَصَائِحُ الدُّجَى قَدْ طُفِئَتْ
 فِي بَقَايَا مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جُونٌ^(١)
 وَكَأَنَّ الظِّلَّ مِسْكٌ فِي الثَّرَى
 وَكَأَنَّ الظِّلَّ دُرٌّ فِي الْمَصُونِ
 وَالنَّدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسِهِ
 كَدُمُوعٍ أَسْبَلَتْهُنَّ الْجُفُونُ
 وَالثَّرِيَّا قَدْ هَوَتْ مِنْ أَقْفَاهَا
 كَقَضِيبٍ زَاهِرٍ مِنْ يَاسَمِينٍ^(٢)

خلقت غير خلقة النسوان ان تمت فالأعلى قضيب بان
 وان توليت فدعستان وكل إذ تفصل العنان
 والنقا من الرمل القطمة تنقاد محدودة ، أو الكتيب منه المجتمع الأبيض
 الذي لا يبت شينا « أراد بالنمن القند » ويدعس النقا : الردف ، وبالليل
 الشعر وبالصدغ : الطرة وبالصبح الوجه أو الجبهة
 فتأمل طرة وجبين ان في الليل والنهار عجائب
 (١) اللون الأسود « وهو من الاضداد فقد يطلق على الأبيض » أو
 الأسود للشرب حمرة ، وجمه جون (٢) الياسمين معروف « عرب »
 وهو نوطان أبيض وأصفر فالأبيض مشرب حمرة « ولهذا شبه الحد به »
 والأصفر أعرض منه

وَأَنْبَرَى^(١) جُنْحُ الثَّجَى عَنْ صُبْحِهِ
كَفْرَابٍ طَارَ عَنْ يَتْفِ كَيْنٍ^(٢)
وَكَانَ الشَّمْسَ لَمَّا أَشْرَقَتْ
فَانْتَبَتْ عَنْهَا عُيُونُ النَّاطِرِينَ
وَجَهُ إِدْرِيسَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ
يُ بْنُ حَمُودٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مَلِكُ دُوْهِ مَيَّةٍ لَكِنَّهُ
خَاشِعٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
خَطًّا بِالنِّسْكَ عَلَى أَبْوَابِهِ
« أَذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ »
فَإِذَا مَا رُفِعَتْ رَايَاتُهُ
خَفَّتْ بَيْنَ جَنَاحَيْ جَبْرَائِيلَ^(٣)
وَإِذَا أَشْكَلَ خَطْبُ مُعْضِلٍ
صَدَعَ الشَّكَّ بِمِصْبَاحِ الْيَقِينِ^(٤)

(١) انبرى : انكشف وزال (٢) الكين : السور للكنون
(٣) لغة في جبريل من لسان كثيرة (٤) أي كشف وأظهر وأوضح

فِيُسْرَاهُ يَسَارُ الْمُعْسِرِينَ
وَيُمْنَاهُ لَوَاهُ السَّاقِينَ
يَا بَنِي أَحْمَدَ يَا خَيْرَ الْوَرَى
لَا يَكُمُ كَانَ وَقَدْ الْمُسْلِمِينَ
تَزَلْ الْوَحْيُ عَلَيْهِ فَاحْتَبِي
فِي الدُّجَا فَوَقَّعَهُمُ الرُّوحُ الْأَمِينُ^(١)
خَلَقُوا مِنْ مَّاءٍ عَذْلٍ وَتَقَى
وَجَمِيعُ النَّاسِ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ
« أَنْظَرُونَا نَقْتَبِسَ مِنْ نُورِكُمْ »
إِنَّهُ مِنْ نُورِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

من قوله تعالى : فاصدع بما تؤمر « فما قيل فيها » ان للمنى : أظهر ما تؤمر به ولا تخف أحدا. من الصديق : وهو الصبح ، أو من صدع الثنى : أظهره وقيل للمنى افضل بالامر مستعار من صدع الأجسام أى شقها شبه الجبل « ومنه الشك » بظلمة الليل ، وشبه القرآن « ومنه اليقين » بالنور فصعد به تلك الظلمة كما يصعد الفجر ظلمة الليل .

(١) أو (فاحتبى) أى اختبأ وكأنه يشير الى معنى :

أنا لا أستطيع أمدح قوما كان جبريل خادما لآيهم

قِيلَ : إِنَّهُ أَنْشَدَهُ إِيَّاهَا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَقْفَاءٍ لَطْرِيقَةٍ
خُلَفَاءَ بَنِي الْمُبَاسِ ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :
أَنْظِرُونَا نَقْتَسِبَ مِنْ نُورِكُمْ إِنَّهُ مِنْ نُورِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
أَمَرَ حَاجِبَهُ أَنْ يَرْفَعَ الْحِجَابَ ، وَقَابَلَ وَجْهَهُ وَجْهَ
الشَّاعِرِ دُونَ حِجَابٍ ، وَأَمَرَ لَهُ بِإِحْسَانٍ جَزِيلٍ ، فَكَانَ
هَذَا مِنْ أَتْبَلِ مَا يُخَوِّفُ عَنْهُ ، وَخُلِعَ الْعَالِي سَنَةَ ثَمَانٍ
وَعَلَاثِينَ



وَوَلِيَ ابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ ^(١) بَنُ إِدْرِيسَ «بَنِ عَلِيٍّ بْنِ حَمُودٍ»
وَلَقِبَ الْمَوْفِقَ ، وَلَمْ يُخْطَبْ لَهُ بِالْخِلَافَةِ ، وَزَحَفَ الْعَالِي إِدْرِيسُ
«ابْنُ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَمُودٍ» الْمَخْلُوعُ الْمَدُوحُ بِالْقَصِيدَةِ
السَّابِقَةِ ، وَكَانَ بِقِمَارِشَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَالِقَةٌ وَأَطْلَقَ أَيْدِي
عَبِيدِهِ عَلَيْهَا بِحَقْدِهِ عَلَيْهِمْ فَفَرَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، وَتَوَفَّى «مُحَمَّدُ
ابْنُ إِدْرِيسَ» الْعَالِي سَنَةَ سِتٍّ أَوْ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ
وَبُورِيعَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ وَلَقِبَ الْمُسْتَعْلَى ، ثُمَّ صَارَ إِلَيْهِ بِإِدْرِيسُ

محمد بن إدريس
اللقب الموفق

(١) ابن علي وتلقب بالمهدي وتوفي سنة أربع وأربعين وبوريع لإدريس
ابن يحيى بن إدريس وتلقب بالموفق .

أَبْنُ حَبُوسَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ فَتَلَبَّ عَلَى مَالِقَةَ
وَسَارَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنُ نُحَيْيٍ إِلَى الْمَرْيَةِ مَخْلُوعًا ، ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ
أَهْلُ الْمَرْبِ إِلَى مِلِيلَةٍ ^(١) وَبِأَيُّوهُ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَتُوفِيَ
سَنَةَ سِتِّينَ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ هُمُودٍ لَمَّا أُعْتِقِلَ أَبُوهُ
الْقَاسِمُ بِمَالِقَةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ عَشْرَةَ فَرَّ مِنْ الْأَعْتِقَالِ وَلَحِقَ
بِالْجَزِيرَةِ الْأَخْضَاءِ وَمَلَكَهَا وَتَلَقَّبَ بِالْمُعْتَصِمِ ^(٢) إِلَى أَنْ
هَلَكَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ . ثُمَّ مَلَكَهَا بَعْدَهُ ابْنُهُ الْقَاسِمُ الْوَاتِقُ ^(٣)
إِلَى أَنْ هَلَكَ سَنَةَ خَمْسِينَ ، وَصَارَتِ الْجَزِيرَةُ لِلْمُعْتَصِدِ بْنِ
عَبَّادٍ وَمَالِقَةَ لِابْنِ حَبُوسَ مُزَاحِمًا لِابْنِ عَبَّادٍ ، وَأَنْقَرَضَتِ

(١) مدينة بالمغرب قريبة من سبتة على ساحل البحر ينسب اليها أبو جعفر
أحمد بن الفتح الليلي وكان قاضيها وقدم على الناصر قرطبة سنة ٣٢٥
لاخشى من عساكر الشيعة فأجاره الناصر وسجله على قضاء ناحيته .
كان عظيم القدر جليلا حافظا للأخبار والآداب راويا ثقة وتوفي بميلة
سنة ٣٣٢ وبها ولد أبو سعيد خلف بن مسعود الجراوي اللاتي قتل بمالقة
سنة ٤٠٠ حين ثورة الأندلس بالبرابرة عند قيام المهدي وقتل العامة
البرابرة (٢) الذي في ابن الأثير وغيره أنه تلقب بللهدي أيضا (٣) لكنه
لم ينتم بالخلافة ، وبقى محمد بن إدريس بمالقة حتى توفي سنة ٤٤٥ وكان
إدريس بن يحيى المالبي عند بني يفرن بمدينة تاكرتة بالمغرب - فلما توفي
محمد بن إدريس رده العامة الى مالقة واستولى عليها .

دَوْلَةُ الْأَشْرَافِ الْحَمُودِيِّينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا
يَدْعُونَ الْخِلَافَةَ .

وَأَمَّا قُرُطُبَةُ فَإِنَّ أَهْلَهَا لَمَّا قَطَعُوا دَعْوَةَ الْحَمُودِيِّينَ
بَعْدَ سَبْعِ سِنِينَ مِنْ مُلْكِهِمْ زَحَفَ إِلَيْهِمُ الْقَاسِمُ بْنُ حَمُودٍ
فِي الْبَرَبْرِ فَهَزَمَهُمْ أَهْلُ قُرُطُبَةَ ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا وَاتَّفَقُوا عَلَى رَدِّ
الْأَمْرِ لِنِسِ أُمَيَّةَ وَاخْتَارُوا لِذَلِكَ

قرطبة في عصر
بنى حمود ورد
الأمر فيها إلى
بنى أُمَيَّة .

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هِشَامٍ بْنُ عَبْدِ الْجُبَّارِ أَخَا الْمَهْدِيِّ
وَبِأَمْرِهِ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَلَقَبُوهُ
الْمُسْتَظْهَرَ وَقَامُوا بِأَمْرِهِ ^(١) . وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

للمستظهر باقة
الأموي

(١) وكان عمره حينئذ اثنين وعشرين سنة ، وكنيته أبو الطرف وأمه
أم ولد ، وكان رجب الصدر رقيق الطبع أديبا خطيبا بليغا ولم يعقب
ذرية ، وكان سليمان بن الرضى قد مات قبل قتله بعشرة أيام

طَالَ عُمرُ اللَّيْلِ عِنْدِي مَذْ تَوَلَّيْتُ بِصَدْيِ
يَا غَزَا لَا تَقْضِ الْهَمْدَ وَلَمْ يُوفِ بِوَعْدِ
أَنْسَيْتَ الْهَمْدَ إِذْ بَدَأْنَا عَلَى مَفْرَشٍ وَرَدِ؟
وَأَجْتَمَعْنَا فِي وَشَاحٍ وَأَنْتَظَمْنَا نَظْمَ عِقْدِ
وَنُجُومُ اللَّيْلِ تَحْكِي دَهَبًا فِي لَازُورِدِ
قَالَ الْحَجَّارِيُّ : لَوْ قَالَ لَوْلُوًا فِي لَازُورِدِ (١) لَكَانَ
أَحْسَنَ تَشْبِيهًا ، وَأَنْشَدَ مُمَثِّلًا :

(١) في الأصل (قد) محرفة - وقد صدق وأنصف من قال :
وما طال ليلى غير آتى سهرته فبت على جمر النضا أثقل
(٢) حجر معروف يشبه به البنفسج لانه على لونه قال :
ولا زوردية تزهى بزرقها بين الرياض على حمر البواقيت
كانها فوق قلمت ضغن بها أوائل النار في أطراف كبريت
وانما أثر الحجاري اللؤلؤ على الذهب في تشبيهه نجوم الليل ليكون التشبيه
أتم والوجه أظهر لاشراق اللؤلؤ ولمعانه وصفاته وبريقه ، وهو السمع
في مثل هذا التشبيه يشبهون النجوم بالحرر واللائى وأديم السماء صافى
الزرقه باللازورد ، قال أبو طالب الرقى :
وكان أجرام النجوم لوامعاً در در شرن على بساط أزرق
آخر :

قد رصت زهر النجوم سماها فكأنما هي لؤلؤ موضوعون
غيره .
كان الترياقية من زبرجد ترصع فيها لؤلؤ بحال
آخر :
والتريا كالكأس يظهر فيها حبيب مثل لؤلؤ منشور

إِنَّا عَصَابَتَكَ أَلَى كُنَّا نُكَابِدُ مَا تُكَابِدُ
هَذَا أَوَانُ بُلُوغِكَ النُّعْمَى وَأَنْجَازِ الْمَوَاعِدِ
وَكَانَ حَسَّانُ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ^(١) مِنْ وَزَرَاءِ الْمُسْتَظْهَرِ ،
وَلَمَّا أَكْثَرَ الْمُسْتَظْهَرُ دُونَهُ الْأَسْنِدَادَ كَتَبَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ :
إِذَا غَيْبْتُ لَمْ أُخْضَرْ وَإِنْ جِئْتُ لَمْ أُسَلِّ
فَسَيَّافٍ مِثِّي مَشْهُدٌ وَمَغِيبٌ

ولا بأس أيضا بتشبيه المستظهر فثله مألوف ولا سيما لدى شعراء اللقب
ومنه قول عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي من قصيدة بدعية :

إذا نبلج نجم فوق زرقته حسبته فرسا دهما في بلق
أولاز وردا جرى في منته ذهب فلاح في شارق من مائه شرق
وقال أبو بكر الخالدي « وإن لم يكن من شعراء اللقب » :

وللشترى وسط السماء تحاله وسناه مثل الزئبق للترجرج
مسار تبر أصفر ركبته في فص خاتم فضة فيروز

(١) أبو عبدة حسان بن مالك بن أبي عبدة الوزير من أهل قرطبة ومن
بيت وزارة ورياسة (و بنو أبي عبدة ينتمون إلى قبيلة كلب وكانوا مع مروان
يوم للرج) وكان الوزير حسان من الأئمة في اللغة والأدب ومن أجلاء
الادباء وعلمائهم وله تأليف تمتع جامع بين رقيق الآداب والتاريخ والتراجم،
وكان شاعرا رقيقا متصرفا في فنون القول ، وكان ذا صلة بالنصور بن
أبي عامر واستوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن
عبد الرحمن الناصر السمي بالخلافة أيام الفتنة ، وتوفي سنة ٤١٦ هـ . وفي
الاصل (حسن) بدل حسان وهو تحريف « أحمد يوسف نجاشي » .

فَأَصْبَحْتُ تَيْمِيًّا وَمَا كُنْتُ قَبْلَهَا
لَتَيْمٍ وَلَكِنَّ الشَّبِيهَ نَسِيبُ
يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ الْأَوَّلِ :

وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ
وَلَا يُسْتَأْمَرُونَ وَهُمْ شُهَدُ
وَعَاتِبُهُ أَيْضًا بِقَوْلِهِ :

إِذَا كَانَ مِثْلِي لَا يُجَازَى بِصَبْرِهِ
فَمَنْ ذَا الَّذِي بَعْدِي يُجَازَى عَلَى الصَّبْرِ
وَكَمْ مَشْهَدٍ حَارَبْتُ فِيهِ عَدُوَّكُمْ

وَأَمَلْتُ فِي حَرْبِي لَهُ رَاحَةَ النَّهْرِ ؟
أَخُوضُ إِلَى أَعْدَائِكُمْ لِحُجِّ الْوَعَى
وَأُسْرِى إِلَيْكُمْ حَيْثُ لَا أَحَدٌ يَسْرِى
وَقَدْ نَامَ عَنْهُمْ كُلُّ مُسْتَبْطِنٍ الْخَمَى

أَكُولُ إِلَى الْمَمْنَى تَوَمُّ إِلَى الظُّهْرِ
فَمَا بَالُ هَذَا الْأَمْرِ أَصْبَحَ ضَائِعًا
وَأَنْتَ أَمِينُ اللَّهِ تَحْكُمُ فِي الْأَمْرِ ؟

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كَلَامِ الْوَزِيرِ الْمَذْكُورِ
مَا يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ قَدْرِهِ ، وَهُنَاكَ نَذْرُ تَحْلِيَةِ الْفَتْحِ لَهُ

محمد بن عبد الرحمن
الملقب بالسكني
ثُمَّ تَرَى عَلَيْهِ لِشَهْرَيْنِ مِنْ خِلَافَتِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ ، فَاتَّبَعَهُ
الْفَوْغَاءُ وَفَتَكَ بِالْمُسْتَظْهَرِ ^(١) وَتَلَقَّبَ بِالْمُسْكَنِ وَأُسْتُقِلَّ
بِأَمْرِ قُرْطُبَةَ « وَهُوَ وَالِدُ الْأَدِيبَةِ الشَّهِيرَةِ وَلَّادَةُ . وَلَمَلْنَا
نِلْمٌ يَبْعُضُ أَخْبَارَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا بَعْدُ » وَكَانَ
أَبُوهُ ^(٢) عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَتْلَهُ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ لِسَعْيِهِ فِي

(١) في الاصل « أبو عبد الرحمن » وهو نقص يفسد المعنى والعبارة
(٢) وكان سبب قتله أنه أخذ جماعة من أعيان قرطبة فسجنهم لميلهم الى
سليمان بن الرقيعي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر
وأخذ أموالهم فسعوا عليه من السجن وألبوا الناس فأجابهم صاحب الشرطة
وغيره واجتمعوا وقصدوا السجن وأخرجوا من فيه ، وكان ممن وافقهم
على ذلك أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن الأموي « كنية السكني »
في جماعة كثيرة فظفروا بالمستظهر فقتلوه في ذي القعدة سنة ٤١٤ .

الْخِلَافَةِ ، ثُمَّ بَعْدَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ بَيْعَةِ الْمُسْكِنِيِّ (١)
رَجَعَ الْأَمْرُ إِلَى الْمُعْتَلِيِّ بِحَيِّ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ هَمُودِ سِتَّةَ
عَشْرَةَ وَأَرْبَعِينَ وَخَلَعَ أَهْلُ قُرْطُبَةَ الْمُسْكِنِيَّ وَوَلَّى عَلَيْهِمُ
الْمُعْتَلِيَّ مِنْ قَبْلِهِ ، وَقَرَأَ الْمُسْكِنِيُّ إِلَى نَاحِيَةِ النَّفَرِ ، وَمَاتَ
فِي قَرَّةٍ (٢) ، ثُمَّ بَدَأَ لِأَهْلِ قُرْطُبَةَ فَخَلَعُوا الْمُعْتَلِيَّ بْنَ هَمُودِ
سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ



وَبَاتَعَ الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ جَهْوَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنَ جَهْوَرٍ
عَمِيدُ الْجَمَاعَةِ وَكَبِيرُ قُرْطُبَةَ لِهَشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَخِي الْأَمْرِ تَضَى -

(١) كان للسكني هذا همه لا يمدو بطنه وفرجه ، وليس له في سواهما هم
ولا تفكير ، وأثار عليه أهل قرطبة في ربيع الأول سنة ٤١٦ فخلعوه وخرج
عن قرطبة ومعه جماعة من أصحابه حتى صار إلى أعمال مدينة سالم فضجر
منه بعضهم « عبد الرحمن بن محمد بن السليم من ولده سعيد بن للنذر القائد
المشهور أيام عبد الرحمن الناصر » فكره التهادي معه في سفحه فندس
له السم في الدسم فاستراح وأراح ، وكان عمره نحو خمسين سنة .
وانتاك مهمات ط بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى التهم أجما
« أحمد يوسف نجاشي » . (٢) أي مات في أثناء هربه في ربيع الآخر
سنة ٤١٦ ولطها محرفة عن (مفره) أي المكان الذي فر إليه
* ترجم له في كتاب الغرب في حلى الغرب « ج ١ ص ٤١ » بما يأتي
التمتد بالله أو العتد بالله أبو بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر
(٤ - قح الطيب - رابع)

وَكَانَ بِالثَّغْرِ فِي لَارِدَةٍ عِنْدَ ابْنِ هُوَيْدٍ ^(١) وَذَلِكَ سَنَةٌ ثَمَانُ عَشْرَةَ ،
وَتَلَقَّبَ الْمُتَمَتِّدُ بِاللهِ ، وَأَقَامَ مُتَرَدِّدًا فِي الثَّغْرِ ثَلَاثَةَ أَعوَامٍ ،
وَأَشْتَدَّتِ الْفِتْنُ بَيْنَ رُؤَسَاءِ الطَّوَائِفِ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَنْزِلَ
دَارَ الْخِلَافَةِ بِقَرْطُبَةٍ ، فَاسْتَقْدَمَهُ ابْنُ جَهْوَرٍ وَالْجَمَاعَةُ ، وَنَزَلَ
آخِرَ سَنَةِ عِشْرِينَ وَأَقَامَ بِهَا يَسِيرًا ، ثُمَّ خَلَعَهُ الْجُنْدُ سَنَةَ
ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ ^(٢) ، وَفَرَّ إِلَى لَارِدَةٍ فَهَلَكَ بِهَا سَنَةَ ثَمَانٍ
وَعِشْرِينَ ، وَانْقَطَعَتِ الدَّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَانْتَشَرَ

للرواني في كتاب الجنوة : أن أهل قرطبة اتفقوا بسد هاب الدولة الحوذية
بسطول مدة عليه ، وكان مقبلاً بالبوت عند صاحبها محمد بن عبد الله بن
القاسم ، فبايعوه في ربيع الأول سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، فبقي متردداً في
الثغور ثلاثة أعوام غير شهرين ، إلى أن سار إلى قرطبة ، ولم يبق إلا يسيراً
حتى خلع ، وانقطعت الدولة للروانية من يومئذ في سنة عشرين وأربعمائة .
(١) كان مقبلاً بالبوت منذ قتل أخوه الرضى وهو أسن من الرضى . والبفت
بلد وحصن بناحية بلنسية ومن عملها . وعمن ينسب إليها أبو محمد عبد الله بن محمد بن
عبد العزيز بن سعيد بن عقّال النهري البوتى كان أديباً كاتباً شاعراً توفي
سنة ٥٦٧ (٢) كان سبب خلع أن وزيراً بأمر عاصم سعيداً القزاز لم يكن له
قديم رياسة ، وكان يخالف الوزراء للتقدمين ويمدده لأخذ أموال التجار
وغيرهم ، وكان يصل البربر ويعسن إليهم ويقربهم ، فنفر منه أهل قرطبة
فدسوا إليه من قتله ، فلما قتلوه استوحشوا من هشام فخطبوه بسببه .

سِلْكُ الْخِلَافَةِ بِالْمَغْرِبِ ، وَقَامَ الطَّوَائِفُ بَعْدَ انْقِرَاضِ
الْخَلَائِفِ ، وَأَنْتَرَى ^(١) الْأُمَرَاءَ وَالرُّؤَسَاءَ مِنَ الْبَرْبَرِ وَالْمَرْبِ
وَالْمَوَالِي بِالْجِهَاتِ وَأَقْتَسَمُوا خِطَّتَهَا ، وَلَقَلَّبَ بَعْضُ عَلَى بَعْضٍ
وَأَسْتَقَلَّ آخِرًا بِأَمْرِهَا مِنْهُمْ مُلُوكٌ اسْتَفْجَلَ أَمْرُهُمْ وَعَظُمَ
شَأْنُهُمْ ، وَلَاذُوا بِالْجَزَى ^(٢) لِلطَّاعِنَةِ أَنْ يُظَاهِرَ عَلَيْهِمْ أَوْ
يَنْتَرَهُمْ ^(٣) مُلْكُهُمْ ، وَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ
حَتَّى قَطَعَ عَلَيْهِمُ الْبَحْرَ مَلِكُ الْمُدَوَّةِ وَصَاحِبُ مَرَاكُشَ
أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ اللَّمْتُونِي ، فَخَلَعَهُمْ وَأَخْلَى
مِنْهُمْ الْأَرْضَ . فَمِنْ أَشْهَرِهِمْ : بَنُو عَبَّادٍ مُلُوكُ إِشْبِيلِيَّةَ فِي
غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ مِنْهُمْ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ الشَّهِيدُ الَّذِي كَرِ
بِالْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ ، وَفِي الدَّخِيرَةِ وَالْقَلَائِدِ مِنْ أَخْبَارِهِ
مَا هُوَ كَافٍ شَافٍ . وَمِنْهُمْ بَنُو جَهْوَرٍ ، كَانُوا بِقَرْطُبَةٍ فِي
صُورَةِ الْوِزَارَةِ ^(٤) حَتَّى اسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ

(١) أعيوب مسرعاً وانتزى إلى أرض كذا فأخذها أي تسرع إليها (٢) جمع
جزية (٣) يسلبهم ، والبز والابتزاز : أخذ الشيء والتخلب عليه بجفاء وقهر
(٤) كان لبني جهور وزارة بقرطبة أيام الدولة المملوكية ، ثم استبدأ أبو الحزم

وَأَخَذَ قُرْطُبَةَ وَجَمَلَ عَلَيْهَا وَلَدَهُ^(١) ثُمَّ كَانَتْ لَهُ وَعَلَيْهِ
حُرُوبٌ وَخُطُوبٌ. وَفَرَّقَ أَبْنَاءَهُ^(٢) عَلَى قَوَاعِدِ الْمَلِكِ وَأَنْزَلَهُمْ
بِهَا ، وَأَسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ بِغَرْبِ الْأَنْدَلُسِ ، وَعَلَتْ يَدُهُ عَلَى مَنْ
هُنَاكَ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ ، مِثْلَ ابْنِ بَادِيسِ^(٣) بِغَرْنَاطَةَ ،

جهور بن محمد بقرطبة سنة ٤٢٢ وتوفي سنة ٤٣٥ وقد تقدم ذكره، وولى
مكانه ابنه أبو الوليد محمد بن جهور فخلعه أهل قرطبة سنة ٤٦١ وفوض
التدبير الى ابنه عبد الملك فأساء السيرة فأخرجوه عن قرطبة وتوفي
معتقلا سنة ٤٦٢ (١) ولى عليها ابنه الظافر بالله سراج الدولة وكان صغير
السن شجاعا ، ثم قتل في ثورة سنة ٤٦٧ فأقام للتمند بها ابنه للأمن
حتى أخذها جيش يوسف بن تاشفين وقتل فيها بعد حروب كثيرة سنة ٤٨٤
(٢) هم الرشيد والأمن والراضى والظافر وكانوا جميعا علماء فضلاء وأدباء
شعراء كآبهم وجدهم (٣) فى بعض المراجع « حبوس » . وقد ملك
غرنطة حبوس بن ماكسن بن زبرى الصنهاجى ثم مات سنة ٤٢٩ فولى
بعده باديس فلما توفي سنة ٤٦٧ ولى بعده ابن أخيه أبو محمد عبد الله
ابن بلكين بن باديس ، وهو الذى صالح الأذفونش وظهره على أمير
السلتين يوسف بن تاشفين وبث اليه بمال واشتغل بتحصين بلده ،
وفى ذلك يقول بعض شعراء عصره :

يبنى على نفسه سفاهاً كأنه دودة الحرير

دعوه يبنى فسوف يبرى إذا أت قفرة القدير

واستولى الرابطون على ملكه سنة ٤٨٣ « أحمد يوسف نجاتى » .

وَأَبْنِ الْأَفْطَسِ ^(١) يِطْلَيْوَسَ ، وَأَبْنِ صُلَاحِجَ ^(٢) بِالْمَرْيَةِ

(١) ملك بطليوس من غرب الأندلس عند الفتنة واحتياجهما أبو محمد عبد الله بن مسلمة التجيبي واستبد بها سنة ٤٣١ هـ ولما توفي قام من بعده ابنه الظفر أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة التجيبي المعروف بابن الأفطس وكان كثير الأدب جم المعرفة محبا لأهل العلم جماعة للكتب ذا خزانة عظيمة ولم يكن في ملوك الأندلس من يفوقه في أدب ومعرفة بل كان أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع، واستفحل ملكه وعظم شأنه وتوفي سنة ٤٩٠ هـ وبعد وفاته ولى بعده ابنه التوكل عمر بن محمد وقتل صبرا مع ولدين له عند قلب ابن تاشفين على الأندلس سنة ٤٨٩ هـ ورناء ابن عبدون بقصيدته الشهيرة :

الدهر يفتح بعد العين بالآخر فما البكاء على الأشباح والصور ؟

« وابن الأفطس أصله من بربرمكناسة لكن ولد أبوه بالأندلس، ونشوا بها وتخلقوا بأخلاق أهلها وانسبوا الى تجيب فكانوا عربا في النشأة والطبع . وللك الظفر التصنيف الرائق والتأليف الفائق للترجم بالتذكرة وللشهور باسم الكتاب الظفري كان في خمسين مجلدا » يشتمل على فنون وعلوم وأدب وتاريخ وكل شيء مفيد ممتع . وليت شعري أين ذهبت به أيدي الضياع أو أى خزانة كتب غريبة ظفرت بهذا الكنز الثمين مع ما ظفرت به؟؟ حتى أشرقت بضوئه شمس العلوم من الغرب » أحمد يوسف نجاشي .

(٢) كان صهادح وابنه معن من قواد الملك للنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن النصور بن أبي عامر وكانا يتوليان حروبه مع مجاهد العامري صاحب دانية - وكانت للرية قد أخفها خيران العامري فلما توفي سنة ٤٩٩ هـ صارت للرية بعده لصاحبه زهير العامري واتسع ملكه الى شاطبة الى ما يجاور عمل طليطلة وبقى كذلك حتى قتل سنة ٤٢٩ هـ وصارت مملكته الى النصور أبي الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن النصور

وَعَبِيدِهِمْ ، فَكَانُوا يَخْطُبُونَ سِلْمَهُ ، وَيَقْلُونَ فِي مَرْضَاتِهِ ،

ابن أبي عامر فولى بعده ابنه محمد ، فلما توفي عبد العزيز ببلنسية أقام ابنه محمد بالمرية وهو يدبر بلنسية ، فانتهر القرصة فيها للآمون يحيى بن ذى النون وأخضها منه ، وبقى بالمرية الى أن استولى عليها صهره ذوالوزارتين أبو الأحوص للعنصم ممن بن صامح التجيبي ، ودانت له لورقة وياسة وجيان وغيرها الى أن توفي سنة ٤٤٣ هـ وغزا للوالى العامرين بشاطبة فظلمهم بها وتسمى ذا الوزارتين ، وولى بعده ابنه أبو يحيى محمد ابن ممن وهو ابن أربع عشرة سنة فكفله عمه أبو عتبة ابن محمد الى أن توفي سنة ٤٤٦ هـ فبقى أبو يحيى مستضعفا لصغره وأخذت منه بلاده البعيدة عنه ولم يبق له غير للرية وما يجاورها ، فلما كبر أخذ نفسه بالعلوم ومكارم الأخلاق فامتدحته وارتفع ذكره وعظم سلطانه والتحق بأكابر الملوك ، ودام بها الى أن نازله جيش للثمين فرض في أثناء ذلك وتوفي سنة ٤٨٤ هـ وهذا أبو الأحوص هو ممن بن محمد بن أحمد بن صامح التجيبي صهر عبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية ووزيره ، كان مرضى السيرة عدلا باسطا للحق حافنا للعداء عفا نزيها ذا حظ جزيل من العلم . وقد روى عن أبيه أبي يحيى مختصرة لتريب القرآن الواقع في تفسير ابن جرير الطبري الكبير ، ولكن شهوة الملك حملته على أن يخرج على صهره وولى نعمته عبد العزيز بن أبي عامر فقد خانه في الأمانة وغدر به وطرده عن الإمارة واستقل بالمرية التي كان عبد العزيز قد استخلفه بها حتى قيل انه لم يبق أحد من ملوك الطوائف بالاندلس الا دمه على هذه القطة ولكنه استتب له الأمر وتم . وانتقل ملكه بعد موته الى ولده للعنصم وتسمى بأسماء الخلفاء ، وكان رجب الفناء ، جزيل العطاء ، طبا عن الدماء ، طافت به الآمال ، واتسع في مدحه للقبال وأعملت الى حضرة الرحال ، ولزمه جماعة من خول الشعراء منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن ابراهيم القيسي المعروف بابن الحداد ، وله فيه

وَكُلُّهُمْ يُدَارُونَ الطَّاعِغَةَ وَيَتَّقُونَهُ بِالْجَزَى إِلَى أَنْ
ظَهَرَ يُوسُفُ بْنُ تَاشِفِينَ وَأَسْتَفْحَلَ مُلْكُهُ فَتَعَلَّقَتْ آمَالُ
الْأَنْدَلُسِ بِإِعَاتِهِ، وَصَاحَبَهُمُ الطَّاعِغَةُ فِي طَلَبِ الْجَزَاةِ

مدائح سنية. ومنهم أبو القاسم الأسعد بن بليطة من غول شعراء الأندلسيين
فقد مدحه بقصيدته الطائفة للشهورة التي مطلعها :

برامة ريم زارني بعد ماشطا فقتنسته في الحلم بالسطاشطا
رعى بكناس في الحشاغر الحشى ولم يبع النوار فيها ولا الخطا

وهي طويلة تبلغ تسعين بيتاً أحسن فيها نازمها وأجدهم وعورة مسلكها وروياها.
وأبو يحيى محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن صاوح
السرقي كان والياً على مدينة وشقة ثم تخلى عنها لابن عمه مننبر بن
يحيى التجيبي حين عزه عليها، وكان مع رياسته من أهل الفضل والعلم والأدب
وله اختصار في غريب القرآن استخرجه من تفسير الطبري ورواه عنه
ابنه أبو الأحوص معن بن محمد أمير للرية توفي عطياً بالبحر الرومي
وكان قد ركب من دانية يريد الحج في مركب تأتق في صنعه واستجاد
عدته وآلته وتغير أعدل الأئمة ومعه خلق كثير تشاحوا في محبته وتنافسوا
في السفر معه فطلب جميعهم سوى نفر منهم تخلصوا للأخبار عنهم، ومضى
هو لم يبق عنه حزمه ولا قوته فكان اليم أقصى أثره وذلك سنة ٤١٩
بين جزيرة يابسة والأندلس. وجده محمد بن أحمد بن صاوح كان
صاحب مدينة وشقة وأعمالها في أيام اللؤيد هشام بن الحكم الأموي وكان
صاحب رأى ودهاء ولسان وعارضة، ولم يكن في أصحاب السيف من يده
في هذه الحلال في ذلك العصر. ومن نسل للعصم أبو يحيى محمد بن
عبيد الله بن للعصم محمد بن معن، كان من ذوى العلم والأدب والرواية



قَتَلَ الْمُعْتَمِدُ^(١) الْيَهُودِيَّ الَّذِي جَاءَ فِي طَلَبِ الْجِزْيَةِ لِلطَّاغِيَةِ قَتَلَ الْيَهُودِيَّ
وَهَزَمَ النَّصَارَى بِسَبَبِ كَلِمَةٍ قَالَهَا آسَفُهُ بِهَا ، ثُمَّ أَجَارَ الْبَحْرَ صَرِيحًا إِلَى
يُوسُفَ بْنِ تَاشِفِينَ ، فَأَجَارَ مَعَهُ الْبَحْرَ ، وَالتَّقَوَّا مَعَ الطَّاغِيَةِ
فِي الزَّلَاقَةِ^(٢) فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ الشَّهْوَرَةُ عَلَى النَّصَارَى

(١) أخر للعتد بن عباد في سنة من السنين الضريبة التي كان يدفعها
للاذفونش عن وقتها ثم أرسلها اليه بعد ، فغضب الاذفونش واشتد وطلب
بعض الحصون زيادة على الضريبة وأمن في التجنى حتى طلب أن تأتي
زوجه الى الجامع الاعظم بقرطبة فتلد فيه اذ كانت حاملا ، وكان بالجانب
الغربي من الجامع موضع كنيسة قديمة بنى المسلمون عليها للمسجد فأشار
عليه أطباؤه ورؤساء دينه أن تسكن زوجه قرب ولادتها بمدينة الزهراء
وأن تردد في أثناء اقامتها الى ذلك الجامع حتى تكون ولادتها بين طيب
نسيم الزهراء وفضيلة موضع الكنيسة ، وكان رسوله في ذلك يهوديا وكان
وزيرا للاذفونش فأبى ابن عباد ذلك فراجعه اليهودي وأغلظ له في القول
ولمعه بكلمة آسفته «أى أنارث غضبه» فأخذ ابن عباد بحجرة كانت بين يديه
وضرب بها رأس ذلك اليهودي فأسقط دماغه في حلقه وأمر به فصلب
منكوسا بقرطبة ، ولما سكت عنه الغضب استفتى الفقهاء في حكم ما فعله
باليهودي فأفتوه بالرخصة فيه لتعدي الرسول حكم حدود الرسالة وتجاوزة حد
الادب الى ما استوجب به القتل وليس له ذلك ، ثم كان بعد هذا ما تكفلت
كتب التاريخ بشرحه وبسطه . « أحمد يوسف نجاشي » .

(٢) الزلاقة مكان أفيح من الأرض بالقرب من بطليوس بينهما أربعة
فراسخ . وواقعة الزلاقة مشهورة انتصر فيها المسلمون نصرا مؤزرا واستحرق
القتل في الفرنجة فلم يفلت منهم غير الاذفونش في دون الثلاثين من أصحابه

وَنَصَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِسْلَامَ نَصْرًا لَا كِفَاءَ لَهُ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ
الْمُؤَرِّخِينَ: إِنَّهُ كَانَ عَدَدُ النَّصَارَى ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ لَمْ يَنْجُ
مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَصَبَرَ فِيهَا الْمُعْتَمِدُ صَبْرَ الْكِرَامِ،
وَكَانَ قَدْ أُعْطِيَ يُوسُفَ بْنِ تَاشِفِينَ الْجَزِيرَةَ الْخَضْرَاءَ
لِيَتِمَكَّنَ مِنْ الْجَوَازِمَتِ شَاءَ^(١).

* *

ثُمَّ طَلَبَ الْفُقَهَاءُ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ يُوسُفَ بْنِ تَاشِفِينَ <sup>الفقهاء ورفع
الظلمات</sup>
رَفَعَ الْكُكُوسِ وَالظُّلَامَاتِ عَنْهُمْ، فَقَدَّمَ بِذَلِكَ إِلَى
مُلُوكِ الطَّوَائِفِ فَأَجَابُوهُ بِالْإِمْتِنَانِ، حَتَّى إِذَا رَجَعَ مِنْ
بِلَادِهِمْ رَجَعُوا إِلَى حَالِهِمْ، وَهُوَ خِلَالِ ذَلِكَ يُرَدِّدُ

فلحق بأصحابه على أسوأ حال، وغتم المسلمون من أسلحته وخبيله وأثاثه
وسلبه ماملًا أيديهم خيرا - وكانت تلك الواقعة في ١٥ رجب سنة ٤٧٩
وتوافق سنة ١٠٨٦ م والأذفونث للقصود هنا هو القونث السادس .
(١) كان جيش يوسف بن تاشفين قد تأخر في أثناء الحركة فاستحر
القتل في أصحاب ابن عباد وعضته الحرب واشتد عليه وعلى أصحابه البلاء
وساءت الظروف وانكشف بعض جيشه وفيهم ابنه عبد الله وأخوه
جراحات في رؤسهم وبدنه، وتذكر في تلك الحال الحرجة ابنه الصغير يكنى أبا هانم
وكان قد تركه بأشبيلية عिला فقال :

أبا هانم هتمنى الشفار فله صبرى لئلا الأوار
ذكرت شخصيك تحت المجاح فلم يثنى ذكره للفرار

عَسَا كِرُهُ لِلْجِهَادِ، ثُمَّ أَجَازَ إِلَيْهِمْ وَخَلَعَ جَمِيعَهُمْ وَتَأَزَلَتْ
عَسَا كِرُهُ جَمِيعَ بِلَادِهِمْ

وَأَسْتَوَلَى عَلَى قُرْبَةِ وَإِشْبِيلِيَّةَ وَبَطْلَيْونَ وَغَرْنَاطَةَ
وغيرها، وصار الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ كَبِيرُ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ
فِي قَبْضَتِهِ أَسِيرًا بَعْدَ حُرُوبٍ، وَقَتْلَهُ إِلَى أَغْمَاطِ قُرْبَ
مَرَّا كَشْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِيَّةٍ وَأَعْتَقَلَهُ هُنَاكَ
إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ، وَسَمَّيْهُ بِمَا قَالَهُ الْوَزِيرُ
لِسَانُ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ فِيهِ لَمَّا زَارَ قَبْرَهُ.

وَلِلْمُعْتَمِدِ هَذَا الْخَبَرُ مَأْثُورَةٌ خُصُوصًا مَعَ زَوْجَتِهِ أُمِّ أَوْلَادِهِ
الرُّؤْمِيَّةِ^(١) الْمُلْقَبَةِ بِاعْتِمَادٍ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهَا رَأَتْ ذَاتَ

(١) كانت سرية للمعتد اشتراها من رميك بن حجاج فنسبت اليه، وكان
قد اشتراها في أيام أبيه المعتد فأفرط في الليل اليها وغلبت عليه وكانت
ذات جمال فائق وأدب بلور حتى قيل انه لشدة ميله اليها تورط في الخلعة
ولم يكن يمتنى منذ شغفته حباً بأمور دينه حق العناية حتى زعم أهل
إشبيلية أنه كان يجاهر لاجلها بالمعاصي وبتعطيل صلوات الجمع فكسبوا
عليه بذلك عقوداً رفضوها الى يوسف بن تاشفين كانت من أقوى أسباب
تغيره عليه، ومن اسمها اعتاد اختار لنفسه لقباً يناسبه وهو للمعتد وهي

يَوْمَ بِإِسْبِيلَةَ نِسَاءَ الْبَايَةِ يَمْنَنَ اللَّيْلُ فِي الْقَرَبِ وَهُنَّ
رَافِعَاتٌ عَنْ سُوقِهِنَّ فِي الطَّيْنِ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا سَيِّدِي أَشْتَهِي
أَنْ أَفْصَلَ أَنَا وَجَوَارِيَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ ، فَأَمَرَ الْمُتَمِّدُ
بِالْقَنْبَرِ وَالْمِسْكِ وَالْكَافُورِ وَمَاءِ الْوَرْدِ ، وَصَيَّرَ الْجَمِيعَ طِينًا
فِي الْقَصْرِ وَجَعَلَ لَهَا قَرَبًا وَحِبَالًا مِنْ إِبْرَيْسَمٍ ، وَخَرَجَتْ
هِيَ وَجَوَارِيهَا تَخُوضُ فِي ذَلِكَ الطَّيْنِ ، فَيُقَالُ : إِنَّهُ لَمَّا خُلِعَ
وَكَانَتْ تَتَكَلَّمُ مَعَهُ مَرَّةً فَجَرَى بَيْنَهُمَا مَا يَخْرِى بَيْنَ
الزَّوْجَيْنِ قَالَتْ لَهُ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا ، فَقَالَ لَهَا :
وَلَا يَوْمَ الطَّيْنِ ؟ تَذَكَّرِي لَهَا يَهَذَا الْيَوْمَ الَّذِي أَبَادَ فِيهِ مِنْ
الْأَمْوَالِ مَا لَا يَمْلَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، فَاسْتَحْيَتْ وَسَكَتَتْ .
وَوَلَّى بَعْدَهُ غَيْرُ مَنْ تَقَدَّمَ بَنُو رَزِينٍ ^(١) أَصْحَابُ السَّهْلَةِ ^(٢) .

أم بنيه ، وهى التى أغرت للمتمد على قتل وزيره أبى بكر محمد بن عمار
سنة ٤٧٧ هـ لكونه هجاها بشعر يقول فيه :

تخبرتها من بنات المهجان رمية لاتساوى عقلا
فجاءت بكل قصير الترواع لئيم التجارب عما وخلا

وقيل ان هذا الشعر ليس لابن عمار وانما نسبته اليه لكى توغر صبر
المتمد عليه - وتوفيت الرميكية بأغمت قبل المتمد بأيام فلم ترقأ
له عليها عبرتولا فارتحسرة حتى قضى نحبها أسفا وحزن نالرحمه الله تعالى -
« أحمد يوسف نجاشى » (١) فى بعض الراجع « ومن أعظم ملوك الطوائف
غير من تقدم بنو رزین » الخ وهو أظهر وقد ملك السهله عبود الخ .
(٢) ملك السهله عبود بن رزین وأصله بربرى ومولاه بالاندلس ، فلما

وَبَنُو الْقَهْرِيِّ أَصْحَابُ الْبُوتِ^(١) ، وَتَمَلَّبَ عَلَيْهِمَا آخِرًا
يُوسُفُ بْنُ تَاشِفِينَ .



وَمِنْ أَعْظَمِ مُلُوكِ الطُّوَّافِ بَنُو ذِي النُّونِ^(٢)
مُلُوكُ طَلَيْطَلَةَ مِنَ الثَّغْرِ الْجَوْفِيِّ ، وَكَانَتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ كَبِيرَةٌ
وَبَلَّغُوا فِي الْبَذَخِ^(٣) وَالتَّرَفِ إِلَى النَّيَاةِ .

بنو ذي النون

توفي ولي بعده ابنه عبد الملك وكان أدبياً شاعراً ، ثم ولي بعده ابنه عز الدولة
ومنه ملكها للثمنون - وقال ابن خلدون : وكانت بالاندلس شعور
أخرى دون هذه لم يستول عليها ابن عباد ، فمنها بلد السهلة استبد بها
هذيل بن خلف بن رزين أول المائة الحامسة بدعوة هشام وسمى
مؤيد الدولة وهلك شهيداً سنة ٤٥٠ وملك بعده حسام الدولة عبد الملك
ابن خلف ، ولم يزل أميراً عليها إلى أن ملكها الرابطون من يده عند تغلبهم
على الاندلس (١) تطلب على البوت عبد الله بن قاسم القهري وسمى
نظام الدولة ، وهو الذي كان للعمد بن عباد عنده عند ما ولده الجماعة
بقرطبة ومن عنده جاء إليها وتوفي سنة ٤٢١ فولى ابنه محمد بن الدولة
وكانت بينه وبين أبي الحسن الموفق مجاهد العماري حروب ، وملك بعده
ابنه أحمد عبد الدولة وتوفي سنة ٤٤٠ وملك بعده أخوه جناح الدولة إلى أن خلع
الرابطون سنة ٤٨٥ (٢) جدهم اسمعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان
ابن ذي النون أصله من قبائل هوارء ، ورأس سلفه في الدولة للروانية .
وتوفي الظافر سنة ٤٦٧ فولى بعده ابنه أبو الحسن للأمون يحيى ، وقتل
القادر يحيى بن اسمعيل بن للأمون يحيى بن ذي النون سنة ٤٨١ .
(٣) البذخ : الكبر والعلو وتناول الرجل بكلامه وافتخاره ، واستعمله
للتأخرون بمعنى الاسراف والاتهاس في الترف كما هنا .



وَلَهُمُ الْإِعْذَارُ الْمَشْهُورُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْإِعْذَارُ الدُّنَوِيُّ، الاعذار الدنوي
وَبِهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ بِمَثَابَةِ عُرْسِ
بُورَانَ^(١) عِنْدَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ. وَالْأَمُومُ مِنْ بَنِي ذِي النُّونِ
هُوَ صَاحِبُ ذَلِكَ، وَهُوَ الَّذِي عَظُمَ بَيْنَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ
سُلْطَانُهُ، وَكَانَ يَتَنَّهُ وَيَتَنُّ الطَّاعِيَةَ مَوَاقِفُ مَشْهُورَةٌ،
وَعَلَبَ عَلَى قُرْبَتِهِ وَمَلَكَهَا مِنْ يَدِ ابْنِ عَبَّادِ الْمُعْتَمِدِ وَقَتَلَ
ابْنَهُ أَبَا عَمْرٍو، وَعَلَبَ أَيْضًا عَلَى بَلَنْسِيَّةٍ وَأَخَذَهَا مِنْ يَدِ
بَنِي ابْنِ أَبِي عَامِرٍ، وَفِي أَيَّامِ حَافِدِ الْأَمُومِ وَهُوَ الْقَائِدُ ابْنُ
ذِي النُّونِ كَانَ الطَّاعِيَةُ ابْنُ أَذْقُونَشَ قَدْ اسْتَفْعَلَ أَمْرَهُ

(١) هي بوران بنت الحسن بن سهل تزوجها للأموم لكان أبيها منه
وعقد عليها واحتفل أبوها بأمرها وعمل من الولائم والأفراح ما لم يعهد مثله في
عصر من الأعصار. وأنفق للأموم كذلك نفقات باهظة وذلك سنة ٢١٠
وفرض للأموم في عرشه حصر منسوج بالذهب فلما وقف عليه ثرت على
قدميه لآلئ كثيرة فلما رأى ناسط الآلئ المختلفة على الحصر للنسوج
بالذهب قال: قاتل الله أبانواس كآته شاهد هذه الحال حين قال في صفة
الحجر والحباب الذي يعلوها عند الزواج:

كأن كبرى وصغرى من فواضها حصباء در على أرض من الذهب
وتوفى للأموم وهي في صحبته سنة ٢١٨ وبقيت بعده إلى أن توفيت
ببغداد سنة ٢٧١ عن ثمانين سنة. «أحمد يوسف نجاتي»

لَمَّا خَلَا الْجَوُّ مِنْ مَكَانَةِ الدَّوْلَةِ اِخْلَافِيَّةٍ وَخَفَ مَا كَانَ
عَلَى كَاهِلِهِ مِنْ أَثَرِ الْعَرَبِ، فَكَتَسَحَ الْبَسَائِطَ وَصَاقَ
أَبْنُ ذِي الثُّونِ حَتَّى أَخَذَ مِنْ يَدِهِ طَلِيْطَةً، فَخَرَجَ لَهُ عَنْهَا
سَنَةٌ ثَمَانٍ وَسَمِيعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ كَمَا سَبَقَ، وَشَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ
يُظَاهِرَهُ عَلَى أَهْلِ بَلَنْسِيَّةَ قَبْلَ شَرْطِهِ وَتَسْلَمَهَا الْقَوْنُسُ،
- وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ - وَمِنْ أَعْظَمِ
مُلُوكِ الطُّوَائِفِ الْمَوَالِي الْعَامِرِثُونَ خَيْرَانُ وَزُهَيْرُ وَأَشْبَاهُهُمَا،
وَأَخْبَارُ الْجَمِيعِ تَطُولُ.



وَمِنْ مُلُوكِ الطُّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ بَنُو هُوْدٍ ^(١) مُلُوكُ

بنو هود ملوك
سرقطة

(١) كان أبو أيوب سليمان بن أحمد بن محمد بن هود « الداخل الى
الأندلس » بن عبد الله بن موسى بن سالم ونسبه الى الأزد الى سالم
« وقيل ان هودا من ولد روح بن زنباع » مولى أبي حذيفة الجنابي
من أهل نسيهم مستقلا بمدينة تطيلة ولادة من أول الفتنة ، ثم تلب
على الظفر يحيى بن للنمر بن يحيى بن مطرف بن عبد الرحمن بن محمد بن
هشام التجبي صاحب سرقطة وقتله سنة ٤٣١ وملاك سرقطة والتغر
الأعلى من أيديهم ، وتحول اليها وتلقب بالمستعين وعظم ملكه ، ثم ملك
بلنسية ودانية وولى على لاردة ابنه أحمد للقتل ومات المستعين سنة ٤٣٨
فولى بعده ابنه أحمد للقتل وولى ابنه يوسف للظفر لاردة وتوفى للقتل
سنة ٤٧٤ فولى بعده ابنه يوسف للوثن وتوفى سنة ٤٧٨ فولى بعده

سَرَقْطَةَ وَمَا إِلَيْهَا ، وَمِنْ أَشْهَرِهِمُ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ وَأَبْنُهُ
يُوسُفُ الْمُؤْتَمِنُ ، وَكَانَ الْمُؤْتَمِنُ قَائِمًا عَلَى الْأُمُورِ
الرِّيَاضِيَّةِ ، وَلَهُ فِيهَا تَأْلِيفٌ وَمِنْهَا كِتَابُ الْإِسْتِهْلَالِ^(١)
وَالْمَنَاظِيرِ ، وَوَلَّى بَعْدَهُ ابْنُهُ الْمُسْتَعِينُ أَحْمَدُ سَنَةَ أَخَذَ
طُلَيْطَلَةَ^(٢) وَعَلَى يَدَيْهِ كَانَتْ وَفَّةٌ وَشَقَّةٌ^(٣)



وَكَانَ زَحَفَ سَنَةَ تِسْعَ وَثَمَانِينَ فِي آلَافٍ لَا تُحْصَى وَفَّةٌ وَشَقَّةٌ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِيُدَافِعَ الطَّاعِغَةَ عَنْ وَشَقَّةٍ ، وَكَانَ مُحَاصِرًا
لَهَا ، فَلَقِيَهُ الطَّاعِغَةُ وَهَزَمَتْ ، وَهَلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَحْوُ

ابنه أحمد المستعين ولم يزل أميراً بسرقطة إلى أن مات شهيداً سنة ٥٠٣ هـ الخ
ومن بني هود أبو عامر بن للمستعين بالله أبي جعفر أحمد بن أبي عمر المؤتمن
يوسف بن للمقتدر بالله أبي جعفر أحمد بن للمستعين بالله أبي أيوب سليمان كان
ذاعنابة بسجاء العلم ورأيته مقبلاً عليه (١) وقيل (الاستكبان) (٢) استولى
عليها الأفرنج من يد القادر بن ذي النون سنة ٤٧٨ (٣) بليدة من ثغور
الأندلس ينسب إليها طائفة من أهل العلم من أشهرهم أبو الحزم خلف بن عيسى
ابن سعيد الخير المعروف بابن أبي درهم المحدث توفي سنة ٤٢١ هـ ومنهم
أبو مروان عبد الملك بن سليمان بن عبد الملك بن سلمة بن محمد مولى
بني أمية المعروف بابن المقفلي كان مقرئاً محدثاً أديباً لغويًا توفي سنة ٥٤٠ هـ
ومن استشهد في واقعة وشقة سنة ٤٨٩ هـ أبو جعفر عبد الوهاب بن محمد
ابن حكم الأنصاري القرطبي العالم الفاضل وهذه الواقعة كانت إحدى الوقائع
الفاصلة بالأندلس . « أحمد يوسف نجاشي »

عَشْرَةَ آلَافٍ ، وَهَلَكَ هُوَ شَهِيدًا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِمِائَةٍ
بِظَاهِرِ سَرَقُطَةِ فِي زَحْفِ الطَّاعِيَةِ إِلَيْهَا ، وَوَلَّى ابْنُهُ
عَبْدُ الْمَلِكِ عِمَادُ الدَّوْلَةِ ، وَأَخْرَجَهُ الطَّاعِيَةُ مِنْ سَرَقُطَةِ
سَنَةِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ ، وَتَوَلَّى ابْنُهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ وَبَالَغَ فِي التَّنْكِيَةِ
بِالطَّاعِيَةِ ، ثُمَّ اتَّفَقَ مَعَهُ وَانْتَقَلَ بِحَشَمِهِ إِلَى طُلَيْطَلَةَ فَكَانَ
فِيهَا حَامِيَهُ . وَمِنْ شِعْرِ الْمُقْتَدِرِ بْنِ هُوْدٍ قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي
مَبَانِيهِ :

قَصْرُ الشُّرُورِ وَمَجْلِسُ الذَّهَبِ ^(١)

بِكَمَا بَلَّغْتُ نِهَايَةَ الْأَرْبِ

لَوْ لَمْ يَحْزُ مُلْكِي خِلَافَكُمْ

كَأَنْتَ لَدَيَّ كِفَايَةُ الطَّلَبِ

حلوك بنى الأنطس وَمِنْ مَشَاهِيرِ مُلُوكِ الطُّوْائِفِ بَنُو الْأَفْطَسِ أَصْحَابُ بَطْلِينُونَ
وَمَا إِلَيْهَا ، وَالْمُظَفَّرُ مِنْهُمْ هُوَ صَاحِبُ التَّلَافِيفِ الْمُسَمَّى

(١) كان هذان القصران يبدان من متزهات مدينة سرقطة التي كانت
قاعدة الثغر الأعلى قد أُنشِئتا بها من بساتينها زمردة خضراء والتفت
عليها أربعة أنهار فأضحت بها مرسعة مجزعة . « أحمد يوسف نجاشي »

بِالْمُظَفَّرِيِّ فِي نَحْوِ الْخَمْسِينَ مُجَلَّدًا، وَالْمَوْتُ كُلُّ مِنْهُمْ قُتِلَ
عَلَى يَدِ جَيْشِ يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ، وَفِيهِ قَالَ ابْنُ عَبْدِوْنَ
قَصِيدَتُهُ الْمَشْهُورَةَ :

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ النَّيْنِ بِالْأَثَرِ

فَمَا لِبَيْكَا عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالْمُشَوَّرِ؟

وَهِيَ مِنْ غُرَرِ الْقَصَائِدِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ فَلَمَّا اسْتَوَلَى مُلُوكُ
لَمْتُونَةَ عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَأَزَالُوا مُلُوكَ الطَّوَائِفِ
مِنْهَا، وَبَقِيَتْ عُمَالُهُمْ تَرَدَّدُ إِلَيْهَا وَبَنُوهُمْ حَتَّى فَشِلَتْ^(١)
رِيحُهُمْ، وَهَبَتْ رِيحُ الْمُوَحِّدِينَ أَغْنَى عَبْدَ الْمُؤْمِنِ
ابْنَ عَلِيٍّ وَبَنِيهِ، فَحَارَبُوا لَمْتُونَةَ وَاسْتَوَلُوا عَلَى مُلْكِهِمْ
بِالْمَغْرِبِ بَعْدَ حُرُوبٍ كَثِيرَةٍ، ثُمَّ جَاؤُوا الْبَحْرَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ
وَمَلَكَوْا أَكْثَرَ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، وَمَلَكَ^(٢) بَنُو مُرْدَنِيشَ
شَرْقَ الْأَنْدَلُسِ .

(١) فُتِلَتْ رِيحُهُمْ : كناية عن قرب زوال ملكهم . (٢) في
سنة ٥٦٦ رحل أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي صاحب
للمغرب وفي صحبته مائة ألف فارس من المغرب واللوحدين الى الاندلس
« بعد أن تمهدت له الامور بالمغرب واستقرت قواعد ملكته » فنزل
باشبيلية تخافه الامير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعد الجذامي للعروف
بابن مردنيش صاحب شرق الاندلس : مرسية وما اضاف اليها، وحمل على
قلبه فمرض مرضا شديدا ومات في شهر رجب سنة ٥٦٧ باشبيلية، وكان

(٥ - فتح الطيب - رابع)



قيام دولة
الموحدين
بالأندلس

وَمُلَّحْصُ ذَلِكَ أَنَّ الْأَنْدَلُسَ كَانَ مُلْكُهَا مَجْمُوعًا
لِلْمُتُونَةِ بَعْدَ خَلْعِهِمْ مُلُوكَ الطَّوَائِفِ ، فَلَمَّا اشْتَغَلَ
لِمُتُونَةٍ فِي الْمُدَوَّةِ بِحَرْبِ الْمُوَحِّدِينَ اضْطَرَبَتْ عَلَيْهِمُ
الْأَنْدَلُسُ وَعَادَتْ إِلَى الْفُرْقَةِ بَعْضُ الشَّيْءِ ، ثُمَّ خَلَصَ
أَكْثَرُهَا لِمَبْدِ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَهُ بَعْدَ حُرُوبٍ ، وَمِنْهَا مَا حَصَلَ
بَيْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَبَيْنَ ابْنِ مَرْدَنِشٍ ^(١) وَقَائِدِهِ أَنْ

مولده سنة ٥١٨ هـ ولما مات محمد بن سعد جاء أولاده أو اخوته الى الأمير يوسف بن عبد المؤمن وهو بأشبيلية فسلموا اليه جميع بلاد شرق الأندلس فأحسن اليهم الأمير يوسف وتزوج أختهم وأصبحوا عنده في أعز مكان. وكان ابن مردنش أديبا فاضلا (١) لما شغل لمتونة بحرب للموحدين سنة ٥٣٧ هـ بايع أهل بلنسية للأمير أبي محمد عبد الله بن سعد بن مردنش الجذامي وأقام مجاهدًا الى أن استشهد سنة ٥٤٠ هـ في بعض أيامه مع النصاري ، ثم بويع لابن أخيه محمد بن أحمد بن سعد بن مردنش وملك شاطبة ومدينة شقرومرسية ، وكان إبراهيم بن همشك صهره من قواده فمات في أقطار الأندلس وبقى ابن همشك تحت طاعة محمد بن مردنش - وكان قد استخطفه على مرسية - الى أن قام عليه بعد سنة ٥٦٠ هـ ثم استخلص البلاد من أيديهم عبد المؤمن بن علي بعد حروب شديدة الخ - وفي سنة ٥٧٥ هـ عقد أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن لعائش بن محمد بن مردنش على أسطوله وأغزاه مدينة أشبونة ففتح ورجع ظافرا وكان بنو مردنش ذوى عصبية وأولى قوة وأولى بأس شديد. « أحمد يوسف نجاشي »

هَمْشَكَ^(١) فَحَصِ غَرْنَاطَةَ ، وَقَدْ اسْتَعَانَ ابْنُ مَرْدَنِشَ
بِالنَّصَارَى عَلَى الْمُوحِّدِينَ فَهَزَمَهُمْ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ وَقَتَلَهُمْ أَتْرَحَ
قِتْلَةً ، وَأَسْتَخْلَصَ غَرْنَاطَةَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ مِنْ
يَدِ ابْنِ مَرْدَنِشَ . وَوَلَّى الْأَمْرَ بَعْدَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ابْنُهُ
يُوسُفُ ، وَأَجَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَتْ لَهُ مَوَاقِفُ فِي جِهَادِ
الْمَدُونِ . وَوَلَّى بَعْدَهُ ابْنُهُ يَمْقُوبُ الْمَنْصُورُ الطَّائِرُ الصَّبِي ،
وَكَانَتْ لَهُ فِي النَّصَارَى بِالْأَنْدَلُسِ نِكَايَةٌ كَبِيرَةٌ وَمِنْ
أَعْظَمِهَا غَزْوَةُ الْأَرَكِ^(٢) الَّتِي تَضَاهِي وَصَةَ الزَّلَاقَةِ أَوْ تَرِيدُ .
وَالْأَرَكُ مَوْضِعٌ بِنَوَاحِي بَطْلَيُْوسَ وَكَانَتْ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ
إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَغَنِمَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ مَا عَظُمُ

(١) ابراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك رمي الأصل ، ومفرج أو همشك
نصراني أسلم على يد أحد ملوك بني هود بسرقة ثم اتصل بابن الأحمر
بقرطبة ويحيى بن غانية ، وما زال يفرق حتى صاهره محمد بن مردنيس على
ابنته فاقصده اليااسة والامارة ، ثم كان من نوار الاندلس ذوى النوكه
الحلدة والبأس الشديد حتى قال ابن صفوان :

وديار شكوى الزمان فشتك حدثنا عن عزة ابن همشك
وقلبت به الأحوال حتى هلك بمدينة مكناسة بالمغرب حوالي سنة ٥٧٥
(٢) مكن بالقرتب من قلعة رباح الى القرب منها وشمال قرطبة Alarcos

قَدْرُهُ ، وَكَانَ عِدَّتُهُ مِنْ قُلٍّ مِنَ الْفَرَنْجِ فِيمَا قِيلَ مِائَةَ أَلْفٍ
وَسِتَّةً وَأَرْبَعِينَ^(١) أَلْفًا ، وَعِدَّةُ الْأَسَارَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَعِدَّةُ
الْغِلَامِ مِائَةَ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ خِيَمَةٍ ، وَالْخَيْلِ ثَمَانِينَ أَلْفًا ،
وَالْبَعَالِ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَالْحَمِيرِ أَرْبَعَمِائَةَ أَلْفٍ - جَاءَ بِهَا الْكُفَّارُ
تَحْمِيلُ أَثْقَالِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَا إِبِلَ لَهُمْ - وَأَمَّا الْجَوَاهِرُ وَالْأَمْوَالُ
فَلَا تُحْصَى ، وَيَسِعُ الْأَسِيرُ بِدِرْهِمٍ ، وَالسِّيفُ يَنْصِفُ دِرْهِمٍ
وَالْفَرَسُ بِخَمْسَةِ دَرَاهِمٍ ، وَالْحِمَارُ بِدِرْهِمٍ ، وَقَسَمَ يَعْقُوبُ
الْفَتَنَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِمُقْتَضَى الشَّرْعِ ، وَجَا الْفَنَشُ مَلِكُ
النَّصَارَى إِلَى طَلِيطَةَ فِي أَسْوَأِ حَالٍ^(٢) ، فَخَلَقَ رَأْسَهُ وَلَحِيَّتَهُ ،
وَنَكَّسَ صُلْبِيَهُ ، وَآلَى الْأَيَّامَ عَلَى فِرَاشٍ ، وَلَا يَقْرَبُ
النِّسَاءَ ، وَلَا يَرْكَبُ فَرَسًا وَلَا دَابَّةً حَتَّى يَأْخُذَ بِالثَّأْرِ ،
وَصَارَ يَجْمَعُ مِنَ الْجَزَائِرِ وَالْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ وَيَسْتَعِدُّ

* *

ثُمَّ لَقِيَهِ يَعْقُوبُ وَهَزَمَهُ ، وَسَاقَ خَلْفَهُ إِلَى طَلِيطَةَ وَخَاصَرَهُ
وَرَمَى عَلَيْهَا بِالْمَجَانِيقِ وَصَنَّقَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا قَتْلُهَا ، فَخَرَجَتْ

موازنة بين حكم
السلطين وحكم
الفرنج

(١) في بعض النسخ : وستة وخمسين ألفا . (٢) فرمنهزما بعد أن عابن الحمام
ونجا برأس طمرة ولجام ، وقنع من القنينة بالانياب «أحمد يوسف نجاتي»

إِلَيْهِ وَالِدَةُ الْأَذْفُونِسِ وَبَنَاتُهُ وَنِسَاؤُهُ، وَبَكَيْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَسَأَلَتْهُ إِبْقَاءَ الْبَلَدِ عَلَيْهِنَّ، فَرَقَّ لَهُنَّ وَمَنْ عَلَيْهِنَّ بِهَا،
وَوَهَبَ لَهُنَّ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجَوَاهِرِ مَا جَلَّ، وَرَدَّهُنَّ
مُكْرَمَاتٍ، وَعَفَا بَعْدَ الْقُدْرَةِ^(١)، وَعَادَ إِلَى قُرْبَةِ فَأَقَامَ
شَهْرًا يُقْسِمُ الْفَنَاءَ، وَجَاءَتْهُ رُسُلُ الْفَنَسِ يَطْلُبُ الصِّلَحَ
فَصَالَحَهُ، وَأَمِنَ النَّاسُ مُدَّتَهُ، وَفِيهِ يَقُولُ بَعْضُ شُعْرَاءِ
عَصْرِهِ^(٢) :

أَهْلُ بَأْنٍ يُسْعَى إِلَيْهِ وَيُرْتَجَى
وَيُرَارَ مِنْ أَفْصَى الْبِلَادِ عَلَى الرَّجَا
مَنْ قَدْ غَدَا بِالْمَكْرُمَاتِ مُقْلَدًا
وَمَوْشَحًا وَمُخْتَمًا وَمُتَوَجًّا

(١) شمس المداوة حتى يستفاد لهم وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا
وكان ذلك سنة ٥٩٣ هـ فلم يبق لأفريقية بعد ذلك قدرة على لقائه وضافت
عليهم الأرض بما رحبت فأرسلوا إليه يلتمسون منه الصلح فأجابهم إلى
ذلك لما بلغه من أخبار علي بن إسحق بن محمد بن علي بن غانية السلولي
للهم « وأنه قدخرج عليه من جزيرة ميورقة وعاش في بلاد إفريقية »
وتوفي لللك للنصور سنة ٥٩٥ هـ وكان مولده سنة ٥٥٤ هـ (٢) مدح بهذا
الشعر حين طلب منه الفونس الصلح فأجابه إليه . « أحمد يوسف نجاتي »

عَمَرَتْ مَقَامَاتُ الْمُلُوكِ بِذِكْرِهِ
وَلَمَطَرَتْ مِنْهُ الرِّيحُ تَارُجًا

وَلَمَّا أُرْسِلَ لَهُ الْأُسْلُطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ بْنُ أَيُّوبَ
شَمْسُ الدِّينِ بْنُ مُنْقِذٍ^(١) يَسْتَنْجِدُ بِهِ عَلَى الْفَرَجِ الْخَارِجِينَ
عَلَيْهِ بِسَاحِلِ الْبِلَادِ الْمُقَدَّسَةِ وَلَمْ يُخَاطَبْهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
لَمْ يُجِبْهُ إِلَى مَا طَلَبَهُ ، وَكُلُّ ذَلِكَ سَنَةً سَمِعَ وَثَمَانِينَ
وَحَمْسِمِائَةٍ ، وَمَدَحَهُ أَنْ مُنْقِذٍ بِقَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ :
سَأَشْكُرُ بِحَرٍّ ذَا عِبَابٍ^(٢) قَطَعَتْهُ

ماداري بن يعقوب
وصلاح الدين
الأيوبي

إِلَى بَحْرِ جُودٍ مَا لِأَخْرَافِ سَاحِلٍ

(١) هو شمس الدولة أبو الحرث عبد الرحمن بن نجم الدولة أبي عبد الله محمد بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني ، وكان عمه أسامة بن مرشد للقب مؤيد الدولة مجد الدين من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر وعلماهم وشجعانهم ، وكان يسكن دمشق ثم نبت به كما نبتوहार بالكرام فانتقل إلى مصر مكرمة الضيوف وملجأ كل مظلوم ملهوف فبقى بها مؤمرا منارا إليه بالتظيم إلى أيام الصالح بن رزيك ، ثم عاد إلى الشام وسكن دمشق وتوفي بها سنة ٥٨٤ هـ وتوفي والده أبو أسامة مرشد سنة ٥٣١ هـ - أما أبو الحرث رسول الملك صلاح الدين فتوفي سنة ٦٠٠ هـ بالقاهرة ومولده في شيزر سنة ٥٢٣ هـ وكان أديبا له نظم وشر جيدان « أحمد يوسف نجاشي » (٢) عباب : موج متلاطم

إِلَى مَعْدِنِ التَّقْوَى إِلَى كَنْبَةِ النَّدَى
 إِلَى مَنْ سَمَتْ بِاللَّذِّ كَرِمَتُهُ الْأَوَائِلُ
 إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ تَزَلْ
 إِلَى بَابِكَ الْأَمْوَالُ تُزْجَى الرَّوَاحِلُ^(١)
 قَطَعْتُ إِلَيْكَ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ مُؤْمِنًا
 بِأَنَّ نَدَاكَ الْغَمْرَ بِالنَّجْحِ كَافِلُ
 وَحُزْتُ بِقَصْدِكَ الْأَمْلَا قَبْلَتُهَا
 وَأَدْنَى عَطَايَاكَ الْأَمْلَا وَالْفَوَاضِلُ
 فَلَا زِلْتَ لِلْعَلِيَاءِ وَالْجُودِ بَإِنِيَا
 تُبْلُغُنِيكَ الْأَمَالَ مَا أَنْتَ آمِلُ
 وَعِدَّتُهَا أَرْبَعُونَ يَتَا، فَأَعْطَاهُ بِكُلِّ يَتَا وَقَالَ لَهُ:
 إِنَّمَا أُعْطِينَاكَ لِفَضْلِكَ وَلِيَّتِكَ . وَكَانَ عُنْوَانُ الْكِتَابِ
 الَّذِي أَرْسَلَهُ صَلَاحُ الدِّينِ « إِلَى أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ » وَفِي أَوَّلِهِ

(١) تزجي: تساق، والرواحل جمع راحلة، وهي ما يرحل عليها من الابل، يريد أنه مقصد الطالبين واليه تضرب أكباد الابل، وإلى بابيه يقصد العافون والراجون

الْقَعِيدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ ، وَبَعْدَهُ مِنْ إِنْشَاءِ
الْفَاضِلِ ^(١) : اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَعْمَلَ عَلَى الْعِلَّةِ الْخَنِيفَةَ ^(٢)
مَنْ اسْتَعْمَرَ الْأَرْضَ ^(٣) ، وَأَغْنَى مِنْ أَهْلِهَا مَنْ سَأَلَهُ
الْقَرْضَ ^(٤) ، وَأَجْرَى مَنْ أَجْرَى ^(٥) عَلَى يَدِهِ النِّافِلَةَ

(١) هو القاضي الفاضل مجير الدين أبو علي عبد الرحيم بن القاضي
الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي بن القاضي الععيد أبي محمد محمد بن
الحسن بن الحسين بن أحمد بن الفرّج بن أحمد البخمي اليساني
المسقلاني المولود للصرى الدار ، كان صاحب دواوين الانشاء ووزير السلطان
الملك الناصر صلاح الدين وتمكن منه غاية التحكم وبرز في صناعة الانشاء
وله فيه غرائب ، وهو صاحب الطريقة الفاضلية في الكتابة وهو من الشهرة
بحيث لا يخفى ، ولد بمدينة عسقلان سنة ٥٢٩ « وتولى أبوه القضاء بمدينة
يسان فلها نسبوا اليها » وتوفى بالقاهرة سنة ٥٩٦ ودفن هو والناطبي
في قبر واحد بالقرافة (٢) يرسملة الاسلام وفي الحديث : « بشت بالخنيفة
السمحة » : السهلة والخفيف هو المائل الى الاستقامة ، والمستقيم . قال الشاعر
تعلم أن سيديكم الينا طريق لا يجوز بكم حنيف

(٣) يشير الى قوله تعالى : « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها »
وقوله تعالى : « ان الأرض يرثها عبادى الصالحون » (٤) يشير
الى قوله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له الخ »
(٥) أظن أن أجرى الأولى من الجرى وهو الوكيل والرسول الجارى فى
الأمر ، وقد أجرافى حاجته ، وأجرى أرسل وكلا ، وأجرى الثانية جله
جارياً دائماً ، وجرت الأمور على يد فلان اذا انتظمت سائرة . وأرى أن أجرى
الأولى هنا عرقعة « أجر » من الاجر وهو حسن الجزاء وعن (أجرى)

وَأَفَرَضَ ، وَزَيَّنَ سَمَاءَ الْمَلَّةِ بِدَرَارِي الْقَرَارِي الَّتِي بَعْضُهَا
مِنْ بَعْضٍ ^(١) . وَهُوَ كِتَابٌ طَوِيلٌ سَأَلَهُ فِيهِ أَنْ يَقْطَعَ
عَنْهُ مَادَّةَ الْبَحْرِ ^(٢) ، وَاسْتَنْجَدَهُ عَلَى الْإِفْرَاجِ إِذْ كَانَتْ لَهُ
الْيَدُ عَلَيْهِمْ . وَعَادَ ابْنُ مُنْقِذٍ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ سَنَةَ
ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِغَيْرِ فَايِدَةٍ . وَبَعَثَ مَعَهُ هَدِيَّةً حَقِيرَةً .
وَأَمَّا ابْنُ مُنْقِذٍ فَإِنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَغْنَاهُ ، لَا لِأَجْلِ
صَلَاحِ الدِّينِ بَلْ لِيَتَّي وَفَضْلِهِ كَمَا مَرَّ . وَمَا وَقَعَ مِنْ
يَقُوبَ فِي صَلاَحِ الدِّينِ إِنَّمَا هُوَ لِأَجْلِ أَنَّهُ لَمْ يُوقَهُ
حَقُّهُ فِي الْخُطَابِ ^(٣) .

(١) يشير الى قوله تعالى : « ذرية بعضها من بعض » والفرارى جمع
درى وهو الكوكب الساطع (٢) يريد الاستعانة به في الحروب المليية
التي أجلبت فيها الأمم للسيحية بخيلها ورجلها على صلاح الدين وانقضت
على البلاد من كل جهة وتتابعت أساطيلهم بالمدد من كل ناحية لتلك
الثغور القريبة من بيت المقدس « وكان صلاح الدين قد افتتحه سنة
٥٨٣ » واعترضوا أسطول صلاح الدين في البحر ولم تقاومهم أساطيل
الاسكندرية لضغها يومئذ عن ثمانتهم فبعث صلاح الدين صريحه الى
النصور سنة ٥٨٥ يطلب منه اعانتة بالأساطيل وامداده بها لمنازلة عكا
وصور وطرابلس الشام ولتحول في البحر بين أساطيل الفرنج وامداد دول
أوربة بها فيقطع عنهم تلك اللادة ويكني صلاح الدين شرموا لاتها
(٣) معنى أنه تخافى عن خطابه بأمرير المؤمنين فلم يرفقه ذلك وأسرها في



« رَجَعُ » وَلَمَّا اسْتَفْعَلَ أَمْرُ الْمُؤَحِّدِينَ
 بِالْأَنْدَلُسِ اسْتَعْمَلُوا الْقَرَابَةَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَكَانُوا
 يُسَمُّوهُمْ السَّادَةَ ، وَأَقْتَسَمُوا وِلَايَتَهَا بَيْنَهُمْ ، وَلَهُمْ مَوَاقِفُ
 فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ مَذْكُورَةٌ . وَكَانَ صَاحِبُ الْأَمْرِ بِمَرَاكُشَ
 يَأْتِي الْأَنْدَلُسَ لِلجِّهَادِ ، وَهَزَمَ يَعْقُوبُ الْمَنْصُورُ - كَمَا
 سَبَقَ قَرِيبًا بِالْأَرْلِ - ابْنَ أَذْفُونَشَ مَلِكِ الْجَلَالَةِ الْهَزِيغَةِ
 السَّنَاءِ ، وَأَجَارَ ابْنَهُ النَّاصِرُ ^(١) الْوَالِي بَعْدَهُ الْبَحْرَ إِلَى
 الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْمَغْرِبِ سَنَةً تِسْعَ وَسِتِّينَ وَمَعَهُ مِنَ
 الْجُنُودِ مَا لَا يُحْصَى ، حَتَّى حَكَى بَعْضُ الثَّقَاتِ مِنْ مُوَرِّخِي
 الْمَغْرِبِ أَنَّهُ اجْتَمَعَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ
 سِتِّينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، فَحَصَّ ^(٢) اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَوْضِعِ
 الْمَعْرُوفِ بِالْعُقَابِ ^(٣) وَاسْتَشْهَدَ مِنْهُمْ عِدَّةٌ ، وَكَانَتْ سَبَبَ

استعمال السادة
على الأندلس

نفسه و « لله الأمر من قبل ومن بعد » (١) هو أبو عبد الله محمد الناصر
 لدين الله بن يعقوب النصور بالله. بويج يوم وفاة أبيه في شهر ربيع الأول
 سنة ٥٩٥ هـ وتوفي في شعبان سنة ٦١٠ (٢) أي بلاهم واختبرهم (٣) التقى
 الجمعان بموضع يعرف بحصن العقاب - والعقاب « بكسر العين » جمع

صَفِّ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ، أَمَّا الْمَغْرِبُ فَبِحَلَا^(١) كَثِيرٍ مِنْ
قُرَاهُ وَأَقْطَارِهِ، وَأَمَّا الْأَنْدَلُسُ فَبِعَلَبِ الْمَدُونِ عَلَيْهَا، لِأَنَّهُ لَمَّا
الَّتَاتِ^(٢) أَمْرُ الْمُوحِدِينَ بَعْدَ النَّاصِرِ بْنِ الْمَنْصُورِ أَنْتَزَى
السَّادَةُ بَنُو أَحْيَى الْأَنْدَلُسِ كُلِّ فِي عَمَلِهِ، وَصَفِّ مُلْكِهِمْ
بِمَرَاكُسَ، فَصَارُوا إِلَى الْأَسْنَجَاشَةِ^(٣) بِالطَّاعَةِ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ، وَإِسْلَامِ حُصُونِ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ، فَمَشَتْ
رِجَالَاتُ الْأَنْدَلُسِ وَأَعْقَابُ الْقَرْبِ مِنْذُ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ
وَأَجْمَعُوا عَلَى اخْرَاجِهِمْ، فَاتَّارُوا بِهِمْ^(٤) لِيَجِيئَ وَاحِدٌ وَأَخْرَجُوهُمْ،
وَتَوَلَّى كَبِيرَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ هُوْدِ الْجَذَامِيِّ النَّشِيرُ
بِالْأَنْدَلُسِ وَأَبْنُ مَرْدَنِشَ وَتُوَارَ آخَرُونَ .

عقبة ، وتسمى الواقعة بذلك أيضا ، سمت العرب تلك السهول بهذا الاسم
لكثرة ما كان فيها من العقبات التي كانت سببا في خذلانهم واتصار
جيوش النصرانية عليهم اتصارا باهرا تعزقت معه جيوش المسلمين على
كثرتها حتى لم ينج منهم الا عدد قليل وقد تسمى (العقاب) بضم العين أيضا
(١) أى خلو ، وفى بعض المراجع (فجلاء) (٢) أى اختلط واضطرب
(٣) أى الاستعانة وطلب الامداد بالجيوش (٤) فى الاصل « فصاروا به »
وفى ابن خلدون « قتلوا بهم » فاترنا فيه « على كثرة تصحيفه وتحريفه »



دولة بنى هود

وَقَالَ ابْنُ خَلْدُون: ثُمَّ خَرَجَ عَلَى ابْنِ هُودٍ فِي دَوْلَتِهِ مِنْ
أَعْقَابِ دَوْلَةِ الْعَرَبِ أَيْضًا وَأَهْلُ نَسَبِهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ
نَصْرِ الْمَعْرُوفِ بْنِ الْأَحْمَرِ، وَتَلَقَّبَ مُحَمَّدٌ هَذَا بِالشَّيْخِ، فَجَادَبَهُ
الْجَلْبُ، وَكَانَتْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا دَوْلَةٌ أَوْرَثَهَا بَنِيهِ. أُنْتَهَى.
وَكَانَ ابْنُ هُودٍ ^(١) يَخْطُبُ لِلْعَبَّاسِيِّ صَاحِبِ بَغْدَادَ، ثُمَّ
حَصَلَتْ لِبَنِي هُودٍ وَأَعْقَابِهِ حُرُوبٌ وَخُطُوبٌ إِلَى أَنْ كَانَ

(١) هو الأمير محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العظيم بن أحمد بن
سليمان السعدي بن محمد بن هود ناز بجبهة مرسية بعد موت السنصر
سنة ٦٢٠ وفشل دولة الوحدين واختلاف السادة الذين كانوا أمراء
بيلنسية ، وهو من أعقاب بنى هود من ملوك الطوائف ، وخطب الخليفة
السنصر العباسي ، وهزم جيش الوحدين وتسمى بأمر المسلمين ، وبعد
حروب وثورات استولى على كثير من البلاد حتى بويع للسلطان محمد
ابن يوسف بن نصر سنة ٦٢٩ بأرجونة، ودعا لأبي زكريا الحفصي صاحب
إفريقية. وتنازع ابن الأحمر وابن هود رياسة الأندلس، وفي سنة ٦٣١
وصل خطاب الخليفة للسنصر العباسي الى ابن هود من بغداد ولقبه
للتوكل ، وفد به أبو علي الحسن بن علي بن حسن بن الحسين الكري
لللقب بالكمال ، وجاء بالراية والخلع والعهد ، وقدم على ابن هود بذلك في
غرناطة في يوم مشهود - ثم تولى للتوكل سنة ٦٣٥ فولى من بعده مرسية
ابنه أبو بكر محمد وتلقب بالواثق الخ وكانت خطوب استولى الافرنج فيها
على كثير من حصون الأندلس ، ثم استقرت قدم ابن الأحمر في الملك
وأورثه بنيه من بعده وألفه غالب على أمره « أحمد يوسف نجاتي »

آخِرُهُمُ الْوَاتِقُ بْنُ الشَّوَكْلِ ، فَضَايِقَةُ الْفَنَشِ وَالْبَرْشَلُونِ ،
فَبَعَثَ بِالطَّاعَةِ لِابْنِ الْأَخْمَرِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ أَشْقِيلُولَةَ ^(١)
وَسَلَّمَ مُرْسِيَةً مِنْهُ ، وَخَطَبَ لِابْنِ الْأَخْمَرِ بِهَا ، ثُمَّ خَرَجَ
مِنْهَا رَاجِعًا إِلَى ابْنِ الْأَخْمَرِ ، فَأَوْقَعَ بِهِ النَّصَارَى فِي طَرِيقِهِ ،
ثُمَّ رَجَعَ الْوَاتِقُ إِلَى مُرْسِيَةٍ ثَالِثَةٍ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ مَلَكَهَا
الْمَدَوُّ مِنْ يَدِهِ سِتَّةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَسِتِّينَ ، وَعَوَّضَهُ عَنْهَا
حِصْنًا يُسَمَّى يُسْرَ وَهُوَ مِنْ عَمَلِهَا ، فَبَقِيَ فِيهِ إِلَى أَنْ هَلَكَ
وَأَنْقَرَضَتْ دَوْلَةُ ابْنِ هُودٍ ، وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا
وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ



« رَجَعَ » إِلَى ذِكْرِ دَوْلَةِ أَوْلَادِ الْأَخْمَرِ لِأَنَّ لِسَانَ
الدِّينِ وَزَيْرُ أَحَدِهِمْ ، وَلِأَنَّهُمْ آخِرُ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ ، وَمِنْ
يَدِهِمْ أَسْتَوَى النَّصَارَى عَلَى جَمِيعِهَا كَمَا سَنَذْكُرُهُ ،

(١) هو عبدالله بن علي ، وكان بنو أشقيلولة « وهم من سادة البربر » أصهارا
لبنى نصر قرابة ابن الأحمر ، وبهم كانت له عصية ، وكانوا من وجوه الاندلس
وأهل الرياسة بها حتى صاهرهم ابن الأحمر بابنته وأخته وقاموا معه في
رفع قواعد ملكه ، ثم انصرفوا عنه إلى موالاة بني مرين ، وتزل محمد بن
عبد الله بن أبي الحسن منهم إلى السلطان يعقوب عن مائة ، وكان
انقراضهم في آخر دولة بني مرين . « أحمد يوسف نجاتي »

وَقِيلَ: أَصْلُهُمْ مِنْ أَرْجُونَة^(١) مِنْ حُصُونِ قَرْطَبَةَ، وَلَهُمْ فِيهَا
سَلَفٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْجُنْدِ، وَيُعرفُونَ بِنَبِيٍّ نَصْرٍ، وَيَنْتَسِبُونَ إِلَى
سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ سَيِّدِ الْخَزَرَجِ، وَكَانَ كَبِيرَهُمْ لَا حَرَّ دَوْلَةَ
الْمُوحِدِينَ مُحَمَّدٌ^(٢) بْنُ يُونُسَ بْنِ نَصْرٍ، وَيُعرفُ بِالشَّيْخِ
وَأَخُوهُ إِسْمَاعِيلُ، وَكَانَتْ لَهُ وَجَاهَةٌ فِي نَاحِيَّتِهِمْ. وَلَمَّا
فَشِلَتْ^(٣) رِيحُ الْمُوحِدِينَ، وَأَنْتَزَى^(٤) الثَّوَارُ بِالْأَنْدَلُسِ
وَأَعْطَى أَسَادَهُ حُصُونَهَا لِلطَّاعِيَةِ، وَأَسْتَقَلَّ بِأَمْرِ الْجَمَاعَةِ
مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ هُوْدِ الثَّائِرُ بِمُرْسِيَةِ بِدَعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ
وَتَغَلَّبَ عَلَى شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ أَجْمَعَ تَصَدَّى الشَّيْخُ هَذَا لِلثَّوْرَةِ
عَلَيْهِ، وَبُويِعَ لَهُ سَنَةٌ تِسْعٌ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةً، وَدَعَا لِأَبِي
زَكَرِيَّا صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةِ^(٥)، وَأَطَاعَتْهُ جَيَّانُ وَشَرِيشُ سَنَةَ

(١) أَرْجُونَة : بلد من ناحية جيان جنوبي قرطبة (٢) في الأصل
(نصر) ابن يوسف وهو خطأ (٣) أى ضعف أمرهم وولت دولتهم
(٤) انتزى الثوار الخ : طمحووا ونازعوا اليها . (٥) هو الأمير اللوى
أبوزكريا يحيى بن أبى محمد عبد الواحد بن أبى بكر بن أبى حفص
عمر بن يحيى بن محمد « المتتافى » « من قبيلة هنتانة من أكثر
قبائل الصامدة جمعا ، وهم القافقون بدعوة للهدى بن تومرت والسابقون
اليها » من دولة بنى حفص ، من بقية الموحدين ، ولد الأمير أبوزكريا

ثَلَاثِينَ بَعْدَهَا ، وَاسْتَظْهَرَ عَلَى أَثَرِهِ بِقَرَابَتِهِ مِنْ بَنِي نَصْرِ
وَأَصْهَارِهِ بَنِي أَشْقِيلُولَةَ ، ثُمَّ بَاعَ لِبْنِي هُودٍ سَنَةَ إِحْدَى
وَعَلَاثِينَ عِنْدَ مَا بَلَغَهُ خِطَابُ الْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدَادَ ، ثُمَّ تَارَ
بِإِشْبِيلِيَّةِ أَبُو مَرْوَانَ^(١) الْبَلَجِيُّ عِنْدَ خُرُوجِ ابْنِ هُودٍ عَنْهَا
وَرُجُوعِهِ إِلَى مَرْسِيَّةَ ، فَدَاخَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَحْمَرِ فِي الصُّلْحِ
عَلَى أَنْ يُرَوِّجَهُ أَبْنَتُهُ ، فَطَاعَهُ وَدَخَلَ إِشْبِيلِيَّةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ
وَعَلَاثِينَ ، ثُمَّ قَتَلَ بَابْنَ الْبَلَجِيِّ قَتْلَهُ ، وَتَنَاوَلَ الْبَطْشَ بِهِ
عَلَى بَنِي أَشْقِيلُولَةَ ، ثُمَّ رَاجَعَ أَهْلُ إِشْبِيلِيَّةِ بَعْدَهَا بِشَهْرِ دَعْوَةِ
ابْنِ هُودٍ ، وَأَخْرَجَ ابْنُ الْأَحْمَرِ ، ثُمَّ تَقَلَّبَ عَلَى غَرْاطَةَ سَنَةِ
خَمْسٍ وَعَلَاثِينَ عُدَاخَلَهُ أَهْلُهَا ، حِينَ تَارَ ابْنُ أَبِي خَالِدٍ بِدَعْوَتِهِ
فِيهَا ، وَوَصَلَتْهُ يَمَعُهَا وَهُوَ بِجَبَّانَ ، فَقَدِمَ إِلَيْهَا عَلَى بَنِي
أَشْقِيلُولَةَ ، ثُمَّ جَاءَ عَلَى أَثَرِهِ وَتَزَلَّهَا ، وَأُبْنَتِي بِهَا حِصْنَ

بمراكش سنة ٥٩٩ وبويع بالقيران في شهر رجب سنة ٦٢٥ ، ثم بويع
له بكثير من مدن الأندلس - وكان من العلماء الصالحين العاملين فقها
أديبا ، وجمعت دولته من رؤساء العلماء والشعراء وأهل الملاحم بالجمع
لغيره ، وتوفي سنة ٦٤٧ . (١) هو أحمد بن محمد ، وكان أهل إشبيلية قد
ثاروا وأخرجوا ابن هود ويايسوا لأبي مروان البلجي « أحمد يوسف نجاتي »

الْحَمْرَاءَ لِتُرْوُلِهِ ، ثُمَّ تَغَلَّبَ عَلَى مَالِقَةَ ، ثُمَّ تَنَاوَلَ
الْعَرِيَّةَ^(١) مِنْ يَدِ ابْنِ الرُّمَيْحِيِّ^(٢) وَزِيرِ ابْنِ هُودٍ النَّائِبِ
بِهَا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ ، ثُمَّ بَايَعَهُ أَهْلُ لُورَقَةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ
وَسِتِّينَ . وَكَانَ ابْنُ الْأَحْمَرِ أَوَّلَ أَمْرِهِ وَصَلَ يَدَهُ بِالطَّائِفَةِ
أَسْتَظْهَارًا عَلَى أَمْرِهِ فَعَضَّدَهُ ، وَأَعْطَاهُ ابْنُ هُودٍ ثَلَاثِينَ حِصْنًا
فِي كَفِّ^(٣) غَرْبِهِ ، بِسَبَبِ ابْنِ الْأَحْمَرِ ، وَلِيَمِينَةَ عَلَى مَلِكِ
قُرْطُبَةَ فَتَسَلَّمَهَا ، ثُمَّ تَغَلَّبَ عَلَى قُرْطُبَةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ
وَسِتِّمِائَةَ . أَعَادَهَا اللَّهُ ثُمَّ نَازَلَ إِشْبِيلِيَّةَ سَنَةَ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ ،

(١) للرية Almeria مدينة كبيرة من كورة ألبيرة « وقد سبق
التعريف بها » وهي بين مملكتي مالقة ومرسية على خافة بحر الزقاق .
وكانت مسورة حصينة ومعدودة باب الشرق ومفتاح الرزق ، ولها بر
فضى ، وساحل تبرى ، وبحر زبرجدى ، وأسوارها عالية ، وقلمتها منيعة
شائخة وهوأؤها معتدل ، وكان يعمل بها نوع من الحرير يفوق
في جمال الوصف ماعدها ، والرية ثلاث مدن الأولى من جهة الغرب
تعرف بالحوض الداخلى كان لها سور محفوظ من الأعداء بالسار والحرس
ولا عمارة فيها ، ويلها الى الشرق المدينة القديمة ، وتليها المدينة الثالثة
المروقة بمضى للرية وهي أكبر الثلاث . وجامعها الكبير بالمدينة القديمة
وكان من يدبج الجوامع وأقبحها ، وكان بها دار لصناعة السفن وعمارة
للراكب (٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك الأموى
الريمى وزير ابن هود . وكان يدعوهم ذالوزارتين « أحمد يوسف نجاتى »
(٣) غربه : حدته وقوته وشدته .

وَأَبْنُ الْأَخْمَرِ مَمَّةٌ ، ثُمَّ دَخَلَهَا صُلْحًا وَمَلَكَ أَعْمَالَهَا ، ثُمَّ مَلَكَ
مُرْسِيَةَ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ ، وَلَمْ يَزَلِ الطَّاعِيَةُ يُقْتَطِعُ
مَمَالِكَ الْمُسْلِمِينَ ، كُورَةَ كُورَةَ ، وَتَفَرَّأْتُمْ ، إِلَى أَنْ الْجَاءَ
الْمُسْلِمِينَ إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ مَا بَيْنَ رُنْدَةَ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى
إِلْبِيرَةَ مِنْ مَشْرِقِ الْأَنْدَلُسِ وَذَلِكَ نَحْوُ عَشْرِ مَرَاحِلَ مِنْ
الْمَغْرِبِ إِلَى الشَّرْقِ ^(١) ثُمَّ سَخِطَ ابْنُ الْأَخْمَرِ ، وَطَمِعَ فِي
الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى سَائِرِ الْجَزِيرَةِ ، فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ ، وَتَلَاخَقَ
بِالْأَنْدَلُسِ الْفُزَاةُ مِنْ بَنِي مَرِينَ وَغَيْرِهِمْ ، وَعَقَدَ مَلِكُ
الْمَغْرِبِ يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ ^(٢) لِنَحْوِ ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنْهُمْ

(١) خلاصة ذلك أنه في أيام الشيخ ابن الأحمر وأيام ابن هود
التأثر استعداد العدو المخذول من المسلمين أكثر بلاد الأندلس
وحصونها وبقيت يدهم حتى خرج للمسلمون جميعا منها ، وقد قال تعالى :
« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ، صدق الله العظيم (٢) هو
السلطان يعقوب بن عبدالحق بن محيى بن أبى بكر بن حمادة بن محمد البرنى
« وبنو مَرِينَ ملوك قاس والقرب الأقصى من مشهورى قبائل زناتة
بالغرب » قام السلطان يعقوب بالأمر سنة ٦٥٧ وتوفى سنة ٦٨٤ وكان
ملكاً جليل القدر عظيم الشأن بل هو سيد بنى مَرِينَ وأعظمهم همة
وأكثرهم في المدوجهادا ، وهو رابع اخوة أربعة ولوا الأمر بالمغرب من
(٦ - فتح الطيب - رابع)

فَاجَارُوا فِي حُدُودِ السَّيْنِ وَسَيِّمَانَةٍ ، وَتَقَبَّلَ ابْنُ الْأَخْمَرِ
إِجَارَتَهُمْ ، وَدَفَعَ بِهِمْ فِي نَحْرِ عَدُوِّهِ وَرَجَعُوا ، ثُمَّ تَنَاسَلُوا^(١)
إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ . وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ هَلَكَ الشَّيْخُ
ابْنُ الْأَخْمَرِ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَسَيِّمَانَةٍ ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ
مُحَمَّدُ الْفَقِيه^(٢) وَأَوْصَاهُ بِاسْتِصْرَاحِ بَنِي مَرَيْنَ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ
بَعْدَ الْمُوَحِّدِينَ إِنْ طَرَفَهُ أَمْرٌ أَنْ يَتَضَيَّدَ بِهِمْ ، فَاجَارَ الْفَقِيه^(٣)
إِلَى يَمْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ سُلْطَانَ فَاسَ وَالْمَغْرِبِ سَنَةَ ثَلَاثِينَ
وَسَبْعِينَ ، فَاجَابَ صَرِيحَهُ وَأَرْسَلَ ابْنَهُ^(٤) وَعَسَا كَرَهُ مَعَهُ ،
ثُمَّ أَجَارَ عَلَى أَثَرِهِ ، وَتَسَلَّمَ الْجَزِيرَةَ الْخَضِرَاءَ مِنْ ثَأْرِ كَانَ بِهَا^(٥) ،
وَجَعَلَهَا رِكَابًا لِجِهَادِهِ وَتَزَلَّ إِلَيْهِ ابْنُ الْأَخْمَرِ عَنْ طَرِيفٍ وَمَا
إِلَيْهَا مِنَ الْخُصُوفِ ، وَهَزَمَ هُوَ وَابْنُ الْأَخْمَرِ زَعِيمَ النَّصْرَانِيَّةِ

بنی عبدالحق . وأمه اسمها أم البنین بنت علی ، وكان حليبا متواضعا صالحا
برا مصلحا جوادا مظفرا منصورا رایة میمون النقیبة ، لم یفقد جيشا الا هزمه
ولاعدوا الا فهره ، ولا یلدا الا فتحه رحمه الله تعالى . « أحمد یوسف نجاشی »
(١) أو (نسیاوا) من السیل (٢) عرف بالقیة لما كان یقرأ الكتب من بین
أهل بیته لانتحاله طلب العلم ومطالعة کتبه فی صغره (٣) هو القائد للظفر
الغازی النصور الامیر أبو زیان مندیل (٤) یدعی ابن هشام

« دِنْتَهُ »^(١) ، وَفَرَّقَ جَمْعَهُ^(٢) وَأَوْقَعَ يَجْمُوعِ الطَّاعِيَةِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، وَبَثَّ سَرَايَاهُ وَبُثُونَهُ فِي أَرْضِ النَّصْرَانِيَّةِ ، ثُمَّ خَافَ ابْنُ الْأَحْمَرِ عَلَى مُلْكِهِ وَصَالِحِ الطَّاعِيَةِ ثُمَّ عَادَ . انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ خَلْدُونٍ مُلَخَّصًا .



وَبَثَّتْ عَقِبُ بَنِي الْأَحْمَرِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأُسْتُوَلُوا عَلَى جَمِيعِ مَا بِيَدَيِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مُلْكٍ مِثْلِ الْجَزِيرَةِ وَطَرِيفَ وَرُنْدَةَ الَّتِي كَانَتْ يَدِ بَنِي مَرِينٍ ، وَبَعْدَ مُدَّةٍ^(٣)

(١) في الأصل « دينته » وهو تحريف (٢) كان ذلك سنة ٦٧٤ .
(٣) في الأصل « وقعد مدة » وهو تحريف غريب مقصد ، وإنما يستقيم المعنى ويصلح الكلام ويطابق الواقع ويوافق التاريخ بما عملناه « وبعد مدة » - وألب القوم إليه إذا أتوه من كل جانب ، وألب الجيش إذا تجمع كتائب ، وقد تألبوا عليه أي تظاهروا ، وألب : أسرع ، وألب إليه « كضرب » عاد ورجع - والألب التدبير على العدو من حيث لا يعلم وهم عليه لب واحد : أي مجتمعون عليه بالظلم والمداوة - وبيان ما يريد أنه المارئي من بني مرين كان قد انقطع غزوهم عن الأندلس حينما من الدهر منذ دولة السلطان يوسف بن يعقوب لاشتغاله في آخر أمره بمحاصر تلمسان واشتغال حشدته من بعده بأمر الغرب مع قصر مدتهم فتناول العدو وراء البحر على المسلمين بسبب هذه الفترة التي استراح فيها من شدة بني مرين الذين كانوا شجي في صدره وغصة في حلقه وقذى في عينه ، فاشتد كلبه على قنور البلاد ، ولا أفضى أمر للغرب إلى السلطان أبي سعيد

نبوت قدم بني
الأحمر بالأندلس

أَلَبَ مُلُوكُ النَّصَارَى سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَسَبْعِينَ عَلَى غِرْنَاطَةَ،
وَجَاءَهَا الطَّاغِيَةُ دُونُ بَطْرُةٍ فِي جَيْشٍ لَا يُحْصَى وَمَعَهُ خَمْسَةُ
وَعِشْرُونَ مَلِكًا.



وقفة بطرّة

وَكَانَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الْوَقْعَةِ أَنَّ الْأَفَرَنْجِ حَشَدُوا
وَجَمَعُوا وَذَهَبَ سُلْطَانُهُمْ « دُونُ بَطْرُة » إِلَى طَلِيْطَلَةَ
وَدَخَلَ عَلَى مَرْجِمِهِمُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْبَابَا، وَسَجَدَ لَهُ وَتَضَرَّعَ
وَطَلَبَ مِنْهُ أَسْتِنْصَالَ مَا بَقِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَنْدَلُسِ
وَأَكْدَ عَزْمَهُ، فَقَلِقَ^(١) الْمُسْلِمُونَ بِغِرْنَاطَةَ وَغَيْرَهَا، وَعَزَمُوا
عَلَى الْأِسْتِنْجَادِ بِالْمَرْبِيِّ أَبِي سَمِيدٍ صَاحِبِ فَاَسَ، وَأَفْعَدُوا
إِلَيْهِ رُسُلًا، فَلَمْ يَنْجِعْ ذَلِكَ الدَّوَاءَ، فَارْجَعُوا إِلَى أَعْظَمِ
الْأَذْوِيَةِ وَهُوَ اللَّجَأُ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - وَأَخْلَصُوا النِّيَّاتِ، وَأَقْبَلَ
الْأَفَرَنْجِ فِي جُمُوعٍ لَا تُحْصَى، فَقَضَى نَاصِرٌ مِنْ لَا نَاصِرَ لَهُ

عثمان بن يعقوب بن عبد الحق « تولى سنة ٧١٠ » اشتغل في صدر دولته
بأمر ولده أبي علي عمر وخروجه عليه « وأمه كانت من سبائا الفرنجة » فأنهز
العدو بطرّة بن شاذة هذه الفرصة وارقب هذه الفترة في الأندلس وزحف
في جموعه الى غرناطة سنة ٧١٨ وكان منه ما هو مذكور هنا
« أحمد يوسف نجاشي » .

(١) في الأصل « ضلّق » وهو تحريف يجعل للمنى معطفا قلعا .

سِوَاهُ يَهْزِمُ أَمْرَ النَّصْرَانِيَّةِ وَكُتِلَ طَاغِيَهُمْ « دُونُ بَطْرَةِ »
وَمَنْ مَعَهُ ، وَكَانَ نَصْرًا غَزِيرًا وَيَوْمًا مَشْهُورًا مَشْهُودًا ،
وَكَانَ السُّلْطَانُ إِذْ ذَاكَ بِالْأَنْدَلُسِ الْغَالِبُ بِاللَّهِ أَبُو الْوَلِيدِ
إِسْمَاعِيلُ بْنُ الرَّيِّسِ أَبِي سَعِيدٍ فَرَجِ بْنِ نَصْرِ الْمَرْكُوفِ
بِابْنِ الْأَحْمَرِ ^(١) رَغِبَ أَنْ يُحَصِّنَ الْبِلَادَ وَالنُّجُومَ ، فَلَمَّا بَلَغَ
النَّصَارَى ذَلِكَ عَزَمُوا عَلَى مُنَازَلَةِ الْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ ، فَاتَّخَذَ
السُّلْطَانُ ابْنَ الْأَحْمَرِ لِرَدِّهِمْ ، وَجَهَّزَ الْأَسَاطِيلَ وَالرُّجَالَ .
فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ طَلَبُوا إِلَى طَلِيْطَلَةَ وَعَزَمُوا عَلَى اسْتِنْفَالِ
الْمُسْلِمِينَ وَبِلَادِهِمْ ، وَتَاهَبُوا لِذَلِكَ غَايَةَ الْأَهْبَةِ ، وَوَصَلَتْ
الْأَنْقَالُ وَالْمَجَانِيْقُ وَآلَاتُ الْحِصَارِ وَالْأَقْوَاتُ فِي
الْمَرَاكِبِ ، وَوَصَلَ الْعَدُوُّ إِلَى غَرْنَاطَةِ ، وَامْتَلَأَتِ الْأَرْضُ بِهِمْ
فَتَقَدَّمَ السُّلْطَانُ إِلَى شَيْخِ الْغَزَاةِ الشَّيْخِ الْعَالِمِ أَبِي سَعِيدٍ
عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ ^(٢) الْمَرْبُوعِيِّ بِالْخُرُوجِ إِلَى لِقَائِهِمْ بِأَتْمَادٍ

(١) هو عثمان بن أبي العلاء ادريس بن عبد الله بن عبدالحق، ولى مشيخة
الغزاة بالاندرلس وكانت له في جهاد الاعداء البلبليضاء، وكان بطلامقداما
وعلا أمره بالاندرلس، وزاحم بنى الاحمر ملوكها في رياستهم وجبايتهم
حتى كاد يستولى على الامر من ايديهم، وشرقوا بداته ومارسهم ومارسوه
مدة طويلة، وعدلوا في أمره الى الصانعة والمجملعة الى أن توفي سنة ٧٣٠

الْمُسْلِمِينَ وَشُجْبَانِهِمْ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْخَيْمِ الْمَوْفَى
عَشْرِينَ لِرَّيْعِ الْأَوَّلِ ، وَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْأَحَدِ أَغَارَتْ
سَرِيَّةٌ مِنَ الْعَدُوِّ عَلَى سَرِيَّةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِمْ
جَمَاعَةٌ مِنْ فُرْسَانَ الْأَنْدَلُسِ الرُّمَاءِ فَقَطَعُوهُمْ عَنِ الْجَيْشِ ،
وَفَرَّتْ تِلْكَ السَّرِيَّةُ أَمَامَهُمْ إِلَى جِهَةِ سُلْطَانِهِمْ ، فَتَبِعَهُمُ
الْمُسْلِمُونَ إِلَى الشُّبْحِ فَاسْتَأْصَلُوهُمْ ، وَكَانَ هَذَا أَوَّلَ النَّصْرِ^(١) ،
وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ رَكِبَ الشَّيْخُ أَبُو سَعِيدٍ لِقِتَالِ الْعَدُوِّ
فِي خَمْسَةِ آلَافٍ مِنْ أَبْطَالِ الْمُسْلِمِينَ الْمَشْهُورِينَ ، فَلَمَّا
شَاهَدَهُمُ الْفَرَنْجُ عَجِبُوا مِنْ إِقْدَامِهِمْ مَعَ قِلَّتِهِمْ فِي تِلْكَ
الْجُيُوشِ الْعَظِيمَةِ ، فَكَبُّوا وَحَمَلُوا يَحْمِلَتِهِمْ عَلَيْهِمْ ، فَانْهَزَمَ
الْفَرَنْجُ أَقْبَحَ هَزِيئَةٍ ، وَأَخَذَتُهُمُ السُّيُوفُ ، وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ
يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . وَخَرَجَ أَهْلُ غَرْنَاطَةَ

(١) إياك أن تظن أن ذلك بفضل الدعاء وبركة الذكر وقراءة الاوراد، ولكنه كان بالعمل بقوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عمو الله وعدوكم » ، وبالاقتداء بالقول للأنور الذي يعمل به كثيرا دول أوربة « الحرب خدعة » وارجع الى كتب التاريخ في هذه النزوة سنة ٧١٩ تعرف صدق ذلك « أحمد يوسف نجاتي »

لِجَمْعِ الْأَمْوَالِ وَأَخَذِ الْأَسْرَى ، فَاسْتَوَلَوْا عَلَى أَمْوَالِ
عَظِيمَةٍ مِنْهَا مِنَ الذَّهَبِ فِيمَا قِيلَ: ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعُونَ
قِنْطَارًا ، وَمِنْ الْفِضَّةِ مِائَةٌ وَأَرْبَعُونَ قِنْطَارًا ، وَمِنْ السِّيِّ
مِ سَبْعَةٌ آلافٍ قَسٍّ ، حَسَبًا كَتَبَ بِذَلِكَ بَعْضُ
الْعُرَنَاطِيِّينَ إِلَى الدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ . وَكَانَ مِنْ مُجَلَّةِ الْأَسَارَى
أُمْرَأَةُ الطَّاغِيَةِ وَأَوْلَادُهُ فَبَدَّلَتْ فِي نَفْسِهَا مَدِينَةَ طَرِيفَ
وَجَبَلَ الْقَنْعِ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ حِصْنًا فِيمَا حَكَى بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ ،
فَلَمْ يَقْبَلِ الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ ^(١) ، وَزَادَتْ عِدَّةُ الْقَتْلِ فِي هَذِهِ
الْفُرُوزَةِ عَلَى خَمْسِينَ أَلْفًا ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ هَلَكَ مِنْهُمْ بِالْوَادِي
مِثْلُ هَذَا الْعَدَدِ ، لِعَدَمِ مَعْرِقَتِهِمْ بِالطَّرِيقِ . وَأَمَّا الَّذِينَ
هَلَكُوا بِالْجِبَالِ وَالشَّعَابِ فَلَا يُحْصَوْنَ ، وَقُتِلَ الْمُلُوكُ
الْخَمْسَةُ وَالْعِشْرُونَ جَمِيعُهُمْ ، وَاسْتَمَرَ الْبَيْعُ فِي الْأَسْرَى
وَالْأَسْلَابِ وَالنَّوَابِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، وَوَرَدَتْ الْبَشَائِرُ بِهَذَا

(١) قد يكون ذلك في مثل تلك الأيام، وهذه الأحوال من خطأ الرأي
وضف السياسة أو لعل لهم غرضاً من ذلك . «أحمد يوسف نجاشي»

النَّصْرَ الْعَظِيمَ إِلَى سَائِرِ الْبِلَادِ. وَمِنْ الْعَجَبِ: أَنَّهُ لَمْ يُقْتَلَ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْأَجْنَادِ سِوَى ثَلَاثَةِ عَشَرَ فَارِسًا، وَقِيلَ
عَشْرَةُ أَنْفُسٍ، وَقِيلَ: كَانَ عَسْكَرُ الْإِسْلَامِ نَحْوَ أَلْفٍ
وَحَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ، وَالرَّجَالُ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ رَاجِلٍ،
وَقِيلَ دُونَ ذَلِكَ، وَكَانَتْ الْفَنِيمَةُ تَقُوقُ الْوَصْفَ، وَسُلِخَ
الطَّاعِيَةُ «دُونَ بَطْرْمَةَ» وَحُشِيَ جِلْدُهُ قُطْنًا، وَعُلِقَ عَلَى بَابِ
غَرْفَاطَةَ، وَبَقِيَ مُعَلَّقًا سَنَوَاتٍ، وَطَلَبَتِ النَّصَارَى الْهُدَنَةَ
فَقُتِلَتْ لَهَا بِمَدَنٍ أَنْ مَلَكَوْا جَبَلَ الْفَتْحِ الَّذِي كَانَ مِنْ
أَعْمَالِ سُلْطَانِ فَارِسَ وَالْمَغْرِبِ - وَهُوَ جَبَلُ طَارِقٍ - وَلَمْ يَزَلْ
بِأَيْدِيهِمْ إِلَى أَنْ أُرْتَجِمَهُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو الْحَسَنِ الْعَرِينِيُّ^(١)
صَاحِبُ فَارِسَ وَالْمَغْرِبِ بَعْدَ أَنْ أَتَقَقَّ عَلَيْهِ الْأَمْوَالُ، وَصَرَفَ

(١) هو السلطان النصور بالله أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن
عبد الحق قام بالامر بعد وفاة أبيه السلطان أبي سعيد سنة ٧٣١ وهو
أنغم مالوك بني مرين دولة، وأضحهم ملكا، وأبدهم صيتا، وأعظمهم أبهة،
وأكثرهم بالفرين والاندلس آثارا توفي - رحمه الله - سنة ٧٥٢ - وقد
عليه السلطان محمد بن اسمعيل بن الأحمر سنة ٧٣٢ بدار ملكه فارس
فأقدمه بالجند وعقد لابنه أبي مالك على جيش استرد جبل الفتح سنة
٧٣٣ وكان الأفريق قد استولوا عليه سنة ٧٠٩

إِلَيْهِ الْجُنُودَ وَالْخُشُودَ وَنَازَلَتْهُ جُيُوشُهُ مَعَ وَلَدِهِ وَخَوَاصِّهِ
وَصَيَّقُوا بِهِ إِلَى أَنْ أُسْتَرْجِعُوهُ لِيَدِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَقْبَمَ
بَيْنَائِهِ وَتَحْصِينِهِ وَأَتَقَّ عَلَيْهِ أَعْمَالَ مَالٍ فِي بَنَائِهِ وَحَصْنَهُ
وَسَوْرَهُ وَبَنَى أَبْرَاجَهُ وَجَامِعَهُ وَدُورَهُ وَمَحَارِبَهُ^(١) ، وَلَمَّا كَادَ
يُتِمُّ ذَلِكَ نَازَلَهُ الْعَدُوُّ بَرًّا وَبَحْرًا ، فَصَبَرَ الْمُسْلِمُونَ وَخَيَّبَ
اللَّهُ سَعَى الْكَافِرِينَ ، فَأَرَادَ السُّلْطَانُ الْمَذْكُورُ أَنْ يُحْصِنَ
سَفْحَ الْجَبَلِ بِسُورٍ مُحِيطٍ بِهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ حَتَّى لَا يَطْعَ
عَدُوٌّ فِي مُنَازَلَتِهِ ، وَلَا يَحْدِ سَبِيلًا لِلتَّضْيِيقِ بِمُحَاصَرَتِهِ ، وَرَأَى
النَّاسُ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَالِ ، فَأَتَقَّ الْأَمْوَالُ ، وَأَنْصَفَ الْعُمَالُ
فَأَحَاطَ بِمَجْمُوعِهِ إِحَاطَةً الْهَالَةِ بِالْهَلَالِ ، وَكَانَ بَقَاءُ هَذَا
الْجَبَلِ يَدِ الْعَدُوِّ نِيفًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَحَاصَرَهُ السُّلْطَانُ
أَبُو الْحَسَنِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، وَزَادَ فِي تَحْصِينِهِ أَبْنَاهُ السُّلْطَانُ
أَبُو عَيْنَانَ^(٢) . وَلَمَّا أَجَازَ السُّلْطَانُ أَبُو الْحَسَنِ الْمَذْكُورُ إِلَى

(١) في بعض النسخ (ومخازنه) (٢) هو السلطان التتوكل على الله أبو عنان فارس بن
السلطان أبي الحسن . ولدا أبو عنان سنة ٧٢٩ وأمه أم ولد رومية توفيت سنة ٧٥٠
وولى الأمر سنة ٧٥٢ وكان سلطانا محبوبا في قومه وعشيرته ، أثرا عند

الْأَنْدَلُسِ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ ابْنُ الْأَحْمَرِ ^(١) وَقَاتَلَهُمُ الطَّائِغَةُ
 هَزَمَهُمْ فِي وَقْعَةٍ طَرِيفَ ، وَأَسْتَوَلَى عَلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ
 حَتَّى قَبِضَ ^(٢) اللَّهُ مِنْ بَنِي الْأَحْمَرِ النَّثِيَّ بِاللَّهِ مُحَمَّدًا الَّذِي كَانَ
 لِسَانُ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ ^(٣) وَزِيرُهُ ، فَاسْتَرْجَعَهَا وَجُمْلَةَ بِلَادِ
 كَبِيَّانَ وَغَيْرَهَا ، وَكَانَتْ لَهُ فِي الْجِهَادِ مَوَاقِفُ مَشْهُورَةٌ ،
 وَامْتَدَّ مُلْكُهُ وَاشْتَدَّ حَتَّى عَمَادُوتُهُ سَلَاطِينِ فَاسٍ بِمَأْوَرَاءِ الْبَحْرِ
 وَمَلَكَ جَبَلُ الْفَتْحِ ، وَلَصَرَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ عَلَى يَدِهِ كَمَا سَقَفَ
 عَلَيْهِ فِي بَعْضِ مُكَاتَبَاتِ لِسَانِ الدِّينِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي مَوَاضِعَ

والله وغيره لفضله وعلمه ودينه وعظيم خلقه وتوفي سنة ٧٥٩ (١) كان
 ذلك سنة ٧٤١ في مدة سلطان الاندلس أبي الحجاج يوسف بن اسمعيل
 ابن الاحمر الذي ولى الامر بعد وفاة أخيه محمد سنة ٧٣٣ (٢) قبض :
 هيا - وقبض الله فلانا لفلان : جاء به وأتاه له وسببه ، ومنه حديث :
 « ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قبض الله له عند سنه من يكرمه » (٣) وكان
 السلطان أبو الحجاج يوسف بن الاحمر قد أوفد وزيره لسان الدين
 ابن الخطيب على السلطان أبي عنان عند وفاة والده معز ياله ، فقدم ابن
 الخطيب وأدى الرسالة وجلى في أغراض تلك السفارة وعاد الى غرناطة ،
 ثم توفي السلطان أبو الحجاج سنة ٧٥٥ وبايع الناس ابنه محمد بن
 يوسف النثي بالله - ثم بعث وزيره ابن الخطيب سفيراً عنه الى السلطان
 أبي عنان مستمداً له على عدوه « أحمد يوسف نجاني »

مِنْ هَذَا الْكِتَابِ . وَسَعَدُ هَذَا النَّعْيُ بِاللهِ مِنَ الْعَجَائِبِ ،
وَبَقِيَ مُلْكُ الْأَنْدَلُسِ فِي عَقِبِهِ إِلَى أَنْ أَخَذَ مَا بَقِيَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ
الْمَدُّو الْكَافِرُ ، وَأُسْتُوْلَى عَلَى حَضْرَةِ الْمَلِكِ غَرْنَاطَةَ - أَعَادَهَا
اللهُ لِلْإِسْلَامِ - كَمَا نُبَيِّنُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ . وَخَلَّتْ جَزِيرَةُ
الْأَنْدَلُسِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَأَبْدَلَتْ مِنَ النُّورِ بِالظَّلَامِ ،
حَسَبًا اقْتَضَتْهُ الْأَقْدَارُ النَّافِذَةُ وَالْأَحْكَامُ ، وَاللهُ وَارِثُ
الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ .

قَالَ ابْنُ خَلْدُونِ : وَاتَّفَقَ بَنُو الْأَنْحَرِ سَلَّاطِينُ غَرْنَاطَةَ أَقَارِبُ بَنِي
مَرِينِ سَلَّاطِينِ الْمَغْرِبِ لِأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ أَوَى إِلَى الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ
اسْتِيلَاءِ بَنِي عُمَيْيٍّ عَلَى مُلْكِ الْمَغْرِبِ لِمَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْمَنَافَسَةِ ،
وَكَانَ لَهُمْ لَوْلَاءٌ فِي الْجِهَادِ مَوَاقِفُ مَشْهُورَةٌ ، مِنْهَا : مَا كُتِبَ عَلَى
قَبْرِ شَيْخِ الْغَزَاةِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ - لِنَسْتَدِلَّ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى
مَا ذَكَرْنَاهُ - بِمُحَمَّدِ اللهِ تَعَالَى « هَذَا قَبْرُ شَيْخِ الْحَمَاءِ ، وَصَدَرَ

أقارب بني مرين
ومشيخة الغزاة

الْأَبْطَالِ وَالْكُفَّةِ ، وَاحِدُ الْجَلَالَةِ ، لَيْتُ الْإِقْدَامِ وَالْبَسَالَةِ
 عِلْمُ الْأَعْلَامِ ، حَامِي دِمَارِ الْإِسْلَامِ ، صَاحِبُ الْكِتَابِ
 الْمَنْصُورَةِ ، وَالْأَفْصَالِ الْمَشْهُورَةِ ، وَالْمَنَازِي الْمَسْطُورَةِ ، وَإِمَامُ
 الصُّفُوفِ ، الْقَائِمُ بِيَابِ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ الشُّيُوفِ ، سَيْفُ
 الْجِهَادِ ، وَقَاصِمُ الْأَعَادِ ، وَأَسَدُ الْآسَادِ ، الْعَالِي الْهِمَمِ ،
 الثَّابِتُ الْقَدَمِ ، الْهَامُّ الْمُجَاهِدُ الْأَرْضَى ، الْبَطْلُ الْبَاسِلُ
 الْأَمْضَى ، الْمُقَدَّسُ الْمَرْحُومُ أَبِي سَعِيدِ عُثْمَانَ بْنِ الشَّيْخِ
 الْجَلِيلِ الْهَامِّ الْكَبِيرِ ، الْأَصِيلِ الشَّهِيرِ ، الْمُقَدَّسِ
 الْمَرْحُومِ أَبِي الْقَلَاءِ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ ،
 كَانَ عُمُرُهُ ثَمَانِيًا وَثَمَانِينَ سَنَةً ، أَتَقَهُ مَا بَيْنَ رَوْحَةٍ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ وَغَدْوَةٍ ، حَتَّى اسْتَوْفَى فِي الْمَشْهُورِ سَبْعِمِائَةً وَأَثْنَتَيْنِ
 وَثَلَاثِينَ غَزْوَةً ، وَقَطَعَ عُمُرُهُ مُجَاهِدًا مُجْتَهِدًا فِي طَاعَةِ الرَّبِّ
 مُحْتَسِبًا فِي إِدَارَةِ الْحَرْبِ ، مَا ضَى الْعَزَائِمُ فِي جِهَادِ الْكُفَّارِ ،
 مُصَادِمًا بَيْنَ جُمُوعِهِمْ تَدْفُقُ الْتَيَّارِ ، وَصَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِيهِمْ
 مِنَ الصَّنَائِعِ الْكِبَارِ ، مَا سَارَ ذِكْرُهُ فِي الْأَقْطَارِ ، أَشْهَرُ

مِنَ الثَّمَلِ السَّيَّارِ حَتَّى تُؤْفَى - رَحْمَةُ اللَّهِ - وَغُبَارُ الْجِهَادِ طَى
 أَنْوَابِهِ ، وَهُوَ مُرَاقِبٌ لِعَاطِغَةِ الْكُفَّارِ وَأَحْزَابِهِ ، فَمَاتَ عَلَى
 مَا عَاشَ عَلَيْهِ ، وَفِي مَلْحَمَةِ ^(١) الْجِهَادِ قَبْضَةُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ ،
 وَأَسْتَأْثَرَ بِهِ سَعِيدًا مُرْتَضًى ، وَسَيَفُهُ عَلَى رَأْسِ مَلِكِ الرُّومِ
 مُتَّصًى ^(٢) مُقَدِّمَةً قَبُولٍ وَإِسْمَاعٍ ، وَتَنْجِيَةً جِهَادٍ وَجِلَادٍ ^(٣) ،
 وَدَلِيلًا عَلَى نَيْتِهِ الصَّالِحَةِ وَتِجَارَتِهِ الرَّابِحَةِ ، فَارْتَجَمَتْ
 الْأَنْدَلُسُ لِعُيُنِهِ ، أَتَحَفَّهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ - يُؤْفَى
 يَوْمَ الْأَحَدِ الثَّانِي لَدَى الْحِجَّةِ مِنْ عَامِ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .
 اَتَمَّي .



وَمِنْهَا مَا كَتَبَ بِهِ لِسَانُ الدِّينِ ابْنُ الْخَطِيبِ - رَحْمَةُ اللَّهِ -
 فِي تَوَلِيَةِ عَلِيِّ بْنِ بَدْرِ الدِّينِ ^(١) مَشِيخَةَ الْفُرَاةِ مَا نَصَّهُ :
 « هَذَا شَيْخُ الْفُرَاةِ الَّذِي فَتِحَ بِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ أَبْوَابُ السَّرَّاءِ ،

- (١) للحملة : للوثة العظيمة القتل في الحرب (٢) منتضى : مستل من
 غمده (٣) جالوا بالسيوف وتجالوا : تصارفوا وتقاتلوا
 (٤) هو أبو الحسن علي بن بدر الدين بن موسى بن حمو بن عبد الله

كتاب لسان الدين
 ابن الخطيب في
 تولية علي بن بدر
 الدين

وَرَأَى طِرَازًا مُذَهَّبًا عَلَى عَاتِقِ الدَّوْلَةِ الْفَرَّاءِ ، وَأَعْمَلَ عَوَامِلَ
الْجِهَادِ فِي طَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ ، شَارِعَةً لِأَهْلِ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ
مِنْ بَابِ الْأَعْمَالِ وَالْإِغْرَاءِ ، أَمَرَ بِهِ فَلَانَ صَدَرَ صُدُورِ
أَوْدَانِهِ ، وَحُسَامِهِ الْمَشْهُورَ عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَوَلَّيَهُ الَّذِي خَبَرَ
صِدْقَ وَقَائِهِ ، وَجَلَّى فِي مِضْمَارِ الْخُلُوصِ لَهُ مُعَبَّرًا فِي وُجُوهِ
أَكْفَانِهِ ^(١) شَيْخَ شُيُوخِ الْمُجَاهِدِينَ ، وَقَائِدَ كِتَابِهِ
الْمَنْصُورَةِ إِلَى غَزْوِ الْكَافِرِينَ وَالْمُتَعَدِّينَ ، وَعِزَّتِهِ الَّتِي

ابن عبد الحق قلند مشيخة الفزاة بعد سنة ٧٦٤ « بعد شيخ الفزاة أبي
زكريا يحيى بن عمر بن عبد الله بن عبد الحق » واستمر حتى قفل من
غزوة جيان في أوائل سنة ٧٦٩ فتوفي رحمه الله ختف أنفه وتولى مشيخة
الفزاة بعده الأمير عبد الرحمن بن أمير السليمان أبي سعيد عثمان بن
يعقوب بن عبد الحق ، وذلك في مدة السلطان النقي بالله محمد بن يوسف
ابن اسمعيل بن فرج بن اسمعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الذي
تولى الملك سنة ٧٥٥ « وكان مولده سنة ٧٣٩ هـ توافى سنة ٨١٣٧ هـ »
وخلع سنة ٧٩٠ وكانت فتن وثورات قبض فيها على ابن الخطيب وأودع
السجن ، ثم شفع هو والنقي بالله السلطان أبو سالم المريني فقدموا إليه
أول سنة ٧٩١ ، ثم عاد النقي بالله إلى ملكه بالاندلس بسعي السلطان
المريني فاستدعى إليه ابن الخطيب فأجلب الدعوة حياة لارغبة ، ومكرها
لابطلا ، وتوفي النقي بالله سنة ٧٩٣ « أحمد يوسف نجاشي » (١) خبر في
وجهه أي ألقى عليه غبارا كناية عن سبقه إياه ، ومنه يقال: فلان لا يشق غباره

يُدَافِعُ بِهَا عَنِ الدِّينِ ، وَسَابِقَ وُدِّهِ الْمُبَرِّزِ فِي الْمَلَكَيْنِ ،
الشَّيْخُ الْأَجَلُ ، إِلَى آخِرِ مَا وَصَفَهُ بِهِ مِمَّا ضَاقَ الْوَقْتُ عَنْ
مِثْلِهِ . وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ



﴿ الْبَابُ الرَّابِعُ ﴾

فِي ذِكْرِ قُرْطُبَةَ الْأَلِي كَانَتْ الْخِلَافَةُ عِصْرَهَا لِلْإِعْدَاءِ وَصَفَ قُرْطُبَةَ
قَاهِرَةً ، وَجَامِعَهَا الْأُمُورَ ذِي الْبِدَائِعِ الْبَاهِيَةِ الْبَاهِرَةِ ،
وَالْإِلْمَاعِ بِحَضْرَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِيَةِ النَّاصِرَةِ ، وَالْعَامِرِيَةِ
الزَّاهِرَةِ ، وَوَصَفَ مُجَلَّةً مِنْ مُتَرَهَاتِ تِلْكَ الْأَقْطَارِ
وَمَصَانِيهَا ذَاتِ الْمَحَاسِنِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ ، وَمَا يَجْرُ إِلَى
شُجُونٍ^(١) الْحَدِيثِ ، مِنْ أُمُورٍ تَقْضِي بِحَسَنِ أَدَائِهَا الْقَرَائِعُ
الْوَقَادَةُ وَالْأَفْكَارُ الْمَاهِرَةُ .

قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : مَمْلَكَةُ قُرْطُبَةَ فِي

(١) شجون الحديث : فنونه المتشعبة التي يتفرع بعضها عن بعض

الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ ، وَإِلَائَتُهُ لِلشَّمْسِ ، وَفِي هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ
مُدُنُ الْفِضَّةِ الْخَالِصَةِ فِي قَرْيَةٍ « كَرَشْ » وَمَعْدِنُ الزُّبْقِ
وَالزُّنْجَفَرِ (٣) فِي بَلَدٍ « بَسْطَائِسَةَ » وَلِأَجْزَائِهَا خَوَاصُّ
مَذْكُورَةٌ فِي مُتَفَرِّقَاتِهَا ، وَأَرْضُهَا أَرْضُ كَرِيمَةِ النَّبَاتِ .
انتهى .

(١) قد تكون كذلك وقد تكون محرفة عن أركش الى الجنوب الغربي
من قرطبة (٢) صبغ أحمر يكتب به ويصنع وكان المصورون يستعملونه
في تلوين الصور التي تقرأ فيها ، وهو صنفان : معدني طبيعي ومصنوع ،
أما المعدني فهو استحالة شيء من الكبريت الى معدن الزئبق ، وأما المصنوع
فأنواع ، ويصنع من الكبريت والزئبق ، وكانوا أيضا ربما استعملوه في
أدوية العين وقطع الدم وفي علاج البثور وحرق النار ويدملون به
الجراحات ويسكنون به تأكل الأسنان ، وإلى عمل الزنجفر ينسب أبو
عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد البغدادي الزنجفري كان شاعرا جيد
الشعر توفي سنة ٣٤٣ هـ (٣) كذا بالأصل وقد تكون هي « بسطة »
مدينة بالأندلس من أعمال جيان ينسب إليها المصليات البسطية ، منها أبو
عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن معلى الحضرمي البسطي الوراق
سكن قرطبة وأصله من بسطة ولد بها سنة ٣١٧ وتوفي بقرطبة سنة ٣٩٦
ومنها أبو عبد الله محمد بن خلف بن إبراهيم بن أيوب بن إبراهيم بن
عبادة بن بالغ الهاشمي من أهل بسطة وصاحب الصلاة والخطبة بها ، كان فقيها
محدثا فاضلا صالحا توفي ببلدة بسطة سنة ٦١١ ولعلها « مسطاسة » وهي حصن
من أعمال أوريط من أعمال خص الباط و به معدن الزئبق وهو إلى الشمال
الشرقي من قرطبة على نهر متفرع من نهر بطليوس « أحمد يوسف نجاني » .

وَقَدَّمَ - رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْمَغْرِبِ الْكَلَامَ عَلَيْهِمَا عَلَى سَائِرِ
أَقْطَارِ الْأَنْدَلُسِ وَقَالَ : إِنَّمَا قَدَّمْنَا هَذِهِ الْمَمْلَكَةَ مِنْ بَيْنِ
سَائِرِ الْمَمَالِكِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ لِكُونَ سَلَاطِينَ الْأَنْدَلُسِ الْأَوَّلِ
اتَّخَذُوهَا سِرِيرًا لِسُلْطَنَةِ الْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَمْدُلُوا عَنْ حَضَرَتِهَا
قُرْطُبَةَ ، ثُمَّ سَلَاطِينَ بَنِي أُمَيَّةَ وَخُلَفَائِهِمْ ، وَلَمْ يَمْدُلُوا عَنْ هَذِهِ
الْمَمْلَكَةِ ، وَتَقَلَّبُوا مِنْهَا فِي ثَلَاثَةِ أَقْطَارٍ أَدَارُوا فِيهَا خِلَافَتَهُمْ :
قُرْطُبَةَ وَالزَّهْرَاءَ^(١) وَالزَّاهِرَةَ ، وَإِنَّمَا اتَّخَذُوهَا لِهَذَا الشَّانِ
لَمَّا رَأَوْهَا لِلذِّكِّ أَهْلًا . وَقُرْطُبَةُ أَعْظَمُ عِلْمًا وَأَكْثَرُ فَضْلًا
بِالنَّظَرِ إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْمَمَالِكِ ، لِاتِّصَالِ الْحَضَارَةِ الْمُظِيْمَةِ
وَالدَّوْلَةِ الْمُتَوَارِثَةِ فِيهَا . ثُمَّ قَسَمَ ابْنُ سَعِيدٍ كِتَابَ « الْحُلَّةِ
الْمُذَهَّبَةِ » ، فِي حُلِيِّ مَمَالِكِ قُرْطُبَةَ « بِالنَّظَرِ إِلَى الْكُورِ إِلَى
أَحَدَ عَشَرَ كِتَابًا : الْكِتَابُ الْأَوَّلُ « كِتَابُ الْحُلِيِّ الذَّهَبِيَّةِ
فِي حُلِيِّ الْكُورَةِ الْقُرْطُوبِيَّةِ » الْكِتَابُ الثَّانِي « كِتَابُ الثَّرَرِ

(١) هي المدينة الزهراء التي بناها الناصر الاموي في غربي قرطبة في

سفح جبل

الْمَصُونَةِ، فِي حِلْيَةِ كُورَةِ بَلَكُونَةِ، «الْكِتَابُ الثَّلَاثُ»
 «كِتَابُ مُحَادَثَةِ السَّيْرِ، فِي حِلْيَةِ كُورَةِ الْقَصِيرِ^(١)»، «الْكِتَابُ
 الرَّابِعُ»، «كِتَابُ الْوُثْقَى الْمَصُورِ، فِي حِلْيَةِ كُورَةِ الْمُدَوَّرِ»
 «الْكِتَابُ الْخَامِسُ»، «كِتَابُ نَيْلِ الْمُرَادِ، فِي حِلْيَةِ كُورَةِ
 مُرَادِ^(٢)»، «الْكِتَابُ السَّادِسُ»، «كِتَابُ الْمُرْتَنَةِ، فِي حِلْيَةِ كُورَةِ
 كُرْتَنَةِ^(٣)»، «الْكِتَابُ السَّابِعُ»، «كِتَابُ الدَّرِّ النَّافِقِ، فِي حِلْيَةِ
 كُورَةِ غَافِقَ»، «الْكِتَابُ الثَّامِنُ»، «كِتَابُ النِّفْعَةِ الْأَرَجَةِ
 فِي حِلْيَةِ كُورَةِ إِسْتَجَةِ»، «الْكِتَابُ التَّاسِعُ»، «كِتَابُ
 الْكَوَاكِبِ الدَّرِّيَّةِ، فِي حِلْيَةِ الْكُورَةِ الْقُبَيْرَةِ»، «الْكِتَابُ

(١) القصير حصن في شرقي قرطبة على النهر وله كورة من أشهر كورها
 (٢) مراد حصن قريب من قرطبة إلى الغرب منها (٣) قال ياقوت : موضع
 في فحوص البلوط ينسب إليه القاضي المنذر بن سعيد البلوطي : والقاضي
 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف الكزني القرطبي توفي سنة ٥٨٩ هـ
 « قلت » ومنها أبو مروان عبيد الله محمد بن قاسم الكزني حدث عنه
 أبو عمر بن عبد البر وقال : كان من ثقات الناس وعقلاهم - رحمه الله - ومنها
 أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن سلطان الكزني رحل وحج ولقي
 القاضي عبد الوهاب المالكي ثم عاد وتوفي بغانق سنة ٤٤٥ هـ
 « أحمد يوسف نجاتي » .

الْعَاشِرُ « كِتَابُ رِقَّةِ الْحَبَّةِ، فِي حِلْيَةِ كُورَةِ أُسْتَبَةِ ^(١) ،
«الْكِتَابُ الْخَادِي عَشَرَ» «كِتَابُ السُّوسَانَةِ، فِي حِلْيَةِ كُورَةِ
الْبَسَانَةِ ^(٢) . اِنْتَهَى .

قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : إِنَّ الْعِمَارَةَ اتَّصَلَتْ فِي مَبَانِي قَرْطَبَةِ وَأَعْمَالِهَا
قَرْطَبَةُ وَالزَّهْرَاءُ وَالزَّاهِرَةُ بِحَيْثُ إِنَّهُ كَانَ يُمَشَّى فِيهَا لِضَوْءِ
الشَّرْجِ الْمُتَنَدِّ عَشْرَةَ أُمِّيَالٍ حَسْبَمَا ذَكَرَهُ الشَّقْنَدِيُّ فِي
رِسَالَتِهِ . ثُمَّ قَالَ : وَلِكُلِّ مَدِينَةٍ مِنْ مُدُنِ قَرْطَبَةِ وَأَعْمَالِهَا
ذِكْرٌ مُخْتَصٌّ بِهَا ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَسَافَاتِ الَّتِي بَيْنَ مَمَالِكِ
قَرْطَبَةِ الْمَذْكُورَةِ فَقَالَ : بَيْنَ الْمُدُورِ وَقَرْطَبَةِ سِتَّةَ عَشَرَ
مِيلاً ، وَبَيْنَ قَرْطَبَةِ وَمُرَادٍ خَمْسَةَ وَعِشْرُونَ مِيلاً ، وَبَيْنَ
قَرْطَبَةِ وَالْقَصِيرِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِيلاً ، وَبَيْنَ قَرْطَبَةِ وَغَافِقِ
مَرَحَلَتَانِ ، وَبَيْنَ قَرْطَبَةِ وَأُسْتَبَةِ سِتَّةَ وَثَلَاثُونَ مِيلاً ،
وَبَيْنَ قَرْطَبَةِ وَمَلَكُونَةَ مَرَحَلَتَانِ ، وَبَيْنَ قَرْطَبَةِ وَالْبَسَانَةِ ^(٣)
أَرْبَعُونَ مِيلاً ، وَبَيْنَ قَرْطَبَةِ وَقَبْرَةَ ثَلَاثُونَ مِيلاً ، وَبَيْنَ

(١) سبق القول في مدينة « أسطبة » ، وكذلك « قبرة » وهي إلى الجنوب
من قَرْطَبَةِ ، وكانت مدينة بيانة قسبة كورة قبرة بينها وبين قَرْطَبَةِ
ثلاثون ميلاً . (٢) في بعض النسخ (البسانة)

قُرْطُبَةَ وَيَّانَةَ مَرَحَلَتَانِ ، وَبَيْنَ قُرْطُبَةَ وَإِسْجَةَ ثَلَاثُونَ
مِيلًا . وَكُورَةُ رُنْدَةَ^(١) كَانَتْ فِي الْقَدِيمِ مِنْ عَمَلِ قُرْطُبَةَ
ثُمَّ صَارَتْ مِنْ مَمْلَكَةِ إِشْبِيلِيَّةَ ، وَهِيَ أَقْرَبُ وَأَدْخَلُ فِي
الْمَمْلَكَةِ الْإِشْبِيلِيَّةِ . انْتَهَى .

« ثُمَّ قَسَمَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كِتَابَ الْحُلَّةِ الدَّهِيَّةِ ، فِي حُلِيِّ
الْكُورَةِ الْقُرْطُوبِيَّةِ » إِلَى خَمْسَةِ كُتُبٍ : الْكِتَابُ الْأَوَّلُ
« كِتَابُ النِّعَمِ الْمُطَرَّبَةِ ، فِي حُلِيِّ حَضْرَةِ قُرْطُبَةَ » الْكِتَابُ
الثَّانِي « كِتَابُ الصَّبِيحَةِ الْفَرَاءِ ، فِي حُلِيِّ حَضْرَةِ الزَّهْرَاءِ »
الْكِتَابُ الثَّلَاثُ « كِتَابُ الْبَدَائِعِ الْبَاهِرَةِ ، فِي حُلِيِّ
حَضْرَةِ الزَّاهِرَةِ » الْكِتَابُ الرَّابِعُ كِتَابُ الْوَزْدَةِ
فِي حُلِيِّ مَدِينَةِ شَقَنْدَةَ ، الْكِتَابُ الْخَامِسُ « كِتَابُ الْجُرْعَةِ
السَّيِّئَةِ ، فِي حُلِيِّ كُورَةِ وَرَغَةَ » وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي

(١) معقل حصين ومدينة قديمة بين اشبيلية ومالقة على نهر جار كان بها
زروع واسع وضرع صانغ ، وكان بها معقل تسمم بالسحاب ، وتوشح
بالأنهار العذاب ، وكانت بلدة جليلة كثيرة الفواكه والمياه والحراث والماشية
ويتصف أهلها بالجمال ورقة البشرة والطفافة .

كِتَابِ النِّعَمِ الْمَطْرَبَةِ، فِي حُلِيِّ حَضْرَةِ قُرْطَبَةَ : إِنَّ حَضْرَةَ
قُرْطَبَةَ إِحْدَى عَرَائِسِ مَمْلَكَتِهَا، وَفِي إِصْطِلَاحِ الْكِتَابِ
إِنَّ لِلْعُرُوسِ الْكَامِلَةِ الزَّيْنَةَ مَنْصَةً^(١) وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِمَا يَتَعَلَّقُ
بِذِكْرِ الْمَدِينَةِ فِي قَسْبِهَا، وَتَأْجِبُ^(٢) وَهُوَ مُخْتَصٌّ بِالْإِيَالَةِ
الْسلْطَانِيَّةِ، وَسِلْكَ^(٣) وَهُوَ مُخْتَصٌّ بِأَصْحَابِ دَرَرِ
الْكَلَامِ، مِنَ الثَّارِ وَالنَّظَامِ، وَحَلَّةٍ^(٤) وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ
بِأَعْلَامِ أَعْلَمَاءِ الْمُصَنِّفِينَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ نَظْمٌ وَلَا ثَرْ، وَلَا
يَجِبُ^(٥) إِهْمَالُ تَرَاجِيهِمْ، وَأَهْدَابًا^(٦) وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِأَصْحَابِ
فُنُونِ الْهَزْلِ وَمَا يَنْحُو مَنْحَاهُ. انْتَهَى

مُحَمَّدٌ فَصَّلَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ذَلِكَ كُلَّهُ بِمَا تَعَدَّدَتْ مِنْهُ
الْأَجْزَاءُ، وَقَدْ لَخَّصْتُ مِنْهُ هُنَا بَعْضَ مَا ذَكَرْتُ، ثُمَّ أَرْدَفْتُهُ^(٧)

- (١) المنصة بالكسر: الكرسي الذي ترفع عليه العروس في جلستها. والمنصة
بالفتح: الحجة تعد للعروس (٢) التاج: الذي تلبسه العروس على رأسها
وقت زفافها (٣) السلك: الحيط الذي ينظم فيه الحُرُز ونحوه من حبات
العقد (٤) الحلة: الثوب الجديد الجيد ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو
ثلاثة، وقد تكون « حلة » محرفة عن حلية (٥) قد تكون (يحسن)
(٦) هذب الثوب: خله وطره بما يلي طرته، وقد يقتل ويحفظ بطرف الثوب
(٧) أردفته: أعقبته وأتبعه :

بِكَلَامٍ غَيْرِهِ ، فَأَقُولُ : قَالَ فِي كِتَابِ «إِبَارَة» ^(١) : إِنَّ قَرْطَبَةَ
بِالطَّاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَمَعْنَاهُ أَجْرَ سَاكِنِهَا ، يَعْنِي عُرْبَتَ بِالطَّاءِ
ثُمَّ قَالَ : وَدَوْرُ مَدِينَةِ قَرْطَبَةَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ ذِرَاعٍ . انْتَهَى .
وَقَالَ غَيْرُهُ : إِنَّ تَكْسِيرَهَا وَمِسَاحَتَهَا الَّتِي دَارَ الشُّورُ عَلَيْهَا
دُونَ الْأَرْبَاضِ طُولًا مِنَ الْقِبْلَةِ ^(٢) إِلَى الْجُوفِ أَلْفٌ وَسِتِّمِائَةٌ
ذِرَاعٍ ، وَأَتَصَلَّتِ الْعِمَارَةُ بِهَا أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةَ ثَمَانِيَةَ فَرَسِيخٍ
طُولًا وَفَرَسَخَيْنِ عَرْضًا ، وَذَلِكَ مِنَ الْأَمْيَالِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ
فِي الطُّولِ ، وَفِي الْعَرْضِ سِتَّةٌ ، وَكُلُّ ذَلِكَ دِيَارٌ وَقُصُورٌ
وَمَسَاجِدُ وَبَسَاتِينُ بِطُولِ صَفَةِ الْوَادِي الْكَبِيرِ ، وَلَيْسَ
فِي الْأَنْدَلُسِ وَادٍ يُسَمَّى بِاسْمِ عَرَبِيٍّ غَيْرُهُ . وَلَمْ تَزَلْ
قَرْطَبَةُ فِي الزِّيَادَةِ مُنْذُ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ إِلَى سَنَةِ أَرْبَعِمِائَةٍ
فَانْحَطَّتْ ، وَأَسْتَوَى عَلَيْهَا الْخَرَابُ بِكَثْرَةِ الْفِتَنِ ، إِلَى أَنْ
كَانَتْ الطَّائِمَةُ ^(٣) الْكُبْرَى عَلَيْهَا بِأَخْذِ الْعَدُوِّ الْكَافِرِ لَهَا

(١) أُظْهِرَ أَنَّهُ يَرِيدُ « وَجْهًا » مَلِكُ صُفْلِيَّةِ الَّتِي أَلْفَ لَهُ الشَّرِيفُ الْأَدْرِيسِيُّ
كِتَابُهُ زُرْهَةُ الشَّتَاتِ فِي اخْتِرَاقِ الْآفَاقِ (٢) فِي الْأَصْلِ (الْقِبَةُ) وَهُوَ تَحْرِيفُ
ظَاهِرِ (٣) الطَّائِمَةِ : الْبَاهِيَةِ تَفَرَّقَ مَا سَوَاهَا تَطْمَعُ عَلَى مَا عَدَاهَا .

فِي ثَانِي وَعِشْرِي شَوَّالٍ سِتَّةَ سِتِّينَ وَثَلَاثَ وَعِشْرِينَ
ثُمَّ قَالَ هَذَا الْقَائِلُ : وَدَوْرُ قُرْطَبَةَ الْمَصُورُ^(١) مِنْهَا
دُونَ الْأَرْبَاعِ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ ذِرَاعٍ ، وَدَوْرُ قَصْرِ
إِمَارَتِهَا أَلْفُ ذِرَاعٍ وَمِائَةُ ذِرَاعٍ . أَتَمَّ . وَعَدَدُ أَرْبَاعِهَا
أَحَدٌ وَعِشْرُونَ ، فِي كُلِّ رُبْعٍ مِنْهَا مِنَ الْمَسَاجِدِ وَالْأَسْوَاقِ
وَالْحَمَامَاتِ مَا يَقُومُ بِأَهْلِهِ وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى غَيْرِهِ .
وَبِحَارِجِ قُرْطَبَةَ ثَلَاثَةُ آلَافِ قَرْيَةٍ ، فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا
وَقِيَّةٌ مُقْلِسٌ^(٢) تَكُونُ الْقُتْبَا فِي الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ
لَهُ ، وَكَانَ لَا يَحْمِلُ الْقَالِصَ مِنْهُمْ عَلَى رَأْسِهِ إِلَّا مَنْ
حَفِظَ الْمُوْطَأَ ، وَقِيلَ : مَنْ حَفِظَ عَشْرَةَ آلَافٍ حَدِيثٍ
عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَحَفِظَ الْمُدَوَّنَةَ ، وَكَانَ

(١) كذا بالأصل وأظنه محرفاً عن « السور » أى المحوط بالسور، وكان
على قرطبة سور ضخيم من الحجر ذو سبعة أبواب (٢) أصلها بالسين وهى
من القلنسة، والقلنس هو الذى يلبس القالس أو القلنسة، وقد تكتب
بالصاد « قاله دوزى فى ملحقه على المعجمات العربية » والقلنس لبس
القلنسة، والقلنس صانعها - بئى اتم كان لعلهم زى خاص كالعلماء
فوق الروس لا يتوج رأسه بها الامن كان ذا حظ عظيم من الفقه والحديث
ومعرفة الكتب والسنة. « أحمد يوسف نجاشى »

هَؤُلَاءِ الْمُقْلَصُونَ الْمُجَاوِرُونَ لِقَرْطَبَةٍ يَأْتُونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
لِلصَّلَاةِ مَعَ الْخَلِيفَةِ بِقَرْطَبَةٍ ، وَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ ، وَيُطَالِمُونَهُ
بِأَحْوَالِ بِلَادِهِمْ . انْتَهَى . قَالَ : وَانْتَهَتْ جَبَايَةُ قَرْطَبَةٍ
أَيَّامَ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ إِلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ بِالْإِنْصَافِ ،
وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مَا فِيهِ مُخَالَفَةٌ لِهَذَا . فَاللهُ أَعْلَمُ .
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ :

دَعُ عَنْكَ حَضْرَةَ بَنْدَادٍ وَبَهْجَهَا
وَلَا تُعْظِمُ بِلَادَ الْفُرْسِ وَالصِّينِ
فَمَا عَلَى الْأَرْضِ قَطُّ مِثْلُ قَرْطَبَةٍ
وَمَا مَشَى قَوْفَهَا مِثْلُ ابْنِ حَمْدِينَ^(١)



وصف قرطبة « قَالَ بَعْضُهُمْ » : قَرْطَبَةُ قَاعِدَةُ الْأَنْدَلُسِ ، وَدَارُ الْمُلْكِ
الَّتِي تُجَبِّي لَهَا تَمَرَاتُ كُلِّ جِهَةٍ ، وَخَيْرَاتُ كُلِّ نَاحِيَةٍ ،
وَاسِطَةُ بَيْنِ الْكُورِ ، مُوفِيَةٌ^(٢) عَلَى النَّهْرِ ، زَاهِرَةٌ
مُشْرِقَةٌ ، أَخَذَتْ بِهَا الْغَنَى ، فَحَسُنَ مَرَامُهَا ، وَطَابَ جَنَاهَا .

(١) تقدمت منا كلمة في التعريف ببني حمدين فارجع إليها ان شئت
(٢) أى مشرقة مطة

وَفِي كِتَابِ فَرَجَةِ^(١) الْأَنْهَسِ لِابْنِ غَالِبٍ : أَمَّا قُرْطُبَةُ : فَإِنَّهَا
لَقَطٌ يَنْحُو إِلَى لَفْظِ الْيُونَانِيِّينَ ، وَتَأْوِيلُهُ الْقُلُوبُ
الْمُسَكَّكَةُ^(٢) وَقَالَ أَبُو عُيَيْدٍ الْبَكْرِيُّ : إِنَّهَا فِي لَفْظِ
الْقُوطِ بِالطَّاءِ الْمُعْجَمَةِ . وَقَالَ الْحَجَارِيُّ : الضَّبْطُ فِيهَا
بِإِهْمَالِ الطَّاءِ وَضَمِّهَا ، وَقَدْ يَكْسِرُهَا الْمَشْرِقِيُّونَ فِي الضَّبْطِ
كَمَا يُعْجَمُهَا آخَرُونَ . اُنْتَهَى

« وَقَالَ بَعْضُ الْمَلِكَةِ : أَمَّا قُرْطُبَةُ فَعَلِدَةُ الْأَنْدَلُسِ
وَقُطْبُهَا ، وَقُطْرُهَا الْأَعْظَمُ ، وَأَمَّ مَدَاتِهَا وَمَسَاكِنُهَا ، وَمُسْتَقَرُّ
الْخُلَفَاءِ ، وَدَارُ الْمَمْلَكَةِ فِي النُّصْرَانِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَمَدِينَةُ
الْعِلْمِ ، وَمُسْتَقَرُّ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، نَزَلَهَا جُمْلَةٌ مِنَ الثَّانِيَيْنِ

(١) أظنها (فرجة) (٢) لعل هذا أقرب من غيره لمساعدة اللفظ اللاتيني
فهو حينئذ منقول من Dobia — Coeur ، Coeur ومعناه القلب ،
و Dobia ومعناه الشك والريب « كما أتى تذكرت الآن بهذه المناسبة
أن اسم « أسبانيا » الأقرب فيه أن يكون مأخوذاً من اللفظ الفينيقي
« إيسفون » I — spania (أي جزيرة الشمال) فهو أولى من الأسباب
الأخرى المتقدمة . وفي ذلك آراء « أحمد يوسف نجاتي »

وَتَابِعِي التَّائِبِينَ . وَيُقَالُ : زَلَّهَا بَعْضُ الصَّحَابَةِ ، وَفِيهِ
كَلَامٌ . وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ أَرْزَلَتْهُ مِنْ بُنْيَانِ الْأَوَائِلِ
طَبِيبَةُ الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ ، أَخَذَتْ بِهَا الْبَسَاتِينُ وَالزَّيْتُونُ ، وَالْقُرَى
وَالْحُصُونُ ، وَالْمِيَاهُ وَالْعُيُونُ ، مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَبِهَا
الْمَحْرَثُ ^(١) الْعَظِيمُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ نَظِيرٌ

(١) يريد بالمحرث أراضيها الزراعية الخصبة ذات الحدائق والبهجة .
ولا يبعد - وإن كان الظاهر ما تقدم - أن تكون محرفة عن « محراب » ففي
مسجد قرطبة الجامع الذي كان من أعظم مساجد الاسلام محراب
لا يزال محفوظا ، وهو موضع دهشة وعجب الى اليوم ، وارتفاع فبته نحو
تسعة أمتار ، حفر في قطعة واحدة من المرمر الرائق ، وصنع بالفسيفساء ونقشت
عليه آيات من القرآن الكريم ، ولعل الأيام تنقذ هذا الأثر الجليل من
يد النورة الأسبانية التي قصت على كثير من الآثار العربية العظيمة
بالأندلس - وقد كان هذا المسجد الجامع من أفخم الابنية ، ولا يزال الأثر
الباقى منه باعنا على اجلال من شيدوه ورفقوا قواعده وأقاموا عمده ،
ومن زاره اليوم - ان أفلت من طيش النورة - لا يملك نفسه من التأثر
العظيم الذي يستدعي الإعجاب والحسرة معا ، اذ يقف أمام تلك الآثار الماثلة
منشدا نفسه :

فوقعت أسألها وكيف سؤالا صبا خوالدهما بين كلامها ؟
ثم يعود مناجيا نفسه وعبرته :
فأسألنها واجعل بكاء جوابا تجدد الدمع سائلا وبجيها
« أحمد يوسف نجاتي »

وَلَا أَعْظَمُ مِنْهُ بَرَكَهٗ . وَقَالَ الرَّازِيُّ : قُرْبَةُ أُمِّ الْمَدَائِنِ ،
وَسِرُّهُ الْأَنْدَلُسُ ، وَقَرَارُهُ الْفُتُوحُ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ
وَالْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَتَهْرُمَا أَعْظَمُ أَنْهَارِ الْأَنْدَلُسِ ،
وَبِهَا الْقَنْطَرَةُ الَّتِي هِيَ إِسْدَى غَرَائِبِ الْأَرْضِ فِي الصَّنْعَةِ
وَالْإِحْكَامِ ، وَالْجَامِعُ الَّذِي لَيْسَ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ
وَالْإِسْلَامِ أَكْبَرُ مِنْهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ أَعْظَمُ مَدِينَةٍ
بِالْأَنْدَلُسِ ، وَلَيْسَ يَجْمَعُ الْمَقَرَّبُ لَهَا عِنْدِي شَيْءٌ فِي
كَثَرَةِ أَهْلِهَا ، وَسَعَةِ مَحَلِّهَا ، وَفُسْحَةِ أَسْوَاقِهَا ، وَنَظَافَةِ
مَحَالِّهَا ، وَعِمَارَةِ مَسَاجِدِهَا ، وَكَثَرَةِ حَمَامَاتِهَا وَفَنَادِقِهَا . وَيَزْعُمُ
قَوْمٌ مِنْ أَهْلِهَا أَنَّهَا كَأَحَدِ جَانِبَيْ بَنْدَادَ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ
كَأَحَدِ جَانِبَيْ بَنْدَادَ فَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَاحِقَةٌ بِهِ .
وَهِيَ مَدِينَةٌ حَصِينَةٌ ذَاتُ سُورٍ مِنْ حِجَارَةٍ وَمَحَالٍّ حَسَنَةٍ .
وَفِيهَا كَانَتْ سَلَاطِينُهُمْ قَدِيمًا ، وَدُورُهُمْ دَاخِلَ سُورِهَا
الْمُحِيطِ بِهَا ، وَأَكْثَرُ أَبْوَابِ الْقَصْرِ السُّلْطَانِيِّ مِنَ الْبَلَدِ
وَجَنُوبُ قُرْبَةِ عَلَى نَهْرِهَا . قَالَ : وَقُرْبَةُ هَذِهِ بَائِنَةٌ ^(١)

(١) بائنة : بعيدة ، أو ظاهرة متميزة

عَنْ مَسَاكِينٍ أَرْبَاضَهَا ظَاهِرَةٌ^(١)، وَدُرْتُ بِهَا فِي غَيْرِ يَوْمٍ
فِي قَدْرِ سَاعَةٍ - وَقَدْ قَطَعَتْ الشَّمْسُ خَمْسَ عَشْرَةَ دَرَجَةً -
مَاشِيًا . وَقَالَ : وَكَانَتْ قُرْطُبَةُ فِي التَّوَلَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ قُبَّةَ
الْإِسْلَامِ ، وَجُمِعَ عُلَمَاءُ الْأَنْامِ الْأَغْلَامِ^(٢) ، بِهَا اسْتَقَرَّ سِرِيرُ
الْخِلَافَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ ، وَفِيهَا تَحَضَّنَتْ خُلَاصَةُ الْقَبَائِلِ
الْمَعْدِيَّةِ وَالْيَمَانِيَّةِ ، وَإِلَيْهَا كَانَتْ الرِّحْلَةُ فِي رِوَايَةِ الشُّعْرِ^(٣)
وَالشُّعْرَاءِ ، إِذْ كَانَتْ مَرْكَزَ الْكُرَمَاءِ ، وَمَعْدِنَ الْعُلَمَاءِ ،
وَلَمْ تَزَلْ تُثْمَلُ الصُّدُورُ مِنْهَا وَالْحَقَائِبُ^(٤) ، وَيُبَارَى فِيهَا
أَصْحَابُ الْكُتُبِ أَصْحَابَ الْكُتَائِبِ^(٥) ، وَلَمْ تَبْرَحْ
سَاحَتُهَا مَجْرَ عَوَالِي ، وَمَجْرَى سَوَابِقِ^(٦) ، وَمَحَطَّ مَعَالِي ، وَمَحَى

(١) ظاهرة : خارقة (٢) الأعلام : الظاهرين ذوى الشهرة والمهابة

(٣) ألا يكون الأصل : في رواية الشريعة القراء ، وشعر الشعراء ؟

(٤) ملء الصدور كناية عن تحصيل العلم فهو راجع الى العلماء ، وملء

الحقائب كناية عن الحصول على الهبات وللحال وهو راجع الى الكرماء ، قال :

فاجروا فأتونا بالنى أنت أهلـه ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

(٥) يريد أنها جمعت بين أرباب الأعلام والعلماء وأرباب السيوف والقواد ، ولكل

منهم مقامه ومنزلته (٦) العوالي : الرماح ، والسوابق : الجياد ، وهو من قول

أبى الطيب :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجرعو لنا ومجرى السوابق

حَقَائِقُ^(١) ، وَهِيَ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ
الْجَسَدِ ، وَالزُّوْرُ^(٢) مِنَ الْأَسَدِ ، وَلَهَا الدَّخْلُ الْقَسِيحُ ،
وَالخَارِجُ الَّذِي يُتَمَعُّ الْبَصَرُ بِامْتِدَادِهِ فَلَا يَزَالُ مُسْتَرْجِحًا
وَهُوَ مِنْ تَرَدُّدِ النَّظَرِ طَلِيحٌ^(٣) . وَقَالَ الْحَجَّارِيُّ « حَضْرَةُ
قُرْطُبَةَ » مُنْذُ افْتُسِحَتِ الْجَزِيرَةُ هِيَ كَانَتْ أَلْفَايَةَ ، وَمَرَّ كَرَّ
الرَّايَةَ ، وَأُمُّ الْقُرَى ، وَقَرَارَةُ أُولَى الْفَضْلِ وَالْتَمَى ، وَوَطَنُ
أُولَى الْعِلْمِ وَالْتَمَى ، وَقَلْبُ الْإِقْلِيمِ ، وَيَنْبُوعُ مُنْفَجِّرِ الْعُلُومِ ،
وَقُبَّةُ الْإِسْلَامِ ، وَحَضْرَةُ الْإِمَامِ . وَدَارَصُوبُ^(٤) الْعُقُولِ ،

(١) للعالي : جمع معلاة : وهي كسب الشرف ونيل المجد ، والحقائق هنا
جمع حقيقة : وهي ما يحق على الله أن يحميه ويجب عليه أن يذود عنه
وما يلزمه حفظه ومنه والدفاع عنه ، والحقيقة أيضا الرأية والعلم ، ويصح
إرادته هنا ، ويقال فلان حامى الحقيقة ، قال عامر بن الطفيل بن مالك
ابن جعفر بن كلاب :

لقد علمت عليا هوأزن أنى أنا الفارس الحامى حقيقة جعفر

(٢) الزور : الصدر أو وسطه أو أعلاه ، وهو ما ارتفع منه الى الكتفين
(٣) أميمتب ، وطلح البعير « كنع » طلحا وطلاحة اذا أعيا وكل وبلغ
منه المجد (٤) الصوب : الانصباب كالانصباب ، يقال صاب الطر وانصب
اذا كان كثير الانسكاب ، والعبارة هنا من قول أبي تمام :
ولو كان يفي الشعر أفناء ماقرت حياضك منه في الصور الفواهب
ولكنه صوب العقول اذا انجلت : سحاب منه أعقبت بسحاب

وَبُسْتَانَ ثَمَرِ الْخَوَاطِرِ ، وَبَحْرَ دُرِّ الْقَرَائِحِ ، وَمِنْ أَفْهَمِهَا
 طَلَمَتِ نُجُومُ الْأَرْضِ ^(١) وَأَعْلَامُ الْعَصْرِ ، وَفُرْسَانُ النَّظْمِ
 وَالنَّثْرِ ، وَبِهَا انْشَبَتِ التَّلَافِيحُ الرَّائِقَةُ ، وَصُنِفَتِ التَّصْنِيفَاتُ
 الْفَائِقَةُ . وَالسَّبَبُ فِي تَبْرِيزِ الْقَوْمِ حَدِيثًا وَقَدِيمًا عَلَى مَنْ
 سِوَاهُمْ : أَنَّ أَفْهَمَهُمُ الْقُرْطُبِيُّ لَمْ يَشْتَمِلْ قَطُّ إِلَّا عَلَى الْبَحْثِ
 وَالطَّلَبِ ، لِأَنْوَاعِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ . انْتَهَى . « وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ
 سَعِيدٍ » أَخْبَرَنِي وَالِدِي أَنَّ السُّلْطَانَ الْأَعْظَمَ أَبَا يَعْقُوبَ
 ابْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ قَالَ لِوَالِدِهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ :
 مَا عِنْدَكَ فِي قُرْطُبَةٍ ؟ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : مَا كَانَ لِي أَنْ أَتَكَلَّمَ
 حَتَّى أَسْمَعَ مَذْهَبَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا ، فَقَالَ السُّلْطَانُ :
 إِنَّ مُلُوكَ بَنِي أُمَيَّةَ حِينَ اتَّخَذُوها حَضْرَةً مُلْكِهِمْ لَتَلَى
 بِصِيرَةٍ : الدِّيارُ الْكَثِيرَةُ الْمُنْفَسِحَةُ ، وَالشُّوَارِعُ الْمُنْسِمَةُ
 وَالْبَنَانِي الضَّخْمَةُ ، وَالنَّهْرُ الْجَارِي ، وَالْهَوَاءُ الْمُتَعَدِّلُ ،
 وَالْخَلَارِجُ النَّصْرُ ، وَالْمَحْرَثُ الْعَظِيمُ ، وَالشَّرَاءُ ^(٢) الْكَافِيَةُ ،

(١) يريد بنجوم الأرض النابضين في العلوم والعارف والبرزين في الفنون

والآداب . (٢) الشراء من الأرض : ذات الشجر أو كثيرته

وَالْتَوَسَّطُ بَيْنَ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ وَغَرْبِهَا^(١). قَالَ : فَقُلْتُ مَا
أَتَى لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَقُولُ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَمِنْ
كَلَامِ وَالِدِي فِي شَأْنِهَا : هِيَ مِنْ أَحْسَنِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ
مَبَانِي ، وَأَوْسَمَهَا مَسَالِكَ ، وَأَبْرَعَهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَتَفْضُلُ
إِسْبِيلَةَ بِسَلَامَتِهَا فِي فَضْلِ الشَّتَاءِ مِنْ كَثَرَةِ الطَّيْنِ ،
وَلَأَهْلِيهَا رِيسَةً وَوَقَارًا ، وَلَا تَزَالُ سَعَةً^(٢) الْعِلْمِ مُتَوَارَةً فِيهِمْ ،
إِلَّا أَنْ عَامَتْهَا أَكْثَرُ النَّاسِ فُضُولًا^(٣) وَأَشَدَّهُمْ تَشْنِيعًا
وَتَشْنِيعِيًا ، وَيَضْرِبُ بِهِمُ الْمَثَلُ مَا بَيْنَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي
الْقِيَامِ عَلَى الْمُلُوكِ وَالتَّشْنِيعِ عَلَى الْوُلَاةِ وَقَلَّةِ الرِّضَا
بِأُمُورِهِمْ ، حَتَّى إِنَّ السَّيِّدَ أَبَا يَحْيَى بْنَ يَمْقُوبَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ
لَمَّا انْقَصَلَ عَنْ وَلَايَتِهَا قِيلَ لَهُ : كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَ قُرْطُبَةَ ؟
قَالَ : مِثْلَ الْجَلِّلِ إِنْ خَفَّتْ عَنْهُ الْحِمْلُ صَاحَ ، وَإِنْ أَثْقَلَتْهُ
بِهِ صَاحَ ، مَا تَدْرِي أَيْنَ رِصَانُهُمْ فَتَقْصِدُهُ ، وَلَا أَيْنَ سَخَطُهُمْ

(١) سبق في الجزء الاول هذه العبارة وشرحها (٢) أوسمة (٣) الفضول :
التمرض للملابسة والاشتغال بالآخر فيه ولا عائدة نفع ، وهم في ذلك مثل كثير
من علماء مصر ، و« من حسن اسلام الله تركه ما لا ينييه » « أحمد يوسف نجاشي »

فَجَبَنَهُ ! وَمَا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَجَّاجَ الْفِتْنَةِ ^(١) حَتَّى كَانَ
عَامَهَا شَرًّا مِنْ عَامَةِ الْعِرَاقِ ، وَإِنَّ النُّزُلَ عَنْهَا لِمَا قَالَتْ
مِنْ أَهْلِهَا عِنْدِي وَلَايَةٌ ، وَإِنِّي إِنْ كُفِّتُ الْمَوَدَّ إِلَيْهَا
لَقَائِلُ : « لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ » .

عاسن أهل قرطبة « قَالَ وَاللَّيْ » وَمِنْ مَحَاسِنِهَا ظَرْفُ اللَّبَاسِ ، وَأُنْظَاهُ
بِالدِّينِ ، وَالْمُوَاطَّئَةُ عَلَى الصَّلَاةِ ، وَتَعْظِيمُ أَهْلِهَا لِجَامِعِهَا
الْأَعْظَمِ ، وَكَسْرُ أَوَانِي الْخَمْرِ حَيْثُمَا وَقَعَ عَيْنُ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِهَا
عَلَيْهَا ، وَالتَّسْتُرُ بِأَنْوَاعِ الْمُنْكَرَاتِ ، وَالتَّفَاخُرُ بِأَصَالَةِ
الْيَتِّ ، وَبِالْجُنْدِيَّةِ ، وَبِالْعِلْمِ ، وَهِيَ أَكْثَرُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ
كُتُبًا ، وَأَشَدُّ النَّاسِ أَعْتَابَهُ بِحَزَائِنِ الْكُتُبِ ، صَارَ
ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ آلَاتِ التَّمَيُّنِ ^(٢) وَالرِّيَاسَةِ ، حَتَّى إِنْ الرَّئِيسَ
مِنْهُمْ الَّذِي لَا تَكُونُ عِنْدَهُ مَعْرِفَةٌ يَحْتَقِلُ فِي أَنْ تَكُونَ

(١) يريد الفتنة التي استأصلت كثيرا منهم فكانت عليهم في الشدة والقسوة
وكثرة الفتك مثل الحجاج بن يوسف الثقفي عامل العراق لعبد الملك بن مروان
والوليد بن عبد (٢) يظهر أن التمين هنا من « عين » بمعنى سيد، والمعنى :
كبير القوم وجمعه أعيان، وهم الاشراف الاماثل والسادة الافاضل .

فِي يَتِّهِ خِزَانَةَ كُتُبٍ، وَيَتَّخِبُ فِيهَا، لَيْسَ إِلَّا لِأَن يُقَالَ :
فُلَانٌ عِنْدَهُ خِزَانَةُ كُتُبٍ، وَالْكِتَابُ الْفُلَانِيُّ لَيْسَ عِنْدَ
أَحَدٍ غَيْرِهِ ، وَالْكِتَابُ الَّذِي هُوَ بِحِطِّ فُلَانٍ قَدْ حَصَلَهُ
وَوَظَّفِرَ بِهِ .



« قَالَ الْخَضِرِيُّ » أَقَمْتُ مَرَّةً بِقَرْطَبَةَ وَلَا زَمْتُ سُوقَ وَلِمَ أَمَلُ قَرْطَبَةَ
بِاقْتِنَاءِ الْكُتُبِ
كُتُبَهَا مُدَّةً أَتَرَقَّبُ فِيهِ وَفُوعَ كِتَابٍ كَانَ لِي بِطَلَبِهِ أُعْتِنَاهُ
إِلَى أَنْ وَقَعَ وَهُوَ بِحِطِّ^(١) فَصِيحٍ وَتَفْسِيرٍ مَلِيحٍ ، فَقَرَحْتُ بِهِ
أَشَدَّ الْقَرَحِ ، فَجَمَلْتُ أَزِيدُ فِي تَمَنِّيهِ ، فَيَرْجِعُ إِلَى الْمُنَادِي
بِالزِّيَادَةِ عَلَى إِلَى أَنْ بَلَغَ فَوْقَ حَدِّهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا أَرِنِي
مَنْ يَزِيدُ فِي هَذَا الْكِتَابِ حَتَّى يَبْلُغَهُ إِلَى مَا لَا يُسَاوِي ، قَالَ
فَأَرَانِي شَخْصًا عَلَيْهِ لِبَاسُ رِيَاسَةٍ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ لَهُ
أَعَزَّ اللَّهُ سَيِّدَنَا الْفَقِيهَ : إِنْ كَانَ لَكَ غَرَضٌ فِي هَذَا الْكِتَابِ
تَرَكْتُهُ لَكَ ، فَقَدْ بَلَغْتَ بِهِ الزِّيَادَةَ يَتَنَا فَوْقَ حَدِّهِ ، قَالَ
فَقَالَ لِي : لَسْتُ بِفَقِيهِ ، وَلَا أَدْرِي مَا فِيهِ ، وَلَكِنِّي أَقَمْتُ
خِزَانَةَ كُتُبٍ ، وَأَحْتَفَلْتُ فِيهَا لِأَجْمَلِ بِهَا بَيْنَ أَعْيَانِ الْبَلَدِ

(١) أَيْ وَاضِحٌ ظَاهِرٌ بَيْنَ

وَبَقِيَ فِيهَا مَوْضِعٌ بَسَعُ هَذَا الْكِتَابَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ حَسَنَ
الْخَطِّ جَيِّدَ التَّجْلِيدِ اسْتَحْسَنْتُهُ ، وَلَمْ أَبَالِ بِمَا أَزِيدُ فِيهِ ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ مِنْ الرِّزْقِ فَهُوَ كَثِيرٌ . قَالَ
الْحَضْرِيُّ : فَأَخْرَجَنِي وَحَمَلَنِي عَلَى أَنْ قُلْتُ لَهُ : نَعَمْ لَا يَكُونُ
الرِّزْقُ كَثِيرًا إِلَّا عِنْدَ مِثْلِكَ ، يُعْطَى الْجُوزُ مَنْ لَا لَهُ أَسْتَانُ
وَأَنَا الَّذِي أَعْلَمُ مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَأَطْلُبُ الْإِتِّفَاعَ بِهِ
يَكُونُ الرِّزْقُ عِنْدِي قَلِيلًا ، وَتَحْوُلُ فَلَهُ مَا يَدِي يَنْبِي
وَيَنْتَهُ .

« قَالَ أَبُو سَعِيدٍ » : وَجَرَتْ مُنَاطَرَةٌ بَيْنَ يَدَيِ
مَنْصُورِيِّ^(١) عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ الْفَقِيهِ الْعَالِمِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ
رُشْدٍ وَالرَّائِسِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ زُهْرٍ ، فَقَالَ أَبُو رُشْدٍ لِابْنِ زُهْرٍ
فِي كَلَامِهِ : مَا أَذْرِي مَا تَقُولُ ؟ غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ عَالِمٌ
بِإِسْبِيلَةَ فَأَرِيدَ يَتَّعُ كُتُبَهُ حُمِلَتْ إِلَى قُرْطَبَةَ حَتَّى تَبَاعَ
فِيهَا ، وَإِذَا مَاتَ مُطَرِّبٌ بِقُرْطَبَةَ فَأَرِيدَ يَتَّعَ رِكَتَهُ حُمِلَتْ
إِلَى إِسْبِيلَةَ .



« وَسُئِلَ ابْنُ بَشْكُوَال » عَنْ قَصْرِ قُرْطَبَةَ فَقَالَ : هُوَ
 قَصْرٌ أَوَّلِي^(١) تَدَاوَلَتْهُ مُلُوكُ الْأُمَمِ مِنْ لَدُنْ عَهْدِ مُوسَى
 النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفِيهِ مِنَ الْمَبَانِي
 الْأَوَّلِيَّةِ وَالْآثَارِ الْعَجِيبَةِ لِلْيُونَانِيِّينَ ثُمَّ لِلرُّومِ وَالْقُوطِ
 وَالْأُمَمِ السَّالِفَةِ مَا يُعْجِزُ الْوَصْفَ ، ثُمَّ ابْتَدَعَ الْخُلَفَاءُ مِنْ
 بَنِي مَرْوَانَ مُنْذُ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْأَنْدَلُسَ بِمَا فِيهَا - فِي قَصْرِهَا
 الْبَدَائِعِ الْحَسَنَ ، وَأَثَرُوا فِيهِ الْآثَارَ الْعَجِيبَةَ ، وَالرِّيَاضَ
 الْأَنْيَقَةَ ، وَأَجْرَوْا فِيهِ الْمِيَاهَ الْعَذْبَةَ الْمَجْلُوبَةَ مِنْ جِبَالِ
 قُرْطَبَةَ عَلَى الْمَسَافَاتِ الْبَعِيدَةِ ، وَتَمَوَّنُوا الْمَوْنَ^(٢) الْجَسِيمَةَ
 حَتَّى أَوْصَلُوهَا إِلَى الْقَصْرِ الْكَرِيمِ ، وَأَجْرَوْهَا فِي كُلِّ
 سَاحَةٍ مِنْ سَاحَاتِهِ وَنَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِيهِ فِي قَنَوَاتِ الرِّصَاصِ ،
 تُؤَدِّيهِهَا مِنْهَا إِلَى الْمَصَانِعِ صُورٌ مُخْتَلِفَةٌ الْأَشْكَالِ مِنْ

(١) لعله أزلى : وأولى منسوب الى أول كانه يريد أولية الخليفة ، وعلى
 كلا الأمرين فالمراد القدم المجهول الاولية : كما يقال في القديم أيضا عدى
 نسبة الى عاد (٢) أى أنفقوا النفقات الكثيرة وتحملوا التكاليف الباعظة

وصف قصر
 قرطبة

الذَّهَبِ الْإِزْرِزِ وَالْفِضَّةِ الْخَالِصَةِ وَالنَّحَاسِ الْمُمَوِّ^(١) إِلَى
الْبُحَيْرَاتِ الْهَائِلَةِ، وَالْبِرْكِ الْبَدِيَةِ، وَالصَّهَارِيجِ الْغَرِيَةِ
فِي أَخْوَاصِ الرُّخَامِ الرُّومِيَةِ الْمَنْقُوشَةِ الْمَجِيبَةِ. قَالَ: وَفِي
هَذَا الْقَصْرِ الْقِصَابِ^(٢) الْمَالِيَةِ السُّمُو، الْمُنِيفَةُ الْعُلُوِّ الَّتِي
لَمْ يَرِ الرَّاعُونَ مِثْلَهَا فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا.
« قَالَ » وَمِنْ قُصُورِهِ الْمَشْهُورَةِ وَبَسَاتِينِهِ الْمَعْرُوفَةِ
الْكَامِلُ، وَالْمَجْدُدُ، وَالْخَائِرُ، وَالرَّوَضَةُ، وَالزَّاهِرُ،
وَالْمَعْشُوقُ، وَالْمُبَارَكُ، وَالرَّشِيقُ^(٣) وَقَصْرُ الشَّرُّورِ وَالنَّاجُ،
وَالْبَدِيعُ^(٤)

(١) أى الطلى بفضة أو ذهب (٢) لعله يريد أنابيب المياه - وخرج الماء من
القصب وهى مجارى الماء من الميون ومنابعها - ومن معاني القصبه القصر
أو جوفه يبنى فيه بناء هو أوسطه - والقصاب مسنة يبنى فى الخف لثلا
يجتمع السيل ويوبل فيهم أصل الحائط بسببه (٣) فى الأصل (الرسق)
وهو تصحيف (٤) أغلب أسماء هذه القصور والبساتين منقولة عن أسماء
قصور مشهورة بناها الخلفاء العباسيون فى بغداد وسامراء وضواحيهما
وربما أفردنا هذه القصور بمقال خاص إن شاء الله. وكان يوابا على
باب الكامل وأميناً فى الزهراء محمد بن عبد الحميد بن طالب بن مدرك بن
عبد الحميد بن غانم البواب القرطبي مولى معاوية بن هشام وكان من أهل
الحجر والشرف رحل الى الشرق سنة ٣١٣ فسمع من علمائه وعاد الى
بلده فتوفى به سنة ٣٣٢ « أحمد يوسف نجاشى » .



« قَالَ » وَمِنْ أَبْوَابِهِ الَّتِي فَتَحَهَا اللَّهُ لِنَصْرِ الْمَظْلُومِينَ ابواب النصر
وَعِيَاثِ الْمَلْهُوفِينَ وَالْحُكْمِ بِالْحَقِّ : الْبَابُ الَّذِي عَلَيْهِ
السَّطْحُ الْمُشْرِفُ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَعَلَى هَذَا
الْبَابِ بَابُ حَدِيدٍ وَفِيهِ حَلْقُ لَاطُونٍ ^(١) قَدْ اثْبَتَتْ فِي
قَوَاعِدِهَا ، وَقَدْ صُوِّرَتْ صُورَةً إِنْسَانٍ فَتَحَ قَمَهُ ، وَهِيَ حَلْقُ
بَابِ مَدِينَةِ أَرْبُوعَةٍ مِنْ بِلَادِ الْأَفْرَنْجِ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ قَدْ
افْتَحَهَا فَجَلَبَ حَلَقَهَا إِلَى هَذَا الْبَابِ ، وَلَهُ بَابٌ قَلْبِي أَيْضًا
وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِبَابِ الْجَنَانِ ، وَقُدَّامَ هَذَيْنِ الْبَابَيْنِ
الْمَذْكُورَيْنِ عَلَى الرَّصِيفِ الْمُشْرِفِ عَلَى النَّهْرِ الْأَعْظَمِ
مَسْجِدَانِ مَشْهُورَانِ بِالْفَضْلِ ، كَانَ الْأَمِيرُ هِشَامُ الرَّضِيِّ
يَسْتَعْمِلُ الْحُكْمَ فِي الْمَظَالِمِ فِيهِمَا اثْنَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ الْجَزِيلِ ،
وَلَهُ بَابٌ ثَالِثٌ يُعْرَفُ بِبَابِ الْوَادِي ، وَلَهُ بَابٌ بِشَمَالِهِ
يُعْرَفُ بِبَابِ قُورِيَّةٍ ، وَلَهُ بَابٌ رَابِعٌ يُدْعَى بِبَابِ الْجَامِعِ
وَهُوَ بَابٌ قَدِيمٌ كَانَ يَدْخُلُ مِنْهُ الْخُلَفَاءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ عَلَى السَّابِاطِ ^(٢) . وَعَدَدُ أَبْوَابِ بَعْدَ هَذَا

(١) اللاطون : هو النحاس الأصفر (٢) السباط سقيفة بين دارين

طُمِسَتْ أَيَّامَ فِتْنَةِ الّهْدِيِّ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ .



أبواب قرطبة

« وَذَكَرَ ابْنُ بَشْكُوَالٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - « أَنَّ أَبْوَابَ
قُرْطُبَةَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ : بَابُ الْقَنْطَرَةِ إِلَى جِهَةِ الْقِبْلَةِ ^(١) ،
وَيُعرفُ بِيَابِ الْوَادِي وَيِيَابِ الْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ ، وَهُوَ عَلَى

أو حائلين من تحتها طريق نافذ، وكان الأمير عبد الله بن محمد قد أنشأ
ساباطا معقودا على حنايا وصل فيه مابين قصر الامارة وباب فتح في
جدران المسجد ، وفي أيام الحكم المستنصر زيد في المسجد من جنوبيه
فقطع من هنا الجانب ساباط القصر للتخذ لخروج الخليفة الى الصلاة
وبدئ بناء هذا المسجد العظيم في سنة ١٦٩ في عهد الأمير عبد الرحمن
الداخل ، وانتهى العمل فيه في مدة ابنه هشام سنة ١٧٧ فاجاء آية في
الفن وحسن الزخرفة والبناء . « أحمد يوسف نجاشي » .

(١) كان بقرب هذا الباب مقبرة دفن بها كثير من العلماء ، منهم
أبو علي الحسن بن أيوب بن محمد بن أيوب الأنصاري القرطبي المعروف
بالحداد الفقيه العالم المحدث الراوية النحوي الأديب كان ذا شعر حسن
في الزهد والراء وذا دين وفضل ، ولد سنة ٣٣٨ وتوفي سنة ٤٥٢ ودفن
خلف باب القنطرة . ومنهم أبو اللطف عبد الرحمن بن سعيد بن هرون
النهجي المقرئ المعروف بابن الوراق المقرئ ، تولى الصلاة بالمسجد الجامع
بقرطبة وكان ثقة ولد سنة ٤٤٢ وتوفي سنة ٥٢٢ ودفن بباب القنطرة
« أحمد يوسف نجاشي » .

النَّهْرَ ، وَبَابُ الْحَدِيدِ ^(١) وَيُتْرَفُ يِيَابِ سَرْقُطَةَ ، وَبَابُ
ابْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ ^(٢) وَهُوَ بَابُ طَلِيْطَةَ ، وَبَابُ رُومِيَّةَ ، وَفِيهِ
تَجْتَمِعُ الثَّلَاثَةُ الرُّصْفُ الَّتِي تَشُقُّ دَائِرَةَ الْأَرْضِ مِنْ
جَزِيرَةِ قَادِسَ إِلَى قَرْمُونَةَ إِلَى قَرْطَبَةَ إِلَى سَرْقُطَةَ إِلَى
طَرَكُونَةَ ^(٣) إِلَى أَرْبُونَةَ مَرَّةً فِي الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ ، ثُمَّ
بَابُ طَلِيْيرَةِ وَهُوَ أَيْضًا بَابُ لِيُون ^(٤) ، ثُمَّ بَابُ عَامِرٍ

(١) وفي بعض للراجع الباب الجديد ، وكان بالربض الشرقي من قرطبة
(٢) هو عبد الجبار بن خطاب بن مروان بن نذير مولى مروان بن
الحكم ، واليه نسب ذلك الباب الشرقي بقرطبة ، وهو جد بني خطاب
التدمريين ، ومنتهاهم في الأزد ، منهم مروان بن خطاب بن عبد الجبار
ابن خطاب - ومن فضلاء ذريته أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الملك
ابن موسى بن عبد الملك بن الوليد بن محمد بن الوليد بن مروان بن
عبد الملك بن محمد بن مروان بن خطاب بن عبد الجبار من أهل مرسية
كان فقيها جليلا وعالما فاضلا ومحدثا نبيلًا وأديبا بليغا ، وله مؤلفات نافعة في
فنون مختلفة وتوفي سنة ٥٩٩ . وسنفرد بني خطاب بمقال مسهب
ان شاء الله « أحمد يوسف نجاتي » (٣) طركونة : هي موضع من أعمال
لبلة الى الغرب من قرطبة ، ولبللة كانت قصبة كورة كبيرة يتصل عملها
بجمل أ كشونية ، وهي شرق من أ كشونية وغرب من قرطبة . وقدم
وصفها (٤) أي يسمى أيضا باب « ليون » وليون شمال طلييرة وان جلت
عنها جدا ، وطللييرة شمال قرطبة ، وبينهما مسافة شاسعة كذلك

الْقُرَشِيِّ - وَقُدَّامَةُ الْمَقْبَرَةِ ^(١) الْمَنْسُوبَةُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ بَابُ
الْحُورِ ^(٢) وَيُعْرَفُ بِبَابِ بَطْلَيْوَسَ ، ثُمَّ بَابُ الطَّارِينِ
وَهُوَ بَابُ إِشْبِيلِيَّةَ . اُنْتَهَى .

* *

أرباض قرطبة وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّ عَدَدَ أَرْبَاضٍ قُرْطَبَةٍ عِنْدَ اُنْتِهَائِهَا
فِي التَّوَسُّعِ وَالْعِمَارَةِ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ رِبْضًا ، مِنْهَا
الْقَلِيلَةُ بِمُدْوَةِ النَّهْرِ : رِبْضُ شَقَنْدَةَ ، وَرِبْضُ مُنْيَةَ
عَجَبٍ ^(٣) . وَأَمَّا الْقَرْيَةُ فَتَقْسَمُ : رِبْضُ حَوَانِيتِ

(١) ممن دفن بهذه المقبرة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مطرف
الكتاني القرطبي المقرئ الجليل والفقير الصالح ولد سنة ٣٨٧ وتوفي
سنة ٤٥٤ ودفن عند باب عامر - وأبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن بن
سليمان بن معاوية بن سوار الأحمي للؤذن القرطبي المقرئ الفقيه المحدث
كان أحد أئمة المسجد الجامع ولد سنة ٣١٠ وتوفي سنة ٣٨٢ ودفن بمقبرة
باب عامر (٢) كذا بالأصل وأظنه باب الجوز وعنده كان مسكن أبي
عبد الله محمد بن عبد الله بن حسان بن يحيى الأموي الطار القرطبي
العالم الفقيه ولد سنة ٣٣٠ وتوفي سنة ٤٠٩ (٣) ومن كان يسكن منية عجب
خلف بن سعيد المنبي المحدث الفقيه المقرئ الفاضل ، توفي شهيداً
سنة ٣٠٥ - وأبو زيد خالد بن محمد بن أحمد بن خالد القرطبي حفيد أحمد
ابن خالد الفقيه المعروف بابن الحباب وكان فقيهاً صالحاً ورعاً عالماً محدثاً
توفي سنة ٣١٨ - وأبو القاسم محمد بن محمد بن مسرور الأموي
الصيدلاني القرطبي المعروف بالحفاء كانت له عناية بالعلم ورواية الحديث
وسكنه منية عجب ولد سنة ٣١١ وتوفي سنة ٣٩١ «أحمد يوسف نجاشي»

الرَّيْحَانِ ، وَرَبَضُ الرَّقَاقِينَ ، وَرَبَضُ مَسْجِدِ الْكَهْفِ ،
وَرَبَضُ بَلَّاطِ مُغِيثٍ ^(١) ، وَرَبَضُ مَسْجِدِ الشَّفَاءِ ^(٢) ، وَرَبَضُ
حَمَامِ الْإِلْيَيرِيِّ ، وَرَبَضُ مَسْجِدِ السُّرُورِ ، وَرَبَضُ مَسْجِدِ
الرَّوْضَةِ ، وَرَبَضُ السَّجَنِ الْقَدِيمِ . وَأَمَّا الشَّمَالِيَّةُ فَثَلَاثَةٌ :
رَبَضُ بَابِ الْيَهُودِ ، وَرَبَضُ مَسْجِدِ أُمِّ سَلَمَةَ ، وَرَبَضُ
الرُّصَافَةِ . وَأَمَّا الشَّرْقِيَّةُ فَسَبْعَةٌ : رَبَضُ شِبْلَارٍ ^(٣) وَرَبَضُ

(١) من كان يسكن بلطاط مغيث أبو عثمان سعيد بن خنجر بن عبد الرحمن
القرطبي رحل الى الشرق فسمع من يونس بن عبد الأعلى ومحمد بن
عبد الله بن عبد الحكم وغيرهما، وكان يسكن بلطاط مغيث فنقله الأمير
عبد الله الى المدينة بقرب المسجد الجامع، فكان يجلس به ويجمع اليه
الناس وكان فقيها علما فاضلا ولد سنة ٢٣٠ وتوفي سنة ٣٠١ (٢) لا أدري
أهو كذلك كما في الأصل أم هو مسجد الشفاء الذي كان امامه أبو بكر
مسلم بن أحمد بن أفلح النحوي الأديب من أهل قرطبة كان علما
فقيها حميد الدين حسن العقل سهل الخلق دمث الطباع مع نبه وبراغته
وتقدمه في علوم العربية واللغة ورواية الشعر والأدب وكان لتلاميذه كلاب
الشفيق والاشع الشفيق غيور اعلی افادتهم متلفا في ذلك ، ولد سنة ٣٧٦
وتوفي سنة ٤٣٣ رحمه الله ولنا كلمة طويلة في مضى هذا ومن ينسب اليه
«أحمد يوسف نجاني» . (٣) في الأصل شبلار ، وفي ياقوت: «شبلار» وكان
يسكن بها عبد الله بن محمد بن جعفر القرطبي التوفي سنة ٣١٩ هـ وأرجح
أنها «شبلار» وكان يسكن بها أبو بكر محمد بن سعيد بن عبد الله بن حمدون بن

قَرْنِ بَرِيل^(١) وَرَبَضُ الْبَرْجِ : وَرَبَضُ مُنْيَةِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَرَبَضُ
 مُنْيَةِ الثَّمِيرَةِ^(٢) وَرَبَضُ الزَّاهِرَةِ ، وَرَبَضُ الْمَدِينَةِ الشَّقِيقَةِ .
 قَالَ : وَوَسَطَ هَذِهِ الْأَرْبَاضِ قَصَبَةُ قُرْطَبَةَ الَّتِي تَخْتَصُّ
 بِالشُّورْدُونِهَا . وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَرْبَاضُ بِدُونِ سُورٍ ، فَلَمَّا كَانَتْ
 أَيَّامُ الْفِتْنَةِ صُنِعَ لَهَا خَنْدَقٌ يَدُورُ بِجَمِيعِهَا وَحَائِطٌ مَانِعٌ .
 « وَذَكَرَ ابْنُ غَالِبٍ » أَنَّهُ كَانَ دَوْرٌ هَذَا الْحَائِطِ أَرْبَعَةَ
 وَعِشْرِينَ مِيلًا . وَشَقَنْدَةُ مَعْدُودَةٌ فِي الْمَدِينَةِ لِأَنَّهَا مَدِينَةٌ
 قَدِيمَةٌ كَانَتْ مُسَوَّرَةً^(٣) .

علقة الحجرى القرطبي ، قال ابن الفرضي : كان يسكن بشبلار قرب
 زقاق زرعة ويصلي بمسجد ابن عبيد ، وقد حدث عنه القاضي يونس
 ابن عبد الله في بعض تصانيفه وكان جله ، وقال في موضع آخر في
 ترجمة أبي عبد الله « شمر بن نير » مولى بني أمية : لما قدم من
 المدينة الى قرطبة في أيام الأمير هشام بن عبد الرحمن ضمه الى تأديب
 ولده وأتزه في النار المروقة بشبلار بدار ابن الشمر ، وكان له ابن شاعر جلس
 للأمير عبد الرحمن بن الحكم اسمه عبد الله « أحمد يوسف نجاشي » (١) في بعض
 الراجع « قرن بريل » (٢) ومن كان يسكن منية الثميرة الوزير أبو مروان
 عبد الملك بن أحمد ابن عبد الملك بن شهيد ، وتقدم التعريف به . ومنهم أبو عبد الله
 محمد ابن سعيد بن أبي عتبة القشيري النحوي القرطبي الأديب توفي سنة ٣٧٧
 وبرز منية الثميرة ولد أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الإمام
 للشهور سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٤٥٦ (٣) تقدم القول في « شقندة »



« قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ » فِي الْمَغْرِبِ : وَلَنَذْكُرُ الْآنَ مِنْ مُتَنَزِّهَاتِ قُرْطُبَةَ وَمَعَاهِدِهَا الْمَذْكُورَةِ فِي الْأَلْسُنِ نَظْمًا وَشِئْرًا مَا أَتَى إِلَيْهِ الضَّبْطُ مِنْ غَيْرِ تَغْلُفٍ فِي غَيْرِ الْمَشْهُورِ مِنْهَا وَالْأَمَمِ ، وَتَوَشَّى ذَلِكَ بِجَمِيعِ مَا يَحْضُرُنِي مِنْ مُخْتَارِ النَّظْمِ فِي قُرْطُبَةَ ، وَمَا يَحْتَوِي عَلَيْهِ نِطَاقُهَا الْمَذْكُورُ .
فَأَوَّلُ مَا نَذْكُرُ مِنَ الْمُتَنَزِّهَاتِ مُتَنَزِّهَاتُ الْخُلَفَاءِ الْمَرْوَانِيَّةِ وَهُوَ قَصْرُ الرُّصَافَةِ ، فَقُولُ : كَانَ هَذَا الْقَصْرُ مِمَّا ابْتَنَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ فِي أَوَّلِ أَيَّامِهِ لِزَهْرِهِ ، وَسُكْنَاهُ أَكْثَرَ أَوْقَاتِهِ مُنِيَّةُ الرُّصَافَةِ الَّتِي اتَّخَذَهَا بِشِمَالِ قُرْطُبَةَ مُنْعَرِفَةً إِلَى الْمَغْرِبِ ، فَاتَّخَذَ بِهَا قَصْرًا حَسَنًا ، وَدَحَا^(١) جَنَانًا وَاسِعَةً ، وَقَالَ إِلَيْهَا غَرَائِبُ الْعُرُوسِ وَأَكَارِمُ الشَّجَرِ مِنْ كُلِّ نَاجِيَةٍ ، وَأَوْدَعَهَا مَا كَانَ اسْتَجْلِبُهُ يَزِيدُ وَسَقَرُ رَسُولَاهُ إِلَى الشَّامِ مِنَ النَّوَى الْمُحْتَكَرِ وَالْحُبُوبِ الْغَرِيْبَةِ ، حَتَّى نَمَتْ

وَمِنْ كَانَ يَسْكُنُ بِهَا أَبُو عَمْرٍو أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكَلَاعِي الْقُرْطُبِي كَانَ يَسْكُنُ عِدْوَةَ النَّهْرِ بِشَقْنَدَةَ وَكَانَ فَقِيهًا مُحَدِّثًا تُوُفِيَ سَنَةَ ٣٩١
(١) دَحَا أَقْبَهُ الْأَرْضِ : بَسَطَهَا وَأَوْسَعَهَا

يَمِينِ الْجَدِّ وَحُسْنِ التَّرْيِيَةِ فِي الْمُدَّةِ الْقَرِيبَةِ أَشْجَارًا
مُعْتَمَةً^(١)، أَثَرَتْ بِفَرَائِبَ مِنَ الْفَوَائِكِ ائْتَشَرَتْ عَمَّا قَلِيلٍ
بَارِضِ الْأَنْدَلُسِ، فَأَعْتَرَفَ بِفَضْلِهَا عَلَى أَنْوَاعِهَا . وَقَدْ سَمَّاهَا
بِاسْمِ رُصَافَةِ جَدِّهِ هِشَامٍ بَارِضِ الشَّامِ الْأَثِيرَةِ لَدَيْهِ ،
وَلَكِنَّهُ فِي اخْتِيَارِ هَذِهِ وَكَلَفِهِ بِهَا وَكَثْرَةِ تَرَدُّدِهِ عَلَيْهَا
وَسُكْنَاهُ أَكْثَرَ أَوْقَاتِهِ بِهَا طَارَ لَهَا الدُّكْرُ فِي أَيَّامِهِ، وَأَتَصَلَ
مِنْ بَعْدِهِ فِي إِثَارِهَا ، قَالَ : وَكُلُّهُمْ فَضَّلَهَا وَزَادَ فِي عِمَارَتِهَا ،
وَأَنْبَرَى وَصَافُ الشُّرَاءِ لَهَا فَتَنَّاغُوا^(٢) فِي ذَلِكَ فِيمَا هُوَ
إِلَى الْآنَ مَشْهُورٌ مَأْثُورٌ عَنْهُمْ ، مُسْتَجَادٌ مِنْهُمْ .



وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَالرُّمَّانُ السَّفَرِيُّ الَّذِي فَاضَ عَلَى أَرْجَائِهِ رِمان الرصافة
الْأَنْدَلُسِ وَصَارُوا لَا يُفَضِّلُونَ عَلَيْهِ سِوَاهُ أَصْلُهُ مِنْ هَذِهِ
الرُّصَافَةِ ، وَقَدْ ذَكَرْتُ أَنَّ حَيَانَ شَأْنُهُ ، وَأَفْرَدَ لَهُ فَصْلًا
فَقَالَ : إِنَّهُ الْمَوْصُوفُ بِالْفَضِيلَةِ ، الْمَقْدَمُ عَلَى أَجْناسِ الرُّمَّانِ

(١) من المجاز قولهم اعتم النبات اذا التف وطال ، وروضة معتمه أى
وافية النبات طويلته، واعتمت الآكلم بالنبات تعممت . (٢) فى الاصل
(فتنازعوا)

بِعُدْوِيَةِ الطَّمِّ وَدَقَّةِ الْعَجَمِ^(١) وَعَزَارَةِ الْمَاعِ وَحُسْنِ الصُّورَةِ .
وَكَانَ رَسُولُهُ إِلَى الشَّامِ فِي تَوْصِيلِ أُخْتِهِ مِنْهَا إِلَى الْأَنْدَلُسِ
قَدْ جَلَبَ طَرَائِفَ فِيهَا مِنْ رُثْمَانَ الرُّصَافَةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَى
هِشَامٍ ، قَالَ : فَمَرَّضَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى خَوَاصِّ رِجَالِهِ مُبَاهِيًا
بِهِ ، وَكَانَ فِيمَنْ حَصَرَهُ مِنْهُمْ سَفَرُ بْنُ زَيْدٍ^(٢) الْكَلَاعِيُّ
مِنْ جُنْدِ الْأَزْدِ - وَيُقَالُ : هُوَ مِنَ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ كَانُوا
يَحْمِلُونَ أَلْوِيَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي غَزَوَاتِهِ
قَالَ : وَهُمْ يَحْمِلُونَ الْأَلْوِيَةَ بَيْنَ يَدَيِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ -
فَأَعْطَاهُ مِنْ ذَلِكَ الرُّثْمَانَ جُزْءًا ، فَرَأَاهُ حُسْنُهُ وَخُبْرُهُ ، فَسَارَ
بِهِ إِلَى قَرِيْبَةٍ بِكُورَةِ رِيَّةَ ، فَمَالَجَ عَجَمَهُ وَأَخْتَالَ لِعَرْسِهِ
وَعِذَائِهِ وَتَنَقَّلَهُ حَتَّى طَلَعَ شَجَرًا أَثْمَرَ وَأَنْتَعَ ، فَتَزَعَ إِلَى
عِرْقِهِ ، وَأَغْرَبَ فِي حُسْنِهِ ، فَجَاءَ بِهِ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ
فَإِذَا هُوَ أَشْبَهُ شَيْءَ بِذَلِكَ الرُّصَافِيِّ ، فَسَأَلَهُ الْأَمِيرُ عَنْهُ
فَعَرَفَهُ وَجَهَ حِيلَتِهِ ، فَاسْتَبْرَعَ اسْتِنْبَاطَهُ ، وَأُسْتَنْبِلَ هِمَّتَهُ ،
وَشَكَرَ صُنْعَهُ ، وَأَجْزَلَ صِلَتَهُ ، وَأَغْتَرَسَ مِنْهُ بُيُوتَهُ

(١) العجم : بالتحريك : نوى كل شيء ، الواحدة عجمة .

(٢) كذا بالأصل ، وأظن أنه سفر بن عبيد

الرُّصَافَةَ وَبَغِيْرَهَا مِنْ جِنَانِهِ ، فَانْتَشَرَ نَوْعُهُ ، وَأَسْتَوْسَعَ
النَّاسُ فِي غِرَاسِهِ ، وَلَزِمَهُ النَّسَبُ إِلَيْهِ ، فَصَارَ يُعْرَفُ إِلَى
الْآنَ بِالرُّمَّانِ السُّقْرِيِّ . قَالَ : وَقَدْ وَصَفَ هَذَا الرُّمَّانَ
مُحَمَّدُ بْنُ رَوْحٍ ^(١) الشَّاعِرُ فِي أَيْتَاتٍ كَتَبَ بِهَا إِلَى بَعْضِ مَنْ
أَهْدَاهُ لَهُ فَقَالَ :

وَلَا بَسَةَ صَدَفًا أَحْمَرًا أَتَيْتُكَ وَقَدْ مُلِثْتَ جَوْهَرًا
كَأَنَّكَ فَاتِحُ حُقِّ لَطِيفٍ تَضَعْنَ مَرْجَانُهُ الْأَحْمَرَا
حُبُوبًا كَمِثْلِ لُثَاثِ الْحَبِيبِ رُضَابًا إِذَا شِئْتَ أَوْ مَنْظَرَا
وَلِلسُّفْرِ تُعْزَى وَمَا سَافَرْتَ

فَتَشْكُو النَّوَى أَوْ تُقَاسِي الشَّرَى

لَمَّا فَارَقْتَ أَيْنَكُمَا ^(٢) نَاعِمًا رَطِيْبًا وَأَغْصَانَهَا نُضْرًا

(١) كذا بالأصل ، والذي أعرفه أن اسم قاتل هذه الأبيات هو أبو عمر
أحمد بن محمد بن فرح الجبائي وكان شاعرا رقيقا وافر الأدب كثير
الشعر وكان يمد في العلماء والشعراء ، وكان في أيام الحكم السفنصر -
وأخوه سعيد بن محمد بن فرح كذلك كان علما أدبيا شاعرا رقيقا ، ولهم
أنح ثالث كذلك وهو عبد الله وكلهم جمعوا بين العلم والأدب وجودة
الشعر وبخامة في وصف الرياض وحسن مناظر الطبيعة ، ولكل منهم
مؤلفات في الأدب . وسنفردهم بمقال خاص نبين فيه حياتهم وآثارهم
في الأدب ان شاء الله . « أحمد يوسف نجاتي » .
(٢) الأبيات : الشجر الكبير للطف واحدته أَيْكَة - وما جاء في وصف
الرمان قول ابن شاه :

وَجَاءَتْكَ مُعْتَاظَةً إِذْ أَتَتْكَ
 بِأَكْرَمَ مِنْ عُودِهَا عُضْرًا
 بِعُودٍ يُرَى فِيهِ مَاءُ النَّدَى
 وَيُورِقُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُشِيرَا
 هَدِيَّةً مَنْ لَوْ غَدَتْ نَفْسُهُ
 هَدِيَّتُهُ ظَنَّهُ قَصْرًا

* *

« وَقَالَ ابْنُ السَّعِيدِ » وَأَخْبَرَنِي وَالِدِي قَالَ أَخْبَرَنِي
 طرفة فاهم بن
 عبود الرياحي
 أَلَوْشَاحُ الْبَرْزُ الْمُخْسِنُ أَبُو الْحَسَنِ الْمَرِيئي قَالَ : يَلِينَا
 أَنَا أَشْرَبُ مَعَ نَدْمَائِي إِذَا زَاءَ الرُّصَافَةُ إِذْ يَأْتِسَانِ رَثَّ الْهَيْئَةِ
 مَجْفُوًّا الطَّلَعَةِ قَدْ جَاءَ فَجَلَسَ مَعَنَا ، فَقُلْنَا لَهُ : مَا هَذَا الْإِقْدَامُ
 عَلَى الْجُلُوسِ مَعَنَا دُونَ سَابِقِ مَعْرِفَةٍ ؟ فَقَالَ لَا تَعْبَلُوا عَلَيَّ ،
 ثُمَّ فَكَّرَ قَلِيلًا وَرَفَعَ رَأْسَهُ فَأَنشَدَنَا :
 اسْقِنِيهَا إِذَا قَصَرَ الرُّصَافَةُ
 وَأَعْتَبِرْ فِي مَالِ أَمْرِ الْخِلَافَةِ

ورمانة شبهها إذ رأيتها بشدى كهاب أو بحقة مرمر
 منمنمة صفراء تضد حولها يوافيت حمري ملاء مصفر
 لها فشر عقيان ورأس مشرق وأغمان خبرى وأوراق عبر

وَأَنْظُرِ الْأَفْقَ كَيْفَ بُدِّلَ أَرْضًا
 كَيْفَ يُطِيلَ اللَّيْلُ فِيهِ اعْتِرَافَهُ؟
 وَيَرَى أَنَّ كُلَّ مَا هُوَ فِيهِ
 مِنْ نَعِيمٍ وَعِزٍّ أَمْرٌ سَخَافَةٌ
 كُلُّ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ غَيْرُ شَيْءٍ
 مَا خَلَا لَذَّةَ الْحَوَى وَالسَّلَافَةِ
 قَالَ الْمَرْيِيُّ: فَقَبِلْتُ رَأْسَهُ، وَقُلْتُ لَهُ: يَا اللَّهِ مَنْ تَكُونُ؟
 فَقَالَ: قَاسِمُ بْنُ عَبُودٍ الرَّيَّاحِيُّ الَّذِي يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّهُ
 مُوسَى بْنُ أَحْمَقَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: مَا هَذَا شِعْرُ أَحْمَقٍ، وَإِنَّ
 الْعُقَلَاءَ لَتَمَجِّزُهُ عَنْهُ، فَبَالَغَ إِلَّا مَا تَعَمَّتْ مَسَرَّتَنَا بِمَوَاسِكَتِكَ
 وَمُنَادِمَتِكَ وَمُنَاشِدَةِ طَرْفِ أَشْعَارِكَ! فَنَادَمَ وَأَنشَدَ، وَمَازَلْنَا
 مَعَهُ فِي طَيِّبَةِ عَيْشٍ إِلَى أَنْ وَدَّعْنَاهُ وَهُوَ يَتَلَاظِمُ مَعَ الْحَيَّطَانِ
 سُكْرًا، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ غَفِرًا . اُنْتَهَى .

« قَالَ » وَمِنْ قُصُورِ خَارِجِ قُرْطُبَةَ قَصْرُ السَّيِّدِ
 أَبِي يَعْقِبِ بْنِ أَبِي يَمْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَهُوَ عَلَى مَنَنِ
 قُصُورِ ضَوَاحِي قُرْطُبَةَ

النَّهْرُ الْأَعْظَمُ تَحْمِلُهُ أَقْوَامٌ. وَقِيلَ لِلسَّيِّدِ: كَيْفَ تَأْتَتْ فِي
مُبْنِيَانِ هَذَا الْقَصْرِ مَعَ انْحِرَافِكَ عَنْ أَهْلِ قَرْطَبَةَ؟ فَقَالَ: عَلِمْتُ
أَنَّهُمْ لَا يَذْكُرُونَ وَالْيَا بَعْدَ عَزْلِهِ وَلَا لَهُ عِنْدَهُمْ قَدْرٌ. لِمَا
بَقِيَ فِي رُؤُسِهِمْ مِنَ الْخِلَافَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ. فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَبْقَى
لِي فِي بِلَادِهِمْ أَثَرٌ أَذْكُرُ بِهِ عَلَى رَغْمِهِمْ.

« قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ ^(١) » وَأَخْبَرَنِي وَالِدِي أَنَّ تَاهِيضَ بْنَ إِدْرِيسَ
شَاعَرَ وَادِي آشَ فِي عَصْرِهِ أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ فِي هَذَا الْقَصْرِ:
أَلَا حَبِذَا الْقَصْرُ الَّذِي أُرْقَعَتْ بِهِ

عَلَى الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْحَوَاجِبِ ^(٢) أَقْوَامٌ
هُوَ الْمَصْنَعُ الْأَعْلَى الَّذِي أَنْفَأَ ثَرَى
وَرَفَعَهُ عَنْ لُثْمِهِ الْمَجْدُ وَالْبَاسُ ^(٣)

(١) هو الأديب نور الدين علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد
الغنى القرطبي ينتهي نسبه الى عمار بن ياسر، ورد من المغرب وجمال في
مصر والشرق، وله كتاب الغرب في أخبار المغرب، والشرق في أخبار
الشرق، والرقص والطرب، وغيرها - توفي بدمشق سنة ٦٧٣ -
وستأني له ترجمة مسهبة. وأبوه موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد ولد
سنة ٥٧٣هـ وتوفي بالاسكندرية سنة ٦٤٠ (٢) في بعض التراجم «الحجارة»
(٣) في الأصل « والناس » وهو تحريف. « أحمد يوسف نجاشي »

فَأَرْكَبُ مَتْنَ النَّهْرِ عَزًّا وَرَفْعَةً
وَفِي مَوْضِعِ الْأَقْدَامِ لَا يُوجَدُ الرَّاسُ
فَلَا زَالَ مَعْمُورَ الْجَنَابِ وَبَابُهُ
يَنْصُ وَحَلَّتْ أَفْقُهُ الدَّهْرَ أَغْرَاسُ

وَقَالَ الْفَتْحُ فِي قَلَائِدِهِ - لَمَّا ذَكَرَ الْوَزِيرَ ابْنَ عَمَّارٍ :-
وَتَنَزَّهَ بِالْمَشْرِقِ بِقَرْطَبَةٍ ، وَهُوَ قَصْرٌ شَيْدَهُ بَنُو أُمَيَّةَ
بِالصَّفَّاحِ ^(١) وَالْعَمْدِ ، وَجَرَوْا فِي إِتْقَانِهِ إِلَى غَيْرِ أَمَدٍ ،
وَأَبْدَعَ بِنَاؤُهُ ، وَنُمِّتَ سَاحَاتُهُ وَفَنَائُؤُهُ ، وَاتَّخَذُوهُ مِيدَانِ
مِرَاحِمِهِمْ ^(٢) ، وَمِضْمَارَ أَفْرَاحِهِمْ وَأَنْشِرَاحِهِمْ ، وَحَكَّوْا بِهِ
قَصْرَهُمْ بِالْمَشْرِقِ ، وَأَطْلَعُوهُ كَالْكَوْكَبِ الثَّاقِبِ
الْمُشْرِقِ . وَأَنْشَدَ فِيهِ لِابْنِ عَمَّارٍ :

قصر المشق
بقرطبة

(١) جمع صفحة وهو العريض من الحجارة ، ومثله صفيحة وصفائح .
والعمد كالعمد «بضمتين» جمع عمود ، ويريد بها هنا أساطين الرخام ، وهو
مأخوذ من قول اللابنة الديباني :

وجيش الجن انى قد أمرتهم يبنون تدمر بالصفايح والعمد
(٢) للراح «فتح الليم» «كمفعل» الوضع الذى يروح اليه القوم أو يروحون
منه ، كالهندى للوضع الذى يندى منه . والراح «بكسر الليم» «فعل»

كُلُّ قَصْرِ بَعْدَ الْمَشْقِ يُدْمُ

فِيهِ طَابَ الْجَنَى وَلَدَ الْمَشْمِ^(١)

مَنْظَرُ رَائِقٌ وَمَاءُهُ نَعِيمٌ^(٢) وَتَرَى عَاطِرٌ وَقَصْرُ أَثَمِ^(٣)

بِتْ فِيهِ وَاللَّيْلُ وَالْفَجْرُ عِنْدِي

عَبَّرَ أَثَمٌ وَمِسْكٌ أَمِ^(٤)

وَهِيَ مَنَسُوبَةٌ لِلْحَاجِبِ أَبِي عُثْمَانَ جَعْفَرَ بْنِ عُثْمَانَ

الْمُضَحِّيِّ . وَذَكَرَ الْجَبَّارِيُّ فِي الْمُنْهَبِ أَنَّ الرَّئِيسَ

أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ جَعْفَرِ الْمُضَحِّيِّ أَجْتَازَ بِالْمُنِيَّةِ

الْمُضَحِّيَّةِ الَّتِي كَانَتْ لِحَدِّهِ أَيَّامَ حِجَابَتِهِ لِلْخَلِيفَةِ الْحَكَمِ

الْمُسْتَنْصِرِ ، فَاسْتَعْبَرَ^(٥) حِينَ تَذَكَّرَ مَا آلَ إِلَيْهِ حَالُ

جَدِّهِ مَعَ الْمُتَصَوِّرِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَأُسْتَيْلَانِهِ عَلَى مُلْكِهِ

وَأَمْلَاكَ فَقَالَ :

اسم من للرح وهو شدة الفرح والنشاط حتى يجاوز قمره ، والرح أيضا التبخر والاختيال (١) الجنى : ما يجنى من الثمار والقواكه ، والشم ما يشم من الأزهار والرياحين ، وفي القلائد « وفاح » بدل « ولده » وفي البيت إشارة الى قول جرير :

فم النازل بعد منزلة القوي والبش بعد أولئك الأقوام

(٢) نعيم : عذب صاف وسهل سائغ (٣) أثم : مرتفع عال (٤) أم : أسود ،

والأشهب ما كان ذا بياض يصده سواد في خلاله - أو البياض الذي

غلب عليه السواد (٥) أي بكى وجرت عبرات عينه

قَفَّ قَلِيلًا بِالْمُضْحِيقَةِ وَأَنْدَبَ
 مُقَلَّةً أَصْبَحَتْ بِلاَ إِنْسَانٍ
 وَأَسْأَلَتْهَا عَنْ جَعْفَرٍ وَسَطَاهُ^(١)
 وَنَدَّاهُ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 جَعْفَرٌ مِثْلُ جَعْفَرٍ^(٢) حَكَمَ اللَّهُ
 رُ عَلَيْهِ بِعِزَّةِ وَهَوَانِ
 وَلَكُمْ حَذَرُ الرَّدَى فَصِمْنَا
 لَا أَمَانٌ لِصَاحِبِ السُّلْطَانِ
 يَتِمَّا يَعْتَلِي غَدَاً خَافِضًا مِنْهُ
 أَلَا كِتَابُ كَيْفَةٍ^(٣) أَلِيزَانَ
 وَمُنِيَّةُ الزُّبَيْرِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الزُّبَيْرِ ابْنِ أُمِّ لَيْثٍ عَمِّ مَلِكٍ
 قُرْطَبَةَ^(٤)

(١) أي سطوته ووصلته وشدة (٢) يريد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك
 وزير هرون الرشيد توفي في سجنه سنة ١٩٠ وفي بعض المراجع «بصرة»
 بدل «بزة» فيكون مشيراً إلى ختام حياته ومآل حاله - وعلى ما هنا
 يريد أن الله رقبه بين عزة وهوان - والاول أحسن ، ليناسب قوله
 «حكم الله عليه» فأنما يحكم الله على الإنسان بما يسوء «وأحمد يوسف
 نجاشي» (٣) الكفة «بالكسر» لكل مستدير (٤) هو الزبير بن عمر
 التتوي بن عم يوسف بن تاشفين

« قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ » أَخْبَرَنِي وَالِدِي عَنْ أَبِيهِ ^(١) قَالَ : خَرَجَ
مَعِيَ إِلَى هَذِهِ الْمُنْيَةِ فِي زَمَانٍ فَتَحَرَ الثَّوَارِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ
يَعْقُوبٍ ^(٢) الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ فَجَلَسْنَا تَحْتَ سَطْرِ مِنْ أَشْجَارِ
الْلُّوزِ قَدْ نَوَّرَتْ، فَقَالَ ابْنُ يَعْقُوبٍ :

سَطْرٌ مِنَ الْلُّوزِ فِي الْبُسْتَانِ قَابِلَنِي

مَا زَادَ شَيْءٌ عَلَى شَيْءٍ وَلَا تَقْصَا

كَأَنَّمَا كُلُّ غُصْنٍ كُمْ جَارِيَةٍ

إِذَا النَّسِيمُ مَتَّى أَعْطَفَهُ رَقْصَا

ثُمَّ قَالَ شِعْرًا مِنْهُ :

عَجِبْتُ لِمَنْ أَبْقَى عَلَى خَمَرٍ دَنَهُ

غَدَاةَ رَأَى لَوْزَ الْحَدِيقَةِ نَوْرًا

(١) هو محمد بن عبد الملك بن سعيد ولد سنة ٥١٤ هـ وتوفي بمدينة غرناطة سنة ٥٨٩ هـ

(٢) هو الشاعر المشهور الأديب أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن يعقوب القرطبي صاحب اللوحات البديعة والقصائد الرائقة، اتصل بالأمير يحيى بن علي بن القاسم بن حمود فأخذ بضيعة وأشرف به على اليفاع وغمره بنعمه، فصرف فيه أقواله، وشرف بقوافيه نواله. توفي سنة ٥٤٥ هـ. وهناك أبو بكر يحيى بن أحمد بن يعقوب الطليطلي زل اشبيلية بعد أن جال في الأندلس وكان يتقدم أدباء عصره فتنافى الأدباء ونصرفوا في النظم. توفي سنة ٥٤٥ هـ «أحمد يوسف نجاشي»

وَلَا أَذْكَرُ بَقِيَّةَ الْآيَاتِ - قَالَ جَدِّي: ثُمَّ اجْتَمَعْتُ بِهِ
بَعْدَ ذَلِكَ بِعَرْنَاطَةٍ ، فَذَكَرْتُهُ بِاجْتِمَاعَاتِهِ فِي مَنِيَةِ الزُّبَيْرِ ،
فَتَنَهَّدَ وَفَكَرَّ سَاعَةً وَقَالَ : اكْتُبُوا عَنِّي ، فَكُتِبَتْ :

سَقَى اللَّهُ بُسْتَانَ الزُّبَيْرِ وَدَامَ فِي
ذِرَاهُ^(١) مَسِيلُ النَّهْرِ مَا غَنَّتِ الْوُرُقُ
فَكَانَتْ لَنَا مِنْ نِعْمَةٍ فِي جَنَابِهِ
كَبِيرَتِهِ^(٢) الْخَضِرَاءُ طَالِمَهَا طَلَقُ
هُوَ الْمَوْضِعُ الزَّاهِي عَلَى كُلِّ مَوْضِعٍ
أَمَا ظَلُّهُ صَافٍ^(٣) أَمَا مَا وَدَقُ^(٤) ؟
أَهْمُ بِهِ فِي حَالَةِ الْقُرْبِ وَالنَّوَى
وَحَقُّ لَهُ مِنِّي التَّذَكُّرُ وَالْعِشْقُ
وَمِنْ ذَلِكَ النَّهْرُ أَلْتَفُوقُ قُوَادِهِ
بِقَلْبِي مَا غَيَّبْتُ عَنْ وَجْهِهِ خَفَقُ

(١) القراء « بالفتح » الكن وكل ما استتر به ، يقال : أنا قُظِلَ فلان وفي
ذراه : أي في كنفه وستره ودَفَقَهُ (٢) البزة : الهيئته والشارة واللبسة ،
يقال انه لقويزة حسنة أي هيئته ولباس جيد (٣) أي صابغ كثير متمد
(٤) أي متدقق منصب - ودقق النهر والوادي : اذا امتلأ حتى يفيض للاء
من جوانبه .

قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي
تَشْتَهِي، قَالَ: ذَلِكَ لَكَ، قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَدْفَعُ لِي
هَذَا السِّيفَ الَّذِي تَقْلَدْتَهُ بِهِ، أَرْزُدُ مِنْهُ إِلَيْهِ وَأُثَقِّقُ الْبَاقِيَ
فِيهِ عَلَى مَا تَعْلَمُ، قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا السِّيفُ شَرَفِي بِهِ
السُّلْطَانُ أَبُو زَكْرِيَّا^(١) بْنُ غَانِيَةَ، وَمَا لِعِطَائِهِ سَبِيلٌ،

(١) هو الأمير يحيى بن اسحق بن حمو بن علي بن غانية اللثم الصنهاجي
كان أبوه أبو ابراهيم اسحق بن حمو صاحب جزائر ميورقة ومينورقة وياسة
«وهي ثلاث جزائر متجاورة في غرب البحر الأبيض» وتوفي سنة ٥٨٠
وترك أربعة بنيين وهم: أبو عبد الله محمد ذهب بعد وفاة والده الى اللوحدين
بالاندلس فأعطوه مدينة دانية وبالنوا في الافعال عليه والاحسان اليه،
وأبو زكريا يحيى «وهو هذا» فقد خرج من ميورقة الى بلاد
افريقية مع أخيه على سنة ٥٨٠ وفلا أفعالا عظيمة مشهورة في
التاريخ من الحروب وشن الغارات. وخرج على بن اسحق على يعقوب
للنصور وطرق بأسطوله مدينة بجاية على حين غفلة من أهلها. وكان عليها
يومنذ السيد أبو الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي. وكان خرجا
في بعض أغراضه - فاستولى عليها ابن غانية سنة ٥٨١ وأتى أعمالا قاسية
شديدة، ثم استولى بعد ذلك على مدن أخرى من افريقية، فجهز اليه الملك
للنصور جيشا شرد به من خلفه، وفر على بن اسحق الى الصحراء، ثم عاد
فهاش في البلاد وهزم جيش اللوحدين، ثم كانت الحرب بينهما سجالا الى
أن دارت البائرة على ابن غانية وأحزابه، فنجبا بماء نفسه حتى توفي على
سنة ٦٣٣ وكان أخوه يحيى قد بقي على حاله بعد موت أبيه فطالت مدته

وَلَكِنْ أُعْطِيكَ قِيَمَتَهُ . فَخَرَجَ وَأَتَى بِشَخْصٍ يَعْرِفُ قِيَمَةَ
السُّيُوفِ فَقَدَرَهُ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : إِنَّهُ سَيْفُ السُّلْطَانِ ابْنِ غَانِيَةَ
- لِيَعْظُمَ قَدْرُهُ فِي عَيْنِهِ فَيَزِيدَ فِي قِيَمَتِهِ - ثُمَّ قَبَضَ مَا قَدَرَ بِهِ
وَأَنْشَدَ أَرْجِيئًا :

أَطَالَ اللَّهُ عُمَرَ قَتَى سَعِيدٍ وَبَقَاءَهُ وَرَقَّتْهُ السُّعُودُ
غَدَا لِي جُودُهُ سَبَبًا لِمَوْدِي إِلَى وَطَنِي فَهَذَا نَدَا أَعُوذُ
وَالْتِمُّ كَفَّهُ شُكْرًا وَتَلُّو طَرِيقِي ^(١) آيَ نِعْمَاهُ النَّشِيدُ
حَبَانِي مِنْ ذَخَائِرِهِ بِسَيْفٍ بِهِ لَمْ يَبْقَ لِلْأَحْزَانِ جِيدٌ ^(٢)

واستولى على بلاد كثيرة ، وكان معروفًا بالشجاعة والاقدام وتوفي
سنة ٦٣٣ في البرية من قطر تلسان ، وبقي أخوه الأصغر وهو أبو محمد
عبد الله بن اسحق ملك ميورقة حتى سنة ٥٩٩ فجهز اليه الملك الناصر
محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي صاحب بلاد المغرب
أسطولًا تزل بساحل ميورقة فبرز اليهم وكان كذلك شجاعا مقداموكرما
جوادا فكبأ به جواده « ولكل جواد كبوة » فسقط الى الأرض
فقتلوه وحملوا رأسه الى مرا كش وعلقوا جثته على سورها واستولوا
على ميورقة ، وبقيت بأيديهم الى أن طلب عليها الفرنج سنة ٦٢٧ وارتكبوا
فيها فظائع الامم ، ومنكرات الفضائل ، والملك قد يؤتبه من يشاء . « أحمد
يوسف نجاشي » . (١) في بعض النسخ « طريق » و« التليد » بدل « النشيد »
(٢) يعني أن هذا السيف قضى على أحزانه فكانه أزهر روحها واطمع جيدها .



وَالْقَصْرُ الْفَارِسِيُّ مِنَ الْقُصُورِ الْمَقْصُودَةِ لِلتَّزْهِةِ (١) التصر الفارسي
بِحَارِجِ قُرْطُبَةَ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْوَزِيرُ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ زَيْدُونَ
فِي قَصِيدِ صَنَعَهُ مِنْ مُتَزَهَّاتِ قُرْطُبَةَ مَا تَفَعُّ عَلَيْهِ ، وَكَانَ
قَدْ قَرَّ مِنْ قُرْطُبَةَ أَيَّامَ بَنِي جَهْوَرٍ ، فَحَضَرَهُ فِي فِرَارِهِ عَيْدُ
ذَكَرَهُ بِأَعْيَادِهِ فِي وَطَنِهِ وَمَعَاهِدِهِ الْأُنْسِيَّةِ مَعَ وَلَادَةِ الْتِي
كَانَ يَهْوَاهَا وَيَتَغَزَلُ فِيهَا فَقَالَ :

خَلِيلِي لَا فِطْرُ يَسْرُ وَلَا أَضْحَى

فَمَا حَالُ مَنْ أَمْسَى مَشُوقًا كَمَا أَضْحَى ؟

وَسَتَاتِي هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي هَذَا الْبَابِ ، كَمَا سَتَأْتِي
قَصِيدَةُ أَبِي الْقَاسِمِ عَامِرِ بْنِ هِشَامِ الْقُرْطُبِيِّ (٢) الَّتِي أَوَّلُهَا :
* يَا هَبَّةَ بَا كَرَّتْ مِنْ نَحْوِ دَارَيْنِ *

وَفِيهَا كَثِيرٌ مِنْ مُتَزَهَّاتِ قُرْطُبَةَ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ :
كَانَ وَالِدِي كَثِيرًا مَا يَأْمُرُنِي بِقِرَاءَتِهَا عَلَيْهِ وَيَقُولُ : وَاللَّهِ
لَقَدْ أَنْبَأَتْ عَنْ فَضْلِ لِهَذَا الرَّجُلِ . قَالَ وَكَانَ أَبُو يَحْيَى

(١) التزهة : اسم من التزه ، والاصل فيه التباعدا واستعماله في الخروج للرياضة
محاز شائع ، وفي الأساس : وخرجوا يتزهون يطلبون الاثما كن التزهة
(٢) ينسب للأزد ، كان أديبا كاتبا شاعرا مطبوعا ، وله مقامات أدبية
بديعة كمقامات الحريري ، وتوفي سنة ٦٢٣ . « أحمد يوسف نجاتي » .

الْحَضْرَى يَحْفَظُهَا، وَيَزِينُ بِهَا مَجَالِسَهُ، وَتَحْلِفُ أَلَّا يُنْسِدَهَا
بِمَحْضَرٍ جَاهِلٍ لَا يَفْهَمُ، أَوْ حَاسِدٍ لَا يَنْصِفُ فِي الْأَهْتِرَازِ لَهَا^(١)،
وَأَنَّهُ لَجَدِيرٌ بِذَلِكَ، فَإِنَّهَا لَمِنْ كُنُوزِ الْأَدَبِ،



ثم قال: وَالْمَرْجُ^(٢) التَّضْيِيرُ الْمَذْكُورُ بِهَا هُوَ مَرْجُ الْخَرْجِ. مرج الخرج
أَخْبَرَنِي وَالِدِي أَنَّهُ حَضَرَ فِي زَمَانِ الصَّبَا هَذَا الْمَرْجَ عَلَى رَاحَةٍ،
وَمَعَهُ الرَّئِيسُ الْفَاضِلُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْوَزِيرِ أَبِي جَعْفَرٍ
الْوَقْشِيُّ^(٣)، وَالْمُسْنِ بْنُ دُوَيْدَةَ^(٤) الْمَشْهُورُ بِحَقَّةِ الرُّوحِ،

(١) هذان النوعان : الجاهل والحاسد ، هما الآن آفة العلم والادب بمصر،
ولولا أن الصفيين المخلصين للغة العربية وعلموها وآدابها قدموا بلغوها كراما
وجعلوا سافاهتهما الجاهلة دبر آذانهم وتحت أقدامهم لحرمت مصر خيرا كثيرا ،
واذن لأراج البحر الزاخر، واحتجب في كنوز الذهب الأبرز للصفي، ولكن:
أوكلا طن الذباب زجرته أن الذباب اذن على كرم ١١

(٢) يريد ما ذكره في البيت :

الى الرصافة فالمرج التضير فوا دى الدرر فالطيف من بطحاء عبدون
(٣) نسبة الى وقتش مدينة من أعمال طليطلة منها الفقيه الجليل الحافظ
أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام بن سعيد بن خالد الكنتاني المعروف
بالوقشي القاضي الاديب اللورخ توفى بمدينة دانية سنة ٤٨٩ وكان ملما في
الفتوآدابا متقدما عارفا (٤) كذابا لا صلي في غير موضع ، ورأيت في الاحاطة
في أخبار غرناطة صفحة ٩٧ حديثا يرويه أبو الحسن بن سعيد عن
«الحسن بن دويرة» ، وهذا هو الذي عارجه . «أحمد يوسف نجاشي»

قَالَ : فَسَبَّحْتَ أَمَامَنَا إِيَّوزًا ، وَجَعَلْتَ تَمْرَحُ وَتَنْتَرُ مَا عَلَيْهَا مِنْ
الْمَاءِ فَوْقَ الْمَرْجِ ، وَالْمَرْجُ قَدْ أَحْدَقَ بِهِ الْوَادِي ، وَالشَّمْسُ
قَدْ مَالَتْ عَلَيْهِ لِلْغُرُوبِ - فَقَالَ لِي أَبُو الْحُسَيْنِ : بِاللَّهِ صِفْ
يَوْمَنَا وَحُسْنَ هَذَا الْمَنْظَرِ ، فَقُلْتُ : لَا أَصِفُهُ أَوْ تَصِفُهُ أَنْتَ
فَقَالَ : وَلَكَ مِنِّي ذَلِكَ ، فَأَفَكَّرَ كُلُّ مِنَّا عَلَى أَفْرَادٍ بَعْدَ
مَا ذَكَرْنَا مَا نَصِفُ تَمْرًا ، فَقَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْوَقْشِيُّ :

لِلَّهِ يَوْمٌ يَمْرُجُ الْخَرْطَابُ لَنَا
فِيهِ النِّعَمُ بِحَيْثُ الرُّوضُ وَالنَّهْرُ
وَلِلَّإِيَّوزِ عَلَى أَرْجَائِهِ لَبٌ
إِذَا جَرَتْ بُدِدَتْ مَا يَتَنَا الْفُرُجُ^(١)
وَالشَّمْسُ تَمْجَحُ نَحْوَ الْبَيْنِ مَا لِلَّهِ
كَأَنَّ عَاشِقَهَا فِي الْقَرَبِ يَنْتَظِرُ
وَالْكَأْسُ جَائِلَةٌ بِاللَّبِّ جَارَةٌ^(٢)
وَكُلُّنَا عَفَلَاتِ الدَّغْرِ يَنْتَدِرُ
قَالَ : فَقُلْتُ :

(١) يريد بالفرج رشاش الماء الذي تنثره الأوز عنها فوق المرج :
(٢) في الأصل حائرة ، وأرى أن مع قصد الجناس يشير إلى قول عمرو بن كلثوم :
تجوز بذي البانة عن هواه إذا مذاقها حتى يلينها

أَلَا جَبَدًا يَوْمَ ظَفَرْنَا بِطَيْبِهِ
 يَا كَنَافِ^(١) مَرْجِ الْخَزْوَ وَالنَّهْرُ يَنْسِمُ
 وَقَدْ مَرَحَتْ فِيهِ الْأَوْزُ وَأَرْسَلَتْ
 عَلَى سُنْدُسٍ دُرًّا بِهِ يَنْتَظِمُ
 وَمُدًّا بِهِ لِلشَّمْسِ فَهُوَ كَأَنَّهُ
 لِنَاثُمْ لَهَا مُلْقَى مِنَ التَّوْرِ مِصْمُ
 أَدْرْنَا عَلَيْهِ أَكُوْثًا بَعَثَتْ بِهِ
 مِنَ الْأَنْسِ مَيْتًا عَادَ وَهُوَ يُكَلِّمُ
 غَدَوْنَا إِلَيْهِ صَامِتِينَ سَكِينَةً
 فَرُخْنَا وَكُلُّ بِالْهَوَى يَتَرَمُّ
 فَأَظْهَرَ كُلُّ مِنَّا لِصَاحِبِهِ أُسْتَحْسَانَ مَا قَالَ تَنْشِيطًا^(٢)

(١) أى بنواح وجهاً وأرجاء (٢) سبب الاستحسان لأبأس به والآ
 قاله قطعتان ليستا من جيد الشعر، وقد عرف اللسان أو «الحسن» بحقة روحه
 قدرهما فأجزل صلتهم صلة تناسب قول ابن الرومي في البديهة والروية :
 نار البديهة نار جلع منضجة وفي البديهة نار ذات تلويح
 وقد يفضلها قوم لعاجلها لكنه عاجل بمعنى مع «الريح»
 على أنهما فكرا ورويا ولم يرتجلا على البديهة، ومع هذا كان عاجلها

وَتَشِيمًا لِلْسَّرَةِ ، ثُمَّ قُلْنَا لِلْمُسِنَّ : مَا عِنْدَكَ أَنْتَ تُعَارِضُ بِهِ هَاتَيْنِ الْقِطْعَتَيْنِ ؟ قَالَ بِهَذَا - وَرَفَعَ رِجْلَهُ وَحَقَّقَ حَبْقَةً فَرَفِغَتْ ^(١) مِنْهَا أَرْجَاؤُهُ - فَقَالَ لَهُ أَبُو الصُّنَيْنِ : مَا هَذَا يَا شَيْخَ السُّوءِ ؟ فَقَالَ : الطَّلَاقُ يُلْزِمُهُ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَوْزَنَ مِنْ شِعْرِ كَمَا ، وَأَطْيَبَ رَائِحَةً ، وَأَغْنَى صَوْتًا ، وَأَطْرَبَ مَعْنَى ، فَضَحِكْنَا مِنْهُ أَشَدَّ ضَحِكٍ ، وَجَعَلْنَا نَهْتَرُ غَايَةَ الْإِهْزَازِ لِمَوْقِعِ نَادِرَتِهِ ، فَقَالَ : وَاللَّيْلُ عَلَى ذَلِكَ أَنْكُمْ طَرِبْتُمْ لِمَا جِئْتُ بِهِ أَكْثَرَ مِمَّا طَرِبْتُمْ مِنْ شِعْرِكُمْ .

ثُمَّ قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَمِنْ مُتَرَاهَاتِ قُرْطُبَةِ الْمَشْهُورَةِ : فَصِ السَّرَادِقِ فَخَصُ السَّرَادِقِ ، مَقْصُودٌ لِلْفُرْجَةِ يَسْرَحُ فِيهِ الْبَصَرُ . وَتَبْتَهِجُ فِيهِ النَّفْسُ . أَخْبَرَنِي وَالِدِي عَنْ أَخِيهِ أَبِي جَعْفَرِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ الشَّرِيفِ

مَاضِياً مَعَ « رِيحِ » ابْنِ دَوْرَةَ ، وَلَمَلِ الْقَارِي . فَهَمَّ بِذَلِكَ مَعْنَى « حَقِ حَبْقَةٍ » سَبَقَهُ بِمَثَلِهَا وَهَبَ ، وَإِنْ كَانَتْ الْحَبْقَةُ أَخْفَ مِنْ فَلَةٍ زَهَبَ قَالَ ابْنُ دَرِيدٍ : أَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ لَمَّا قَتَلَ عُمَانُ قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا » لَا تَحْبِقُ فِيهِ عِزٌّ ، فَأَصَابَتْ عَيْنَهُ يَوْمَ صَفَيْنَ وَقَتْلَ ابْنِهِ طَرِيفٍ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ بِمُعْتَمِلٍ عَلَى « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا » فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : هَلْ حَبِقْتَ الْعِزَّ فِي قَتْلِ عُمَانِ ؟ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ وَالتَّيْسُ الْأَعْظَمُ . « أَحْمَدُ يَرْسِفُ نَجَاحِي » . (١) فِي بَعْضِ الرَّاجِعِ « فَرَقَتْ »

الْأَصَمُّ الْقُرْطُبِيُّ إِلَى بَسِيطِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَقَدْ تَدَبَّحَ
بِالنَّوَارِ ، فَلَمَّا حَرَ كُنَّا حُسْنُ الْمَكَانِ ، وَتَشَوَّقْنَا إِلَى
الْأَزَّ كَانَ^(١) ، قَالَ الشَّرِيفُ : لَقَدْ ذَكَّرَنِي هَذَا الْبَسِيطُ
بَسِيطَ فَحْصِ الشَّرَاقِ ، فَقُلْتُ لَهُ : فَهَلْ نَارٌ فِي خَاطِرِ كَمْ
نَظَمَ فِيهِ ؟ قَالَ نَعَمْ ، ثُمَّ أَنْشَدَ :

أَلَا فَدَعُّوا ذِكْرَ الْمَذِيبِ وَبَارِقِ

وَلَا تَسْأَمُوا مِنْ ذِكْرِ فَحْصِ الشَّرَاقِ^(٢)

(١) في بعض المراجع «الأوطان» (٢) يريد معارضة أبي الطيب التنبجي في قوله مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر إيقاعه بقبائل العرب .
تذكرت ما بين العذيب وبارق مجرعوالينا ويمجرى السوابق
« ما بين مفعول تذكرت ويمجرى بدل اشتغال منه » . والعذيب وبارق
موضعان بظاهر الكوفة - أما العذيب فاسم ماء بينه وبين القادسية أربعة
أميال ، وبارق ماء أيضا وهو الحديين القادسية والبصرة وهو من أعمال الكوفة
يريد أبو الطيب أنهم كانوا يجرون الرماح عند مطاردة الفرسان ، ويمجرون
الجياذ السابقة في الليدان ، فاستبدل الشريف القرطبي بجر الرماح جر
القبول نشوة وسكرا ، ويمجرى الجياذ ادارة الكؤوس مترعة فائفة
جلرية في ميدان اللهو ومتسابقة ، فانظر كيف نظر الشعراء الى العذيب
وبارق « ولكل امرئ يومئذ شأن يغنيه » وأمر يغنيه ، والنفس وما
تهواه ، وكل يغني في الأنام بليلاء . وقد ضمن ابن أبي الأصبع بيت
أبي الطيب وزاده نكتة التورية اللطيفة والتشبيه المصيب مع ألف والنشر
للرب فقال :

مَجْرَى دُيُولِ الشُّكْرِ مِنْ كُلِّ مُتَرَفٍ
 وَمَجْرَى الْكُؤُوسِ الْمُتَرَعَاتِ السَّوَابِقِ
 قَصَرْتُ عَلَيْهِ اللَّحْظَ مَا دُمْتُ حَاضِرًا
 وَفِكْرِي فِي غَيْبِ لِمَ آهُ شَارِقِ
 أَيَا طِيبَ أَيَّامٍ تَقَضَّتْ بِرَوْضَةٍ
 عَلَى لَمَحِ غُدرَانٍ وَشَمِّ حَدَائِقِ
 إِذَا غَرَّدَتْ فِيهَا حَمَامٌ دَوْحَهَا
 تَخَيَّلْتُمَا الْكِتَابَ بَيْنَ الْمَهَارِقِ^(١)
 وَمَا بِاخْتِيَارِ الطَّرْفِ فَارَقْتُ حُسْنَهَا
 وَلَكِنْ بِكَيْدٍ مِنْ زَمَانٍ مُنَافِقِ^(٢)
 قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذَا الشَّعْرَ لَمْ أَتَمَلَّكْ

إذا الوهم أبدى لي للمعا وثمرها تذكرت ما بين العذيب وبارق
 ويدكرني من قدها ومدامسى بحر عواليها ومجرى السوابق
 نقل العذيب من مكانه إلى الرضاب محبوبته وشقتها ، وبارقا إلى فيها وثمرها
 وما بينهما هو رضابها الشهى ، وخمر يفتها العذبة « أحمد يوسف نجاشي »
 (١) جمع مهرق أى الصحيفة « مرب » والبوح الشجر العظيم
 (٢) مثله قول ابن الفارض :
 ياجنة فارقتها النفس مكرهة لولا التأسى بدار الخلدت أبى

مِنَ الْإِسْتِغْبَارِ، وَحَرَّ كُنِيَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ قُلْتُ فِي حَوْزِ مُوَمِّلٍ
سَيِّدِ مُتَزَهَاتِ غَرْنَاطَةٍ - وَلَمْ يَذْكُرْ هُنَا مَا قَالَهُ فِيهِ ،
وَذَكَرَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ لَمْ يَحْضُرْنِي إِلَّا نَحْوُ حَتَّى أُورِدَهُ
هُنَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ - .

وَمِنْ مُتَزَهَاتِ قُرْطُبَةِ السَّدِّ ، قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ :
أَخْبَرَنِي وَالِدِي أَنَّ الشَّاعِرَ الْمُبَرِّزِ أَبَا شَهَابٍ الْمَالِئِيَّ أَنْشَدَهُ
لِنَفْسِهِ وَاصِفًا يَوْمَ رَاحَةٍ بِهَذَا السَّدِّ :
وَيَوْمٍ لَنَا بِالسَّدِّ لَوْ رَدَّ عَيْنُهُ
بِعَيْشَةِ أَيَّامِ الزَّمَانِ رَدَّدَنَاهُ
بَكَرْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِذْرِ شَرْعِهَا
إِلَى أَنْ أَجَابَتْ إِذْ دَعَا الْغَرْبُ دَعْوَاهُ^(١)
قَطَعْنَاهُ شَدْوًا وَاغْتَبَا قَا وَنَشْوَةً
وَرَجَعَ حَدِيثُ لُورَقِي أَلَمِيَّتَ أَخْيَاهُ^(٢)

(١) يريد أنهم قضوا به من قبيل مطلع الشمس الى غروبها (٢) الشدو: الغناء ، والاعتباق شرب العنوق « ضد الصبوح » وهو الشرب مساء ويريد هنا مطلق الشرب ، ويريد بعجز البيت أنهم أخذوا بأطراف الأحاديث الطيبة التي لورقي بها لبيت لردت اليه روحه - وفي معنى ذلك يقول

عَلَى مِثْلِهِ مِنْ مَنَزِهِ يُتَبَنَّى النَّحْيَ
 فَاللهُ مَا أَخْلَى وَأَبْدَعَ مَرَّاهُ
 شَدَّتْ نَابَهُ الْأَرْحَاءُ^(١) وَأَلْقَتْ نُثَارَهَا
 عَلَيْنَا فَأَصْنَيْنَا لَهُ وَقَبْلَتَاهُ
 لَتَيْنَ بَانَ إِنَّا بِالْأَيْنِ لِفَقْدِهِ
 وَبِالْتَّمَعِ فِي إِثْرِ الْفِرَاقِ حَكِينَاهُ^(٢)
 وَأُنْشَدَنِي وَالِدِي مُوسَمَةً لِأَيِّ الْحُسْنِ الْعَرِينِي مُعَاصِرِهِ
 وَصَاحِبِهِ يَذْكُرُ فِيهَا هَذَا الْأَسَدَّ وَهِيَ :

ابن المعتز :

بين أقداحهم حديث قصير هو سحر وماعده كلام

ولآخر :

حديث لوان الليت توجي بيعضه لاصبح حيا بعد ماضه القبر
 (١) تخفف من أرحاء جمع راح : وهي الحجر العظيم للتدوير الذي
 يطحن به ، وتجمع على أرح وأرحاء وأرحية « قليلا » وأرحى ورحى
 وسيأتى القول في هذه الأرحاء والبد. والثار اسم لما ينثر من نحو فاكهة
 أو سكر أو غيرها ، والثار والنتارة فالت الشيء للنتار منه - وفي البيت
 ثقب ونثر مرتب ، يريد أنه أضفى الى صوت الأرحاء وشدها وقبل
 ما ألقت به من ثارها (٢) يريد أنه بعد فراقه أكثر من الأنين والبكاء
 فحكاه في صوته بأنينه ، وفي جاري مائه بفيض دموعه « أحمد يوسف نجاشي »
 (١٠ - تفتح الطيب - رابع)

« مَطْلَعٌ »

فِي نَعْمَةِ الْمَوَدِّ وَالسَّلَافَةِ^(١)

وَالرَّوَضِ وَالنَّهْرِ وَالنَّدِيمِ

أَطَالَ مَنْ لَأَمَنِي خِلَافَةً

فَظَلَّ فِي نُصْحِهِ مُلِيمٌ^(٢)

« دَوْرٌ »

دَعْنِي عَلَى مَنَهِجِ التَّصَابِي

مَا قَامَ لِي الْمُدْرُ بِالشَّبَابِ

وَلَا تُطِلْ فِي أَلْمَنِ عِتَابِي فَلَسْتُ أَصْنِي إِلَى عِتَابِ

لَا تَرْجُ رَدِّي إِلَى صَوَابِ^(٣) وَالْكَأْسُ تَهْتَرُ عَنْ حَبَابِ

(١) أى الحمر وأول ما يصر منها (٢) أى آتيا ملام عليه وآلامه بمعنى لاهمه ،
وآلام آتى بما يلام عليه ، يقال لاه فلان غير ملهم ، وفى اللل : رلام ملهم .
وقال ليد :

سفا عذلت ولت غير ملهم وهذاك قبل اليوم غير حكيم

(٣) فى الأصل جواب وأرى أنها محرفة صوابها صواب ، لينظر فى المعنى إلى
قول الشاعر :

يقولون نبوالكأس فى يد أغيد وصوت الثانى والثالث على

وَالْمُضْنُ يُبْدِي لَنَا أَنْطَافَةً إِذَا هَفَا فَوْقَهُ النَّسِيمُ
وَالرَّوْضُ أَهْدَى لَنَا قِطَافَةً وَأُخْتَالٌ فِي بُرْدِهِ الرَّقِيمُ^(١)

« دَوْرُ »

يَا حَبْدًا عَهْدِي الْقَدِيمُ وَمَنْ بِهِ هِمْتُ مُسْعِدِي
رِيمٌ^(٢) عَنِ الْوَصْلِ لَا يَرِيمُ مُوَلَّعٌ بِالتَّوَدُّدِ
مَا تَمَّ إِلَّا بِهِ النَّعِيمُ طَوْعًا عَلَى رَغَمِ حُسْدِي
مُعْتَدِلُ الْقَدِّ ذُو نَحَافَةٍ أَسْقَنِي طَرْفُهُ السَّقِيمُ
وَرَامَ طَرْفِي بِهِ اتِّصَافَةً فَخَدَّ^(٣) فِي خَدِّهِ الْكَلِيمُ

فقلت لهم لو كنتم أضمرت توبة وأنصرت هذا كله لبدالى
وافتر أى ضحك ضحكا حسنا وأبدى ثمره ، وافتر عن ثمره اذا ابتسم
ضاحكا ، ومنه الحديث فى صفته صلى الله عليه وسلم « ويفتر عن مثل
حب النعام » أى يكشر اذا تبسم فى غير قهقهة ، وحباب الماء ونحوه طرائقه
كأنها الوشى ، ونفاخاته وفاقيمه التى تطفو فوقه كأنها القوارير - ويقال
طفا الحباب على الشراب - « أحمد يوسف نجاشى » .

(١) من رقم التوب : اذا وشاء وخططه وعلمه (٢) الريم والرثم : الظبي
الخالص البياض يسكن الرمل - ولا يريم أى لا يرح ولا يتباعد (٣) خد:
أثر ، ويقال خد للمع فى خده اذا أثر فيه ، والكليم : الجريح يريد للتضرج
حمرة ، ويشير هنا الى القول للشهور :

« دَوْرٌ »

غَضٌّ^(١) الصَّبَا عَاطِرُ الْمُقْبَلِ أَخْلَى مِنَ الْأَمْنِ وَالْأَمَلِ
ظَلَمِي الْحَشَا مُقَمَّمُ الْمُخْلَلِ^(٢)

حُلُوُ اللَّيِّ^(٣) سَاحِرُ الْمُقَلِّ

لِكُلِّ مَا^(٤) رَامَهُ تَوَصَّلَ لَمْ يَخْشَ رَدًّا بِمَا فَعَلَ
أَشْكُو فَيُبْدِي لِي أَعْتِرَافَهُ إِنَّ حَادَّ عَنْ نَهْجِهِ^(٥) الْقَوِيمِ
لَا أَعْدَمُ الدَّهْرَ فِيهِ رَافَهُ فَحَقَّ لِي فِيهِ أَنْ أَهْمِمَ

« دَوْرٌ »

لِلَّهِ عَصْرٌ لَنَا تَقَصَّى بِالسُّدِّ وَالْمُنْبَرِ الْبَهِيحِ

الحاظكم تخرجنا في الحشا ولحظنا يجرحكم في الحدود
جرح يجرح فاجعلوا إذا بدا فإنا لنرى أوجب جرح الصدود

وقول الآخر:

جرحت بلحظي خده وهو جارح بلحظيه قلبي والجروح قصاص
وقال أبو نواس من أبيات:

وقد خنقتها عبرة فلدمها على خدها خد وفي نحرها نحر

- (١) في الأصل « غصن » محرفة (٢) المخلخل: موضع الخلخل من السابق - ومفهم على « ضد ظامي » أي ضامر، ويروى « طاوي » بدل ظامي.
(٣) اللبي: سمرة في الشفة والثلاث تسحسن، والاولي: البدر الرقيق الغناب الرضاب، وللقل: الميون (٤) في الأصل « من » وأراها تاضع من قيمة حبيبه، و « ما » ترفع من قدره فتأمل: « أحمد يوسف نجاشي ».
(٥) النهج القويم: الطريق للستقيم يريد به طريق الاسعاد والوصل

أَرَىٰ أَذْكَارِي إِلَيْهِ قَرَضًا وَشَوْفَهُ دَاعًا يَبِيجُ
فَكَمْ خَلَعْنَا عَلَيْهِ غَمَضًا وَلِلصَّبَا مَسْرَحَ أَرِيجُ
وَرَدُّ أَطَالِ الْمَنَىٰ أَرْتَشَافَهُ حَتَّىٰ أَتَقَضَىٰ شُرْبُهُ الْكَرِيمُ
لَهُ مَا أَسْرَعَ انْجِرَافَهُ وَهَكَذَا الدَّهْرُ لَا يُدِيمُ

« دَوْرٌ »

يَأْمَنُ يَحُثُّ الْمَطِيُّ غَرْبًا عَرَّجَ عَلَىٰ حَضْرَةِ الْمُلُوكِ
وَأَنْشُرَ بِهَا إِنْ سَفَحَتْ غَرْبًا^(١) مِنْ مَدْمَعٍ عَاطِلٍ سُلُوكِ

(١) الغرب البلو العظيمة ، والراوية التي يحمل عليها الماء ، وعرق في مجرى الدمع ، أو عرق في العين يسقي ولا ينقطع سقيه ، يقال بعينه غرب اذا كانت تسيل ولا تنقطع دموعها - والغرب الدمع ، ومسيله انهماله من العين - وسفح الدمع وللاء أرافقه ، وأصل العاطل المرأة يتخلو جيدها من الحلى والقلائد وتتجرد من الزينة ، والتعطيل ترك الشيء ضياعا - والعطلة البلو التي انقطع وزمها وعراها فتعطلت من الاستقاء بها وترك استعمالها - والسلك الحيط ينظم فيه المقد - وكأن معنى البيت أن دمه مادام محبوسا في عينه عاطل فهو يأمره أن ينثر من عيونه دررا تنظم على خديه ، أو أن خديه ان لم يحلها بلرر الدموع عطلان من الحلية ، فاذا ثرت درر الدموع عليهما كان ذلك لهما زينة وحلى - ووصف الدمع بالعطل لانه لم ينتفع به في التحلية حتى ينثر درر من سلوكها « أحمد يوسف نجاتي »

وَأُتِمِّعَ إِلَى مَنْ أَقَامَ صَبًّا وَأَحْكِ صَدَاهُ لَا فُضَّ فُوكُ
بَلَّغْ سَلَامِي قَصْرَ الرُّصَافَةِ وَذِكْرَهُ عَهْدِي الْقَدِيمُ^(١)
وَحَيَّ عَنِّي دَارَ الْخِلَافَةِ وَقِفْ بِهَا وَقَّةَ الْغَرِيمِ
قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: وَالْمَنْبَرُ الْمَذْكُورُ فِي هَذِهِ الْمَوْشَعَةِ
مِنْ مُتَنَزَّهَاتِ قُرْطُبَةَ، وَالسُّدُّ هُوَ الْأَرَحَاءُ الَّتِي ذَكَرَهَا
فِي زَجَلِهِ^(٢) قَالِمٌ بَنُو عَبُودٍ الرَّيَّاحِيُّ رَوَيْتُهُ عَنْ وَالِدِي عَنْ
قَائِلِهِ - وَهُوَ:

« مَطْلَعٌ »

بِاللَّهِ أَيْنَ تُصِيبُ مَنْ لَيْسَ لِي فِيهِ نَصِيبُ
مَحْبُوبًا مُخَالَفٌ وَمَعُو رَقِيبٌ

« دَوْرٌ »

حِينَ تَقْصِدُ مَكَائِنَهُ يَقُومُ فِي الْمَقَامِ
وَيَبْخُلُ عَلَيْنَا بِرَدِّ السَّلَامِ

(١) يجوز أن يكون الأصل « وذكره عهدي القديم » .

(٢) لا يخفى أن هذا الزجل عماده اللمعة السامية، فإياك أن تصد نظامه
بالاعراب، أو تخطئ قصد الاستقامة فيه بمحاولة الصواب، بل تناس
النحو واللتفتها هنية، وقل ماعلى للطرب من معرب «أحمد يوسف نجاشي»

أَدْخَلْتَ يَا قَلْبِي رُوحَكَ فِي زِحَامِ
سَلَامَتِكَ عِنْدِي هِيَ شَيْءٌ عَجِيبٌ
وَكَيْفَ يَا اللَّهُ يَسْلَمُ مَنْ هُوَ فِي لَهَيْبٍ؟
« دَوْرٌ »

يَا اللَّهُ يَا حَبِيبِي أَتْرُكُ ذَا النُّفَارِ
وَأَعْمِدُ أَنْ تَطِيبَ فِي هَذَا النَّهَارِ
وَأَخْرِجَ مَعِيَ لِلوَادِي لِشَرْبِ الْعُقَارِ
نُتَمِّمْ نَهَارَنَا فِي لَذَّةٍ وَطِيبِ
فِي الْأَزْمَا وَالْأَلَا فِي الْمَرْجِ الْخَصِيبِ
« دَوْرٌ »

أَوْ عِنْدُ التَّوَاعِيذِ وَالرُّوضِ الشَّرِيقِ^(١)
أَوْ قَصْرِ الرُّصَافَةِ أَوْ وَادِي الْعَمِيقِ
رَحِيقِ^(٢) وَاللَّهِ دُونَكَ هُوَ عِنْدِي الْخَرِيقِ
وَفِي جُبِّكَ أَمْسَيْتُ فِي أَهْلِ غَرِيبِ

(١) الناعورة الدولا ب اسمها أي صوته وهو ما يستقي به ويدبر ملأه حواله شريق
للشرق الحسن البهيج ونبث شرق أي ريان (٢) في الأصل « حرق » محرفة

وَمَا الْمَوْتُ عِنْدِي إِلَّا حِينَ تَغِيبُ

« دَوْرٌ »

أَتَكِلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ قَطْ جَسُورُ

وَإِنْ رَأَيْتَ فَضُولِي فَقُلْ أَيْ (١) تَمُوزُ

كَشْنُ عَنِّي وَجْهَكَ فَإِنْ رَأَاكَ تَقُوزُ

يَهْرَبُ عَنْكَ خَائِفٌ وَيَبْقَى مُرِيبُ

وَأَمْسِ أَنْتَ مُوقَرٌ كَأَنَّكَ خَطِيبُ

« دَوْرٌ »

مَا أَعْجَبَ حَدِيثِي أَيْشَ هَذَا الْجُنُونُ

تَطْلُبُ وَتُدَبِّرُ أَمْرًا لَا يَكُونُ

وَكَمْ ذَا نُهْوٍ شَيْئًا لَا يَهْوُ

وَإِشْنُ مِقْدَارِ مَا نَصِيرُ لِبُعْدِ الْخَلِيبِ

رَبِّ أَجْمَعِنِي مَعُو عَاجِلًا قَرِيبُ

قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَأَمَّا نَهْرُ قُرْطُبَةَ فَإِنَّهُ يَصْفُرُ عَنْ

نَهْرِ قُرْطُبَةَ

(١) أظنها كلمة أسبانية تعيد معنى « فضول » .

عِظَمِهِ عِنْدَ إِشْبِيلِيَّةَ، بِحَيْثُ صُيِّعَ عَلَيْهِ قَنْطَرَةٌ مِنْ حِجَارَةٍ لَا يَتَأْتَى مِثْلَهَا فِي نَهْرِ إِشْبِيلِيَّةَ، وَمَنْبَعُهُ مِنْ جِهَةِ شَقُورَةٍ (١) يَمُرُّ النُّصْفُ مِنْهُ إِلَى مُرْسِيَةِ مُشْرِقًا، وَالنُّصْفُ إِلَى قُرْطَبَةٍ وَإِشْبِيلِيَّةَ مُغْرَبًا. وَلَمَّا ذَكَرَ الرَّازِيُّ قُرْطَبَةَ قَالَ: وَنَهْرُهَا السَّاكِنُ فِي جَرِيهِ، اللَّيْنُ فِي أَنْصَابِهِ، الَّذِي تَوْمَنُ مَعْبَةُ صَرَرِهِ فِي حَمَلِهِ. وَقَالَ هَذَا لِأَنَّهُ يَعْظُمُ عِنْدَ إِشْبِيلِيَّةَ، فَإِذَا حَانَ حَمَلُهُ فِي أَيَّامِ الْأَمْطَارِ أَشْفَتِ إِشْبِيلِيَّةَ عَلَى الْفَرَقِ وَتَوَقَّعَ أَهْلُهَا الْهَلَكَ.



وَالْقَنْطَرَةُ الَّتِي عَلَى هَذَا النَّهْرِ عِنْدَ قُرْطَبَةٍ مِنْ أَعْظَمِ
آثَارِ الْأَنْدَلُسِ وَأَعْجَبِهَا، أَقْوَامُهَا سَبْعَةٌ عَشَرَ قَوْمًا،
وَبَانِيهَا - عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ حَيَّانَ وَغَيْرُهُ - السَّمْعِيُّ
ابْنُ مَالِكٍ الْخَوْلَانِيُّ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ بِأَمْرِ عُمَرَ بْنِ
عَبْدِ الْأَعْزِيزِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَشَيْدَهَا بَنُو أُمَيَّةَ بَعْدَ
ذَلِكَ وَحَسَنُوهَا. قَالَ ابْنُ حَيَّانَ: وَقِيلَ إِنَّهُ قَدْ كَانَتْ فِي

وصف قنطرة
البحر

(١) شقورة مدينة الى الشمال الغربي من مرسية شرق الاندلس، وبها كانت دار إمارة همشك أحد ملوك تلك النواحي « أحمد يوسف نجاشي »

هَذَا الْمَكَانِ قَنْطَرَةٌ مِنْ بِنَاءِ الْأَعَاجِمِ^(١) قَبْلَ دُخُولِ الْعَرَبِ

(١) الذى أعرفه أن هذه القنطرة التى على نهر الوادى الكبير بنيت فى أيام يوليوس قيصر قبل الميلاد بنحو نصف قرن ، وجدها على الاكتاف القديمة السمح بن مالك الحولاني عامل عمر بن عبد العزيز لما كانت ذات خطر عظيم فى الحروب والغزوات ولما شأن فى الري والزراعة مع أنها تكون معبرا يصل ما بين شاطئى النهر ويسهل به الانتقال ما بين عدوتيه - وانهى العمل فيها يوم مقتل السمح بن مالك فى يوم عرفات من سنة ١٠٢ هـ ثم جدها الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل فأحكم بناءها وأتقن صنعها حتى كانت من أعظم آثار العرب بأسبانيا وأوتقها بنيانا وأشدّها مقاومة لحوادث الأيام وعملا لقيضان نهر الوادى الكبير السريع صابرة على ذلك قرونا متطاولة - ثم كانت بعد متزها عاما بديما فى مكان تحلت فيه الطبيعة بأجل حلاها حيث الماء الجارى ، والنسيم العليل ، والحضرة الناضرة ، والوجوه للشرقة السافرة - والذى رواه الشريف الادريسى فى كتابه « تزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » أن عند أقواس هذه القناطر سبعة عشر قوسا بين كل قوس خمسون شبرا ، وسعة القوس كذلك خمسون شبرا ، وسعة ظهرها الذى يعبر عليه ثلاثون شبرا ، وكان لها ستائر من كل جهة تستر القامة ، وارتفاعها من مكان للشئ الى سطح الماء فى أيام الجفاف وقلة الماء ثلاثون ذراعا ، فإذا كان الفيضان وطوى السيل بلغ الماء فيها الى نحو -لوقها - وتحت القنطرة يفترض الوادى رصيف سد مصنوع من الأحجار والعمد البديعة من الرخام - وكان على ذلك السد ثلاثة بيوت أرحاء فى كل بيت منها أربعة مطاحن مائة » ولكن الذى تثبت الصور والرسوم التى عني بأخذها لهذه الأماكن علماء الآثار وللمهتمون بالآثار الاسلامية بالأندلس أن أقواس هذه القنطرة

بَنَحَوْ مَائَتَيْ سَنَةٍ ، أَثَرَتْ فِيهَا الْأَزْمَانُ بِمُكَابَدَةِ الْمَدَدِ ^(١)
 حَتَّى سَقَطَتْ حَنَائِيهَا ، وَجُحِثَتْ أَعَالِيهَا ، وَبَقِيَتْ أَرْجُلُهَا
 وَأَسَافِلُهَا ، وَعَلَيْهَا بَنَى السَّمْعُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَمِائَةٍ . أَتَتْهُ
 وَقَالَ فِي مَنَاجِحِ الْفِكْرِ : إِنَّ قَنْطَرَةَ قُرْطَبَةَ إِحْدَى
 أَعْلَاجِبِ الدُّنْيَا بُنِيَتْ زَمَنَ عُمرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى يَدِ
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ النَّافِقِيِّ ، وَطُولُهَا ثَمَانِيَةَ ذِرَاعٍ ،
 وَعَرْضُهَا عِشْرُونَ بَاعًا ، وَأَرْقَاعُهَا سِتُّونَ ذِرَاعًا ، وَعَدَدُ
 حَنَائِيهَا ثَمَانٍ عَشْرَةَ حَنِيَّةً ، وَعَدَدُ أَرْجَائِهَا تِسْعَةَ عَشَرَ بُرْجًا
 أَتَتْهُ .



« رَجِعْ إِلَى قُرْطَبَةَ » . ذَكَرَ ابْنُ حَيَّانَ وَالرَّازِيُّ ^(٢) مِنْهَا قُرْطَبَةَ
 وَالْحِجَارِيُّ أَنَّ التَّنْبِاطَ ^(٣) ثَانِي قِيَاصَةِ الرُّومِ الَّذِي مَلَكَ

سنة عشر قوسا « وكان بالطرف الشرقي من هذه القنطرة قلعة بناها
 العرب سموها القلعة الحرة لها برجان عظيمان وكان فيها نقطة للشرطة -
 فلا غرو بعد هذا أن كانت متنزها - وسل فؤادك الآن عن غادات النيل
 تزهى بين الجزيرة وجسر اسماعيل ، وسل بفساد عن عيون الهالين
 الرصافة والجسر ، وعن ظباء القصر ، تلك معا هدبت الهوى ، وتثير الجوى :
 تردد في أرجائها الحسن فاغتلت قرارة من يصي ونجمة من يصبو
 (١) لها « للود » من مد النهر « ضد الجزر » (٢) كذا
 بالأصل وللرجح للمروف أن قيصر الأول أغسطس Augustus

أَكْثَرُ الدُّنْيَا وَصَفَحَ نَهْرَ رُومِيَّةَ بِالصُّفْرِ ، فَأَرَحَتْ الرُّومُ مِنْ ذَلِكَ الْعَهْدِ - وَكَانَ مِنْ قَبْلِ مِيلَادِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَمَانٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً - أَمَرَ بِنَاءَ الْمَدْنِ الْعَظْمَى بِالْأَنْدَلُسِ ، فَبُنِيَتْ فِي مُدَّتِهِ قُرْطُبَةُ وَإِشْبِيلِيَّةُ وَمَارِدَةُ وَسَرَقُسْطَةُ . وَاتَّفَرَدَ الْحَجَارِيُّ بِأَنَّ التَّنْبَانَ^(١) الْمَذْكُورَ وَجْهَ أَرْبَعَةٍ مِنْ أَعْيَانِ مُلُوكِهِ لِلْأَنْدَلُسِ ، فَبَنَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَدِينَةً فِي الْجِهَةِ الَّتِي وَلَّاهُ عَلَيْهَا وَسَمَّاهَا بِاسْمِهِ ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ الْأَرْبَعَةَ كَانَتْ أَسْمَاءَ لِأُولَئِكَ الْمُلُوكِ . وَغَيْرُ الْحَجَارِيِّ - جَمَلَ هَذِهِ الْمَدْنُ مُشْتَقَّةً مِمَّا تَقْتَضِيهِ أَوْضَاعُهَا كَمَا مَرَّ - وَذَكَرُوا أَنَّهُ قَدْ تَدَاوَلَتْ عَلَى قُرْطُبَةَ وَلَّاهُ الرُّومُ الْأَخِيرَةَ الَّذِينَ هُمْ بَنُو عِيصُو بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَى نَيْبَانٍ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - إِلَى أَنْ انْتَرَعَمَا مِنْ أَيْدِيهِمُ الْقُوطُ مِنْ وَلَدِ يَافِثِ الْمُتَغَلِّبُونَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ ، إِلَى أَنْ أَخَذَهَا مِنْهُمْ الْمُسْلِمُونَ ، وَلَمْ تَكُنْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ سَرِيرًا لِسُلْطَنَةِ

ولى سنة ٢٧ قبل الميلاد ، والثاني « تيرياس Tiberius » تولى الملك سنة ١٤ بعد الميلاد (١) في بعض المراجع « اكتبان » بدل « التنبان » وكذا فيما تقدم وهو الظاهر « أحمد يوسف نجاشي »

الْأَنْدَلُسِ بَلْ كُرْسِيًّا لِحَاصِ مَمْلَكَتِهَا، وَسَعِدَتْ فِي الْإِسْلَامِ
فَصَارَتْ سِرِيرًا لِلسُّلْطَنَةِ الْعَظْمَى الشَّامِلَةِ، وَقُطْبًا لِلْخِلَافَةِ
الْمُرَوَّاتِيَّةِ، وَصَارَتْ إِشْبِيلِيَّةً وَطُلَيْطُلَةً تَبْعًا لَهَا بَعْدَ مَا كَانَ
الْأَمْرُ بِالْمَكْسِ، وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، يَدِهِ الْمُلْكُ
وَالْتَّدِيرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ
الْكَبِيرُ.

وَقَالَ صَاحِبُ نَشَقِ الْأَزْهَارِ - عِنْدَ مَا تَعَرَّضَ لِذِكْرِ
قُرْطُبَةَ: هِيَ مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ دَارُ خِلَافَةٍ، وَأَهْلُهَا أَعْيَانُ
نَاسٍ فِي الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ، وَبِهَا جَامِعٌ لِنَاسٍ فِي الْإِسْلَامِ
مِثْلُهُ. أُنْتَهَى.



وَمِنَ الْأَسْبَابِ فِي سَلْبِ حَاسِنِ قُرْطُبَةَ عَيْتُ الْبَرْبَرِ اضْطِعْجَالِ قُرْطُبَةَ
بِهَا فِي دُخُولِهِمْ مَعَ سُلَيْمَانَ الْمُسْتَعِينِ الْأُمَوِيِّ حِينَ اسْتَوَلَى
عَلَى قُرْطُبَةَ فِي دَوْلَتِهِ الَّتِي أَقْسَحَتْ بِالْقَهْرِ وَسَفَكَ الدَّمَاءَ .
وَكَانَ مِنْ أَمْرَاءِ الْبَرْبَرِ الْمُعَاوِدِينَ لِسُلَيْمَانَ عَلَى بَنِي هَمُودٍ مِنْ بَنِي
عَلِيٍّ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ

ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - وَجَدَهُ
إِدْرِيسُ هَرَبَ مِنْ هُرُونِ الرَّشِيدِ إِلَى الْبَرَبَرِ فَتَبَرَّرَ وَلَدُهُ ،
وَبَنَى أَبْنَاهُ إِدْرِيسُ مَدِينَةَ قَلَسَ ، وَكَانَ الْمُؤَيَّدُ هِشَامُ يَسْتَعِلُّ
بِالْمَلَا حِمٍّ ، ^(١) وَوَقَفَ عَلَى أَنَّ دَوْلَةَ بَنِي أُمَيَّةَ تَنْقَرِضُ بِالْأَنْدَلُسِ
عَلَى يَدِ عَلَوِيِّ أَوَّلِ أَسْمِهِ عَيْنٌ ، فَلَمَّا دَخَلَ سُلَيْمَانُ مَعَ الْبَرَبَرِ
فَرْطَبَةً ، وَنَحْوًا كَثِيرًا مِنْ عَاسِنَهَا وَمَحَاسِنِ أَهْلِهَا ، كَانَ مِنْ
أَكْبَرِ أُمَرَائِهِمْ عَلَى بَنِي مُعَوِّدٍ ، وَبَلَغَ هِشَامًا الْمُؤَيَّدَ وَهُوَ
مَحْبُوسٌ خَبْرَهُ وَأَسْمُهُ وَتَسَبُّهُ ، فَدَسَّ إِلَيْهِ : إِنَّ الدَّوْلَةَ صَارَتْ
إِلَيْكَ ، وَقَالَ لَهُ : إِنْ خَاطَرِي يُحْدِثُنِي أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَقْتُلُنِي

(١) يريد باللاحم هنا النظر في حوادث المستقبل ومعرفتها - زعموا -
بطرق مخصوصة واتصال القضايا النبية والاشارة الى الكوائن الآتية -
وانظر في مقدمة ابن خلدون في كتاب طبية العمران تعرف رأيه في
اللاحم وفي كتاب الجفر التي ينسب بعض الناس الى جعفر الصادق وفيه
علم ماسبق لأهل البيت عامة ولبعض الأشخاص منهم خاصة ، وفيه يقول
أبو العلاء للمرى :

لقد عجبوا لأهل البيت لما أناهم عليهم في مسك جفر
ومرأة للنجم وهي صفري أرته كل عامرة وقفر
« للسك » بفتح الليم الجلد والجفر ما بلغ أربعة أشهر من أولاد اللز ،
وكانوا يكتبون في الجلود « أحمد يوسف نجاني »

- بِعَنِي سُلَيْمَانَ - فَإِنْ فَعَلَ فَخُذْ بِثَارِي، وَكَانَ هَذَا الْأَمْرُ
هُوَ الَّذِي قَوَّى نَفْسَ ابْنِ حَمُودٍ عَلَى طَلَبِ الْإِمَامَةِ، وَحَمَلَهُ
عَلَى الْأَخْذِ بِثَارِ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ، فَكَانَ الْمُؤَيَّدُ أَحَدَ مَنْ
أَخَذَ^(١) بِثَارِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

وَتَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ عَلِيُّ بْنُ حَمُودٍ، وَبُوعِ بِقُرْطَبَةَ
فِي قَصْرِهَا فِي الْيَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ سُلَيْمَانُ الْمُسْتَعِينُ،
وَأَخَذَ النَّاسَ بِالْإِرْهَابِ وَالسُّطُوءِ، وَأَذَلَ رُيُوسَ الْبَرْبَرِ،
وَبَرَقَتْ لِلْعَدْلِ فِي أَيَّامِهِ بَارِقَةٌ خُلِبَتْ لَمْ تَكْذُ تَقْدِ^(٢)
حَتَّى خَبَتْ، وَجَلَسَ لِلْمَظَالِمِ، وَقُدِّمَتْ لَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبَرْبَرِ
فِي أَجْرَامٍ، فَضَرَبَ رِقَابَهُمْ وَأَهْلَهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ يَنْظُرُونَ،
وَخَرَجَ يَوْمًا عَلَى بَابِ عَامِرٍ^(٣)، فَالْتَقَى فَارِسًا مِنَ الْبَرْبَرِ
وَأَمَامَهُ مِجْلُ عِنَبٍ، فَاسْتَوْفَقَهُ وَقَالَ لَهُ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟
فَقَالَ أَخَذْتُهُ كَمَا يَأْخُذُ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ،

(١) أو «أخذ» بالبناء للجهول (٢) وقَدَّتِ النَّارُ تَقْدُ «كوعد» اتفقت

ضد خبت - (٣) هو من أبواب قرطبة للتقسمة

ولاية علي
ابن حمود

وَوُضِعَ رَأْسُهُ وَسَطَ الْجُلُحِ وَطِيفَ بِهِ فِي الْبَلَدِ . وَاسْتَمَرَ
عَلَى هَذَا مَعَ أَهْلِ قُرْطُبَةَ فِي أَحْسَنِ عَشْرَةِ نَحْوِ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ
حَتَّى بَلَغَهُ قِيَامُ الْأَنْدَلُسِيِّينَ بِالْمَرْتَضَى الْمَرْوَانِيِّ فِي مَشْرِقِ
الْأَنْدَلُسِ ، فَتَغَيَّرَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ ، وَعَزَمَ عَلَى إِخْلَاءِ قُرْطُبَةَ
وَإِبَادَةِ أَهْلِهَا ، فَلَا يَمُودُ لِأَيِّتِهِمْ بِهَا سُلْطَانٌ آخِرَ الدَّهْرِ ،
وَأَغْضَى لِلْبَرَبَرِ عَنْ ظُلْمِهِمْ ، فَمَادَّ الْبَلَاءَ إِلَى حَالِهِ ، وَانْتَرَعَ
أَهْلُ قُرْطُبَةَ ، وَهَدَمَ الْمَنَازِلَ ، وَأَسْهَنَ بِالْأَكَابِرِ ، وَوَضَعَ
الْمَنَازِمَ ، وَبَقِضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَغْيَانِهِمْ وَالزَّمَمُ بِمَالِ ،
فَلَمَّا غَرِمُوهُ سَرَّحَهُمْ^(١) ، فَلَمَّا جِئَ إِلَيْهِمْ بِدَوَابِّهِمْ لِيَرْكَبُوهَا
أَمَرَ مَنْ أَخَذَا الدَّوَابَّ وَرَكَبَهُمْ يَنْزِلُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ عَلَى
أَرْجُلِهِمْ ، وَكَانَ مِنْهُمْ أَبُو الْخَزَمِ^(٢) الَّذِي مَلَكَ قُرْطُبَةَ
بَعْدُ وَصَارَتْ دَوْلَتُهُ يوراثَةً وَلِيهِ مَعْدُودَةٌ فِي دُولِ الطُّوَانِفِ ،
فَانْجَمَعَتْ^(٣) عَنْ عَلَى النُّفُوسِ ، وَتَوَالَى عَلَيْهِ الدُّعَاءُ ، فَقَتَلَهُ
صَيِّانُ أَغْمَارِ^(٤) مِنْ صَقَالِيَّةٍ بَنِي مَرْوَانَ فِي الْحَمَامِ ، وَكَانَ
قَتْلُهُ غُرَّةَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ الصَّقَالِيَّةُ

(١) أَيِ أَطْلَقَهُمْ (٢) هُوَ جُوهَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جُوهَرٍ - وَتَقَدَّمَ سِيرَتُهُ (٣) كَذَا
بِالْأَصْلِ يَرِيدُ انْقِبَاضَ عَنْهُ وَانْصَرَفَ وَانْقَضَتْ مِنْ - حَوْلَهُ (٤) جَمْعُ غَمْرَايَ
الْجَاهِلِ الْغَرِ وَمَنْ لَمْ يَجْرِبِ الْأُمُورَ ، وَكُلِّ مَنْ لَا غِنَاءَ عِنْدَهُ وَلَا رَأْيَ لَهُ

ثَلَاثَةً فَهَرَبُوا وَأَخْتَفُوا فِي أَمَا كُنَ يَمْرُفُونَهَا ، وَصَحَّ عِنْدَ
النَّاسِ مَوْتُهُ فَقَرِحُوا ، وَكَانَتْ مُدَّتُهُ كَمَا مَرَّ نَحْوَ عَامَيْنِ ،
وَحَقَّقَهَا بَعْضُ قَقَالَ أَحَدُ وَعِشْرُونَ شَهْرًا وَسِتَّةَ أَيَّامٍ .
وَكَانَ النَّاصِرُ عَلَى بَنِي هَمُودٍ عَلَى عَجَمَتِهِ وَبُعْدِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ
يُصْنَعِي إِلَى الْأَمْدَاحِ وَيُسَبُّ عَلَيْهَا ، وَيُظْهَرُ فِي ذَلِكَ آثَارُ
النَّسَبِ الْعَرَبِيِّ وَالْكَرَمِ الْهَاشِمِيِّ ، وَمِنْ شُعْرَائِهِ الْمُخْتَصِّصِينَ
بِهِ ابْنُ الْخَلِيطِ الْقُرْطُبِيُّ ^(١) ، وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

(١) كذا بالأصل في غير موضع ، وأنا أراها محرفة عن « ابن الخطاط » وهو
أبو عبد الله محمد بن سليمان الرعيني البصري من أهل قرطبة ، كان متقدما في
البلاغة والأدب وعلوم اللغة شاعرا مقلعا مدح للملوك والرؤساء ونال صلاتهم ،
وكان أول ظهوره ونجومه في الدولة الحمودية بقرطبة ، واليهم هاجر وبهم
لحق ، واتصل بـ علي بن حمود فرفع من ذكره وحماه من أبي الحزم بن جهور
لما خاف منه ، وله مع أبي عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد أخبار ومناقضات
وكانت بينهما منافسة شريفة أدبية لم تمتع ابن الخطاط حين سئل له ابن
شهيد سنة ٤٢٦ أن يقول على البديهة :

لما نفي الناعي أبا عامر أيقنت أني لست بالصابر
أودى في الظرف وترب الندي وسيد الأول والآخر
وكان ابن الخطاط مع مقدرة الشعرية كاتباً مجيداً ومترسلاً ومقتنلاً الرسالة
للهرجانية التي سماها « وثى القلم وحلى الكرم » بعث بها إلى الحاجب للظفر
(١١ - قبح الطيب - رابع)

رَاحَتْ تَدْكُرُ بِالنَّسِيمِ الرِّيحَ
وَطَفَاءَ تَكْسِيرُ لِلْجُنُوحِ جَنَاحًا^(١)
أَخْفَى مَسَالِكَهَا الظَّلَامُ فَأَوْقَدَتْ
مِنْ بَرَقِهَا كَيْ تَهْتَدِيَ مِصْبَاحًا

أبي بكر بن الافرطس وهي من الرسائل البديعة - ولعلنا نخضع بكلمة وافية
ونأتي بشيء من شعره ونثره إن شاء الله ، توفي ابن الخطاط سنة ٤٣٧
« أحمد يوسف نجاشي » .

(١) يقال سحابة وطفاء اذا كانت مسترخية الجوانب لسكونها ، أو
هي دائماً السحابة الخفيفة طال مطرها أو قصر ، وسحابة ذات وطف أي
قد تدلت ذيلها ، وكذلك ظلام أوطف وظلمة وطفاء اذا كان لباسا دانيا
وأكثر ما يطلق الوطف في الشعر وهو كثرة شعر الحاجبين والعينين والاشعار
مع استرخاء وطول « والوظف انهمار الطر » والجنوح لليل والانصراف
شبه السحابة بطائر وأثبت لها جناحا وساعده على ذلك الوصف بالوظف
المشترك بينهما ، فهو يقول ان هذه السحابة مع رقة النسيم ذكرت بالراح
وكانوا يستحبون الشرب اذا كانت الطبيعة كذلك حتى قال عضد الدولة
ابن بويه من أبيات :

ليس شرب الراح إلا في للطر وغناء من جوار في السحر الخ
وعلى ابن الخطاط في البيت الثاني لمع البرق بأنه مصباح أوقدته السحابة
تهدي به الى مسالكها في ظلمات الليل - ولعل أطف منه قول ابن المعتز
عارض أقبل في جنح الهجا يتهادي كتهادي ذي الوجي
أثلفت ربح المبالولة فأنبرى يوقد عنها سرجا
والشاعر إنما يستمد من بيئته ، ويستملى مما يحيط به ، ويستوحى ما يحسه
بموتة طبعه وقرينه . « أحمد يوسف نجاشي » .

وَعِبَادَةُ بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ ^(١) وَكَانَ مَعْرُوفًا بِالنَّشِيعِ ، وَفِيهِ
يَقُولُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَبُوكُمُ عَلِيٌّ كَانَ بِالْشَّرْقِ بَدْءُ مَا
وَرِثْتُمْ وَذَا بِالْغَرْبِ أَيْضًا سَمِيهُ
فَصَلُّوا عَلَيْهِ أَجْمَعُونَ وَسَلُّوْا
لَهُ الْأَمْرَ إِذْ وَلَّاهُ فِيكُمْ وَلِيَّهُ
وَمَدَحَهُ ابْنُ دَرَّاجِ الْقَسَطَلِيُّ ^(٢) يَقُولُهُ :

لَعَلَّكَ يَا شَمْسُ عِنْدَ الْأَصِيلِ
شَجِيحٌ لِشَجْوِ الْغَرِيبِ الدَّلِيلِ
فَكُونِي شَفِيعِي لِابْنِ الشَّفِيعِ
وَكُونِي رَسُولِي لِابْنِ الرَّسُولِ

(١) هو أبو بكر عبادة بن عبد الله بن ماء السماء كان من خول شعراء
الاندلس متقدما فيهم مع علم ورواية ومعرفة ودراية، وله كتاب في أخبار
شعراء الاندلس - توفي سنة ٤١٦ (٢) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن
العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دراج القسطلي الشاعر الملقب
الجيد الأديب العالم للتفنن كان كاتب للنصور بن أبي عامر وشاعره ، ثم
أصله يابن حمود ومدحه - ولد سنة ٣٤٧ هـ وتوفي سنة ٤٢١ هـ « والقسطلي نسبة إلى
قسطله مدينة بالاندلس يقال لها قسطله دراج » - أحمد يوسف نجاشي -



وَكَانَ أَخُوهُ الْقَاسِمُ بْنُ حَمُودٍ أَكْبَرَ مِنْهُ بِعَشْرِ سِنِينَ ،
وَأُمُّهُمَا وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ عَلَوِيَّةٌ ، وَلَمَّا قُتِلَ النَّاصِرُ كَانَ الْقَاسِمُ
وَالِيًا عَلَى إِسْبِيلِيَّةَ ، وَكَانَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ وَالِيًا عَلَى سَبْتَةَ ،
فَاخْتَلَفَ أَهْوَاءُ الْبَرْبَرِ ، فَقَالَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى الْقَاسِمِ
لِيَكُونَهُ غُيْنٌ أَوْ لَا وَقُدِّمَ عَلَيْهِ أَخُوهُ الْأَصْغَرُ وَكَوْنِهِ
قَرِيبًا مِنْ قُرْطُبَةَ وَيَنْتَهُمُ وَيَنْ يَحْيَى الْبَحْرُ ، فَلَمَّا وَصَلَتْ
رُسُلُهُمْ إِلَى الْقَاسِمِ لَمْ يُظْهِرْ قَرَحًا بِالْإِمَامَةِ ، وَخَافَ أَنْ
تَكُونَ حِيلَةً مِنْ أَخِيهِ عَلَيْهِ ، فَتَقَهَّقَرَ إِلَى أَنْ أُتْصَحَّ لَهُ
أَلْحَقْ ، فَرَكِبَ إِلَى قُرْطُبَةَ وَبُوعَ فِيهَا بَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ
مِنْ قَتْلِ أَخِيهِ ، وَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ ، وَأَحْسَنَ مِنَ الْبَرْبَرِ
الْمَيْلَ إِلَى يَحْيَى ابْنِ أَخِيهِ عَلِيٍّ صَاحِبِ سَبْتَةَ ، فَمَهَّلَكَ
فِي اقْتِنَاءِ الشُّودَانِ وَابْتِاعَ مِنْهُمْ كَثِيرًا وَقَوَّدهُمْ^(١) عَلَى أَعْمَالِهِ
فَأَتَتْهُ الْبَرْبَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْحَرُوا عَنْهُ . وَفِي سَنَةِ تِسْعٍ

اختلاف البربر
على الولاة

(١) جعلهم قواد لا أغراضه السافلة « من القيادة حرفة ذوى النذالة والمهمة
السافلة والتي يأخذ منها أولوالأباء والحمية كالبربر » (أحمد يوسف نجاشي) .

وَأَرْبَعِيَّةٌ قَامَ عَلَيْهِ بِشَرْقِ الْأَنْدَلُسِ الْمُتَرْضَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ
مِنْ أَغْصَابِ النَّاصِرِ - لِأَنَّ أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ صَعِبَ عَلَيْهِمْ مُلْكُ
بَنِي سَمُوْدِ الْعُلَوِيِّينَ بِسَبَبِ الْبَرْبَرِ ، فَأَرَادُوا رُجُوعَ الْإِمَامَةِ
إِلَى بَنِي مَرْوَانَ وَاجْتَمَعَ لَهُ أَكْثَرُ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ ، وَكَانَ
مَعَهُ حِينَ أَقْبَلَ لِقَرْطُبَةَ مُنْذِرٌ ^(١) التَّجِيبِيُّ صَاحِبُ سَرَقِطَةَ
وَخَيْرَانُ الْعَامِرِيُّ الصَّقْلِيُّ صَاحِبُ الْعَرِيَّةِ ، وَانْضَافَ إِلَيْهِمْ
جَمْعٌ مِنَ الْفَرَنْجِ ، وَتَأَهَّبَ الْقَاسِمُ وَالْبَرَابِرَةُ لِلِقَائِهِمْ ، فَكَانَ
مِنَ الْإِتِّفَاقِ الْمَجِيبِ أَنْ فَسَدَتْ نِيَّةُ مُنْذِرٍ وَخَيْرَانُ عَلَى
الْمُتَرْضَى وَقَالَا : أَرَأَانِي الْأَوَّلِ وَجْهًا لَيْسَ بِالْوَجْهِ الَّذِي
نَرَاهُ حِينَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْجُمُ الْغَفِيرُ ! وَهَذَا مَا كَرِهْتُ غَيْرُ صَافِي
النِّيَّةِ ، فَكَتَبَ خَيْرَانُ إِلَى ابْنِ زَيْرِي ^(٢) الصُّنْهَاجِيُّ الْمُتَغَلَّبِ

(١) هومنز بن مطرف بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن هاشم الملقب
بالمصور صاحب سرقطة والنغر الأعلى توفي سنة ٤١٤ وولى بعده ابنه
يحيى وتلقب اللظفر ، فقتل عليه أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود الجندابي
من أهل نسيهم وكان من قبل مستبدا بمدينة تطيلة منذ أول الفتنه ، وقتل
يحيى اللظفر سنة ٤٣١ - وقد تقدم ما كان بعد ذلك « أحمد يوسف نجاشي »

(٢) هو زاوى بن زيرى بن مناد - وقد تقدم الحديث عنه

عَلَى غَرَائِطَ وَهُوَ دَاهِيَةُ الْبَرِّ، وَصِنَ لَهُ أَنَّهُ مَتَى قَطَعَ
الطَّرِيقَ عَلَى الْمُرتَضَى عِنْدَ اجْتِيَازِهِ عَلَيْهِ إِلَى قُرْطُبَةَ خَذَلَ^(١)
عَنْ نُصْرَتِهِ الْمَوَالِي الْعَامِرِيِّينَ أَعْدَاءَ الْمُرَوَّاتِيِّينَ وَأَصْحَابَ
رِيَاسَةِ الشُّعُورِ ، فَأَضْحَى ابْنُ زَيْرِي إِلَى ذَلِكَ ، وَكَتَبَ
الْمُرْتَضَى إِلَى ابْنِ زَيْرِي يَدْعُوهُ لِبَطَاعَتِهِ ، فَقَلَبَ الْكِتَابَ
وَكَتَبَ فِي ظَهْرِهِ «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» السُّورَةَ ، فَأَرْسَلَ
إِلَيْهِ كِتَابًا ثَانِيًا يَقُولُ فِيهِ : جِئْتُكَ بِمَجْمِيعِ أَبْطَالِ الْأَنْدَلُسِ
وَبِالْفَرَنْجِ فَمَاذَا تَصْنَعُ ؟ وَخَتَمَ الْكِتَابَ بِهَذَا الْيَتِّ :

إِنْ كُنْتَ مِنْ أَبْشَرِ^(٢) بَخِيرٍ أَوْ لَا فَأَيُّنَ بِكُلِّ شَرٍّ^(٣)
فَأَمَرَ الْكَاتِبَ أَنْ يُحَوِّلَ الْكِتَابَ وَيَكْتُبَ فِي ظَهْرِهِ
«أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ» السُّورَةَ ، فَازْدَادَ حَقُّهُ وَحَمَلَهُ الْفَيْظُ
إِلَى أَنْ تَرَكَ السَّيْرَ إِلَى حَضْرَةِ الْإِمَامَةِ قُرْطُبَةَ ، وَعَدَلَ إِلَى
مُحَارَبَتِهِ وَهُوَ يَرَى أَنْ يَصْطَلِمَهُ^(٤) فِي سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ ، وَدَامَتِ
الْحَرْبُ أَيَّامًا ، وَأَرْسَلَ ابْنُ زَيْرِي إِلَى خَيْرَانَ يَسْتَنْجِزُهُ وَعَدَهُ

(١) أو « خزل » (٢) في الأصل « أشر » وهو تعريف (٣) أى يستأنسه ،
واصطلم القوم أي دوا من أصلهم

فَأَجَابَهُ: إِنَّمَا تَوَقَّعْتُ حَتَّى تَرَى مِقْدَارَ حَرْبِنَا وَصَبْرِنَا وَلَوْ
 كُنَّا يَبُورًا مَعَكَ ، فَأَبَيْتَ جَمْعَكَ لَنَا وَنَحْنُ نَهْرِمُ عَنْهُ
 وَنَحْذِلُهُ فِي غَدٍ . وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ رَأَى أَعْلَامَ خَيْرَانَ
 وَأَعْلَامَ مُنْذِرٍ وَأَصْحَابِ الثُّغُورِ قَدْ وَلَّتْ عَنْهُ ، فَسَقَطَ^(١)
 فِي يَدِ الْمُرْتَضَى وَبَتَتْ حَتَّى كَادُوا يَأْخُذُونَهُ ، وَأُسْتَحْرَ^(٢)
 الْقَتْلُ ، وَصُرِعَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا خَافَ الْقَبْضَ عَلَيْهِ
 وَلَّى ، فَوَضَعَ عَلَيْهِ خَيْرَانُ عُيُونًا فَلَحِقُوهُ بِقُرْبِ وَادِي آشٍ
 وَقَدْ جَاوَزَ بِلَادَ الْبَرْبَرِ وَأَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَهَجَمُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ
 وَجَاءُوا بِرَأْسِهِ إِلَى الْمَرْيَةِ وَقَدْ حَلَّ بِهَا خَيْرَانُ وَمُنْذِرٌ ،
 فَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّهُمَا أُصْطَبَحَا^(٣) عَلَيْهِ سُرُورًا بِهَلَاكِهِ .
 وَبَعْدَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ أَذْعَنَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ لِلْبَرْبَرَةِ ، وَلَمْ
 يَجْتَمِعْ لَهُمْ بَعْدَهَا جَمْعٌ يَهْضُونَ بِهِ إِلَيْهِمْ ، وَضَرَبَ الْقَاسِمُ
 ابْنُ هَمُودٍ سُرَادِقَ الْمُرْتَضَى عَلَى نَهْرِ قَرْطَبَةَ ، وَعَشِيَهُ خَلَقَ

(١) سقط في يده : ندم ونحير ، وتحسر على ما فرط منه (٢) أى اشتد وعظم

(٣) أى شربا الصبح ، وهو شرب الصباح

مِنَ النَّظَارَةِ وَقُلُوبِهِمْ تَقَطَّعَ حَسَرَاتٍ ، وَأَنْشَدَ عُبَادَةُ بْنُ
مَاءِ السَّمَاءِ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

لَكَ الْخَيْرُ خَيْرَانُ مَضَى لِسَبِيلِهِ
وَأَصْبَحَ أَمْرُ اللَّهِ فِي ابْنِ رَسُولِهِ

وَتَمَكَّنْتَ أُمُورُ الْقَاسِمِ ، وَوَلَّى وَعَزَلَ ، وَقَالَ وَفَعَلَ
إِلَى أَنْ كَشَفَ وَجْهَهُ فِي خَلْعٍ طَاعَتِهِ ابْنُ أَخِيهِ يَحْيَى بْنُ
عَلِيٍّ ، وَكَتَبَ مِنْ سَبْتَةٍ إِلَى أَكْبَارِ الْبُرَابِرِ بِقُرْطُبَةٍ : إِنَّ
عَمِّي أَخَذَ مِيرَاتِي مِنْ أَبِي ، ثُمَّ إِنَّهُ قَدَّمَ فِي وَلَايَاتِكُمْ الَّتِي
أَخَذْتُمُوهَا بِسُيُوفِكُمْ الْعَمِيدَ وَالسُّودَانَ ، وَأَنَا أَعْلَبُ مِيرَاتِي
وَأَوْلِيكُمْ مَنَاصِبَكُمْ ، وَأَجْعَلُ الْعَمِيدَ وَالسُّودَانَ كَمَا هُمْ
عِنْدَ النَّاسِ . فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَجَمَعَ مَا عِنْدَهُ مِنْ
الْمَرَائِبِ ، وَأَعَانَهُ أَخُوهُ إِدْرِيسُ صَاحِبُ مَالَقَةَ ، فَجَارَ
الْبَحْرَ يَجْمَعُ وَافِرٍ ، وَحَصَلَ بِمَالَقَةَ مَعَ أَخِيهِ ، وَكَتَبَ لَهُ
خَيْرَانُ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ مَذْكِرًا لَهُ بِمَا أَسْلَفَهُ فِي إِعَانَةِ أَبِيهِ
وَأَكْدَ الْمَوَدَّةَ ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ إِدْرِيسُ : إِنَّ خَيْرَانَ رَجُلٌ

خَدَاعٌ، فَقَالَ يَحْيَى: وَنَحْنُ مُنْخَدِعُونَ فِيمَا لَا يَصُرُّنَا.

ثُمَّ إِنَّ يَحْيَى أَقْبَلَ إِلَى قُرْطَبَةَ وَاتَّعَا بِأَنَّ الْبَرَابِرَ مَعَهُ،
فَقَرَأَ الْقَاسِمُ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ فِي خَمْسَةِ فُرْسَانٍ مِنْ خَوَاصِّهِ لَيْلَةً
الْسَّبْتِ فِي الثَّامِنِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ
ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَحَلَّ يَحْيَى بِقُرْطَبَةَ، فَبَالِغَهُ الْبَرَابِرُ
وَالسُّودَانُ وَأَهْلُ الْبَلَدِ يَوْمَ السَّبْتِ مُسَهَّلٌ مُجَادَى الْآخِرَةِ
وَكَانَ يَحْيَى مِنَ النُّجَبَاءِ، وَأُمُّهُ فَاطِمِيَّةٌ، وَإِنَّمَا كَانَتْ آفَتُهُ
الْعُجْبَ وَأَصْطِنَاعَ السُّفَلَةِ،^(١) وَاشْتَطَّ^(٢) أَكْبَرُ الْبَرَابِرِ عَلَيْهِ
وَطَلَبُوا مَا وَعَدَهُمْ مِنْ اسْتِقَاطِ مَرَاتِبِ السُّودَانِ، فَبَذَلَ لَهُمْ
ذَلِكَ فَلَمْ يَقْنَعُوا مِنْهُ، وَصَارُوا يَفْعَلُونَ مَعَهُ مَا يَخْرِقُ
الْهَيْبَةَ وَيُزْغِي بَيْنَ أَلْمَالِ، وَقَرَأَ السُّودَانُ إِلَى عَمِّهِ بِإِشْبِيلِيَّةَ
وَمِنَ الْبَرَابِرِ وَمِنْ جُنْدِ الْأَنْدَلُسِ مَنْ اخْتَجَبَ عَنْهُمْ يَحْيَى
وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَلِ إِلَيْهِ مُلُوكُ الطَّوَائِفِ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ
كَثِيرٌ عَلَى الْخَطْبَةِ لِعَمِّهِ الْقَاسِمِ إِلَى أَنْ اخْتَلَّتِ الْحَالُ بِمَحْضَرَةِ
قُرْطَبَةَ، وَأَيَّقَنَ يَحْيَى أَنَّهُ مَتَى أَقَامَ بِهَا قُبِضَ عَلَيْهِ، وَكَانَ

(١) أى تجاوزوا الحد في مطالبهم

قَدْ وَلَّى عَلَى سَبْتَةِ أَخَاهُ إِدْرِيسَ ، وَبَلَّغَهُ أَنَّ أَهْلَ مَالِقَةَ خَاطَبُوا
خَيْرَانَ وَكَاتَبُوهُ ، فَطَمَعَ خَيْرَانُ فِيهَا ، وَفَرَّ يَحْيَى فِي خَوَاصِّهِ
تَحْتَ اللَّيْلِ إِلَى مَالِقَةَ ، وَلَمَّا بَلَغَ الْقَاسِمَ فِرَارَهُ رَكِبَ مِنْ
إِشْبِيلِيَّةَ إِلَى قُرْطُبَةَ ، فَخُطِبَ لَهُ بِهَا يَوْمَ الثَّلَاثَةِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ
أَلْفَةً بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةٌ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعِينَ
وَلَمْ تَصْلُحِ الْحَالُ لِلْقَاسِمِ مُنْذُ وَصَلَ إِلَى الْحَضَرَةِ ، وَوَقَعَ
الْإِخْتِلَافُ ، وَكَانَ هَوَى السُّودَانِ مَعَهُ ، وَهَوَى كَثِيرٍ مِنَ
الْبَرَابِرَةِ مَعَ يَحْيَى ، وَهَوَى أَهْلُ قُرْطُبَةَ مَعَ قَاسِمٍ مِنْ بَنِي
أُمَيَّةٍ يُشِيعُونَ ذِكْرَهُ وَلَا يَظْهَرُ ، وَكَثُرَ الْإِرْجَافُ ^(١) بِذَلِكَ
وَوَقَعَ الطَّلَبُ عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ ، فَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ وَدَخَلُوا فِي
أَنْعَامٍ ^(٢) النَّاسِ وَأَخْفَوْا زِيَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ الْإِخْلَافَ وَقَعَ بَيْنَ
الْبُرْبَرِ وَأَهْلِ قُرْطُبَةَ ، وَكَثُرَ الْبَلْدِيُّونَ وَأَخْرَجُوا الْقَاسِمَ

(١) أُرْجِفَ الْقَوْمُ إِذَا خَلَصُوا فِي أَخْبَارِ الْفَنَنِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ
السَّيِّئَةِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَلِلرَّجْفُونَ فِي الدِّينَةِ » وَهُمْ الَّذِينَ يَلْفُقُونَ
الْأَخْبَارَ الْكَاذِبَةَ الَّتِي قَدْ يَكُونُ مَعَهَا اضْطِرَابُ النَّاسِ وَفِتْنَتُهُمْ - وَقَالَ
الرَّاعِبُ : الْإِرْجَافُ إِيقَاعُ الرَّجْفَةِ إِمَّا بِالْقَوْلِ وَإِمَّا بِالْفِعْلِ .

(٢) الْقَمَرُ مِنَ النَّاسِ جَمَاعَتُهُمْ وَلَقِيفُهُمْ وَكَثَرَتُهُمْ وَزَحْمَتُهُمْ

وَبَرَارَتُهُ، فَضَرَبَ خِيَمَةً بَيْنَهُمَا وَقَاتَلَهُمْ مُدَّةَ عَشْرِينَ يَوْمًا
قِتَالًا شَدِيدًا، وَبَنَى الْقَرْطُيُونُ أَبْوَابَ مَدِينَتِهِمْ، وَقَاتَلُوا
الْقَاسِمَ مِنَ الْأَسْوَارِ إِلَى أَنْ طَالَ عَلَيْهِمُ الْحَصَارُ، فَهَدَمُوا
بَابًا مِنَ الْأَبْوَابِ وَخَرَجُوا خَرَجَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ وَصَبَرُوا
فَمَنْحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الظَّفَرَ، وَفَرَّ السُّودَانُ مَعَ الْقَاسِمِ إِلَى
إِشْبِيلِيَّةَ، وَفَرَّ الْبَرَابِرَةُ إِلَى يَحْيَى وَهُوَ بِمَالَقَةَ. وَكَانَ فِرَارُ
الْقَاسِمِ مِنْ ظَاهِرِ قَرْطُبَةَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً
خَلَّتْ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ

وَكَانَ أَبْنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ وَالْيَا عَلَى إِشْبِيلِيَّةَ، وَتَقَتَهُ الْمُدَبِّرُ
لِأَمْرِهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْرِيٍّ مِنْ أَكْبَارِ الْبَرَابِرَةِ، وَقَاضِيهَا مُحَمَّدُ بْنُ
عَبَادٍ^(١) فَعَمِلَ الْقَاضِي لِنَفْسِهِ - وَهُوَ جَدُّ الْمُتَمِيدِ بْنِ عَبَادٍ -
وَأَطْمَعَ ابْنُ زَيْرِيٍّ فِي التَّمَلُّكِ، فَأَغْلَقَ الْأَبْوَابَ فِي وَجْهِ
مُصْطَنِعِهِ وَحَارَبَهُ، فَقُتِلَ مِنَ الْبَرَابِرِ وَالسُّودَانِ خَلْقٌ كَثِيرٌ

(١) هو ذوالوزارتين أبو القاسم محمد بن عباد صاحب إشبيلية تطلب عليها أيام الفتن فاسأها وانقادت له ، كان له في العلم والأدب باع ، ولقدوى للمعارف عنده سبق وارتفاع ، وكان أدبيا بليغا ناطقا ناثرا توفي حوالى سنة ٤٣٠

وَأَبْنُ عَبَّادٍ يَضْحَكُ عَلَى الْجَمِيعِ ، فَيَسَّ الْقَاسِمُ وَقَنَعَ أَنْ يُخْرِجُوا إِلَيْهِ ابْنَهُ^(١) وَأَصْحَابَهُ وَيَسِيرَ عَنْهُمْ ، فَأَخْرَجُوهُمْ إِلَيْهِ فَسَارَ بِهِمْ إِلَى شَرِيشَ ، وَعِنْدَ مَا اسْتَقَرَّ بِهَا وَصَلَ إِلَيْهِ يَحْيَى ابْنُ أَخِيهِ مِنْ مَالَقَةَ وَمَعَهُ جَمْعٌ عَظِيمٌ ، وَحَاصِرُهُ فِي الْمَدِينَةِ عَشْرِينَ يَوْمًا كَانَ فِيهَا حُرُوبٌ صِعَابٌ ، وَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ .

أسريحي وقته وَأَجَلَّتِ الْحَرْبُ عَنْ قَهْرِ يَحْيَى لِعَمِّهِ وَإِسْلَامِ^(٢) أَهْلِ شَرِيشَ لَهُ ، وَفَرَّ سُوْدَانُهُ ، وَحَصَلَ الْقَاسِمُ وَابْنُهُ فِي يَدِ يَحْيَى - وَكَانَ قَدْ أَقْسَمَ أَنَّهُ إِنْ حَصَلَ فِي يَدِهِ لَيَقْتُلَنَّهُ وَلَا يَتْرُكُهُ حَتَّى يَلِيَ الْإِمَامَةَ بِقُرْطُبَةَ مَرَّةً ثَالِثَةً - فَرَأَى التَّرَبُّصَ^(٣) فِي قَتْلِهِ حَتَّى يَرَى رَأْيَهُ فِيهِ ، فَحَدَّثَ عَنْهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ حَمَلَهُ بِقَيْدٍ إِلَى مَالَقَةَ وَحَبَسَهُ عِنْدَهُ ، وَكَانَ كُلَّمَا سَكِرَ وَأَرَادَ قَتْلَهُ رَغِبَهُ نُدْمَاؤُهُ فِي الْإِبْقَاءِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى الْخُلَاصِ ، وَكَانَ كُلَّمَا نَامَ رَأَى وَالِدَهُ

(١) أظنها محرفة عن ابنه - وهما محمد والحسن ابنا القاسم بن حمود

(٢) أى خذلان (٣) أى التمهول والانتظار

عَلِيًّا فِي النَّوْمِ يَنْهَاهُ عَنْ قَتْلِهِ وَيَقُولُ لَهُ : أَخِي أَكْبَرُ
مَنِّي وَكَانَ مُحْسِنًا إِلَيَّ فِي صِغَرِي وَمُسْلِمًا إِلَيَّ عِنْدَ إِمَارَتِي
اللَّهُ اللَّهُ فِيهِ ، وَأَمْتَدَّتِ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ خَنْفًا
بَعْدَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ حِينَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ - لِأَنَّهُ قَدْ
كَانَ حَبَسَهُ فِي حِصْنٍ مِنْ حُصُونِ مَالِكَةَ فَتَنِي ^(١) إِلَيْهِ أَنَّهُ
قَدْ تَحَدَّثَ مَعَ أَهْلِ الْحِصْنِ فِي الْقِيَامِ وَالْمِصْيَانِ ، فَقَالَ
أَوْ بَقِيَ فِي رَأْسِهِ حَدِيثٌ بَعْدَ هَذَا الْعُمُرِ ؟ فَقَتَلَهُ سَنَةً
سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَبَقِيَ أَهْلُ قُرْطُبَةَ بَعْدَ فِرَارِ
الْقَاسِمِ عَنْهَا نَيْفًا عَنْ عِشْرِينَ يَرَوْنَ رَأْيَهُمْ فِيمَنْ يُبَايَعُونَهُ
بِالْإِمَامَةِ .



وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ نِصْفُ شَهْرِ رَمَضَانَ مَبَايَةِ الْمُسْتَظْهِرِ
سَنَةَ أَرْبَعٍ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ أُخْضِرَ الْمُسْتَظْهِرُ وَسُلَيْمَانُ
أَبْنُ الْمُرْتَضَى وَأُمُومَى آخِرُ ^(٢) مَمَّةَ قَبَايِمَا الْمُسْتَظْهِرِ وَقَبَلَا

(١) أى وصل إليه وبلغه ونقل إليه (٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن هشام
ابن سليمان القائم على المهدي بن الناصر - والمستظهر هو عبد الرحمن بن
هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر أخو المهدي المذكور « ولد
سنة ٣٩٢ وأمه أم ولد اسمها غانية » « أحمد يوسف نجاشي »

يَدُهُ بَعْدَ مَا كَانَ قَدْ كُتِبَ عَقْدُ الْيَمَةِ بِاسْمِ سُلَيْمَانَ بْنِ
الْمُرْتَضَى عَلَى مَا ارْتَضَاهُ الْأَمَائِلُ^(١)، فَبُشِّرَ^(٢) أَسْمُهُ وَكُتِبَ
أَسْمُ الْمُسْتَظْهِرِ، وَرَكِبَ إِلَى الْقَصْرِ، وَحَمَلَ مَعَهُ ابْنَيْ عَمِّهِ
الْمَذْكُورَيْنِ فَجَبَسَهُمَا، وَكَانَ قَدْ رَفَعَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَتْبَاعِ
ذَهَبَ بِهِمُ الْعُجْبُ كُلُّ مَذْهَبٍ - كَأَبِي عَامِرٍ بْنِ شُهَيْدٍ^(٣)
الْمُنْهَمِكِ فِي بَطَالَتِهِ^(٤)، وَأَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ حَزَمٍ^(٥) الْمَشْهُورِ
بِالرَّدِّ عَلَى أَلْمَلَاءِ فِي مَقَالَتِهِ، وَأَبْنِ عَمِّهِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ
حَزَمٍ^(٦) الْفَزَلِ الْمُتَرَفِّ فِي حَالَتِهِ، فَأَحْقَدَ بِذَلِكَ مَشَايِخَ

(١) جمع الأمثل أى الأفضل والاشرف وذو العقل، وفي الحديث :
أشد الناس بلاء الانبياء ثم الأمثل فالأمثل، أى الاشرف فلاشرف
والاعلى فالاعلى فى الرتبة والنزلة (٢) أى عجي وأزيل - والبشر والابشار
القشر، يقال بشر الجلد إذا قشر بشرته أو أخذ باطنه بشفرة

(٣) أحمد بن عبد الملك بن شهيد تقدمت ترجمته (٤) البطالة اتباع اللهو
والجهالة، والاشتغال عما يعود بنفع دنيوى أو أخروى، و بطل فى حديثه
بطالة إذا هزل وكان بطالا (٥) على بن أحمد وتقدمت ترجمته (٦) هو
أبو النفيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم
الوزير الكاتب من المتقدمين فى الآداب والشعر والبلاغة، ومن شعره :

لما رأيت المسلال منطويا فى غرة الفجر قارن الزهره
شبهته والعيان يشهد لى بصولجان أوفى لضرب كره

ومن عزله :

الْوُزَرَاءَ وَالْأَكَابِرَ ، وَبَادَرَ الْمُسْتَظْهَرُ بِاصْطِنَاعِ الْبَرَابِرِ
وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُمْ ، وَأَحْسَنَ مَأْوَاهُمْ ، وَاشْتَغَلَ مَعَ ابْنِ شُهَيْدٍ
وَأَبْنَى حَزْمٍ بِالْمُبَاحَثَةِ فِي الْآدَابِ ، وَنَظَّمَ الشَّعْرَ وَاتَّمَسَكَ
بِتِلْكَ الْأَهْدَابِ ، وَالنَّاسُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَجْهَلُ مَا يَكُونُ
وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ فِي السُّجُونِ ، يَتَبَيَّنُ إِلَّا
يَخْرُجُ مِنْهُمْ إِنْسَانٌ ، فَأَخْرَجَ مِنْهُمْ شَخْصًا يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَرَ
وَقَدْ كَانَ أَشَارَ بَعْضُ الْوُزَرَاءِ عَلَيْهِ بِعَدَمِ إِخْرَاجِهِ فَأَخْرَجَهُ
وَخَالَفَهُ فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَقْبَلِ النَّصِيحَةَ ، وَقَعَلَ مَا أَدَّاهُ إِلَى
الْفَقْصِيحَةِ ، فَسَمَى الْقَوْمُ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْجُبُوسِ ،
عَلَى إِفْسَادِ دَوْلَتِهِ وَإِنْدَالِ فَرْجِهِ بِالْبُوسِ ، لَمَّا اشْتَغَلَ عَنْهُمْ
بِالْأَدْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ حَسْبَمَا اقْتَضَاهُ رَأْيُهُ الْمَعْكُوسُ ، فَسَمِعُوا

ظنفت وفي أحداها من شكلها عين فضحن بحنن المينا
ضرن البدور بظل جئل فاحم وغرسن في كشتابهن غصونا
ما أنصفت في جنب توضح اذقرت

ضيف الوداد بلبلا وشجوننا

أضحى الترام قطين ربع فؤاده اذ لم يجد بالرفيق قطينا

توفى بسكر ابن ذى النون صاحب طليطة سنة ٤٣٨ هـ « أحمد يوسف نجاتي »

فِي خَلْمِهِ مَعَ الْبَرَّائِرِ ، وَقُتِلَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ
الَّتِي بُويعَ فِيهَا وَصَارَ كَأَمْسِ الدَّائِرِ ، بَعْدَ سَبْعَةِ وَأَرْبَعِينَ
يَوْمًا مِنْ يَوْمِ بُويعَ بِالْخِلَافَةِ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا فَلَا
يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ خِلَافَهُ ، وَعُمُرُهُ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ
سَنَةً ، كَأَنَّهَا سِنَةٌ . وَمِنْ شِعْرِ الْمُسْتَظْهِرِ الْمَذْكُورِ ، وَهُوَ
مِنَ الْقَرِيضِ الْمَمْدُوحِ صَاحِبُهُ بِالْبَلَاغَةِ الْمَشْكُورِ :

طَالَ عُمُرُ اللَّيْلِ عِنْدِي مُذْ تَوَلَّيْتُ بِصَدْيِ
يَا غَزَالًا تَقْضَى أَلَمُهُ دَوْلَمْ يُوفِ بِوَعْدِي
أَنْسَيْتَ الْمَهْدَ إِذْ بَدَأَ نَا عَلَى مَقَرِّشِ وَرَدِ
وَأَعْتَقْنَا فِي وَشَاحٍ وَأَتَّظَمْنَا نَظْمَ عِقْدِ
وَنُجُومُ اللَّيْلِ تَسْرِي ذَهَبًا فِي لَازُورِدِ
وَكَتَبَ إِلَيْهِ شَاعِرٌ فِي طَرَسٍ مَكْشُوطٍ^(١) :

الطَّرَسُ مَبْشُورٌ وَفِيهِ بَشَارَةٌ يَبْقَا الْإِمَامُ الْفَاضِلُ الْمُسْتَظْهِرُ
مَلِكٌ أَعَادَ الْعَيْشَ غَضًا^(٢) مُلْكُهُ وَكَذَا يَكُونُ بِهِ طَوَالُ الْأَعْصَرِ

(١) كتب البيت الأول في الأصل منشور النظام ، محرف الكلام ، فأعيد

إلى نظامه - وكم كان في الكتاب من تصحيف وتحريف وسقط ! -

(٢) أى طرأ ناظرًا . « أحمد يوسف نجاشي »

فَأَجَزَلَ صَلَاتَهُ ، وَكَتَبَ فِي ظَهْرِ الْوَرَقَةِ ^(١) :

قَبِلْنَا الْعُذْرَ فِي بَشْرِ الْكِتَابِ

لِمَا أَحْكَمْتَ فِي فَصْلِ الْخُطَابِ

وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي الْبَابِ الثَّالِثِ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَخْبَارِ
وَمَا حَصَلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِقُرْطُبَةَ ، إِلَى أَنْ تَوَلَّى الْأَمْرَ ابْنُ جَهْوَرٍ
فِي صُورَةِ الْوِزَارَةِ ، ثُمَّ ابْنُهُ إِلَى أَنْ أَخَذَ قُرْطُبَةَ مِنْهُ
الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَادٍ حَسْبَمَا ذُكِرَ فِي أَخْبَارِهِ . ثُمَّ آلَ الْأَمْرُ
بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى أَسْتِيلَاءِ مُلُوكِ الْمُدَوَّةِ مِنَ الْمُلْثَمِينَ
وَالْمُوَحِّدِينَ عَلَى قُرْطُبَةَ ، إِلَى أَنْ تَسَلَّمَهَا النَّصَارَى - أَعَادَهَا اللَّهُ
تَعَالَى - لِلْإِسْلَامِ كَمَا يُذَكِّرُ فِي الْبَابِ الثَّامِنِ . وَقَالَ صَاحِبُ
مَنَاهِجِ الْفِكْرِ فِي ذِكْرِ قُرْطُبَةَ مَا مُلَخَّصُهُ : فَأَمَّا مَا اشْتَمَلَ

(١) ومن شعر السطّهر من قصيدة قالها أيام خطبته لابنة عمه أم الحكم
بنت سليمان السّمين :

حمّامة بنت البشميين رفرفت	فطرت إليهم من سراهم صفرا
تقل التريا أن تكون لها يدا	ويرجو الصباح أن يكون لها نعرا
واني لطمان اذا الحيل أقبلت	جوانها حتى ترى جونها شقرا
ومكرم ضيق حين ينزل ساحتى	وجاعل وفري عند سائه وقرا

(١٢ - فتح الطيب - رابع)

عَلَيْهِ غَرْبُ الْجَزِيرَةِ ، مِنْ الْبِلَادِ الْخَطِيرَةِ ، فَنَهَا قُرْطُبَةً
وَكَانَتْ مَقَرَّ الْمَلِكِ ، وَدَارَ الْإِمَارَةِ ، وَأُمَّ مَا عَدَاهَا مِنْ الْبِلَادِ
مُنْذُ افْتَتَحَهَا الْمُسْلِمُونَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَبِسْمِينَ زَمَنَ الْوَلِيدِ
ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى أَنْ خَرَجَتْ عَنْ أَيْدِيهِمْ ، وَتَنَقَّلَتْ فِي
أَيْدِي مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى النَّاصِرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
فَبَنَى فِي تِجَاهِهَا مَدِينَةً سَمَّاها الزَّهْرَاءَ يَجْرِي بَيْنَهُمَا نَهْرٌ
عَظِيمٌ . اُنْتَهَى .



وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُبَايَ دَالَّةً عَلَى عَظَمِ قَدْرِ بَايِنِهَا ، كَمَا
ذَكَرْنَاهُ فِي كَلَامِ النَّاصِرِ الَّذِي طَابَتْ لَهُ مِنَ الزَّهْرَاءِ
مَجَانِنِهَا ، وَلَمْ يَزَلِ الْبُلَغَاءُ يَصِفُونَ الْمُبَايَ ، بِأَحْسَنِ الْأَلْفَاظِ
وَالْمَعَانِي ، وَرَأَيْنَا أَنْ نَذْكُرَ هُنَا بَعْضَ ذَلِكَ ، زِيَادَةً فِي
تَوْسِيعِ الْمَسَالِكِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ حَمْدِيسَ الصَّقَلِيِّ^(١)
فِي دَارِ بَنَاهَا الْمُعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ :

وصف الشعراء
لقصور قرطبة

(١) هو أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي السرقوسي
الشاعر المشهور . قال ابن بسام في حقه : هو شاعر ، ماهر ، يقرطس أغراض
للمعاني البديعة ، ويعبر عنها بالألفاظ النفيسة الرقيقة ، ويتصرف في التشبيه
للصيب ، ويغوص في بحر الكلام على در للنبي التريب الخ دخل الأندلس

وَمَا حَبِّذَا دَارُ قَصَى اللَّهُ أَنَّهَا
يُحَدِّدُ فِيهَا كُلُّ عِزٍّ وَلَا يَبْلَى
مُقَدَّسَةٌ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَلِمَتُهُ
مَشَى قَدَمًا فِي أَرْضِهَا خَلَعَ التَّمَلُّ^(١)
وَمَا هِيَ إِلَّا خِطَّةُ الْمَلِكِ الَّذِي
يَحُطُّ إِلَيْهِ كُلُّ ذِي أَمَلٍ رَجُلًا^(٢)
إِذَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا خِلَتْ أَنَّهَا
تَقُولُ بِتَرْجِيْبٍ لِدَاخِلِهَا : أَهْلًا
وَقَدْ تَقَلَّتْ صُبَاغُهَا مِنْ صِفَاتِهِ
إِلَيْهَا أَفَانِينًا^(٣) فَأَخْسَنَتِ النِّقْلَا

سنة ٤٧١ وملك للتمند بن عباد فأحسن إليه وأجزل عطايه - وتوفى
سنة ٥٢٩ بجزيرة ميورقة « واتزرع القرنج جزيرة صقلية من المسلمين
سنة ٤٦٤ » وهذه الأبيات من قصيدة له عدتها ٥٧ بيتا مطلعها :
أغمر الهوى كم ذا تقطنى عدلا قتلت الهوى علما أتقتاني جهلا ؟
والبيت الأول من القطعة التي هنا يروى :

وبأحبنا دار يد الله مسحت عليها بتجديد البقاء فما تبلى
(١) يشير إلى قوله تعالى : « فأخلع نمليك انك بالوالد للقدس طوى » (٢) و يروى :
يحط لديه كل ذى أمل رجلا ، وهو اللطف وأبلغ « أحمد يوسف نجاتي »
(٣) الأفنون : الفن والفن من الشئ* والضرب منه

فَرِنْ صَدْرِهِ رُحْبًا ، وَمِنْ نُورِهِ سَنَى
 وَمِنْ صَيْتِهِ قَرَعًا ، وَمِنْ جِلْمِهِ أَصْلًا ^(١)
 فَأَعْلَتْ بِهِ فِي رُتْبَةِ الْمَلِكِ نَادِيًا
 وَقَالَ لَهُ فَوْقَ أَلْسِنَا كَيْنَ أَنْ يُعْلَى
 نَسِيتُ بِهِ إِيوَانَ كِسْرَى لِأَنِّي
 أَرَاهُ لَهُ مَوْلَى مِنَ الْخُسَنِ لَا مِثْلًا
 كَانَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ لَمْ تُبْسَحْ
 عَاقِبَتُهُ لِلْجِنِّ فِي صُنْمِهِ مَهْلًا ^(٢)
 تَرَى الشَّمْسَ فِيهِ لَيْقَةً ^(٣) تَسْتَمِدُّهَا
 أَكْفُ أَقَامَتْ مِنْ تَصَاوِيرِهَا شَكْلًا

(١) الرحب : السعة ، والسنى الضوء ، وفرع كل شيء أعلاه وأرفعه .
 وروى « ومن وجهه سنا » (٢) يريد أنه لا تقان بنائه واحكام صنعه
 كأن الجن صنعتهم ليلان ، وحملتهم هيته أن يتأنقوا في بنائه ويستجدوا
 صناعته ، ولم يستبجحوا لانفسهم فيه امهالا ولا امالا - وروى « شيدته »
 (٣) لاق الدواة يلقيها جل لها ليقة أو أصلح مدادها . والليقة الاسم
 من ذلك ، وليقة الدواة : ما اجتمع في رقبها من مدادها . والليقة أيضا
 الطينة اللزجة تلين باليد ثم يرمى بها الحائط فتزق به - واستمد اذا
 طلب للد ، وأخذ مدة من الدواة « واللدة » اسم ما استمدت من اللداد
 على القلم ، وسمى الجبر مدادا لامداده الكاتب - وصف الشاعر النقوش
 والصور الذهبية الرائعة « أحمد يوسف نجاني »

لَهَا حَرَكَاتٌ أُودِعَتْ فِي سُكُونِهَا
 فَمَا تَبِعَتْ فِي قَلْبَيْنِ يَدٍ رَجُلًا^(١)
 وَلَمَّا عَشِينَا مِنْ تَوْقِدِ نُورِهَا
 تَحِذْنَا سَنَاهُ فِي نَوَاطِرِنَا كُحْلًا^(٢)
 وَقَالَ مِنْ أُخْرَى يَصِفُ دَارًا بَنَاهَا الْمَنْصُورُ بْنُ أَعْلَى
 النَّاسِ بِبَجَايَةِ^(٣) :

أَعْمِرْ بِقَصْرِ الْمَلِكِ نَادِيكَ الَّذِي
 أَضْحَى بِمَجْدِكَ يَتُّهُ مَعْمُورًا
 قَصْرٌ لَوْ أَنَّكَ قَدْ كَحَلْتَ بُنُورَهُ
 أَعْمَى لَمَادَ إِلَى الْمَقَامِ بِصِيرَا

(١) يريد أن هذه الصور المختلفة التي تمثل أنواع الحيوان يخيل لرائداهما أن اتقان صنعها أنها حية متحركة فكان سكونها متحرك وإن لم تنقل لسيّر رجلا أويدا (٢) بد هذا البيت يت هو ختام القصيدة :
 فيادار أغضى البهرعتك وأكثرت أسودك نلا فيه نحتبك الفلا
 (٣) بجاية : مدينة على ساحل البحرين افرقية والقرية أول من اختطها الناصر بن أعلى الناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين في حدود سنة ٤٥٧م وتسمى الناصرية وكانت قاعدة بني حماد . « أحمد يوسف نجاتي »

وَأَشْتَقُّ مِنْ مَعْنَى الْجِنَانِ نَسِيمُهُ
فَيَكَادُ يُحْدِثُ بِالْعِظَامِ نُشُورًا^(١)
نَسِيَ الصَّبِيحُ مَعَ الْمَلِيحِ يَذْكُرُهُ
وَسَمَا فَتَأَقَّ خَوَزَنَةً وَسَدِيرًا^(٢)
لَوْ أَنَّ بِالْأَيَّانِ قَوْلِي حُسْنُهُ
مَا كَانَ شَيْئًا عِنْدَهُ مَذْكُورًا

(١) النشر والنشور والانشار احياء الميت ، وفي القرآن الكريم : « وانظر الى العظام كيف ننشزها » : « قرئ بالزاي والراء » و يروى البيت :
* واشتق من ماء الحياة *

كما أن البيت الأول يروى : واعمر بقصر الملك ناديك الخ
(٢) الصبح والليلح من قصور بنى العباس ، وفيهما يقول البحترى من
قصيدة في مدح التوكل :

فد صفا جانب الهواء ولنت رقة للماء في مزاج للدم
واستم القصيح في خير وقت فهو معنى أنس ودار مقام
ناظر وجهة للليح فلو يد طبع حياه ملنا بالسلام
ألبا بهجة وقابل ذا ذا لك فن ضاحك ومن بسم
كالخمين لو أطاعا التقاء أفرطا في العناق والاتزام

والخورتق : قصر كان يظهر الحيرة ، واختلفوا في بنائه : فقيل ان الذى
أمر ببنائه هو الملك النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن نصر
من يرب بن قحطان بناء له بناء رومى حاذق يسمى سنار . والسدير قصر
قريب من الخورتق كان النعمان بن الاكبر قد اتخذ له بعض ملوك العجم
وقد وصف الشعراء من قديم هذين القصرين وأكثروا وأحسنوا .
« أحمد يوسف نجاشى » .

أَعَيْتَ مَصَانِمُهُ عَلَى الْفُرْسِ الْأَلَى
 رَقَعُوا الْبِنَاءَ وَأَحْكَمُوا التَّدِيرَا
 وَمَضَتْ عَلَى الرُّومِ الدُّهُورُ وَمَا بَنَوْا
 لِمُلُوكِهِمْ شَيْئًا لَهُ وَتَظِيرَا
 أَذْكَرْتَنَا الْفِرْدَوْسَ حِينَ أَرَيْنَا
 غُرَفًا رَفَعَتْ بِنَاءَهَا وَقُصُورَا
 فَالْمُحْسِنُونَ تَرِيدُوا أَعْمَالَهُمْ
 وَرَجَوْا بِذَلِكَ جَنَّةً وَحَرِيرَا
 وَالْمُذْنِبُونَ هُدُوا الصِّرَاطَ وَكَفَرَتْ
 حَسَنَاتُهُمْ لِلدُّنْيَا تَكْفِيرَا
 فَلَكُ مِنَ الْأَفْلاكِ إِلَّا أَنَّهُ
 حَقَرَ الْبُدُورَ فَأَطْلَعَ الْمَنْصُورَا
 أَبْصَرْتُهُ فَرَأَيْتُ أَبْدَعَ مَنْظَرٍ
 ثُمَّ أَتَشَنَّتْ بِنَاطِرِي مَحْشُورَا^(١)

(١) حسر البصر بحسر « كضرب » حشورا: كل واقطع نظره من طول
 مدى وما أشبه ذلك، فهو حشور ومحشور أى كليل

فَطَنْتُ أَنِّي حَالِمٌ فِي جَنَّةٍ
لَمَّا رَأَيْتُ أَمْلَكَ فِيهِ كَيْبَرًا^(١)
وَإِذَا أَلْوَلَايْدُ فَتَحَتْ أَبْوَابَهُ
جَعَلَتْ تُرْجَبُ بِالْمُعَاةِ صَرِيرًا^(٢)
عَصَّتْ عَلَى حَلَقَاتِهِنَّ ضَرَاغِمٌ
قَرَّتْ بِهَا أَفْوَاهَهَا تَكْسِيرًا^(٣)
فَكَأَنَّهُا لَبَدَتْ لِهَمَصٍ عِنْدَهَا
مَنْ لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُهَا مَأْمُورًا^(٤)
تَجْرِي أَلْخَوَاطِرُ مُطْلَقَاتٍ أَعْنَةً
فِيهِ فَتَكْبُو عَنْ مَدَاهُ قُصُورًا^(٥)

(١) من قوله تعالى : « وَإِذَا رَأَيْتُ ثَمْرًا رَأَيْتُ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا » (٢) الولائد
الاماء والخلم جمع وليدة ، والمعناة : طلاب العروف والحاجات : جمع عاف
وصرير الباب : صوته - وفي البيت حسن تعليل لطيف ، اذ تخيل أن صرير
الباب إنما هو صوته للترحيب بالزائر (٣) يصف حلقات الابواب « التي
يطرق بها » وكانت مصنوعة بحيث تض علىها تماثيل أسود فاتحة أفواهها
كأنها تكبر الله لعجب الصنع وبتأثير الخلق وعظيم اللذ الذي يؤتيه من يشاء -
والذي في الديوان « تكسيرا » بدل « تكسيرا » وهو أظهر ، أي تحاول
تكسيرها بأفواهها (٤) هصر الشيء : كسره (٥) كبا : أعيا وعجز -
يريد أن الخواطر التي تجيش في النفس مهما أطلقت لها الاعنة تتخيل كما

بِمُرْخَمِ السَّاحَاتِ تَحْسَبُ أَنَّهُ
فُرْشَ أَلَمَاءٍ وَتَوَشَّحَ الْكَافُورُ^(١)
وَمُحَصَّبٍ بِالذَّرِّ تَحْسَبُ رُبَّهُ
مِنْكَأً تَضَوَّعَ نَشْرُهُ وَغَيْرَا
تُسْتَخْلَفُ الْأَبْصَارُ مِنْهُ إِذَا أَتَى
صُبْحًا عَلَى غَسَقِ الزَّمَانِ مُنِيرًا^(٢)



نَمَّ ذَكَرَ بَرَكَةٍ فِيهِ عَلَيْهَا أَشْجَارٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَمِنْ بَرَكَةِ
رَبِّي فُرُوعُهَا أَلْيَاءٌ، وَتَفَتَّنَ قَدْ كَرَّ أَسْوَدًا عَلَى حَافَتِهَا قَازِفَةٌ
بِالْيَمَاءِ أَيْضًا فَقَالَ :

نشاء وتحول في الظنون كل مذهب قصرت عن ادراك عظمتة ونصور
جلاله ، وعجزت عن الوصول الى غاية رفعتة ، مع أن مجال الخواطر فسيح
وميدان الظنون لاحده . ومثل ذلك قول بعض الادياء :

ديار قد بصدن مراد طرف تسافر في مسافتها البيون
يضيق مدى نطاق الوصف عنها وتحسر في عحاسنها الظنون
(١) يصف لونه واشراقه وطيبه وتضوع أرجه . والله هنا جمع مهة وهي
البلورة تبض من بياضها وتوهجها وصفاتها ، شبه به الرخلم الذي رصف
به القصر (٢) يريد أنه يحجل الليل نهرا ، والبيت يروى هكذا :
يستخلف الاصباح منه اذا انقضى صبحا على غسق الظلام منيرا
وهي رواية واضحة وللتى عليها أحسن « أحمد يوسف نجاتي »

وَصَرَاعِمٍ سَكَنْتَ عَرِينَ رِيَاةٍ
 تَرَكَتْ خَيْرَ الْمَاءِ فِيهِ زَيْبًا^(١)
 فَكَأَنَّمَا غَشَى النُّضَارُ جُسُومَهَا
 وَأَذَابَ فِي أَفْوَاهِهَا أَلْبُورًا^(٢)
 أَسَدٌ كَانَ سُكُونَهَا مُتَحَرِّكٌ
 فِي النَّفْسِ لَوْ وَجَدَتْ هُنَاكَ مُبِيرًا
 وَتَذَكَّرَتْ قَتَاكِتَهَا فَكَأَنَّمَا
 أَقْبَتْ عَلَى أَذْبَارِهَا لِسُورًا
 وَتَخَالَهَا وَالشَّمْسُ تَجْلُو لَوْنَهَا
 نَارًا وَالسَّنَا اللَّوَاخِسَ نُورًا
 فَكَأَنَّمَا سَلَتْ سُيُوفَ جَدَاوِلٍ
 ذَابَتْ بِهَا نَارُ قَمُودٍ غَدِيرًا

(١) العرين مأوى الأسد ، جعل صوت اللباه للتدفقة من أفواهها
 زيبًا لها (٢) غشى أى غطى ، يصف لون الاسود وصفاء الماء الذى
 تقذفه أفواهها . « أحمد يوسف نجاشى »

وَكَأَنَّمَا نَسَجَ النَّسِيمُ لِبَائِهِ
 دِرْعًا قَعْدَرٍ سَرَدَهَا تَقْدِيرًا^(١)
 وَبَدِيلَةَ الثَّمَرَاتِ تَعْبُرُ نَحْوَهَا
 عَيْنَايَ بَحْرَ عَجَائِبٍ مَسْجُورًا^(٢)
 شَجَرِيَّةٍ ذَهَبِيَّةٍ تَزَعَتْ إِلَى
 سِجْرِ يُؤَثِّرُ فِي أَلْهَى تَأْثِيرًا
 قَدْ صُوبِحَتْ^(٣) أَغْصَانُهَا فَكَأَنَّمَا
 قَبَضَتْ يَدَيْنِ مِنَ الْفَضَاءِ طُيُورًا

(١) قدر سردها : أحكم نسجها وأتقن صنعها من قوله تعالى « وقدر في السرد » (٢) شرع في وصف صور الأشجار ، والسجور : الملاء ، وشجرية : صور على هيئة الشجر (٣) هذه الكلمة محرفة في كل للراجع فهي في بعضها « صوبحت » وفي بعضها « صوحبت » وفي بعضها « صولجت » « سرحت » ، « سرجت » الخ ولعل أولى هذه الروايات بالقبول - على ما فيها « سرحت » ، و « صولجت » ، وسرح الشيء أرسله ومده وتسريح الشعر ترجيله وتخليص بعضه من بعض - وسرح الشيء : حسنه وبهجه - وصولجت « وهي رواية ديوانه » من الصولجان أو الصولجة أو الصولج وهو العود الموعج والعصا يطف طرفها تضرب بها الكرة « مرعب جوكان بالفارسية » فأما العصا التي اعوج طرفها خلقة في شجرتها فهي محجن . وصلح بالعصا : ضرب . والصولج الفضة الخالصة والصافي الخالص . ويروى عجز البيت هكذا . « قنصت لمن من الفضاء طيورًا »

وَكَاَنَّا تَأْتِي لَوُتَّحَ طَيْرَهَا
 أَنْ تَسْقِلَ بِنَهْضِهَا وَتَطِيرَا
 مِنْ كُلِّ وَاقِعَةٍ تَرَى مِنْقَارَهَا
 مَاءَ كَسَلَسَالِ اللَّجَيْنِ نَمِيرَا
 خُرْمٌ تَعْدَمِنَ الْفِصَاحِ فَإِنْ شَدَتْ
 جَعَلَتْ تُغَرِّدُ بِالْمِيَاهِ صَفِيرَا
 وَكَأَنَّا فِي كُلِّ غُصْنٍ فِضَّةٌ
 لَأَنْتَ فَأَرْسِلْ خَيْطَهَا مَجْرُورَا
 وَتُرِيكَ فِي الصَّهْرِ بِجِ مَوْقِعِ قَطْرِهَا
 فَوْقَ الزَّبْرِ جَدٍ لَوْأُوًّا مَشُورَا
 صَحِكَتْ عَاسِنُهُ إِلَيْكَ كَأَنَّا
 جُعِلَتْ لَهَا زُهْرُ النُّجُومِ تُغُورَا

وقد كانت غصون هذه الأشجار للرسومة تعالوها طيور كأنها وقعت عليها فأمسكت بها وأبت أن ترسلها - ثم أخذ يصف تلك الطيور التي كانت ترسل للياه من مناقيرها بوساطة أنابيب متصل بها ، يصف للاء للرسول من طيور هذه الأغصان كأنه خيوط من الفضة النابتة

وَمُصَفِّحِ الْأَبْوَابِ تَبَرَّأَ نَظَرُوا
 بِالنَّقْشِ فَوْقَ شُكُولِهِ تَنْظِيرًا^(١)
 تَبَدُّو مَسَامِيرُ النُّضَارِ كَمَا عَلَتْ
 تِلْكَ التُّهُودُ مِنَ الْحَسَنِ^(٢) صُدُورًا
 خَلَعَتْ عَلَيْهِ غَلَائِلًا وَرَسِيَّةً^(٣)
 شَمْسٌ تَرُدُّ الْأَطْرَفَ عَنْهُ حَسِيرًا
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى غَرَائِبِ سَقْفِهِ
 أَبْصَرْتَ رَوْضًا فِي السَّمَاءِ نَضِيرًا^(٤)
 وَعَجِبْتَ مِنْ خُطَافٍ عَسَجَدِهِ أَلَّتِي
 حَامَتْ لَتَبْنِي فِي ذُرَاهُ وَكُورًا^(٥)

(١) أخذ يصف القصر وأبوابه . وفي الهيوان « بين » بدل فوق (٢) في الأصل « الجنان » ويروى عجز البيت

* فلك التهود من الحسن صدورا *

وفلك ندى الفتاة وأفلاك وفلك وفلك : استدار كالفلكة وهو دون التهود، وكل مستدير فلكة (٣) في الأصل « ووسية » وهو تحريف لامعني له . والورس نبت أصفر يصبح به (٤) يصف النقوش والصور والرسوم المختلفة المحلى بها السقف (٥) يصف صور طيور الخفاف مع حسن التمثيل

وَصَنَتْ بِهِ صُنَاعَهَا أَقْلَامَهَا
فَارْتَكَ كُلَّ طَرِيقَةٍ تَصَوِّرُهَا^(١)
وَكَأَنَّمَا لِلشَّمْسِ فِيهِ لَيْقَةٌ
مَشَقُّوا بِهَا التَّزْوِيقَ وَالتَّشْجِيرَ^(٢)
وَكَأَنَّمَا لِلْأَزْوَرِدِ مُخْرَمٌ^(٣)
بِالْخَطِّ فِي وَرَقِ السَّمَاءِ سُطُورًا
وَكَأَنَّمَا وَشَّوْا عَلَيْهِ مُلَائِمَةٌ
تَرَكُوا مَكَانَ وَشَاحِهَا مَقْصُورًا
ثُمَّ مَدَحَ الْمَنْصُورَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَخَتَمَ الْقَصِيدَةَ بِقَوْلِهِ :

(١) الطريدة : مطربرت من صيد ووحش ونحوه (٢) اللشق في الكتابة وهو مدح حروفها ، ومشق الشيء : جذبه ليمتد ويطول ، وللشق خط فيه خفة واللشق « بكسر الهمزة وفتحها » للمرة وهو ذلك الصبغ الأحمر ، وللمشق والممشوق : الثوب للصبوغ به (٣) يروى بالراء والزاي ، خرم الشيء : ثقبه كخزمه ، وكأنه يصف ما يتخلل لون الصور الذهبي من اللون الأزرق - واستعمل للوللون كلمة « مخزومة » لنوع من الدفاتر تحرق ، قال ابن نباتة :

لفلان في الديوان صورة حاضر وكأنه من جملة النياب
لم يدر ما مخزومة وجريدة سيحان رازقه بغير حساب
وصدر البيت في الديوان * وكأنما للأزورد مخرم * ويروى : مخزم

يَمَّا لَكَ الْأَرْضِ الَّذِي أَضْحَى لَهُ
 مَلِكُ السَّمَاءِ عَلَى الْعُدَاةِ نَصِيرًا
 كَمْ مِنْ قُصُورٍ لِلْمُلُوكِ تَقَدَّمَتْ
 وَأُستُوجِبَتْ بِقُصُورِكَ أَلْتَأْخِيرًا؟
 فَعَمَرَتْهَا وَمَلَكَتْ كُلَّ رِيَاسَةٍ
 مِنْهَا وَدَمَّرَتْ أَلْعِدَا تَدْمِيرًا
 قُلْتُ: لَمْ أَرْ لَهُنَّ الْقَصِيدَةَ مِنْ نَظِيرٍ ، فِي مَعْنَاهَا
 أَلْيَانِعِ النَّصِيرِ ، وَلَقَطْهَا أَلْعَذْبِ النَّمِيرِ ، الَّذِي شَمَّرَ فِيهِ
 قَائِلُهَا عَنْ سَاعِدِ الْإِجَادَةِ أَيْ تَشْمِيرٍ ، غَيْرَ أَنَّ فِيهَا عِنْدِي
 عَيْنًا وَاحِدًا وَهُوَ خَتَمُهَا بِلَفْظِ التَّدْمِيرِ ^(١) . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ
 فَالْحُسْنُ وَالْإِحْسَانُ ، يُقَادَانِ فِي أَرْسَانِ ^(٢) لِعَبْدِ الْجُبَّارِ بْنِ
 مُحَمَّدٍ سَ الْمَذْكُورِ ذِي الْمَقَاصِدِ الْحَسَنِ ، وَخُصُوصًا فِي

(١) لا بأس بهذا النقد الأدبي، فلحسن الحتام تأثير في النفس قوى حتى
 أنه لقد يخطئ على عيوب سبقته فيكون آخر ما يصل الى السمع وغاية ما ثبت
 في النفس « أحمد يوسف نجاشي » (٢) جمع رسن وهو الجبل تقاد به الدابة

وَصَفِ الْمَهَانِي وَالْبِرَكِ ، فَمَا أَبْقَى لِسِوَاهُ فِي ذَلِكَ حُسْنًا
وَلَا تَرَكَ .

« وَمِنْ ذَلِكَ » قَوْلُهُ فِي وَصْفِ بَرْكَةِ تَجْرِي إِلَيْهَا
أَمْلَكُهُ مِنْ شَاذِرَوَانٍ^(١) مِنْ أَفْوَاهِ طُيُورٍ وَزَرَافَاتٍ وَأَسْوَدٍ ،
وَكُلُّ ذَلِكَ فِي قَصْرِ أَطْنَبٍ فِي وَصْفِهِ فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ^(٢)

وصف بركة
أخرى

(١) انظ دخيل ويسمى التأزير لأنه كالآزار لليت ، ويطلق على نوع من

آلات اللهاة : قال ابن تميم في بركة بشاذروان :

ألا رب يوم قد تقضى بركة أقت بها فيما جرى متجيرا
بسيني رأيت للاء فيها وقد جرى على رأسه من شاقق فتكسرا
وقال شهاب الدين بن أبي حجلة التلعسافي :

وشاذروان ماء بات يجري كمين الصب روع يوم بين
إذا ما قيل جد بالما سريما يقول نعم على رأسى وعيني
ولبرهان الدين القيراطي :

منهب شاذروانا لا عالي للقلم والرب
نال الفنى اللاء به حين مشى على الذهب
وقال فيه أيضا :

لحسن شاذروانا كل القلوب تمشق
من أجل ذا اللاء له قلب به معلق

ومن هذه الصفات يتجلى نعت الشاذروان وعمله « أحمد يوسف نجاشي »

(٢) عدتها ٣٦ بيتا يمدح بها للتصور بن الناصر بن علناس مطلعا :

أعليت بين النجم والوبران قصرا بناء من السعادة بان

وَالْمَاءُ مِنْهُ سَبَّأْتُكَ مِنْ فِضَّةٍ ^(١)
 ذَابَتْ عَلَى دَرَجَاتٍ شَاذِرَوَانٍ
 وَكَأَنَّمَا سَيْفٌ هُنَاكَ مُشْطَبٌ
 أَلْقَتْهُ يَوْمَ الرُّوعِ كَفُّ جَبَانٍ ^(٢)
 كَمْ شَاخِصٍ فِيهِ يُطِيلُ تَعَجُّبًا
 مِنْ دَوْحَةٍ نَبَتْ مِنْ الْعِيقَانِ ؟
 عَجَبًا لَهَا تَسْقِي الرِّيَاضَ يَنَابِغًا
 نَبَتْ مِنَ الشَّرَاطِ وَالْأَغْصَانِ
 خُصَّتْ بِطَائِرَةٍ عَلَى قَتَنِ لَهَا
 حَسُنَتْ فَأَفْرَدَ حُسْنَهَا مِنْ ثَانٍ
 قُسُ الطُّيُورِ أَخْلَاشِمَاتٍ ^(٣) بَلَاغَةً
 وَفَصَاحَةً مِنْ مَنْطِقٍ وَيَّانٍ

(١) في الديوان . . فضية (٢) سيف مشطب ومشطوب: فيه شطب أى طرائق في متنه ، جمع شطبة مثلثة الشين . ولابن عبدربه من أبيات في السيف :

وذى شطب تقضى الناي يحكمه وليس لما تقضى للنية دافع
 (٣) كذا بالأصل والديوان ، وأرى أنها محرفة عن « الساجات »
 (١٣ - قح الطيب - رابع)

فَإِذَا أُتِيحَ لَهَا الْكَلَامُ تَكَلَّمَتْ
 بِخَرِيرِ مَاءٍ دَائِمٍ أَلْهَلَانَ
 وَكَأَنَّ صَانِعَهَا اسْتَبَدَّ بِصَنْعَةٍ
 فَفَرَ الْجُمَادُ بِهَا عَلَى الْجَيَّانِ
 أَوْفَتْ عَلَى حَوْضٍ لَهَا فَكَأَنَّهَا
 مِنْهَا عَلَى الْعَجَبِ الْعَجَابِ رَوَانِي^(١)
 فَكَأَنَّهَا ظَنَّتْ حَلَاوَةَ مَائِهَا
 شَهْدًا فَذَاقَتْهُ بِكُلِّ لِسَانٍ
 وَزَرَافَةٍ فِي الْجَوْفِ مِنْ أَنْبُوبِهَا
 مَاءَهُ يُرِيكَ الْجُرَى فِي الطَّيْرَانِ^(٢)

(١) أوفت : أشرفت وأطلت مرتفعة ، ورواني أى نواظر ، والرنو : ادامه
 النظر بسكون الطرف ، والرنو أيضا لمومع شغل قلب وبصر وغلبة هوى
 له (٢) ولابن حمديس أيضا في وصف الزرافة :

ونونية في الخلق منها خلأق متى مارتق العين فيها تسفل
 اذا ما اسمها ألقاه في السمع ذاكر رأى الطرف منه ما عناء يقول
 لها نخذا قرم وأظلاف قرحب وناظرنا ريم وهامة إيل
 كأن الخطوط البيض والصفراء شبت
 على جسمها ترصيع عاج بضلل

مَرَّ كَوْزَةً كَالرُّمَحِ حَيْثُ تَرَى لَهَا
 مِنْ طَعْنَةِ الْخَلْقِ^(١) أَنْعَافَ سِنَانٍ
 وَكَأَنَّهَا تَرْمِي السَّمَاءَ يَبْدُقِي
 مُسْتَنْبِطٍ مِنْ لَوْلُؤٍ وَجْهَانِ
 لَوْ عَادَ ذَلِكَ الْمَاءُ نَفْطًا أُخْرِقَتْ
 فِي الْجَوْ مِنْهُ قَيْصُ كُلِّ عَنَابٍ
 فِي بَرَكَةٍ قَامَتْ عَلَى حَافَاتِهَا
 أَسَدٌ تَذِلُّ لِعِزَّةِ السُّلْطَانِ
 تَزَعَتْ إِلَى ظِلِّ النَّفُوسِ نُفُوسُهَا
 فَلِذَلِكَ أَنْزَعَتْ مِنَ الْأَبْدَانِ
 وَكَأَنَّ بَرْدَ الْمَاءِ مِنْهَا مُطْفِئٌ
 نَارًا مُضَرَّمَةً مِنَ الْمُدُونِ

تلفت أحيانا بعين كحيلة وجيد على طول اللواء للظلال
 وعرف دقيق الشعر تحسب نبته اذا الريح هزته ذوائب سنبيل
 تنفس كبرا من براع مثقب فتعطي جنوا يامن عن أخذ شمال
 وتحسبها من نفسها ان تبخترت ترف الى بعل عروسا وتنجلي
 وكم منشد قول امرئ القيس عندها

أقظم مهلا بعض هذا التمدل ؟
 (١) ويروى : من طعنه الخلق « بنصب الخلق مفعولا للمصدر طعن »

وَكَاثِمًا الْحَيَّاتُ مِنْ أَفْوَاهِهَا
يَطْرَحْنَ أَنْفُسَهُنَّ فِي الْقُدْرَانِ
وَكَاثِمًا الْحَيَّاتَانِ إِذْ لَمْ تَخْشَهَا
أَخَذَتْ مِنَ الْمَنْصُورِ عَقْدَ أَمَانٍ

وَمَا تَأْنِ الْقَصِيدَتَانِ لِابْنِ حَمْدِيسٍ - كَمَا فِي الْمَنَاهِجِ - مَعَ
طَوْلِهِمَا - تَذَلُّانِ عَلَى الْإِبْدَاعِ الَّذِي أَبْتَكَرَهُ ، وَأَلَا خِرَاعِ
الَّذِي مَا وَلَجَ سَمْعَ أَحَدٍ مِنَ الْفَضَلَاءِ إِلَّا شَكَرَهُ لِمَا
أَسْكَرَهُ .

مَنْزِلُ الْعَزِيزِ بِمِصْرَ وَقَالَ أَبُو الصَّلْتِ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأَنْدَلُسِيُّ (١)
يَصِفُ قَصْرًا بِمِصْرَ يُسَمَّى « مَنْزِلُ الْعَزِ » بَنَاهُ حَسَنُ

(١) هو أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ الدَّائِي كَانَ قَاضِيًا فِي الْبَلَاغَةِ
وَالْأَدَابِ عَازِفًا بَيْنَ الْحِكْمَةِ فَكَانَ يُقَالُ لَهُ الْأَدِيبُ الْحَكِيمُ . وَكَانَ
مَاهِرًا فِي عُلُومِ الْأَوَائِلِ « وَصَنَفَ كِتَابَهُ لِلْمَتَعِ الَّذِي سَمَاهُ الْحَدِيقَةُ عَلَى نَحْوِ
يَقِيْعَةِ الْبَهْرِ لِلنَّمَالِيِّ » وَاتَّقَلَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ مَعَ وَالِدَتِهِ وَسَكَنَ نَجَرَ
الْأَسْكَندَرِيَّةَ سَنَةَ ٤٨٩ هـ ثُمَّ اسْتَقَلَّ إِلَى الْمَدِينَةِ بِالْمَغْرِبِ سَنَةَ ٥٠٦ هـ فَتَوَفَّى بِهَا
سَنَةَ ٥٢٩ هـ وَكَانَ قَدْ حُلَّ مِنْ صَاحِبِهَا عَلَى بْنِ يَحْيَى بْنِ تَيْمٍ بْنِ الْعَزِ بْنِ
بَادِيسٍ أَفْضَلُ مَحَلٍّ ، وَوُلِدَ لَهُ بِهَا وَلَدٌ سَمَاهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَكَانَ كَأَيِّهِ شَاعِرًا
مَاهِرًا تَوَفَّى بِمَدِينَةِ بَجَايَةِ سَنَةَ ٥٤٦ هـ وَكَانَ مَوْلَدَ أُمِيَّةَ بِمَدِينَةِ دَائِيَّةَ سَنَةَ ٤٦٠ هـ
وَأَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ كَأَبِي الْوَلِيدِ الْوَقْشِيِّ قَاضِي دَائِيَّةٍ وَغَيْرِهِ

أَبْنُ عَلِيٍّ بْنِ تَمِيمٍ بْنِ أَلْمُزِّ الْعَيْدِيِّ^(١) :

مَنْزِلُ أَلْمُزِّ كَأَسْمِهِ مَعْنَاهُ

لَا عَدَا أَلْمُزُّ مَنْ بِهِ سَمَاءُ

مَنْزِلُ وَدَّتِ الْمَنَازِلُ فِي أَءِ

لِي ذُرَاهُ لَوْ صَيَّرْتُ إِنَاءَهُ

(١) يُخِيلُ إِلَى أَنَّهُ غَيْرُ الْعَيْدِيِّ وَأَنَّ الْقَصْرَ الْمَوْصُوفَ لَيْسَ بِمِصْرَ ، بَلْ لَهُ الْأَمِيرُ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى بْنِ تَمِيمٍ بْنِ الْعَزِيزِ بْنِ بَادِيسِ بْنِ النَّصُورِ بْنِ بَلَكِينِ بْنِ زُرَيْرِ بْنِ مَنَادٍ الصَّنَهَاجِيِّ مَلِكِ إِفْرِيقِيَّةٍ وَصَاحِبِ مَدِينَةِ الْمَهْدِيَّةِ ، ثُمَّ الْأَمِيرُ لِلْأَمِيرِ حَسَنُ يَوْمَ وَقَاةٍ وَالْهَدْيُ عَلَى سَنَةِ ٥١٥ هـ وَكَانَ فِي عَصْرِهِ لِلْمَلِكِ رُوحَارُ صَاحِبُ صَقْلِيَّةٍ لِلتَّوَلَّى عَلَيْهَا سَنَةَ ٤٨٤ هـ وَكَانَ بَيْنَهُمَا حَلْفٌ وَاتِّفَاقٌ وَخَضَعَ لَهُ الْأَمِيرُ حَسَنٌ فَدَانَتْ لَهُ الْمَهْدِيَّةُ وَجَزِيرَةُ جَرَبَةِ وَغَيْرُهُمَا ثُمَّ كَانَتْ بَيْنَهُمَا وَحْشَةٌ فَغَزَا رُوحَارُ الْمَهْدِيَّةَ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَفَرَّ الْحَسَنُ سَنَةَ ٥٤٢ هـ حَتَّى كَانَتْ سَنَةَ ٥٥٥ هـ فَاسْتَرَدَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَهْدِيَّةَ وَأَعَادَ إِلَيْهَا الْأَمِيرُ الْحَسَنَ وَهُوَ آخِرُ الصَّنَهَاجِيِّينَ مِنْ بَنِي مَنَادٍ وَجَدَهُ الْعَزِيزُ تَوَلَّى الْأَمْرَ مِنْ سَنَةِ ٤٠٦ هـ إِلَى سَنَةِ ٤٥٣ هـ وَبَعْدَهُ ابْنُهُ تَمِيمٌ إِلَى سَنَةِ ٥٠١ هـ وَبَعْدَهُ ابْنُهُ يَحْيَى إِلَى سَنَةِ ٥٠٩ هـ فَابْنُهُ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى إِلَى سَنَةِ ٥١٥ هـ أَمَّا الْأَمِيرُ تَمِيمُ بْنُ الْعَزِيزِ بْنِ النَّصُورِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ الْمَهْدِيِّ الْعَيْدِيِّ فَكَانَ أَبُوهُ صَاحِبَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْقُرْبِ ، وَكَانَ شَاعِرًا مَاهِرًا لَطِيفًا وَقَاضِيًا أَدْبِيًا ظَرِيفًا وَلَمْ يَلِ لِلْمَلِكَةِ لِأَنَّ وَلَايَةَ الْمَهْدِيَّةِ كَانَتْ لِأَخِيهِ الْعَزِيزِ فَوَلَّيَهَا بَعْدَ أَبِيهِ وَتَوَلَّى الْأَمِيرُ تَمِيمُ سَنَةَ ٣٧٤ هـ بِمِصْرَ - وَمِنْ هَذِهِ الْخِلَاصَةِ التَّارِيخِيَّةِ يَظْهَرُ أَنَّ أُمِّيَّةَ أَتَصَلُ بِنُزْرَةِ الْأَمِيرِ تَمِيمِ الصَّنَهَاجِيِّ لِالْعَيْدِيِّ وَاللَّهِ أَعْلَمُ وَأَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاحُ

فَاجِلٍ فِيهِ لَحْظَ عَيْنِكَ تُبْصِرُ
 أَيْ حُسْنِ دُونَ الْقُصُورِ حَوَاهُ
 سَالَ فِي سَقْفِهِ النُّضَارُ وَلَكِنْ
 جَدَتْ فِي قَرَارِهِ الْأَمْوَاهُ
 وَبَارِجَاتِهِ بَحَالُ طِرَادٍ
 لَيْسَ تَنْفُكُ مِنْ وَغَى خَيْلَاهُ^(١)
 تُبْصِرُ الْفَارِسَ الْمُدْجَجَ فِيهِ
 لَيْسَ تَدْمَى مِنَ الطَّمَانِ قَنَاهُ^(٢)
 وَتَرَى النَّابِلَ الْمُوَاصِلَ لِلنَّزْ
 عِ بَعِيدًا مِنْ قَرْنِهِ مَرْمَاهُ^(٣)
 وَصُفُوفًا مِنَ الْوُحُوشِ وَطَيْرِ الْأَ
 جَوِّ كُلِّ مُسْتَخْسَنٍ مَرَاهُ
 مَسْكَنَاتُ تَحَالِهَا حَرَكَاتُ
 وَاخْتِلَافُ كَانَهُ أَشْبَاهُ

(١) الطراد : مطاردة الفرسان ومجالدتهم في الوغى أى الحرب وحمل
 بعضهم على بعض (٢) للمدجج أى اللابس السلاح (٣) النابل : الرامى
 بالبلىء والنزع : شد القوس للرمى بها ، والقرن : الخصم والكفه : فى الحرب

كَمَحِيَّا الْحَبِيبِ حَرْفًا بِحَرْفِ
مَا تَعْدَى صِفَاتِهِ إِذْ حَكَاهُ
وَرَدُّهُ وَجَنَّتَاهُ ، تَرْجِسُهُ الْفَتَا
نُ عَيْنَاهُ ، آسُهُ عَارِضَاهُ
وَكَأَنَّ الْكَافُورَ وَالْمُسْكُ فِي الطِّيبِ
بِ وَفِي اللَّوْنِ صُبْغُهُ وَمَسَاهُ
مَنْظَرُهُ يَمِثُّ الشُّرُورَ وَمَرَأَى
يُذَكِّرُ الْمَرْءَ طِيبَ عَصْرِ صِبَاهُ



وَقَالَ أَبُو الصَّلْتِ أُمَيَّةُ الْأَنْدَلُسِيُّ الْمَذْكُورُ يَذْكُرُ وَمِنْهُ
بَنَاءُ بَنَاءِ عَلِيٍّ بْنِ تَمِيمٍ بْنِ الْمِزَّ (الْمُبِيدِي) :
لِلَّهِ مَجْلِسُكَ الْتَمِيفُ قِيَابُهُ
بِمُوطِدٍ فَوْقَ السَّمَاءِ مُوَسَّسِ
مُوفٍ عَلَى حُبِّكَ الْمَجَرَّةِ تَلْتَقِي
فِيهِ الْجَوَارِي بِالْجَوَارِي الْكَنَسِ^(١)

(١) الحبيك من السماء : طرائق النجوم ، واحده حبيكة ، ومنه :

تَقَابُلُ الْأَنْوَارُ مِنْ جَنَابِهِ
فَاللَّيْلُ فِيهِ كَالنَّهَارِ الشَّمْسُ
عُطِفَتْ حَنَائِيَهُ دُونِ سَمَائِهِ
عَطَفَ الْأَهْلَةُ وَالْحَوَاجِبُ وَالْقِسِي
وَأَسْتَشْرَفَتْ عُمْدُ الرُّحَامِ وَظُهِرَتْ
بِأَجَلٍ مِنْ زَهْرِ الرَّيِّعِ وَأَنْفَسِ
فَهَوَاؤُهُ مِنْ كُلِّ قَدٍّ أَهْيَفِ
وَقَرَارُهُ مِنْ كُلِّ خَدٍّ أَمْلَسِ
فَلَكَ تَحْيَرٌ فِيهِ كُلُّ مُنْجَمٍ
وَأَقَرٌّ بِالتَّقْصِيرِ كُلُّ مُهَنْدِسِ
فَبَدَأَ لِلْحَفْظِ الْمَيِّنِ أَحْسَنَ مَنَظَرٍ
وَعَدَا لِطَيْبِ الْعَيْشِ أَطْيَبَ مَعْرَسِ^(١)

«والسما ذات الحيك» وأراد بالجوارى الكنس : النجوم السيارة «وهي
الخنس أيضا» لأنها تنكس في الليل أي تستر ، أو هي كل النجوم لأنها
تبدو ليلا وتنكس «تختفي» نهرا ، قال الزجاج : الكنس : النجوم
تطلع جارية ، وكنوسها أن تقيب في مغاربها التي تقيب فيها - يصف في
البيت علو القصر حتى كأن له حاجة في السماء ، فجواريه الانسية تلتقي
بجوارى السماء الفلكية (١) في الأصل « طيب معرس »

فَاطْلُغْ بِهِ قَمَرًا إِذَا مَا أَطْلَعَتْ
شَمْسُ الْخُدُورِ^(١) عَلَيْكَ شَمْسُ الْأَكُوْسِ
فَالنَّاسُ أَجْمَعُ دُونَ قَدْرِكَ رُبَّةً
وَالْأَرْضُ أَجْمَعُ دُونَ هَذَا الْمَجْلِسِ

وَيُنَجِّبُنِي مِنْ قَوْلِ أَبِي الصَّلْتِ أُمِّيَّةَ الْمَذْكُورِ قَوْلُهُ
يَصِفُ حَالِي زِيَادَةَ النِّيلِ وَتَقْصَانَهُ^(٢) :
وَلِلَّهِ تَجَرَّى النِّيلُ مِنْهَا إِذَا الصَّبَا
أَرْتَنَا بِهِ مِنْ مَرَّهَا عَسْكَرًا تَجَرَّى
إِذَا زَادَ يَحْكِي الْوَرْدَ لُونًا^(٣) وَإِنْ صَفَا
حَكَى مَاءَهُ لُونًا وَلَمْ يَحْكِهِ مَرًّا

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَصِفُ الرِّصْدَ الَّذِي يَظَاهِرُ مِصْرَ : وصف الرصد
يَأْزُهُ الرِّصْدُ الَّتِي قَدْ أَشْتَمَلَتْ
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَلَا فِي جَانِبِ الْوَادِي

(١) أو (الخدود) (٢) ارجع الى البيتين وشرحهما بالجزء الأول

(٣) و يروي البيت هكذا :

إذا زاد يحكي الورد غضا وإن صفا حكي مائه لونا ولم يعده نشرًا

فَذَا غَدِيرٌ، وَذَا رَوْضٌ، وَذَا جَبَلٌ
وَالضَّبُّ وَالنُّونُ وَالْمَلَّاحُ وَالْحَادِي



عمر أنس بالبصرة وهو مأخوذ من قول الأول يصف قصر أنس^(١)
بالبصرة :

زُرُودِي الْقَصْرِ نِعَمَ الْقَصْرِ وَالْوَادِي
لَا بُدَّ مِنْ زَوْرَةٍ مِنْ غَيْرِ مِيعَادٍ
زُرُهُ فَلَيْسَ لَهُ نِدٌّ يُشَاكِلُهُ
مِنْ مَنْزِلٍ حَاضِرٍ إِنْ شِئْتَ أَوْ بَادِي
تَلْقَى بِهِ السُّفْنَ وَالظُّلَمَانَ حَاضِرَةً
وَالضَّبَّ وَالنُّونَ وَالْمَلَّاحَ وَالْحَادِي



الحرمان بمصر وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَذْكُرُ الْهَرَمَيْنِ :

(١) بالأصل « قوله » والمعروف أن الأبيات لابن أبي عينة المهلبى فى قصر
عيسى بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بالبصرة ،
« وقد سبق تطبيقنا على الأبيات - وقصر أنس بالبصرة أيضا ينسب
الى أنس بن مالك خديم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الشعر لم يقل فيه
« أحمد يوسف نجاشى »

بِمَيْشِكَ هَلْ أَبْصَرْتَ أَحْسَنَ مَنَظَرًا
 عَلَى طُولِ مَا عَايَنْتَ مِنْ هَرَمِي مِصْرٍ
 أَنَا فَأَبَا كَنَافٍ^(١) السَّمَاءِ وَأُثْرَفَا
 عَلَى الْجَوِّ إِشْرَافَ السَّمَاءِ^(٢) عَلَى النَّسْرِ
 وَقَدْ وَافَيْتَا نَشْرًا مِنَ الْأَرْضِ عَالِيَا
 كَأَنَّهُمَا نَهْدَانِ قَالَمَا عَلَى صَدْرٍ
 وَمَسْتَانِي تَرْجَمْتُهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - فِي الْبَابِ الْخَامِسِ

وَعَلَى ذِكْرِ الْأَنْهَارِ وَالْبَرَكِ فَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ
 الْأَنْدَلُسِيِّنَ يَصِفُ بَرَكَةً عَلَيْهَا عِدَّةُ قَوَارَاتٍ^(٣) :
 غَضِبَتْ مَجَارِيهَا فَأَظْهَرَ غَيْظَهَا
 مَا فِي حَشَاهَا مِنْ خَفِيٍّ مُضْمَرٍ

(١) ويروى « بأعنان » (٢) ويروى « أو » (٣) الفؤارة في الاصل :
 منبع الماء ، وهي بالمعنى اللعروف مولدة ، ولشعراء فيها معان لطيفة منها :
 تخال أنبوا بها لمحتة وللاء يملو بها وينحدر
 كصولجان من فضة سيكت فواقع للاء تحتها أكر
 وقال ابن حجاج « توفي سنة ٣٩١ » :

صنعت في دارك فسؤارة أغرقت في الأرض بها الاتحيا
 قاض على نجم السماؤها فأصبحت أرضك تنقي السما

وَكَانَ نَيْعَ الْمَاءِ مِنْ جَنَابَتِهَا
وَالْعَيْنُ تَنْظُرُ مِنْهُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ
قُضِبَ مِنَ الْبَلَّورِ أَثْمَرُ فَرْعِهَا
لَمَّا أَتَمَّتْ بِاللُّوْلُو الْمُتَحَدِّرِ



وصف ماء وَقَالَ ابْنُ صَارَةَ الْأَنْدَلُسِيُّ^(١) يَصِفُ مَاءَ بِالرَّقَّةِ وَالصَّفَا
يَجْرِي عَلَى الصَّفَا:

وَالنَّهْرُ قَدْ رَقَّتْ غِلَاةُ خَصْرِه
وَعَلَيْهِ مِنْ صَبْغِ الْأَصِيلِ طِرَازُ
تَرَفَّرَ الْأَمْوَاجُ فِيهِ كَأَنَّهَا
عُكِّنُ الْخُصُورِ تَهْزُهَا الْأَعْجَازُ^(٢)

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن صارة البكري من أهل شنترين وسكن اشبيلية ونجول في بلاد الأندلس شرقا وغربا للتعليم والورافة وامتدح الولاة والرؤساء . وكان أدبيا ماهرا وشاعرا مقلدا ولبينا مبتكرا ومختلعا مولانا . ضليما في الله وآدابها وعلومها ، وتوفي سنة ١٧٠ هـ وصدر البيت الأول بروي : والنهر قد رقت غلالة صبه (٢) عكن : جمع عكنة وهي ما نظوى وتثنى من لحم البطن سمنا وعكن جمع عكنا ، وجارية عكنا . ومعكنة : ذات عكن ، وذلك اذا تمكن بطنها - وقد أصبحت غاداتنا ينفرن من ذلك ويملن الى الرشاقة والهيف وضمور البطن وإن تعالى بضمهن في ذلك ، وقد كانت جداتهن يأكلن العكنة ، ليكن ذوات عكنة «أحمد يوسف نجاة»

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الْأُدْبَاءِ - وَلَمْ يَحْضُرْنِي الْآنَ
أُسْمُهُ - :

وَالْتَهَرُ مَكْسُوءٌ غِلَالَةً فَضَّةً
فَإِذَا جَرَى سَيْلًا فَتَوَبَّ نُضَارٍ
وَإِذَا اسْتَقَامَ رَأَيْتَ صَفْحَةً مُنْصَلٍ
وَإِذَا اسْتَدَارَ رَأَيْتَ عَطْفَ سِوَارٍ
وَقَالَ ابْنُ حَمْدِيسَ الْمَغْرِبِيِّ يَصِفُ نَهْرًا بِالصَّفَاءِ :
وَمُطَرِّدٍ^(١) الْأَمْوَاجِ يَصْقُلُ مَتْنَهُ
صَبًا أَعْلَنْتَ لِلْعَيْنِ مَا فِي ضَمِيرِهِ
جَرِيحٌ بِأَطْرَافِ الْخَصَى كُلَّمَا جَرَى
عَلَيْهَا شَكَا أَوْجَاعُهُ بِمَجْرِيهِ
كَأَنَّ حُبَابًا رِيحَ تَحْتَ حَبَابِهِ
فَأَقْبَلَ يُلْقِي نَفْسَهُ فِي غَدِيرِهِ^(٢)

(١) جدول مطرد : سريع الجرية يتتابع ماؤه سائلا جاريا (٢) الحباب : الحية - وحباب الماء : معظمه ، وطرافه كلها الوشي

وَهَذَا النَّهْجُ مُتَّسِعٌ ، وَلَمْ نُطْلِ السَّيْرَ فِي هَذِهِ الْمَهَامِهِ ،
وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا بَعْضَ كَلَامِ الْمَطَارِبَةِ لِنُنَبِّهَ بِهِ مُتَقَصِّهِمْ مِنْ
سِنَةِ أَوْهَامِهِ ، وَلِأَنَّ فِي أَمْرِهَا عِبْرَةً لِمَنْ عَقَلَ ، إِذْ أَصْدَأَ
مِرْآةَ حُسْنِهَا وَلَطَالَمَا كَانَ لِمِثْلِهَا ^(١) صَقَلٌ .



وَقَدْ وَفَّقْتُ عَلَى كَلَامِ لِصَاحِبِ الْمَنَاهِجِ فِي هَذَا الْمُنَى
فَأَحْبَبْتُ ذِكْرَهُ مُلَخَّصًا وَهُوَ : وَنُلْحِقُ بِذِكْرِ الْمَنَازِلِ الَّتِي
رَاقَ مَنَظَرُهَا ، وَفَاقَ مَجْبَرُهَا ، وَأَرْتَقَعَ بِنَاوُهَا ، وَأَتَّسَعَ فَنَاوُهَا ^(٢)
طَرَفًا مِنْ الْكَلَامِ عَلَى مَا عَفَاهُ الْقَدَرُ مِنْ رُسُومِهَا ، وَنَحَاهُ مِنْ
مَحَاسِنِ صُورِهَا كَانَتْ أَرْوَاحًا لِحُجُومِهَا : وَصَفَ أَعْرَاقِي بِمَحَلَّةِ قَوْمٍ
أَرْتَحَلُوا عَنْهَا فَقَالَ تَثْرًا : أَرْتَحَلْتُ عَنْهَا رَبَّاتُ الْقُدُورِ ، وَأَقَامْتُ
بِهَا أَمَانِي ^(٣) الْقُدُورِ ، وَلَقَدْ كَانَ أَهْلُهَا يُعْفُونَ آثَارَ الرِّيحِ ^(٤)

ما قيل في غناء
الديار

(١) في الأصل (لثلاثها) (٢) فناء الدار : ما اتسع من أمامها ، وما امتد من جوانبها ،
وجمعه أُنْفِيَّةٌ وفَتَى (٣) جمع أنْفِيَّةٍ ، وهي الحجر توضع عليه القدر وتصب
عليه الآنية . وما كان من حديد ذي ثلاث قوائم يسمى للنصب . ويقال : رماه الله
بثلاثة الأمانى ، أى بالجبل لأنهم كانوا يجعلون صخرتين إلى جانبه وينصبون
عليه وعليهما القدور ، فعناه أنه رماه الله بما لا يقوم له ، أى بدهية
شديدة - ويقال للثل أيضا في رمي الرجل صاحبه بالمضلات (٤) يصفهم
بالكثرة والقوة والفتى والكرم « أحمد يوسف نجاشي »

فَقَتَّ الرِّيحُ آثَارَهُمْ ، وَذَهَبَتْ بِأَبْدَانِهِمْ وَأَبْقَتْ أَخْبَارَهُمْ ،
وَالْمَهْدُ قَرِيبٌ ، وَاللِّقَاءُ بَعِيدٌ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ فَأَحْسَنَ :

يَا دَارُ^(١) أُمْنَى دَارِيسًا رَسْمَهَا

وَحَشَا قِفَارًا مَا بِهَا أَهْلُ

قَدْ جَرَّتِ الرِّيحُ بِهَا ذَيْلَهَا

وَأَسْتَنَّ فِي أَطْلَالِهَا الْوَيْلُ^(٢)

وَمِنْ كَلَامِ الْفَتْحِ بْنِ خَفَّانَ ، فِي فَلَائِدِ الْعَقِيَانِ ، يَذْكُرُ
آلَ عَبَّادٍ مِنْ فَصْلِ أَكْثَرِ فِيهِ التَّفْجَعُ ، وَأَطَالَ بِهِ التَّوَجُّعُ :
وَالْعُصُونُ^(٣) تَحْتَالُ فِي أَدْوَا حِجَاهَا ، وَالْأَزَاهِرُ يُخَيِّمُ مِثْتَ الصَّبَابَةِ
شَذَا أَرْوَاحِهَا ، وَأَطْيَارُ الرِّيَاضِ قَدْ أَشْرَفَتْ عَلَيْهِمْ كَشْكَالَى
يَنْحَنُّ عَلَى خَرَابِهَا ، وَأَنْقِرَاضِ أَتْرَابِهَا^(٤) ، وَالْوَهْيُ^(٥) بِمَشِيدِهَا

(١) يروي بإدرا امسى (٢) استن الفرس في مضاربه : اذا عدا في نشاطه على
سنفه في جهة واحدة - وفي اللث : استنت الفصال - حتى القرعى ، يضرب لمن
يدخل نفسه في قوم ليس منهم ، ويغوص معهم في حديث لا علم له به -
والويل والوايل : اللطر الشديد الضخم القطر (٣) في الأصل « والقصور »
وهو تحريف (٤) في الفلايد « اطرابها » مصدر أطرب - وأتراب جمع
ترب ، وهو من ولد معك في سن واحدة ، وأكثر ما يكون ذلك في المؤنث
وفي القرآن الكريم : « وعندهم قاصرات الطرف أتراب » ، « كواعب
تراب » ، « عربا أترابا » أى أمثالا (٥) وهي الشئ : ضف ، والحائط : اذا
استرخى وأراد أن ينقض وهم بالسقوط . « أحمد يوسف نجاني »

لَاعِبٌ، وَعَلَى كُلِّ جِدَارٍ مِنْهَا غَرَابٌ نَاعِبٌ، وَقَدْ حَتَّ
الْحَوَادِثُ ضِيَاءَهَا، وَقَلَّصَتْ ظِلَالَهَا وَأَفْيَأَهَا^(١)، وَلَطَّالَمَا
أَشْرَقَتْ بِالْخَلَائِفِ^(٢) وَأَبْتَهَجَتْ، وَفَاحَتْ مِنْ شَذَاهُمْ
وَتَأَرَّجَتْ، أَيَّامٌ تَزَلُّوْا خِلَالَهَا، وَتَقِيئُوْا ظِلَالَهَا،
وَعَمَرُوا حَدَائِقَهَا وَجَنَاتِهَا، وَنَبَّهُوا أَلْمَالَ مِنْ
سِنَانِهَا، وَرَاعُوا أَلْيُوثَ فِي آجَامِهَا، وَأَخْجَلُوا أَلْيُوثَ
عِنْدَ أَنْسِجَامِهَا، فَأَصْبَحَتْ وَلَهَا بِالتَّدَاعِي تَلْفَعٌ وَأَعْتَجَارٌ^(٣)،

(١) قَلَصَ الظِّل : اذا انقبض وانضم وانزوى ، وقَلَصَ : ذهب - والقيء
ما كان شمساً فيفسخه الظل ، أو ما بعد الزوال من الظل ، وقد يسمى الظل
فيما لقيه أي رجوعه من جانب الى جانب - والجملة كناية عن تهديم
هذه الجدران وعبث الحوادث بها (٢) في الأصل « الخلائق » وفي القلائد
« الخلائف » جمع خليفة وهو أحسن (٣) التلفع في الأصل : التلحف
يقال تلفعت للراءة بمروطها أو ردائها أو لفاعها اذا التحفت به « والاففاع
هو اللحفة أو الكساء الغليظ الأسود » وتجلت وتقطت واشتملت به -
والاعتجار : لي الثوب على الرأس من غير ادارة تحت الحنك ، ولبسة للراءة
شبه الالتحف - وتداعى الحائط اذا أخذ في الانقراض بسرعة ، وتداعى
اذا تهادم وأذن بالحراب - وفي الأصل « ولها تلفع واعتجار » بسقوط
كلمة « بالتداعي » الثابتة في القلائد وبسقوطها يعلق للنبي وترك العبارة

وَلَمْ يَبْقَ مِنْ آثَارِهَا إِلَّا نُؤْيٌ^(١) وَأَخْبَارٌ، وَقَدَّهَوَتْ قِبَابُهَا،
وَهَرِمَ شَبَابُهَا، وَقَدْ يَلِينُ الْخَدِيدُ، وَيَسِيلُ عَلَى طَيْهِ الْجَدِيدُ.
وَقَالَ أَبُو صَخْرٍ^(٢) الْقُرْطُبِيُّ يَذْكُرُ ذَلِكَ مِنْ أَيْكَاتٍ يَتَعَاثَرُ بِهَا:

دِيَارٌ عَلَيْهَا مِنْ بَشَاشَةِ أَهْلِهَا

بَقَايَا تَسُرُّ النَّفْسَ أَنْتَا وَمَنْظَرَا

رُبُوعٌ كَسَاهَا الْمَزْنُ مِنْ خِلَعِ الْحَيَا

بُرُودًا وَحَلَاهَا مِنَ التَّوَرِّجِ جَوْهَرَا

(١) النؤى: أصله الخفير أو الحاجز حول الحياء أو الخيمة يمنع السيل أو
يعلمه وجمعه نؤى (٢) هو يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيب بن محمد بن
عبد الله الفقيه الصالح الأديب قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة والخطبة
في زمن المستدي بالله هشام بن محمد للروائي سنة ٤١٩ هـ كان وافر الخط من الفقه
والحديث والبلاغة والأدب وعلوم الفقه، وأكثر شعره في الزهد وما شابهه
وله خطب بليغة كذلك قوة التأثير في النفس لصدورها عن القلب. ومن
شعره قوله :

أَتُوا خَشْيَةَ أَنْ قِيلَ جَدُّ نَحْوَهُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ لَحْمٍ عَلَيْهِ وَلَا عَظْمٌ

فَادُّوا قِيَمًا فِي فِرَاشٍ فَلَمْ يَرَوْا وَلَا لِمُسَوِّئَاتِنَا يَدُلُّ عَلَى جِسْمٍ

طَوَاهِ الْمَهْوَى فِي ثَوْبٍ سَقَمَ مِنَ الضَّنَى وَلَيْسَ بِمَحْسُوسٍ بَيْنَ وَلَا وَهْمٍ

وقضى حياته - رضى الله عنه - في علم وإفادة وورع وعدل وإصلاح القلوب

يرعظه الذي كان فيه قدوة بنفسه، وله مؤلفات نفيسة ممتعة في فضائل الأعمال

والتصوف وله سنة ٣٣٨ وتوفي سنة ٤٢٩ هـ - رحمه الله تعالى - «أحمد يوسف نجاشي»

(١٤ - نظم الطيب - راجع)

تَسْرُكَ طَوْرًا ثُمَّ تُشْحِكَ تَارَةً
 فَتَرْتَاخُ تَأْنِيسًا وَتَشْجَى تَذَكُّرًا
 « وَمِنْ كَلَامِ أَبِي الْحَسَنِ الْقَاشَانِيِّ » يَصِفُ نَادِيَّ
 رَئِيسٍ خَلَا، مِنْ أَزْدِ حَامِ الْمَلَا ، وَعَوَضَهُ الزَّمَانُ عَنْ
 تَوَاصُلِ أَحْبَابِهِ هَجْرًا وَقِلًا ^(١) : قَدْ كَانَ مَنَزِلُهُ مَأْلَفَ
 الْأَضْيَافِ ، وَمَأْنَسَ الْأَشْرَافِ ، وَمُتَّجِعَ الرُّكْبِ
 وَمَقْصِدَ الْوَفْدِ ، فَاسْتَبَدَّلَ بِالْأَنْسِ وَخَشَّةً ، وَبِالضِّيَاءِ
 ظُلْمَةً ، وَأَعْتَاضَ مِنْ تَرَاحُمِ الْمَوَاقِبِ ، تَلَاطُمَ النُّوَادِبِ ،
 وَمِنْ ضَجِيجِ النَّدَاءِ وَالصَّهِيلِ ، عَجِيجِ الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ -
 « وَمِنْ رِسَالَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ الْجَزَرِيِّ ^(٢) يَصِفُ دِمْنَةَ دَارِ

(١) أى بضاً وكراهة (٢) هو أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد
 ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ويلقب ضياء الدين، وهو ذلك
 الأديب الكبير والكاظم القدير صاحب اللؤلؤ السائر وغيره من كتب
 الأدب والبلاغة وكلها مقيمة متمعة دالة على فكر سديد وعقل ناضج
 وقرينة خصبة وذهن صاف، وله رسائل كثيرة هي نماذج البلاغة الراقية
 في عصره « غير أنى أخذ عليه شيئا من الادعاء والاعجاب بالنفس وهما
 خلتان لا تستريح نفس اليهما، وإن كان في ذلك يعمل بقول من قال :
 وماذا على الانسان في مدح نفسه إذا لم يكن في قوله بكنوب ؟

لَبِيتُ بِهَا أَيْدِيَ الزَّمَنِ ، وَفَرَّقَتْ بَيْنَ الْمَسْكَنِ وَالْمَسْكَنِ .
كَانَتْ مَقَاصِيرَ جَنَّةٍ ، فَأَصْبَحَتْ وَهِيَ مَلَاعِبُ جَنَّةٍ ، وَقَدْ
عَمِيَتْ أَخْبَارُ قُطَانِهَا ، وَآثَارُ أَوْطَانِهَا ، حَتَّى شَابَهَتْ إِحْدَاهُمَا
فِي الْخَفَاءِ ، الْأُخْرَى فِي الْفَقَاءِ ، وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهَا لَا تُسْقَى
بَعْدَهُمْ بِمَنَامٍ ، وَلَا يَرْفَعُ عَنْهَا جِلْبَابُ ظَلَامٍ ، غَيْرَ أَنَّ السَّحَابَ
بَكَاهُمْ فَأَجْرَى بِهَا هَوَامِعَ دُمُوعِهِ ، وَاللَّيْلُ شَقَّ عَلَيْهِمْ
جُيُوبَهُ فَظَهَرَ الصَّبَاحُ مِنْ خِلَالِ صُدُوعِهِ . وَقَدْ لَمَحَ
فِي بَعْضِ كَلَامِهِ قَوْلَ الشَّرِيفِ مِنْ أَثْنَاتٍ ^(١) يَصِفُ فِيهَا
مَا كَانَ فِي الْحَيَرَةِ مِنْ مَنَازِلِ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدَرِ :

مَا زِلْتُ أَطْرُقُ لِلْمَنَازِلِ بِاللَّوَى
حَتَّى تَزَلْتُ مَنَازِلَ الثُّعْمَانِ

وكان يمرض القاضي الفاضل في رسالته فاذا أنشأ رسالة أنشأ مثلها وكان
بينهما مكاتبات ومجاوبات « توفي سنة ٦٣٧ - رحمه الله (١) هي من أول
قصيدة له قالها وقد خرج الى الكوفة لزيارة مشهـد الامام على - رضى
الله عنه - وعرج الى الحيرة فطاف بها ونظر الى عجيب آثـرها وبناتها
ورأى الظباء ترنع في عراصها ، وذلك في سنة ٣٩٢ وصدر البيت الأول
في البيروان :

* مازلت أطرق للنـازل بالـوى * ، وفي نسخة أخرى : بالـوى

بِالْحَيَرَةِ الْبَيْضَاءِ حَيْثُ تَقَابَلَتِ
 شَمُّ الْعِمَادِ عَرِيضَةَ الْأَعْطَانِ^(١)
 شَهِدَتْ بِفَضْلِ الرَّافِعِينَ قِيَابَهَا
 وَبَيَّنُّ بِالْبُنْيَانِ فَضْلُ الْبَاقِي
 مَا يَنْفَعُ الْمَاضِينَ أَنَّ يَقِيَتْ لَهُمْ
 خِطَطُ مُعَرَّةٍ بِعُمُرٍ قَانِي
 وَيَقُولُ فِيهَا:
 وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِدَيْرِ هِنْدٍ مَنَزِلًا
 أَلِمًا مِنَ الضَّرَاءِ وَالْخُدَّائِ^(٢)

(١) شم : أى عالية مرتفعة جمع أشم وشماء - والأعطان : جمع عطن : وهو وطن الأبل ، وغلب على مبركها حول الحوض ومريض التميم حول الماء - ورفعة العماد يكتبى به عن الشرف والسيادة ، وعرض الأعطان كناية عن الثنى والثروة - ويقال هو رجب العطن ، وواسع العطن : أى كثير المال واسع الرجل رجب التواضع (٢) دير هند الكبرى بالحيرة بنته هند أم عمرو بن هند وهى هند بنت الحرث بن عمرو بن حجر آكل اللرار الكندى - ودير هند الصغرى بالحيرة أيضا فى موضع تزه ، وهى هند بنت النعمان بن النذر للمروفة بحرقه - قال هشام الكلبي كان كسرى قد غضب على النعمان فحبسه فنذرت ابنته هند ان رده الله الى ملكه أن تبني ديورا تسكنه حتى تموت ففعل كسرى عن أيها النعمان فبنت الدير

يُنْفِي كُسْتَمِعَ الْهَوَانَ تَفَيَّتَ
 أَنْصَارُهُ وَخَلَا مِنَ الْأَعْوَانِ
 بِأَلِيِّ الْمَعَالِمِ أَطْرَقَتْ شُرُفَاتُهُ
 إِطْرَاقَ مُنْجَذِبِ الْقَرِينَةِ عَانِي^(١)

وأقامت به حتى ماتت فدفنت فيه - وقد أكثر الشعراء من ذكر هذا
 الدبر ، وفيه يقول الأمير معن بن زائدة الشيباني وكان منزله قريبا منه :
 ألا ليت شعري هل أبيت ليلة لدى دير هند والحبيب قريب
 فنفضى لبانات وولقى أحبة ويورق غصن للسرو رطيب
 (١) القرينة النفس ، يقال أسمع قرينته وأحبت أي ذلت نفسه
 وتابسته على الأمر ، والقرين صاحب المقارن ، وقرينة الرجل صاحبه وامرأته
 لمقارنته إياها والقرينة : الناقة تشد إلى أخرى - فلعل للراد من منجذب القرينة
 الواحد المنفرد الذي لا ناصر له ولا معين أوله يشير إلى معنى قول عمرو بن كلثوم
 متى نعد قرينتنا بجبل تجذب الجبل أو قص القرينا
 قرينته نفسه ، يقول إذا أقرنا لقرن غلبناه - أو القرينة الناقة يقول متى
 قرنا ناقتنا بأخرى قطعت الجبل أو كسرت عنق القرين معها - وهو على
 التل أي متى قرنا بقوم في قتال أو خصام غلبناهم وقهرناهم - وإذا كان
 الشريف الرضي يلح هذا للشي جاز أن تكون كلمة « منجذب » في
 يته محرفة عن منجد - أي منقطع - والعاني الأسير والخاضع الدليل -
 ويقال : فلان إذا جاذبته قرينته قهرها أي إذا قرنت به الشديدة أطاقها
 وغلبها - والخلاصة أن « منجذب القرينة » يراد منه الانفراد والانتقطاع
 عن المعين ، والقهر والفعل والغلبة وأحمد يوسف نجاشي

أَمَقَامِرَ الْفِرْلَانِ غَيْرِكَ أَلِي
 حَتَّى غَدَوْتَ مَرَابِضَ الْفِرْلَانِ^(١)
 وَمَلَاعِبِ الْإِنْسِ الْجَمِيعِ طَوَى الرَّدَى
 مِنْهُمْ فَصِرْتَ مَلَاعِبَ الْحَنَانِ^(٢)
 وَمِنْهَا :

مِسْكِيَّةُ النَّفَحَاتِ تَحْسَبُ تَرْبَهَا
 بُرْدُ الْخَلِيعِ مُمَطَّرَ الْأَرْدَانِ^(٣)
 وَكَأَنَّمَا نَسِيَ التُّجَارُ لَطِيمَةً
 جَرَتْ الرِّيَاحُ بِهَا عَلَى الْقَيْحَانِ^(٤)
 مَلَأَ كَجَيْبِ الدَّرْعِ يَصْقُلُهُ الصَّبَا
 وَتَقَى يُدْرِجُهُ النَّسِيمُ الْوَانِي^(٥)

(١) الفِرْلَانُ الأولَى طباء الانس - والفِرْلَانُ الثانيةً طباء القلاء (٢) الجنان : جمع جن (٣) الأَرْدَانُ : الأكام ، وخص الخليع لأنه يبنى بملابسه فهو يطر نفسه ، ويحمل زيه ، ليكون ذلك شركاً صائداً ، وسبباً لاجنباً . (٤) اللطيمة واللطيم : السك ، أو كل طيب يحمل على الصدغ - واللطيمة وعاء للسك أو سوقه ، والرواية « على القيعان » (٥) وروى : وبني بلوحتة النسيم الوانى . جيب الرع والقميص : طوقه ، والتقى من الرمل : اللقطة تنقاد محدودة ، والكثيب الأبيض منه المجتمع الذى

زَفَرَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ فَفَرَّقُوا
وَجَلَوْا عَنِ الْأَقْطَارِ وَالْأَوْطَانِ
وَقَالَ أَبُو إِسْحَقَ الصَّائِي - وَتَوَارَدَ مَعَ الشَّرِيفِ
الرَّضِيِّ فِي الْمَنَى وَالْقَافَةِ - يَصِفُ قَصْرَ رُوحٍ بِالْبَصْرَةِ
أَحْبَبَ إِلَيَّ بِقَصْرِ رُوحٍ مَثَلًا
شَهِدْتُ بَيْتَهُ بِفَضْلِ الْبَانِي
سُورٌ عَلَا وَتَمَنَّتْ شُرَفَاتُهُ
فَكَانَ إِحْدَاهُمُ هَضْبُ أَبَانٍ (١)
وَكَأَنَّمَا يَشْكُو إِلَى زُورِهِ
بَيْنَ الْخَلِيطِ وَفُرْقَةِ الْجِيرَانِ (٢)

لا يثبت شيئاً - شبه ما يعلو سطح الماء من الحبك إذا مرفوفه النسيم بضوض
الدرع سقطتها الصبا ، أو بالتقي الذي يمر به النسيم اللين فيحدث به غضونا
وخطوطا منقطعة - والنسيم الواني ضعيف المهبوب ، قال جعذر :
وظهر تنوفة للريح فيها نسيم لا يروع التراب واني
وعجز البيت محرف في الأصل تحريفا غير مفهوم ، فقد كان « ... ويني
بدوحته ... » (١) أبان : اسم جبل - وهما أبانان أبان الأبيض وهو شرقي
الحاجر وهو لبني فزارة وعيس ، وأبان الأسود وهو لبني فزارة خاصة ،
وبينه وبين الأبيض ميلان - وقيل هما لبني مناف بن دارم بن تميم بن
مر ، وكلاهما محمد الرأس كاللسان (٢) البين الفراق والبعد ، والخليط :
المصاحب والصديق . « أحمد يوسف نجاشي »

وَكَاثِمًا يُبْدِي لَهْمٌ مِنْ قَسِيهِ إِطْرَاقَ مَحْزُونِ الْخَشَا حَرَّانِ
وَلِأَمْعَدَ بْنِ فَرَجٍ الْإِلْيَرِيَّ مِنْ أَيْتٍ :
سَأَلَتْ بِهَا فَمَا رَدَّتْ جَوَابًا
عَلَيْكَ وَكَيْفَ تُخْبِرُكَ الطُّلُولُ ؟
وَمِنْ سَفَهٍ سُؤَالِكَ رَسْمَ دَارٍ
مَضَى لِعَقَائِهِ زَمَنٌ طَوِيلُ
فَإِنْ تَكُ أَصْبَحْتَ قَهْرًا خَلَاءَ
لَيْتِنِكَ فِي مَعَانِيهَا مُهْوَلُ
فَقَدِمًا قَدْ نَعِمْتَ قَرِيرَ عَيْنٍ
بِهَا وَبِرَبْعِهَا الرَّشَاءُ الْكَحِيلُ
وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْخَنَاطِ (١) الْأَنْدَلُسِيُّ الْأَعْمَى :
لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا بِالْقَلْبِ مِنْ نَارٍ
لَمْ تُوقِدِ النَّارَ بِالْهِنْدِيِّ وَالنَّارِ (٢)

(١) في الأصل « الخياط » وقد تقدم رأيي في هذا - وزادني اعتساما به أن وصفه هنا بالأعمى فهو ابن الخنيط الذي قدمت ترجمته من قبل « أحمد يوسف نجاتي » (٢) النار : ضرب من الشجر له ورق طيب الريح يقع في الطمر ، قال عدى بن زيد العبدي :

يَا دَارَ غُلُوبَةٍ قَدْ هَيَّجَتْ لِي شَجَنًا
وَرَدَّتْنِي حُرْقًا حُيَّتٍ مِنْ دَارٍ
كَمْ بَتَ فِيكَ عَلَى اللَّذَاتِ مُتَكِفًا
وَاللَّيْلُ مُدَّرِعٌ ثَوْبًا مِنَ الْقَارِ؟
كَأَنَّهُ رَاهِبٌ فِي الْمَسْحِ مُلْتَحِفٌ
شَدَّ الْمَجَرَ لَهُ وَسَطًا بِزُنَارٍ^(١)
يُدِيرُ فِيهِ كُؤُوسَ الرِّاحِ ذُو حَوَرٍ
يُدِيرُ مِنْ لَحْظِهِ الْخَاطِ سَحَارٍ
وَلَا مَزِيدَ فِي التَّفَضُّعِ عَلَى الدِّيَارِ ، وَالتَّوَجُّعِ لِلدَّمَنِ
وَالْآثَارِ ، عَلَى قَوْلِ الْبُخْتَرِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ يَزِي بِهَا الْمُتَوَكِّلُ:
مَحَلٌّ عَلَى الْقَاطُولِ أَخْلَقَ دَائِرَةً
وَعَادَتَ صُرُوفِ الدَّهْرِ جَيْشًا تَغَاوَرَهُ^(٢)

رب ناربت أرمقها تقضم المهندي والنارا
والرراد بالمهندي المود الطيب القى يأتي من بلاد الهند - وأما توقد النار
بالمهندي والنار إذا أريد البخور والتعطير بالريح الذكية (١) للسح ثوب
غليظ من الشعر ، والمجر والمجرة في السماء معروفة ، وفي الأصل « المجد »
بدل المجرة وهو تحريف ، والزنار ما يشد على الوسط معروف شبه الليل
براهب ملتحف بمسح أسود وجعل نجوم المجرة زنار له (٢) القاطول: نهر

كَأَنَّ الصَّبَا تُوفِي نُدُورًا إِذَا انْتَبَرَتْ
تُرَاوِحُهُ أَذْيَالُهَا وَتُبَاكِرُهُ
وَرَبِّ زَمَانٍ نَاعِمٍ تَمَّ (١) عَهْدُهُ
تَرَقَّى حَوَاشِيهِ وَيُوتِقُ نَاصِرُهُ
تَغَيَّرَ حُسْنُ الْجُفَيْرِيِّ وَأَنَسَهُ
وَقُوضَ بَادِي الْجُفَيْرِيِّ وَحَاضِرُهُ (٢)

« كأنه قتل أى قطع من دجلة » وهو نهر كان فى موضع سامراء قبل أن تعمّر، وكان هرون الرشيد أول من حفره، وفوق هذا القاطول القاطول الكسرى حفره كسرى أنو شروان يأخذ من جانب دجلة فى الجانب الشرقى أيضا، وعليه شاذروان فوقه يسقى رستاقا بين النهرين، وحفر بعده الرشيد هذا القاطول تحته مما يلى بئداد وهو أيضا يصب فى النهر وآن تحت الشاذروان - وأخلق أى بلى، ودثر الشئ دثورا درس وغفاوا عجمى. وغاوروا وتغاوروا: أغار بعضهم على بعض وغاوره شن عليه التارة. واليت فى الأصل فيه تحريفان « العاطول » بدل القاطول و « تناديه » بدل تغاوره، وهو تحريف مفسد - والقصيدة رثى بها للتوكل حين قتل سنة ٢٤٧ بقصره الجفري. « أحمد يوسف نجاشى » .

(١) ثم : هناك - وفى الأصل « تم » محرفة - ويوتق أى يعجب، وفى الديوان « يورق » - وعيش رفيق الحواشى : أى ناعم فى دعة (٢) الجفري اسم قصر بناه أمير المؤمنين جعفر للتوكل على الله بن العتصم بالله الخليفة العباسى قرب سامراء واستحدث عنده مدينة وأقطع القواد منها قطاع فصارت أكبر من سامراء، ولما قتل أبو للتوكل سنة ٢٤٧

تَحَلَّلَ عَنْهُ سَاكِتُهُ فُجَاءَةً

فَعَادَتْ سَوَاءَ دُورُهُ وَمَقَابِرُهُ ^(١)

إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدًا لَنَا الْأَمَى

وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَهْجُ زُرَّارُهُ

وَلَمْ أَنْسَ وَخْشَ الْقَصْرِ إِذْ رِيعَ مِرْبَتُهُ

وَإِذْ ذُعِرَتْ أَطْلَاؤُهُ وَجَاذَرُهُ ^(٢)

وَإِذْ صَبَّحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ فَهَتَّكَتْ

عَلَى عَجَلٍ أَسْتَارُهُ وَسَتَارُهُ

عاد الناس الى سامراء بعد أن كادت تخلو منهم. والشعراء في ذكر الجعفرى قول كثير ، ولعل البحتري أحسن من وصفه وأجاد القول فيه ولا سيما في قصيدته التى مطلعها :

ان اللواء غداة سفح محجر هيجن حرجوى وفرط تذكر
يقول فيها :

قد تم حسن الجعفرى ولم يكن ليتم الا بالخليفة جعفر
في رأس مشرفة حهاها جوهر و تراها مك يشاب بغير

(١) فى الأصل « ومقاصره » وفى الديوان « ومقابه » وهو أحسن وأظهر لان الترض وصف الدور بالوحشة بعد ذعر الساكنين منها وتفرقهم عنها (٢) الطلاول الطلي ساعة يولد ، والصغير من كل شئ ، والجوذر ولد البقرة الوحشية ، ويصح فهماهنا ارادة الحقيقة وارادة المجاز « أحمد يوسف نجافى »

وَوَحْشَتُهُ^(١) حَتَّى كَانَ لَمْ يَكُنْ بِهِ
 أُنَيْسٌ وَلَمْ تَحْسُنْ لِعَيْنٍ مَنَاظَرُهُ
 كَانَ لَمْ تَبِتْ^(٢) فِيهِ الْخِلَافَةُ طَلَقَةً
 بَشَاشَتُهَا وَأَمْلُكُ يُشْرِقُ زَاهِرُهُ
 وَلَمْ تَجْمَعْ الدُّنْيَا إِلَيْهِ بَهَاءَهَا
 وَبَهْجَتُهَا وَالْعَيْشُ غَضُّ مَكَايِرِهِ^(٣)
 فَأَيْنَ الْحِجَابُ الصَّعْبُ حَيْثُ تَمْنَعَتْ
 بِهَيْبَتِهَا أَبْوَابُهُ وَمَقَاصِرُهُ ؟
 وَأَيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ فِي كُلِّ نَوْبَةٍ
 تَنْوُبُ ، وَنَاهِي الدَّهْرِ فِيهِمْ وَأَمْرُهُ ؟
 وَعَلَى قَوْلِ أَبِي إِسْحَقَ بْنِ خَفَاجَةَ الْأَنْدَلُسِيِّ :

(١) كذار رواية الديوان «ووحشته» بالعطف على «وحش القصر» ولعله
 أولى مما في الأصل «وأوحشه» (٢) في الأصل «تبين» وهو تعريف وان
 كان له معنى متكافئ للكسر - مخبر الشيء يقال هو طيب للكسر
 وردي للكسر ، ورجل صلب للكسر أى قوى شديد ، وعيش غرض
 للكسر وطيب للكسر إذا كان ناعما لنا ورغدا هنيئا وطيبا سهلا

وَمُرْتَبِعٍ حَطَطْتُ الرَّحْلَ فِيهِ
 بِحَيْثُ الظِّلُّ وَالْمَاءُ الْقَرَّاحُ^(١)
 تَخَرَّمَ حُسْنُ مَنْظَرِهِ مَلِيكَ
 تَخَرَّمَ مُلْكُهُ الْقَدْرُ الْمُنَاحُ^(٢)
 فَجَرِيَّةُ مَاءِ جَدْوَلِهِ بُكَاءُ

عَلَيْهِ وَشَدُو طَائِرِهِ نُوَّاحُ
 وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْبُكَاءِ عَلَى النَّمْنِ ، وَالتَّأَسُّفِ عَلَى
 مَا فَعَلَتْ بِهَا أَيْدِي الزَّمَنِ ، كَثِيرٌ جِدًّا ، لَا يَعْرِفُ الْبَاحِثُ
 عَنْهُ لَهُ حَدًّا ، وَذَلِكَ لِشِدَّةِ وَلُوعِ النُّفُوسِ بِذِكْرِ أَحْبَابِهَا ،
 وَحَيْنِهَا إِلَى أَمَا كِنِهَا الَّتِي هِيَ مَوَاطِنُ أَطْرَافِهَا ، وَلِهَذَا

(١) ارتبع بكان كذا أقام به في الربيع ، وللوضع مرتبع كالربيع ، ثم تجوز فيه حتى سمي كل منزل مرتبعا ومرسا . والقراح للاء الصافي النقي والمنتب الساتع (٢) تخرمه واخترمه : استأصله واقتطعه ، وفي الديوان « يحرم » في شطري البيت بدل « يحرم » وللتاح للقدر للهبأ - والشاعر هو أبو خفاجة ابراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الشاعر الأديب الشهور كان مقبلا بشرق الأندلس ولم يتعرض لاستباحة ملوك طوائفها مع تهاقهم على أهل الأدب ، وله بجزيرة شقر من أعمال بلنسية سنة ٤٥٠ وتوفي بها سنة ٥٣٣ « أحمد يوسف نجاشي »

أَقْصَرْنَا عَلَى هَذِهِ النُّبْدَةِ الْقَلِيلَةِ ، وَجَعَلْنَاهَا نَبْعَةً ^(١) يَشْنِي
الْمَشُوقُ بِهَا غَلِيلَهُ . وَقَدْ كَرِهَ بَعْضُ الثَّقَلَاءِ التَّأْسُفَ عَلَى
الذَّيَارِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّهُ لَا يُجْدَى ، وَلَا يَدْفَعُ عَادِيَةَ الدَّهْرِ الْخَوُونَ
وَلَا يُعْدَى ^(٢) ، وَهَوَا عَنْهُ لِمَا فِيهِ مِنْ تَجْدِيدِ الْمَصَابِ ،
الْمُجَرِّعِ لِصَاحِبِهِ الصَّابِ وَالْأَوْصَابِ ^(٣) ، قَالَ أَبُو عُمَرَ
أَبْنُ عَبْدِ الْبَرِّ ^(٤) :

عَفَتِ الْمَنَازِلُ غَيْرَ أَرْسَمِ دِمْنَةٍ

حَيْثُمَا مِنْ دِمْنَةٍ وَرُسُومِ

كَمْ ذَا الْوُقُوفُ وَلَمْ تَقِفْ فِي مَنْسِكٍ

كَمْ ذَا الطَّوَافُ وَلَمْ تَطِفْ بِمَحْرِمٍ ^(٥)

- (١) أو « نبتة » وهي الماء القليل ، أو الجرعة (٢) أعداءه : قواه وأعدائه
ونصره - يقال استعديت على فلان الأمير فأعداني أى استعنته فأعداني
(٣) الصاب شجر مر ، وقيل هو عصارة العبر - والأوصاب جمع وصب
وهو للرض والالام الشديد الماتم ، والوجع اللازم (٤) هو الامام يوسف بن
عبد الله بن محمد بن عبد البر ، ولد سنة ٣٦٢ وتوفي سنة ٤٦٣ وتقدمت ترجمته .
(٥) للنسك : مكان النسك أى العبادة ، والمحريم هنا الحرم حرم مكة
وما أحاط الى قريب من الحرم ، والمحريم ما حرم فلا يمس بأذى وحريم
المر ما أضيف اليها وكان من حقوقها ومرافقها ، والمحريم : فناء للسجد

فَكِلِ الدِّيَارَ إِلَى الْجَنَائِبِ وَالصَّبَا

وَدَعِ الْقِفَارَ إِلَى الصَّدَى وَالْيَوْمِ^(١)

انتهى كلامه - رحمه الله تعالى - بأكثر لفظه مع
بعض اختصار.

« رَجِعْ إِلَى قُرْبَةِ فَنَقُولُ » : وَقَدْ أَلَمَّ لِسَانُ الدِّينِ بْنِ
الْخَطِيبِ - رحمه الله تعالى - بِذِكْرِ قُرْبَةِ وَبَعْضِ أَوْصَافِهَا
فِي كِتَابٍ لَهُ كَتَبَهُ عَلَى لِسَانِ سُلْطَانِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ يَحْمِلُهُ فِي الْبَابِ الْخَامِسِ
مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي ، فَلْيَرَا جَعَلْتُهُ ، وَنَصَّ حَلَّ الْحَاجَةِ مِنْهُ
هُنَا : ثُمَّ كَانَ النِّزْوُ إِلَى أُمِّ الْبِلَادِ ، وَمَثْوَى الطَّارِفِ وَالْتِلَادِ
قُرْبَةِ ، وَمَا قُرْبَةُ ؟ الْمَدِينَةُ الَّتِي عَلَى عَمَلِ أَهْلِهَا فِي
الْقَدِيمِ ، بِهَذَا الْإِقْلِيمِ ، كَانَ الْعَمَلُ ، وَالْكَرْبِيُّ الَّذِي
بِمَصَاهِ رُغْيَ الْأَهْلِ ، وَالْمَضْرُ الَّذِي لَهُ فِي خِطَّةِ الْمَعْمُورِ

(١) الجنائب ، جمع جنوب : وهي ريح تعال من الشمال وتأتي عن عين القبلة

أوما استقبلك عن شمالك اذا وقعت في القبلة « أحمد يوسف نجاني »

النَّاقَةُ وَالْجَمَلُ^(١) ، وَالْأَفْقُ الَّذِي هُوَ لِسْمِ الْخِلَافَةِ
 الْمُبَشِّمَةِ الْحَمَلِ^(٢) ، فَجَمَّ الْإِسْلَامُ فِي عُقْرِهَا^(٣) الْمُسْتَبَاحَةَ
 وَأَجَارَ نَهْرَهَا الْمُتَمِّيَّ عَلَى السَّبَّاحَةِ^(٤) ، وَغَمَّ دَوْحَهَا الْأَشْبَ
 بَوَارًا^(٥) ، وَأَدَارَ الْمَحَلَّاتِ^(٦) بِسُورِهَا سِوَارًا ، وَأَخَذَ بِمَخْنِقِهَا
 حِصَارًا ، وَأَعْمَلَ النَّصْرَ بِشَجَرَةٍ^(٧) أَصْلُهَا أَجْتَاءَ مَا شَاءَ
 وَأَهْتَصَارًا^(٨) ، وَجَدَّلَ مِنْ أَبْطَالِهَا مَنْ لَمْ يَرْضَ أَنْجَحَارًا^(٩) ،

(١) يرى أنه له كل شيء عكس التلذذ للشهور : لاناقة له ولا جمل . وفي
 الأصل « وللصر المعمور الذي في خطه الناقه الخ » وفي ذلك نقص
 وتحريف قديق القاري . مع في - برة (٢) تحمل الشمس في برج الحمل أول
 فصل الربيع أطيب الأزمنة وشبابها (٣) عقرة النار وعقرها : وسطها
 وأصلها ، وهو محلة القوم ، وفي الحديث ملغزى قوم في عقر دارهم الا ذلوا
 (٤) في الأصل « المعنى عن السباحة » وهو تحريف مفسد « أحمد يوسف نجاني »
 (٥) أشب الشجر « كفرح فهو أشب » وتأشب اذا انف وكثر حتى
 صعب المجاز فيه - وموضع أشب وغيسة أشبة : كثيرة الشجر للتلذذ المشتبك
 (٦) محلة القوم : مغزله . وفي الجزء الرابع من النفع « الطبعة القديمة » وأدار
 الكلمة (٧) أو « بشجر نعلها » (٨) هصر التصن ونحوه واهتصره : كسره ،
 أوجذب وأماله وكسره من غير بينونة وانفصال - والاهتصار أيضا سقوط
 التصن على الأرض - وفي أصل الرسالة « الباب الخامس من القسم الثاني »
 وأعمل النصل بدل « النصر » (٩) جدله فأنجدل ونجدل اذا رماه
 وصرعه على الجدالة : أي الأرض - والانجحار مجاز عن الاستكانة والخصوع
 وأصله الدخول في الجحر والاتجاء اليه ، والمجهر : للضطر للجأ

فَأَصَلَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ إِصْحَارًا^(١) حَتَّى قُرِعَ بَعْضُ جِهَاتِهَا
غِلَابًا جِهَارًا ، وَرُفِصَتِ الْأَعْلَامُ إِعْلَامًا بِعِزِّ السُّلْطَانِ وَإِظْهَارًا .
فَلَوْلَا اسْتِهْلَالُ الْفَوَادِي^(٢) وَأَنْ أُنَى الْوَادِي ، لَأَفْضَتَ إِلَى
فَتْحِ الْفَتْوحِ تِلْكَ الْمَبَادِي ، وَلَقَضَى تَقْضَاهُ^(٣) أَلْمَا كَيْفُ
وَالْبَلَادِي . اُنْتَهَى .

« وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ لِسَانُ الدِّينِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي
وَصَفِ هَذِهِ الْغَزْوَةِ لِسُلْطَانِ بَنِي مَرْيَنَ عَلَى لِسَانِ صَاحِبِ
الْأَنْدَلُسِ مَا صُورَتْهُ » : الْمَقَامُ الَّذِي نَطَّالِعُهُ بِأَخْبَارِ الْجِهَادِ ،
وَنَهْدِي إِلَيْهِ عَوَالِي الْعَوَالِي صَحِيحَةَ الْإِسْنَادِ^(٤) ، وَنُبَشِّرُهُ
بِأَخْبَارِ الْفَتْحِ الْبَعِيدِ الْآمَادِ ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ دَوَامَ
الْإِسْنَادِ وَتَوَالِي الْإِمْدَادِ ، وَنَرْتَقِبُ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ
تَكْثِيفًا^(٥) يَخْرِقُ حِجَابَ الْمُعْتَادِ ، وَأُمْتِمَامًا يُطْلِعُ بِآفَاقِ

(١) أصحح بالامر : أظهره وجاهر به مكاشفة (٢) استهل الطر : كثر واشتد
انصبابه وارفع صوت وقعه ، والفوادي : جمع غادية وهي السحابة - تنشأ غدوة ،
والغادية : مطرة النداء (٣) أصل التفت التلصك من مناسك الحج ، والمبارة
مقبسة من قوله تعالى : « ثم ليقتضوا نفهم » يعني قضاء حاجاتهم من
الحلق والتنظيف وغير ذلك (٤) توجيه من مصطلح الحديث يريد وتغيره
بالأعمال العظيمة التي أتت بها قوفا للملاح والاسلام على حقيقتها هوية عظيمة
(٥) هذا أصله من استعمال للتكليفين فقد اشتقوا فضلا من « كيف »

الِيلَادِ نُجُومٌ غُرَرِ الْجِيَادِ^(١)، وَفَتَحَ أَبْوَابَ الْفَتْوحِ بِأَقَالِيدِ^(٢)
 السُّيُوفِ الْجِدَادِ، وَنُبِنِي عَنْ مَكَارِمِ مَنْ سَلَفَ مِنْ الْأَبَاءِ
 الْكَرَامِ وَالْأَجْدَادِ، مَقَامَ مَحَلِّ أَخِينَا الَّذِي نَسْتَفْتِحُ لَهُ
 بِالْفَتْحِ وَالظُّهُورِ^(٣)، وَنَهْدِي إِلَى مَجْدِهِ لِمَا نَعْلَمُ مِنْ فَضْلِ
 نَيْتِهِ وَحُسْنِ قَصْدِهِ لَطَائِفِ الشُّرُورِ، وَنَسْتَظْهِرُ بِعِلْمِكَ
 الْمُؤَيَّدِ الْمُؤَمَّلِ وَمَجْدِهِ^(٤) الْمَشْهُورِ، وَتَوَعَّدُ مِنْهُمَا الْمَدُورِ
 بِالْجَبِيبِ الْمَذْخُورِ وَالْوَلِيِّ الْمَنْصُورِ، السُّلْطَانَ «الْكُذَاءِ»
 ابْنَ السُّلْطَانَ «الْكُذَاءِ» ابْنَ السُّلْطَانَ «الْكُذَاءِ»، أَبَقَاهُ اللَّهُ
 تَعَالَى عَلَى الْقَدْرِ، قَرِيرَ الْعَيْنِ مُنْشِرِحَ الصَّدْرِ، وَلَا زَالَ
 حَدِيثُ فَخْرِهِ سَائِرًا مَسِيرَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ، مُعَظَّمُ^(٥) سُلْطَانِهِ
 اِتِّخِلِينَ بِالتَّعْظِيمِ، الْوَاقِقُ مِنْهُ بِالْفَخْرِ الْكَرِيمِ، اَلْمُثَنَّى
 عَلَى مَجْدِهِ الصَّعِيمِ، وَفَضْلِهِ الْعَمِيمِ، أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ عَبْدُ اللَّهِ

فقالوا كيفه فتكيف ، وكيفية ، فهو كلام مولودان أجروه على قياس
 كلام العرب - يريد هنا صنما يدبره الله كيف يشاء وطريقا عظيما غير مألوف
 (١) شبه غرة الجواد بالنجم في بياضها واشراقها (٢) جمع اقليد وهو للفتح
 (٣) من قوله تعالى : «ان تفتحوافقد جاءكم الفتح» ، والظهور : التبر
 والغلبة (٤) في الاصل «ونجده» يريد مجده : سيفه، وشهره السيف : استلهم من
 غمد موشره : انتزاه ليضرب به ، وفي «الشهور» توريت ظاهرة. وفي بعض
 للراجع «مجده» بدل «حده» (٥) في الاصل «عظم» ولا بأس به اولا لكي وجدت

الَّتِي بِاللهِ مُحَمَّدٌ^(١) بْنُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْحُجَّاجِ ابْنِ أَمِيرِ
الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ قَرَجٍ بْنِ نَصْرِ . سَلَامٌ
كَرِيمٌ ، بَرٌّ عَمِيمٌ ، يَخُصُّ مَقَامَكُمْ الْأَعْلَى ، وَأُخُوَّتَكُمْ
الْفُضْلَى ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ . أَمَّا بَعْدُ فَحَدِّثْ رَبُّ الْعِبَادِ
وَمُلُوكِهِمُ الرُّشَادِ ، وَمُكَيِّفِ الْإِسْعَافِ وَالْإِسْعَادِ ، أَلْوَلِيَّ
النَّصِيرِ الَّذِي نُنْقِي إِلَى التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ مَقَالِيدَ الْإِعْتِمَادِ ،
وَنَمُدُّ إِلَى إِنْجَادِهِ وَإِمْدَادِهِ أَيْدِيَ الْإِعْتِدَادِ ، وَرَفَعَ إِلَيْهِ
أَكْفُ الْإِسْتِمْدَادِ ، وَنُخْلِصُ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ عَمَلِ

لسان الدين في كثير من رسائله في مثل هذه المقامات يلتزم هذا الأسلوب
وذلك النظام، فيبدأ بقوله «للقام الخ» ويصفه بما يناسب، ثم يخبر عنه بقوله
«مقام محل أخينا أو أينا» كما يقتضيه نزله للرسالة، ويصفه بما يستدعيه
اللقام، ثم يبدأ محدثا عن المرسلة التي كتب الرسالة على لسانه بقوله: «معظم
سلطاناه أو نحو ذلك» - انظر كتاب الاحاطة والاستقصاء - أحمد يوسف نجاشي
(١) كانت ولايته بعد وفاة أبي الحجاج يوسف بن اسمعيل سنة ٧٥٥
واستمر حتى توفي سنة ٧٩٨ وقويت شوكته وتوطدت دعائم ملكه
لاختلاف ملوك الأسبان وقيام بعضهم على بعض - ولقد أحسن النبي بالله
في انتهاز هذه الفرصة، فاسترد بحسن سياسته كثيرا من البلاد التي كان
الأسبانيون قد استولوا عليها من قبل «وكانوا قد استولوا على قرطبة
سنة ٦٣٣ الموافقة سنة ١٢٣٦ م أخذها فرديناند الثالث ملك قشتالة المسمى
«سان فرديند» وهو الذي استولى أيضا على مدينة اشبيلية سنة ٦٤٦
الموافقة سنة ١٢٣٦ م وقلعه الأمر من قبل ومن بعد - أحمد يوسف نجاشي»

الْجَهَادِ ، فَتَعْرِفُ عَوَارِفَ الْفَضْلِ الْمُرْدَادِ ، وَتَجْتَنِي عِمَارَ
النَّصْرِ مِنْ أَغْصَانِ الْقَنَا التَّنَادِ ^(١) ، وَتَجْتَلِي وَجْهَ الصَّنْعِ
الْوَسِيمِ أَبْهَرَ مِنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ الْبَادِ ، وَتَنْظُرُ بِالنَّعِيمِ
الْمَاجِلِ فِي الدُّنْيَا وَالنَّعِيمِ الْآجِلِ يَوْمَ قِيَامِ الْأَشْهَادِ ،
وَتَقِفُ ظِلَالِ الْجَنَّةِ مِنْ تَحْتِ أَوْزَاقِ السُّيُوفِ الْحِدَادِ .
وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْهَادِ ،
رَسُولِ الْمَلْحَمَةِ الْمُؤَيَّدِ بِالْمَلَائِكَةِ الشُّدَادِ ، وَنَبِيِّ الرَّحْمَةِ
الْهَامِيَةِ الْهَادِ ^(٢) ، أَكْرَمَ الْخَلْقِ بَيْنَ الرَّائِحِ وَالْفَادِ ،
ذِي اللِّوَاءِ الْمَقْشُودِ ، وَالْخَوْضِ الْمَوْزُودِ ، وَالشَّفَاعَةِ فِي يَوْمِ
التَّنَادِ ^(٣) ، الَّذِي يَجَاهِهِ تَجْدَعُ أَنْوْفُ الْآسَادِ يَوْمَ الْجِلَادِ ،
وَيَبْرِكُ كَتَبُهُ نَنَالَ أَقْصَى الْأَمَلِ وَالْمُرَادِ ، وَفِي مَرْضَاتِهِ نَصْلُ
أَسْبَابِ الْوِدَادِ ، فَتَعُودُ بِالتَّجْرِ الرَّابِعِ مِنْ مَرْضَاةِ رَبِّ

(١) من قول ابن هاني الأندلسي :

وجنيت ثمر الوقائع يانما بالنصر من ورق الحديد الأخضر
واناد : اعوج ، وانما تناد القنا لكثرة إعمالها وطول الطعن بها
وفي بعض المراجع « اللياد » (٢) الهاد : مطر بعد مطر يدرك آخره بل
أوله فلا يزال يتعاهد الأرض بسببه (٣) يوم التناد « التنادي » هو يوم
القيامة حين ينادي الخلق بعضهم بعضاً ، فينادي فيه أهل الجنة أهل النار .

الْعِبَادِ ، وَتَسْتَوِي فِي مَيْدَانِ السَّعَادَةِ الْمُعَادَةِ عَلَى الْآمَادِ ،
وَالرَّضَا عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَنْصَارِهِ وَحِزْبِهِ الْكَرَّمَاءِ الْأَعْبَادِ ،
دَعَائِمِ الدِّينِ مِنْ بَعْدِهِ وَهُدَاةِ الْعِبَادِ ، أَنْجَادِ^(١) الْأَنْجَادِ
وَأَسَادِ الْأَسَادِ ، الَّذِينَ ظَاهَرُوا فِي حَيَاتِهِ بِالْحُلُومِ الرَّاجِحَةِ
الْأَطْوَادِ ، وَالْبَسَالَةِ الَّتِي لَا تُنَالُ بِالْمَدَدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَالْإِعْدَادِ ، حَتَّى بَوَّهُوا^(٢) الْإِسْلَامَ فِي الْقَوَاعِدِ الشَّهِيرَةِ
وَالْبِلَادِ ، وَأَرْغَمُوا أَنْوَفَ أَهْلِ الْجَحْدِ وَالْإِلْحَادِ ، فَأَصْبَحَ
الدِّينُ رَفِيعَ الْعِمَادِ ، مَنْصُورَ الْمَسَاكِرِ وَالْأَجْنَادِ ، مُسْتَضِيبَ
الْعِزِّ فِي الْإِصْدَارِ وَالْإِيرَادِ . وَالْدُّعَاءُ لِمَقَامِكُمْ الْأَعْلَى بِالسُّعْدِ
الَّذِي يُغْنِي عَنْ اخْتِيَارِ الطَّوَالِعِ وَتَقْوِيمِ الْمِلَادِ ، وَالنَّصْرِ
الَّذِي تُشْرِقُ أَنْبَاؤُهُ فِي جُنْحِ لَيْلِ الْمَدَادِ^(٣) ، وَالصَّنْعِ الَّذِي

(١) الانجاء: جمع نجدة وهو الشجاع للماضي فيما يعجز عنه غيره ، والشديد
البأس ، والسريع الاجابة الى ما دعى اليه (٢) أنزلوه وأسكنوه (٣) يريد
في الصحف للكتابة ، وهو من قول أبي الطيب :

دعاني اليك العلم والحلم والحجا وهذا الكلام النظم والنائل النثر
وما قلت من شعر تكاد يبيوته اذا كتبت يبيض من نورها الجبر

وهو من قول ابن الرومي :

تُشْرَعُ^(١) لَهُ أَبْوَابُ التَّوْفِيقِ وَالسَّدَادِ ، مِنْ حَمَرَاءِ غَرْفَانَةِ
 - حَرَمَهَا اللَّهُ - وَالْيُسْرُ قَدْ وَطَأَ الْمَهَادَ ، وَالْخَيْرُ وَاضِحٌ
 الْإِشْهَادِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي الْمَبْدِ وَالْمَعَادِ ، وَالشُّكْرُ لَهُ
 عَلَى آيَاتِهِ الْمُتَّصِلَةِ التَّرْدَادِ ، وَمَقَامِكُمْ الْفَخْرُ الْكَافِي
 الْعَتَادِ^(٢) ، وَالْمُرَدُّ^(٣) الْمُتَكَفَّلُ بِالْإِنْبَادِ . وَإِلَى هَذَا
 وَصَلَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ ، وَحَرَسَ مَجْدَكُمْ ، وَوَالَى نَصْرَكُمْ
 وَعَصَدَكُمْ ، وَعَدَدَكُمْ وَعُدَدَكُمْ ، وَبَلَّغَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ الْعَمِيمِ
 أَمَلَكُمْ وَقَصَدَكُمْ ، فَإِنَّا نُؤْتِرُ تَعْرِيفَكُمْ بِتَأْفِهِ التَّمَرِيدَاتِ ،
 وَنُورِدُ عَلَيْكُمْ أَشْتَاتَ الْأَحْوَالِ الْمُتَجَدِّدَاتِ ، إِقَامَةً
 لِرِسْمِ الْخُلُوصِ فِي التَّعْرِيفِ بِمَا قَلَّ ، وَمَوَدَّةَ خَالِصَةٍ فِي

ولمحيك قلبها سائرات هذبت فيك أيما تهذيب

سودت فيك كل بيضاء تسويدات آتاه السيون كالتهذيب

وقد فرع الشعراء من ذلك معاني جمّة ، وولّدوا أخيلة بديعة ، مثل قوله :

حكمت معانيه في أثناء أسطره آتارك البيض في أحوال السود

وتخيّل اضاءة اللداد أو اشراق اللعاني في سواده من تجسيم للعاني لايضاها

وللبالغة في معانيها « أحمد يوسف نجاشي »

(١) أشرع الباب الى الطريق اذا فتحه (٢) العتاد: العدة لأمريعاتهيه ،

وتدعاه له من قوة، وما أعد من سلاح وآلة حرب ونحو ذلك (٣) كذا

بالأصل ، ولله عرف عن « اللورد » أو « المراد » « أحمد يوسف نجاشي »

اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ التَّعْرِيفُ بِمَا هَتَرُ لَهُ
مَنَابِرُ الْإِسْلَامِ ^(١) أَرْثِيًا لَوُزُودِهِ ، وَتَنْشِرُحُ الصُّدُورُ مِنْهُ
لِمَوَاقِعِ فَضْلِ اللَّهِ وَجُودِهِ ، وَالْمُكَيِّفَاتِ ، الْبَدِيعَةِ الصِّفَاتِ .
فِي وَجُودِهِ ؛ وَهُوَ أَنَّنَا قَدَمْنَا إِغْلَامَكُمْ بِمَا نَوَيْتَاهُ مِنْ
غَزْوِ مَدِينَةِ قُرْطَبَةَ أُمِّ الْبِلَادِ الْكَافِرَةِ ، وَمَقَرِّ الْحَاكِمَةِ
الْمَشْهُورَةِ ^(٢) وَالْخَيْرَاتِ الْوَافِرَةِ ، وَالْقَطْرِ الَّذِي عَهْدُهُ بِالْإِسْلَامِ
الْإِسْلَامِ مُتَقَادِمٌ ، وَالرُّكْنِ الَّذِي لَا يَتَوَقَّعُ صَدَمَةَ صَادِمٍ ،
وَقَدْ اشْتَمَلَ سُورُهَا مِنْ زُعْمَاءِ مِلَّةِ الصَّلِيبِ عَلَى كُلِّ رَئِيسٍ
نَيْسٍ ^(٣) ، وَهَزَبِ رِخِيسٍ ^(٤) ، وَذِي مَكْرٍ وَتَلْيِيسٍ ^(٥) ،
وَمَنْ لَهُ سِمَةٌ تُذَيِّعُ مَكَانَهُ وَتُسَيِّمُهُ ، وَأَتْبَاعُ عَلَى الْمَنْشِطِ
وَالْمَكْرُوهِ ^(٦) نُطِيعُهُ ، فَاسْتَدْعَيْنَا الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَقَاصِي

(١) من قول الشاعر :

وتهتز أعواد للنابر باسمه فهل ذكرت أيامها وهي أغصان
(٢) في الأصل للشهودة ، ولا بأس بها أيضا (٣) قوى شديد ، من البأس
وهو الشدة في الحرب (٤) المزبر : الأسد ، والغليظ الضخم ، والشديد الصلب
والخيس : الأجمة وموضع الأسد ، والشجر الكثير للثف ، وفي بعض النسخ
« الخيس » (٥) التلييس : التخليط والتدليس « الشمس والخباع والمكر »
(٦) كذا بالأصل ، وأراها محرفة عن « المكره » والنشط : مغل من

الْبِلَادِ ، وَأَذَعْنَا فِي الْجِهَاتِ قَبِيرَ الْجِهَادِ ^(١) ، وَتَقَدَّمْنَا إِلَى النَّاسِ بِسَمَةِ الْأَزْوَادِ ^(٢) وَأَعْطَيْنَا الْحَرَكَهَ الَّتِي يُخَلِّفُ ^(٣) الْمُسْلِمُونَ فِيهَا وَرَأَاهُمْ جُهْورَ الْكُفْرِ مِنَ الْأَطْفَارِ وَالْأَعْدَادِ حَقَّهَا مِنْ الْأَسْتِعْدَادِ ، وَأَفْضَنَّا ^(٤) الْمَطَاءَ وَالْأَسْتِلْحَاقَ وَالْأَسْتِرْكَابَ فِي أَهْلِ النَّعَاءِ وَأَبْطَلَالِ الْجِهَادِ وَالْجِلَادِ ، فَخَشِرَ أَنْتَلَقُ فِي صَبِيدٍ ، وَأَخَذُوا الْأَهْبَةَ وَالزَّيْنَةَ فِي عِيدٍ صَبِيدٍ ، وَتَمَلَّ الْأَسْتِدْعَاءُ كُلَّ قَرِيْبٍ وَبَعِيدٍ ، عَنْ وَعْدٍ وَوَعِيدٍ ، وَرَحَلْنَا وَفَضِّلُ

النشاط وهو الأمر الذي ينشط له ويخف إليه ويؤثر فيه - والمكره من الكراهة ضد للنشط « أى الذى تكرهه النفس ولا تترشح الى عمله » ويشق عليها القيام به، وهما مصدران بمعنى النشاط والكراهية - وأصل ذلك حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه : « بايتم رسول الله ﷺ على للنشط والمكره » أى على كل عمل وأمر تحبه النفس وتنشط له، أو تكرهه ويشق عليها « أحمد يوسف نجاشى »

(١) التغير والتفرق : القوم ينفرون معك اذا حزبك أمر - واستنفرهم فنفروا معه أى نصروه ومدوه وأعانوه - وفى الحديث اذا استنفرتم فانفروا أى استنجذتم واستنصرتم - أى اذا طاب منكم النجدة والنصرة فأجيبوا وانفروا خارجين الى الاعانة . واستنفر الامام الرعية : كلمهم أن ينفروا خفافا وثقالا (٢) جمع زاد وهو ما يمد من طعام ومتاع ونحوه بما يحتاج اليه (٣) فى بعض النسخ « تخلف » (٤) فى الأصل « وأقمينا » وهو تصحيف . « أحمد يوسف نجاشى »

أَقْبَهُ شَامِلٌ، وَالتَّوَكَّلْ عَلَيْهِ كَافٍ كَافِلٌ، وَخَيْمَنَا بَظَاهِرِ الْحَضَرَةِ
حَتَّى اسْتَوْفَى النَّاسُ أَرْبَابَهُمْ، وَأَسْتَكْمَلُوا أَمْرَ آبِهِمْ^(١)، وَدُسْنَا
مِنْهُمْ بِلَادَ النَّصَارَى بِمُجْمُوعِ كَثَرِهَا اللَّهُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَأَنَامَاهَا، وَأَبْعَدَ
فِي الْتِمَاسِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَجْرِ مُتَمَّعًا. وَعِنْدَ مَا حَلَلْنَا «قَاسِرُهُ»^(٢)
وَجَدْنَا السُّلْطَانَ «دُونِ بَطْرُهُ»^(٣) مُؤَمَّلَ نَصْرِنَا وَإِجَادِنَا،

(١) أو «أسبابهم» (٢) في معجم ياقوت «قاسره» بدلالة الشين راسمضومة
وهامسا كنة التي سا كنان الالف والشين فيه ، من أقاليم لبله و « لبله »
بالجنوب الغربي من أسبانيا على نهر يصب بالبحر عند جزيرة شلطيلى ،
وكانت قسبة كورة كبيرة يعمل عملها يعمل أ كسونية وهى شرقاً كسونية
وغرباً قرطبة وبينها وبين قرطبة على طريق اشبيلية ٤٤ فرسخا
(٣) خلاصة هذه اللوحة أن السلطان النخى بالله ابن الأحمر لما استولى
على عرش ملوكه بالجزء كان ممنعا بالظهور والعظمة والتعرف والعزة على
الجلالة وسائر ملوك الأسبان وعلى ملوك المغرب بما نال دولهم من المهرم
بل بديب الشقاق والخلاف بين ملوك الأسبان ، وكانت أسبانيا في القرن
الثالث عشر الليلاى « السابع المجرى » تنقسم الى خمس ممالك ، وهى
ناصار ، وأراغون ، وقشتالة ، وغرناطة ، والبرتغال - وكانت قشتالة أقوى
تلك الممالك ، وكانت تشمل قشتالة وليون وجليقية « غاليسيا » - ولاتوفى
ملكها القونى الحادى عشر سنة ١٣٥٠ م للواقفة سنة ٧٥١ هـ قام بالأمر
بعده « البون بطره » اللقب بالناقى والجاسى ، وكان جبارا عنيدا وغشوما
جائرا سفاكا لادماء منهمكا فى لذاته وشهواته حتى كان ذلك سببا فى أن
انقض على أهل مملكته وشمواملكته ، ولكنه تمكن من خراج عليه

ولما استراح منهم ومرد بهم من خلفهم اشتبك في حرب شعواء مع مملكة
أراغون ، فانضم الى أعدائه من كان ينقم عليه من أهل مملكة قشتالة ،
وتلظت نار الفتنة والحلاف بين الملكين ، وبعد حوادث دامية وخطوب
قاسية انتهى الأمر بهما الى الصلح على شرط أن يتزوج «الدون بطره»
ملك قشتالة ابنة «الدون بطره» ملك أراغون ، وأن يقترب ولي عهد
أراغون بابنة ملك قشتالة - وكان بين ملك قشتالة وأخيه «الدون أزيك»
خلاف شديد وفتنة نائرة ، ويمكن أخوه بمعونة فرسة أن يستوى على
عرش قشتالة ملكا ، فالتجأ «دون بطره» الى انجلترا فنصرته وثبتت
قدمه في مملكته وأعدت اليه ملكه ، وهزم أخوه في معركة نافاريت
فالتجأ الى حاميته فرنة ، وأبت طباع «دون بطره» وما جبل عليه
الا أن يصرف عنه عطف انجلترا حتى طالبته بنفقات الحرب وتقاضته
ثمان النصر ، فأخذ يطوف طاغيا في البلاد ، ويكثرفها العيث والفساد ، مستوليا
باراقة السماء على الأموال ، حتى ضاعف اضرار الصدور عليه ، فأنحاز أهل
قشتالة الى أخيه وشدوا عضده ، ونهضت أكثر المدن بدعوته ، وعهد
«دون بطره» الى حليفه الثنى بالله ابن الأحمر خناصر مدينة قرطبة -
وكانت من المدن التي استجابت الى دعوة أخيه - وشدد الجيشان عليها
الحصار «وذلك سنة ٧٦٨ هـ» وأخذت القوتان عليها بالآفاق ، وهجم
للسلمون على أسوارها فاحتلوا بعض بروجها ، غير أن القرطبيين صدقوا
في الكرة على المحاصرين واستأنوا في مدافعهم فكشفوهم ونفسوا عن
أنفسهم . فأتزعع الجيشان المودة ، واتهمز الثنى بالله هذه الفرصة وعرف
كيف ينتفع بهذه الفرسة من الأسبانيين ، فجال في بلادهم منتقيا منهم
ودخل بساكر المسلمين بلادهم ، فأنجحن في أرضهم ، وخرب معاقهم ، وهم
ما قدر عليهم من مدتهم ، واستعاد بعض الحصون ، واكتسح مدينة جيان
وأبنة وغيرها من المدن والأصهار التي كانت محالفة للدون أزيك أخي
الدون بطره ، ثم عاد الى غرناطة غامعا ، واستمرت الفتنة ناشبة بين الأخوين
وبعد حوادث تمكن «الدون أزيك» من الفتك بأخيه سنة ١٣٦٩ م

وَمُسْتَعِيدَ حَظِّهِ فِي مَوَاقِعِ^(١) جِهَادِنَا ، وَمُقْتَضَى دِينِ كَذِبِهِ
بِإِعَانَتِنَا إِيَّاهُ وَإِنْجَادِنَا ، قَدْ نَزَلَ بِظَاهِرِهَا فِي مَحَلَّاتٍ يَمُنُّ
أَسْتَفْرَ عَلَى دَعْوَتِهِ ، وَتَمَسَّكَ بِطَاعَتِهِ ، وَشَبَّهَ حُكْمَ جَمَاعَتِهِ ،
فَكَانَ لِقَاؤُنَا إِيَّاهُ عَلَى حَالٍ أَقْرَبَ عُيُوفِ الْمُسْلِمِينَ
وَتَكْفَلَتْ بِإِعْزَازِ الدِّينِ . وَمُجْمَلُهَا يُغْنِي عَنِ التَّيْمِينِ ،
وَالْفَرَحِ وَالتَّيْمِينِ . وَرَأَى هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فِي وَفُورِ جَيْشِ اللَّهِ
مَا هَالَهُمْ ، وَأَشَكَّ فِي حَالِ الْبَقِيَّةِ خِيَالَهُمْ ، مِنْ مُجُوعٍ تَسُدُّ
الْفَصَا ، وَأَبْطَالَ تَقَارُعِ أَسَدِ الْفَقَى ، وَكَتَائِبَ مَنْشُورَةٍ ،
وَرَايَاتٍ مَنْشُورَةٍ ، وَأُمَمٍ مُحْشُورَةٍ ، تَفْضُلُ عَنْ مَرَأَى الْعَيْنِ ،
وَتُرْدِي الْمَدْوُ فِي مَهَاوِي الْخَلِينِ ، فَاعْتَرَفُوا بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي
حِسَابِهِمْ ، وَأَعْتَبَرُوا فِي عِزَّةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أُولُو الْأَبَابِهِمْ ، وَإِذَا
كَثُرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَدَدُ تَمَّ وَزَكَ ، وَإِذَا أَزَاحَ الْعِلَلُ مَا اعْتَدَرَ

الواقعة سنة ٧٧٠ هـ وخلص الملك له . وهدأت أحوال ابن الأحمر هذوا ما
قاتهم لم يجتنبوا غار هذا النصر للتأخر إلا إلى أجل ، فقد كان داء الهرم أخذ
يتمكن ، وأخذ الفتق يتسع على الرافع ، وبقي الذنب واستوصل الرأس ،
وتصدع البناء بعد أن وهن منه الأساس ، وتلك الأيام تداولها بين الناس
« أحمد يوسف نجاتي » - (١) في بعض النسخ « من لواحق » بدل
« في مواقع »

غَارٍ وَلَا شَكَا . وَسَالَتْ مِنَ الْعَدِ الْأَبَاطِحُ بِالْإِعْرَافِ ^(١) ،
 وَسَمَتْ الْهُوَادِي إِلَى الْإِسْتِشْرَافِ ^(٢) ، وَأَخَذَ التَّرْتِيبُ حَقَّهُ
 مِنَ الْمَوَاسِطِ الْجِهَادِيَّةِ وَالْأَطْرَافِ ، وَأَخْكَمَتِ التَّنْمِيَّةُ
 الَّتِي لَا تَرَى الْعَيْنُ فِيهَا خَلَلًا ، وَلَا يَجِدُ الْإِعْتِبَارُ عِنْدَهَا
 دَخَلًا ^(٣) ، وَكَانَ التَّزُولُ عَلَى فَرَسٍ مِنْ عُذْوَةِ النَّهْرِ الْأَعْظَمِ
 مِنْ خَارِجِ الْمَدِينَةِ - أَنْجَزَ اللَّهُ تَعَالَى وَعَدَمَارَهَا ، وَأَعَادَهَا
 إِلَى عَهْدِهَا فِي الْإِسْلَامِ وَشِعَارِهَا ، وَمَحَا ظِلَامَ الْكُفْرِ مِنْ
 آفَاقِهَا بِمِلَّةِ الْإِسْلَامِ وَأَنْوَارِهَا - وَقَدْ بَرَزَتْ مِنْ حَامِيَّتِهَا

(١) كذا بالأصل ويجوز أن يكون محرفاً عن « الاعراف » جمع عرف وهو في الأصل شعر عنق الفرس ، وقيل هو منبت الشعر والريش من العنق ، واستعمله الأصمعي في الانسان فقال : جاء فلان مبرئاً للشعر أى نافذا عرفه - يريد كاتب الرسالة أن الوادي قد غص بالحيل والفرسان ، وهو من قول الأول : وسالت بأعناق للطي الاباطح . « أحمد يوسف نجاتي »
 (٢) الهادي : للتقدم من كل شيء ، وبه سمي العنق هادياً لتقدمه على سائر البدن ، وجمعه الهوادي - يقال أقبلت هوادي الحيل اذا بدت أعناقها ، والهوادي من الابل : أول رجيل يطلع منها لأنها للتقدمة - واستشرف الشيء اذا رفع بصره اليه وبسط كفه فوق حاجبه كالاستظل من الشمس يتأمل وينظر (٣) أى عيباً وفساداً وقد تكون « الاعتبار » محرفة عن « الاختبار » « أحمد يوسف نجاتي »

شَوْكَةً^(١) مَابِئَةُ الدَّرُوعِ ، وَافِرَةُ الْجُمُوعِ ، وَاسْتَجَبَتْ
مِنْ أَسْوَارِ الْقَنْطَرَةِ الْمُطْنَى بِحَيِّ لَا يُخْفَرُ^(٢) ، وَأَخَذَ
عَقَابَهَا^(٣) مِنَ الْحِمَاةِ وَالْكِمَاةِ الْمَدَدَ الْأَوْفَرَ ، فَبَادَرَ إِلَيْهِمْ
سُرْعَانُ^(٤) خَيْلِ الْمُسْلِمِينَ فَصَدَّقُوهُمْ الدَّفَاعَ وَالْقِرَاعَ ،
وَالْمَصَالَ وَالْمِصَاعَ^(٥) ، وَخَالَطُوهُمْ هَبْرًا بِالسُّيُوفِ ،
وَمُبَاكَرَةً بِالْخُتُوفِ ، فَتَرَ كَوْمُهُمْ حَصِيدًا ، وَأَذَاقُوهُمْ وَبَالًا
شَدِيدًا ، وَجَدَلُوا مِنْهُمْ جُمْلَةً وَافِرَةً ، وَائِمَّةً كَافِرَةً ،
وَمَلَكَوْا بَمِضِ تِلْكَ الْأَسْوَارِ فَارْتَقَعَتْ بِهَارِ أَيْمُهُمْ ائْتِلَافَةٌ ،
وَوَظْهَرَتْ عَلَيْهَا عِزُّ مَاتِهِمُ الصَّادِقَةُ ، وَأَقْتَحَمَ الْمُسْلِمُونَ الْوَادِي
سَبْحًا^(٦) فِي غَمْرِهِ ، وَأَسْنَهَانَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْرِهِ ، وَخَالَطُوا

(١) الشوكة : السلاح ، وحدته ، والقوة (٢) أخفر القمة اذا لم
يف بها واتسكها - وأخفر الرجل : نقض عهده وضمائه ، واستجن :
استروا تقي . وفي الأصل استجعت وهو تحريف عن استجبت واحتمت
(٣) كذا بالأصل ، ولعله جمع عقبة يريد بها الأمان الصلبة - وفي بعض
للراجع « وأخذ أعقابها بها » (٤) جمع سريع . (٥) صال على قرنه
سطا وحمل عليه ، - ومصاعه ، ماصعة ومصاعا : قاتله وجالده بالسيف وصاع
الشجاع أقرانه وغيرهم صوعا ، ومصاعا اذا جاءهم من نواحيهم وحازهم
وجمعهم من كل ناحية - وصاع القوم : حمل بعضهم على بعض (٦) كانت
في الأصل « سيجا » وآثرت أن تكون محرفة عن « سبعا » كما يدل

حَامِيَةَ الْمَدُونِ فِي ضَفَّتِهِ فَاقْتَلَمُوها، وَتَعَلَّقُوا بِأَوَائِلِ الْأَسْوَارِ
 قَرَعُوهَا^(٣)، فَلَوْ كُنَّا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى عَزَمٍ مِنْ الْقِتَالِ،
 وَتَبْسِيرِ آيَاتِ وَتَرْتِيبِ الرُّجَالِ، لَدَخِلَ الْبَلَدُ، وَمَلَكَ
 الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ، لَكِنْ أَجَارَ الْكَفَّارُ مِنَ اللَّيْلِ كَافِرًا^(٤)، وَقَدْ
 هَلَكَ مِنْهُمْ عَدَدٌ وَافِرٌ، وَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَحَلَّاتِهِمْ
 وَنَصَرَ اللَّهُ سَافِرًا، وَالزَّمُّ ظَافِرٌ. وَمِنْ الْقَدِّ خُضْنَا الْبَحْرَ
 الَّذِي جَعَلْنَا الزَّمَّ فِيهِ سَفِينًا، وَالتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ لِلْبَلَاغِ
 ضَمِينًا، وَتَزَلْنَا مِنْ صِفَةِ^(٥) الْقَوَى الْمَزِيزِ مَنْزِلًا عَزِيْزًا مَكِينًا،
 بِحَيْثُ يُجَاوِزُ سُورَهَا طُنْبُ^(٦) الْقِيَابِ، وَتُصِيبُ دُورَهَا مِنْ
 بَيْنِ الْخَلِيمَاتِ بَوَارِقُ النُّشَابِ، وَبَرَزَتْ حَامِيَتُهَا عَلَى مُتَعَدِّدَاتِ
 الْأَبْوَابِ، مُقِيمَةً أَسْوَاقَ الطُّعْمَانِ وَالضَّرَابِ، فَأَبَتْ بِصَفْقَةِ

عليه السياق ويقتضيه المعنى « أحمد يوسف نجاشي » (١) أي علوها (٢) أي
 سائر وفيه تورية ، والكافر : الليل لأنه يستر بظلامه كل شيء - ومن
 لطائف البها زهير مخاطبا الليل :

لي فيك أجز مجاهد ان صح أن الليل كافر

(٣) كذا بالأصل ، وفي بعض المراجع « من ضفته القصوى » بدل من صفة
 القوى المزيز ، وهذا ظاهر واضح (٤) الطنب : جبل يشد به الحبال
 والسرايق ، ويصح أن يكون « يجاوز » محرفة عن يجاور - وفي
 بعض المراجع « وزلنا من صفة القوى منزلا » الخ

الْضُرِّ وَالْتَّابِ^(١) . وَلَمَّا شَرَعْنَا فِي قِتَالِهَا ، وَرَبَّنَا أَشْتَاتَ^(٢)
الْنَّكَيَاتِ لِنَكَالِهَا - وَإِنْ كُنَّا لَمْ نَبْقَ عَلَى مُطَاوَلَةٍ نَزَالُهَا -
أَنْزَلَ اللَّهُ الْمَطَرَ الَّذِي قَدَّمَ بِمَهَادِهِ الْعَهْدُ ، وَسَاوَى النَّجْدُ
مِنْ طُوفَانِهِ الْوَهْدُ ، وَعَظُمَ بِهِ الْجَهْدُ ، وَوَقَعَ الْإِبْقَاءُ عَلَى
السَّلَاحِ ، وَالْكَفُّ بِالضَّرُورَةِ عَنِ الْكِفَاحِ ، وَبَلَغَ
الْمَقَامَ عَلَيْهَا ، وَالْأَخْذُ بِمَخْصِفَتِهَا وَالشَّوَاءُ^(٣) لَدَيْهَا ، خَمْسَةَ أَيَّامٍ
لَمْ تَخُلْ فِيهَا الْأَسْوَارُ مِنْ أَفْتِرَاحِ^(٤) ، وَلَا الْأَبْوَابُ مِنْ
دِفَاعِ عَلَيْهَا وَفِرَاحِ ، وَأَنْقَذَتْ مَقَاتِلُ السَّيِّئِ أَتْقَابًا^(٥) ،
وَأَرْقَبَ الْفَتْحُ الْمَوْعُودُ أَرْقَابًا ، وَفَشَتْ فِي أَهْلِهَا الْجِرَاحُ ،
وَالْعَيْتُ الصَّرَاحُ ، وَسَاءَ لَهُمُ الْمَسَاءُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَالصَّبَاحُ^(٦) ، وَلَوْلَا

(١) أى الهلاك والنقص والحسار المؤدى الى التهلكة (٢) أى للكثير المختلف
ونكى البدو نكايه اذا اصاب منه قتل فيه وجرح فوهن لذلك ، والنكال :
الضرب ، وما يصير به للرعية لغيره (٣) أى الاقامة (٤) من فرع الرجل في
الجل « كنع » اذا صدوعلا . وفي الأصل « افتراح » ولله من الفرع
وهو اندق والطرق (٥) في هذه الجملة قلن ولا بد انها محرفة ، وقد يكون
أصلها « وأنقذت للقاتلة في الاسوار أقبابا » أو نحو ذلك ، فتأمل حتى
تهتدى الى تحريرها - والتقب هو التقب « الحرق النافذ » وجمه أقباب
وتقب - والتقب : الطريق في الجبل (٦) من قوله تعالى : « فاذا نزل
بساحتهم فساء صباح للنفرين » .

عَائِقُ الْمَطَرِ لَكَانَ الْإِجْهَازُ وَالِاسْتِفْتَاخُ ، وَأَلَّهُ بَعْدَهَا الْقَتَاخُ .
وَهُ فِتِ الْوُجُوهُ إِلَى تَحْرِيبِ الْمُتْرَانِ ، وَتَسْلِيطِ الْتِيرَانِ ،
وَعَقْرِ الْأَشْجَارِ ، وَتَغْفِيَةِ الْأَنْهَارِ ، وَأَتَى مِنْهَا الْغَفَاءُ عَلَى
الْبِصْرِ الشَّهِيرِ فِي الْأَمْصَارِ ، وَتَرَكْتَ زُرُوعَهَا الْمَائِحَةَ ^(١)
غَبْرَةً لِلْأَبْصَارِ . وَرَحَلْنَا عَنْهَا وَقَدْ أَلَسَهَا الدُّخَانُ حِدَادًا ،
وَنَكَسَ مِنْ طُعْنَاتِهَا أَجْيَادًا ، فَاعْتَادَتْ الذَّلَّ اغْتِيَادًا ، وَأَلْفَتْ
الْهُونَ قِيَادًا ، وَكَادَتْ أَنْ تُسْتَبَاحَ عَنْوَةٌ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
جَعَلَ لَهَا مِيْعَادًا ، وَأَتَى الْقَتْلُ مِنْ أَبْطَالِهَا ، وَمَشَاهِيرِ رِجَالِهَا ،
مِنْ يُبَارِزُ وَيُنَاطِحُ ^(٢) ، وَيُمَاسِي بِالنَّاسِ وَيُصَاصِحُ ، عَلَى
عَدَدِ جَمٍّ أَخْبَرَتْ سِيَمَاهُمْ الْمَشْهُورَةُ بِأَسْمَائِهِمْ ، وَنَبَّهَتْ
عَلَامَتُهُمْ عَلَى نُبَاهِهِمْ ^(٣) ، وَظَهَرَ إِقْدَامُ الْمُسْلِمِينَ فِي

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ - وَلَهُ عَرَفَ غَن « الْمَائِحَةُ » مِنْ هَاجَ التَّبْتُ إِذَا
يَبَسَ وَاصْفَرَّ وَطَالَ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « ثُمَّ يَهِيْجُ فَيَقْرَأُ مَعْصِرًا » - أَوْ
« لِلْمَائِحَةِ » أَيْ لِلضَّرْبَةِ ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى وَأَنَاطِرُ (٢) يُقَالُ جَازَا : تَنَاطَعَتْ
الرِّجَالُ فِي الْحَرْبِ ، وَبَيْنَهُمَا نَاطَحٌ ، وَنَطَحَهُ عَنْهُ : دَفَعَهُ وَأَزَالَهُ - وَقَدْ تَكُونُ
« يَنَاضِحٌ » يُقَالُ نَاضَحَ عَنْهُ وَنَضَحَ : إِذَا ذَبَّ وَدَفَعَ ، وَنَافَحَ وَكَافَحَ كَذَلِكَ
(٣) وَفِي بَعْضِ النُّسخِ « وَنَبَّهَتْ عَلَامَتُهَا عَلَى نُبَاهِهِمْ » « أَحْمَدُ بْنُ سَفِيَّانٍ »

الْمُعْتَرَكَاتِ، وَبُرُوزُهُمْ^(١) بِالْحُدُودِ الْمَشْتَرَكَاتِ، وَتَفْيِلُهُمْ
الْأَسْلَابَ، وَقَوْدُهُمْ اَلْخَيْلَ الْمُسَوِّمَةَ قَوْدَ اَلْغِلَابِ^(٢)،
وَكَانَ الْقُقُولُ، وَقَدْ شَمِلَ الْأَمْنُ وَالْقَبُولُ، وَحَصَلَ الْجِهَادُ
اَلْمَقْبُولُ، وَرَاعَ الْكُفْرَ اَلْمَزْ^(٣) اَلَّذِي يَهُولُ، وَالْإِقْدَامُ اَلَّذِي
شَهِدَتْ بِهِ الرِّمَاحُ وَالْخَيْلُ، وَخَاضَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ
زَرْعِ^(٤) اَلطَّرِيقِ اَلَّتِي رَكِبُوهَا، وَالْمَنَازِلِ اَلَّتِي اسْتَبَاحُوهَا
وَأَتَبَّهَوْهَا، بِمُجُورًا بَعْدَ مِنْهَا السَّاحِلُ، وَفَلَاحَةً مُدْرِكَةً^(٥)
تَمَعَّدُ فِيهَا اَلْمَرَاحِلُ، فَصَبَّرُوهَا صَرِيماً^(٦)، وَسَلَطُوا
عَلَيْهَا اَلنَّارَ غَرِيماً، وَحَلُّوا بِظَاهِرِ حِصْنِ اَنْدُجَرِ^(٧) وَقَدْ

(١) وفي بعض المراجع « وبنزهم » (٢) القهر والظلم (٣) قد تكون محرفة
عن « الفوز » (٤) في الأصل « ذرع » والأولى ما ذكرناه (٥) في الأصل
« موركة » وهو تحريف وأدرك الزرع : نضج وأتى أكله وأدركت النخار
إذا بلغت أناها وانتهى نضجها (٦) من صرم الشيء إذا قطعه ، والصريمة :
الأرض المحصود زرعها ، والصريم : المجدد للقطوع ، وبه فسر قوله تعالى :
« فأصبحت كالصريم » أي كأنها صرمت وصارت كالشيء الصرورم الذي
ذهب ما فيه ، والصريم : الكدس الصرورم من الزرع ، ونخل صريم أي
مصرور مقطوع ، وقوله تعالى : « ان كنتم صارمين » أي عازمين على
صرم النخل (٧) حصن بقرب قرطبة ، ويقال فيه « أندوشر » وأندوشر ، منه
أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن سليمان اليحصبي الأندوشرى القروى الأديب
(١٦ - فتح الطيب - رابع)

أَصْبَحَ مَأْلَفَ أَذْمَارٍ غَيْرِ أَوْشَابٍ^(١) ، وَوَكَّرَ طَيْرَ نُشَابٍ^(٢) ،
 فَلَمَّا بَلَوْنَا مِرَاسَهُ صَعْبًا ، وَأَبْرَاجَهُ مُلْتَمِتًا حَرَسًا شَدِيدًا
 وَشُهْبًا^(٣) ، صَنَيْنَا بِالنُّفُوسِ أَنْ تَقِيضَ دُونَ أَفْتَاخِهِ ، فَسَلَطْنَا
 الْغَفَاءَ عَلَى سَاحِهِ ، وَأَغْرَيْنَا النَّارَاتِ بِاسْتِيْعَابِ مَا بِأَخْوَاذِهِ
 وَأَكْنَسَاخِهِ ، وَسَلَطْنَا النَّارَ عَلَى حُزُونِهِ وَبِطَاحِهِ^(٤) ،
 وَأَلْصَقْنَا بِالرَّغَامِ^(٥) ذَوَائِبَ أَذْوَاخِهِ ، وَأَنْصَرَفْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ
 وَالْمَنَاجِلِ دَامِيَةً ، وَالْأَجُورُ نَامِيَةً ، وَقَدْ وَطَّنَا أَلْمَاطِيَّةً
 الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْمُلُوكِ قَبْلَنَا بَسَلًا^(٦) ، وَلَمْ تَتْرُكْ بِهَا

توفي بعد سنة ٥٥٠ - وينسب إليه أيضا أبو محمد عبد الله بن عبيد الله
 التجيبي الزاهد من أهل قرطبة ويعرف بالأمجد وجرى لأن أصله منها
 كان رجلا صالحا مواظبا على العبادة يشار إليه بإجابة الدعوة توفي سنة ٥٨٥
 (١) أذمار جمع ذمر أي شجاع مدافع . والاشاب هم أو باش الناس
 وأخطاهم ، والراطع منهم « يريد وصف حماة الحصن بالقوة وشدة اللراس ،
 وصدق البقاع » والمبارة في الأصل محرفة بزوال النقط من أذمار وغير
 (٢) النشاب : النبل واحده نشابة - شبه بالطير وجعل الحصن وكراهه
 (٣) الحزون : جمع حزن وهو ما غاظ من الأرض في ارتفاع ، والبطاح : جمع
 أبطح أو بطيحة وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى لا يثبت شيئا . وفي الأصل
 « خروته » بدل حزنونه (٤) أي التراب ، والجله كناية عن قطع الأشجار
 واستئصالها وجعل عاليها سافلها فكأنه أنزلها وأرغمها (٥) البسل : الحرام للمنتع

حَرْثًا^(١) يُرْفِدُ وَلَا نَسْلًا ، وَلَا ضَرْعًا يُرْسِلُ رَسُولًا^(٢) ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَتِمُّ الْيَتِيمَ بِحَمْدِهِ ، وَنَسْأَلُهُ صَلَٰةً^(٣)
النَّصْرِ فَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ . عَرَفْنَاكُمْ بِهَذِهِ الْمَكِيفَاتِ
الْكَرِيمَةِ الصَّفَاتِ ، وَالصَّنَائِعِ الرُّوَائِعِ الَّتِي بَعْدَ الْمَهْدِ
بِمَثَلِهَا فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ ، عَلِمًا بِأَنَّهَا لَدَيْكُمْ مِنْ أَحْسَنِ
الْهَدْيَاتِ الْوُدِّيَّاتِ ، وَلِمَا تَعْلَمُهُ لَدَيْكُمْ مِنْ حُسْنِ النِّيَّاتِ
وَكَرَمِ الطَّوَبَاتِ ، فَإِنَّكُمْ سَلَالَةُ الْجِهَادِ الْمَقْبُولِ ،
وَالرُّفْدِ الْمَبْدُولِ ، وَوَعْدُ النَّصْرِ الْمَقْبُولِ . وَتَرْجُو اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَنْتَقِلَ خِيَالُكُمْ لِلْعَاهِدِ الْجِهَادِيَّةِ ، إِلَى
الْمُتَابَعَةِ فِي نَصْرِ^(٤) الْمِلَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَأَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بِكُمْ
كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ ، عَلَى عِبْدَةِ الْأَصْنَامِ ، وَيَتِمَّ النِّعْمَةُ عَلَى
الْأَنَامِ . وَوَدُّنَا لَكُمْ مَا عَلِمْتُمْ زَيْدُ عَلَى مَرَّةِ الْأَيَّامِ
وَاللَّهُ يَجْمَعُهُ فِي ذَاتِهِ لَكُمْ مُتَّصِلَ الدَّوَامِ ، مُبْلَغًا إِلَى دَارِ

- (١) في الأصل « حرقا » وهو تحريف - والحَرْثُ الزرع - ويرفد أى
يسقى ويسين - وهو يشير الى قوله تعالى : « ويهلك الحَرْثُ والنَّسْلُ »
(٢) الرسل الذين . وأراد بالضرع ذوات الضرع من الحيوان ذى اللبن
(٣) أى اتصال ودوام ، وفى الأصل « حله » (٤) فى الأصل « ونصر »

السَّلامِ ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَصِلُ سَمْعَكُمْ ، وَيَحْزُرُ مَجْدَكُمْ ،
وَيُضَاعِفُ آلاءَهُ عِنْدَكُمْ ، وَالسَّلامُ الْكَرِيمُ يُصْغَبُكُمْ^(١)
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . اُنْتَهَى .

كتاب لسان الدين « وَمِنْ هَذَا الْمَنْحَى » مَا كَتَبَ بِهِ لِسَانُ الدِّينِ
- رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَنْ سُلْطَانِهِ ، وَلَوْ أَنَّ : الْمَقَامَ الَّذِي
أَحَادِيثُ سَعَادَتِهِ لَا تُحْمَلُ عَلَى الْإِعَادَةِ وَالتَّكْرَارِ ، وَسَبِيلُ
مَجَادَتِهِ الشَّهِيرَةِ أَوْضَحُ مِنْ شَمْسِ الظَّهِيرَةِ عِنْدَ الْإِسْتِظْهَارِ ،
وَأَخْبَارُ صَنَائِعِ اللَّهِ لِيُكَلِّمَ ، وَتَقْطُرُ فَرَائِدُ الْأَمْالِ فِي
سِلْكِهِ ، تُخَلِّدُهَا أَقْلَامُ الْأَقْدَارِ ، عِيدَادِ اللَّيْلِ فِي قِرْطَاسِ
النَّهَارِ ، وَتَرْزُمُهَا بِتَذْهِيْبِ الْأَشْفَارِ^(٢) فِي صَفَحَاتِ الْأَقْمَارِ ،

(١) أو « بِخَصْمِكُمْ » (٢) « الْأَشْفَارِ » جمع شفرة أى السكين العظيم ،
وما عرض من الحديد وحاد ، والشفرة : جانب النصل ، وحدا السيف - وفى
الاصل « الْأَشْفَارِ » ولا بأس بها ولكن اخترنا « الْأَشْفَارِ » لعلم التكرار
مع الأسفار بعد « إِذَا رَاعَى الْجَنَاسَ فَيَكُونُ الْأَسْفَارُ الْأَوَّلَى جَمْعُ سَفَرٍ
أَى كَتَبَ وَالثَّانِيَةِ جَمْعُ سَفَرٍ » ولأن اللغى عليها أبلغ فانه يريد وصف
للمدح بالجهاد وأنه يخلد ما أثره بعد سيفه ، وأن أقلام الاقدار ترسمها
بأسنة السيوف للنهبة على صفحات الكواكب « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاقِ »

وَتَجَمَّلُهَا هَجِيرَى ^(١) حَمَلَاءُ الْأَسْفَارِ، وَخُذَاءُ الْقِطَارِ، فِي مَسَالِكِ ^(٢)
الْأَقْطَارِ، مَقَامٌ مَحَلٌّ أَخِينَا الَّذِي تَلَدُّ عَادَةُ هَنَائِهِ مَعَ الْإِعَادَةِ،
وَتَتَلَقَّى أَنْبَاءَ عِلَالِهِ بِالْإِذَاعَةِ وَالْإِشَادَةِ ^(٣)، وَتُطَرِّزُ بِأَعْلَامِ
ثَنَائِهِ صَحَائِفَ الْمَجَادَةِ، وَتَشْكُرُ اللَّهَ أَنْ وَهَبَ لَنَا مِنْ
أَخُوهِهِ الْمُضَافَةِ إِلَى الْمَحَبَّةِ وَالْوَدَادَةِ، مَا يَرْجَحُ ^(٤)
فِي مِيزَانِ الْأَعْتِبَارِ أُخُوَّةَ الْوِلَادَةِ، وَعَرَفْنَا يَمِينِ وَلَايَتِهِ
عَوَارِفَ أَسْعَادِهِ، السُّلْطَانَ الْكَذَا ابْنَ السُّلْطَانِ الْكَذَا
ابْنَ السُّلْطَانِ الْكَذَا، أَبْقَاهُ اللَّهُ تَمَلَّى فِي أَعْلَامِ الثَّمَكِ
السَّعِيدِ يَنْتَ الْقَصِيدِ وَوَسْطَى الْقِلَادَةِ، وَمَجَلَّى الْكَمَالِ
الَّذِي تَبَارَى ^(٥) بِمِيزَانِ بَاسِهِ وَجُودِهِ جَنْسًا الْإِبَادَةِ وَالْإِفَادَةِ،

(١) أى دأب وعادة، وهجيرى الرجل: كلامه الذى صار شأنه وعادته
(٢) «الحملاء» جمع حميل أى غريب، والأسفار جمع سفر، وقد
تكون حملاء محرفة عن «حملة» ان أريد بالأسفار الكتب. والخذاء:
جمع الحادى أى السائق، والقطار: ما قطر من الابل أى قرب
بعضها الى بعض على نسق، يقال جاءت الابل قطارا قطارا أى مقطورة
والجمع قطر، وقطرات - والاقطار: جمع قطر، وهو الناحية والجانب: يقول
ان هذه الاخبار يترنم بها القرباء فى أسفارهم، وتعذبوا بها الركبان ركابهم
فى كل أقطارهم - ولا يخفى مافى العبارة من التكلف (٣) أشاد بذكره اذا
شهر موصفه (٤) رجحه: اذا زاد عليه وفاقه (٥) فى الاصل «بارى» واللى
مع «تبارى واضح» وفى العبارة لفونشر مرتب «أحمد يوسف نجاشى»

وَلَا زَالَتْ آمَالُهُ الْقَاصِيَةُ تَنَالُ طَوَعَ الْإِرَادَةِ ، وَيُمْنُ
تَقِيَّتِهِ ^(١) يَجْمَعُ مِنْ أَشْتَاتِ الْفُتُوحِ وَالْعِزِّ الْمَنُوحِ
بَيْنَ الْحُسْنَى وَزِيَادَةِ - . مُعْظَمُ سُلْطَانِهِ الْعَالِي ، الْمَشِي
عَلَى مَجْدِهِ الْمَرْفُوعِ إِسْنَادُهُ فِي عَوَالِي الْعَمَالِي ^(٢) ، الْمَسْرُورُ
بِمَا يُسْنِيهِ ^(٣) اللَّهُ لَهُ مِنَ الصَّنْعِ الْمُتَوَالِي ، وَالْفَتْحِ الْمُقَدَّمِ
وَالْتَّالِي ، أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ عَبْدُ اللَّهِ الْغَنِيُّ بِاللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَمِيرِ
الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْحَجَّاجِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ
فَرَجِ بْنِ نَصْرِ أَيْدَا اللَّهُ أَمْرُهُ ، وَأَسْعَدَ نَصْرُهُ ^(٤) - . سَلَامٌ كَرِيمٌ
يَتَأَرَّجُ فِي الْأَفَاقِ شَذَا طَبِيبِهِ ، وَتُسْمَعُ فِي ذُرْوَةِ الْوُدِّ بَلَاغَةُ
خَطِيبِهِ ، وَتَتَضَمَّنُ نُورَهُ سَوَادُ الْمِدَادِ ^(٥) عِنْدَ مُرَاسَلَةِ الْوِدَادِ

- (١) اليمن : البركة ، والنقبة : النفس والحظ والطبيعة ، ورجل يمينون
النقبة أى مبارك النفس مظفر بما يحاول ، منجح الفعّال محمود المختبر .
(٢) فى العبارة توجيه من مصطلح الحديث ، والاسناد فى الحديث : رفعه
الى قائله ، والحديث السند : ما اتصل اسناده حتى يسند الى النبي صلى الله
عليه وسلم - وللرسل وللنقطع : ما لم يتصل - ويقولون : الاسانيد قوائم
الاحاديث - وللقدم والتالى من اصطلاحات للناطق (٣) أى يجعله سنيا
جزىلا شريفا ، وأسنى له الجائزة : رفعها - وسنى الله له الامر تسنية سهله
وفتح وجوهه وهى أسبابه (٤) فى بعض النسخ « عصره » (٥) تقدم
شرح مثل هذا المعنى من أن المعاني لحسنها تجعل سواد للبلاد مشرقا
وعلامه منبرا وهو من تجسيم المعاني كما تقدم « أحمد يوسف نجاشى »

فَكَادَ يَذْهَبُ بِبُؤْسِهِ الْمَجْهُولِ وَتَقْطِيبِهِ ، وَرَحْمَةِ اللَّهِ
وَبَرَكَاتِهِ . أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ فَاتَّحِ الْأَبْوَابَ بِعَقَائِدِ^(١)
الْأَسْبَابِ مَهْمَا اسْتَضَعَبْتَ ، وَمُيسِّرِ الْأُمُورِ بِمُخَكِّمِ الْمَقْدُورِ
إِذَا أَجْهَدْتَ الْحِيلُ وَأَتَّعَبْتَ ، تُحْمِدُ نِيرَانِ الْفِتْنَةِ مَا أَتَّهَبْتَ ،
وَجَامِعِ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ وَقَدْ تَصَدَّعَتْ وَتَشَعَّبَتْ ، وَمُسْكِنِ
رَجْفَانِ الْأَرْضِ بَعْدَمَا اضْطَرَبَتْ ، وَنُحْيِيهَا بِمِهَادِ الرَّحْمَةِ
مَهْمَا اهْتَرَّتْ^(٢) وَرَبَّتْ ، اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ الَّذِي قَدَّرَتْ حِكْمَتُهُ
الْأُمُورَ وَرَبَّتْ ، مِنْهُ^(٣) كُلُّ نَفْسٍ إِلَى مَا خَطَّتِ الْأَقْلَامُ
عَلَيْهَا وَكَتَبَتْ وَنَقَّتْ وَأَوْجَبَتْ ، شَاءَتْ أَوْ أَبَتْ ، وَمُجَازِيهَا
يَوْمَ الْعَرْضِ بِمَا كَسَبَتْ . وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ هَازِمِ الْأَحْزَابِ لَمَّا تَأَلَّفَتْ وَتَأَلَّيَتْ ،
وَجَالِبِ الْخُلْفِ إِلَيْهَا عِنْدَمَا أَجْلَبَتْ ، رَسُولِ الْمَلْحَمَةِ إِذَا
الْأُيُوثُ وَبَّتْ ، وَنَبِيِّ الرَّحْمَةِ الَّتِي هَيَّاتِ النِّجَاةَ وَسَبَّيْتَ
وَأَبْلَغْتَ النُّفُوسَ الْمُطْمَئِنَّةَ مِنَ السَّعَادَةِ مَا طَلَبْتَ ، وَمُدَاوِي

(١) جمع مقلاذ وهو للفتاح ، ومنه الأقاليد جمع أقليد (٢) ربت الأرض
ربوا : عظمت واتفتحت (٣) أنهى الشيء : أبْلغَهُ وَأَوْصَلَهُ

أَقْلُوبَ الْمَرِيضَةِ وَقَدْ أَتَكَبَّتْ^(١) وَأَتَقَلَّبَتْ، بِطَاقِهِ
الَّتِي رَاضَتْ وَهَذَّبَتْ، وَكَادَتْ إِلَى الْجَنَّةِ الْعُلْيَا وَأَسْتَجَلَبَتْ،
وَأَدَّتْ عَنِ اللَّهِ وَأَدَّبَتْ، الَّذِي يَجَاهِهِ نَسْتَكْشِفُ النِّعْمَاءَ إِذَا
أَطْنَبَتْ^(٢)، وَنَسْتَوْكِفُ^(٣) النِّعْمَاءَ إِذَا أَخْلَقَتْ الْبُرُوقُ
وَكَذَبَتْ، وَتَتَخَابُ فِي طَاعَتِهِ أَتِئَاءَ الْوَسِيلَةِ إِلَى شَفَاعَتِهِ
فَنَقُولُ وَجِبَتْ حَسْبَمَا بَيَّنَّتْ^(٤)، وَالرُّضَا عَنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
وَأَنْصَارِهِ وَأَخْزَابِهِ الَّتِي أُسْتَحَقَّتْ الْمَزِيَّةُ الْمَرَضِيَّةُ
وَأُسْتَوْجِبَتْ، لَمَّا أَتَمَّتْ إِلَى كَمَالِهِ وَأَتَسَّبَتْ، وَيَبْذُلُ
نُفُوسَهَا فِي اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ تَقَرَّبَتْ، وَإِلَى نُصْرَتِهِ فِي حَيَاتِهِ
أَتَدَبَّتْ^(٥) وَالْمَنَاصِلُ قَدْ رَوِيَتْ مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ وَأَخْصَبَتْ^(٦)

(١) قد تكون محرفة عن « اتكست » أو « تكبت » أى عدا
عن سواء الصراط وطريق الصواب وتنتعت عن قصد السبيل (٢) أى حلت
وضربت أطناها مقيمة (٣) أى تطلب من القنان تكون وا كفة هامة
(٤) اشارة الى معنى الحديث القديم : وجبت الجنة - أو الشفاعة - للتحابين
في طاعة الله (٥) ندبه الى الامر « كنصر » دعاء وحشه ، والندب أن
يندب انسان قوما الى أمر أو حرب أو معونة ، أى يدعوهم اليه فينتدبون
له أى يجيبون ويسارعون (٦) ويصح أن تكون « واخضبت »

وَخَلَقْتُهُ فِي أُمِّهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ بِالْهَمِّ الَّتِي عَنْ صِدْقِ الْيَقِينِ
أَعْرَبْتُ ، فَدَاعَتْ لِمُجَاهَدَةِ الْكُفَّارِ وَأَتَدَبْتُ^(١) ، وَأَبْعَدْتُ
الْمُعَارَ وَأَدْرَبْتُ^(٢) حَتَّى بَلَغَ مُلْكُ أُمِّهِ أَقْصَى الْبِلَادِ الَّتِي
نَبَتْ^(٣) ، فَكَسَّرَتْ الصُّلْبَ الَّتِي نَصَبْتُ ، وَفَلَّتِ التَّيجَانَ
الَّتِي عُصِبْتُ^(٤) مَا هَمَّتِ الشُّجْبُ وَأُنْسَجَتْ ، وَطَلَعَتْ
الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ . وَالْدُّعَاءُ لِمَثَابَتِكُمُ الْعُلَيَّا بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ
كُلَّمَا جُهِزَتْ الْكِتَابُ وَتَكْتَبْتُ^(٥) ، وَالْفَتْحُ الثَّيْنِ
كُلَّمَا رَكَنتَ عَقَائِلُ^(٦) الْقَوَاعِدِ إِذَا خُطِبْتُ ، وَالصَّنَائِعِ

(١) نذبه الى امر: وجهه اليه فأتدب له (٢) أدرب القوم اذا دخلوا أرض العدو
ودرو به من بلاد الروم: وكل مدخل الى الروم ضرب من دروبها، وأصل الحرب:
الضيق والجبال، واللفار: الاغارة (٣) نبئت: بعثت (٤) عصب التاج وغيره:
شده، والعصابة: التاج وما عصب به، وعصبه تصبيا: شده - واعتصب
التاج على رأسه اذا استكف به، والملك للتعصب والعصب أى التوج
وفى الأصل « ونفلت » وهو تحريف فاسد، ونفل النفل أى التزجة
وأنفله: اذا أعطاه، ونفل الامام الجند اذا جعل لهم ما غنموا. ويصح
بناء « نفلت » للمجهول ورفع « التيجان » أى جعل الله تيجان للولك
أنفالا وغنيمة لهم (٥) أى اجتمعت (٦) العقيلة من النساء: الكريمة
المقدرة النفيسة، هذا هو الأصل، ثم استعمل في الكريم النفيس من
كل شئ من الذوات والمانى - يدعو له بالفتح للبين حين تخطب القواعد
النفيسة وللدن الكريمة فتمتنع على غيره وتمز على سواء فيكون ركنت
من الركن وهو العز والمنة والقوة، أو الثبات والاقامة « أحمد يوسف نجاشى »

الَّتِي مَعَهَا حَدَّثَتْ فِيهَا الْمُؤْنُ تَجَبَّتْ ، أَوْ جَالَتْ فِي لَطَائِفِهَا
الْأَفْكَارُ اسْتَطَابَتْ مَذَاقَ الشُّكْرِ وَاسْتَعْدَبَتْ ، حَتَّى تُنَجِّزَ
لَكُمْ مَوَاعِيدُ النَّصْرِ فَقَدْ أَفْتَرَيْتُ . فَإِنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ
- كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ أَغْيَا^(١) مَا سَأَلْتَ الْأَلْسُنُ السَّائِلَةُ
وَأَسْتَوْعِبْتَ - مِنْ حَمْرَاءِ غُرْنَاطَةٍ - حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى -
وَجُنُودُ اللَّهِ بِفَضْلِ اللَّهِ تَمَالَى وَلِعِمَّتِهِ قَدْ غَلَبَتْ ، وَفَتَحَتْ
وَسَلَبَتْ ، وَأَسْوَدُ جِهَادِهِ قَدْ أَرَدَتْ الْأَعْدَاءُ بَعْدَ مَا كَلِبَتْ^(٢)
وَمَرَايَ الْآمَالِ قَدْ أَخْصَبَتْ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَجْلُو^(٣)
وُجُوهَ الرُّصَا بَعْدَ مَا أُحْتَجِبَتْ ، وَيَفْتَحُ أَبْوَابَ الْمَزِيدِ
فَكَلَّمَا اسْتَقْبَلَهَا الْأَمَلُ رَجَبَتْ ، وَالشُّكْرُ لِلَّهِ شُكْرًا
يُقَيِّدُ شَوَارِدَ النِّمِّ مِمَّا أَبْقَتْ وَمَا هَرَبَتْ^(٤) . وَإِلَى هَذَا
وَصَلَ اللَّهُ لِمَقَامِكُمْ أَسْبَابَ الظُّهُورِ وَالِاعْتِلَاءِ ، وَعَرَفَكُمْ

(١) من غاية الشيء وهو منتهاه ، وأغيا الرجل بلغ الغاية في الشرف
والأمر ، وأغيا الفرس في شبابه : بلغ الغاية واللدى ، وفي بعض النسخ
« أغيا » ولله جمع غاية (٢) الكلب الشدة ، والغضب والقوة ، وفي
العبارة وصف خفي للأعداء بأنهم « كلاب » بالنسبة « للأسود »
جنود الله (٣) يكشف ويظهر (٤) يشير إلى معنى قوله تعالى : « لئن شكرتم
لازيدنكم » وقولهم الشكر يقيد أوابد النعم النافرة ، وأبقى أى هرب
ونفر - وأبقى العبد إذا ذهب بلا خوف ولا كد عمل - أو إذا استخفى ثم
ذهب ، وفعله « كسمع وضرب » « أحمد يوسف نجاشي »

عَوَارِفَ إِلَّا لَاءَ عَلَى الْوِلَايَةِ^(١)، فَإِنَّا لَمَّا وَرَدَ عَلَيْنَا كِتَابُكُمْ
أَبْرَأُ الْوِلَايَةِ، أُلْجِمُ الْإِفَادَةَ، الْجَامِعُ بَيْنَ الْحُسْنَى وَزِيَادَةِ،
جَلَّى غُرَّةِ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ مِنْ ثَنَائِهَا السَّامَةِ، وَوَاهِبُ الْبَيْنِ
الْمُنَاحَةِ وَوَاصِفُ النِّعَمِ الْمُعَادَةِ، قَوَّضْنَا مِنْ رَقِّهِ الْمُنْشُورِ عَلَى
ثُحَفِ سَيِّئَةٍ، وَأَمَانِيَّ هَنِيئَةٍ، وَقِطَافِ النَّصْرِ جَنِيئَةٍ، صَمِنَتْ
سُكُونُ الْبِلَادِ وَقَرَارُهَا، وَأَنْ أَلَّهِ قَدْ أَذْهَبَ الْفِتَنَ
وَأَوَارَهَا^(٢)، وَأَخَذَ نَارَهَا، وَلَضَحَ^(٣) عَنْ وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ
عَارَهَا، وَجَمَعَ الْأَهْوَاءَ عَلَى مَنْ هَوِيَتْهُ السَّامَةُ بِمَدَّ أَنْ أَجْهَدَ
أَخْتِيَارَهَا، فَأَصْبَحَ الشَّيْئُ^(٤) مُجْتَمِعًا، وَجُنْحُ الْجَنَاحِ مُرْتَفِعًا^(٥)
وَأَجْبَلُ الْمُخَالِفِ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا، وَأَصْحَبُ^(٦) فِي الْقِيَادِ
مَنْ كَانَ مُتَمَتِّعًا، فَاسْتَوْتَقَتْ^(٧) الطَّاعَةُ، وَتَبَجَّجَتْ^(٨)
السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ، وَأَرْقَقَتْ الشَّنَاعَةُ، وَتَمَسَّكَتِ الْبِلَادُ

(١) أى التوالى والتتابع وعدم الانقطاع (٢) أى حرها وأذاها (٣) أى دفع وكشف
وأزال (٤) أى للنفرد المختلف (٥) غاية ما يمكن أن يفهم من هذا التركيب
للتكلف أنه يريد زوال الاتم الثنائى من الخلاف - فالجنح الجانب والتاحية
والظلام، والجنح: الاتم والجناحية والجرح وما يحمل من المهم والأذى، ويصح أن
تقرأ « وجنح الجناح » من فعل وفاعل أى مال وذهب وقد تكون
الجناح، بفتح الجيم أى صمد طائر اقادرا قوة السليمن (٦) أى انقاد وخضع
وذلل (٧) أى « فاستوسقت » (٨) لعلها محرفة عن « تبججت » أى
فرحت وافخرت وتباهت « أحمد يوسف نجاشى »

الْمُكْرَهَةُ بِأَذْيَالٍ وَلِيَهَا لَمَّا رَأَتْهُ ، وَعَادَتْ الْأَجْيَادُ الْعَاطِلَةَ
إِلَى خُلَيْهَا بَعْدَ مَا أَنْكَرَتْهُ ، أَجَلْنَا ^(١) جِيَادَ الْأَقْلَامِ فِي
مَلَبِ الْهَنَاءِ وَمَيْدَانِهِ ، لِأَوَّلِ أَوْقَاتِ إِمْكَانِهِ ، عَلَى بُعْدِ
مَكَانِهِ ، وَأَجْهَدَنَا عِبَارَةَ الْكَلَامِ فِي إِجْلَالِ هَذَا الصَّنْعِ
وَتَعْظِيمِ شَانِهِ ، وَأَغْرَيْنَا الثَّنَاءَ بِشَيْمِ مَجْدِكُمْ فِي شَرْحِهِ
لَنَا وَيَآنِهِ ، رَأَيْنَا أَلَّا نَكِلَ ذَلِكَ إِلَى الْبَرَاعِ ، وَفُهِدَهُ فِيهِ
بِالِاجْتِمَاعِ ، وَمَا يَتَعَاطَاهُ مِنْ مَنَّةٍ ^(٢) الْفَرَاعِ ، وَأَنْ نَشُدَّ
بِرْدَهُ ^(٣) مِنَ الْمُسَافَهَةِ أَزْرَهُ ، وَلَتَضُدَّ بِمُبِينٍ ^(٤) مِنَ اللِّسَانِ
أَمْرَهُ ، فَحِينَئِذٍ لَدَلَّكَ مَنْ يَفْسِّرُ مِنْهُ الْمُجْمَلَ ، وَيَمْهَدُ الْمُقْصِدَ
الْمُفْعَلَ ، حَتَّى يَجْمَعَ بَيْنَ أَغْرَاضِ الْبَرِّ ، وَالْعَلَنِ مِنْهُ
وَالسُّرِّ ، وَيُقِيمَ شَيْءَ الْأَدِلَّةِ عَلَى الْوِدَادِ الْمُسْتَقَرِّ ، وَوَجْهَنَا
فِي غَرَضٍ ^(٥) الرِّسَالَةِ بِهِ إِلَيْكُمْ ، وَأَخْتَرْنَا لِشَرْحِهِ بَيْنَ

(١) جواب لما للتقديم « فأننا لما ورد علينا الخ » (٢) اللنة: القوة، والفرع:
الطاقة وللقدرة (٣) الرد: العون والناصر، قال تعالى: « فأرسله معي
ردما يصدقني » وفلان رده لفلان أى ينصره ويقوى ظهره ويشد عضده
(٤) في بعض النسخ: « بمعين » وهو مناسب للرد. (٥) أو « عرض »

يَدِينَكُمْ ، خَطِيبَ الْوُفُودِ ، وَبَرَكَةَ الْمَشَايخِ فِي هَذَا
الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ ، الشَّيْخَ الْجَلِيلَ الشَّهِيدَ الْكَبِيرَ الصَّالِحَ
الْفَاضِلَ أَبَا الْبَرَكَاتِ ابْنَ الْحَاجِّ (١) - وَصَلَ اللَّهُ حِفْظَهُ ،
وَأَجَزَلَ مِنَ الْحَمْدِ وَاللُّطْفِ حِظَّهُ - ، وَهُوَ الْبَطْلُ الَّذِي
لَا يَعْلَمُ إِلَّا جَالَةً فِي الْمِيدَانِ ، وَلَا يُبْصَرُ بِوِطَائِفِ ذَلِكَ
الْشَّانِ (٢) ، وَمُرَادُنَا مِنْهُ أَنْ يُطِيلَ وَيُطِيبَ ، وَيُجِيلَ فِي
وَصْفِ مَحَاسِنِكُمْ أَلْسَانَ الرُّطِيبِ (٣) ، وَيُقَرَّرَ مَا عِنْدَنَا
لِمَقَامِكُمْ مِنَ التَّشْيِيعِ الَّذِي قَامَ عَلَى الْحُبِّ الْمُتَوَارَثِ

(١) هو أبو اسحق إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم
ابن عبد العزيز بن اسحق بن قاسم النخعي القرطبي المعروف بابن الحاج
من بيت رئاسة ونبل ، كان جده الأديب إبراهيم بن موسى رجلاً خيراً
فاضلاً كتب للرؤساء من بني اشقيولة عند انفرادهم بوادي آش ، وكان
والده عبد الله صدراً من صدور المستخدمين في كبار الأعمال بقرنطة
وغیرها . ونشأ ابن الحاج نشأة قومه ديناً فاضلاً أدبياً كاتباً شاعراً ، وكان
مولده سنة ٧١٣ وابتعث في كتاب الانشاء لبني الاسمر سنة ٧٣٤ وكان
معددا للسفارة الى الملوك « وارتحل الى الشرق فأفاد منه علماً وأدباً ، وله
مؤلفات جمجمة » وتوجه رسولا عن السلطان الى صاحب لسان السلطان
أحمد بن موسى بن يوسف بن عبد الرحيم بن يحيى بن زياد سنة ٧٣٨
« أحمد يوسف نجاشي » (٢) هذا في معنى للثل : ان العنوان لا تظم الحجرة
(٣) كناية عن طلاقته وبلاغته وأن يرطب لسانه بالثناء على الملك

أَسَاسُهُ ، وَأَطْرَدَ حُكْمُهُ وَأَتَجَّ قِيَاسُهُ ، وَلِيَجْعَلَ تِلْوُ
مَقْصِدِ الْهَنَاءِ ، بِمَجْلِسِكُمُ الْبَاهِرِ السَّنَاءِ ، أَلْصَارِفِ إِلَى
الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْفَنَاءِ ، وَجَهَ التَّهْمِ^(١) وَالْإِعْتِنَاءِ ،
عَلَى مَرَّةٍ الْآتَاءِ ، مَا تَجَدَّدَ^(٢) لَدَيْنَا مِنَ الْأَنْبَاءِ ، فِي جِهَادِ
الْأَعْدَاءِ ، وَإِنْ كَانَ رَسُولُكُمْ - أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى - قَدْ
شَارَكَ فِي الشَّرِّ وَالسَّيْرِ ، وَيُنِى الْقَطْرِ ، وَأَغْنَى فِي الْحِكَايَةِ
عَنِ الْغَيْرِ ، فَلَا سَرْفَ فِي الْخَيْرِ . وَهُوَ أَتْنَا لَمَّا أَنْصَرَفْنَا
عَنْ مُنَازَلَةِ قُرْطُبَةَ نَظَرًا لِلْحُشُودِ الَّتِي قَدَّتْ مُعَدَّاتُ
أَزْوَادِهَا ، وَشَابَتْ بِهَشِيمِ الْغَلَّةِ الْمُسْتَغْلَةِ^(٣) مَفَارِقُ بِلَادِهَا
وَلِشَفَاقًا لِفَسَادِ أَقْوَاتِهَا ، بِفَوَاتِ أَوْقَاتِهَا ، رَحَلْنَا عَنْهَا

(١) أى الاهتمام والعناية (٢) مفعول لقوله « وليجعل » ومفعوله الثانى مقدم وهو قوله « تلو » يعنى أنه يبدأ بمقام التهنية ثم يثنى بالأخبار عن حديث الغزوة النصورة، وقوله « وجه التهم » مفعول لاسم الفاعل قبله « الصارف الى الجهاد » (٣) أظنه يشير الى احراق الزروع والقلاى فجعل ضوء النار شيئا لمفارق البلاد - وقد يجوز أن تكون « المستغلة » محرفة عن « للشتملة » كقوله تعالى : « واشتمل الرأس شيئا » - والحشيم : الثبت اليابس للتكسر ، ومنه قوله تعالى : « فأصبح هشيما تذروه الرياح » ، واشتمل الشيء اذا أخذ غلته « أحمد يوسف نجاشى »

وَقَدْ أَنْطَوَيْنَا مِنْ إِغْفَاءٍ أَكْثَرَ تِلْكَ الزُّرُوعِ ، أَلْمَالِةُ
الْقُرُوعِ ، أَلْبَالِةُ الرُّوعِ ^(١) ، عَلَى مَمِّ مُبْضٍ ^(٢) ، وَأَسْفِ
لِلْمُضَاجِعِ مُبْضٍ ^(٣) ، إِذْ كَانَ عَاذِلُ الْمَطَرِ يَكْفُ السِّنَةَ
النَّارِ عَنِ الْمُبَالَةِ فِي التَّهَابِهَا ، وَخَلَقَ إِهَابِهَا ^(٤) ، وَنَقَضَ
أَغْوَارَهَا ، وَنَهَبَ شُورَاهَا ^(٥) ، وَإِذَا عَةِ أَسْرَارَهَا ، وَهِيَ الْبُحُورُ
الْمُتَلَاظِمَةُ ، إِذَا حَطَمَتَهَا الرِّيَّاحُ الْخَاطِمَةُ ، وَاللَّجْجُ الزَّائِرَةُ ،

(١) كذا بالأصل ولعلها محرفة عن « الربوع » من راع الزرع والطعام وغيرهما يربع ربعا وربوعا ورباعا إذا نما وزاد ، وراعت الحنطة إذا زكت ونمت - فان أبى السجع الا الجناس ولزوم ما لا يتم فلتكن محرفة عن « للروع » من أمرع الوادى ، ومرع إذا أخصب وأكلا وأعشب فهو مرع (٢) أى مؤلم موجع (٣) أقض عليه للضجج خشن ونبا « من القفض وهو الحما الصغار ، وإذا كان فى الفراش قفض تحت جنب النائم لم يذق جفنه النعوض ، وبات يتقلب منه على مثل جمر النضا (٤) خلق الأديم ونحوه إذا قدره ليقطعه ، وخلق الثوب بلى ، ولعل كلمة « حلاق » محرفة عن إخلق وفى بعض النسخ « حلاق » يقال رأس جيد الحلاق ، ولعل ذلك أوضح ، يريد استئصال ما بها من الزرع كما يستأصل بجودة الحلاق شعر الرأس ، والاهاب الجلد (٥) الشوار : الحسن والجمال والمهيئة واللباس والزينة والشوار « مثلثة » متاع البيت

إِذَا حَرَ كَتَهَا السَّوَاقِ الْمَاخِرَةُ^(١) ، تَوَدُّ الْعِيُونُ أَنْ
تَحْدَى^(٢) حُدُودَهَا الْقَاصِيَةَ فَلَا تُطِيقُ ، وَالرَّ كَاتِبُ
الرَّائِضَةُ أَنْ تُشْرِفَ عَلَى غَايَاتِهَا فَيَفْضُلُ عَنْ مَرَاكِهَا
الطَّرِيقُ ، قَدْ جَلَّهَا الرِّيعُ أَرْزَاقًا تَعَصُّ بِهَا أَنْزَارُنُ
وَالْأَطْبَاقُ ، وَحُبُوبًا مُفْضَلَةً لَا يَرْزَوْهَا إِلَّا شَادُوا لِإِثْقَانُ ، وَلَوْ
أَعْتَصَبَتْ^(٣) عَلَى أَنْتِسَافِهَا الْآفَاقُ ، فَخَفَفْنَا^(٤) فِي سَبِيلِ أَفْهِ
لِتَقِيبِ غَزْوِ تِلْكَ الْأَطْفَارِ الْمُخَالَفَةِ ، بِمَحَقِّ الصَّائِقَةِ ،
وَإِعَانَةِ تِلْكَ الطَّائِفَةِ ، بِكُلُومِ الْمَجَاعِ الْخَائِفَةِ^(٥) خُفُوفًا لَمْ

(١) السافية : الريح نسي التراب أى تذروه وتحمله - وللماخرة السفينة
تستقبل الريح في جريتها ، أو التي يسمع صوت جريها بالرياح ، ولذلك
جعل الريح نفسها ماخرة لاشها سبب (٢) يصح أن نكون « تعدى »
أى تتجاوز (٣) فى الأصل « اعتصت » ورأينا أنها محرفة عن « اعتصبت »
أى اجتمعت وانفقت عصبة واحدة (٤) فى الأصل « خضنا » وهو تعريف
يدل عليه قوله بعد « خفوة » الخ - وخف القوم عن وطنهم خفوة
إذا ارتحلوا (٥) من تحيفه إذا نقصه من حيفه أى من نواحيه ، ويظهر
أنها محرفة عن « الجائفة » بالجيم ، والجائفة : طعنة نافذة تبلغ الجوف
بقريشة « الكلوم » والمجاع أى المجاعة ، وقد تكون « اعانة » محرفة
عن « اصابة » أو « احانة » أى اهلاك - وللقلم يساعد على الاصابة
والاحانة لا الاعانة « أحمد يوسف نجاشى »

تَقَنَّ فِيهِ بِالِاسْتِنَابَةِ ، حِرْصًا عَلَى اسْتِنْصَالِ الصُّبَابَةِ ^(١) ،
وَأَغْنَيْنَا الرَّجُلَ ^(٢) مِنْ اتِّصَالِ الْكَدِّ ، وَقَابَلْنَا قَبُولَهُمْ عَلَى
اسْتِنْصَابِنَا فِيهَا بِالرَّدِّ ، وَأَظْلَلْنَا عَلَى قُرْطُبَةٍ بِمَحَلَّتِنَا ^(٣) نَنْسِفُ
الْجِبَالَ ^(٤) نَسْفًا ، وَلَمْ نُكْمِ الْأَرْضَ زَلْزَالًا وَخَسْفًا ، وَنَسْتَقْرِى
مَوَاقِعَ الْبَذْرِ اخْتِرَاقًا ، وَنَخْتَرِقُ أَجْوَابَهَا ^(٥) الْمُخْتَرَقَةَ بِحَبِّ
الْحَصِيدِ اخْتِرَاقًا ، وَنُسَلِّطُ عَلَيْهَا مِنْ شَرِّ النَّارِ أَمْثَالَ
الْجِمَالَاتِ الصُّفْرِ مَدَّتْ مِنَ الشَّوَاظِ أَغْنَاقًا ، وَنُوسِعُ الْقُرَى
الْوَاسِعَةَ قَتْلًا وَاسْتِرْقَاقًا ، وَنُذِرُّ عَلَى مُسْتَدِيرِهَا كُثُومَ
الْحُثُوفِ دِهَاقًا ^(٦) ، وَأَخَذَتِ النَّيْرَانُ وَإِدِيمَا الْأَعْظَمَ مِنْ كِلَا

(١) الصبابة البقعة (٢) الكد التعب والسعي ، وفي الأصل « الرجل » وكان
السياق يدل على أنها محرفة عن الرجل بالجيم اسم جمع للرجل ، وهو من لم يكن
له ظهر في السفر يركبه فثنى على قدميه ، وهم للشافخلاف المرسان (٣) المحلة
منزل النجوم ، وحل المكان وبالمكان « كضرب ونصر » تزل به (٤) في
بعض للراجع « نفس جبال العم » (٥) من جب البلاد اذا قطعها
واخترقها ، ولعلها محرفة عن أجزائها جمع جرن وهو للوضع الذي تجمع
فيه الغلال ، وهي كلمة عربية يستعملها أهل مصر ويسمى « البندر »
كما يظهر أن « المخترة » محرفة عن « المختزة » فأصل الجملة « ونخترق
أجزائها المختزة » الخ وفي بعض للراجع « ونخترق أجوابها المختلفة »
« أحمد يوسف نجاني » (٦) الكأس الدهاق للمثلة للقرعة .

جَانِبِهِ حَتَّى كَانَ الْقِيُونَ^(١) أَتَمَّتْ سَيِّكَتَهُ فَاسْتَحَالَتْ ،
وَأَذَابَتْ صَفِيحَتَهُ فَسَالَتْ ، وَأَتَتْ الْكُفَّارَ سَمَاوُهُمْ بِالْإِخَانِ
الْمَيِّينِ ، وَصَارَتْ الشَّمْسُ مِنْ بَعْدِ سُفُورِهَا وَغُومٍ نُورِهَا
مُنْقَبَةً الْمُحْيَا^(٢) ، مُصَصَّبَةً الْجَيْنِ ، وَخُضْنَا أَحْشَاءَ الْغَرِيرَةِ^(٣)
نَعْمَ أَشْتَاتَ النَّعْمِ انْتِسَافًا ، وَأَقْوَاتَ أَهْلِهَا إِتْلَافًا ، وَأَمَالَ
سُكَّانَهَا إِخْلَافًا ، وَقَدْ بَهَتُوا لِسُرْعَةِ الرُّجُوعِ ، وَدَهَشُوا
لَوْقُوعِ الْجُوعِ ، وَتَسَيَّبَ تَخْرِبِ الرُّبُوعِ ، فَمِنْ الْمُنْكَرِ
الْبَعِيدِ ، أَنْ يَتَأْتَى بَعْدُ عُمْرَانَهَا الْمَعْمُودُ ، وَقَدْ أَصْطَلَمَ الزَّرْعُ
وَأَجْثَتِ الْعُودُ ، وَصَارَ إِلَى الْمَدَمِ مِنْهَا الْوُجُودُ ، وَرَأَوْا مِنْ
عَزَائِمِ الْإِسْلَامِ خَوَارِقَ تَشِدُّ عَنْ نِطَاقِ الْعَوَائِدِ ، وَعَجَائِبُ
تَسْتَرِبُ فِيهَا عَيْنُ الْمُشَاهِدِ ، إِذْ أَشْتَمَلَ هَذَا الْعَامُ ،
الْمُتَعَرِّفُ فِيهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْإِنْعَامُ ، عَلَى غَزَوَاتِ^(٤) أَرْبَعٍ

(١) في الأصل « العيون » ولا معنى له - والقيون جمع قين وهو الحداد
(٢) في بعض المراجع « المجلى » وللمنى واحد (٣) كذا بالأصل « وقد
يكون مراده البلدة الغريبة أى النافلة » - وفى نسخة أخرى « الغريبة »
وأظنها ان كانت كذلك أنها كلمة افرنجية Frontières أى الحد ، وقد
تقسم قوله « وبروزهم بالحدود للشركات » (٤) فى الأصل « غزوات »
ورأينا أنها محرفة عن « غزوات » وهذه الرسالة فى الأصل جملة التحريف

دُمِرَتْ فِيهَا الْقَوَاعِدُ الشَّهِيرَةُ تَدْمِيرًا ، وَعَلَا قَوْقَ مَرَايِهَا
الْأَذَانُ عَزِيزًا جَهِيرًا ، وَصُوتُ كَرَاسِي الْمَلِكِ تَضْيِيقًا
كَبِيرًا ، وَأَذِيقتَ وَبَالًا مُبِيرًا^(١) ، وَرِيَّاحُ الْإِدَالَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَمَالَى تَسْتَأْنِفُ هُبُوبًا ، وَبَاسًا مَشْبُوبًا ، وَالثَّقَّةُ بِاللَّهِ قَدْ مَلَأَتْ
نُفُوسًا مُؤْمِنَةً وَقُلُوبًا . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَسْتُورُ أَنْ يُوزِعَ^(٢)
شُكْرَ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي أَتَقَلَّتِ الْأَكْتَادَ^(٣) وَأَبْهَتَتْ^(٤)
الطُّوقَ الْمُتَعَادَ ، وَأَبْهَجَتْ الْمُسِمَ^(٥) وَالْمُرْتَادَ ، فَبِالشُّكْرِ
يُسْتَدْرُ فَرِيدُهَا^(٦) ، وَيَتَوَالَى تَجْدِيدُهَا . وَقَطَعْنَا فِي بُحْبُوحَةِ

كثيرة التبديل والتصحيح ، ولنا جهدنا في تصحيحها على قدر الوسع
وطالما أرفقنا تحريف الأصل من أمرنا عسراء ولكن : إذا الله سني عقد
أمرئيسرا (١) أي مهلكا : ويقال أصبحت منازلهم بورا أي خرابا لا شيء فيها
(٢) أي أن يطعم قال تعالى : « رب أو زعني أن أشكر نعمتك » أي ألهمني ،
وتأويله في اللغة كفى عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك ، وامتنعني عما يباعدني
عنك (٣) أي الكواهل جمع كند (٤) أي أتقلت وبهظه الأمر إذا غلبه ونقل
عليه وبلغ به مشقة - وبهظه الحمل إذا أنقله وعجز عن حمله ، والطوق الطائفة
والجهد (٥) في الأصل للشم وأرى أنها محرفة عن « اللسيم » فلم أجد في اللغة
« أشام » وسامت للآشية إذا رعت : وأسامها ، أرطها وأخرجها إلى للرعي قال
تعالى : « فيه نعيمون » - والارتياذ الطلب ، وارتاد لأهله ورادهم مرعى
ومنزلا ، والرائد للرتاد : للرسول في طلب النجمة والشمس الكلال ومساقط النيت
(٦) استمر الحلوبة : طلب درها ، وأن يحسح الضرع بيده ليدر اللبن ،

تِلْكَ الْعِمَالَةُ الْمُسْتَبْعِرَةُ الْعِمَارَةَ ، وَالْقُلُجُ^(١) الْمُنِيَّ^(٢) وَصَفَهَا
عَنِ الشَّرْحِ وَالْعِبَارَةِ ، مَرَّاحِلَ خَتَمًا بِالْتَعْرِيجِ عَلَى حَرْبٍ^(٣)
جِيَانٍ حَرْبَهَا ، قَفَلْنَا ثَانِيَةً غَرْبَهَا ، وَجَدَدْنَا كَرْبَهَا ، وَأَسْتَوْعَبْنَا
حَرْقَهَا وَخَرْبَهَا ، وَلَطَمْنَا أَلِيلَادَ فِي سِلْكِ أَلْبَاءَ ، وَحَثْنًا فِي
أَنْجَادِهَا وَأَغْوَارِهَا رَكَائِبَ الْأَسْتِيْلَاءِ ، فَلَمْ تَتْرُكْ بِهَا مُلْقَطَ
طَيْرٍ ، فَضَّلَا عَنْ مَمْلَفٍ غَيْرٍ ، وَلَا أَسَارْنَا لِقَلْمَا^(٤) الْمَحْرُوبِ
بِلَالَةٍ^(٥) خَيْرٍ ، وَقَفَلْنَا وَقَدْ تَرَكْنَا بِلَادَ النَّصَارَى الَّتِي
مِنْهَا لِكِيَادِنَا الْمَدَدُ ، وَالْمُدَّةُ وَالْمَدَدُ ، وَفِيهَا الْخِصَامُ وَاللَّدَدُ^(٦)
قَدْ لَبَسَتْ الْجِدَادَ حَرِيْقًا ، وَسَلَكَتْ إِلَى الْخَلَاءِ وَالْجَلَاءِ
طَرِيقًا ، وَلَمْ تَتْرُكْ لَهَا مُضَغَّةً تُخَالِطُ طَرِيقًا ، وَلَا نِعْمَةً تَصُونُ
مِنَ الْفِرَاقِ فَرِيقًا . وَمَا كَانَتْ تِلْكَ النِّعْمُ لَوْ لَا أَنْ أَعَانَ

ومن المجاز : بالشكر نستدر النعم (١) الفلج « بضمين » : الساقية
يجرى ماؤها ، والفلجالت للزارع ، والعلج : شق الأرض للزراعة -
والفلجة « بفتحين » : القراح من الأرض الذي اشتق للزرع وفي نسخة
« الفلج » (٢) في نسخة « المي » أى المعجز (٣) في نسخة « حزب »
(٤) الذل : الجماعة للتهزمون - والمحروب : الذي سلب ماله وترك بلائيه
(٥) البلال ، والبلاية ما يبل به الخلق من ماء أولين والبلاية : الندوة ، وأسار أبقى
(٦) اللد الحصومة والجدل وفي التنزيل العزيز : « وهو ألد الخصام » « ألد » :
الخصم الجدل الشحيح والذي لا يرجع إلى الحق ، والشديد الحصومة العسر

اللَّهُ تَعَالَى مِنْ غَضَرِ النَّارِ وَالْهَوَاءِ بِخُودِ كَوْنِهِ الْوَاسِعِ ،
وَمُذْرَكَةِ ^(١) الْبَعِيدِ الشَّاسِعِ ، لِتَوَلَّى الْأَيْدِيَ الْبَشَرِيَّةَ
تَفْرِيبَهَا ^(٢) وَلَا تُرْزَأَ كَثِيرَهَا ، إِلَّا لِمَتَّاحٍ بِالْإِغْتِرَافِ
غَدِيرَهَا ^(٣) . بَلْ لِلَّهِ الْقُدْرَةُ جَمِيعًا ، فَقُدْرَتُهُ لَا تَحْتَايِ
رَيْعًا ^(٤) وَلَا حَيَّ مَرِيئًا مَنِيئًا ؛ وَعُدْنَا وَالْمَوَدَّ فِي مِثْلِهَا
أَحْمَدُ ، وَقَدْ بَعُدَ مِنْ شِفَاءِ النُّفُوسِ الْأَمَدُ ، وَلُسِخَ
بِالشُّرُورِ الْكَمَدُ ، وَرُفِعَتْ مِنْ عِزِّ الْإِسْلَامِ الْعَمَدُ .
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ ، وَمِنْهُ نَلْتَمِسُ عَادَةَ النُّصْرِ
عَلَى أَعْدَائِهِ فَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ . عَرَفْنَاكُمْ بِهِ لَيْسَرُ
دِينِكُمُ التَّيِّنُ ، وَبِحَمْدِكُمُ الَّذِي رَاقَ مِنْهُ الْجَبِينُ . وَاللَّهُ

(١) في بعض المراجع « ومذركه » أى ادراكه واعاقته ، وأدرك أى
بلغ علمه أقصى الشئ . (٢) كذا بالأصل ، وفي بعض المراجع « لتولى
الأيدي البشرية تفريها ولا ترزأ كثيرا » ، وللمتتبع بالاعتراف غديرها »
(٣) امتاح للاء من البئر : استفاد ، والليح أن تدخل البئر فتملأ القلو
لقطعها ، كأنه يريد أن يقول : ان الله تعالى يعوض للره ما فقد ، ويؤليه
بحكمته التعزية والصبر ، فهو وان فقد الكثير يزي نفسه بما يساق اليه من
القليل ، أو يقول : ان الله تعالى أراد أن يسوق اليهم النعم كثيرة متوالية
فأعانهم بخنود من النار والهواء ساعدت على سرعة هزيمة الأعداء ، ومضاعفة
بلائهم ، ولم يكلمهم إلى مجهودهم فيهم فتكون نعمة النصر على الأعداء والفتك
بهم قليلة (٤) الريح : للارتفاع من الأرض ، أو كل فج أو كل طريق أو الطريق
للنفرج عن الجبل ، أو الجبل للارتفاع ، أو سيل الوادى من مكان مرتفع

يَصِلُ سَعْدَكُمْ ، وَيَخْرُسُ مَجْدُكُمْ ، وَيَبْلُغُكُمْ أَمَلُكُمْ
مِنْ فَضْلِهِ وَقَصْدُكُمْ ، بِمَنْتِهِ وَطَوْلِهِ : وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ
يَخْضُكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ . اُنْتَهَى .

وصف جامع قرطبة « رَجَعُ إِلَى مَا كُنَّا بِسَبِيلِهِ » مِنْ أَخْبَارِ قُرْطُبَةِ الْجَلِيلَةِ
الْوَصْفِ ، وَذَكَرَ جَامِعَهَا الْبَدِيعِ الْإِتْقَانِ وَالرَّصْفِ (١)
فَقَوْلُ: قَدْ شَاعَ وَذَاعَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْجَمِّ الْغَفِيرِ مِنَ النَّاسِ
فِي هَذِهِ الْبِلَادِ الْمَشْرِقِيَّةِ وَغَيْرِهَا أَنَّ فِي جَامِعِ قُرْطُبَةِ
ثَلَاثِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ طَاقًا عَلَى عَدَدِ أَيَّامِ السَّنَةِ ، وَأَنَّ
الشَّمْسَ تَدْخُلُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ طَاقٍ إِلَى أَنْ يَمِثَّ الدَّوْرُ ثُمَّ
تَعُودُ . وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ فِي كَلَامِ الْمُؤَرِّخِينَ
مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ ، وَلَوْ كَانَ كَمَا شَاعَ
لَدَكَرُوهُ وَتَعَرَّضُوا لَهُ ، لِأَنَّهُ مِنْ أَعْجَبِ مَا يُسْتَطَرُّ ، مَعَ
أَنَّهُمْ ذَكَرُوا مَا هُوَ دُونُهُ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ

(١) في الأصل « والوصف » وهو تحريف ظاهر - والوصف: نظم الشيء

بعضه إلى بعض - ووصف الحجارة: بناها ووصها ووصل بعضها ببعض

فِي ذَلِكَ . وَتَأْتِي فِي الْبَابِ السَّابِعِ رِسَالَةُ الشَّقْنَدِيِّ
الطَّوِيلَةِ وَفِيهَا مِنْ حَمَاسٍ قُرْطُبَةَ وَسَائِرِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ
الْعِلْمُ وَالرِّمُّ^(١) . وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ جُمْلَةً مِنْ
حَمَاسٍ قُرْطُبَةَ فَأَغْنَى ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهَا هُنَا ، عَلَى أَنَّ رِسَالَةَ
الشَّقْنَدِيِّ تَكَرَّرَ فِيهَا بَعْضُ مَا ذَكَرْنَاهُ ، لِأَنَّا لَمْ نُرِدْ
أَنْ نُخِلَّ مِنْهَا بِحَرْفٍ ، فَاتَيْنَا بِهَا بِلَفْظِهَا وَإِنْ تَكَرَّرَ
بَعْضُ مَا فِيهَا مَعَ بَعْضٍ مَّا أَسْلَفْنَاهُ ، وَالْمَذْرُوعُ وَاصِحٌ
لِلْمُنْصِفِ الْمُنْصِفِي ، وَاللَّهُ نَسْأَلُ سُلوٰكَ السَّبِيلِ الَّذِي يُرْضِي
بَيْنَهُ وَكَرَمِهِ . وَقَالَ صَاحِبُ نَشَقِ الْأَزْهَارِ : إِنَّ فِي جَامِعِ
قُرْطُبَةَ تَنْوَرًا مِنْ نُحَاسٍ أَصْفَرَ يَحْمِلُ أَلْفَ مِصْبَاحٍ ، وَفِيهِ
أَشْيَاءٌ غَرِيبَةٌ ، مِنْ الصَّنَائِعِ الْعَجِيبَةِ ، يَعْجُزُ عَنْ وَصْفِهَا

(١) العلم: اللاء الكثير، أو ما على وجهه من الانتفاء ونحوه ، أو ما ساقه من غناء
ونحوه ، وبكل ذلك فسر قولهم في اللؤلؤ : جاء بالعلم والرم ، وقيل العلم:
البحر والرم الترى ، وسمى البحر طما لأنه طم على ما فيه ، وأراد بالعلم
والرم العدد الكثير ، أو جاء بكل شيء مما في البر والبحر . والعلم أيضا: العجب
العجيب ، وبفسر اللؤلؤ - أو العلم الرطب والرم اليابس ، أو العلم القرب
والرم اللاء ، أو العلم ما يجعله لواء والرم ما تحمله الريح . « أحمد يوسف نجاتي »

الْوَاصِفُونَ . قِيلَ : أَخْكِمَ عَمَلُهُ فِي سَبْعِ سِنِينَ ، وَفِيهِ
ثَلَاثَةُ أَعْمَدَةٍ مِنْ رُخَامٍ أَحْمَرَ مَكْتُوبٌ عَلَى الْوَاحِدِ اسْمُ
مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى الْآخِرِ صُورَةُ عَصَا مُوسَى وَأَهْلِ الْكَهْفِ ،
وَعَلَى الثَّلَاثِ صُورَةُ غُرَابِ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ،
الثَّلَاثَةُ خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ يَصْنَعَهَا صَانِعٌ . اُنْتَهَى .

قُلْتُ لَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ مُحَقِّقِي الْمَوَرِّخِينَ لِلْأَنْدَلُسِ
وَنِقَاتِهِمْ ذَكَرَ هَذَا عَلَى قَلَّةِ أَطْلَاعِي - ، وَهُوَ عِنْدِي بِعِيدٍ
لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لَدَكَرُهُ الْأَمْتَةُ . وَقَدْ حَكَى الْقَاضِي عِيَّاضُ
فِي الشِّفَاءِ أَشْيَاءَ وَجَدَ عَلَيْهَا اسْمُ بَيْتِنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وَلَمْ يَذْكُرْ هَذَا ، وَتُسْتَبَعْدُ أَنْ يَكُونَ بِجَامِعِ قُرْطُبَةٍ وَلَا
يَذْكُرُهُ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَحَقِّقَةِ الْأَمْرِ . وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ
آخَرَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ : إِنَّ دَوْرَ قُرْطُبَةٍ أَرْبَعَةَ عَشَرَ مِيلًا
وَعَرْضُهَا مِيلَانِ ، وَهِيَ عَلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ ، وَعَلَيْهِ جِسْرَانِ ،
وَبِهَا الْجَامِعُ الْكَبِيرُ الْإِسْلَامِيُّ ، وَبِهَا الْكَنِيسَةُ الْمُعْظَمَةُ
بَيْنَ النَّصَارَى . وَبِهَذِهِ الْمَدِينَةِ مَعْدِنُ الْفِضَّةِ وَمَعْدِنُ

الشاذنج وهو حَجَرٌ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَقَطَعَ اللَّحْمُ ^(١) - وَكَانَ
يُجْلَبُ مِنْهَا الْبَيْعَالُ الَّتِي تُبَاعُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِخَمْسِمِائَةِ
دِينَارٍ مِنْ حُسْنِهَا وَعُلُوِّهَا الزَّائِدِ . اُنْتَهَى .

« رَجِعْ إِلَى أَخْبَارِ الْبَنِيَانِ » وَلَا خَفَاءَ أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى
عَظَمِ قَدْرِ بَابِيهِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرُ الْمُرَوَّانِيُّ
بَابِي الزَّهْرَاءِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - حَسْبَمَا نَسَبَهُمَا لَهُ بَعْضُ
الْمُلُكَاءِ ، وَبَعْضُ يَنْسِبُهُمَا لِغَيْرِهِ ، وَسَيِّئَاتِيَانِ فِي تَرْجَمَةِ
نُورِ الدِّينِ بْنِ سَعِيدٍ ^(٢) عَلَى مَنَسُوبَيْنِ - :

هَمُّ الْمُلُوكِ إِذَا أَرَادُوا ذِكْرَهَا

مِنْ بَعْدِهِمْ فَيَأْتِسُنِ الْبَنِيَانِ

إِنَّ الْبِنَاءَ إِذَا تَعَاظَمَ قَدْرُهُ

أَضْحَى يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ

وَتَذَكَّرْتُ هُنَا قَصِيدَةً قَالَهَا بَعْضُ الشَّامِيِّينَ وَهُوَ

(١) ويسمى شاذنجه ، وحجر اللحم - وكانوا يعالجون به بعض أمراض
العين وخشونة الأجفان . (٢) كانت كلمة « سعيد » ساقطة من الأصل

الأديبُ الفاضلُ الشيخُ أسدُ بنُ مُعينِ الدينِ مما يُكتبُ
على أبراجِ دارِ الحُسيبِ، النُسيبِ، الشَّهيرِ اليَتِّ، الكَثيرِ
الحَيِّ والَمَيِّتِ، القاضِي عبدُ الرَّحْمَنِ بنِ الفَرُفُورِ المَشَقِيُّ^(١)
وَصَنَمَهَا يَتَى النَّاصِرِ المَذْكُورِينَ :

زُرْ مَجْلِسًا أَضْحَى أَعَزَّ مَكَانِ

وَمَحَلَّ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ

الْمَجْدُ خِيَمَ فِي ذُرَا أَبْرَاجِهِ

وَالسَّعْدُ عَبْدُ الْبَابِ طَوْلَ زَمَانِ

كَانَ لِدِ مَرْفُوعِ الْبِنَاءِ وَأَرْضُهُ

مَفْرُوشَةٌ بِالذَّرِّ وَالْعِقْيَانِ

(١) بيت الفرפורي يتكأن في الشام « في القرنين العاشر والحادي عشر »
من بيوتات الحسب والعراقة وأرباب السن والطلاقة ، وفي أحدهم
« أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد للتوفي سنة ١٠٣٧ » يقول الأديب
أبو بكر بن أحمد الجوهري :

أبناء فرفور لقد حازوا العلا حتى علوا في المجد هام الفرقد

ورثوا الفضائل كبرا عن كابر وكال ذلك بالشهاب الاحمد

يَنْتُ بِهِ فَخَرَ الْيُتُ لَانَّهُ
يَنْتُ الْقَصِيدُ ^(١) وَمَنْزِلُ الضِّفَانِ
مَنْنَى فَسِيحٌ فِيهِ مَعْنَى مُفْصِحٌ
عَنْ قَدْرِ بَابِهِ بِغَيْرِ لِسَانٍ
قَدْ قَالَ بَعْضُ ذَوِي الْفَضَائِلِ قَبْلَنَا
قَوْلًا بَدِيعًا وَاضِحَ التَّبْيَانِ
هَمُّ الْمُلُوكِ إِذَا أَرَادُوا ذِكْرَهَا
مِنْ بَعْدِهِمْ قِبَالُ السُّنَنِ الْبُنْيَانِ
إِنَّ الْبِنَاءَ إِذَا تَعَاظَمَ قَدْرُهُ
أَضْحَى يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ
قَدْ شَادَهُ مَنْ سَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ
بِالْأَصْلِ وَالْإِفْضَالِ وَالرُّجْحَانِ
وَرِثَ السِّيَادَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
وَسَمَا بِرَفْعَتِهِ عَلَى كَيَوَانٍ ^(٢)
قَاضِيَ الْقَضَاةِ وَمَفْخَرُ الْعَصْرِ الَّذِي
قَدْ جَاءَ فِيهِ سَابِقَ الْأَقْرَانِ

(١) تورية يريد بها أنه منزل الشعر والادب كما أنه بيت الكرم (٢) اسم
لكوكب زحل أبعد السيارات السبع عند القدماء « أحمد يوسف نجاني »

فِي الْعِلْمِ بَحْرٌ لَا يَنَالُ قَرَارُهُ
 فِي الصُّكْمِ مِثْلُ مُهَنْدٍ وَمِثْلَانِ
 يَرْوِي عَطَاءٌ^(١) عَنْ يَدَيْهِ، قَدْ أَقْتَنَى
 آثَارَ آبَاءِ ذَوِي إِحْسَانِ
 لَا زَالَ يَبْقَى شَائِدًا يَنْتِ الْعَمَلُ
 وَعُدُوهُ فِي الْوَهْمِ وَالنُّقْصَانِ
 يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي يَجْرِي مَعَ آثَارِ
 إِقْبَالِ وَالْإِسْنَادِ طَلَقَ عِنَانِ^(٢)
 دُمُ شَامِخِ الْمِقْدَارِ مُرْتَفِعِ الْبِنَا
 وَالنَّاسُ تَحْتَ رِضَاكَ كَالْغُلَامِ
 مُتَمَتِّعًا بِبَيْنِكَ سَادَاتِ الْوَرَى
 فِي عِزِّ رَبِّ دَائِمِ السُّلْطَانِ
 مَا رَجَعَ الْقُمْرِيُّ فِي تَغْرِيدِهِ
 فِي الرُّوضِ فَوْقَ مَنَابِرِ الْأَغْصَانِ

(١) في « عطاء » تورية باسم عطاء بن أبي رباح التميمي كان من أجلاء
 فقهاء مكة وزهادهم توفي سنة ١١٥ هـ ومرادهمنا البذل والنسج
 (٢) أي مطلق العنان ومرسله قد أرخى له يدوجهد طاقته .



وَكَانَ الْقَاضِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ قُرْقُورٍ الْمَذْكُورُ عَلَى
عبد الرحمن بن قرقور
الْهَيْمَةِ تَضَيَّقُ يَدُهُ^(١) عَمَّا يَرِيدُ ، فَلِذَلِكَ كَانَ كَثِيرًا مَا يَبْتَ
شَكَوَاهُ فِي الطُّرُوسِ وَالذَّقَاتِرِ ، وَتَعَبُ عَلَى الزَّمَانِ الَّذِي
أَخْنَى^(٢) عَلَى أَهْلِ الْأَدَبِ وَقَطَعَ آمَالَهُمْ بِحُسَامِهِ الْبَاتِرِ ، وَبَرَحَ
اللَّهُ الْقَائِلَ :

هَذَا زَمَانٌ دُرَيْهَمِي لَا غَيْرُهُ

فَدَعَ الذَّقَاتِرَ لِلزَّمَانِ الْقَاتِرِ
فَمَنْ نَظَّمَ الْمَذْكُورَ وَقَدْ أَبْطَأَ بِحُزْنِهِ اسْتِمَارَهُ مِنْ بَعْضِ
إِخْوَانِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعْتَذِرًا ، وَأَدْمَجَ شَكْوَى الزَّمَانِ
الَّذِي كَانَ مِنْ شِمَاتِهِ الْأَعْدَاءُ بِهِ حَذَرًا :

أَبْطَأْتُ فِي ذَا الْجُزْءِ يَسِيدِي

كِتَابَةً مِنْ جَوْرِ دَهْرٍ بَنِيضٍ

(١) حقه أن ينفد:

أرى نفسي تنوق إلى أمور ويقتصر دون مبالغتها مالي

فنفسي لا تطاوعني ببخل ومالي لا يبلغي فعالي

(٢) أخنى عليهم الدهر: أتى عليهم وأهلكهم ، وخنى الدهر: آفاه ونوابه

صَابِرُهُ فَالْجَنَمُ مِنِّي لَقِيَ^(١)
 تَجَلَّدًا وَالْقَلْبُ مِنِّي مَرِيضُ
 فَإِذَا أَبِي إِلَّا تَلَا فِي وَقَدْ
 أَحَلَّنِي مِنْهُ حَمَلُ النِّقِيزِ
 وَأُقْتَادَنِي قَسْرًا إِلَى مَضْرَعِ
 قَدْ رَقَّ مِنْهُ اللَّحْمُ وَالْمَعْظَمُ هِيزُ
 سَلَّمْتُ لِلْإِقْدَارِ مُسْتَسْرِعًا
 لِبَابِ مَوْلَى ذِي عَطَاءٍ عَرِيضُ
 تَجُومُ صَبْرٍ كُنْتُ أَسْطُو بِهِ
 عَلَى رِزَايَا^(٢) الدَّهْرِ بِأَلْهَمِ غِيضِ^(٣)
 فَلَا تَلُمُ يَا صَاحِبَ مِنْ بَعْدِ ذَا
 إِذَا تَمَثَّلْتُ : بِحَالِ الْجَرِيضِ^(٤)

(١) الاقي : الشيء اللقي على الأرض يريد أنه طريح (٢) في الأصل (روايا)
 مصحفة (٣) جم اللاء يجمع جموعا : كثروا اجتماع ضد غاض (٤) يريد للثلث للشهور
 وهو « حال الجريض دون القريض » يضرب لمن يشغله أمر محض مؤلم
 عن اللطوب منه ، ولا أمر يوق دونه عائق ، ويقال عند كل أمر كان مقدورا
 عليه خيل دونه ، وقال الليداني : يضرب لأمر يقدر عليه آخر حين لا ينفع.

وَرَأَيْتُ بِحُطَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مِمَّا نَسَبَهُ جَدُّهُ
الْقُطْبُ الْخَيْصَرِيُّ الْحَافِظُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ نَصْرِ الْحَمَوِيِّ ثُمَّ
الْمِصْرِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْفَقِيهِ :

يَا زَمَانَا كُلَّمَا حَا وَنْتُ أَمْرًا يَتَنَعَّ
إِنْ تَمَصَّبْتَ فَإِنِّي بِاصْطِبَارِي أَتَقَنَّ^(١)
وَهَذِهِ تَوْرِيَّةٌ بَدِيعَةٌ لِلنَّيَاةِ فِي التَّمَصُّبِ وَالتَّقَنَّعِ ، مَعَ
حَلَاوَةِ النَّظْمِ وَجَوْدَةِ السَّبْكِ وَخِفَةِ الْوِزْنِ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ
يُرْوِّحُ تِلْكَ الْأَرْوَاحَ فِي الْجَنَانِ ، وَيُمَامِلُنَا وَإِيَانَهُمْ بِمَخْضِ
الْفَضْلِ وَالْإِمْتِنَانِ ، وَيَكْفِينَا شُجُونَ دَهْرِ جَرَى بِنَا طَلَقَ
الْجِنَانِ .

والجريض النصبة - وقال الرياشي : الجريض والقريض يحداثان بالانسان
عند الموت ، فالجريض تبلغ الريق والقريض صوت الانسان « وفي معنى
الثلل : حال الاجل دون الامل » وقريب منه قول ابن الفارض :
دنت وحياض الموت بيني وبينها وجدت بوصل حين لا ينفع الوصل
وأول من قال هذا للثلل عبيد بن الأبرص أو جوشن بن منقذ الكلابي
حين منعه أبوه من قول الشعر حسدا له لتبريزه كان عليه فجاش الشعر
في صدره فمرض منه حزنا فرق له أبوه وقد أشرف على الموت فقال يابني
انطق بما أحيت ، فقال : حال الجريض دون القريض - وأرى أن
القريض يراد به معناه الظاهر وهو الشعر ونظمه (١) في الأصل « يتمتع »
« أقتنع » والأولى ما أبتناه بدليل قول المؤلف بعد « التصب والتقنع »

« رَجَعُ إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ » وَكُنْتُ وَهْتُ فِي كَلَامِ
بَعْضِ أَلَمَاءٍ عَلَى أَنَّ الْبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ الْمُسَوَّيْنِ إِلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ الْمَرْوَانِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - قَالَهُمَا فِي
الزَّهْرَاءِ الَّتِي بَنَاهَا، وَسَيَاتِي ذِكْرُهَا قَرِيبًا . وَقَالَ الشَّيْخُ
سَيِّدِي مُحَمَّدِي الدِّينِ بْنُ الْعَرَبِيِّ^(١) فِي الْمُسَامَرَاتِ : قَرَأْتُ
عَلَى مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ بَعْدَ خَرَابِهَا وَصَيُورَتِهَا مَاوَى الطَّيْرِ
وَالْوَحْشِ - وَبَنَاهَا عَجِيبٌ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَهِيَ قَرِيبَةٌ
مِنْ قُرْطُبَةَ - أَيْنَا تَذَكُّرُ الْعَاقِلِ ، وَتُبُّهُ الْغَافِلَ ، وَهِيَ :

دِيَارٌ بِأَكْنَافِ الْمَلَاعِبِ تَلْعُ

وَمَا إِنَّ بِهَا مِنْ سَاكِنٍ وَهِيَ بَلْعُ^(٢)

يَنُوحُ عَلَيْهَا الطَّيْرُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

فَيَصُتُّ أَحْيَانًا وَحِينًا يُرْجَعُ

(١) سَتَأْتِي تَرْجُمَتُهُ فِي النِّفْعِ مَبْسُوطَةً (٢) مِنَ الْمَجَازِ : لَعِبَتْ الرِّيحُ بِالْمَنْزِلِ
وَتَلَعِبَتْ إِذَا دُرِسَتْ ، وَمَلَاعِبُ الرِّيحِ : مَدَارِجُهَا - وَابْلَغُ الْأَرْضِ الْقَفَرِ
الَّتِي لَا شَيْءَ بِهَا . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاشِي »

فَخَاطَبْتُ مِنْهَا طَائِرًا مُتَعَرِّدًا
لَهُ شَجْنٌ فِي الْقَلْبِ وَهُوَ مُرَوِّعٌ
فَقُلْتُ عَلَى مَاذَا تَنُوحُ وَتَشْتَكِي ؟
فَقَالَ عَلَى دَهْرِ مَضَى لَيْسَ يَرْجِعُ

« ثُمَّ قَالَ » وَأَخْبَرَنِي بِمَعْنَى مَشَايِخِ قُرْطُبَةَ عَنْ سَبَبِ
بِنَاءِ مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ أَنَّ النَّاصِرَ مَاتَ لَهُ سُرِيَّةٌ وَتَرَكَتْ
مَالًا كَثِيرًا ، فَأَمَرَ بِأَنْ يُفَكَّ بِذَلِكَ الْمَالِ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ
وَيُطْلَبَ فِي بِلَادِ الْفَرَنْجِ أَسِيرًا فَلَمْ يَوْجَدْ ، فَشَكَرَ اللَّهُ
تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَتْ لَهُ جَارِيَتُهُ الزَّهْرَاءُ - وَكَانَ يُجِبُّهَا
حُبًّا شَدِيدًا : أَشْهَيْتُ لَوْ بَنَيْتَ لِي بِهِ مَدِينَةً تُسَمِّيَهَا بِاسْمِي
وَتَكُونُ خَاصَّةً لِي ، فَبَنَاهَا تَحْتَ جَبَلِ الْعُرُوسِ مِنْ قِبَلَةِ
الْجَبَلِ وَشِمَالِ قُرْطُبَةَ - وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ قُرْطُبَةَ الْيَوْمَ ثَلَاثَةُ
أَمْيَالٍ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ - وَأَتَقَنَ بِنَايَهَا ، وَأَحْكَمَ الصَّنْعَةَ فِيهَا ،
وَجَعَلَهَا مُسْتَنْزَهًا وَمَسْكَنًا لِلزَّهْرَاءِ وَحَاشِيَةِ أَرْبَابِ دَوْلَتِهِ ،
وَنَقَّشَ صُورَهَا عَلَى الْبَابِ ، فَلَمَّا قَدِمَتِ الزَّهْرَاءُ فِي مَجْلِسِهَا
(١٨ - فتح الطيب - رابع)

نَظَرَتْ إِلَى يَاضِ الْمَدِينَةِ وَحُسْنِهَا فِي حِجْرِ ذَلِكَ الْجَبَلِ
الْأَسْوَدِ فَقَالَتْ : يَا سَيِّدِي أَلَا تَرَى إِلَى حُسْنِ هَذِهِ الْجَارِيَةِ
الْحُسْنَاءِ فِي حِجْرِ ذَلِكَ الرَّنْجِي؟ فَأَمَرَ بِزَوَالِ ذَلِكَ الْجَبَلِ ،
فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ : أَعِزُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَخْطُرَ لَهُ
مَا يَشِينُ الْقَلَّ سَمَاعُهُ ، لَوْ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ مَا أَزَالُوهُ حَفْرًا
وَلَا قَطْعًا ، وَلَا يُزِيلُهُ إِلَّا مَنْ خَلَقَهُ ، فَأَمَرَ بِقَطْعِ شَجَرِهِ
وَعَرَسِهِ تَيْنًا وَلَوْزًا ، وَلَمْ يَكُنْ مَنْظَرٌ أَحْسَنُ مِنْهَا ، وَلَا سِيْمًا
فِي زَمَانِ الْأَزْهَارِ ، وَتَفْشِحِ الْأَشْجَارِ ، وَهِيَ بَيْنَ الْجَبَلِ وَالسَّهْلِ ،
أَتَمَّى بِبَعْضِ اخْتِصَارٍ .

وَقَالَ ابْنُ خُلُكَانَ فِي تَرْجَمَةِ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ مَا صُورَتْهُ :
الزَّهْرَاءُ بَفَتْحِ الزَّأْيِ وَسُكُونِ الْهَاءِ وَفَتْحِ الرَّاءِ بَعْدَهَا
أَلِفٌ مَمْدُودَةٌ ، وَهِيَ مِنْ عَجَائِبِ أُنْبِيَةِ الدُّنْيَا ، أَنْشَأَهَا
أَبُو الْمُظَفَّرِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَلَقَبُ
بِالنَّاصِرِ أَحَدَ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ بِالْقُرْبِ مِنْ قُرْطُبَةَ
فِي أَوَّلِ سَنَةِ ثَمَسَةِ عَشْرِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَمَسَافَةً مَا يَنْتَهَمَا

أَرْبَعَةُ أَمْيَالٍ وَثُلَاثَا مِيلٍ ، وَطُولُ الزَّهْرَاءِ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى
الْقَرْبِ أَلْفَانِ وَسَبْعُمِائَةٍ ذِرَاعٍ ، وَعَرْضُهَا مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى
الْجَنُوبِ أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ ذِرَاعٍ ، وَعَدَدُ السَّوَارِي الَّتِي فِيهَا
أَرْبَعَةُ آلَافٍ سَارِيَةٍ وَثَلَاثُمِائَةٍ سَارِيَةٍ ، وَعَدَدُ أَبْوَابِهَا يَزِيدُ
عَلَى خَمْسَةِ عَشَرَ بَابًا^(١) . وَكَانَ النَّاصِرُ يُقَسِّمُ جَبَايَةَ الْبِلَادِ
أَثَلَاثًا : ثُلُثًا لِلْجُنْدِ ، وَثُلُثًا مُدَخَّرًا ، وَثُلُثًا يُنْفِقُهُ عَلَى
عِمَارَةِ الزَّهْرَاءِ . وَكَانَتْ جَبَايَةُ الْأَنْدَلُسِ خَمْسَةَ آلَافٍ
أَلْفِ دِينَارٍ وَأَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ وَثَمَانِينَ أَلْفِ دِينَارٍ^(٢) ، وَمِنْ
السُّوقِ وَالْمُسْتَخْلَصِ^(٣) سَبْعُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَخَمْسَةُ وَسِتُّونَ
أَلْفِ دِينَارٍ . وَهِيَ مِنْ أَهْوَلِ مَا بَنَاهُ الْإِنْسُ^(٤) وَأَجَلُهُ خَطَرًا
وَأَعْظَمُهُ شَأْنًا . ذَكَرَ ذَلِكَ كُلُّهُ ابْنُ بَشْكُوَالٍ فِي تَارِيخِ
الْأَنْدَلُسِ . انْتَهَى كَلَامُهُ .

- (١) كذا في ابن خلكان ، وعدلنا عما في الأصل « خمسة عشر ألف باب »
(٢) كذا في ابن خلكان ، أما الأصل التي عدلنا عن روايته فهو
يزيد كلمة ألف فيقول « خمسة آلاف ألف ألف دينار وأربعمائة ألف
ألف » (٣) الخ كذا في ابن خلكان وفي موضع آخر من الأصل - وفي
الأصل هنا « ومن السوق للمستخلص » وهذا تحريف (٤) في ابن خلكان
« وهي من أهول بناء الأندلس » . « أحمد يوسف نجاشي »



أحلال قصور
الأميين

وَحَكَى فِي الْمَطْمَحِ أَنَّ الْوَزِيرَ الْكَبِيرَ الشَّهِيدَ
أَبَا الْحَزْمِ ^(١) بَنَ جَهْوَرٍ قَالَ - وَقَدْ وَقَفَ عَلَى قُصُورِ الْأُمَوِيِّينَ
الَّتِي تَقَوَّضَتْ أَبْنِيَتُهَا ، وَعَوَّضَتْ مِنْ أُنَيْسِهَا بِالْوَحْشِ
أَفْنِيَتُهَا :

قُلْتُ يَوْمًا لِدَارِ قَوْمٍ تَفَانُوا
أَيْنَ سُكَّانُكَ الْعِزَّازُ دَلِيلِنَا ؟
فَأَجَابَتْ : هُنَا أَقَامُوا قَلِيلًا
ثُمَّ سَارُوا ، وَلَسْتُ أَغْلَمُ أَيْنَا ؟

وَفِيهِ أَنَّ أَبَا عَامِرٍ بَنَ شُهَيْدٍ بَاتَ لَيْلَةً يَأْخُذِي كِنَانِيسَ
قُرْطُبَةَ وَقَدْ فُرِشَتْ بِأَضْفَانٍ ^(٢) آسٍ ، وَعُزْشَتِ ^(٣) بِسُرُورٍ
وَأَسْتَنْتَاسٍ ، وَقَرَعُ الْتَوَاقِيسِ يَهِيحُ ^(٤) سَمْعُهُ ، وَبَرَقَ الْحَمِيَا

(١) في الأصل الشهير بالحزم وهو تحريف ناقص (٢) جمع ضفت وهو نحو الحزمة - وأصل معنى الضفت قبضة من حبشش أو مقدارها غنطلة الرطب باليابس - أو كل ماملأ الكف من النبات (٣) عرش الكرم ونحوه عرشا وعرشا وعرشه: جعله عريشا « وهي عيدان تجعل كهينة السقف فتجعل عليها قضبانها وترفع عليها دواليه » وفي بعض النسخ « وعرشت يشر واستنتاس » (٤) في المطمح « يهيج » وفيه « يسرج » بدل يسرع ،

يُسْرِعُ لَمَعُهُ ، وَالْقَسْدُ قَدْ بَرَزَ فِي عَبْدَةِ الْمَسِيحِ ، مُتَوَشِّحًا
بِالزَّنَارِ أَبْدَعَ تَوْشِيحٍ ، قَدْ هَجَرُوا الْأَفْرَاحَ ، وَأَطْرَحُوا
النِّعَمَ ^(١) كُلَّ اطْرَاحٍ :

لَا يَعْمِدُونَ إِلَى مَاءِ بَابِ نَيْسَ

إِلَّا اغْتَرِافًا مِنَ الْغُدْرَانِ بِالرَّاحِ ^(٢)

وَأَقَامَ يَنْتَهَمُ يُعْمِلُهَا مُحِبًّا ، كَأَنَّمَا يَرْشَفُ مِنْ كَاسِهَا
شَفَةً لَيْسًا ، وَهِيَ تَنْفَحُ لَهُ بِأَطْيَبِ عَرَفٍ ، كُلَّمَا رَشَفَهَا أَعَذَبَ
رَشَفٍ ، ثُمَّ أَرْتَجَلْ ، بَعْدَ مَا أَرْتَجَلْ ، فَقَالَ :

وَلَرُبَّ حَائٍ قَدْ شَمِمَتْ ^(٣) بِدِيرِهِ

خَمَرَ الصَّبَا مُزِجَتْ بِصَرْفِ عَصِيرِهِ

فِي فِتْنَةٍ جَعَلُوا الشُّرُورَ شِعَارَهُمْ

مُتَصَاغِرِينَ تَخَشُّمًا لِكَبِيرِهِ

وهو أحسن عبارة لما فيه من ترصيع السجع القوي يقصده الفتح بن
خاقان كثيرا (١) في الأصل والطمح «النم» وأرى أنها محرفة عن «النعم»
كما لا يخفى (٢) ثم نظام هذا البيت في الأصل مهبطا محرفا مكتوبا بهيئة
كتابة النثروفيه «بأبلة» بدل بآنية (٣) ويروى: أدرت «أحمد يوسف نجاشي»

وَالْقَسُّ مِمَّا شَاءَ طُولُ مُقَامِنَا
يَدْعُو بِمُودٍ حَوْلَنَا بِزُبُورِهِ
يُهْدِي لَنَا بِالرَّاحِ كُلَّ مُصَفِّرٍ
كَالْخُشْفِ خَفَرَهُ التَّمَاخُ خَفِيرُهُ^(١)
يَتَنَاوَلُ الظَّرْفَاءَ فِيهِ وَشُرْبُهُمْ
لِسُلَافِهِمْ^(٢) وَالْأَكْلُ مِنْ خِزِيرِهِ
أَتَمَّتْ .



بناء الزهراء « رَجَعُ إِلَى أَنْبَاءِ الزَّهْرَاءِ » قَالَ بَعْضُ مَنْ أَرَخَ
الْأَنْدَلُسَ : كَانَ يَتَصَرَّفُ فِي عِمَارَةِ الزَّهْرَاءِ كُلَّ يَوْمٍ

(١) كذا بالأصل والطمح، وقد تكون « مضفر » وربما كان أصل البيت هكذا:
يهدى لنا بالراح كل مخفر كالخشف نفرة التماخ خفيره
والخفر للمنوع، من قولك خفرو وخفر عليه يخفر خفرا، وخفرو إذا جاره
ومنه وأمنه وكان له خفيرا يحرسه، والتخفير: التسوير والتحصين، والخفر:
شدة الحياة كالتمخفر - والخشف « بكسر الحاء وضمها مع سكون الشين »
ولد الطي أول مايولد، وقال الأصمعي أول مايولد الطي طلائم خشف -
والتمحه ولحه ولمح إليه إذا اختلس النظر إليه أي أبصره بنظر خفيف
سريع، واللمحة: النظرة العجلة، وقيل لا يكون اللمح الامن بعيد - فمضى
البيت على ما أراه أنه يدير الراح عليهم ساق أهيف كالطي الأغصان للمنع في
حياء ودلال يزيد نفوره وامتناعه رقابة خفيره وملاحظة رقيبته .
« أحمد يوسف نجاشي » - (٢) في بعض للراجع « لسلاف » وهو أظهر .

مِنْ أُلْدَامٍ وَالْقَلَّةِ عَشْرَةُ آلَافٍ رَجُلٍ ، وَمِنْ الدَّوَابِّ أَلْفٌ
وَحَمْسِيَّةٌ دَابَّةٌ ، وَكَانَ مِنَ الرِّجَالِ مَنْ لَهُ دِرْهَمٌ وَلِصَفٍّ
وَمَنْ لَهُ الدَّرْهَمَانِ وَالثَّلَاثَةُ ، وَكَانَ يُصْرَفُ فِيهَا كُلُّ يَوْمٍ
مِنْ الصَّخْرِ الْمَنْحُوتِ الْمُعْدَلِ سِتَّةُ آلَافٍ صَخْرَةٍ سِوَى
الْأَجْرِ وَالصَّخْرِ غَيْرِ الْمُعْدَلِ . انْتَهَى . وَسَيَأْتِي فِي الزَّهْرَاءِ
مَزِيدٌ كَلَامٍ

وَقَالَ ابْنُ حَيَّانَ : أَبْتَدَأَ النَّاصِرُ بِنَاءَ الزَّهْرَاءِ أَوَّلَ يَوْمٍ
مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِيَّةٍ ، وَجَعَلَ طُولَهَا
مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبِ أَلْفَيْنِ وَسَبْعِيَّةٍ ذِرَاعٍ ، وَتَكْسِيرُهَا
تِسْعِيَّةُ أَلْفِ ذِرَاعٍ وَيَسْعُونَ أَلْفَ ذِرَاعٍ . كَذَا ثَقَلَهُ
بَعْضُهُمْ ، وَلِلنَّظَرِ فِيهِ مَجَالٌ ، قَالَ : وَكَانَ يُنِيبُ عَلَى كُلِّ
رُخَامَةٍ كَبِيرَةٍ أَوْ صَغِيرَةٍ عَشْرَةَ دَنَائِرٍ سِوَى مَا كَانَ يَلْزَمُ
عَلَى قَطْعِهَا وَثَقْلِهَا وَمَثُونَةِ حَمْلِهَا ، وَجُلِبَ إِلَيْهَا الرُّخَامُ
الْأَيْضُ مِنَ الْمَرِيَّةِ ، وَالْمُجَزَّعِ مِنَ رِيَّةٍ ^(١) ، وَالْوَرْدِيِّ

(١) رِيَّةٌ كُورَةٌ وَاسِعَةٌ مُتَصِلَةٌ بِالْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَهِيَ قَبْلُ قَرْطَبَةَ ، وَكَانَتْ
كَثِيرَةَ الْحَبَرَاتِ ذَاتِ مَدَنٍ وَحُصُونٍ وَرَسَاقٍ وَاسِعٍ ، وَفِيهَا حِمَاةٌ أَى عَيْنٍ
تَخْرُجُ حَلَرَةً ، وَهِيَ أَشْرَفُ حِمَاةِ الْإِمْدَلِسِ لِأَنَّ فِيهَا مَاءً حَارًا وَبَارِدًا

وَالْأَخْضَرُ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ مِنْ سَفَاقُسَ^(١) ، وَقَرَطَاجَنَةَ ، وَالْخَوْضُ
الْمَنْقُوشُ الْمَذْهَبُ مِنَ الشَّامِ - وَقِيلَ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ
وَفِيهِ تَقُوشُ وَتَمَائِيلُ وَصُورٌ عَلَى صُورِ الْإِنْسَانِ ،
وَلَيْسَ لَهُ قِيَمَةٌ^(٢) .



وَلَمَّا جَلَبَهُ أَحْمَدُ الْقَيْلَسُوفُ - وَقِيلَ غَيْرُهُ -
أَمَرَ النَّاصِرُ بِنَصْبِهِ فِي وَسْطِ الْمَجْلِسِ الشَّرْقِيِّ الْمَعْرُوفِ
بِالْمُونِسِ ، وَلَنَصَبَ عَلَيْهِ اثْنَيْ عَشَرَ تَمْتَالًا ، وَبَنَى فِي قَصْرِهَا
الْمَجْلِسَ الْمُسَمَّى بِقَصْرِ الْخِلَافَةِ ، وَكَانَ مَمْكُهُ^(٣) مِنَ
الذَّهَبِ وَالرُّخَامِ الْقَلِيطِ فِي جَرْمِهِ ، الصَّافِي لَوْنُهُ ، الْمُتَلَوَّنَةُ
أَجْنَاسُهُ ، وَكَانَتْ حَيْطَانُ هَذَا الْمَجْلِسِ مِثْلَ ذَلِكَ ،
وَجُعِلَتْ فِي وَسْطِهِ الْبَيْتَةُ الَّتِي أَتَحَفَ النَّاصِرُ بِهَا الْيُونُ
مَلِكُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَكَانَتْ قَرَامِدُ^(٤) هَذَا الْقَصْرِ

قصر الخلافة
بالزهراء

(١) مدينة من نواحي افريقية على شفة الساحل ، وكان لها سور من صخر
وآجر ، وجل غلاتها الزيتون والزيت (٢) يعني أنه ذو قيمة غالية باهظة
وهذا كقول الشاعر :

ملا فرت به العبيد نان من هذا نمن

وقولهم ما حديث اللوموق من نمن

(٣) السمك : السقف ، أو من أعلى البيت الى أسفله (٤) جمع قرمدوهو

مِنَ النَّهْبِ وَالْفِضَّةِ ، وَهَذَا الْمَجْلِسُ فِي وَسْطِهِ مَهْرِيحٌ
عَظِيمٌ مَّمْلُوءٌ بِالزُّبُقِ ، وَكَانَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ هَذَا
الْمَجْلِسِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ قَدْ أُنْقَدَتْ عَلَى حَنَائَا مِنَ الْمَاجِ
وَالْأَبْنُسِ الْمُرَصَّعِ بِالنَّهْبِ وَأَصْنَافِ الْجَوَاهِرِ ، قَامَتْ عَلَى
سَوَارٍ مِنْ الرُّخَامِ الْمَلُونِ وَالْبَلُورِ الصَّافِي ، وَكَانَتْ
الشَّمْسُ تَدْخُلُ عَلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ فَيَضْرِبُ شُعَاعُهَا فِي
صَدْرِ^(١) الْمَجْلِسِ وَحِيطَانِهِ ، فَيَصِيرُ مِنْ ذَلِكَ نُورٌ يَأْخُذُ
بِالْأَبْصَارِ . وَكَانَ النَّاصِرُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُفْرِغَ أَحَدًا مِنْ
أَهْلِ مَجْلِسِهِ أَوْ مَأً إِلَى أَحَدٍ صَقَالَتِهِ فَيَحْرُكُ ذَلِكَ الزُّبُقَ
فَيَظْهَرُ فِي الْمَجْلِسِ كَلِمَتَانِ الْبَرَقَ مِنَ النُّورِ ، وَيَأْخُذُ
بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ ، حَتَّى يُخَيَّلَ لِكُلِّ مَنْ فِي الْمَجْلِسِ أَنَّ
الْمَحَلَّ قَدْ طَارَ بِهِمْ مَا دَامَ الزُّبُقُ يَتَحَرَّكُ . وَقِيلَ : إِنَّ هَذَا
الْمَجْلِسَ كَانَ يَدُورُ وَيَسْتَقْبِلُ الشَّمْسَ ، وَقِيلَ : كَانَ ثَابِتًا

كل ما طلي به لآلئ كالأعفران والحبس - والقرميد والقرميد أيضا حجارة
لها خروق يوقد عليها حتى إذا فُضحت قرمطت بها الحياض والبرك أى طليت
(١) في بعض النسخ « سمك » بدل « صدر » . « أحمد يوسف نجاشي »

عَلَى صِفَةِ هَذَا الصَّهْرِيجِ . وَهَذَا الْمَجْلِسُ لَمْ يَتَقَدَّمَ
لِأَحَدٍ بِنَاؤُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا فِي الْإِسْلَامِ ، وَإِنَّمَا تَهَيَّأَ
لَهُ لِكَثْرَةِ الزُّبُقِ عِنْدَهُمْ . وَكَانَ بِنَاءُ الزَّهْرَاءِ فِي غَايَةِ
الْإِتْقَانِ وَالْحُسْنِ ، وَبِهَا مِنَ الْمَرَمَرِ وَالْعُمْدِ كَثِيرٌ ،
وَأَجْرَى فِيهَا الْمِيَاءَ ، وَأَخَذَقَ بِهَا الْبَسَاتِينَ ، وَفِيهَا يَقُولُ
الشَّاعِرُ السَّمِيرُ (١) :

وَقَفْتُ بِالزَّهْرَاءِ مُسْتَعْبِرًا مُعْتَبِرًا أَنْدُبُ أَشْتَاتَا
قُلْتُ يَا زَهْرَاءُ أَلَا فَارَجِمِي

قَالَتْ : وَهَلْ يَرْجِعُ مَنْ مَاتَا ؟

فَلَمْ أَزَلْ أَبْكِي وَأُبْكِي بِهَا

هِنَاهُ مُبْنِي التَّنْعُ هِنَاهُنَا

كَأَنَّمَا آثَارُ مَنْ قَدْ مَضَى

نَوَادِبُ يَنْدُبُنْ أُمُوتَانَا

(١) في الأصل « السَّمِير » وهو تصحيف بضم السين القاري - والسَمِير

شاعر مشهور من أهل قرطبة « في أواخر القرن الخامس والقرن السادس »

أكثر شعره في الحكم والنصائح والزهد . « أحمد يوسف نجاشي »

أَتَمَّى كَلَامَ هَذَا الْمَوْزَنْجِ مُلَخَّصًا . وَسَيَأْتِي مَا يُوَافِقُ جُلَّهُ ،
وَيُخَالِفُ قُلَّهُ ، وَاللَّهُ مُبْحَثَانُهُ يَعْلَمُ الْأَمْرَ كُلَّهُ ، فَإِنَّهُ رَبِّمَا
يَنْظُرُ الْمُتَمَّامُ هَذَا الْكِتَابَ فَيَجِدُ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ
تَخَالُفًا ، فَيَحِيلُ ذَلِكَ عَلَى الْغُلَطِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، وَإِنَّمَا
السَّبَبُ الْحَامِلُ لِذَلِكَ جَلْبُ كَلَامِ النَّاسِ بِعِبَارَاتِهِمْ ،
وَالْتَأَقُّدُ الْبَصِيرُ لَا يَخْفَاهُ مِثْلُ هَذَا ، وَرَبِّمَا يَقَعُ التَّكَرُّارُ
وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ مَا ذَكَرَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .



وَتَذَكَّرْتُ بِمَا وَصَفَهُ مِنْ مَجْلِسِ النَّاصِرِ غَيْرُ وَاحِدٍ^(١) قَصْر طَلِيظَةَ
مَا حَكَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنِ الْقَصْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي شَادَهُ مَلِكُ طَلِيظَةَ
الْمُتَمُّونُ بْنُ ذِي الثَّنُونِ بِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ اتَّقَنَهُ إِلَى الْغَايَةِ ،
وَأَتَقَنَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْأَطَائِلَةِ ، وَصَنَّ فِي وَسْطِهِ بُحَيْرَةً ، وَصَنَّ
فِي وَسْطِ الْبُحَيْرَةِ قُبَّةً مِنْ زُجَاجٍ مُلَوَّنٍ مَنقُوشٍ بِالذَّهَبِ ،
وَجَلَبَ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِ الْقُبَّةِ بِتَدْيِيرِ أَخْكَمَةِ الْمُهَنْدِسُونَ ،
فَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ عَلَى جَوَانِبِهَا مُحِيطًا بِهَا

(١) « غير واحد » غير موجود في بعض النسخ .

وَيَتَّصِلُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ . فَكَانَتْ قَبَّةُ الزُّجَاجِ فِي غِلَاظِهِ
 مِنْ مَاءٍ سَكَبٍ ^(١) خَلَقَهُ الزُّجَاجُ لَا يَفْتَرُ مِنَ الْجَرَى ،
 وَالْمَأْمُونُ قَاعِدٌ فِيهَا لَا يَمْسُهُ مِنَ الْمَاءِ شَيْءٌ وَلَا يَصِلُهُ ،
 وَتَوْقُدُ فِيهَا الشُّمُوعُ فَيُبْرَى لِنَيْلِكَ مَنْظَرٌ بِدَيْعٍ عَجِيبٍ ،
 وَيَتَنَمَّا هُوَ فِيهَا مَعَ جَوَارِيهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ سَمِعَ مُنْشِدًا
 يُنْشِدُ :

أَتَبْنِي بِنَاءَ الْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا

مُقَامُكَ فِيهَا لَوْ عَلِمْتَ قَلِيلُ ؟

لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ ^(٢) كِفَايَةٌ

لِمَنْ كُلَّ يَوْمٍ يَقْتَضِيهِ رَجِيلُ

فَنُصَّصَ عَلَيْهِ حَالُهُ وَقَالَ : « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ »

أَعْلَنَ أَنَّ الْأَجَلَ قَدْ قَرُبَ ، فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهَا غَيْرَ شَهْرٍ

(١) في الأصل « مما سكب » وهو تحريف (٢) الأراك شجر من الخشب
 له حمل كحمل عنقود العنب ، وفروعه أفضل ما يستاك به وأطيب مراحته
 للأنثى رائحة لبن - ولبعض الأدباء فيه :

هنت يا عود الأراك بشعرها إذ أنت في الأوطان غير مفارق

إن كنت فارقت العذيق وبارقا فلأنت ما بين العذيق وبارق

وَتُوِّفَى وَلَمْ يَجْلِسْ فِي تِلْكَ الْقُبَّةِ بَعْدَهَا ، وَذَلِكَ سَنَةَ
اِثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَارْبَعِمِائَةٍ - تَجَاوَزَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - .
هَكَذَا حَكَاهُ بَعْضُ مُؤَرِّخِي الْمَغْرِبِ . وَقَدْ ذُكِرَ فِي
غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ حِكَايَةُ هَذِهِ الْقُبَّةِ
بِلَفْظِ ابْنِ بَدْرُونَ شَارِحِ الْمَبْدُورِيَّةِ فَلْيُرَاجَعْ : وَتَذَكَّرْتُ
هُنَا قَوْلَ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَصْرِيِّ فِي وَصْفِهِ قَصْرَ طَلَيْطَلَةَ :
قَصْرٌ يُقَصَّرُ عَنْ مَدَاهُ الْفَرْقَدُ^(١)

عَذِبَتْ مَصَادِرُهُ وَطَابَ الْمَوْرِدُ
نَشَرَ الصَّبَاحُ عَلَيْهِ ثَوْبَ مَكَارِمِ
فَلَاحِهِ الْوَهْجُ السَّاحِدَةُ تُعْقَدُ
وَكَاَنَّمَا الْمُتَأَمُّونُ فِي أَرْجَائِهِ
بَدَرٌ تَمَامٌ قَابِلَتُهُ أَسْعَدُ^(٢)

(١) الفرقدان نجبان لا يفر بان ، وقد جاء في الشعر مفردا ومثنى ومجموعا
« كأنهم جعلوا كل جزء منهما فرقدا » (٢) سعود النجوم هي الكواكب
التي يقال لكل واحد منها سعد ، وهي لدى العرب عشرة ، وشرحها
يطول ، وقد تقدم لنا وصف بعضها - وأحد هذه الكواكب سعد السعود
وهو كوكبان أو كوكب يرمز منفرد ، وهو من منازل القمر « أحمد يوسف نجاتي »

وَكَاَنَّا الْأَقْدَاحُ فِي رَاحَتِهِ
 دُرٌّ جُحَانٌ ذَابَ فِيهِ الْمَسْجِدُ
 وَلَهُ فِي صِفَةِ الْبِرِّكََةِ وَالْقَبَةِ عَلَيَّهَا:
 شَمْسِيَّةُ الْأَنْسَابِ بِدْرِئَةٍ
 يَحَارُّ فِي تَشْبِيهِهَا الْخَاطِرُ
 كَاَنَّا الْمَأْمُونُ بِدْرِئِ الْجَنَى
 وَهِيَ عَلَيْهِ الْفَلَكَ الدَّائِرُ
 وَكَانَ مُلُوكُ الْأَنْدَلُسِ فِي غَايَةِ الْإِحْتِفَالِ بِالْمَجَالِسِ
 وَالْقُصُورِ .



وَلِلْوَزِيرِ الْجَزِيرِيِّ^(١) - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي وَصْفِ
 مَجْلِسِ لِمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ مَا يَشْهَدُ لِدَلِّكَ، وَهُوَ قَوْلُهُ:
 وَتَوَسَّطَتْهَا لُجَّةٌ فِي قَمَرِهَا
 بِنْتُ^(٢) السَّلَاحِفِ مَا تَرَاكَ تُنْقِنُ

وصف مجلس
 المنصور بن
 أبي عامر

(١) هو أبو مروان عبد الملك بن إدريس الأزدي الجزيري الكاتب
 الأديب وزير من وزراء الدولة العباسية وكاتب من كتبها وشاعر بلغ
 غزير اللادة حاضر البديهة توفي سنة ٣٩٤ - وكان ابنه أبو أحمد عبد العزيز
 كاتباً أديباً وإن لم يلحق شأؤ والده (٢) في الأصل « نبت » وهو تحريف

تَنَسَّابُ مِنْ فَلَكَى هَزَبِرَانِ يَكُنْ
تَبَّتَ الْجَنَانِ فَإِنْ فَاهُ أَخْرَقُ^(١)
صَاغُوهُ مِنْ تَبْرِ وَخَلَفَ صَحِيفَتِي
هَادِيهِ مَحْضُ الدَّرِّ فَهُوَ مُطَوَّقُ^(٢)
لِلْيَاسِينِ تَطَلَّعُ فِي عَرْشِهِ
مِثْلُ الْمَلِكِ عَرَاهُ زَهْوُ مُطَرِّقُ^(٣)
وَلَضَائِدُ مِنْ تَرْجِسٍ وَبَنَفَسِجٍ
وَجَنَّتْ خَيْرِي وَوَرِثْتُ يَمِينِي^(٤)

والتنفقة أيضا صوت الضفدع والمقرب والمجاجة والمهر والحجلة والرحمة
والظلم (١) في الأصل « تنساب من فلكي » وهو تحريف ، فاسد وثبت
الجنان أى جرى ، قوى القلب ، والخرق : الطيش ضد الرفق (٢) البيت
في الأصل هكذا :

صَاغُوهُ مِنْ تَبْرِ وَخَلَقَ صَفِيفَتِي هَادِيهِ مَحْضُ الدَّرِّ فَهُوَ مُطَوَّقُ
وهي رواية ان لم تكن معرفة كان معناها غير واضح ، والاصلاح الذى اثرناه
من بعض للراجع بحمل المعنى ظاهرا والمهادى العنق (٣) عجز البيت في الأصل
هكذا : مثل للبيك غداة وهو مطوق . ومعناه غمض أو فاسد أو تافه ،
والزهو : الكبر والاعجاب (٤) تضاد جمع تضيدة أى باقات متضدة منظمة .
والخيري هو للمرفع بالنشور وله ألوان مختلفة . « أحمد يوسف نجاتي »

تَزْنُو بِسِرِّ عُيُونِهَا وَتَكَادُ مِنْ
 طَرَبٍ إِلَيْكَ بِلَا لِسَانٍ تَنْطِقُ
 وَعَلَى يَمِينِكَ سَوَسَنَاتُ أَطْلَعَتْ
 زَهْرَ الرَّيِّعِ فَهَنْ حُسْنًا تُشْرِقُ
 فَكَأَنَّمَا مَيِّ فِي اخْتِلَافِ رُؤُومِهَا
 رَايَاتُ نَصْرِكَ يَوْمَ بَأْسِكَ تَخْفِقُ
 فِي مَجْلِسِ جَمْعِ الشُّرُورِ لِأَهْلِهِ
 مَلِكُ إِذَا جَمَعَتْ قَنَاهُ يُهْرَقُ (١)
 حَازَتْ بِدَوْلَتِهِ الْمَغَارِبُ رِفْعَةً
 فَقَدَا لِيَحْسُدُهَا عَلَيْهِ الْمَشْرِقُ
 وَمِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :
 أَمَّا الْغَنَامُ فَشَاهِدُ لَكَ أَنَّهُ
 لَأَشَكَّ صِنُوكَ أَوْ أَخُوكَ الْآوَتَى (٢)

(١) من قول أبي تمام :

إذا ما أغاروا فاحتروا مال معشر أغارت عليهم فاحتوته الصنائع
 ومثله قول أبي الطيب :

وتحبي له لئال الموارم والقنا ويقتل ما يحبي التبسم والجنا
 (٢) الصنو : الاخ الشقيق

وَأَقَى الصَّنِيعَ فَحِينَ تَمَّ تَحْمَلُهُ
 فِي الصُّحُورِ أَنْشَأَ وَدَقَهُ يَتَدَقَّقُ^(١)
 وَأَعْلَنَهُ بِمُحْكِيكَ جُودًا إِذْ رَأَى
 فِي الْيَوْمِ بِمُحْرَكِ زَاخِرًا يَتَفَهَّقُ^(٢)

وَكَانَ السَّبَبُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ الْمَنْصُورَ صَنَعَ فِي
 ذَلِكَ الْأَوَّلِ صَنِيعًا لِتَطْهِيرِ ابْنِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَكَانَ عَامَ قَحْطِ،
 فَارْتَقَعَ السَّمَرُ بِقُرْطُبَةٍ، وَبَلَغَ رُبْعُ الدَّقِيقِ إِلَى دِينَارَيْنِ، فَجَلَا
 النَّاسُ مِنْ قُرْطُبَةٍ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ ذَلِكَ الصَّنِيعِ نَشَأَتْ فِي
 السَّمَاءِ سَحَابَةٌ غَمَّتِ الْأَفُقَ، ثُمَّ أَتَى الْمَطَرُ الْوَابِلُ، فَاسْتَبَشَرَ
 النَّاسُ، وَسُرَّ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ، فَقَالَ الْجَزِيرِيُّ بِدَيْهَةٍ:
 أَمَّا النِّعَامُ الْخ، وَهُوَ الْقَائِلُ عَلَى لِسَانِ تَرْجَسِ الْعَامِرِيَّةِ^(٣):
 حَيْثُكَ يَا قَمَرَ الْأَعْلَا وَالْمَجْلِسِ

أَزْكَى^(٤) تَحِيَّتَهَا عُيُونُ التَّرْجَسِ

(١) الودق: اللطر (٢) فوق الاناء « كفرح » امتلا حتى يتسبب، وتفوق:
 اتسع وامتلا وطم ماؤه (٣) يريد وصف أزهار اللبنة العامرية ورياحين
 روضتها، وكان للنصور قد سمي كرامته بأسماء هذه الأزهار « ترجس »،
 « بهار »، « بنفسح » (٤) أو أذكى

زَهْرٌ تُرِيكَ بِحُسْنِهَا وَيَلَوْنَهَا
 زُهْرَ النَّجُومِ الْجَارِيَاتِ الْكُنُسِ
 مُلْكُنْ أَقِيْدَةَ الْأَدَايِ كُلِّهَا
 دَارَتْ بِمَجْلِسِهِمْ مَدَارَ الْأَكْوَاسِ
 مُلْكُ الْهَمَامِ الْعَامِرِيِّ مُحَمَّدٍ
 لِلْمَكْرُمَاتِ وَاللَّهْيِ وَالْأَنْفُسِ
 قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : وَمِنْ شِعْرِ الْجَزِيرِيِّ مَا أُنْدَرَجَ لَهُ أَثْنَاءُ
 مَذْهِهِ الَّذِي مَلَحَ^(١) فِيهِ مُخَاطَبَتُهُ لِلْمَنْصُورِ عَلَى أَلْسِنَةِ أَسْمَاءَ
 كَرَامِهِ زَهْرُ رِيَاضِهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ عَنْ بَهَارِ^(٢) الْعَامِرِيَّةِ :
 حَدَقَ الْحَسَانَ تَقَرُّ لِي وَتَنَارُ
 وَتَفْضِلُ فِي صِفَتِي الْتَهْيِ وَتَحَارُ

(١) لعله من التلميح أو التلميح وهو في البديع أن يشير الشاعر
 في شعره الى قصة معلومة أو نكتة بديعة مشهورة، ويسميه بعضهم
 التلميح كأن التناظم أتى في بيته بنكتة زادت ملاحه (٢) البهار ويسمى
 العرلر: نبت جدله فقلاحة صفراء تنبت أيام الربيع. ومن أحسن من وصفه
 أحمد بن محمد بن أحمد بن برد الشاعر الأندلسي للشهور بقوله :

تأمل فقد شق البهار مظلما كأنه عن نوره الخضر الندى
 مداهن تبر في أنامل فضة على أذرع مخروط من زبرجد

طَلَعَتْ عَلَى قُضْبِي عُيُونٌ كَمَا نَمِي^(١)

مِثْلَ الْعُيُونِ تَحْفُهُ الْأَشْفَارُ

وَأَخَصُّ شَيْءٍ بِي إِذَا شَبَّهْتَنِي

دُرَّرٌ تَنْطِقُ سِلْكَهَا دِينَارُ^(٢)

أَهْدَى لَهُ قُضْبُ^(٣) الزُّمُرُ دِسَاقُهُ

وَجَبَّاهُ أَقْسَ عِطْرِهِ الْمَطَارُ

أَنَا تَرْجِسُ حَقًّا بَهَرْتُ عُقُولَهُمْ

يَبْدِعُ تَرْكِيبي قَعِيلَ بَهَارُ

وَمِنْ أُخْرَى عَنْ بِنَفْسِجِ الْعَامِرِيَّةِ : إِذَا تَدَافَعَتْ

الْخُصُومُ - أَيْدَ اللَّهِ مَوْلَانَا الْمَنْصُورَ - فِي مَذَاهِبَهَا ،

(١) في الأصل « عيون تسمى » وهو تحريف لاسمى له - والكلمات جمع كلمة ، وهي غطاء النور ووعاؤه . ويقال عين الشجر : إذا نضر ونور والأشعار : نبات الأهداب من الجفون (٢) تنطق سلكها : أي جعله نطقاً ، واطنطق وتنطق : شد وسطه بمنطقة وهي كل ما يشده الوسط (٣) ويصح « قصب » ولا يخلو بعض الآيات من شيء من التكلف « أحمديوسف نجاني »

وَلَمَّا قَرَّتْ^(١) فِي مَفَاخِرِهَا ، فَإِلَيْهِ مَفْرَعُهَا^(٢) وَهُوَ الْمَقْنَعُ^(٣)
فِي فَصْلِ الْقَضِيَّةِ بَيْنَهُمَا ، لِاسْتِثْلَاثِهِ عَلَى الْمَفَاخِرِ بِأَسْرِهَا ،
وَعَلَمِهِ بِسِرِّهَا وَجَهْرِهَا . وَقَدْ ذَهَبَ الْبَهَارُ وَالْتَرَجِسُ فِي
وَصْفِ عَاسِنِيهَا ، وَالْمَفْخَرِ بِشَأْنِيهِمَا ، كُلِّ مَذْهَبٍ ، وَمَا مِنْهُمَا
إِلَّا دُوقُضِيْلَةٌ ، غَيْرَ أَنَّ فَضْلِي عَلَيْهِمَا أَوْضَحُ مِنَ الشَّمْسِ
الَّتِي تَعْلُونَا ، وَأَعَذِبُ مِنَ الْعَمَامِ الَّذِي يَسْقِينَا ، وَإِنْ كَانَا
قَدْ تَشَبَّهَا فِي شِعْرِهِمَا بِيَعْقُضِ مَا فِي الْعَالَمِ مِنْ جَوَاهِرِ الْأَرْضِ
وَمَصَابِيحِ السَّمَاوِي مِنْ الْمَوَاتِ الْأَصَامِتِ - فَإِنِّي أَنَشَبُهُ
بِأَحْسَنِ مَا زَيْنَ اللَّهُ بِهِ الْإِنْسَانَ وَهُوَ الْحَيَوَانُ النَّاطِقُ ، مَعَ
أَنِّي أَعْطَرُ مِنْهُمَا عَطْرًا ، وَأَحْمَدُ خُبْرًا ، وَأَكْرَمُ إِمْتَاعًا ، شَاهِدًا

(١) عاقره اذا فاخره ، واما اذا تفاخرا ، وأصله أن يتبارى الرجلان في
عقرا بلهما ليرى أيهما أعقر لها فيكون أجود فيعقر كلاهما حتى يسجز
أحدهما ، ومن ذلك معاقره غالب بن حصصة أبي الفرزدق وسحيم بن وثيل
الرياحي - وروى : تنافرت ، وللنفاقة : للفاخرة أيضا (٢) فزع اليه اذا
لجأ ، وفزع اليه اذا استغاثه ، وفزعهم : أغاثهم ، وللفزع : لللجأ عند نزول
الخطب (٣) يقال شاهد مقنع أى عدل يقنع به ويرضى برأيه وينزل على
حكمه وتقبل شهادته أو قضاؤه . قال البيهقي .

وبايت ليلي بالخلاء ولم يكن شهود على ليلي عدول مقانح

وَعَاثِبًا ، وَبَانِعًا وَذَا بِلًا ، وَكَلَامَهَا لَا يُنْتَعُ ، إِلَّا رَشَاءً يَنْتَعُ ^(١)
ثُمَّ إِذَا ذُبِيلٌ تَشْكُرُهُ النَّفُوسُ شَمَةً ، وَتَسْتَدْفِعُ الْأَكْفُ
ضَمَّهُ ، وَأَنَا أُمْتَعُ يَابِسًا وَرَطْبًا ، وَتَدْخِرُنِي الْمُلُوكُ فِي خَزَائِنِهَا
وَسَائِرُ الْأَطِبَّاءِ ، وَأَصْرَفُ فِي مَنَافِعِ الْأَعْضَاءِ ، فَإِنْ فَخَرَا
بِاسْتِقْلَالِهِمَا عَلَى سَاقِي هِيَ أَقْوَى مِنْ سَاقِي ، فَلَا غَرَوَانَ
الْوَشْيَ ضَعِيفُ ، وَالْهَوَى ^(٢) لَطِيفُ ، وَالْمَسْكُ خَفِيفُ ، وَلَيْسَ
الْمَجْدُ يَذْرُكُ بِالصَّرَاعِ ^(٣) . وَقَدْ أَوْدَعْتُ - أَيْدِ اللَّهِ مَوْلَانَا -
قَوَائِي الشَّعْرَ مِنْ وَصْفِ مُشَاهِبِي مَا أَوْدَعَاهُ ، وَحَضَرْتُ
بِنَفْسِي لَثَلًا أَغِيبَ عَنْ حَضَرَتَيْهِمَا : فَقَدِيمًا فَضَّلَ الْخَاضِرُ وَإِنْ
كَانَ مَفْضُولًا ، وَلَذًا قَالُوا : أَلَا الطَّعَامُ مَا حَضَرَ لَوْفَتِهِ ،

(١) ينع الثمر « كمنع وضرب » أي نضج وحن قطافه ، وأينع يونع
أكثر استملا - ويراد بالينع هنا بقاء الزهرة غضة ناضرة (٢) يراد الهوى
(٣) هو من قول أبي تمام من قصيدة بديعة غراء يمدح بها مهدي بن
أصرم مطلعها :

خذي عبرات عينك عن زماعي وصوفى ما أذلت من القناع
يقول فيها :

توجع أن رأيت جسمي نحيلًا كأن المجد يدرك بالصراع
وختمها بهذا البيت التي لا مزيد عليه في اللدح :

فلو صورت نفسك لم تردها على ما فيك من كرم الطباع

وَأَشْمُرُ النَّاسَ مِنْ أَنْتَ فِي شِعْرِهِ ، فَلَوْلَا نَأْتُمُ الْحُكْمَ
 فِي أَنْ يَقْصِلَ بِحُكْمِهِ الْمَدْلَ ، وَأَقُولُ :
 شَهِدَتْ لِنُورِ الْبَنَفْسِجِ السُّنُّ
 مِنْ لَوْنِهِ الْأَخْوَى وَمِنْ إِبْنَانِهِ
 لِشَبَابِهِ الشَّعْرِ الْأَعْمَ أَعَارُهُ أَلَا
 قَمَرُ النُّيُورِ الْأُطْلُقُ نُورَ شَعَائِهِ
 وَلَرُبَّمَا مُجَمَّعَ النَّجِيعُ مِنَ الْطَلَى
 فِي صَارِمِ الْمَنْصُورِ يَوْمَ قِرَاعِهِ ^(١)
 فَحَكَاهُ غَيْرَ مُخَالَفٍ فِي لَوْنِهِ
 لَا فِي رَوَائِحِهِ وَطِيبِ طِبَاعِهِ
 مَلِكٌ جَهَلْنَا قَبْلَهُ سُبُلَ الْمَلَا
 حَتَّى وَضَحْنَ بِنَهْجِهِ وَشِرَاعِهِ ^(٢)
 فِي سَيْفِهِ قِصْرٌ لِطُولِ نِجَادِهِ
 وَتَعَامَ سَاعِدِهِ وَقُسْحَةُ بَاعِهِ ^(٣)

(١) النجيع : الدم ، أو دم الجوف خاصة - والطلّى : الاعتناق أو أصولها
 جمع طلبة (٢) النهج والنهّاج : الطريق للستقيم ، والشراع والشرعة والشرية :
 الظاهر للستقيم من المذاهب (٣) يصفه بطول القامة وتعام الحلق وبالقوة
 والشجاعة والقدرة « أحمد يوسف نجّاني »

ذُوهِمَّةٍ كَالْبَرْقِ فِي إِسْرَاعِهِ

وَعَزِيمَةٍ كَالْحَيْنِ فِي إِقَاعِهِ ^(١)

تَلَقَّى الزَّمَانَ لَهُ مُطِيعًا سَامِعًا

وَرَى الْمُلُوكَ الشَّمَّ مِنْ أَتْبَاعِهِ ^(٢)

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الْأَنْدُلُسِيِّينَ يَصِفُ حَدِيقَةً : وصف حديقة

وَحَدِيقَةٍ مُخْضَرَّةٍ أَثْوَابُهَا

فِي قُضْبِهَا لِلطَّيْرِ كُلِّ مُغَرَّدٍ

نَادَمَتْ فِيهَا فَيَّةٌ صَفْحَاهُمُ ^(٣)

مِثْلُ الْبُدُورِ تُبْرِئُ بَيْنَ الْأَسْعَدِ

وَالْجُدُولِ الْفِضَى يَضْحَكُ مَاؤُهُ

فَكَأَنَّهُ فِي أَلْبَيْنِ صَفْحٍ مُهَنَّدٍ

وَإِذَا تَجَعَّدَ بِالنِّسِمِ حَسْبَتُهُ

لَمَّا تَرَاهُ مُشْبِهًا لِلْمَبْرَدِ

(١) الحين: الهلاك وانتفاء الاجل (٢) الشم جمع الاشتم وهو السيد
ذوالانفة الشريف النفس (٣) صفح كل شيء وصفحته : جانبه ، وصفحة
الوجه : بشرة جلده .

وَتَنَازَرَتْ نَقْطٌ عَلَى حَافَاتِهِ
كَالْمَقْدِ بَيْنَ مُجْمَعٍ وَمُبَدَّدٍ
وَتَدَخَّرَجَتْ^(١) لِلنَّاطِرِينَ كَانَهَا
دُرٌّ تَشِيرُ فِي بَسَاطِ زَبَرْجَدٍ

وَكَانَ بِحِمَامِ الشَّطَارَةِ بِإِسْبِيلِيَّةٍ صُورَةٌ بَدِيعَةٌ وصف صورة
بحمام الشطارة
الشَّكْلِ، فَوَصَفَهَا بَعْضُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِقَوْلِهِ:
وَدُمَيْةٍ مَرْمَرٍ زُهَى يَجِيدٍ
تَنَامَى فِي التَّوَرْدِ وَالْيَاسِ
لَهَا وَلَدٌ وَلَمْ تَعْرِفْ حَلِيلًا
وَلَا أَلَمَتْ بِأَوْجَاعِ الْمَخَاضِ
وَتَعْلَمُ أَنَّهَا حَجَرٌ وَلَكِنْ
تُتِمُّنَا بِالْحَاضِ مِرَاضِ

وَكَانَ بِمَرْقُوسَةِ فِي الْقَصْرِ الْمَسْمُوعِ بِدَارِ الشُّرُورِ وصف مجلس
القمب
- أَحَدِ قُصُورِ الْمُقْتَدِرِ بْنِ هُوْدٍ - مَجْلِسُ الدَّهَبِ، وَفِيهِ يَقُولُ

ذُو الْوَزَارَتَيْنِ بَنُ غُنْدَ شَلَبٍ ^(١) يَهْجُو وَزِيرًا كَانَ يُنْبِزُ
بِتَحْقُونِ :

صَبَّحَ مِنْ تَحْقُونِ يَنْتُ الذَّنْبِ
وَدَعَا مِمَّا بِهِ وَاحَرَ بِي
رَبِّ طَهَّرْنِي فَقَدْ دَلَسْنِي
عَارُ تَحْقُونِ الْوَفِ الذَّنْبِ ^(٢)

* *

« وَكَتَبَ » بَعْضُ كُبَرَاءِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى إِخْوَانِهِ :
كتاب بنى
كبراء الأندلس
إلى إخوانه

(١) فى الأصل « عبد شلب » وهو تحريف فظيع ، وهو لممرى
فى المحال بديع - ولكنه ذو الوزارتين أبو عمر السرقطى
« ابن غند شلب » وكان ذا قدر عال ومنزلة عظيمة وجاه رفيع ونفوذ
قوى فى دولة بنى هود بمملكة النغر الأعلى أى بمملكة سرقطة
فى شرق الأندلس ، وقد تقدم القول فى بنى هود من ملوك الطوائف
وهذا الاسم اسبانى محض Gonzalez, Gonzalve, Gonzalo ولا يزال
لقبا فى اسبانيا لكثير من الاسرات الى اليوم - وكان ابن غند شلب شاعرا
مجيدا ذا حظ عظيم من الادب وتوفى حوالى سنة ٥٠٠ هـ « أحمد يوسف نجاشى »
(٢) ذنب الناس وأذنانهم وذنباتهم: سفلتهم ورعايمهم - ويجوز أن تكون
« الذنب » محرفة عن « الريب » جمع ريبة وهى الظنة والشك مع
التهمة - هذا وفى بعض النسخ « التوف الذنب » أى ذى الآفة فى ذنبه،
وهو هجاء مقذع ، والنرض القبيح للراد منه ظاهر « أحمد يوسف نجاشى »

كِتَابِي هَذَا مِنْ وَادِي الرِّثُونِ ، وَنَحْنُ فِيهِ مُخْتَلُونَ ^(١) ،
يَقَعَةُ أَكْسَتِ مِنَ السُّنْدُسِ الْأَخْضَرِ ، وَنَحَلَّتْ بِأَنْوَاعِ
الرَّهْرِ ، وَنَحَايَلَتْ بِأَنْهَارٍ تَخْلَلُهَا وَأَشْجَارٍ تُظِلُّهَا ، نَحْبُ
أَدْوَاهَا الشَّمْسَ لِإِنْفَاقِهَا ^(٢) ، وَتَأَذُّنُ لِلنَّسِيمِ قَيْمِيلُ مِنْ
أَعْطَافِهَا ، وَمَا شِئْتُمْ مِنْ عَاسِنِ تَرَوْقٍ وَتُعْجِبُ ، وَأَطْيَارٍ
تَتَجَاوَبُ بِالْحَانَ تُلْهِى وَتُطْرِبُ ، فِي مِثْلِهَا يَعُودُ الزَّمَانُ كُلُّهُ
صَبَاً ، وَتَجْرِي الْحَيَاةُ عَلَى الْأَمَلِ وَالْثَنَى ، وَأَنَا فِيهَا - أَبْقَاكُمْ
اللَّهُ سُبْحَانَهُ - بِحَالٍ مِنْ طَابَ غِذَاؤُهُ ، وَحَسُنَ اسْتِمْرَاؤُهُ ،
وَصَحَا مِنْ جُنُونِ الْعُقَارِ ، وَأُسْتَرَّاحَ مِنْ مَضَضِ الْخُمَارِ ^(٣) ،
وَزَايَلَتُهُ وَسَاوِسُهُ ، وَخَلَّتْ مِنَ الْخَبَاطِ ^(٤) هَوَاجِسُهُ . ثُمَّ ذَكَرَ
كَلَامًا مِنْ هَذَا التَّمْطِ فِي وَصْفِ الْخُمَارِ ، وَالِدُّعَاءِ إِلَى الْعُقَارِ ،

(١) أو « مختفلون » وفي الأصل « مختفلون » وهو تعريف مفسد

(٢) قالت حمدونة الاندلسية من أبياتها في وصف الوادي :

يصد الشمس آني واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم ؟

(٣) العقار : الحمر ، وخمارها : صداها وأذاها ، وللضض : الألم والوجع

(٤) الخباط : داء كالجنون وليس به ، وفي بعض اللراجع « خلعت » بدل

« خلعت » « أحمد يوسف نجاشي »



فَرَاخَهُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ حَسْدَى ^(١) بِرُقْعَةٍ ^(٢) قَالَ فِي صَدْرِهَا: رُقْعَةُ ابْنِ حَسْدَى
إِلَى سَيِّدِنَا الَّذِي أَلْزَمَنَا بِامْتِنَانِهِ الشُّكْرَ، وَكَبِيرِنَا الَّذِي عَلَّمَنَا
بَيَانِهِ السَّخَرَ، وَوَعِيدِنَا الَّذِي عَقَدَنَا بِحَرَمِهِ الْحُلَّ ^(٣)، وَرَمَانَا
بِدَائِهِ وَأَنْسَلَ ^(٤)، أَبَقَاكَ اللَّهُ تَعَالَى لِتَوْبَةِ نَصُوحِ ثَمَرِهَا،
وَعَيْنِ غَمُوسِ ثَبَرِهَا. وَرَدَّ - أَبَقَاكَ اللَّهُ تَعَالَى - كِتَابُكَ
الَّذِي أَقْدَمْتَهُ مِنْ مُعَرِّيكِ ^(٥) بَوَادِي الزَّيْتُونِ، وَوَقَفْنَا عَلَى

(١) أبو الفضل حسداى بن يوسف بن حسداى من سرقسطة ومن بيت
اسرائيل وجيه، غنى بالمعارف على مراتبها، وتناول للمعارف من طرقها، فأثخن
اللغة العربية وآدابها، ونال حظا جزيلا من البلاغة والشعر، وبرز في علوم
الرياضة والطب وتوفى حوالى سنة ٥٠٠هـ، وأبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداى
كان من الفضلاء في صناعة الطب وسافر الى البليار المصرية واتصل
بالخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمى، وتوفى نحو سنة ٥٢٥ أو بعدها
(٢) فى الأصل « برقعة » وهو تحريف (٣) فى بعض الراجع
« وانحل » وآراه أليق بالسجع وألحق بالمعنى الآتى بعده
(٤) يضرب للثل « رمتى بدائنها وانسلت » لمن يبر صاحب بهيب هو
فيه، وهو لاحدى ضرائرهم بنت الحزرج بن نيم الله امرأة مالك بن
سعد بن زيد مناة، رمتها بهم بهيب كان فيها فقالت الضرة للثل.
ويظهر أن ابن حسداى يريد بذلك أن الكاتب تنصل من الشراب وعرض
عن يعاقب الحر، وقد كان ابن حسداى مولما بها لا يقبل اللوم فيها
« أحمد يوسف نجاشى » (٥) موضع تزواك وحل أفاقتك

مَا لَقَنْتَ فِي أَوْصَافِهِ مِنْ حُجَّةٍ الْمَفْتُونِ ، وَإِعْجَابِكَ بِالتِّفَافِ
شَجَرِهِ وَدَوْحَاتِهِ ، وَأَهْبَازِكَ بِلَطِيفِ بَوَاكِيرِهِ ^(١) وَرَوْحَاتِهِ ،
وَسُرُورِكَ بِهِ وَهُوَ حُوءٌ ^(٢) تِلَاعُهُ ، مَوْزُودَةٌ هِضَابُهُ
وَأَجْرَاعُهُ ، وَكُلُّ الْمَشَارِبِ مَا خَلَاهُ ذَمِيمٌ ^(٣) ، وَمَاؤُهُ
الْدَّهْرَ خَصِرٌ وَالْيَاءُ حَمِيمٌ ، وَتِلْكَ عَادَةٌ تَلَوْنِكَ ، وَسَجِيَّةُ
تَحْصُرْمِكَ ^(٤) ، وَشَاكِكَةُ مَلَايِكَ وَسَامِيكَ . وَأَشْعَرُ النَّاسِ
عِنْدَكَ مَنْ أَنْتَ فِي شِعْرِهِ ، وَأَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَيْكَ مَا أَنْتَ

(١) يرمز بارتياحه لمحواته صباحا ومساءلحس الجوفية دائما ، ويروى : لطيب
بلبل بلطيف (٢) في الأصل « جو » محرفة . والحو جمع أحوى ، وحواء من
الحوة وهو سواد الى الحضرة ، واحוות الأرض واحواوت اذا خضرت .
والأحوى: النبات الضارب الى السواد لشدة خضرته ، وذلك أنهم ما يكون
من النبات - والتلاع جمع تلة وهي ما ارتفع من الأرض وأشرف ،
وما نسع من فوهة الوادى ، وهي مكربة للنبات (٣) أخذ هاتين الفقرتين
من قول أبى القمقام الأسدى من أبيات يشوق الى الوشل « وهو جبل
عظيم بناحية تهامة فيه مياه عذبة » :

اقرأ على الوشل السلام وقل له كل الشارب مذهبجرت ذميم
سقى لظلك بالشئى وبالضحى ولبرد مائك واللياء حميم
(٤) لله من الحضرة وهي الخلط . وقد تكون محرفة عن « تحصرمك »
بالصاد للهامة - يقال رجل محصرم اذا كان ضيق الخلق قليل الحبر ، أو لعل من
كتب الرسالة الى حضرمى فهو يمرض بأخلاقه للتلوة « أحمد يوسف نجاشى »

فِي عَقْرِ^(١) ، فَأَيْنَ مِنْكَ بَسَاتِينُ جِلْقَ وَجَنَانُهُ ، وَرِيَاضُهُ
الْمُوتِقَةُ وَخُلْجَانُهُ ، وَرَبَابُهُ الْبَيْضُ فِي حَدَائِقِهِ الْخَضِرِ ،
وَجُونَ^(٢) الْعَطْرِ فِي جَنَانِهِ الْخَضِرِ ، وَمَا تَضُمُّه حَيْطَانُهُ
وَمَحْجُهُ أَنْجَادُهُ وَغَيْطَانُهُ ، مِنْ أُمَمَاتِ الرِّاحِ الَّتِي هَجَرَتْهَا
بِرْعَمِكَ ، وَمَوَادِّ^(٣) الشُّمُولِ الَّتِي طَلَقَتْهَا بِرْعَمِكَ؟ وَهَيْهَاتَ
قَوْلَهُ مَا فَارَقْتُكَ^(٤) تِلْكَ الْأَجَارِعُ وَالْمَجَانِي ، وَلَا شَأْنُكَ
تِلْكَ الْمَنَازِلُ وَالْمَغَانِي ، إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَا لَدَيْنَا مِنْ طَيِّبِ
الْمَعَادِ ، وَحَيْنًا لِمَا عِنْدَنَا مِنْ حَبِيلِ الْمَشَاهِدِ ؛ وَأَيْنَ
مِنَ الْمَشْتَاكِ عَنَاءَ مُغْرِبِ^(٥) ؟ ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامًا فِي جَوَابِ

(١) المفر وجه الأرض وظاهرها - وأرى أن الكلمة محرفة عن «عقره» والعقر
- يفتح المين وضما - : محلة القوم ومقرهم ، ووسطا الفار (٢) جمع جونة وهي
في الأصل سلاية مستديرة مغطاة أدمان تكون مع الطارين «بائني العطر» (٣) في
الأصل «ومورد» وهو تحريف إلا إذا كانت «موارد» - يريد الشاعر ما يحدث في
دمشق من الكروم - والرسالة تترقبها بعض الشعر التي قيل في وصف دمشق
وجناتها (٤) ألا يصح أن تكون محرفة عن «راقتك» ؟ (٥) عجز بيت
لأبي الطيب وصدره : أحن إلى أهلي وأهوى لقاءهم ويقال عناء
مغرب على الإضافة والوصف ، وهو من قولهم : أغرب في البلاد إذا أبعد
ونهب . يقول انه في شدة الشوق إلى أهله وقد حال بينه وبينهم ببالشقة
فاشتياقه اليهم كمن اشتاق إلى عناء مغرب وأين هي قاتها بعيدة عن الناس ؟

مَا مَرَّ مِنَ الثَّمَارِ لَمْ يَتَّعَلِقْ لِي بِهِ غَرَضٌ .



وصف منزله وَمَا أَخْلَى مَا كَتَبَ بِهِ أَبُو إِسْحَقَ بْنُ خَفَاجَةَ مِنْ
رِسَالَةٍ فِي ذِكْرِ مَنْزَرِهِ : وَلَمَّا أَكَبَ النِّعَامُ إِكْبَابًا ، لَمْ
أَجِدْ مِنْهُ إِغْبَابًا ^(١) ، وَأَتَّصَلَ الْمَطَرُ اتِّصَالًا ، لَمْ أَلْفِ مِنْهُ
اتِّفَاعًا ، أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِلصَّخْرِ أَنْ يُطْلِعَ صَفْحَتَهُ ،
وَيَنْشُرَ صَفِيفَتَهُ ، فَقَشَعَتِ الرِّيحُ ^(٢) السَّحَابَ ، كَمَا طَوَى
السَّجْلُ ^(٣) الْكِتَابَ ، وَطَفِقَتِ السَّمَاءُ تُخْلَعُ جِلْبَابَهَا ،
وَالشَّمْسُ تُنِيطُ ^(٤) ثِقَابَهَا ، وَطَلَعَتِ الدُّنْيَا تَبْتَهِجُ كَانَهَا
عَرُوسٌ تَجَلَّتْ ، وَقَدْ تَحَلَّتْ ، ذَهَبَتْ فِي لُئَةٍ ^(٥) مِنْ
الْإِخْوَانِ نَسْتَبِقُ إِلَى الرَّاخَةِ رَكُضًا ، وَتَطْوِي التَّفْرِجَ ^(٦)

(١) أكب على الشيء إذا لزمه وأقبل عليه دائماً ، والاعقاب : البعد
(٢) أي كشفت ورفقت (٣) السجل : اسم لكتاب المهدونعو ، و يطلق على
الكتاب . « وبهما فسر قوله تعالى : « كُتِبَ السَّجْلُ لِلْكَتَبِ » (٤) أي تنحى
وتبعد . و يروى تحط (٥) اللجة : الرفقة والاصحاب في السفر يطلق على الواحد
والجمع (٦) أو للتفرج وهو أحسن « أحمد يوسف نجاشي »

أَرْضًا ، فَلَا تُدْفَعُ إِلَّا إِلَىٰ غَدِيرٍ نَّعِيمٍ ، قَدْ اسْتَدَارَتْ
مِنْهُ فِي كُلِّ قَرَارَةٍ سَمَاءٌ ^(١) ، سَحَابَةٌ عَمَاءٌ ^(٢) ، وَأَنْسَابٌ ^(٣)
فِي تَلْعَتِهِ حُبَابٌ ، جِلْدُهُ حَبَابٌ ، فَتَرَدَّدْنَا تِلْكَ الْأَبَاطِحَ
تَهَادَىٰ تَهَادَىٰ ^(٤) أَغْصَانِهَا ، وَتَضَاحَكُ تَضَاحُكَ أَقْصَوَانِهَا .
وَلِلنَّسِيمِ ، أَثْنَاءَ ذَلِكَ الْمَنْظَرِ الْوَسِيمِ ، تَرَأْسُلُ ^(٥) مَشْيِي ،
عَلَىٰ بَسَاطِ وَشْيٍ ، فَإِذَا مَرَّ بِغَدِيرٍ نَسَجَهُ دِرْعًا ^(٦) ، وَأَخْكَمَهُ
صُنْعًا ، وَإِنْ عَثَرَ بِجَذُولٍ شَطَبٌ ^(٧) مِنْهُ نَصْلًا ، وَأَخْلَصَهُ

(١) القرارة : للطمئن من الأرض يندفع اليه الله فيستقر فيه ،
وهي من مكارم الأرض إذا كانت سهولة (٢) العماء : السحاب
المرتفع ، أو الكثيف للمطر للطبق ، أو الذي أراق ماءه ولم يتقطع ،
أو هو شبه الدخان يركب رموس الجبال « وسحابة عمام يصح فيها
الإضافة والاتباع مثل عنقاء مغرب » هذا والذي في الأخيرة : في كل
قرارة سماء ، سحابتها عمام . والسحاب الأعجم هو الكثيف الذي
لا فرجة فيه (٣) انساب الحية مضت تجري مسرعة ، وانساب إذا خرج
من مكانه « وفي الأصل : اثاب » محرفة ، والحباب : الحية . يصف الجداول
التي يطرد ماؤها ويلتوى كأنه سحاب الأراقم ، (٤) أي تتمايل طربا (٥) تتابع
وتوال والطراد (٦) شبه ما يحدثه النسيم عند مروره على سطح الماء
بالمرع ، وذلك مأثوف كثير (٧) سيف مشطوب ومشطوب فيه شطب
أي طرائق في منته « أحمد يوسف نجاشي »

صَقَلَا ، فَلَا تَرَى إِلَّا بَطْلًا ، مَمْلُوءَةً سِلَاحًا ، كَأَنَّمَا أَنْهَزِمْتَ
هُنَالِكَ كِتَابُ قَالَتْ بِمَا لَبِسْتَهُ مِنْ دِرْعٍ مَصْقُولٍ ،
وَسَيْفٍ مَسْلُولٍ .

« وَفِي فَصْلِ مِنْهَا » فَاحْتَلْنَا قُبَّةَ خَضْرَاءٍ مَمْدُودَةٍ
أَشْطَانٍ^(١) الْأَغْصَانِ ، سُندُوسِيَّةَ رُواقٍ^(٢) الْأَوْرَاقِ ، وَمَا زِلْنَا
نَلْتَحِفُ مِنْهَا بِرِدِّ ظِلِّ ظَلِيلٍ ، وَنَشْتَمِلُ عَلَيْهِ بِرِدَاءِ نَسِيمٍ
عَلِيلٍ ، وَنُجِيلُ الطَّرَفِ فِي نَهْرِ صَقِيلٍ ، صَافِي لُجَيْنِ الْمَاءِ ،
كَأَنَّهُ مَجْرَةُ السَّمَاءِ ، مُؤْتَلِقُ جَوْهَرِ الْحَبَابِ^(٣) ، كَأَنَّهُ
مِنْ نُورِ الْأَحْبَابِ ، وَقَدْ حَضَرْنَا مُسْمِعٌ يُجْرِي مَعَ النُّفُوسِ
لَطَافَةً ، فَهُوَ يَعْلَمُ غَرَضَهَا وَهَوَاهَا ، وَيُنْفِي لَهَا مُقْتَرَحَهَا
وَمُنَاهَا ، فَصَبِيحُ لِسَانِ النَّقْرِ ، يَشْنِي مِنَ الْوَقْرِ^(٤) ، كَأَنَّهُ

(١) جمع شطن وهو الجبل (٢) الرواق: بيت كالفسطاط أو سقف في
مقام البيت ، أو ستر يمد دون السقف (٣) حباب الماء : معطمه ، ونفاخته
وقضائمه التي تطفو على سطحه كأنها القوارير ، وتسمى البهايل .
والحباب أيضا : الظل على النجر يصبح عليه ، وقال الشاعر :

تَحَالُ الْحَبَابُ الرَّتْقُ فَوْقَ نَوْرِهَا إِلَى سَوْقِ أَعْلَاهَا جِئَانًا مَسْرَدًا

(٤) أي تقل السمع معني أنه يطرب الأذن فتنزعج إليه « أحمد بن يوسف نجاشي »

كَاتِبٌ، حَاسِبٌ، تَحْشِقُ^(١) يَمْنَاهُ، وَتَعْقِدُ^(٢) يَمْرَاهُ.

يَحْرُكُ حِينَ يَشْدُو مَا كُنْتَ

وَتَنْبَعُ الطَّبَائِعُ لِلشُّكُونِ

أُنْتَهَى.



« وَكَانَتْ » يَبْنِي أَنِ اسْحَقَ وَبَعْضُ إِخْوَانِهِ مُقَاتِلَةٌ ^{كتاب أبي إسحق} لِبَعْضِ أَسْدَقَاتِهِ

هَاتِقَ أَنْ وَلِي ذَلِكَ أُنْصَدِيقُ حِصْنًا، فَخَاطَبَهُ أَبُو اسْحَقَ

بِرُقْمَةٍ مِنْهَا: أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي النَّبِيَّةِ أَوْصَافُهُ النَّزِيَّةِ

عَنِ الْإِسْتِثْنَاءِ، الْمَرْفُوعَةِ إِمَارَتُهُ الْكَرِيمَةِ بِالْإِبْتِدَاءِ،

مَا انْخَدَعَتْ يَاءُ يَرْمِي لِلْجَزْمِ، وَأَعْتَلَّتْ وَأَوْ يَغْزُو لِمَوْضِعِ

الضَّمِّ. كَتَبْتُ عَنْ وَدٍّ قَدِيمٍ هُوَ الْحَالُ، لَمْ يَلْحَقْهَا

اِتِّتَالَ، وَعَهْدِ كَرِيمٍ هُوَ الْفِعْلُ لَمْ يَدْخُلْهُ الْإِعْتِلَالُ،

وَاللَّهُ يَجْعَلُ هَاتِيكَ مِنَ الْأَحْوَالِ الثَّابِتَةِ الْإِلَازِمَةِ، وَتَعْمِصُ

هَذَا بَعْدَ مِنَ الْحُرُوفِ الْجَازِمَةِ، وَإِنَّمَا اسْتَنْهَضَ طَوْلَكَ^(٣)

(١) تَكْتَبُ وَتَجِيدُ الْكِتَابَةَ (٢) تَحِبُّ وَتَهْدُ - فِي الْعِبَارَةِ لَفٌّ وَثَنٌ

مَرْتَبٌ (٣) الطُّولُ: اللَّتْنَةُ وَالْفَضْلُ. « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاحِي ».

إِلَى تَجْدِيدِ عَهْدِكَ بِعُطَاةِ أَلْفِ الْوَصْلِ ، وَتَعْدِيَةِ فِعْلٍ
الْفَصْلِ ، وَعُدُولِكَ عَنْ بَابِ أَلْفِ الْقَطْعِ ، إِلَى بَابِ الْوَصْلِ
وَالْجَمْعِ ، حَتَّى يَسْقُطَ لِرَجِّ الْكَلَامِ يَنْتَنَّا هَاءُ السَّكْتِ ،
وَيَدْخُلُ الْإِنْتِقَالُ حَالِ الصَّمْتِ ، فَلَا تَتَخَيَّلُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - أَنَّ
رَسَمَ إِخَاتِكَ عِنْدِي ذُو حُسَا^(١) قَدْ دَرَسَ عَفَاءً ، وَلَا أَنَّ
صَدْرِي دَارُ مَيَّةٍ أَمْسَى مِنْ وَدَّكَ خَلَاءً^(٢) ، وَإِنَّمَا أَنَا فِعْلٌ
إِذَا تَلَّتْ ظَهَرَ مِنْ ضَمِيرٍ وَدَّهَ مَا بَطَنَ^(٣) ، وَبَدَأَ مِنْهُ
مَا كَنَّ ، وَهَيْئًا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - أَنَّ فِعْلٌ وَزَارَتِكَ حَاضِرٌ

(١) يلحج الى قول الثابتة :

عفا ذو حاس من أهله فالقوارع فجنبنا أريك فالتلاع الدوافع
وكلها أسماء أمكنة ، وذو حاس مكان في بلاد مرة . وفي الأصل « دوحه »
بدل « ذو حاس » وهو تحريف بعيد غريب

(٢) فيه تلحج الى قول الثابتة القدياني :

يادارمية بالعباء قالسند أقوت وطال عليها سالف الاملد
أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا

أخنى عليها الذي أخنى على لبد

(٣) ينبر الى أن الضمير المستتر في الفعل يرز ويظهر اذا أسند الى ألف
الاثني التي لا تكون الا ضميرا ظاهرا غير مستتر - ويريد بثبوتهم سرورهم
واعتزازهم لمكلام المدوح وصنائعهم فيه تورية « أحمد يوسف نجاشي ».

لَا يَلْحَقُ رَفْعُهُ تَنْبِيرٌ ، وَأَنَّ فِعْلَ سَيْفِكَ مَاضٍ مَا بِهِ
 لِلْعَوَامِلِ تَأْثِيرٌ ، وَأَنْتَ بِمَجْدِكَ جَمَاعُ أَبْوَابِ الظَّرْفِ ، تَأْخُذُ
 نَفْسَكَ أَلْمِيَّةَ بِطَالَمَةِ بَابِ الصَّرْفِ ، وَدَرَسِ حُرُوفِ
 الْمَطْفِ ، وَتُدْخِلُ لَامَ التَّبَرُّثَةِ عَلَى مَا حَدَّثَ مِنْ عَتِكَ ،
 وَتُوجِبُ بَعْدَ النِّفْيِ مَا سَلَفَ مِنْ عَبْدِكَ ^(١) ، وَتَدْعُ أَلِفَ
 الْأُلْفَةِ أَنْ تَكُونَ بَعْدَ مِنْ حُرُوفِ اللَّيْنِ ، وَتَرْفَعُ بِالْإِضَافَةِ
 يَنَنًا وَجُودَ التَّنَوِينِ ، وَتَسُومُ سَاكِنَ الْوُدِّ أَنْ يَتَحَرَّكَ
 وَمُمَثِّلَ الْإِخَاءِ أَنْ يَصِيحَّ : وَكِتَابِي هَذَا حَرْفُ صَلَةٍ فَلَا
 تَحْدِفُهُ حَتَّى تَعُودَ أَلْحَالُ الْأُولَى صِفَةً ، وَتَصِيرَ هَذِهِ
 التَّكْرَةُ مَعْرِفَةً ، فَأَنْتَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - مُصَدِّرُ فِعْلِ
 الشَّرُورِ وَالنَّبْلِ ، وَمِنْكَ اشْتِقَاقُ اسْمِ السُّوْدُدِ وَالْفَضْلِ ،
 وَإِنَّكَ - وَإِنْ تَأَخَّرَ الْمَصْرُ بِكَ - كَالْفَاعِلِ وَقَعَ مُؤَخَّرًا ،
 وَعَدُوُّكَ - وَإِنْ تَكَبَّرَ - كَالْكَمِيتِ ^(٢) لَمْ يَقَعْ إِلَّا مُصَغَّرًا ،

(١) كنا بالاصل وأظنها معرفة عن « قربك » أو اعتبارك : أى رضاك
 مثلاً أو نحو ذلك مما يلائم للمنى ويقبى بحق السجع (٢) أى أن لفظ
 الكمييت لم يستعمل الا بصيغة التضمير - يريد تحقير عدوه

وَلِلَّيَّامِ عَلَلٌ تَبْسُطُ وَتَقْبِضُ، وَعَوَامِلُ تَرْفَعُ وَتُخَفِّضُ،
فَلَا دَخَلَ عَرُوصُكَ قَبْضُ، وَلَا عَاقَبَ ^(١) رَفْعُكَ خَفْضُ،
وَلَا زَلَتْ مُرْتَبَطًا بِالْفَضْلِ شَرْطُكَ وَجَزَاؤُكَ، جَارِيًا عَلَى
الرَّفْعِ مَرْوُكٌ ^(٢) الْكَرِيمُ وَسَاؤُكَ، حَتَّى يُخَفِّضَ الْفِئْلُ ^(٣)،
وَيُنِنِّي عَلَى الْكَسْرِ قَبْلُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - .



« وَكَتَبَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَسْتَدْعِي عُودَ غِنَاءِ »
أَنْتَظَمَ مِنْ إِخْوَانِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ تَعَالَى - عِقْدُ شَرِبٍ
يَتَسَاقُونَ فِي وُدِّكَ، وَيَتَعَاطَوْنَ رِيحَانَةَ شُكْرِكَ وَهَمْدِكَ،
وَمَآئِمَهُمْ إِلَّا شَرِيهُ الْمَسَامِعِ إِلَى رَنَّةِ حَمَامَةٍ نَادٍ، لَا حَمَامَةٍ
بَطْنٍ وَادٍ ^(٤)، وَالطُّوْلُ لَكَ فِي حِيلَتِنَا بِحِمَادٍ نَاطِقٍ قَدْ أَسْتَعَارَ

كتاب آخر
لأبي إسحق

(١) القبض والمقابضة والملة من مصطلحات العروض (٢) السرو :
الشرف والرفعة - وفي الأصل « سرورك » وهو تحريف (٣) تطبيق على
مستحيل - يدعو له بدوام الرضة والشرف والسرور وما دعاه به من
قبل (٤) يريد أنهم راغبون في سماع مغنية وعود لا الاكتفاء بتغريد
الجمام - ويلمح الى قول الشاعر:

حمامة بطن الواديين ترعى سقاك من النرا الوادى مطيرها
وقول الآخر:

أحمامة الوادى بشرق النضا ان كنت مسعدة الكتيب فرجى

مِنْ بَنَانٍ^(١) لِسَانًا ، وَصَارَ لِصَمِيرٍ صَاحِبِهِ تَرْجُمَانًا ، وَهُوَ
عَلَى الْأَسْمَاءِ وَالْإِحْسَانِ لَا يَنْفَكُ مِنْ إِقَاعٍ بِهِ ، مِنْ غَيْرِ
إِيْجَاعٍ لَهُ ، فَإِنْ هَفَا عُرِكَتْ أُذُنُهُ وَأَدْبَ ، وَإِنْ تَأَبَّى^(٢)
وَأَسْتَوَى بُعِجَ بَطْنُهُ وَضُرِبَ ، لَا زِلْتَ مُتَّظِمَ الْجَذَلِ^(٣) ،
مُتَّظِمُ الْأَمَلِ . اُنْتَهَى .



قصيدة لأبي
إسحق في
الضحك والتوجع

« وَمِنْ نَظْمِهِ » - رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى - يَنْفَجُّمُ ، وَتَوَجَّعُ^(٤) :

(١) بنان : اسم مغنية مجيدة وشاعرة بليغة في العصر العباسي ، وكانت
مولاة لـ محمد بن حماد في عصر الخليفة التوكل - وبنان بن عمرو من
أيضا في العصر العباسي كان يثنى للمتصرين للتوكل - والبنان أيضا :
الأصابع أو أطرافها التي تحرك العود فينطق « ففي لفظ بنان تورية بديعة »
وكذا في لفظ « إقاع » بمد (٢) أي امتنع - ويروي : تأبى - وفي معناه
قول الشاعر في جارية عوادة :

وكانه في حجرها ولد لها تخنوع عليه عند كل أوان
أبدا تدغخ بطنه فاذا هفا عركت له أذنان من الأذان
ومثله قول جبير الدين بن تميم :

ومها قد راضت العود حتى عاد بمد الجمال وهو ذلول
خلف من عرك أذنه أذعصاها فلهنا كما تقول يقول

(٣) أي الفرح والسرور (٤) ويرى الوزير أبا محمد عبد الله بن ربيعة

شَرَابُ الْأَمَانِي لَوْ عَلِمْتَ شَرَابُ
 وَعُتِّي^(١) اللَّيَالِي لَوْ عَرَفْتَ عِتَابُ
 إِذَا أَرْتَجَمْتَ أَيْدِي اللَّيَالِي هَيَاتَهَا
 قَنَاءَةً هَاتِيكَ أَلْهَاتِ ذَهَابُ
 وَهَلْ مُهْجَةُ الْإِنْسَانِ إِلَّا طَرِيدَةٌ
 يَحْشَوْهَا عَلَيْهَا لِلْحِمَامِ عُقَابُ؟
 تَنْسُبُ^(٢) بِهَا مِنْ كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
 مَطَايَا إِلَى دَارِ الْبَلَى وَرِكَابُ
 وَكَيْفَ يَمِيزُ التَّمَعُّ أَوْ يَبْزُدُ الْحُشَا
 وَقَدْ بَادَ أَقْرَانُ وَقَاتَ شَبَابُ؟
 أَقْلَبُ طَرَفِي لَا أَرَى غَيْرَ لَيْلَةٍ
 وَقَدْ حُطَّ عَنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ تَقَابُ
 كَأَنِّي - وَقَدْ طَارَ الصَّبَاحُ - سَهَامَةٌ
 يَمُدُّ جَنَاحِيهِ عَلَى عُرَابُ

(١) العتبي : الرضا (٢) خب : عدا وأسرع في الشيء ، ومضارعه يحب
 مضموم العين على غير قياس لأن القاعدة في الفعل اللازم للمضارع أن
 يكون مضارعه مكسور العين إلا ما شذ فجاه بالضم وهي ٢٨ فلا منها خب

فَيَا لَهُمْ مِنْ رَكْبٍ صَحْبٍ تَتَابَعُوا
 فُرَادَى وَهُمْ مُلْدُ الْقُصُونِ شَبَابُ
 دَعَا بِهِمْ دَاعِي الرَّدَى فَكَانَمَا
 تَبَارَتْ بِهِمْ خَيْلٌ هُنَاكَ عَرَابُ
 فَهَاهُمْ حَرَسُ الدَّهْرِ حَرْبٌ - كَانَمَا
 جَنَّا^(١) يَنْتَهُمُ طَعْنُ لَهُمْ وَضِرَابُ
 هُجُودٌ وَلَا غَيْرُ التُّرَابِ حَشِيَّةٌ^(٢)
 لِيَجْنِبَ وَلَا غَيْرُ الْقُبُورِ قِيَابُ
 وَلَسْتُ يَنْاسِي صَاحِبًا مِنْ رِيعةٍ
 إِذَا نَسَيْتَ رَسْمَ الْوَفَاءِ صِحَابُ
 وَمَا شَجَانِي أَنْ قَضَى حَتْفَ أَفْهٍ
 وَمَا أُنْذِقَ رُمُحُ دُونَهُ وَكِعَابُ^(٣)

(١) جئا اذا جلس على ركبته للخصومة ونحوها - و يروى
 «له» بدل لهم ، يعود الضمير على الدهر وعجز البيت يروى :
 جئا بهم طعن له وضرب (٢) الحشية : الفراش المحشو وجمعه حشايا
 (٣) يقال مات فلان حتف أفه ، أى على فراشه من غير قتل ولا ضرب
 ولا غرق ولا حرق ولا سجع ولا غيره - وهى عبرة بليغة قيل ان أول

وَأَنَا تَجَارَتُنَا ثَلَاثِينَ حِقْبَةً
فَمَاتَ سَيَاقًا وَالْحِمَامُ قِصَابٌ ﴿١﴾
كَأَنَّ لَمْ نَبِتْ فِي مَنْزِلِ الْقَصْفِ لَيْلَةً
نُجِيبُ بِهَا دَاعِيَ الصَّبَا وَنُجَابُ ﴿٢﴾
إِذَا قَامَ مِنَّا قَائِمٌ مَرَّ عِطْفُهُ
شَبَابُ أَرْقَانِهِ بِهَا وَشَرَابُ
جَمَحْنَا بِمِذَانِ الصَّبَا ثُمَّ إِنَّا
كَرَرْنَا فَكَانَتْ فَيْتَةً وَمَتَابُ

من قالها النبي صلى الله عليه وسلم « وخص الأنف لانه أراد أن روحه
تخرج من أنفه بتتابع نفسه لان الميت على فراشه من غير قتل يتنفس
حتى ينقضى ريقه » ولكنه ورد في شعر السموهلي :

وما مات منا سيد خف أنفه ولا طل منا حيث كان قتيل
وكعب الرمح عقدة ما بين الأنبيئين منه ، أو طرفه الناشز ، وجهه كعوب
وكعب - ويروى « وذباب » وهو أحسن - وذباب السيف : حدم
(١) قصاب جمع قصب ، يعني قصب السباق ، ويقال لسابق أحرز قصب
السبق ، لان الغاية التي يسبق اليها كانت تفرع بالقصب وتركز تلكه
القصبه عند منتهى الغاية فمن سبقها حازها واستحق الحظر - ثم استعمل
ذلك في كل سابق الى غاية ومنتهى الى أمد ، وأرى أن « مات » في البيت
محرفه عن « مات » (٢) القصف بمعنى اللهو واستعمله اللوليون في أشعارهم ،
وأصل معناه : كسر غصن خفيف ، ويقال رعد قصف أى في صوته تكسره

وَلَمَّا تَرَأْتِ لِلشَّيْبِ بُرْقَةً
 وَأَفْشَعَ مِنْ ظِلِّ الشَّجَابِ سَحَابٌ ^(١)
 نَهَضْنَا بِأَعْيَاءِ اللَّيَالِي جَزَالَهٗ
 وَأَرَسَتْ بِنَا فِي الثَّائِبَاتِ هَضَابٌ ^(٢)
 فَبَاطَاعِنَا قَدْ حَطَّ مِنْ سَاحَةِ الْيَلَى
 بِمَنْزِلٍ بَيْنَ لَيْسَ عَنْهُ إِيَابٌ
 كَفَى حَزَنًا أَنْ لَمْ يَرِدْنِي عَلَى الْتَوَى
 رَسُولٌ وَلَمْ يَنْفُذْ إِلَيَّ كِتَابٌ
 وَأَنْتِ إِذَا يَمُتُّ قَبْرُكَ زَائِرًا
 وَهَتُّ وَدُونِي لِلثَّرَابِ حِجَابٌ
 وَلَوْ أَنَّ حَيًّا كَانَ حَاوَرَ مَيِّتًا
 لَطَالَ كَلَامٌ يَتَنَا وَخِطَابٌ

ومنه قيل لصوت للمازف قصف ، وتجوز به في كل لهو (١) البريقة: تصغير
 برق وهو القدار من البرق ، وقرئ: «يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار» يضم
 الباء وفتح الراء (٢) جزل فلان جزالة إذا كان ذا رأي جيد وتدير قوى بحكم

وَأَعْرَبَ عَمَّا عِنْدَهُ مِنْ جَلِيلَةٍ
فَأَقْشَعَ عَنْ شَمْسٍ هُنَاكَ ضِيَابٌ^(١)
وَقَدْ أَبْعَدْنَا عَمَّا كُنَّا بِصَدَدِهِ مِنْ ذِكْرِ قُرْطُبَةٍ
أَعَادَهَا اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ ، فَتَقُولُ :



قَالَ بَعْضُ مَنْ أَرَّخَ الْأَنْدَلُسَ : أَتَمَّتْ مَسَاجِدُ قُرْطُبَةٍ
أَيَّامَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاخِلِ إِلَى أَرْبَعِمِائَةٍ وَتِسْعِينَ مَسْجِدًا ، ثُمَّ
زَادَتْ بَعْدَ ذَلِكَ كَثِيرًا كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ
كَانَتْ قُرْطُبَةُ قَاعِدَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَأُمُّ الْمَدَائِنِ ، وَقَرَارَةُ الْمُلْكِ ،
وَكَانَ عَدَدُ شُرَفَائِهَا^(٢) أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَثَلَاثِينَ ، وَكَانَتْ
عِدَّةُ الثُّورِ فِي الْقَصْرِ الْكَبِيرِ أَرْبَعِمِائَةَ دَارٍ وَنِيفًا وَثَلَاثِينَ ،
وَكَانَتْ عِدَّةُ دُورِ الرِّعَايَا وَالسَّوَادِ بِهَا الْوَاجِبِ عَلَى أَهْلِهَا
الْمَسِيَّتُ فِي السُّورِمِائَةِ الْفِدَارِ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ الْفِدَارِ حَاشَا دُورِ
الْوُزَرَاءِ وَأَكْبَرِ النَّاسِ وَالْيَاسُ . وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ
أَنَّ هَذَا الْمَدَدَ كَانَ أَيَّامَ لَمْتُونَةَ وَالْمُوَحِّدِينَ . قَالَ : وَكَانَتْ

مساجد قرطبة
ومبانيها

(١) في الأصل « طباب » محرفة ، وقد كان في القصيدة تحريف كثير
تلافيناه وأتينا بها بمنقحة محمودة « أحمد يوسف نجاشي » . (٢) الشرفة بما
يفنى على أعلى الحائط منفصلا بمساحة عن بعض على هيئة معروفة .

دِيَارُ أَهْلِ التَّوَلَّةِ إِذْ ذَاكَ سِتَّةَ آلَافٍ دَارٍ وَثَلَاثِينَ دَارٍ ،
 انْتَهَى . وَعَدَدُ أَرْبَاعِهَا ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ ، وَقِيلَ أَحَدُ
 وَعِشْرُونَ ، وَمَبْلَغُ الْمَسَاجِدِ بِهَا ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَثَمَانِيَةٌ
 وَسَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ مَسْجِدًا ، وَعَدَدُ الْحَمَامَاتِ الْمُبْرَزَةِ لِلنَّاسِ
 سَبْعُمِائَةِ حَمَامٍ ، وَقِيلَ ثَلَاثُمِائَةِ حَمَامٍ . وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ : إِنَّ
 عِدَّةَ الْمَسَاجِدِ عِنْدَ تَنَاهِيهَا فِي مُدَّةِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ أَلْفٌ
 وَسِتُّمِائَةِ مَسْجِدٍ ، وَالْحَمَامَاتُ تِسْعُمِائَةِ حَمَامٍ . وَفِي بَعْضِ
 التَّوَارِيخِ الْقَدِيمَةِ : كَانَتْ بِقَرْطَبَةِ فِي الزَّمَنِ السَّالِفِ
 ثَلَاثَةُ آلَافٍ مَسْجِدٍ وَثَمَانِيَةٌ وَسَبْعَةٌ وَسَبْعُونَ مَسْجِدًا ،
 مِنْهَا بِشَقَنْدَةَ^(١) ثَمَانِيَةٌ عَشَرَ مَسْجِدًا وَتِسْعُمِائَةِ حَمَامٍ وَأَحَدُ
 عَشَرَ حَمَامًا ، وَمِائَةُ أَلْفٍ دَارٍ وَثَلَاثَةُ عَشَرَ أَلْفَ دَارٍ لِلرَّعِيَّةِ
 خُصُوصًا ، وَرُبَّمَا نِصْفُ الْعَدَدِ أَوْ أَكْثَرُ لِأَرْبَابِ التَّوَلَّةِ
 وَخَاصَّتِهَا . هَكَذَا تَقَالُهُ فِي الْمَغْرِبِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَأْتِي
 وَيَذَرُ . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ - بَعْدَ

(١) شقندة كانت كضاحية لقربطبة على عدوة النهر ، وتقدم القول فيها

ذِكْرِهِ نَحْوَمَا تَقَدَّمَ : وَوَسَطَ الْأَرَبَاضِ قُبَّةَ قُرْطُبَةَ الَّتِي
تُحِيطُ بِالشَّوْرِ^(١) دُونَهَا . وَأَمَّا الْبَيْتَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي الْمَجْلِسِ
الْبَدِيعِ فَإِنَّهَا كَانَتْ مِنْ تَحْفِ قَيْصَرِ^(٢) الْيُونَانِيِّينَ ، بَعَثَ بِهَا
صَاحِبُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ إِلَى النَّاصِرِ مَعَ تَحْفٍ كَثِيرَةٍ سَنِيَّةٍ .
أَنْتَهَى .

وَنَحْوُهُ لِابْنِ الْفَرَضِيِّ وَغَيْرِ وَاحِدٍ ، لَكِنْ خَالَفَهُمْ
صَاحِبُ الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ ، فَذَكَرَ أَنَّ عَدَدَ الْمَسَاجِدِ
بِقُرْطُبَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ مَسْجِدٍ وَاحِدٌ وَسَبْعُونَ مَسْجِدًا ، وَهُوَ
بَعِيدٌ . وَقَالَ قَبْلَهُ : إِنَّ دَوْرَ قُرْطُبَةَ فِي كَمَالِهَا ثَلَاثُونَ
أَلْفَ ذِرَاعٍ . وَتَفْسِيرُهَا بِاللِّسَانِ الْقُوطِيِّ « الْقُلُوبُ
الْمُخْتَلِفَةُ »^(٣) ، وَهِيَ بِالْقُوطِيَّةِ بِالطَّاءِ الْمُشَالَّةِ ، وَقِيلَ إِنَّ
مَعْنَى قُرْطُبَةَ « إِجْرٍ فَاسْكُنْهَا »^(٤) ، قَالَ : وَبِقُرْطُبَةَ أَقَالِمٍ

(١) في بعض المراجع « تختص » (٢) في الأصل قصر محرفة عن « قيصر »
والتحفة : الهدية الثمينة النفيسة (٣) قد سبق رأينا في ذلك (٤) في الأصل
« أجز » بدل « اجر » وهو تحريف كما يدل عليه النقط اللاتني Corre
ومنه الكلمة الفرنسية Courir والاسبانية Corer « أحمد يوسف نجاني »

كَبِيرَةٌ وَكُوزٌ جَلِيلَةٌ . وَكَانَتْ جَبَائِثُهَا فِي أَيَّامِ الْحَكْمِ
 ابْنِ هِشَامٍ مِائَةَ أَلْفٍ دِينَارٍ وَعَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ وَعِشْرِينَ
 دِينَارًا . وَسَبَقَ مَا يُخَالِفُ هَذَا - وَمِنْ الْقَمَحِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ
 مُدِّيٍّ ^(١) وَسِتِّمِائَةِ مُدِّيٍّ ، وَمِنْ الشَّعِيرِ سَبْعَةُ آلَافٍ مُدِّيٍّ
 وَسِتِّمِائَةِ مُدِّيٍّ وَسَبْعَةُ أَرْبَعُونَ مُدْيًا . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ :
 أُخْصِيَتِ دُورُ قُرْطُوبَةَ الَّتِي هِيَ أَرْبَاضُهَا أَيَّامُ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ فَكَانَتْ
 مِائَتِي أَلْفٍ دَارٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفٍ دَارٍ وَسَبْعَةَ وَسَبْعِينَ دَارًا ،
 وَهَذِهِ دُورُ الرَّيَّةِ ، وَأَمَّا دُورُ الْأَكَاكِ وَالْوُرَّاءِ وَالْكِتَابِ
 وَالْأَجْنَادِ وَخَاصَّةً الْمَلِكِ فَسِتُونَ أَلْفَ دَارٍ وَثَلَاثُمِائَةِ دَارٍ
 سِوَى مَصَارِي الْكِرَاءِ وَالْحَمَامَاتِ وَالْخَنَائِثِ ، وَعَدَدُ
 الْحَوَائِثِ ثَمَانُونَ أَلْفَ حَانُوتٍ وَأَرْبَعُمِائَةِ وَخَمْسَةِ وَخَمْسُونَ .
 وَلَمَّا كَانَتْ الْفِتْنَةُ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ غُبِرَتْ رُسُومُ

(١) الذي : مكيال ضخيم يأخذ جريبيا كلن للشام ومصر . وفي الصحاح هو
 القفيز الشامي ، وقال ابن الأثير هو مكيال لأهل الشام يسع خمسة عشر مكيالاً ،
 والمكوك صاع ونصف ، وقيل أكثر من ذلك ، وقيل انه يسع خمسة
 وأربعين رطلاً - وجمع الذي أمداء . « أحمد يوسف نجاشي »

ذَلِكَ السُّمْرَانِ ، وَنَحِيتَ آثَارُ تِلْكَ الْقُرَى وَالْبُلْدَانِ .
أَنْتَهَى مُلَخَّصًا .

وَسَيَأْتِي فِي رِسَالَةِ الشَّقْنَدِيِّ مَا هُوَ أَشْمَلُ مِنْ هَذَا .



وَلَمَّا رَقَّتْ حَالُ أَبِي الْقَاسِمِ عَامِرِ بْنِ هِشَامٍ الْقُرْطُبِيِّ ^(١)
بِقُرْطُبَةٍ ، وَزَيَّنَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الرِّحْلَةَ إِلَى حَضْرَةِ مَلِكِ
الْمُوحِدِينَ مَرَّا كُشَّ قَالَ : وَذَكَرَ الْمَتَزَهَاتِ الْقُرْطُبِيَّةَ :

أبو القاسم بن
هشام يصف
متزحات قرطبة

يَاهِبَةً بَاكَرَتْ مِنْ نَحْوِ دَارَيْنِ ^(٢)

وَأَفَتْ إِلَى عَلَى بُعْدِ مُجِئِنِي

سَرَتْ عَلَى صَفَحَاتِ النَّهْرِ نَاشِرَةً

جَنَاحَهَا بَيْنَ خَيْرِي وَنَسِيرِي

رَدَّتْ إِلَى جَسَدِي رُوحَ الْحَيَاةِ وَمَا

خِلْتُ النَّسِيمَ إِذَا مَا مِتُّ مُجِئِنِي

لَوْ لَا تَنَسَّمَهَا عَنْ نَشْرِ أَرْضِيكُمْ

مَا أَصْبَحْتَ مِنْ أَلِيمِ الْوَجْدِ تُبْرِئِي

(١) هو أبو القاسم عامر بن هشام الأزدي القرطبي الكاتب الأديب والشاعر
الطباع ، توفي سنة ٦٢٣ وقد تقدمت ترجمته . (٢) سبق للتعريف بها

مَرَّتْ عَلَى عَقْدَاتِ^(١) الرَّمْلِ حَامِلَةً
 مِنْ سِرِّكُمْ خَبْرًا بِالْوَحْيِ يَشْفِينِي
 عَرَفْتُ مِنْ عَرَفِهِ مَا كُنْتُ أَجْهَلُهُ
 لَمَّا تَنَسَّمَ^(٢) فِي تِلْكَ الْمَيَادِينِ
 زَوْتُ مِنْ طَرَبٍ لَمَّا هَفَا سَحْرًا
 وَظَلَّ يَنْشُرُنِي طَوْرًا وَيَطْوِينِي^(٣)
 خِلْتُ الشَّمَالَ شَمُولًا^(٤) إِذْ سَكِرْتُ بِهَا
 مُكْرًا بِمَا لَسْتُ أَرْجُوهُ يُمَيِّنُنِي
 أَهَدْتُ إِلَى أَرْحَامِ^(٥) مِنْ شَمَائِلِكُمْ
 فَقُلْتُ قَرَّيْنِي مَنْ كَانَ يُقْصِيْنِي
 وَخِلْتُ مِنْ طَمَعٍ أَنَّ الْلِقَاءَ عَلَى
 إِثْرِ النَّسِيمِ، وَأَضْحَى الشَّوْقُ يَحْدُونِي

(١) العقدة: ماتراكم من الرمل وجمعه عقد، وعقدات (٢) في الأصل «تبسم» مصحفة (٣) نزا أي وثب: يريد أنه اهتز طربا ومرحا - وهفا للنسيم: تحرك وخف مسرعا - يريد أن السرور قد استولى عليه ويمكن منه (٤) في الأصل «شمالا» وآثرنا أن تكون محرفة عن «شمولا» مراعاة للخي كاهو ظاهر - والشمول: الحمر (٥) الأريج: الريح الطيبة - والشمال

فَظَلْتُ أَلِمَ^(١) مِنْ تَعْظِيمِ حَقِّكُمْ
 حَجْرًا أَذْيَالَهَا وَالْوَجْدُ يُغْرِبُنِي
 مَسَارِحُكُمْ بِهَا سَرَّخْتُ مِنْ كَمَدِ
 قَلْبِي وَطَرَفِي وَلَا سُلُوفَانِ يَتَنَبَّئُنِي؟
 بَيْنَ الْمُصَلَّى إِلَى وَادِي الْعَقِيقِ - وَمَا
 يَزَالُ مِثْلَ أَسْمِهِ^(٢) مُذْ بَانَ يُنَكِّبُنِي
 إِلَى الرِّصَافَةِ فَالْعَرَجِ النَّصِيرِ فَوَا
 دِي الدَّيْرِ فَالْمَطْفِ مِنْ نَطْحَاءِ عَبْدُونِ^(٣)
 لِبَابِ عَبْدٍ سَقَتْهُ الشُّجْبُ وَابِلَهَا
 فَلَمْ يَزَلْ بِكُؤُوسِ الْأَنْسِ يَسْقِينِي
 لَا بَاعَدَ اللَّهُ عَنِّي مَنَازِرَهُ
 وَلَا يُقَرِّبُ لَهَا أَبْوَابَ جَيْرُونِ^(٤)

جمع شمال وهو الخلق والسجية والطبع (١) لم « كمع وضرب » أى قبل (٢) يريد أنه أبكاه دما كالعقيق. والمصلى ووادى العقيق من مواضع بلاد العرب جعلها مثلا لمواطنه التي ينشوق إليها - والمصلى موضع فى عقيق المدينة ، والمصلى الجديد بمصرية بالأندلس - وفى الأصل « ان بان » وهو غير ظاهر (٣) هذه أما كن أندلسية معروفة والرصافة معروفة ، وربض الرصافة بجوف قرطبة (٤) كذا بالأصل وقد يكون فى العبارة تحريف وأصلها

حَاشَا لَهَا مِنْ مَحَلَّاتٍ ^(١) مُفَارَقَةٍ
 مِنْ شَيْقٍ دُونَهَا فِي الْقُرْبِ مَحْزُونِ
 أَيْنَ الْمَسِيرُ وَرِزْقُ اللَّهِ أَدْرِكُهُ
 مِنْ دُونِ جَهْدٍ وَتَأْمِيلٍ يُعْنِينِي ^(٢)؟
 يَا مَنْ يُرِيْنِي إِلَى التَّرَحُّالِ عَنْ بَلَدِي
 كَمْ ذَا تُحَاوِلُ نَسْلًا عِنْدَ عَيْنِي؟
 وَأَيْنَ يَعْدِلُ عَنْ أَرْجَاءِ قُرْطُبَةٍ
 مَنْ شَاءَ يَطْفُرُ بِالدُّنْيَا وَبِالدِّينِ

مثلا - فلا تفر لها أبواب جيرون ، أو : اذ لا تفر لها الخ يريد أن أبواب
 جيرون التي أكثر الشعراء من ذكرها والحنين إليها لا تفر لعينه بمدنائه
 قرطبة ومعاهد الاندلس - وجيرون هي دمشق ، أو باب من أبوابها -
 وكان بجامع دمشق باب يسمى باب جيرون هو باب الشرق وفيه فوارة
 ينزل عليها بدرج كثيرة في حوض من رخام وقبة خشب يلو ماؤها نحو
 الرمح (١) في الأصل «... من محلات » وأراها محرفة ، فانه يريد حاشا لهذه
 المنازل أن يفارقها من غلبه الشوق إليها كل أحواله ، ويوضح ذلك ما بعده وما قبله
 (٢) التأميل : مصدر أمل ، وعناه أى أتعبه ، يريد أن الاماني متعبة والطامع
 مردية - وهذا مذهب له لا يرضاه ذوو المهمة العالية فكل مكان
 يفتت المزطبيب ، واذا نيا بك مغزل فتحول - وسيرجع الى ذلك بعد
 (٢١ - فتح الطيب - رابع)

قَطَرُ فَيْسِجٍ وَهَرٌّ مَا بِهِ كَدَرٌ
 حَفَّتْ بِشَطِئِهِ أَلْفَاظُ الْبَسَاتِينِ^(١)
 يَا لَيْتَ لِي مُعَمَّرَ نُوجٍ فِي إِقْلَمِهَا
 وَأَنْ مَالِي فِيهِ كَثُرَ قَارُونَ
 كِلَاهُمَا كُنْتُ أَفْنِيهِ عَلَى نَشْوَا
 تِ الرِّاحِ نَبَّاءَ وَصَلَ الْحُورِ^(٢) وَالْعَيْنِ
 وَإِنَّمَا أَسْنِي أَنِّي أَهْمُ بِهَا
 وَأَنْ حَظِّي مِنْهَا حَظُّ مَقْبُورٍ
 أَرَى بِعَيْنِي مَالًا تَسْتَطِيلُ يَدِي
 لَهُ وَقَدْ حَازَهُ مَنْ قَدَرُهُ دُونِي
 وَأَتَكَدُّ النَّاسِ عَيْشًا مَنْ تَكُونُ لَهُ
 نَفْسُ الْمُلُوكِ وَحَالَاتُ الْمَسَاكِينِ

(١) الالفاف : الأشجار لللفة بعضها بعض ، جمع لف وهو الروضة لللفة بالنبات ، والبستان المجتمع الشجر ، وحديقة لف ولفة أى قالته أشجارها ، ومنه قوله تعالى . « وجنت ألفاظ » أى بساتين ملتفة (٢) فى بعض المراجع « الحرد العين » وهو أحسن . « أحمد يوسف نجاتى »

يَنْضُ طَرْفَ النَّصَابِي حِينَ تَبْهَتُهُ^(١)
 قُضْبَانُ نَمَانَ فِي كُثْبَانِ يَبْرِينَ^(٢)
 قَالُوا: الْكَفَافُ مُقِيمٌ، قُلْتُ ذَلِكَ لِمَنْ
 لَا يُسْتَخَفُّ إِلَى يَتِّ الزَّرَاجِينِ^(٣)
 وَلَا يُئْلِلُهُ^(٤) هَبُّ الصَّبَا سَحَرًا
 وَلَا يُلْطَفُهُ عَرَفُ الرِّيَاحِينَ
 وَلَا يَهِيمُ بِفُتَاحِ الْخُدُودِ وَرَمًا
 نِ الثُّهُودِ وَتَرْجِيمِ التَّلَاحِينَ

(١) تبته تحبته وتدعته ، وقد بهت اذا تحير ، رأى شيئاً فبهت ينظر نظر التعجب (٢) نمان - نومان - يسمى نمان الأراك - : واد ينبته بين مكة والطائف ، ويرين : رمل عظيم لا تدرك أطرافه من أصقاع البحرين يفنو بين الأحساء وهجر مرحلتان ، وفيه يقول أبو زياد الكلبي :

أراك نالي كُثبان يبرين صبة وهذا لعمري لوقعت كُثيب
 وان الكُثيب الفرد من أعين الحمى الى وان لم آتِه الحبيب
 ويريد بقضبان نمان قنود النيد ، وبكُثبان يبرين الأرداف والأعجاز
 (٣) الزراجين جمع زرجون وهو الحر أو الكرم أى شجرة العنب ،
 وهو لفظ فارسي معرب - يريد أن اللولع بالشراب والهي يهفو فواده الى
 الحسان ويحمن الى الرياض ويستميله النسيم الطليل لا يفتنع بالكفاف الذي
 لا يرضي به الاخامل جامد (٤) أى يهيج ويحركه « أحمد يوسف نجاتي »

لَا تُجْتَنِّي رَاحَةً إِلَّا عَلَى تَعَبٍ
وَلَا تُنَالُ أَلَمًا إِلَّا مِنْ أَلَمٍ
وَصَاحِبُ أَلَمٍ فِي الدُّنْيَا أَخُو كَدَرٍ
وَأِنَّمَا الصَّفْوُ فِيهَا لِلْمَجَانِينِ
يَا أَمْرِي أَنَا حُتَّ الْعَيْسِ عَنْ وَطَنِي
لَمَّا رَأَى الرِّزْقَ فِيهِ لَيْسَ يُرْضِينِي
نَصَحْتَ، لَكِنِّي لِي قَلْبًا يُنَازِعُنِي
فَلَوْ تَرَحَّلْتُ عَنْهُ حَلَّةٌ دُونِي
لَأَلْزَمَنْ وَطَنِي طَوْرًا تُطَاوِعُنِي
قُدُ^(١) الْأَمَانِي وَطَوْرًا فِيهِ تَعْمِينِي
مُدَلَّلًا بَيْنَ عِرْقَانِي، وَأَضْرِبُ عَنْ
سَبِيلِ لَأَرْضٍ بِهَا مَنْ لَيْسَ يَدْرِينِي^(٢)

(١) جمع أقود، يقال فرس أقود وقيد « بتشديد الياء مكسورة » أي
ذلول منقاد طائع (٢) اضرب عن الشيء إذا كف عنه وأعرض - وفي الأصل
« مدلا بين عرقاني » بالنال للمعجمة ولا أرضي للشاعر ذلك فقرأت أنها
محرفة، وآثرت أن يكون « مدلا » بين اخوانه ومن يعرفه من بني
وطنه ويحيط خبرا بأصله وحاله، فهو إنما أبى الاغتراب نفرة من القتل .
« أحمد يوسف نجاني » .

هَذَا يَقُولُ غَرِيبٌ سَاقَهُ طَمَعٌ
وَذَلِكَ حِينَ أَرَاهُ ^(١) الْبَرَّ يَحْفُوْنِي
إِلَيْكَ عَنِّي آمَالِي فَبَعْدُكَ يَـ
لِدِينِي وَقَرُبُكَ يُطْغِيْنِي وَلُغُوْنِي ^(٢)
يَالْحَظَّ كُلُّ غَزَالٍ لَسْتُ أَمْلِكُهُ
يَدُنُو ^(٣) وَمَالِي حَالٌ مِنْهُ تُدْرِيْنِي
وَيَا مُدَامَةَ دَيْرٍ لَا أَلْمُ بِهِ
لَوْلَا كَمَا كَانَ مَا أُعْطِيتُ يَكْفِيْنِي
لَأَصْبِرَنَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ كَدَرٍ
لِمَنْ عَطَايَاهُ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ
وَتُسَمَّى هَذِهِ الْقَصِيدَةُ عِنْدَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ كَثْرَ الْأَدَبِ.
وَقَدْ أَشْرْنَا فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِقُرْطَبَةَ

(١) في الأصل « أريد » بدل « أراه » التي تجعل للمنى أوضح وأعف
وتبين سوء مجازاة الناس للغير بغير اللروف بينهم. « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) إليك عني : أى تنحى وابتعدى ويمكن أن يقرأ هذا البيت بخطاب
صاحبه لا آمله ، ويكون : إليك عني آمالي الخ (٣) ويجوز أن تكون محرفة
عن « برنو » أى ينظر لمناسبة لحظ الغزال ، وكم كان في القصيدة من تحريف
أصلحناه ، ونهنا على ما بقيناه شاكين فيه . « أحمد يوسف نجاشي » .

- أَعَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْإِسْلَامِ - فَأَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ ، وَإِنْ
كَانَ ذِكْرُهُ هُنَا أَنْسَبَ ، لِأَنَّ مَا تَقَدَّمَ إِنَّمَا هُوَ فِي ذِكْرِهَا
مَعَ غَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَهَذَا الْبَابُ لَهَا بِالْإِسْتِقْلَالِ .
وَأَنْشَدَ أَبُو الْعَاصِي غَالِبُ بْنُ أُمَيَّةَ الْمَوْزُورِيُّ ^(١) لَمَّا جَلَسَ

(١) في الأصل « الروزي » وهو تحريف غير مفعول ، يبعد الرجل عن
وطنه بعد مروه عن موزور ، وهو غالب بن أمية بن غالب اللوزوري
سكن قرطبة وهو أديب شاعر بليغ ، منسوب إلى موزور وهي كورة
بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال فرمونة ، وهي من قرطبة بين الغرب والقبلة
كثيرة الفواكه والزيتون ، وبينها وبين قرطبة عشرون فرسخا - هذا
وقد تصرف صاحب النفع في الأبيات التي اختارها من القصيدة تصرفا
أخل ميزان بعضها وأخرجها عن بحرها ، فقد كان البيت الأول في الأصل :

يا قصركم حوى من نعم عادت لقي بموارض السكك

فجعل عجز البيت من بحر الكامل ، ولكن صدره لا يقام له وزن إلا
إذا ضعفت عين حوى ، وتأبى اللمة ذلك الابتكاف . والقصيدة في « بنية
للمتس » قال فيه أنشد أبو عمر بن عبد البر قال أنشدني أبو الأصمغ عبد العزيز
ابن أحمد النحوي الأخفش سنة ٣٨٩ قال أنشدني أبو العاصي غالب بن
أمية بن غالب وقد جلس على نهر قرطبة ناظرا إلى القصر على البديهة -
ثم ساق القصيدة وأولها الأبيات الثلاثة وبداها :

وقل لدينا إليك مقبلة تختال في خزها وفي الفنك

خادعة الخلق عن عقولهم بسنا وسحقا فلهم ولك

وآخرها :

يا صاحب العقل أنت أنت لها فطأ إليها نوافذ الحسك

واعده عهدا منقشا نظرا منك لب الأمور وادرك

عَلَى نَهْرٍ قُرْطَبَةٍ يَأْزَاهُ الرَّبَضُ مُلْتَقَتَا إِلَى الْقَصْرِ بَدِيهَةٌ :
يَا قَصْرُكُمْ قَدْ حَوَيْتَ مِنْ نَعْمٍ
عَادَتْ لَنِي فِي عَوَارِضِ السَّكَكِ ؟
يَا قَصْرُكُمْ قَدْ حَوَيْتَ مِنْ مَلِكٍ
دَارَتْ عَلَيْهِمْ دَوَائِرُ الْقَلَكِ ^(١) ؟
أَبْنَى مَا شِئْتَ كُلُّ مُتَخَذٍ
يَعُودُ يَوْمًا بِحَالٍ مُتْرَكٍ ^(٢)



وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ عِيَّاضٌ ^(٣) عِنْدَ ارْتِحَالِهِ عَنْ تَوْذِيحِ الْقَاضِي
عِيَّاضٍ لِقُرْطَبَةٍ :

يُحْمَدُ عِنْدَ الصَّبَاحِ كُلِّ سَرَى إِذَا انْفَرَى نَوْرُهُ عَنِ الْخَلَكِ
فَالْقَصِيدَةُ مِنْ بَحْرِ النَّسْرِحِ لَا مِنَ الْكَامِلِ كَمَا أَرَادَ الْقَرِيءُ ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَصِلْ
إِلَيْهِ إِلَّا الْآيَاتُ الثَّلَاثَةُ الْأُولَى عَرَفَتْ فَاصْلَحَهَا بِمَا يَجِبُهَا مِنَ الْكَامِلِ لَوْلَا
مَاعَرُفْتُ . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَّاحِي » .
(١) فِي الْأَصْلِ « يَا قَصْرُكُمْ حَوَيْتَ مِنْ مَلِكٍ » دَارَتْ عَلَيْهِ الْخُ . وَيَكُونُ
عَجْزُ الْبَيْتِ مِنَ النَّسْرِحِ إِذَا أَشْبَعَتِ الْمَاءُ فِي عَلَيْهِ أَشْبَاعًا تَتَوَلَّدُ مِنْهُ الْبَاءُ
وَيَبْقَى صَدْرُ الْبَيْتِ مِنَ الْكَامِلِ لَكِنْ بِتَضْيِيفِ عَيْنِ حَوَى (٢) كَانَ أَصْلُهُ
مَاشَتْ قَابِقُ فَكُلِّ مُتَخَذٍ يَوْمًا يَسُودُ بِحَالٍ مُتْرَكٍ
وَهُوَ مُسْتَقِيمُ الْوِزْنِ إِنْ كَانَ مِنْ بَحْرِ الْكَامِلِ لَوْلَا سَاثَرُ الْقَصِيدَةِ (٣) هُوَ
أَبُو الْفَضْلِ عِيَّاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَّاضِ الْيَحْصِي الْقَاضِي الْجَلِيلُ الْفَقِيهَ

أَقُولُ وَقَدْ جَدَّ أَرْتَحَالِي وَغَرَدَتْ
 حُدَاتِي وَزَمْتُ^(١) لِلْفِرَاقِ رَكَائِي
 وَقَدْ غَمِصَتْ مِنْ كَثْرَةِ الدَّمْعِ مُقَلَّتِي
 وَصَارَتْ هَوَاءَ مِنْ فُؤَادِي تَرَائِي^(٢)
 وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَقْفَةٌ يَسْتَحِبُّهَا
 وَدَاعِي لِلْأَحْبَابِ لَا لِلْحَبَائِبِ^(٣)
 رَعَى اللَّهُ جِيرَانًا بِقُرْطُبَةٍ أَمْلَا
 وَجَلَدَ رُبَاهَا بِالْمِهَادِ السَّوَاكِبِ^(٤)
 وَحَيًّا زَمَانًا يَنْتَهِمُ قَدْ أَلْفَتْهُ
 طَلِيقَ الْمُحْيَا مُسْتَلَانَ الْجَوَانِبِ

المحدث الأديب توفى بمراسم سنة ٥٤٤ هـ (١) زم الركائب إذا شدها بالزم وعلقه عليها - وزم: تقدم في السير (٢) في الأصل « وقد غمضت » وهو تحريف على ما أرى ، وغمضت العين « كفرح » إذا كان بهار مرض وفدى ، أو ما كان في العين أبيض مثل الزبد يكون في ناحية العين والرص ما يكون في أصل الحذب ، يريد أن كثرة بكائه أرمده عينه حتى صارت غمضا - والترائب عظام الصدر ، وهواء أى خالية فارغة ، يريد أن فؤاده فارق جوانحه وخلامته صدره (٣) يبنى أن له أصحابا يحزن اليهم لأصحابيات يهولهن (٤) المهاد : جمع عهد وعهدة وهو اللط - « أسعد يوسف نجاني »

أَخْوَانَنَا بِاللَّهِ فِيهَا تَذَكَّرُوا
 مَوَدَّةٌ ^(١) جَارٍ أَوْ مَوَدَّةٌ صَاحِبِ
 غَدَوْتُ بِهِمْ مِنْ بَرِّهِمْ وَأَحْتَفَالِهِمْ ^(٢)
 كَأَنِّي فِي أَهْلِي وَبَيْنَ أَقَارِبِي

(١) ويرى « معاهد جارية » ولعله أولى (٢) أو « واحتفائهم »
 « أحمد يوسف نجاشي »

﴿ انتهى الجزء الرابع من كتاب نفع الطيب ﴾
 ويليه الجزء الخامس إن شاء الله وأوله

﴿ وصف جامع قرطبة ﴾

حقوق الطبع محفوظة للمترجم

الدكتور أحمد فريد رفاعي

جميع النسخ موهورة بتوقيع ناشره

فهرست

الجزء الرابع من كتاب فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
كلمة المهاد الأصماني	٣	٤
عبد الرحمن الملقب بالناصر لدين الله	٥	٦
عهد هشام المؤيد بالله	٦	١٠
تقويض الخلافة اليه	١١	١٣
يعة محمد بن هشام بن عبد الجبار	١٣	١٤
قتل عبد الرحمن الحاجب	١٤	١٥
الايقاع برؤساء البربر وزقاة	١٦	١٧
سليمان بن الحكم	١٨	٢٠
يعة هشام وقتل المهدي	٢٠	٢٠
فتنة واضح المامري	٢١	٢٢
استيلاء البرابرة والمبيد على الأعمال	٢٢	٢٢
هجو ابن خلدون لسليمان المستعين	٢٢	٢٣
أسباب فساد دولة المستعين	٢٣	٢٤
دولة بني حمود الحمينيين الملوك	٢٥	٢٦
معارضة المستعين لهارون الرشيد	٢٦	٢٨

٢ فهرست الجزء الرابع من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
ابن حمود الحنفى	٢٨	٢٩
القاسم بن حمود الملقب بالأمون	٢٩	٣١
يعة يحيى الملقب بالمتلى	٣١	٣٢
ابن عطف	٣٢	٣٣
إدرىس بن على بن حمود	٣٣	٣٤
يعة يحيى بن إدرىس بن على بن حمود ووفاته	٣٤	٣٤
وفاة حسن بن يحيى بن على بن حمود	٣٥	٣٥
إدرىس بن يحيى بن على بن حمود المتلى الملقب بالعالى	٣٥	٤٢
محمد بن إدرىس بن على بن حمود الملقب بالوفى	٤٢	٤٤
قرطبة فى عصر بنى حمود ، ورد الأمر فيها الى بنى أمية	٤٤	٤٤
عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمستظهر بالله الأموى	٤٤	٤٨
محمد بن عبد الرحمن الملقب بالمستكفى	٤٨	٤٩
هشام بن محمد أخو المرتضى	٤٩	٥٥
قتل المتمد لليهودى وهزيمة التنصارى	٥٦	٥٧
فقهاء الأندلس ورفع الظلمات	٥٧	٥٨
الاستيلاء على قرطبة وأسر المتمد بن عباد	٥٨	٥٨
أخبار المتمد المأثورة	٥٨	٦٠
بنو ذى النون ملوك طليطلة	٦٠	٦٠
الاعنار المشهور بالذنونى	٦١	٦٢

الموضوع	الصفحة	
	الى	من
بنو هود ملوك مرقطة	٦٣	٦٢
وقعة وشقة	٦٤	٦٣
ملوك بنى الألفس	٦٥	٦٤
قيام دولة الموحدين بالأندلس	٦٨	٦٦
موازنة بين حكم المسلمين وحكم الفرنج	٧٠	٦٨
مادار بين يعقوب وصالح الدين الأيوبي	٧٣	٧٠
استعمال السادة على الأندلس	٧٥	٧٤
دولة بنى هود	٧٧	٧٦
دولة بنى الأحمر	٨٣	٧٧
ثبوت قدم بنى الأحمر بالأندلس	٨٤	٨٣
وقعة بطرة	٩١	٨٤
أغارب بنى مرين وشيخة الفزاة	٩٣	٩١
كتاب لسان الدين بن الخطيب في تولية علي بن بدر الدين	٩٥	٩٣
وصف قرطبة	٩٩	٩٥
قرطبة وأعمالها	١٠٤	٩٩
وصف آخر لقرطبة . وفي الأصل « وصف قرطبة »	١١٢	١٠٤
محاسن أهل قرطبة	١١٣	١١٢
ولع أهل قرطبة باقتناء الكتب	١١٤	١١٣
وصف قصر قرطبة	١١٦	١١٥
أبواب القصر	١١٨	١١٧

٤٠ فهرست الجزء الرابع من كتاب فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

الموضوع	الصفحة	
	من	إلى
أبواب قرطبة	١١٨	١٢٠
أرباض قرطبة	١٢٠	١٢٢
متزهات قرطبة	١٢٣	١٢٤
رمان الرصافة	١٢٤	١٢٧
طرفة قاسم بن عبود الرياحي	١٢٧	١٢٨
قصور ضواحي قرطبة	١٢٨	١٣٠
قصر الدمشق بقرطبة	١٣٠	١٣٦
القصر الفارسي	١٣٧	١٣٨
مرج الخبز	١٣٨	١٤١
فحص السراقق	١٤١	١٤٤
السد	١٤٤	١٥٢
نهر قرطبة	١٥٢	١٥٣
وصف قنطرة النهر . وفي الأصل « الدهر » وهو تحريف مطبوع	١٥٣	١٥٥
منشأ قرطبة	١٥٥	١٥٧
اضمحلال قرطبة	١٥٧	١٥٩
ولاية علي بن حمود	١٥٩	١٦٣
اختلاف البربر على الولاة	١٦٤	١٦٨
القاسم بن حمود	١٦٨	١٦٩
مباينة يحيى بن علي	١٦٩	١٧١

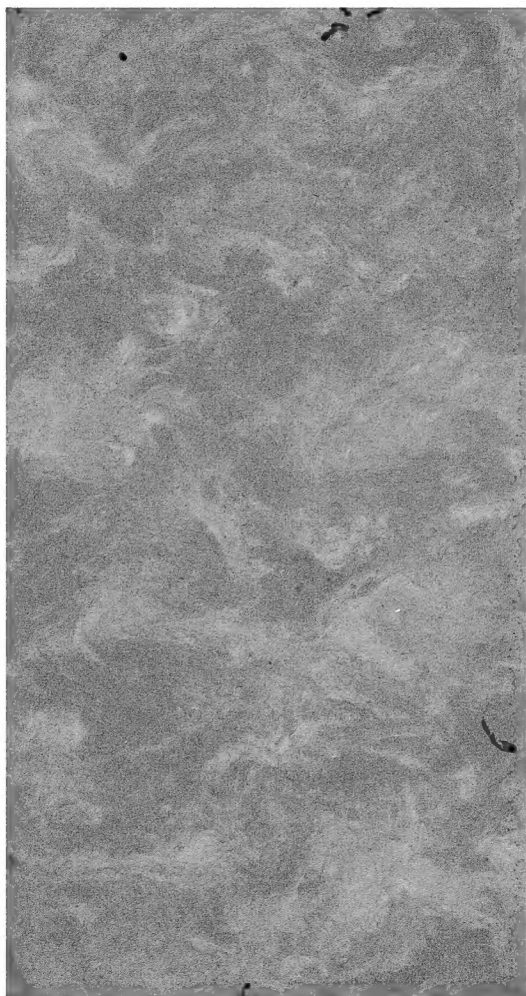
فهرست الجزء الرابع من كتاب فقه الطبيب من غصن الأندلس الرطب ٥

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
فرار القاسم بن محمود	١٧١	١٧٢
أسرى يحيى وقتله	١٧٢	١٧٣
مباينة المستظهر	١٧٣	١٧٨
وصف الشراء لقصور قرطبة	١٧٨	١٨٥
وصف بركة	١٨٥	١٩٢
وصف بركة أخرى	١٩٢	١٩٦
منزل المز بمصر	١٩٦	١٩٩
وصف قصر بناء على بن تميم المبيدى	١٩٩	٢٠١
وصف زيادة النيل وقصائه	٢٠١	٢٠١
وصف الرصد	٢٠١	٢٠٢
وصف قصر أنس بالبصرة . وفي الأصل بدون ذكر	٢٠٢	٢٠٢
« وصف » وهو قصص مطبوع		
المهرمان بمصر	٢٠٢	٢٠٣
وصف بركة عليها فوارات	٢٠٣	٢٠٤
وصف ماء يجرى على الصفا	٢٠٤	٢٠٦
ما قيل في عفاء الديار	٢٠٦	٢٤٤
كتاب لسان الدين عن سلطانه	٢٤٤	٢٦٢
وصف جامع قرطبة	٢٦٢	٢٦٥
دلالة البنيان على عظم بانيه . وفي الأصل دلال البنيان	٢٦٥	٢٦٨
قط وهو قصص وتحريف مطبوع		

٦ فهرست الجزء الرابع من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
عبد الرحمن بن فرفور	٢٦٩	٢٧٢
مدينة الزهراء	٢٧٣	٢٧٥
أطلال قصور الأمويين . وفي الأصل الأمين وهو	٢٧٦	٢٧٨
تحريف مطبوع		
بناء الزهراء	٢٧٨	٢٨٠
قصر الخلافة بالزهراء	٢٨٠	٢٨٣
قصر طليطلة	٢٨٣	٢٨٦
وصف مجلس المنصور بن عامر	٢٨٦	٢٩٥
وصف حديقة	٢٩٥	٢٩٦
وصف سورة بحام الشطارة	٢٩٦	٢٩٦
وصف مجلس الذهب	٢٩٦	٢٩٧
كتاب بمض كبراء الأندلس الى اخوانه	٢٩٧	٢٩٨
رقعة بن حسداى . وفي الأصل بن بنير ألف وهو خطأ مطبعي	٢٩٩	٣٠٢
وصف منزله	٣٠٢	٣٠٥
كتاب أبي اسحاق لبمض أصدقائه	٣٠٥	٣٠٩
كتاب آخر لأبي اسحاق	٣٠٩	٣٠٩
قصيدة لأبي اسحاق في التفجع والتوجع	٣٠٩	٣١٤
مساجد قرطبة ومبانيها	٣١٤	٣١٨
أبو القاسم بن هشام يصف منزله قرطبة	٣١٨	٣٢٧
توديع القاضي عياض لقرطبة	٣٢٧	٣٢٩





Bibliotheca Alexandrina



0419403